موسوعة الحياة الرهبنة السليمة
الإصدار السادس ٢٠٢٤م
الباب الثاني: الرهبنة وفضائلها
إعداد الراهب: أبانوب المحرقي

الرهبنة حياة: توبة دائمة

{١} مار إسحق السرياني	{٢} القديس يوحنا السلمي	{٣} الأنبا إشعياء الإسقيطي
{٤} القديس مكاريوس	{٥} الأنبا برصنوفيوس	{٦} قديسون أخرون
{٧} الأنبا أنطونيوس	{٨} القديس ثؤفان الناسك	{٩} الأب متى المسكين
{١٠} كتاب فردوس الآباء	{١١} أنبا بيمن المتوحد	{١٢} مار أوغريس
{١٣} القديس أوغسطينوس	{١٤} القديس مار إفرام	{١٥} القديس باسيليوس الكبير
{١٦} كتاب طريق النساك	{١٧} كتاب الحرب اللامنظورة	{١٨} قداسة البابا شنودة
{١٩} القديس يوحنا كاسيان	{٢٠} كاليستوس وأغناطيوس	{٢١} أغناطيوس بريانتشانينوف
{٢٢} القديس يوحنا الكرباثى	{٢٣} مكسيموس المعترف	{٢٤} الشيخ إفرام فيلوثيو
{٢٥} القديس موسي الأسود	{٢٦} الشيخ الروحاني	{٢٧} القديس مرقس الناسك
{٢٨} كتاب بستان الرهبان	{٢٩} فيلوكالية الآباء الزاهدين	

{١}

مار إسحق السرياني

📖 [٤٦] قول اللص اليمين يَحمل طابع الإيمان، والتوبة.

📖 والذين يؤمنون ويتضرَّعون إلى الله مثله، فبلا أدنَى شكٍّ، لن يكونوا بعيدين عن الاشتِراك معه، في الموعد الذي قبله من الرب، حتى ولو كانوا قاتلين، أو زناة، شريطة أن يتوقَّفوا عن أسلوب حياتِهم السابق.

ميامر مار إسحق - الكتاب السادس - الميمر الثالث - المئة الثانية - صفحة ٦٦٥

📖 [٧٦] الحسّ الروحي بالنعمة، يوجد بعمل التوبة العقلي.
📖 [٧٧] عمل التوبة الروحي، هو: بكاء الإنسان الجوّاني الملقَى في القلب على الزلل، من أجل حبِّ الآب، وليس بسبب رعبة الدينونة. هذا البكاء الذي يتفاوض به الإنسان بالهذيذ الدائم بالله، بتضرّعٍ خفي بالعقل الحامل حزناً، يُقدِّمه كذبيحة تُرضي الله في كل وقت.
ميامر مار إسحق - الكتاب السادس - الميمر الثالث - المئة الاولي - صفحة ٦٥٠

📖 **حد تدبير السيرة، يكون بهذه الأمور الثلاثة:**
📖 التوبة - والنقاوة - والكمال.
📖 وما هي التوبة؟ ترك الأمور الماضية، والحزن من أجلها.
📖 وما هي النقاوة؟ قلب رحوم، على جميع طبائع الخليقة.
📖 وما هو الكمال؟ هو عمق الاتضاع، ورفض كل ما يراه الإنسان، وما لا يراه، ما يُرى بالحواس، وما لا يُرى بالهذيذ به.
📖 وسُئل أيضاً الشيخ في وقت آخر، ما هي التوبة قال قلب منسحق.
📖 وما هو الاتضاع فقال: هو تضاعف ميتوتة الإرادة، من جميع الأشياء.

📖 وما هو القلب الرحوم قال: حُرقة القلب على كل الخليقة، على الإنسان، والطير والوحوش والشياطين، وعلى جميع الأشياء، حتى انه بمجرد ذكرها فقط تفيض الدموع من عينيه، من شدة الرحمة التي تعتصر القلب، ومن كثرة شفقته يصغر القلب، ولا يقدر أن يسمع، أو ينظر، أيّة أذية أو حزن يحدث لشيء من الخلائق
📖 ليست خطية بلا مغفرة إلا التي بلا توبة.
📖 اذكرْ عِظم خطايا القدماء، الذين سقطوا وتابوا، وما قبلوه من شرف وكرامة، بعد ذلك، لكي تتعزى في توبتك.
📖 زبل وماء التوبة هو، الضوائق والمحقرات والتجارب.

📖 إذا ما فرزت نفسك للتوبة فكل يوم لا يصادفك فيه محقرة فلا تحسبه يوماً تاماً. ليس إنسان محبوباً عند الله، ويُعطى سؤله سريعاً، كمثل الإنسان الذي يطلب من أجل زلاته وغفرانها، ويطلب قوة ومعونة لتقويم طريقه، فبهذا النوع يبطل الدينونة التي عليه، وحتى لو كانت خطاياه صعبة فهو بغير شك يأخذ سؤله.

📖 ليس أن الإنسان إن لم يتطهر بالكمال لا يحس بالخيرات الروحانية وبدلائل الحياة الجديدة، بل إنه يوماً بعد يوم، حسبما يقهر الآلام، يرى إشارات الطهارة، وكل ألم يغلبه يشرق الصلاح الموضوع قباله في الحال، وبمقدار ما يتطهر من الخطايا هكذا ينعتق الضمير من رباطات التفكير فيها، وعلى هذا الحد يشرق شعاع المعرفة {الاختبارية الداخلية} في قلبه، وطهارة النفس هي التعري من الاهتمامات الجسدانية الهذيذ بالأفكار اللحمية.

📖 التوبة هي حرمان الذات طوعا من كل تعزية جسدية.

إن الله يرحم من يشاء، ويقسو على من يشاء

📖 ما أحسن قول الرسول: «إن الله يرحم من يشاء، ويقسو على من يشاء»، لأنه ربما في بعض الأوقات، يمنح الله عطاياه مجاناً.

📖 وفى أوقات أخري يطلب منا الأعمال والطهارة، وبعد ذلك يُعطي.

📖 وأحيانا لا يعطي في هذه الدنيا، ولا بعد الأعمال، ولا بعد الطهارة، ولكنه يحفظ لنا عطيته في موضعها {ملكوته}.

📖 الله يصفح عن الخطايا مجانا في المعمودية، ولا يطلب منا سوى الإيمان وحده. أما في توبتنا عن خطايا بعد المعمودية، فلا يصفح مجانا، بل يطلب منا ان نتعب ونحزن، وأحزان التوبة هي: دموع ونوح وبكاء زمانا طويلاً، وبعد ذلك يصفح.

📖 لان اللص باعترافه سامحه، مجانا على الصليب، وصفح عن خطاياه، ووعده بالفردوس. وفى حالة المرأة الخاطئة أيضاً طلب

منها الإيمان والدموع. وطلب من الشهداء والمعترفين إيمان قلوبهم واعتراف أفواههم مع ضغطات وعقوبات وميتات مختلفة الألوان.

سؤال

متى يثق الإنسان انه استحق مغفرة الخطايا؟

جواب

- إذا ما أحسَّ في نفسه انه قد أبغضها، من كل قلبه تماماً، وأصبح يصنع ما يضاد تصرفه الأول، في الظاهر وفى الخفاء ... حسب قول الرسول، لان القلب الذي لا لوم فيه هو الشاهد على نفسه
- إذا تركنا زلاتنا بغير تقويم، نُسلَّم من أيدي المراحم الإلهية، لحكم العدالة، فتأمر بان يمدُّونا قدام عصا التجارب هنا، حتى لا تتصعب عقوباتنا هناك.
- إحساس الإنسان السريع بخطاياه، هو موهبة من الله، تحلُّ في الضمير. لماذا تُضاعف قيودك؟! تمسَّك بالحياة، قبل ان يظلم نورك، فتبحث عن المعونة ولا تجدها، ان هذه الحياة، قد أُعطيت لك للتوبة، فلا تضيعها في أعمال باطلة.

- معنى اسم التوبة كما نفهمه بحقيقة العقل هو التضرع الحزين في كل وقت بالصلاة، المملوءة ندماً، التي نقدمها لله، من أجل غفران الأشياء الماضية، وطلبة من أجل الحفظ في الأمور المقبلة.
- مَن اقتنى الفضائل العظيمة، مثل الصوم والسهر والنسك، ولم يقتنِ حراسة القلب واللسان، فهو في الباطل يعمل ويتعب. إذا وُضعت كل أعمال التوبة في ناحية، وحِفظ القلب في ناحية أخري، فالحفظ هو الذي يرجح. ان حفظت عينيك وأذنيك لئلا يدخل من خلالهما ما يكدر نقاوة نفسك، فلن تخطئ بلسانك.



🕮 كما وتعلمه روح التوبة قائلة: ان كنتَ تغصب ذاتك دفعة واحدة وتقمعها، وتقطع من القلب أصول الآلام الداخلية، التي تتولد منها الآلام الخارجية، فإنك تنعتق بسهولة من الآلام والخطايا، وتؤهَّل للذكاوة وعدم التألم الذي تكلم عنه الآباء.

🕮 وتجعله يقاوم نفسه ويغصبها، ليكمل جميع أعمال الفضائل، كالصوم والسهر والنسك والسكون والحبس وما تبقى، من غير أن يشاء القلب. وتجعل الإنسان يهين نفسه كل حين، ويمقتها خفياً وظاهراً، ويرى نفسه مثل كسلان، وقد اغضب الله، حتى ولو انه كان يكمل الفضائل على الدوام. إذا أفرزتَ نفسك للتوبة، فكل يوم لا تصادفك فيه محقرة، لا تحسبه يوماً تاماً.

🕮 اصطلح أنت مع نفسك، فتصطلح معك السماء والأرض.

🕮 ندم النية هو التوبة، والاتضاع هو أن يلوم الإنسان نفسه، فهذه هي ندامة النية، ومثل هذا الإنسان {الذي يلوم نفسه} يكون محبوباً من كل أحدٍ لأن الله قد أحبه، وإذا لم يجد الله هذا في شعب إسرائيل، لامَهم على يد إرميا النبي قائلا: «ليس من يندم على شروره ويقول بئس ما صنعت، بل الجميع سالكون في أهوية قلوبهم كالفرس الذي ينجذب للقتال»، رجاء التوبة لا يعنى عدم الاكتراث بصنع الخطيئة.

🕮 إنه لا ينبغي لنا أن نعتقد في التشجيع الذي أودعه الأنبياء والرسل والآباء في كتبهم عند ذكر التوبة، أنه السبيل المؤازرة للغِيّ والهفوة، واحتقار تهديدات القضاء الإلهي، ونقض حدود {أحكام} الرب التي لا تُنقض، وهي التي حددها بقوته سبحانه منذ الأيام القديمة على أفواه القديسين في جميع الكتب والمواعظ من أجل إزالة الخطية، لأن الله عزَّ وجلّ، لرغبته في أن يكون لنا أمل في الخلاص، تلطَّف بأن أزال خوف اليأس من إحساس الإنسان، وذلك بالرجاء الذي أعطانا إياه في التوبة، لئلا توجد لنا من اليأس فرصة لكي نخطئ بلا مراقبة

وبغير جزع.

🕮 ولكن لا يجب أن نتخذ من الرجاء الذي ينشأ فينا من التوبة علّةً للتخلص من الإحساس بالخوف، لئلا يقودنا ذلك إلى فعل الخطية بحرية وبلا خوف، في تلك الأنواع التي ربطها الله بالخوف بكل أنواع التهديدات التي تَثبَّتتْ بأختام كلام الله في جميع الكتب لخلاصنا، ومن ذلك ما كشفه جزئياً بما جلبه من العقوبات على فاعليها في الحال، وبرهن بذلك على أن الخطيئة ممقوتة عنده تعالى.

🕮 فالجيل الذي كان على أيام نوح، لماذا غرق بكامله بالطوفان؟ أليس بسبب الفسق الذي توسوسوا به من قِبل جمال بنات قايين؟! حيث لم يكن في ذلك الوقت حب مال أو عبادة أوثان أو سحر أو حروب، ولماذا احترقت مدن سدوم؟ أليس لأنهم توفروا على الشهوة النجسة، حتى أنها استولت عليهم كلهم فاستعملوا كل الأفعال النجسة غير الطبيعية حسبما أرادوا؟ أوَ ليس من أجل زنا إنسان واحد مات في لحظة واحدة من بني إسرائيل – بكر الله – أربعة وعشرون ألفاً؟!

🕮 كما كتب في حزقيال النبي: «وقال للإنسان الذي رسم له ضَرْبَ أورشليم بالحربة غير المرئية: ابتدئ من أمام المذبح، ولا ترحم شيخاً ولا شاباً»، هذا لكي يقيم البرهان على أن السالكين بخوفٍ وخشوع قدامه وصانعي إرادته هم قديسوه وأحباؤه ذوو الفعل الفاضل والنية الطاهرة، ولكنهم إذا ما طرحوا طرق الرب تبارك اسمه، فإنه يطرحهم ويقصيهم عن وجهه.

🕮 فإذا كان الأمر هكذا، فلا نزدرينَّ بأقوال الله وتهديداته بأمل ورجاء التوبة والتشجيع الذي يتوجه إلينا من الكتب الإلهية، ولا نسخطه بقبيح أفعالنا، ولا ندنس أعضاءنا التي قد جعلناها من أول وهلة

مكرسة لخدمته.

📖 واحذر كذلك من المعرفة التي تسبق ملاقاة التجارب، وبالأكثر من الحب الذي يكون قبل كمال التوبة، إن كنا كلنا خطاة، وليس واحد أعلى من التجارب، فمن المؤكد أن ولا واحدة من الفضائل تعلو على التوبة، وتذكَّر أن كل لذة يتبعها بالضرورة كراهية ومرارة كرفيقين لا يفترقان.

📖 الفردوس هو حب الله الذي فيه نعيم كل الخيرات، حيث اغتذى السعيد بولس الرسول بالغذاء الذي يفوق الطبيعة، وعندما ذاق من شجرة الحياة الموجودة هناك، صرخ قائلاً: "إن الله قد أعدَّ لمحبيه ما لم تنظره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر".

📖 من هذه الشجرة مُنع آدم بتوسط مشورة الشيطان، وشجرة الحياة هي محبة الله التي خاب منها آدم، فلم يعد يرى فرحاً بعد ذلك، بل مكث يعمل ويشقى في أرض الشوك، والمحرومون من محبة الله – حتى ولو سلكوا بالعدل والبر – يأكلون بأعمالهم خبز العرق الذي أُمر بأكله الإنسان المخلوق أولاً بعد سقطته، وإلى أن نجد المحبة فعملنا هو في أرض الشوك، وفى وسط الشوك نزرع ونحصد.

📖 ولو كان زرعنا زرع العدل {أو البر}، وسيظل الشوك يَخِزْنا كل حين ومهما تبررنا فإننا بعرق وجهنا نعيش، أما إذا وجدنا المحبة، فإننا سنأكل الخبز السمائي ونغتذي به دون عرق أو تعب، والخبز السمائي هو المسيح النازل من السماء والواهب الحياة للعالم، وهذا هو غذاء الملائكة.

📖 مَن وجد المحبة فهو يأكل المسيح كل ساعة وبه يصبح غير مائت، لأنه يقول: «من يأكل من هذا الخبز الذي أنا أعطي لا يرى الموت إلى الأبد»، لسعيدٌ هو الذي يأكل خبز المحبة الذي هو يسوع! لأن الذي يأكل من المحبة يأكل المسيح إله الكل، بهذا شهد يوحنا وقال:

«إن الله محبة»، إذاً، من يحيا في المحبة في هذا العالم {يجتني ثمر هذه الحياة من الله}، ويستنشق نسيم القيامة من ههنا.

📖 لأنه بهذا النسيم يتنعم الأبرار في القيامة، المحبة هي الملكوت الذي وعد به ربنا الرسل وعداً سرياً، أعني أن يأكلوا في ملكوته، لأننا حين نسمعه يقول: «تأكلون وتشربون في مائدة ملكوتي»، ما الذي نظن أننا سنأكله إن لم تكن المحبة؟ المحبة تكفي لتغذية الإنسان عوضاً عن المآكل والمشارب.

📖 هذا هو الخمر المفرِّح قلب الإنسان، ومغبوطٌ من يشرب منه، من هذا الخمر شرب الفسقة الوقحون فصاروا ذوي عفاف وحياء، وشرب السكيرون منه فصاروا صوَّامين، وشرب منه الخطاة فنسوا سبل المعاثر، الأغنياء شربوا منه فأحبوا الفقر، والفقراء فاغتنوا بالرجاء، والمرضى فصحّوا، والضعفاء فتقووا، والعوام فصاروا حكماء.

📖 كما أنه لا يمكن عبور البحر العظيم بدون مركب، هكذا لا يمكن لإنسان أن يعبر إلى المحبة بغير الخوف، فهذا {العالم هو} البحر المنتن الموضوع بيننا وبين الفردوس العقلي، يمكننا أن نعبره بواسطة سفينة التوبة التي مجاديفها هي الخوف، وإن لم يكن جدَّافو، الخوف هم الذي يسوسون سفينة التوبة التي بتوسطها نعبر بحر هذا العالم إلى الله فإننا سنغرق في البحر المنتن، فالتوبة هي السفينة والخوف هو مدبِّر السفينة والمحبة هي الميناء الإلهي.

📖 وهكذا يُجلسنا الخوف في مركب التوبة ويقطع بنا بحر العالم المنتن إلى الميناء الإلهي التي هي المحبة، ويرشدنا إلى ذاك الذي شاهده جميع المتعبين وثقيلي الأحمال بالتوبة {وأقبلوا إليه} فاستراحوا، فنحن متى أدركنا المحبة نكون قد وصلنا إلى الله، وقد أنهينا طريقنا وجزنا

إلى جزيرة العالم الكائن هناك، حيث الآب والابن والروح القدس الذي له المجد والعزة، وإياه نسأل أن يجعلنا أهلاً لمجده ومحبته بتوسط مخافته، آمين..

إن كان شكل التوبة حوَّل السخط عن آخاب الملك، فإن توبتنا الحقيقية الآن بالتأكيد لا تذهب باطلاً. الشهيد بالحياة هو التائب الحقيقي. لأن الدموع تغلب الدم بالفعل عند الذين قد اقتنوها. والتوبة الشهادة.

أما أولئك {الشهداء} فهم يتقدمون بالأكاليل على هؤلاء {أي التائبين}، لأن التائبين يأخذون الأكاليل في القيامة العامة، أما الشهداء فيأخذون أكاليلهم قبل {القيامة} العامة، وهكذا يتبين أن التائب الحقيقي إكليله متضاعف.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ {١} رؤوس المعرفة ـ صفحة ٤٧

إن كانت الضيقات التي لأجل التوبة صعبة هي، بسبب تواتر الأحزان المختلفة الحادثة على النفس الشقية، ولكن عظيم هو، ومجيد العزاء الخفي الذي يظهر في القلب لتعزية ضعفنا.

والذي يبدأ التوبة، فيسأل عن أي نوع من النسك، وانكسار القلب، والانسحاق، يقدمه في التوبة، لكي يكمله في نفسه بالفعل، وبأي نوع أعانه الله ونجح فيه، عليه أن يعمل هذا النوع بأقنوم ذاته بغير شبع.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ رؤوس المعرفة ـ الميمر الأول ـ صفحة ٩٠ ـ ٩١

١٠ــ أيها التائب الحقيقي، لا تترك مبدأ ووسط درجات التوبة، وتضبط بغتة درجات الكمال، وتقول إن الله رحوم إن شاء يعطيني مراحمه إنعاماً، كما أعطى لكثيرين مواهب نعمته في كل الأجيال.

لستَ بمعرفةٍ أنت تضمر مثل هذه الأمور؛ لأن العجائب والقوات، لا تُعطى من أجل المؤمنين، بل لأجل غير المؤمنين.



📖 ١١- فضيحة عظيمة، وحزن للنفس في العالم الجديد، عندما تتعرَّى من البرِّ المظنون، وتلبس الخجل، والخزي أمام جميع الملائكة والبشر.

📖 ١٢– البرُّ المظنون هنا، يُعدّ للنفس في العالم الآخر خجلاً وخزياً، وظلاماً في الجحيم.

ميامر مار إسحق السرياني - الجزء الرابع - رؤوس المعرفة - الميمر الثالث - صفحة ١١٨ - ١١٩

📖 ٧٠– إن الله خالق طبيعتنا، قرن الشفاء بميالة طبعنا، ومعرفة الخير والشر مع حرية إرادتنا. وزاد على يد موسى ناموس سُنة العدل، لكي كل واحد عوض ميالته يقدم مُفرزاً اعتراف ذبيحة الغفران في الهيكل الذي في أورشليم.

📖 والمسيح ربنا خالق طبيعتنا الذي له السلطان على كل شيء، كالسيد على بيته عوض العدالة جاد بالنعمة مجاناً قائلاً: {ليتب} كل أحد في كل موضع بنفسه، من الداخل ومن خارج.

📖 ٧١– التوبة هي مراحم المسيح ربنا اللازقة للكل، التي تشجع طبعنا قائلة: إن كنتَ قد زللتَ وأخطأتَ اعترف بذنبك وتُب، وأنا معك أساعد ضعفك.

📖 ٧٢– ذبيحة التوبة لربنا هي القلب الذي اتضع وانسحق، وانكسر بدموع الصلاة قدام الله، ويطلب المغفرة لضعف ميالته وعجز قريبه وذاته هو.

📖 ٧٣– نعمة المسيح ربنا حالة هي بالتوبة، وهي تسأل الناس أن اطلبوا بالصلاة وخذوا، لئلا يصير عليكم لوم من العدالة.

📖 ٧٤ـ النفس التي تفرز بالعدل الصالحين من الأشرار، والصديقين من الخطاة، فإن معرفتها تفرزها هي أيضاً من الله من غير أن تحس.
ميامر مار إسحق السرياني - الجزء الرابع - رؤوس المعرفة - الميمر الثالث - صفحة ١٢٨ - ١٢٩

الميمر الثامن والثلاثون

على التوبة

📖 ١ـ إن الله يعلم من خلال معرفته المترفقة، أنه إذا كان سيُطلب من البشر براً خالصاً، فإنه بالكاد يوجد واحد من ربوة يمكنه أن يدخل ملكوت السماء، فلهذا زودهم في المقابل بدواء يناسب كل واحد، أعني التوبة، لكيما في كل يوم وكل لحظة تكون لهم فرصة للتقويم بواسطة قوة هذا الدواء.

📖 فمن خلال تبكيت الضمير، يمكنهم أن يمحوا من نفوسهم في أية لحظة كل وصمة قد تلحقهم، وهكذا يتجددون كل يوم بالتوبة.

📖 ٢ـ فما أعظم هذه الوسيلة التي زودنا بها بارينا المتحنن، بحكمة ألوهيته من أجل حياتنا الأبدية، لأن هذه هي رغبته أن نتجدد كل يوم، ونبدأ مرة أخري بتحولٍ فاضل في الإرادة، وبتجديد الذهن.

📖 ٣ـ هذا هو معنى ما قيل: «إنه لا يُسر بهلاك الخاطئ».

📖 ولهذا فقد دبر وسيلة يمكننا بواسطتها أن نرجع إلى الاستقامة بدون أي جهد. هذا كله لكونه لا يشاء أن يهلك البشر منه بسبب الخطيئة.

📖 وقصده في ذلك هو أنه إن كانوا، سواء بسبب ضعف، أو شقاء الطبيعة التي تسربل بها الناس، أو بسبب القتالات التي ترافقهم، أومن أي سبب مغروس فيهم طبيعياً، الأمر الذي يجعلهم عرضة كل حين للمصادمات التي تقودهم للخطية – يستسلمون وينغلبون لخطية أو أخري، بالأفكار، والأقوال، والأعمال، وبالحزن والألم يتوبون عنها، حينئذ سوف يصفح عنهم سريعاً لا محالة.

📖 ٤ـ بتدبير هذه النعمة سوف يدخل الكثيرون من الجنس البشري ملكوت السماوات، دون أن يعانوا من عذاب جهنم.

📖 ولكن هذا الأمر يكون بعيداً من أولئك الذين بسبب قساوة قلوبهم، واستسلامهم الكامل للشرور والشهوات، لا يظهرون الندم بالحزن على خطاياهم وتعدياتهم، ولأنهم لم يتأدبوا على الإطلاق.

📖 لأن طبيعة الله القدوسة صالحة ومترفقة جداً، حتى أنه يلتمس أن يجد أية وسيلة مهما كانت صغيرة لكي يردنا بها إلى الاستقامة، ولكي يغفر لبني البشر خطاياهم ـ كما في حالة العشار الذي تبرر بسبب حرارة صلاته، أو مثل الأرملة صاحبة الفلسين، أواللص الذي نال الغفران على الصليب. لأن الله يبحث عن الوسائل لخلاصنا وليس عن أسباب لتعذيبنا!

📖 ٦ـ ولأن كل اهتمام الله متجه إلى الغفران، فهو بواسطة أمور تافهة بسيطة، وصغيرة للغاية، تتوفر من وقت لآخر، وبواسطة ما يبدو أنه مجرد صدفة، أو شيئاً يكون من غير تدبير سابق ـ يسكب علينا سخاء نعمته، التي هي كالمحيط الذي لا يُدرك له قياس.

📖 ٧ـ فأي شخص بمجرد أن يظهر ولو حزناً قليلاً، ورغبة في الندم من أجل ما بدر منه، سريعاً جداً وفى الحال، بدون أي تأخير، يمنحه غفران خطاياه.

📖 فمن لا يتعجب عندما يرى كل هذه الأمور التي صارت في المسيح يسوع ربنا وأجراها للعالم: الذي حينما ترك كل أقصاء الخليقة الله ونسوه، وتأصلوا في كل أنواع الشرور، نزل هو إلى مسكنهم بإرادته وحده، وبدون أي طلب، أو توسل من آخر، وعاش بينهم بجسدهم كواحد منهم، وبمحبة فاقت كل معرفة، أو وصف يخطر لكائن مخلوق، ترجاهم أن يرجعوا إليه، مظهراً لهم تأسيس العالم

الآتي المجيد.

📖 وإذ كان قصده من قبل إنشاء كل العوالم أن يجلب سعادة مثل هذه للخليقة، أخبرهم عن وجودها، وغفر لهم كل الخطايا التي ارتكبوها من قبل، مؤكداً هذه المشيئة الصالحة بواسطة علامات وعجائب صادقة، وبإعلانه لهم أسراره.

📖 وأخيراً تنازل إلى هذا الحد، أنه أراد أن يُدعى "أباً" للبشر الخطاة، وهم من لحم ودم، تراب من الأرض، أدنياء ومحتقرون. أكان ممكناً أن يعمل كل هذا بغير محبة عظيمة؟

📖 ٨– من هو الذي عندما يرى ويسمع هذه الأمور، حين يتحرك فيه تذكار خطاياه، لا يطرح عنه الشك الذي يقول: هل يغفر الله لي إذا أنا طلبت إليه، ويصفح عن هذه الأمور التي تؤلمني وتذكارها يعذبني؟ هذه الأمور التي مع أني أبغضها أشد البغض، أستمر في الانزلاق فيها، ولكن بعد أن تكون قد حدثت تسبب لي ألماً أشد قسوة حتى من لدغ العقارب، فمع إني أمقتها ما أزال مقيماً فيها، وحين أتوب عنها بحزن شديد، أعود إليها بأسوأ حال".

📖 ٩– بهذه الصورة يفكر خائفو الله، الذين يراعون الفضيلة، وينتخسون بحزن التبكيت، وينوحون على الخطية. ومع ذلك تغصبهم ميالة الطبيعة، أن يعانوا من الانتكاسات التي تنجم عنها، فيعيشون بين الخطية والتوبة كل الوقت.

📖 ١٠– دعنا نطرح عنا الشك، يا رفيقي، من جهة رجاء خلاصنا، إذ نرى أن ذاك الذي احتمل الآلام من أجلنا، مهتم جداً بأمر خلاصنا، ورحمته أوسع مما يمكننا أن نتصور، ونعمته أعظم مما نطلب.

📖 لأن يمين ربنا ممدودة ليلاً ونهاراً، وهو يرقب مستعداً لتقديم

المعونة والراحة، ولكي يشدد الجميع. وهو ينتظر بوجه خاص أن يجد من يحتمل ولو قليلاً من الألم والحزن، من أجل أن تُغفر له خطاياه، ويشجع كل من يحزن من أجل جزء الصلاح، الذي يُختطف منه من وقت لآخر أثناء صراعه مع الأوجاع والخطية.

📖 فإذ يستخدم الله حتى مثل هذه البدايات الصغيرة، فإن هدفه من ذلك أن يجعلهم وارثين لملكوت السماوات، وأن يحضرهم بلا أي عائق إلى فرحه.

📖 ١١ـ لأن لله مخلصنا، المجد في المسيح رجائنا، مع السجود والإكرام في العالميْن اللذين خلقهما لتدريبنا، ولبهجتنا إلى الدهور الأبدية، آمين..

ميامر مار إسحق ـ الجزء الخامس ـ الميمر الثامن والثلاثون ـ صفحة ١٧٦ ـ ١٧٨

📖 **[٥]** أربع غيارات فاضلة تَحدث لنا، أعني للطبع الناطق، وهي:

📖 **الغيار الأول:** نَجده في الذي يرجع من رداءة السيرة لحسن السيرة.

📖 **والغيار الثاني:** في الذي يرجع من ضلالة العقل، إلى الإحساس بالحق في الكائنات الثانية {البشر}.

📖 **والغيار الثالث:** في الذي يرجع من الدرجات السابقة، إلى حركة خلقته الطبيعية، بالمعرفة الروحانية.

📖 **والغيار الرابع:** في حركة الحياة الأبدية، بِحسب التاؤريا الإنجيلية.

📖 **[٦]** والمتقدِّمون في الكرامة: هم الذين سبقوا بالتغيير، وصاروا مرشدين له. ولِهذا عظيمٌ هو تغصُّب الذين بدأوا، أكثر من الذين تقبَّلوا.

ميامر مار إسحق ـ الكتاب السادس ـ الميمر الثالث ـ المئة الاولي ـ صفحة ٦٣٩

📖 **[٥٠]** إذا تبكَّتَ ضميرُنا من كل جانب، بسبب الإنذارات والعقوبات التي وضعها الكتاب المقدَّس على الخطايا، لن يكون لنا ملجأ يُبدِّد

خوفنا، سوى التفكير في أن الله قد تصالَح معنا بِموت ابنه ونحن بعد خطاة {رو٥:٨}.

📖 فهو قد أرسل ابنه الوحيد، حين لَم يكن هناك أي أثر لِمخافة الله في العالَم، وحقاً قد قيل: "وُجدتُ من الذين لَم يطلبوني، واستعلنت للذين لَم يسألوا عنِّي {إش ٦٥:١}.

ميامر مار إسحق ـ الكتاب السادس ـ الميمر الثالث ـ المئة الاولي ـ صفحة ٦٤٦

📖 [٥٣] التائب الحقيقي هو شهيدٌ حيٌّ: لأن الدموع تغلب الدم بعمل الذين قد اقتنوها، والتوبة تتفوَّق على الشهادة. فشهادة الدموع تتقدَّم على شهادة الدم وقت نوال الأكاليل. والشهداء يأخذون الإكليل في نفس الوقت مع الآخرين، الذين عاشوا حياة التوبة أولاً، ثُمَّ الآخرون. وهكذا يتبيَّن أن التائب الحقيقي، إكليله مُضاعَف.

ميامر مار إسحق ـ الكتاب السادس ـ الميمر الثالث ـ المئة الاولي ـ صفحة ٦٤٧

📖 [٢٢] ما مِن وجع نبغضه بالحقيقة، ولا يفارق الخوف منه القلب، أو العقل، فحتى لو أن يوجد المُجاهد مغلوباً أمامه، أو أصابه بِجرحٍ بفعل إحدى ضرباته، أياً كانت نوعيته، أو طبيعته، فلن يُحسَب له ذلك أبداً كَخطيةٍ، طالَما أنه يثبت في بغضته له، لأن الله عادلٌ هو.

📖 في الحقيقة إن توبة نفسه تأتي دون تأخيرٍ، على أثر الجرح، وهي تكون الدواء الذي لا يُستعصَى عليه شفاء أي جرحٍ. ومَنْ يبغض حقاً هذا الوجع، يُمكنه أن يرى نفسه في الاضطراب، وفي الألَم الذي يَجتاح أعضاءه، من مُجرَّد تذكّره.

ميامر مار إسحق ـ الكتاب السادس ـ الميمر الثالث ـ المئة الثانية ـ صفحة ٦٥٩

📖 [٢٤] فلنتيقن أن كل وجعٍ نُحبه، أو نتلذَّذ به، فحتى لو أنه لَم يأتِ إلى الفعل، هو بِموجب العدل الإلهي يستحق الدينونة، ويُحسَب بِحقٍ أنه خطية.

📖 ونحن ننال العقاب عنه، سواء هنا، أو في العالَم الآتي، كما لو كُنَّا قد أكملناه بالفعل، إن كان وجع الشهوة، أو الحسد، أو الحقد تِجاه أي إنسان، أو أي وجع آخر، لأننا، في قلوبنا، قد أظهرنا مسرَّةً بِما نعرف أنه مُخالِف تمَاماً للمشيئة الإلهية، ولأننا كُنَّا مستعدين للتلذّذ به، بل ونُحب أيضاً أن نتذكره كل حين.
ميامر مار إسحق ـ الكتاب السادس ـ الميمر الثالث ـ المئة الثانية ـ صفحة ٦٥٩

📖 [٩٨] مقابل كل وجع يقلقك ويُحاربك، عليك أن تتسلَّح بالخوف، والحزن في الجهاد معه. وحتى لو حدث وكنتَ مغلوباً أمامه، فقد أُعدَّتْ لكَ مراحِم الله. وبالأخصّ إذا كنتَ وسط انهزامك لَم تفقد شَجاعتك، ولَم تتَراجع، بل عُدتَ في الحال إلى مواصلة الجهاد بكل شَجاعةٍ وأنتَ مفعم بالحزن، والتوجُّع، والتوبة، وتسلَّحتَ ونَهضتَ لتقتني الغلبة. فإذا تصرَّفتَ بِهذه الطريقة، فإن كل وجعٍ يُقابلك، سوف يعطيك فرصة لفهم شيء جديد.

📖 وبالعكس، فإن النفس التي تَمكث مغلقاً عليها تحت الدينونة، هي التي، بدون خزي، وبغير خوفٍ، وبالاعتداد بالذات، والخضوع للتصوّرات الشريرة، وهي تتجاهل التوبة، والحزن على تعدِّياتها، سوف تَجد أمامها، بدون انقطاع، وسائل الاستمرار في خطيتها.

📖 [٩٩] الحزن من أجل الله هو شفاء لكل مَنْ يَمسك به. ومكتوبٌ أن: "الحزن من أجل الله ينشئ توبة النفس، ويردّها إلى الحياة". فهو لا يكون فقط للإنسان رجاءً للشفاء، بل وفي حالة توجّه أي عقابٍ عليه، فإنه يَجد له أيضاً أصدقاءَ يشفعون فيه أمام الله، لكونه تألَّم وحَزِنَ من أجل الله.

📖 [١٠٠] الله دائماً يريد أن يَمنح الشفاء للكل، إذا ما لَجَأ إليه المريض. فإن عظمته لا تَجزع من الأمراض الصعبة والمُقزِّزة.

🕮 وبقدر ما تكون الأمراض رديئة وكريهة، وطالَما كان المريض يرجع إلى الله، ويَحتمي به، بقدر ما يُظهِر له الكثير من العطف والاهتمام، لأن بابه غير مُغلَق، ولا توجد عنده أوقات مناسبة، وأخرى غير مناسبة. بل في كل مرَّةٍ يدعوه الإنسان، يكون مستعداً لنجدته بكل اهتمامٍ، وهو لا يَحتقر أحداً بسبب رداءة مرضه. وإذا كان المريض يدعوه سريعاً، فهو لن يتأخَّر، بل يُظهِر اهتمامه به بأقصى سرعة، بِحسب ما تتطلَّبه صعوبة الأمراض التي تكاد أن تؤدِّي إلى الموت.

🕮 **[١٠١]** من الواضح أن الله ينشد توبة النفوس المريضة. ويتيقَّن من ذلك تَماماً، أولئك الذين، بعد معاناة سقطات صعبة وأليمة، اقتنوا هِبة التوبة، وبسبب هذه التوبة، اِعتُبروا من خاصته، وصاروا مستحقين لِدالَّة الحديث معه مرَّةً أخري.

ميامر مار إسحق - الكتاب السادس - الميمر الثالث - المئة الثانية - صفحة ٦٧٦

🕮 **[٢]** ليس لأننا قد أخطأنا {الخطية الفعلية} صرنا مائتين، ولكن لأننا مائتون نحن نَميل إلى الخطية. وقوة الحرية هي التي تفصل بين الحالَيْن. فإمَّا أن تعمل للحياة، أو أن تقود للموت.

ميامر مار إسحق - الكتاب السادس - الميمر الثالث - المئة الثالثة - صفحة ٦٧٧

🕮 **[١٦]** ذبيحة المصالَحة هي التواضع، المُقدَّم لله من قلبٍ أحسَّ بالموت، بسبب تذكُّر الخطايا، التي تَجعل الإنسان مذنباً أمام ذاك الذي هو حياة الناس، سواء لأخطاء الماضي، أو لتلك التي ما زلنا نفعلها، وتَجعلنا ضعفاء، وخائرين كل أيامنا.

🕮 مثل هذا الإنسان يوقظ قلبه، ويُقلع عن خطاياه، وبتذكُّره لِمراحِم الله، لا يتوقَّف عن التوجُّه نحو التوبة. والله يرضي بِمثل هذه الصلاة، أكثَر من كل الذبائح والتقدمات.

ميامر مار إسحق - الكتاب السادس - الميمر الثالث - المئة الثالثة - صفحة ٦٧٩



📖 **[٣٨]** ليس شيءٌ مَحبوباً لدى الله، وليست طلبة تُستجاب سريعاً، مثل طلب الصفح عن الخطايا، والحصول على القوة والمعونة للإقلاع عنها. مثل هذه الطلبة تعفي بسهولة من الوقوع تحت الدينونة، حتى ولو كانت بِخصوص خطايا ثقيلة. فذاك الذي يَهتم بتقويمنا يُرحِّب، بلا أدنَى شكٍّ، بِمثل تلك الطلبة.

📖 أمَّا إذا كان مَنْ يطلب الغفران لا يُضيف طلب تقويمه، فطلبة مثل هذا لا تَجد قبولاً، ولا تعفي من الدينونة. فحتى لو كان يُكثِر الصلوات، فهي لا تُستجاب لكيلا تقود الآخرين إلى التمثُّل به.

ميامر مار اسحق - الكتاب السادس - الميمر الثالث - المئة الرابعة - صفحة ٧٠٤



📖

📖 **وقال مار إسحق:**

📖 بالحقيقة إن "المعمودية، والإيمان" هما أساس كل خير، فيهما دُعيت ليسوع المسيح لأعمال صالحة. بالإيمان: يُدرك العقل الأسرار الخفية، كما يدرك البصر المحسوسات.

📖 المعمودية هي: الولادة الأولي من الله. والتوبة هي: الولادة الثانية.

📖 كذلك الآمر الذي نلنا عربونه بالإيمان، بالتوبة نأخذ موهبته.

📖 التوبة هي باب الرحمة المفتوح للذين يريدونه. وبغير هذا الباب لا يدخل أحد إلى الحياة، لآن الكل أخطأوا كما قال الرسول: وبالنعمة نتبرر مجاناً.

📖 فالتوبة إذن هي: النعمة الثانية، وهي: تتولد في القلب من الإيمان، والمخافة. بر المسيح يعتقنا من بر العدالة، وبالإيمان باسمه نخلص بالنعمة مجاناً بالتوبة.

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٧٢



📖 **سئل مرة مار إسحق:** "ما هي التوبة؟".

📖 **فقال:** "قلب منسحق".

📖 التوبة هي: أم الحياة، تفتح لنا بابها بواسطة الفرار من الكل، نعمة

المعمودية التي ضيعناها بانحلال سيرتنا، تجددها فينا المعمودية بواسطة إفراز العقل، من الماء والروح لبسنا المسيح ولم نحس بمجده، وبالتوبة ندخل النعيم، وبنعمة الإفراز التي لنا نتطهر.

🕮 العادم من التوبة خائب من النعيم المزمع أن يكون، القريب من الكل بعيد عن التعزية، أما المبتعد عن الكل بإفرازه، فهو تائب بحق. توبة مع أحاديث تشبه خابية مثقوبة.

🕮 مبدأ التوبة هو: "الاتضاع الذي بلا زي مشوش".

🕮 التوبة هي: "لباس الثياب الحسنة الضوئية".

🕮 التوبة كثيرون بعيدون ويتظاهرون بها، وليس من يقتنيها بتحقيق ألا المحزون، وكثيرون يسرعون نحو الحزن، فلا يجده على الحقيقة إلا الذي قد اقتني الصمت على الدوام.

🕮 كل من هو كثير الكلام، ويخبر بأمور عجيبة، أعلم أنه فارغ من الداخل، الحزن الجواني هو لجام الحواس.

🕮 من زل وأخطأ، وعرف سبب مرضه، فأنه بسهولة يشفي بالتوبة.

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٧٢

🕮 **قال ما إسحق:**

🕮 "اذكر عظم خطايا القدماء الذين سقطوا ثم تابوا، ومقدار الشرف والكرامة اللذين نالوها من التوبة بعد ذلك، لكيما تتعزي في توبتك".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٧٩

🕮 اطلبوا الرب أيها المعاقبون، وتشددوا بالرجاء.

🕮 التمسوا وجهه بالتوبة، وتقدسوا بقداسة وجهه، وتطهروا من خطاياكم. أسرعوا إلى الرب يا أيها الذين تحت طائلة الخطيئة، لأنه قادر أن يغفر الخطايا، ويصفح عن الزلات. لقد قال بواسطة النبي: "قل لهم حي أنا يقول السيد الرب، ليست مرضاتي بموت المنافق، لكن بتوبة المنافق عن طريقه فيحيا" (حز ١١:٣٣).

🕮 وأيضاً: "بسطت يدي النهار كله نحو شعب عاص، يسلكون طريقاً

غير صالح، وراء أفكارهم" (إش ٦٥:٢).

📖 و: "توبوا إلي، أتب عليكم قال رب الجنود" (ملا ٣: ٧).

📖 و: "إذا ارتد البار عن بره وصنع الإثم، فإنه يموت به. وإذا تاب المنافق عن نفاقه، وأجرى الحكم، والعدل، فإنه يحيا بهما" (حز ٣٣: ١٨ ـ ١٩). لماذا؟ لأن الخاطئ لن يبقى في خطيئته إذا تاب ورجع إلى الرب. والبار لن ينقذه بره إذا خطئ وبقي مصراً على خطيئته.

📖 لقد قال الله لأرميا: "خذ لك درج كتاب، واكتب فيه كل الكلام الذي كلمتك به على إسرائيل، وعلى يهوذا، من أيام يوشيا إلى هذا اليوم، لعل آل يهوذا يسمعون بجميع الشر الذي فكرت أن أصنعه. فيرجعوا كل واحد عن طريقه الشرير فأعفو عن إثمهم وخطيئتهم" (أر ٣٦:٢ ـ ٣).

📖 وفي كتاب الأمثال يقول "من كتم معاصيه لم ينجح، ومن اعترف بها وأقلع عنها يُرحم" (أم ٢٨: ١٣). وبلسان إشعياء يقول: "التمسوا الرب ما دام يوجد، ادعوه ما دام قريباً. ليترك المنافق طريقه، والأثيم أفكاره، وليتب إلى الرب فيرحمه، وإلى الهنا فإنه يكثر العفو. فإن أفكاري ليست كأفكاركم، وطرقي ليست كطرقكم" (أم ٥٥: ٦).

📖 و: "أميلوا مسامعكم وهلموا إلي، اسمعوا فتحيا نفوسكم" (إش٥٥: ٣). و: "إن شئتم وسمعتم تأكلون طيبات الأرض" (إش ١: ١٩).

📖 فمتى حفظت طرق الرب، وعملت مشيئاته، عندئذ ضع رجاءك عليه وادعه، لأنك عندما تصرخ إليه سيجيبك: ها إني حاضر قربك.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الخامسة ـ صفحة ٣٧

📖 تذكر الزلات القاسية التي سقط فيها كثيرون قديماً، واستحقوا سمو الكرامة بعدما تابوا، تكتسب شجاعة في توبتك.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثلاثون ـ صفحة ١١٥

📖 تأمل خطيئتك بعمق، تجد هناك مصاعد تستطيع الارتقاء بها (الابن الشاطر عندما فكر بذنبه بعمق، وجد مصاعد التوبة، وعاد إلى أبيه. المترجم).

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثلاثون ـ صفحة ١١٦

📖 حفظ الحواس يقلع الخطايا.

📖 وحفظ القلب {بالصلاة، والعمل الداخلي} يقطع الآلام التي تلد الخطايا.

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٩٢

📖 **قال مار إسحق:**

📖 أعمال التوبة، والصلوات، والدموع باتضاع، وكسر القلب، لا تغلب الآلام من النفس فقط، بل ومن الموت تقيمها.

📖 الويل لمن له وقت واستطاعة، ويساعده جسده، ويتهاون بأعمال التوبة، لأنه يبكي وينتخب عندما ينتبه، ويطلب زمان الراحة فلا يجد.

📖 سماء وماء التوبة، هما: "الضوائق، والمحقرات، والتجارب".

📖 وموتها: "حب الأرباح، والكرامة، والراحة".

📖 لأنه من الضوائق {المحيطة بعمل الجهاد}، تتولد الراحة الداخلية.

📖 ومن الحزن، والكآبة {المحيطة بعمل التوبة} الذين من اجل الله، يتولد الفرح، وعزاء النفس. وبإيجاز فإن السلامة التي لم تتولد من هذه الأعمال هي ضلالة.

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٩٥

📖 **قال مار إسحق:**

📖 في الوقت الذي تكون مغلوباً، مقهوراً. وفي كلل، وكسل، وقد قيدك عدوك بسماجة فعل الخطية. أذكر الأوقات القديمة التي فيها تنشطت، وكيف كنت مهتماً حتى بصغائر الأمور، وكيف كنت تتحرك بالغيرة على الذين يعوقون مصيرك. وتنهد على أقل شيء فاتك في عمل

الفضيلة. وكذلك اذكر كيف كنت تحظي بإكليل الغلبة على الأعداء.

بمثل هذه التذكارات تتيقظ نفسك كمثل من هو في نوم عميق، وتلبس حرارة الغيرة. وكمثل من في الموت تقوم النفس من سقطتها، وتصلب ذاتها. حتى تعود إلى طقسها الأول بالجهاد الحار، قبالة الشيطان، والخطية.

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٩٨ - ٢٩٩



وكما إن الكمال لا نهاية له، وحتى القداسة، فهكذا "التوبة". إنها لا تنحصر في الأزمنة {في زمن معين}، والأعمال {أو في عمل معين}، إنما في الموت {بانتهاء الحياة}.

وتذكر إن كل لذة {تفعلها} يعقبها اشمئزاز أولاً {ففي البداية تكون كارهاً لها، رغم سقوطك فيها}. ثم تمرمر {ولكن إذا استمريت فيها، تُسلب منك قوتك، وتصير لها عبداً، فتفعل إرادة سيدك بدون إرادته}.

كتاب نسكيات مار اسحق – المقالة الخامسة والخمسون - صفحة ١٩٨



إن ابن الله احتمل الصليب، فلنتشجع بالتوبة نحن الخطأة.

وإذا كانت التوبة الشكلية، قد حولت غضب الله عن الملك آخاب، فكم بالأحرى تستعطفه توبتنا الحقيقية؟ وإذا كان قد حوّل غضبه عمّن لم يكن صادقاً في تواضعه، أفلا يحول غضبه عنا نحن الحزانى بالحقيقة على زلاتنا؟

كتاب نسكيات مار اسحق – المقالة التاسعة والخمسون - صفحة ٢١٦

قد يصاب الإنسان في ساحة الأعداء أثناء المعركة، لكنه يموت زمن السلام. وقد يخرج إنسان من البرية إلى العالم، لشراء بعض الحاجات، فيصاب بشوكة في نفسه. لا تحزن إذا ارتكبت زلة ما، بل أحزن إذا بقيت في زلتك. فالزلة كثيراً ما تحدث حتى للكاملين، لكن البقاء فيها هو موت تام.

إن حزننا على زلاتنا هو بمثابة عمل طاهر معطى من النعمة. أما

الذي يرتكب الزلة نفسها ثانية على أمل التوبة، فهو سائر مع الله بغش، ويهبط عليه الموت فجأة، فلا يستطيع إتمام عمل الفضيلة، ولا يبلغ بالتالي زمن رجائه. المتراخي في الحواس يحطم قلبه أيضاً.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ الستون ـ صفحة ٢١٩

{٢}

القديس يوحنا السلمي

📖 لا يعتذر عن أحد بثقل خطاياه وكثرتها مدعيا أنه غير مستحق للاسكيم ألرهباني، وهو لأجل تمتعه بأهوائه بظن انه يتواضع في حين انه يتعلل بعلل الخطايا، لأنه حيث يكثر التقيح تشتد الحاجة إلى التداوي في سبيل استخراج الفتن، أما الأصحاء فلا يذهبون إلى الطبيب

📖 التوبة تجديد للمعمودية. التوبة عهد مع الله لبدء حياة أخري. التائب هومن يبتاع التواضع ـ التوبة هي التخلي الدائم عن التعزيات الجسدانية ـ التوبة هي الحكم على الذات، والاهتمام بالنفس دون الارتباك بأي شيء آخر. التوبة ابنة للرجاء وجحود لليأس.

📖 التائب مجرم غير مرذول.

📖 التوبة مصالحة مع الرب بعمل الصالحات المضادة للزلات السابقة.

📖 التوبة تطهير للوجدان. التوبة صبر على كافة المكدرات.

📖 التائب هومن يبتدع العقوبات لذاته.

📖 التوبة تضييق شديد على المعدة وتقريع حاد للنفس.

📖 لا تعجبن إذا سقطت كل يوم ولا تول هاربا بل قف بشجاعة فيجل صبرك الملاك الذي يحفظك، ما دام الجرح حارا طريا فهو سهل الشفاء، ولكن الجراحات القديمة المهملة والمتقيحة يصعب شفاؤها،

لأن علاجها يتطلب تعبا كثيرا وبترا وتجفيفا وكيا، أما الجراحات القديمة جدا فلا يمكن شفاؤها، وغير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله. تقول لنا الشياطين قبل السقطة أن الله محب للبشر. وتقول بعدها انه صارم لا يشفق.

📖 لا تصدق من يقول لك بعد زلة كبيرة إلا تمتنع عن الزلات الصغيرة بحجة أنها ليست بشيء بإزاء تلك، فكثيرا ما كفت غضب القاضي الشديد هدايا صغيرة.

📖 ان علامة الانكباب على التوبة هي اعتبار أنفسنا مستوجبين لجميع الأحزان العارضة لنا، المنظورة منها وغير المنظورة، ولأكثر منها أيضاً. ان موسى رجع إلى مصر {أعنى إلى الظلام} وإلى صنع لبن فرعون العقلي، وذلك بعد مشاهدته الله في العوسجة، لكنه عاد فصعد إلى العوسجة أيضاً بل إلى الجبل، فمن فقه هذا لن ييأس من ذاته يوما، لقد افتقر أيوب الصديق ولكنه عاد فاستغني مضاعفا.

📖 ان السقطات الحاصلة بعد الدعوة الرهبانية ثقيلة على الرهبان المتوانين لأنها تنتزع منهم رجاء البلوغ إلى اللاهوى وتحملهم على أن يحتسبوا مجرد نهوضهم من حفرة خطاياهم حظا مغبوطا.

📖 مهما عظمت سيرتنا وممارساتنا الرهبانية فان لم نمتلك قلبا متوجعا تحسب اعمالنا فاسدة زائفة، لأنه لا بد قطعا للذين تدنسوا بعد حميم المعمودية ان يتطهروا ويزيلوا الزفت عن ايديهم، إذا جاز القول، بنار توبة قلبية متواصلة وبزيت الله.

📖 لا شيء يعيق التائبين كاضطراب الغضب لأن التوبة تحتاج إلى تواضع جزيل بينما الغضب دلالة على الغرور.

📖 ليتشجع الذين استعبدتهم أهواؤهم، لأنهم وان كانوا قد سقطوا في كافة الحفرات، واقتنصوا بسائر الفخاخ، وأنسقموا بكل الأمراض، فسيصيرون بعد تعافيهم مصابيح منيرة، ومرشدين وأطباء للجميع،

يكشفون لهم أعراض كل مرض، وينقذون بفضل تجربتهم من أشرف على السقوط.

📖 إذا جلت الغيوم عن السماء سطعت الشمس، وإذا تحررت النفس من النقائص، واستحقت الغفران، أبصرت نور الله.

📖 رأيت أناسا سقماء نفسا وجسدا قد اعتمدوا، تكفيرا عن سقطاتهم الكثيرة، ممارسة أتعاب نسكية تتجاوز مقدرتهم، ولا يطيقون متابعتها، فقلت لهم: إن التوبة تقاس عند الله بمدى اتضاعها، لا بكمية أتعابها.

📖 إن بعض الشياطين الأنجاس، يفوقون غيرهم خبثا، فيشيرون علينا بالا نعمل الخطيئة وحدنا، بل يحملوننا على أن يكون لنا شركاء في عمل الشر، ليجعلوا عقابنا أمر، واشد، فاني شاهدت إنسانا علم غيره عادة خبيثة، ثم عاد إلى نفسه وبدا يتوب، وكف عن خطيئته، ولكن توبته بقيت غير فاعلة، وذلك بتأثير رفيقه الذي تعلم منه.

📖 إذا عرض للذين قاربوا الكمال، الانغلاب للشياطين في زلة خفيفة، فليحتالوا بكل حيلة ليقلعوا عن تلك الزلة، ويكفروا عنها إلى مائة ضعف، كما تختلف مساكن المواطنين، عن مساكن السجناء المجرمين، كذلك ينبغي أن تختلف عيشة التائبين الباكين، على آثامهم، اختلافا كليا، عن عيشة الذين لم يأثموا.

{٣}

الأنبا إشعياء الإسقيطي

📖 راجع نفسك في كل يوم في أي شيء أخطأت، فإذا صليت من أجل خطاياك يغفرها لك الله. إن قوة الإنسان هي في الجهاد والصلاة من أجل خطاياه السالفة لكي يغفرها له الله تماماً، ولكيلا يعود إلى

موافقتها سواء بقلبه أو بأعماله أو بحواسه.

🕮 إن النفس تشبه مدينة إذا دخلها عدو الملك يأخذ وجهاؤها الخوف فيستسلمون له، فيسرع العدو للوقت مدفوعاً بخبثه ويحطم تماثيل الملك ويبطل شرائعه، ويفوض بدلاً منها شرائع أخري قاسية وينصب تمثاله الخاص، ويجبر في النهاية جميع الشعب أن يسجدوا له. أما إذا بادر سكان تلك المدينة، وأرسلوا سراً للملك الشرعي قائلين: "أسرع إلى معونتنا" فإنه يأتي حالاً مع جيشه وهو ممتلئ غضباً {على عدوه}،

🕮 وبسماعهم خبر مجيئه يفتح له رجال المدينة بفرح فيدخل ويهلك عدوه ويحطم التمثال الذي أقامه بالقوة ويبطل شرائعه.

🕮 فتبتهج المدينة ويُعيد الملك الشرعي تمثاله الحقيقي ونواميسه، ويسكن في المدينة ويحصنها كيلا يستطيع أحد بعد أن يستولي عليها، ويعلم سكانِها القتال لكي يكونوا بلا خوف قبالة جميع الأعداء.

🕮 هكذا حال النفس بعد المعمودية المقدسة عاد العدو وتسلط عليها من جديد، وأذلها بسائر أساليبه المخزية، وقَلبَ صورة الملك وأبطل نواميسه، ودفعها للانشغال بِهذا الدهر، وأقنعها أن تسلك بنفاق وبلا مبالاة، وعمل بِها كما أراد، لكن صلاح الملك العظيم القدوس يسوع أرسل إليها أخيراً التوبة فابتهجت النفس، والتوبة فتحت للمسيح الملك العظيم، فدخل وأهلك عدوه وحطم تمثاله ونواميسه النجسة.

🕮 وإذ أعاد إليها الحرية أقام بِها صورته المقدسة وأعطاها نواميسه الحقيقية وعلم جميع حواسها فنون القتال، ومنذ ذلك الحين جعل راحته في هذه النفس لأنَها صارت ملكاً له، وهذا يحدث لها بنعمة الله. جاهدوا ان تقوَّموا نفوسكم، طالبين الله من قلب حزين بالدموع والأتعاب، لكي يغفر لكم، ويحفظكم من معاودة السقوط في نفس الخطايا.

📖 فالإنسان إذا سقط مرة يصير تحت التوبة، ولا يكون في مأمن طالما لم يعرف إذا كان قد وُهب الغفران، فالخطية قد ارتكبت بالفعل أما الرحمة فهي من اختصاص اللـه وحده، لذلك فقلبك لا يقدر ان يصرف عنه الاهتمام، إلى عندما نقف أمام منبر اللـه، إذا أردت ان تعرف ان كانت خطاياك قد غفرت لك فهذه هي العلامة:

📖 إذا لم يثر في قلبك شيء مما أخطأت فيه، أ وإذا كلمك إنسان عنها ولم تعد تعرفها بعد، تكون قد نلت الرحمة فعلاً، أما إذا كانت مازالت تحيا فيك، أردعها وأبكِ عليها، فالخوف والرعدة والرعب، هو إلا تَهتم من أجلها قبل ان تتراءى أمام منبر اللـه.

📖 **وقال أيضاً:** ان عمل إنسان معجزات عظيمة وأشفيه، وان كان له كل العلم، وان أقام الموتى، ثم سقط في خطية، فمنذ ذلك الوقت لا يستطيع ان يكون بلا هم لأنه تحت التوبة، وان كان يمارس أعمالاً عظيمة {للتوبة}، ثم يحتقر شخصاً آخر رآه يرتكب خطية ما أو إهمالاً، فكل توبته تصير باطلة، ذلك لأنه ازدرى بأحد أعضاء المسيح، فحكم عليه ولم يترك الحكم للديان الذي هو اللـه.

📖 ويحٌ للنفس التي تريد أن تَهزم جميع الخطايا لأنها ستواجه ضيقات كثيرة من الذين يبغضونَها ويتقدمون لملاقاتَها، ولهذا فهي في حاجة إلى شكر كثير، ولعمل النعمة في كل شيء.

📖 ينبغي أن يحفظ نفسه بمعرفة من كل ما يلد الخطايا، فتضعف هي من ذاتِها. فالذي يجاهد يراها ويدرك مرارتِها، أما من كان متهاوناً فيعد لنفسه العقوبة.

📖 **سُئل أنبا إشعياء:** ما هي التوبة؟ أوما الهروب من الخطية؟

📖 **فأجاب:** توجد طريقان، طريق للحياة وأخرى للموت، والذي يسير في إحدى الطريقتين لا يسير في الأخرى، أما الذي يسير في كلا

الطريقين معاً، فلا يحسب انه سار في إحداهما، لا من أجل الملكوت ولا من أجل العقاب، وإذا مات مثل هذا الإنسان فالحكم عليه يختص بالله، الذي عنده الرحمة أيضاً.

🕮 فالذي يريد أن يدخل الملكوت، ينبغي عليه ان يلاحظ الأعمال لان الملكوت هو إبطال كل خطية، الأعداء يزرعون ولكن أفكارهم لا تنبت، لأنه إذا بلغ الروح تأمل حلاوة اللاهوت، لا تنفذ إليه سهامهم فيما بعد، إذ قد تسربل بأسلحة الفضائل التي تحفظه وتَهتم به ولا تدعه يضطرب، بل تشغله بالتأمل في سبيل المعرفة، والتمييز بين الطريقين للابتعاد عن الواحدة، ومحبة الطريق الأخرى.

🕮 وبالتالي إذا عرف الإنسان مجد الله، يعرف مرارة العدو. فإذا عرف أحد الملكوت يعرف جهنم، وإذا عرف المحبة يعرف ما هي البغضة، وإذا عرف ما هو الاشتياق إلى الله، يعرف البغضة للعالم، وإذا عرف ما هي الطهارة يعرف كذلك نتانة النجاسة، وإذا عرف أحد ثمر الفضائل، يعرف كذلك ما هي ثمار الرذيلة، لإنك ما لم تَهرب منهم {الشياطين} لن تعرف مرارتَهم.

🕮 كيف تدرك اضطراب الغضب إذا لم تقتن عذوبة الوداعة؟ كيف تتحقق من قبح الكبرياء، إذا لم تقتن حلاوة الاتضاع؟ وكيف تعرف نتانة الزنا، إذا لم تعرف جمال الطهارة الفائقة النقاء؟

🕮 كيف تعرف عيب المثابة، ان لم تعرف سيئاتك؟ وكيف تعرف نقائص الضحك والمزاح، إذا لم تختبر البكاء على خطاياك؟ وكيف يُعرف اضطراب الضجر وقلقه، إذا لم تُخضع الحواس وتعرف نور الله؟



📖 فلنفحص ذواتنا يا إخوة، هل لبسنا المسيح أم لا؟ المسيح يُعرف في القداسة، لأنه قدوس ويستريح في القديسين، فكيف يصير الإنسان طاهراً سوى بالا يعود إلى اقتراف الشر الذي كان يعمله؟

📖 لان هذا هو صلاح الله، انه في اللحظة التي يتحول فيها الإنسان عن خطاياه، يقبله الله بفرح دون ان يحسب عليه خطاياه القديمة، كما كُتب في الإنجيل من أجل الابن الأصغر الذي بذر ميراثه في عيشة مسرفة، وانتهى به الحال إلى رعاية الخنازير، حيث كان يشتهي ان يشبع من طعامها، ثم لما تاب أدرك مما فعله ان الإنسان لا يشبع من خطاياه، بل انه كلما تمادى في فعلها، كلما ألتهب بداخله بالأكثر، فلما قرعت التوبة داخله لم يترك يوماً يطوي آخر، لكنه عاد إلى أبيه بإتضاع، تاركاً عنه كل مشيئاته الجسدية.

📖 ولكي يحثنا الرب على الرجوع إليه، يشجعنا قائلاً: "كان في مدينة قاض لا يخاف الله ولا يهاب إنسانا، وكان في تلك المدينة أرملة، وكانت تأتي إليه قائلة أنصفني من خصمي، وكان لا يشاء إلى زمان ... ولكن لما حان الوقت، لم يتأخر بل صنع لها حالاً ما أرادت.

📖 قال الرب ذلك لكيلا تصاب النفس بالضجر، أو تقول متى سيسمعني الله؟ لأنه يعرف متى يصير طالبوه مستحقين ان ينصفهم، وحينئذ يستجيب سريعاً، فلنثبت إذاً بكل قلوبنا ولا نمل في صلواتنا، وهو يستجيب لنا سريعاً، لأنه هو نفسه قال: "اسألوا تعطوا اطلبوا تجدوا اقرعوا يُفتح لكم".

📖 إن الرب يسوع رحيم، لذلك يمنح الراحة لكل واحد قدر جهاده، العظيم على قدر عظمته، والصغير على قدر صغره، بحسب القول: "في بيت أبي منازل كثيرة" لأنه ان كان لا يوجد غير ملكوت واحد، إلا ان كل واحد فيه مكانه ورتبته، فلنجاهد إذاً مقابل كسلنا يا إخوتي، ولننفض عنا أكفان الظلمة أي الغفلة والنسيان، فنعاين نور التوبة،

فلنقتن في أنفسنا مرثا ومريم، أي الإماتة والنوح، وهما اللتان بكتا أمام المخلص لكي يقيم لعازر، أي النفس {العقل} المربوطة مضاعفة بأربطة المشيئات الخاصة.

📖 فلنجاهد يا إخوتي كاستطاعتنا، والرب يساعدنا ككثرة رحمته، فإذا لم نحفظ قلوبنا على مثال ما عمل آباؤنا، فعلى الأقل لنعمل قدر قوتنا، لنحفظ أجسادنا بغير خطية كمشيئة الله، واثقين انه في زمان الضيقة الآتية سيتحنن الله علينا كما تحنن على قديسيه، لان مجد الشمس شيء ومجد القمر آخر، ونجماً يمتاز عن نجم، وجميعها مع ذلك في السماء المقدسة عينها ومجدها وكرامتها تخصه.

📖 إن قال أحد: "أنا أبكي على خطاياي" وهو يعمل إحداها فهو جاهل.
📖 وإذا قال: "أنا أبكي على خطاياي" ويبقي واحدة منها فهو يخدع نفسه. فانظر كيف أعطى الإنسان أن يتحول بواسطة التوبة، ويصير بواسطتها جديداً بكليته، فالطفل الصغير مادام في حضن أمه فهي تحفظه في كل حين من كل شر، وعندما يبكي تعطيه ثدييها وقليلاً قليلاً تبدأ تضربه على قدر ما يحتمل، ذلك لكي تجعله يخاف فيطلب حاجته من اللبن بخشية، وحتى لا يجنح بقلبه إلى التمرد ولكنه حين يبكي تتحنن عليه لأنه مولود من أحشائها، فهي تسليه وتحتضنه وتداعبه إلى أن يعود ليرضع من الثدي.

📖 إذا عُرض على الرضيع ذهب، أو فضة، أو حجارة كريمة، أو كل أشياء هذا العالم فهو ينظر إليها، ولكنه عندما يكون في حضن أمه يرذل كل شيء لكي يأخذ ثدي أمه، والده لا يوبخه من أجل أنه لا يعمل أو لأنه لا يذهب للحرب ضد أعدائه، ذلك لأنه صغير ولا يستطيع ذلك، فهو وإن كان له قدمان، لكنه لا يستطيع أن يقف عليهما، وله يدان ولكنه لا يقدر أن يمسك بِهما السلاح.

📖 وأمه تعامله بملاطفة إلى أن يكبر قليلاً قليلاً، وإذا كبر قليلاً وأراد أن يتصارع مع آخر فأوقعه ذلك على الأرض لا يغضب عليه أبوه لأنه يعرف أنه طفل صغير.

📖 وعندما يكبر ويصير رجلاً حينئذٍ تظهر غيرته، فإذا صار معادياً لأعداء أبيه ائتمنه أبوه على جميع خيراته لكونه ابنه، أما إذا صار فاسداً بعد كل الأتعاب التي احتملها والده من أجله، وأبغض والديه وكذب على بني جنسه، واتحد مع أعدائه، فإنَهم يحرمونه من عطفهم ويطردونه من بينهم لكي يجردونه من الميراث.

أما نحن أيها الأخ، فلنهتم بنفوسنا لكي نرتاح في حضن التوبة، ونغتذي باللبن من ثديها المقدسة لكي تُنمينا، ولنغض الطرف عن كل ما يرى حتى يكون مذاق لبنها حلواً في أفواهنا، ولنحمل نير تعليمها لكي تَهتم بنا، وإذا كنا نحارب مقابل أعدائنا ويغلبونا لكوننا ما زلنا صغاراً، فلنلجأ إليها باكين لكي تطلب لأبينا لينتقم لنا من الذين يضايقوننا.

📖 فلنقطع عنا كل مشيئات قلوبنا ونحب حياة الغربة لكي تخلصنا كإبراهيم، ولنخضع تحت يدي التوبة مثل يعقوب لكي ننال بركة أبينا، ولنبغض أهوائنا كما فعل موسى فحفظته تحت حمايتها وأقامته مقابل الذين أرادوا أن يقتلوه كرجل تحرر من كل شهوة.

📖 ولا نحتقرها لئلا تبغضنا مثل عيسو، ولنحفظ طهارتِها لكي ترفعنا في أرض أعدائنا مثل يوسف، ولتكن لنا ملجأً حصيناً كما كانت ليشوع ابن نون الذي كان غلاماً لا يبرح من داخل الخيمة، ولا نعطي موضعاً للضجر في قلوبنا لئلا تحرمنا من ميراث أرض الموعد.

📖 ولنحب الاتضاع في كل شيء ونجتهد لكي ندخل الأرض التي

تفيض لبناً وعسلاً مثل كالب لا نشته شيئاً يؤول بنا إلى الهلاك لئلا نَهلك مثل عاخان، فلنحب ضميرها ليبكتنا كل حين لكي تخلصنا ساعة الضيقة مثل راحاب، ولا نحب الشراهة في أي مأكول لئلا تُهلكنا مثل أولاد عالي، ولنحفظ أنفسنا من كل إثم مثل صموئيل الذي لم يبكته ضميره قط على أي إساءة نحوقريبه.

📖 لا نحب الحسد الرديء تجاه الآخرين لئلا ترفضنا مثل شاول، ولا نرد الإساءة للقريب لكي تحفظنا من الشرير مثل داود، ولا نحب التفاخر والمجد الباطل لئلا تقصينا عن وجه أبينا مثل أبشالوم، بل نحب الاتضاع والاعتدال لكي تجعل منا منتقمين لأبينا من أعدائه مثل سليمان، ونحب إنكار الذات في كل شيء، وإماتة أعضاءنا عن كل الأعمال الميتة، لكي تمنحنا قلباً صاحياً مقابل أعدائنا، مثل إيليا التسبيتي، ولا نكن محبين للشهوة والشهوانيين كيلا تُهلكنا مثل آخاب.

📖 ولنجاهد حتى الموت لكيلا نفقد ميراثها المقدس مثل نابوت.

📖 اليزرعيلي، فلنكن خاضعين لآبائنا في الرب في كل شيء، ولنقطع عنا كل مشيئة خاصة لكي نثبت في طاعتهم، فتحل بركتهم علينا مثل إليشع. ولا نكن طماعين أو مخادعين من أجل مرضاة الناس، لئلا تأتي علينا لعنتها مثل جحزي، ولنحب {إخوتنا} الأصفياء أكثر من نفوسنا لكي تباركنا مثل الشونمية.

📖 لا يكن لنا ولع رديء بالأمور المخزية، لئلا تبيدنا من أمامها مثل أخيا وصدقيا اللذين أحرق عيونَهما ملك بابل، ولنبغض الخطية حتى الموت من أجل نفوسنا لكي تأتي إلى معونتنا عند الحاجة مثل سوسنة.

📖 لا نكن مشتهين أطعمة متنوعة، لئلا تتخلى عنا مثل الذين كانوا يأكلون على مائدة نبوخذ نصر، ولنحب الإماتة في كل شيء لكي

تفرح بنا كما فرحت برفقاء عزاريا، ولا نكن منافقين مثل العابدين الذين اشتكوا على الأتقياء، لنكمل عبادتنا مثل دانيال، ولا نستسلم لكسل الجسد، لأن ذاك فضَّل أن يموت عن أن يبطل صلواته التي كان يقدمها كل يوم.

🕮 لأن اللـه قادر أن يخلص محبيه من ضيقاتِهم ويهلك الأشرار، لأن إيمان البار باللـه يجعل الحيوانات الضارية مثل حملان القطيع، مبارك إله التوبة، ومبارك كل من يحبها ويحني عنقه لنير مشيئتها إلى أن يولد جديداً من فوق بمشيئة اللـه.

🕮 الإنسان في حاجة يا أخي لتمييز عظيم ليقطع عنه كل مشيئة جسدية، وسهر يقظ في جميع طرقه لئلا يضل ويسقط في أيدي أعداء التوبة، فكثيرون حقاً هم أولئك الذين يحيطون به يريدون أن يفصلونه عنها، لأن إدَّعاء البر يقتلها، وإدانة الخطاة تطردها، والازدراء بالمتهاونين يحجزها.

فلقد كتب عنها في الأمثال: "كل طرقها مستقيمة، لا تأكل خبزها بالكسل، تعمل لرجلها ثياباً ومعاطف موشاه، هي كسفينة التاجر القادمة من بعيد، تجمع ثراء".

🕮 فلنفهم ما جاء في هذه الأقوال: التاجر الذي أوثق سفينته لم يضع فيها بضاعته فقط، بل وكل ما يعرف أنه سيعود عليه بالربح، وإذا رأى شخصاً تكبد خسارة فهولا يحسده، بل يغار بالأكثر من الذين اغتنوا وركنوا إلى الراحة في بيوتَهم، يرفض كل صفقة خاسرة، ويقبل كل ما هو مربح إلى أن يقتني منه مكسباً، شغله الشاغل أن يشتري مرة أخري من البضاعة التي أقتنى منها ربحاً، ولا يسأل الذين يحسدونه، بل الذين اغتنوا ولجئوا إلى الراحة في بيوتِهم قائلاً: بكَم بعتم هذا؟ وبكم اشتريتموه؟

🕮 تلك هي النفس التي تبتغي ملاقاة اللـه بغير عثرة، فهي لا تكتفي

بعمل واحد، بل تنشغل بكل الأعمال النافعة، أما إذا أدركت أن عملاً ما فيه خسارة فهي تتحاشاه لكيلا يصيبها منه أذية، وأنت يا أخي يا من تدعى تاجراً ليسوع أنتبه، لأن تجارة ذلك الملك بعيدة عن كل الأعمال المخسِّرة.

📖 وهذه هي الأمور التي تسبب الخسارة: تمجيد الناس، الكبرياء، تزكية الذات، الازدراء بالآخرين، الأقوال المثيرة للغضب، محبة الترف، الزهو، محبة اللعب، فجميع هذه الأمور مخسِّرة لتجار يسوع، وليس بمقدورهم أن يرضوه إذا اقتنوها داخلهم.

📖 فجميع هذه الأمور هي مخسِّرة حقاً للنفس، لأنه مكتوب في اللاويين: "وكلم هارون هكذا لا تُقرِّبوا على مذبحي حيواناً صحيحاً به عيب لئلا تموتوا" فهارون رمز العقل، والعدو يخلط شره مع الادعاء بالبر، الأمر الذي من أجله يأمر الله أن يفحص الإنسان ذبيحته أولاً قبل تقديمها لكيلا يموت، والموت هو أن ينحط عن الرؤية الروحية، ويتنازل مع الذين يريدون أن ينجسوا حواسه.

📖 تأمل في قلبك هذا السر: كل جنس على الأرض يتولد باتحاده بآخر من جنسه وليس من جنس غريب، سواء كان من الحيوانات أو الوحوش، أو الزحافات، أو الطيور، ومن أجل هذا أحضر الله كل الأجناس أمام آدم ليرى إن كان يوجد بينها ما يشبهه، فلم يجد، إذ أنَها لم تكن من طبيعته، ثم أخذ الله واحدة من أضلاعه وصنع المرأة، ودعاها امرأة لأنَها أُخذت من رَجلها.

📖 هذا السر عظيم بالنسبة للذين صاروا له عرائس، فقد صاروا من طبيعته بالميلاد الجديد، وأصبحوا منتسبين إلى جسده المقدس كقول الرسول: "نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح وأعضاء بعضاً لبعض كل واحد للآخر" وأيضاً "لأننا أعضاء جسمه من لحمه

وعظامه".

📖 وهكذا ترى أنه يريد أن يكون الإنسان مثله في كل شيء كما كانت حواء من آدم ومشابِهة له في كل شيء، فإن كان فينا إذاً شيء من جهالة الحيوانات، أو شراهة الوحوش الضارية حتى نسلب الواحد الآخر، أو عدم استقرار الطيور، أو سموم الزحافات، فإن نفوسنا لا تستطيع أن تكون له عذارى لأن سلوكهن ليس مثل سلوكه.

📖 أرأيت يا أخي كيف يريد من الإنسان أن يشبهه، وأن يكون سالماً من كل ما هو مخالف للطبيعة، لكي يصير أهلاً أن يكون له عروساً، والنفس تُعرف أفكارها من سلوكها، لأنَها إذا مارست الأعمال يسكن الروح القدس فيها، فالأعمال تلد النفس من جديد في حالة عدم الأوجاع، إذ يستحيل إلا يسكن روح اللـه في تلك النفس، كقول الرب: "إن كنتم تحفظون وصاياي، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم البارقليط روح الحق".

📖 هكذا ترى أن الإنسان إذا لم يقتن سلوك يسوع لا يكون مقبولاً ولا يصير عذراء قدام، فجميع العذارى أعددن مصابيحهن، أما اللواتي لم يكن لهن أعمال فتُركن خارج الباب، والشبكة المطروحة في البحر جمعت سمكاً من كل نوع، لكنه أخذ الجياد فقط وأدخلهم إلى ملكوته، كذلك الزوان ينمو مع الحنطة، لكن عند الحصاد يجمعونه ويطرحونه في النار.

📖 إن الأغصان تتصل بالكرمة، لكن ما لا يأتي منها بثمر، يطرح في النار، كذلك الحملان ترعى مع الجداء، لكنه لا يدخل معه إلا الحملان وحدها، أما الجداء فتطرح خارجاً، الزارع يلقي بذاره، لكنه يفرح فقط بالبذار التي تقع في الأرض الجيدة

📖 لقد أعطى فضته بغير محاباة، لكنه فرح فقط بالذي ردَّها له مضاعفة، إن الجميع قد دُعوا إلى العرس، لكن الذي لم يكن عليه

ثياب العرس طُرح في الظلمة الخارجية، فهذه الأقوال موجهة إلينا، لأننا جميعاً نقول إننا نؤمن، لكن الذين ليست لهم سيرته الإلهية يطرحهم خارجاً حسب المكتوب: "كثيرون يُدعون وقليلون يُنتخبون".

🕮 الويل لنا، لأن الذي تجسد وصار ابن الإنسان من أجلنا وهو مساوٍ لله الآب، ليس له فينا أين يسند رأسه، بينما الثعالب والأرواح الشريرة والخبيثة قد حفروا لهم فينا جحوراً.

🕮 الويل لنا إزاء هذه المراثى المكتوبة لأنه بالرغم من أننا قد أدركنا نَهاية العالم، عوضاً عن التوبة والبكاء على خطايا شبابنا، قد أضفنا عليها في شيخوختنا سيئات أعظم لا تطاق وخطايا لا تحتمل.

🕮 لو لم تكن التوبة ما كان أحد يخلص.

🕮 نأخذ لنا اهتمام يا أحبائي أن نملأ أوانينا زيتاً، ما دمنا في الجسد، لتنير مصابيحنا كي ندخل الملكوت، الإناء هو التوبة، الزيت هو أعمال جميع الفضائل، والمصباح هو النفس الطاهرة، التي هي لابسة النور بواسطة أعمالها تدخل معه الملكوت، والذي من شروره نفسه مظلمة يمضي للظلمة. "هكذا هي نعمة ربنا أنه في ساعة ما يرجع الخاطئ إليه، يقبله بفرح ولا يحسب عليه ذنوبه القديمة".

🕮 **نقول الآن:** أنه ليس في حال ما يترك الإنسان خطاياه ويأتي إلى التوبة يستحق الذكاوة، بل أعمال كثيرة وأتعاب الجسد، وجهادات عظيمة تحصل له أولاً مقابل الآلام، والخطايا والشياطين، وكم من وقت لأجل دوام الحروب التي تكون معه بشيء من الآلام يقع في الضجر، ويبلغ إلى قطع الرجاء.

📖 ٦- إذا اقتني قلبك كراهية طبيعية للخطيئة، عندئذ يكون قد هزم اسباب الخطيئة، وحررت نفسه منها. ضع أمام ذهنك دائما عذابات الجحيم، ولكن اعرف ان معينك قريب منك. لا يستطيع شيء أن يكدره {القلب}، ولكن قل له بدموع: "كن رحيما على يارب وخلصني، لأنه بدون معونتك، لا أستطيع أن أهرب من ايدي اعدائي». كن منتبها لقلبك، وسوف يحرسك من كل الشرور"
كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ ترجمة واعداد ـ الراهب أغاثون الأنطوني ـ صفحة ٢٢

{٤}
القديس مكاريوس الكبير

📖 إذا حصلنا على إحساس دقيق، وأدراك للفرق بين الخير والشر، وصرنا دائماً مميزين الأشياء الغريبة التي اختلطت بالطبيعة النقية بشكل غير طبيعي، فانه يمكننا أن نسلك باستقامة، وبلا عثرة، وباستعمال قوة التمييز هذه كأنها عين، يمكننا أن نحفظ أنفسنا أحرارا من أي ارتباط أو اتحاد، مع إيحاءات الخطية، وهكذا يمكن إن تمنح لنا الموهبة السماوية التي نصير بها أهلاً للرب.

📖 النفس التي تلبس رداء الجسد الحسن ككساء لها، تملك ملكة وقوة التمييز، لتوجيه وقيادة النفس كلها مع الجسد، بينما هي تعبر وسط أدغال وأشواك الحياة، والوحل والنار والمهاوي التي هي الشهوات واللذات وغيرها من أشياء هذا العالم الخاطئة، ينبغي لها ان تتحزم وتصون نفسها ولباسها الذي هو الجسد بحرص وتحفظ من كل ناحية، وبحزم وغيرة وعناية، وتحفظ نفسها من ان تتمزق بأدغال وأشواك العالم - أي الهموم والانشغالات والمعوقات الأرضية ومن ان تحترق بنار الشهوة.

📖 وإذ هي لابسة هكذا، فإنها تحول نظرها عن رؤية المناظر الشريرة، وتحول أذنها عن الإنصات للمذمة، ولسانها عن التكلم بالكلام الباطل، ويديها وقدميها عن المسالك الشريرة. فالنفس لها إرادة، يمكن ان تحول بها وتحجز أعضاء الجسم عن المناظر القبيحة، وعن الأصوات الشريرة المخزية وعن الكلام البذيء وعن المساعي العالمية الشريرة.

📖 وهي تحول نفسها أيضاً عن الخيالات الشريرة، وتحفظ القلب لكيلا يدع أعضاء فكره تتجول في العالم. وهكذا اذ تسعى بجد واجتهاد وبحرص عظيم تضبط أعضاء الجسد من كل جهة عن كل ما هو رديء فإنها تحفظ ذلك الثوب الحسن أي الجسد، غير ممزق، غير محترق، غير ملوث، وهي نفسها تحفظ بواسطة إرادة مبصرة عارفة ومميزة، وكل هذا يتم بقوة الرب.

📖 ولكن ان كان الإنسان يسير في طريقه في هذه الحياة بتراخ وإهمال، وبدون حرص ولا يتحول عن كل شهوة العالم، ولا يطلب الرب - والرب وحده - بكل شوقه، فان أشواك وأدغال العالم تنغرس فيه وثوب الجسد يحترق هنا وهناك بنار الشهوة، ويتلوث بوحل اللذات، وبذلك فان النفس تحرم من الدالة {الثقة} في يوم الدينونة.

📖 فالله يعطي المعونة للإنسان الذي يتحول عن اللذات المادية وعن سيرته السابقة التي تعود عليها ويوجه عقله باجتهاد كل حين نحو الرب، وينكر نفسه ويطلب الرب وحده. هذا هو الإنسان الذي يعتني به الرب ويحفظه تحت عنايته الخاصة ويحرس نفسه من كل جهة، من فخاخ وشباك هذا العالم المادي.

📖 فالحية النحاسية التي بلا حياة قد أبطلت فعل سم الحيات التي فيها حياة. وهذا رمز إلى جسد الرب. فالجسد الذي أخذه من العذراء مريم الدائمة البتولية، قد قدمه على الصليب، وعلقه هناك مثبتاً على

الخشبة، وهذا الجسد المائت على الصليب غلب وقتل الحية التي تعيش وتزحف داخل القلب. فهو أعجوبة عظيمة كيف أن حية ميتة قتلت حية عائشة.

📖 أن الرب محب جداً للإنسان وبرحمته يبقى في انتظار أن نتحول تحولاً كاملاً إليه ونتحرر من كل الأشياء المضادة. وبالرغم من اننا في جهلنا العظيم، وحماقتنا وميلنا إلى الشر، تبتعد عن الحياة ونضع عوائق كثيرة في طريقنا، غير راغبين أن نتوب حقيقة، لكنه هو مع ذلك مملوء بالحب والشفقة علينا، ويطيل أناته إلى أن نتوب ونأتي إليه ونستنير في إنساننا الباطن لكيلا تخزى وجوهنا في يوم الدينونة.

📖 أقول أن كان الإنسان يزدري هكذا بالرحمة ويضيف خطيئة على خطيئة ويجمع كسلاً على كسل ويكوم إثما فوق إثم، فانه يملأ مكيال خطاياه، ويأتي في النهاية إلى إثم عظيم جداً لا يمكنه القيام منه أبداً، بل يتهشم تهشماً ويسلم للشرير للهلاك الأبدي.

📖 فلنسعي إذن بحماس وغيرة أن نأتي إليه بقلب تائب حقاً، غير يائسين من الخلاص لأن اليأس هو نفسه خطيئة وإثم وذلك حينما يتملك علينا تذكر الخطايا السالفة فيقود الإنسان إلى اليأس وقطع الرجاء والى التراخي والإهمال والكسل، لكيلا يعود ويرجع إلى الرب لينال الخلاص، حيث أن إحسان الرب العظيم ولطفه هو ممتد لكل جنس البشر.

📖 **سأل أخ أنبا مقار قائلا:** يا أبي قد وقعت في زلة، فقال له أنبا مقار: "مكتوب يا ابني: "إني لا أشاء موت الخاطئ، بل أن يرجع ويحيا" فأنت يا ابني ارجع لتعاين الصالح ربنا يسوع المسيح، ووجهه المملوء فرحا بك، كمثل مرضعة ووجهها مملوء فرحة بولدها، إذا ما رفع يديه نحوها، فحتى لوكان مليئة بالأقذار، فإنها لا تأنف من

رائحته، ولا من قذارته التي عليه، لكنها تشفق عليه، وتحمله على صدرها بوجه ممتلئ فرحة، وكل شيء له يكون حلوا عندها، فإذا كانت هذه الجبلة تتحنن على ولدها، كم بالحري تكون محبة خالقنا وربنا يسوع المسيح!

📖 **قال أنبا مقار:** كما أن الفخاري الذي يجلس ويعمل الطين، فهو يهتم أولا بتشكيل أو إن مزينة برسوم ملونة حتى تصير لائقة بولائم الملوك، أو حتى لأجل طقوس الكنيسة، وبعد ذلك يعمل أواني أخري وضيعة وحقيرة كالتي تستعمل لإراقة الماء، أوالتي يجلس عليها الأطفال الصغار الذين بلا خبث، وبعد ذلك يضعها جميعا في الفرن، ويشعل النار عليها، حقا أقول لكم إنه كما يترجى نفعا من الآنية الثمينة والمزينة، فإنه يترجى نفعا أيضاً من الآنية الوضيعة الحقيرة، لأنها كلها من صنع يديه.

📖 هكذا ربنا يسوع المسيح، صاحب كنوز الرحمة الوفيرة، الرحوم وحده مع أبيه الصالح، والروح القدس، أنه يسر بالأتقياء، والمزينين قدامه بطهارة الأعمال، والنمو في الفضيلة والزهد، فهو أيضاً يسر برجوع الضعيف، أي الخاطئ، كما هو مكتوب: {لو١٠: ١٥}، وقد يكون فرح في السماء قدام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب إنه

كتاب فضائل أنبا مقار ـ صفحة ٢٧

📖 **قال أنبا مقار:** كما أن النجار يجعل ما هو معوجّ مستقيماً، و{أيضاً} ما كان مستقيماً يجعله منحنياً، هكذا التوبة التي وهبها لنا ربنا يسوع المسيح. فهي تقوِّم ما كان معوجّاً ومنزلقاً في طين الخطية، وتجعله طاهراً كالبتوليين في حضرة ربنا يسوع المسيح. فالإنسان عندما يرجع ويصنع توبة، فبالطهارة يأخذ الثوب الملائكي الذي في السماوات.

كتاب فضائل أنبا مقار ـ صفحة ٣٨

🕮 **قال أنبا أوغريس:** كنتُ جالساً ذات يوم مع بعض الأخوة عند أنبا مقار، وكان يتكلم معنا في معاني الكتب المقدسة.

🕮 فسألتُ الشيخ: ما هو هذا القول الذي في الإنجيل "إن مَن يجدّف على الروح القدس لن يُغفر له في هذا الدهر ولا في الدهر الآتي"؟

🕮 فقال لي الشيخ: هذا واضح. فعندما يحلّ ضعف الخطية بالإنسان، ولم يتقوَّ بالرجاء والإيمان الثابت كما قال ربنا في الإنجيل: «إن كان لكم إيمان مثل حبّة الخردل، لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل، ولا يكون شيء غير ممكن لديكم» {مت١٧: ٢٠}.

🕮 فإن كان إنسان ما يعيش في الخطية منذ حداثته حتى النهاية، ثم يقول في قلبه: إذا عزمتُ على الرجوع إلى الله فهولن يغفر لي، ولن يقبلني. فالحقيقة أنه بهذا {الفكر} قد جدّف على قوة الثالوث المقدس، وأعطى للشيطان مكاناً في قلبه. وخطية مثل هذا الإنسان غير قابلة للغفران ما لم يرجع ويقدم توبة من كل قلبه.

🕮 وهكذا أيضاً إذا كان أحد مريضاً بالجسد، إن كان لا يترجّى المعونة التي من فوق، مثل أيوب ومثل المفلوج، فهو في الواقع يجدّف على قوة الثالوث الأقدس، وقد أعطى مكاناً للشيطان فيه. وخطية مثل هذا غير قابلة للغفران، ودينونته تُلقيه في العذاب الأبدي والظلمة الخارجية، حيث يكون البكاء وصرير الأسنان. إلا أن توبة هؤلاء جميعاً كمن يلقى عنه البصاق، سهلة جداً لدى أحشاء مراحم صاحب كنوز الرأفات ربنا يسوع المسيح.

🕮 ولما قال القديس أنبا مقار هذا: صارت لنا شجاعة عظيمة وفرح روح، كما لوكنّا نرى الملك المسيح قائماً في وسطنا مشجّعاً إيانا.

📖 وبعد هذه الأقوال المملوءة حياة وشفاءً لنفوسنا، التي قالها لنا أنبا مقار الكبير بفم الباركليت الكائن فيه، انطرحنا على وجوهنا عند قدميه المباركتين، فصلّى علينا وانصرفنا من عنده، شاكرين وممجّدين ربنا يسوع المسيح.

كتاب فضائل أنبا مقار ـ صفحة ٥١ ـ ٥٢

الرسالة السادسة للقديس مكاريوس المكتَشَفة حديثًا

التوبة

📖 إنها لَنعمةٌ عظيمةٌ من الله أن يندم الإنسان على خطاياه، لأنه يحدث للنفوس المختلفة أنّ بعض الخطاة يتبكّتون بسرعةٍ بالندم، بينما أنّ آخرين لا يتقدّمون إلى التوبة، ويُظهِرون أنهم أموت لا يستحقون الحياة {أُنظر عب١٢: ١٧}، لأنّ الله «قد سيّج حولهم» {أي٣: ٢٣}.

📖 «فماذا نقول؟ ألعلّ عند الله ظلمًا؟ حاشا!» {رو٩: ١٤}. فإن كان الله يُلقي الندم في قلوب البعض ويُقسِّي آخرين، فلا يُعتبر ذلك ظلمًا من جانبه، لأنّ الله لا ينظر كما ينظر الإنسان، بل ينظر إلى القلوب {١صم١٦: ٧}، ويمتحنها. إنه يعرف مَنْ هم المهيَّأون لعمله، ولمثل هؤلاء يعطي نعمة الندم.

📖 تأمّل ما قيل عن عيسو: «لم يجد للتوبة مكانًا مع أنه طلبها بدموع» {عب١٢: ١٧}. اِعلم أنّ ما طلبه بدموع لم تكن هي التوبة، بل بركات أبيه، وهذا هوما نفهمه من قوله لأبيه: «أَلك بركة واحدة فقط يا أبي» {تك٢٧: ٣٨}؟ ثم أَلم يكن الاثنان اللذان صُلِبا {مع يسوع} لصّين؟ فلماذا استنار الواحد لدرجة أنه تاب، بينما عَمِي الآخر؟

📖 وألم تكن هناك زانيات كثيرات أيام يشوع؟ فلماذا لم تخلص سوى زانية واحدة وهي راحاب؟ تفكّر في ذاك الذي يمتحن القلوب.

📖 انتبه إذًا، إلا تستعلى عندما ترى سقطة أي أحد، بل بالأحرى أن تحترس لئلاّ تسقط أنت بدورك. هل الذي يسقط لا يقوم {إر٨: ٤}؟ أقول لك إنه يجب علينا أن نراعي النفوس بالرغم من كل شيء، ونُظهِر لها برهان الشفقة.

📖 نحن نقرأ عن بطرس أنه: «إذ ابتدأ يغرق صرخ قائلاً: يا رب نجِّني» {مت١٤: ٣٠}. هكذا أيضاً إن كنا نصرخ بمداومةٍ إلى الله فلن يُدركنا أي خطر.

📖 إنه حقًّا جهادٌ عظيمٌ، وأمرٌ رهيبٌ، أن تسهر على النفس، وبالأخص بالنسبة لنا نحن الذين نحفظ السكون، ينبغي أن نحرس الأفكار.

📖 حقًّا إنّ «مصارعتنا هي مع الرؤساء والسلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، وضد أرواح الشر» {أف٦: ١٢}.

📖 حربنا هي ضدّ الجسد والملذّات التي تضطرم فيه، وضدّ الشهوات التي تتولّد في النفس، وضدّ الأباطيل التي تثور فينا، وضدّ الغضب والغشّ، وضدّ كل الأفكار التي تأتي من علل مختلفة.

📖 اثنان كانا يسكنان معًا، فقال أحدهما للآخر:" لنفترق". وفى الوحدة حاربته أفكار ضدّ أخيه بشدّة لدرجة أنه كان يصرخ بصوتٍ مرتفع: إنني لا أكره أخي!

📖 لذلك ينبغي أن نحترس من أفكارنا ونقاومها أولاً بأول.

📖 أما إذا صرنا ضحيّةً للوهم فلا نستسلم لليأس، بل بالعكس، لأنّ هذا الأمر يأتي من الشرير. ولنعلم أنّ مثل هذه الأمور يُسمَح بها لنا حتى نتعرّف على ضعفنا، وأننا بشرٌ.

📖 كما أنّ هذه الأوهام تقابلنا لكي تجعلنا أكثر خبرة.

📖 وهكذا ينبغي أن ننوح لكوننا قد انخدعنا، والا نيأس لأنّ «الرب حنّانٌ ورحيم» {مز١٤٤: ٨}، ويعرف ضعفنا ويتراءف علينا.

📖 إذا كنتَ حين توبّخ أحدًا تستسلم للغضب، فأنت بذلك تُشبِع وجعك الخاص بك، فلا ينبغي أن تُهلِك نفسك لكي تخلِّص آخرين.

📖 أَتريد أمرًا ما؟ إن كنا لا ننجح فلا ينبغي أن نحزن، لأنّ ليس كل ما نريده يكون بالضرورة نافعًا لنا. أقول: إنّ المشيئة هكذا تكمل.

📖 كم مرةً تريد أن تعيش عمرًا طويلاً ولا تبلغ إلى ذلك؟ لأنه ليس نافعًا لك. فلا تقل، إذًا: إنني إذا فعلتُ هذا الأمر سيكون بمقدوري أن أخلص. ولكن اشكر الرب الذي يدبِّر النفوس بمعرفته.

📖 أَتريد أن تعرف ما هي المشيئة التي بلا عيب، والتي بدونها لا يمكن أن نخلص؟ حسنًا! اِعزم أن تكمِّل كل فضيلة: العفة، والاعتدال، والمحبة، والتواضع، والسلام، والوفاق في مخافة الله.

📖 وبعد أن تكون قد بحثتَ عنها اِجعلها تترسّخ فيك، واحفظها جيدًا حتى تحقِّقها، حينئذٍ ستنال الجزاء من الرب.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٣٧٢ - ٣٧٤

📖 ١- في ظل الناموس الذي أُعطي بواسطة موسى، أمر الله بأن كل إنسان ينبغي أن يستريح يوم السبت ولا يعمل شيئاً.

📖 وكان هذا رمزاً وظلاً للسبت الحقيقي الذي يعطيه الرب للنفس.

📖 لأن النفس التي قد منح لها أن تصير حرة من الأفكار المنحطة النجسة، فإنها تحفظ السبب الحقيقي، وتتمتع بالراحة الحقيقية، إذ تكون عاطلة، وفى فراغ فيما يخص أعمال الظلمة.

📖 ففي السبت الرمزي، رغم انهم كانوا يستريحون راحة جسدية، إلا أن نفوسهم كانت مستعبدة للشرور والخطايا. وأما هذا السبت الحقيقي، فهو راحة حقيقية، إذ تكون النفس عاطلة عن غوايات الشيطان، ومطهرة نفسها، وتستريح في الراحة الأبدية وفرح الرب.

📖 ٢- وكما أمر الله {في القديم}، أن الحيوانات غير العاقلة أيضاً ينبغي أن تستريح في البيت، وان الثور لا ينبغي أن يوضع عليه النير، وال

ايحمل الحمار أثقالاً، فانه حتى الحيوانات كانت تستريح من الأعمال الثقيلة. هكذا حينما أتى الرب، وأعطى السبت الحقيقي الأبدي، فقد أعطى راحة للنفس التي كانت مثقلة، ومحملة بأحمال الإثم الثقيلة، والأفكار النجسة.

📖 وكانت تعمل تحت نير واضطرار أعمال الإثم، لأنها كانت مستعبدة لسادة قساة، فأراحها من أثقالها التي يعسر حملها - من الأفكار الباطلة والنجسة، ونزع عنها النير القاسي - نير أعمال الإثم وأراح النفس التي كانت متعبة، ومثقلة بأفكار، وغوايات الخطية.

📖 **تعالوا إلى ... وأنا أريحكم:**

📖 **٣-** أن الرب يدعو الإنسان إلى الراحة قائلاً "تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" {مت ١١: ٢٨}.

📖 وكل النفوس التي تطيع هذه الدعوة وتقترب إليه، فانه يريحهم من كل هذه الأفكار الثقيلة، المتعبة، والنجسة، ويصيرون أحراراً من كل شر، ويحفظون السبت الحقيقي المبهج المقدس، ويعيدون عيد الروح، عيد الفرح والبهجة التي تفوق الوصف، ويقدمون خدمة نقية مرضية لله من قلب نقي. هذا هو السبب الحقيقي المقدس.

📖 لذلك فلنتوسل إلى الله لكي "ندخل إلى هذه الراحة" {عب ٤: ١١} ولكي نصير احراراً من الأفكار المنحطة، والشريرة، والباطلة، لكي ما نستطيع أن نخدم الله من قلب نقي، ونعيد عيد الروح القدس.

📖 وطوبى للإنسان الذي يدخل إلى تلك الراحة. والمجد لمن هذه هي مسرته، أي الآب والابن والروح القدس، إلى الأبد آمين..

كتاب عظات القديس مكاريوس - العظة الخامسة والثلاثون - صفحة ٢٥٦ - ٢٥٧

📖 **خلع الإنسان العتيق ولبس الجديد:**

📖 **٣-** فانه من الداخل يزحف روح الشر الذي في داخل النفس، وهو يحاور العقل، وهو يغري، هذا هو حجاب الظلمة، أي الإنسان

العتيق". {٢كو٥: ١٧}، الذي ينبغي أن يخلعه أولئك الذين يهربون إلى الله. وينبغي أن يلبسوا الإنسان السماوي الجديد، الذي هو المسيح. {أف ٤: ٢٢}، {كو٣: ٨}.

إذن فلا يضر الإنسان، أو يؤذيه شيء من الخارج، وإنما يؤذيه فقط روح الظلمة الذي يسكن في القلب، حياً، ونشطاً. لذلك ينبغي على كل واحد في هذه المعركة، أن يحارب في أفكاره ضد الشر، لكي يضيء المسيح في قلبه، الذي له المجد إلى الأبد - آمين..

كتاب عظات القديس مكاريوس - العظة الثانية والأربعون - صفحة ٢٧٨



قال القديس مكاريوس الكبير:

"كما إن الماء إذا سقط على النار يطفئها، ويغسل كل ما أكلته. كذلك أيضاً التوبة، التي وهبها لنا الرب يسوع، تغسل جميع الخطايا، والأوجاع، والشهوات، التي للنفس، والجسد معاً".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٧١



{٥}
القديس الأنبا برصنوفيوس

قداستك يا أبي قلت لي:

هوذا قد غفرت لك خطاياك والأنبا إشعياء يقول مادام الإنسان يجد لذة الخطية فلن تغفر له بعد، وهوذا أنا أحس بلذتها. فمن أجل الله أوضح لي ذلك لأن فكرى حزين وأظن أنها لم تغفر؟

الجواب: لقد قلت لك أن خطاياك القديمة قد غفرت، أتراني قلت لك أن قتالات العدو قد بطلت؟ فالراهب قائم في صف الجهاد، ولولم يكن لك خطايا فالشيطان يجلب لك لذة الخطية بالفكر، أما ما قاله أنبا إشعياء. فهوعن فاعليها المتلذذين بعملها لأن ذكر حلاوة العسل شيء، وتذوق حلاوة العسل شيء آخر، حتى أن الذي يتذكر لذة

الخطية ولا يفعلها، بل يجاهد في سبيل أبعادها عنه فذلك هو الذي غفرت له خطاياه القديمة، ومن خيالات الشيطان أنه يقول لغير المتمكنين أن خطاياكم لم تغفر وذلك لكي يقطع رجاءهم فتحفظ من ذلك لئلا تقع بالكمال في أيدي العدو والله يعضدك إلى الدهر

🕮 **سؤال:** يا أبي أن الفكر يقول لي أن مضيت إلى موضع وسكنت فيه {غريب} فإنك ستبلغ إلى السكوت الكامل لأنه على دين خطايا كثيرة وأنا اشتهى أن أعتق منها فماذا أعمل؟

🕮 **جواب:** يا أخي أن الذي عليه دين أينما ذهب فهو مدان، أن مضى لمدينة أو قرية أو حيث جلس لن يعتق منه، فان حرص الإنسان بكل قوته أن يحتمل الشتم والعار والخسارة والهوان من أجل خطاياه التي قد عملها فهو يتعلم الاتضاع والتعب، ومن أجل هؤلاء تغفر خطاياه كما هو مكتوب "أنظر إلى تواضع وتعبي واغفر لي كل خطاياى"

🕮 **٤٩-** إذ يشكر الشيخ على هذا التصحيح، يتوسل إليه أن يكتب له كثيرًا عن خلاص النفس. وأيضاً عن فكر كان يريد أن يُخبر به الأب، يتوسل إلى الشيخ أن يخبره هوبه:

🕮 يا أخ يوحنا، ما هذا؟ لا أعرف.

🕮 لقد كُتِبَ لك من ألفا إلى أوميجا، من حالة المبتدئ إلى ملء النمو، من بداية الطريق إلى نهايته، مِنْ «خلع الإنسان العتيق مع شهواته» {أُنظر أف٤: ٢٢}، حتى «لبس الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله» {أف٤: ٢٤}. منْ صيرورتك غريبًا عن الأرض المدرَكة بالحواس، إلى صيرورتك مواطنًا للسماء، ووارثًا لأرض المواعيد المدرَكة بالعقل. تأمل في الرسائل {التي كتبتُها لك} وأنت تخلص، لأنّ لك فيها – لو فهمت - العهدين القديم والجديد. وإذا فهمتها لا تكون لك حاجة لأي كتابٍ آخر.

📖 انفض عنك النسيان، واترك الظلمة حتى يكون قلبك في سلامٍ {أو على وفاقٍ} مع حواسّك، فتتأتّى لك كل هذه الأمور.

📖 اِجعل دخان ذبائح الأصنام تسقط من نينوى التي في ذهنك، فتنتشر رائحة بخور التوبة الروحانية العطرية في شوارعها، وتمنع الغضب الذي كان يهدِّدها بالهلاك. أين أنت نائم؟

📖 لماذا طرحتَ عنك الأجوبة التي كانت لخلاصك، وهي حقًّا أيضاً لخلاص كل الذين يدرسونها بإيمان؟

📖 كُفّ عن أحلامك من الآن فصاعدًا، واستيقظ من نومك العميق.

📖 عجِّل من خُطى قدميك، وأسرع إلى صوغر {تك١٩: ٢٢} حتى لا يقهرك انقلاب المدن الخمس،

📖 ولا تتجه إلى خلف حتى لا تصير عمود ملح!

📖 وكن حكيمًا كالحيّة {مت١٠: ١٦} حتى لا يُضلِّلك أعداؤك، بل وديعًا كالحمام، حتى لا يُشنّ الانتقام حربًا عليك.

📖 كن خادمًا حقيقيًا لسيدٍ واحدٍ حتى لا تُستعبَد لكثيرين.

📖 لا تفصل نفسك عنه، لأنّ غير الأمناء حصلوا لأجل ذلك على الحكم. أُنظر كيف تجلس، وقُلْ لنفسك: لماذا أنا جالسٌ هكذا؟ ماذا ربحتُ من هذا الجلوس؟، ولعل الله محب البشر يُنير قلبك لكي تفهم.

📖 ها هو الآن قد جعلك حُرًّا من الاهتمام بكل همٍّ أرضي.

📖 اِلتفت إلى نفسك، وانظر أين أنت، وماذا تريد، والله يُعينك في كل الأمور أيها الأخ.

📖 أما عن الفكر الذي تتكلّم عنه، أن أخبر به ابني، نعم، لقد أمكنني أن أخبره، إلا أنه إن لم تُخبره أنت نفسك بفمك، فإنك تجعل نفسك غريبًا عن المحبة الحقيقية والكاملة نحوه، وذلك إن كنتما نفسًا واحدةً، وقلبًا واحدا، حسب الكتاب {أع٤: ٣٢}، ولا يخفي أحدٌ شيئًا عن قلبه.

📖 كُنْ فطنًا، يا مَنْ لا زلتَ بليد الحسّ، الرب يغفر لك!

اقوال القديس برصنوفيوس ـ كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٣٠٩ ـ ٣١٠

📖 **وسأله أخ:**

📖 "قدسك قال لي هوذا خطاياك قد غفرت".

📖 وأنبا إشعياء قال: "مادام الإنسان يجد في قلبه لذة الخطية فلم يحظ بعد بغفرانها". وإني إلى الآن أحس بلذاتها، لذلك أظن أنها لم تغفر لي بعد فأحزن. وفكري يحدثني قائلاً: "إن الله خذلك". لآن قتال الزنى قد ثقل على طوال هذا الأسبوع".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٣٠



📖 **أجابه القديس برصنوفيوس:**

📖 "لقد قلت لك إن خطاياك القديمة قد غفرت، أتراني قلت لك إن قتالات العد وقد بطلت. فالراهب قائم في صف الجهاد. ولو لم يكن لك خطايا، فالشيطان يجلب لذة الخطية بالفكر.

📖 "أما ما قاله لك أنبا إشعياء فهوعن فاعليها المتلذذين بعملهما، لآن ذكر حلاوة العسل شيء، وتذوق حلاوة العسل شيء أخر، حتى إن الذي يتذكر لذة الخطية ولا يفعل ما يتعلق باللذة، بل يجاهد في سبيل أبعادها عنه، فذلك هو الذي غفرت له خطاياه القديمة.

📖 ومن خيالات الشيطان أنه يقول لغير المتمكنين إن خطاياكم لم تغفر، وذلك ليقطع رجاءهم، فتحفظ من ذلك.

📖 "أما عن قتال الزنى، فيحتاج الإنسان إزاءه إلى جهاد واتضاع، فبلا تعب واتضاع لن يخلص أحد. أما من جهة الخذلان فالله لا يخذلنا، فما لم نتخل نحن عن محبته، أو نحد عنه، فهولا يتخلى عنا، إذ إن مشيئته هي إن نلجأ إليه ونخلص".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٣٠



📖 **سؤال:** {للأنبا برصنوفيوس}.

📖 "كيف يستطيع إنسان خاطئ أن يبتغي الرب في كل حين؟".

📖 **الجواب:** "لقد طلبت من الله أن يعرفني جواب سؤالك.

فقال لي: "طهر قلبك من كل أفكار الإنسان العتيق، وأنا أجيبك إلى سؤال قلبك، لأن مواهبي إنما تكون في الأطهار ولهم تعطي، وما دام قلبك يتحرك بالغضب، وبالحقد، وبسائر الأوجاع العتيقة، فلن تدخل فيه الحكمة، إن كنت تشتهي أن تنال نعمتي ومواهبي، فاخرج العدو وابعده عنك. ومواهبي منها وبها تأتي إليك.

ألم تسمع أن عبداً لا يقدر أن يخدم ربين؟

فإن كنت عبدي فلا تخدم الشيطان، وإن خدمته فلا تظن إنك تخدمني. فمن يشتاق إلى مواهبي فليقتفي آثاري، لآن المشتهي الحمل لا شر فيه. لقد قبلت الأوجاع كلها، ولم أكلم فيها بشراً.

ومع إني أوصيكم بأن تكونوا ودعاء مثل الحمام، إذ بي أجدكم وقد أتخذتم لأنفسكم قساوة الأوجاع. فانظروا لئلا أقول لكم: "أمضوا إلى سعير ناركم التي أضرمتموها".

وعندما سمعت ذلك صرت أبكي ليتحنن على كصلاحه، ولينجيني من شر الإنسان العتيق، ويبلغني إلى الإنسان الجديد، لكيما أقبل كل ما يأتي على بشكر، فصلي من أجلي كي أهرب من تزكية نفسي.

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٨٦ ـ ٢٨٧

قال القديس برصنوفيوس:

"كل شيء من أمور العالم هو فاني، وليس بشيء. فاسبق وصور الله بين عينيك، وكن حريصاً في أن تتوب، لآن زمانك في هذا العالم قليل".

"كن وديعاً بقلبك، واذكر الحمل الوديع وكم صبر، ورغم أنه لم تكن له خطية، احتمل الشتم، والصبر، وسائر الأوجاع حتى الموت". "اتعب وجاهد ليبعد عنك الغضب، والحرد {الاستياء}، بمعونة الله الحق. إلهك المسيح الذي أحبك".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٤٩



{٦}
قديسون أخرون

📖 ٦٠- الرجل الحكيم هو الذي ينتبه لنفسه، ويسرع كي يفصل نفسه من كل دنس.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس طلاسيوس الليبي - المئوية الثانية - صفحة ٣٠٦

📖 ٧٦- المسيح هو مخلص العالم كله، وقد منح الناس عطية التوبة حتى يمكن أن يخلصوا.

📖 ٧٧- التوبة تلد حفظ الوصايا، وهذه بدورها تنقى النفس.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس طلاسيوس الليبي - المئوية الثانية - صفحة ٣٠٧

{٧}
القديس الأنبا أنطونيوس

📖 **اعتاد أنبا أنطونيوس أن يقول:**

📖 "كثيرون يسقطون وينهضون ويصلون إلى درجةٍ من الاستقامة. ولكن البعض يسقطون من أعمالٍ صالحةٍ إلى أمور دنسة، فالذي يسقط ثم ينهض أفضل من الذي ينهض ثم يسقط.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٧٤

📖 بالحقيقة، يا أولادي الأحباء بالرب، إنني أطلب ليلاً ونهاراً من خالقي الذي روحي بيده، أن يُنير عيون قلوبكم لتعلموا أولاً محبتي لكم، وبعد ذلك ترون خزيكم وتعرفونه. لأنّ من يعرف خزيه فهذا هو الذي يطلب المجد المختار الحقيقي، لأن الذي عرف موته هو الذي عرف حياته الأبدية.

وإنّي لَخائفٌ عليكم، يا أولادي، أن يُدرككم الغلاء والفقر {الروحيين} في {الرهبنة} الطريق المؤدّية إلى الموضع الذي يمكنكم أن تنالوا فيه الغنى. وأشتهي أن أنظركم ههنا بالجسد، لكنني أنتظر بالأحرى ذلك الدهر الذي ليس فيه حزنٌ ولا كآبةٌ ولا تنهدٌ، بل سرورٌ وفرحٌ لمستحقيه جميعاً، وأن نجتمع هناك عن قريبٍ وأراكم.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ١٤٣

يجب علينا أن نستعد بكل طهارةٍ، وندرِّب بها حواسنا المتنقلة {أو المتقلِّبة} بين الخير والشر.

والآن، يا أولادي، أنا أرى أن كل واحد فواحد منّا قد سلّم ذاته بإرادته للشرور. وهذه قد تكمَّلَت فينا وتملَّكت علينا بسبب جهلنا... وإذا حرَّرنا ذواتنا وتشبَّهنا بتواضعه نصير له تلاميذ.

بالحقيقة، يا أولادي الأحباء بالرب، أقول لكم إنني مضطربٌ جداً بجسدي وروحي، لأننا تسمَّينا بأسماء القديسين ولبسنا لباسهم ونفتخر بذلك أمام غير المؤمنين، في حين أننا ليست لنا قوة العمل كالقديسين، وأخاف أن يتمَّ علينا قول الرسول: «لهم صورة التقوى وهم لقوّتها جاحدون» {٢تى٣:٥}.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ١٤٥



سأل أخ القديس أنبا أنطونيوس قائلاً:

"ماذا اعمل لكي أجد رحمة الله؟

فأجاب القديس: "كل موضع تمضي إليه اجعل الله بين عينيك ـ وكل عمل تعمله يكون لك عليه شاهد من الكتب ـ وكل موضع تسكنه لا تنتقل منه بسرعة ـ احفظ هذه الثلاثة تجد رحمة.

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٧٩



قال القديس أنطونيوس:

"كثيرون يسقطون ثم يقومون إلى حالة من الصحة والاستقامة.

📖 ولكن يوجد من يسقطون من أعمال صالحة إلى أشياء دنسة ونجسة، **فالذي يسقط ثم يقوم أفضل من الذي يقوم ثم يسقط.**

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٧٩

📖 **قال القديس أنبا أنطونيوس:**

📖 "أطلب التوبة في كل لحظة، ولا تدع نفسك للكسل لحظة واحدة".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٨٥

📖 **قال القديس أنبا أنطونيوس:**

📖 لا تجعل نفسك معدودا بالجملة، وأنت تتفرغ لتبكي على خطيئتك.

📖 الزم الحزن على خطاياك كمثل من عنده ميت.

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٩٤



{٨}
القديس ثؤفان الناسك

📖 إن أصابك جرح بسبب استسلامك لخطيئة ما، عن طريق ضعف، أو طبيعة أخلاقك الخاطئة {كلمة غير مناسبة خرجت منك عفوا، فقدت أعصابك مرة، شيء رديء خالج فكرك، هوى سيء اشتعل فيك كالحمى ... الخ} فلا تفقد قلبك، وتجعله يسقط في السجن.

📖 أشعر بضعفك قبل كل شيء، لا تعتد بنفسك وتقول:"كيف حدث هذا لي أنا؟" إنها صرخة كبرياء وعجرفة.

📖 بل أتضع في ذاتك، وارفع عينيك نحو الله، وقل بملء مشاعرك: "أي شيء ينتظر من شخص ضعيف، وخاطئ مثلى يارب سوى هذا"

📖 وأشكره بعد ذلك إن الأمر لم يستعمل أكثر من هذا قائلا: "لولا مراحمك غير المحدودة يارب، ما توقفت عند هذا الحد، بل كنت سأسقط في أمور أردأ".

🕮 لا تلتمس لنفسك الأعذار، لا يجب بأي حال أن تمزج هذه المشاعر، مع إحساس بالتساهل مع نفسك، وتقع في طياشة الفكر بأنك أنت كما هو أنت، وهذا يعطيك الحق بالسلوك الخاطئ. لا، لا.

🕮 فإنه بالرغم من الحقيقة بأنك ضعيف، وقابل للوقوع في الخطيئة، ولكنك مذنب بالنسبة لكل الخطايا التي عملتها ما دامت لك إرادة حرة.

🕮 فكل ما يصدر عنك يعرض عليها {على إرادتك}. وهكذا كل خير تعمله يحسب لك، وكل فساد يحسب عليك. فالإحساس العام بأنك شرير، لا يعفيك من ادانتك على شرك الخاص، الذي سقطت فيه في اللحظة الحالية. احكم أنت على نفسك ولا تدن إلا ذاتك، ذاتك وحدها.

🕮 لا تنظر حولك باحثا عن شخص تلقى عليه اللوم، فلا الأشخاص، ولا الظروف مسئولة عن خطيتك.

🕮 إرادتك الرديئة هي الملامة وحدها، لذلك لم نفسك.

🕮 أحزن على الخطية أيضاً، لا تتشبه بأولئك الذين يقولون: "نعم، لقد فعلتها، ولكن ماذا في هذا؟" لا، بل إذ عرفت غلطتك، بكت نفسك، وواجه ذاتك بدينونة الله التي لا مفر منها.

🕮 أو سرع لتلهب مشاعر التوبة، أي، انسحاق القلب، والتذلل والندامة، ليس من أجل انحدارك أنت وحدك نحو الخطية، بل لأنك بخطيتك أسأت إلى الله الذي أظهر لك لطفا كثيرا، داعيا إياك للتوبة، وغفران خطاياك القديمة، واشتراكك في نعم الأسرار، وإرشادك، وحمايتك في الطريق الصحيح، كي تتقدم فيه عن طريق أب اعترافك.

🕮 من الأفضل أن تكون الندامة عميقة، ولكن مهما كان عمق هذه

الندامة، لا تدعها تلقى أي ظل شك من جهة الغفران.

📖 فالغفران قد اعد كاملا من قبل، وصكوك الخطايا قد مزقت كلها على الصليب، التوبة والندامة هما المطلوبان من كل إنسان يريد أن يحصل على عمل ذبيحة المسيح الكفارية، وينعم باستحقاقها، بهذا الانسحاق تقدم إلى أبيك الروحي، واكشف له افكارك معترفا بخطاياك. لتسمع منه كلمة تعزيك، ويطلب من أجلك، وتيقن أن الرب قد تجاوز عن آثامك.

📖 أسجد بروحك وجسدك مؤمنا بهذا واصرخ "أرحمنى يا الله كعظيم رحمتك" {مز ٥١:١}. ولا تكف عن الصراخ بهذا حتى تشعر أن نفسك مذنبة، وفى نفس الوقت مغفور لها، حتى أن الذنب والغفران ممتزجان في شعور واحد.

📖 هذه النعمة تحل أخيرا على كل تائب. ولكن يجب أن يلازمها قرار، وتختم بنذور، بالا نتساهل مع أنفسنا في المستقبل، هل نراقبها بتدقيق، ونحمى ذواتنا من كل السقطات، كبيرة كانت أم صغيرة.

📖 مثابرين على الصلوات لطلب معونة في كل ما نقوم به.

📖 فقد ثبت بالاختبار أن عدم اعتماد الإنسان على قواه، ومحاولاته الشخصية، يوجه قلبه طبيعيا إلى الاستغاثة بالله "قلبا نقيا أخلقه في يا الله وروحا مستقيماً جدده في أحشائي".

📖 عليك أن تمارس كل هذا - إدانة الذات، الندامة، الصلاة المملوءة، رجاء في نوال المغفرة، القرار الإلهامى لمراقبة النفس في المستقبل، الصلاة من أجل النعمة لتثبت فينا في هذه المحاولات.

📖 وفى كل وقت ترتكب فيه خطية بواسطة عينيك، أو أذنيك، أو لسانك، أو فكرك، أو مشاعرك، لا تترك الخطية في قلبك، ولو لدقيقة واحدة دون أن تعترف بها، ولا تهمل تطهير قلبك بالتوبة الصادقة أمام الله. أيضاً حتى لو سقطت مرة أخري، افعل نفس الشئ مرة

أخري، وكلما أخطأت طهر نفسك في كل مرة أمام الرب.

📖 أخبر أبيك الروحي بكل هذا في مساء نفس اليوم إن أمكن، وان كان هذا غير ممكنا، فأخبره عندما تحين أقرب فرصة، إن الاعتراف للأب الروحي بكل شيء مفيد جدا في محارباتنا الروحية.

📖 لا شيء يكسر العدو القاتل، ويهزم حبائله بفاعلية، وتأثير أفضل من هذه الطريقة، ولهذا يتوق العدوأن يعرقلها بكل الوسائل الممكنة داخليا وخارجيا: داخليا: بالأفكار والمشاعر.

📖 وخارجيا: بخلق أسباب مختلفة لمقابلات، وأحداث غير لازمة.

📖 ولكن مهما كانت العقبات، أنظر من نفسك، متى تمارس هذا العمل مكتشفا حيل العدو.

📖 سأذكر لك شيئا واحدا فقط: إن العدو بغيرة ونهضة شديدة يقترح الاتبدأ في أعمال النقاوة الداخلية على الفور، ويقول لك حقا إن الخطية ملحوظة، ولكن انتظر قليلا فقط - ليس ليوم، ولا لساعة بل لبرهة وجيزة فقط.

📖 ولكن بمجرد أن توافق على هذا يبدأ في خطيئة أخري"فبعد خطيئة اللسان، خطية العين، أوببعض الحواس الأخرى. بعد ذلك تهمل أعمال النقاوة بالنسبة للخطيئة الجديدة شئت أولم تشأ.

📖 لأنه كان عليك المفروض أن تنقى نفسك من الخطية الأولى أولا. ولأنك أهملت تستمر خطاياك يوما بطوله، وتمتلئ نفسك بخطيئة بعد أخري. وعند المساء حيث تستبعد عادة أعمال التنقية والتوبة، إذ لا يوجد أدنى قابلية في النفس، لأنها تكون ممتلئة بتشويش، وسجس، وظلمة كثيرة بتاثير التعديات، وتكون النفس آنذاك تماما مثل عين ممتلئة بالأتربة، أومياه معكرة بالأوحال، لا يمكن أن ترى أي شيء، فتهمل التوبة بالكلية، وتترك النفس موحلة ومدنسة.

وهذا يجعل صلاة المساء غير كاملة، ويقود إلى أحلام رديئة. لذلك يا حبيبى لا تؤجل أعمال النقاوة الداخلية أبدا، ولو لبرهة وجيزة، بل بمجرد أن تنتبه لخطايا قم وتب.

اقتراح آخر اعتاد الشرير أن يقترحه، وهوالا تخبر أبيك الروحي بما حدث. فلا تسمع لعدوك، بل عارضه بشدة، وأخبر أباك بك شيء حدث. لأنه كما أن الاعتراف يتسبب في خير كثير، هكذا كتمان ما قد حدث فينا ومعنا، ينتج عنه حذر أكثر.

كتاب المحاربات الروحية - الجزء الثاني - صفحة ٨٠

{٩}

الأب متى المسكين

مقالة عن التوبة للاب متى المسكين

يا ابني:

١- التوبة ترضي الله، وتُعيد إليك علاقتك الحبيبة بالرب.

لأن الخطأ الذي يبدر منك، يكون دائماً ردّ فعله هو ابتعاد روح الله عنك. يعني هذا شعور غربة قاسٍ، تشعر خلاله أنك بلا إله، بلا معزٍّ، بلا حبيب بلا معين.

فعندما تشعر بهذه الغربة، اعلم أنك أخطأت في حق الله، فأسرع في الحال وتُبْ إليه، بمعنى أن تعيد عهد الطاعة، والخضوع له، وتعتذر عن الخطأ الذي بدر منك.

ربما يكون هذا الخطأ خطأً بسيطاً لم تنتبه إليه، كأن تكون كذبت على إنسان، أو غضبت على إنسان، أو وشيت بإنسان، أو تعاليت على إنسان، هذه كلها تُدخلك في حدود المتعدِّي على عهد الأمانة، والمحبة، والصدق مع الله، فانتبه لحياتك.



📖 ٢- ربما تكون التوبة محتاجة إلى أن تعتذر لِمَن أخطأت إليه، فاضغط على نفسك، إذا استمعت لصوت الله في الضمير يحثّك على الاعتراف بخطئك، وطلب السماح مع الاعتذار لله.

📖 ٣- ربما تحتاج التوبة أن تُصالِح إنساناً خاصمته، سواء بسبب، أو بدون سبب، فلا تخجل من أن تذهب إليه بجرأة أولاد المسيح، وتعتذر له أنك أنت المُسيء، مهما كان هو المُسيء، وتطلب سماحه ورضاه، كمَنْ يطلب لنفسه رحمة ومغفرة لكي تُحسَب لك أنها من الله.

📖 ٤- لكي تفرح بأيامك وأوقاتك، كُنْ حسَّاساً جداً لأخطائك، لكي تتوب وتستغفر عنها، بمجرد أن تأتي على فكرك، ولا تبيت خطأً واحداً يقلقك، فتصير أيامك كلها هادئة مضيئة حلوة.

📖 ٥- واعلم أنه إذا استقرت أي عداوة في قلبك أكثر من يوم، تهدم ما تبنيه بالصلاة، وتخرب علاقتك بالرب، ويوماً بعد يوم تصير العداوة جزءًا من أخلاقك وفكرك وتصرُّفك، فتصبح عبداً للشيطان تُبخِّر له كل يوم على مذبح العداوة.

📖 فاقطع عنك أي عداوة استقرت في قلبك، حتى ولو كانت موروثة من أهلك. لا تجعل لك عدواً في حياتك، وإلاَّ استحال عليك حب المسيح. فالذي يحب المسيح حتماً يحب عدوه.

📖 فطهِّر قلبك أولاً بأول من أي إحساس بالعداوة، ليُشرق في قلبك حب المسيح وتستمتع به. لأن محبة المسيح تبهج القلب، وتعوِّض عن كل تعب، أو حزن، أو مرض، لأن محبة المسيح حياة منيرة ليس فيها ظلمة البتة.

📖 ٦- اعلم أن العداوة تبدأ بلبس ثوب اسمه الكراهية، فبمجرد ما

تحس أن الكراهية دخلت قلبك من جهة أي إنسان، كبير أو صغير.

📖 اعلم أن الشيطان بدأ يُلقي فخ العداوة ليجذبك إلى خاصته، فأسرع واقطع خيوط الكراهية، وأظهر لهذا الإنسان محبتك، وقدِّم له هدية، وامدح سيرته بين الإخوة، فتذوب الكراهية، وتسكن المحبة، وتنسكب عليك محبة المسيح كابنٍ له.

📖 ٧- إذا سمعت أن أخاً يذمك، فلا تجزع وكُنْ شجاعاً، واستغيث بروح المسيح، روح الود والمحبة الأخوية، واذهب إليه، واطلب منه باتضاع ومطانية ودموع أن يغفر لك ربما تكون قد أخطأت إليه دون أن تدري، وأعلن له محبتك، واطلب منه أن يسامحك، واسأل في مسكنة إن كان بَلَغَه شيء رديء عنك، وأوعده أنك ستكون دائماً عند حُسن ظنه.

📖 ٨- وحينما تكمل التوبة، وتصير حياتك مكشوفة أمام الله، حينئذ تختبر حضور الرب، لأن الرب يقبل التائبين إليه، ويقترب منهم.

📖 حضور الرب له إحساس في القلب: شيءٌ من الدفء والبهجة والسلام. غياب هذا الإحساس معناه أنه توجد خطية معتمة هذه العلاقة، ومانعة للإحساس بحضور الرب، ولذلك: أسرع وفتش ودقِّق في حياتك، وارمِ نفسك تحت قدميه، واطلب من روحه القدوس أن يشير لك على الخطأ والخطية، التي تسببت في غياب الرب.

📖 ٩- حضور الرب، والإحساس بالدفء الروحي، والبهجة القلبية، هي غِنَى المسيحية، وهي عينها تُدعَى: "مجد الرب".

📖 فحضور الرب معناه حضور مجده كغطاء يشمل النفس ويُفرحها.

📖 وغيابه يقبض النفس، ويجعلها تشعر أنها فقدت شيئاً هاماً، وكأنها فقدت حياتها.

📖 فلا تسكت ولا تهدأ، حتى يعود الرب بمجده، ويسكن قلبك، لأن هذه

هي الحياة الأبدية، نأخذها هنا كالعربون، وهناك نُرافق الرب أينما سار.

📖 ١٠- أشرك الرب في حياتك: في أكلك وشربك، ونومك ويقظتك، وعملك وراحتك، وفرحك وحزنك، وتعبك وضيقك، أطلبه دائماً فهو قريب، استشِره في كل صغيرة وكبيرة، واشكره بمجرد نجاح مشورته، واعتذر عن كل خطأ يحدث منك، حتى يظل الرب شريك حياتك كلها. وحينئذ تبدأ تحصد بعد ذلك ثمرة هذه الشركة، حينما تحس أنه موجود، يسمع ويستجيب، ويشير ويُعلِّم، وينصح، وعينه عليك.

📖 ١١- إحذر، إحذر، إحذر، من الكذبة البيضاء بأنْ تقول غير الحقيقة، لكي تنقذ نفسك، أو تسهِّل أمورك، أو تَخلص من الذي أمامك، أو تنهي موضوعاً شائكاً، أو تفكّ عقدة وقفت أمامك.

📖 فالكذبة البيضاء هي إصبع الشيطان، الذي يغرس في النفس: المكر والخداع، والمخاتلة، والتنكُّر للحق، لإيقاع الإنسان، بعد ذلك في جريمة الكذب، الذي يُعاقِب عليها الناموس في العهد القديم بالرجم أي بالقتل.

📖 أما في العهد الجديد، فيختفي وجه الله من حياتك، ولا تعد تصطلح معه إذ ليس ذبائح، لأن الكذب هو إنكارٌ للحق، والحق هو المسيح! إحذر من الكذب وشِبه الكذب، لأنه يصنع قطيعة مع المسيح.

📖 ١٢- إقتلع الكذب من دستور حياتك مهما كلفك، واعمل عهداً مع المسيح وشَهِّد الملائكة عليك، أنك لن تكذب قط، حتى وإلى الموت تقول الحق، كل الحق، ولا شيء غير الحق، مهما كانت الغرامة، وذلك حتى تكسب رضا القدير، وتنعم بقرب الرب، وحضوره المريح. لأن حضور الرب هو الحياة، وغيابه هو الموت.

📖 ١٣- إحذر، إحذر، إحذر، من أن تُقدِّم عُذراً كاذباً لكي تتخلَّص من الموقف، كأن تقول: إنني كنتُ نائماً، أو غائباً، أو مشغولاً، أولم أعرف، أولم أسمع، أو أنا لا أعرف هذا الإنسان، أو أنا أجهل هذا الموضوع، أو أنا بريء ليس لي علاقة بهذا الإنسان، أو بهذا الموضوع. وفى الحقيقة، أنك كنتَ عارفاً وعالماً وصاحياً وسامعاً.

📖 هذا الكذب هو كذب على الحق والحقيقة، وهو بعينه إنكارٌ للمسيح الحق والحقيقة، فأين تُخبِّئ وجهك منه؟

📖 المسيح بالمقابل يقول: أنا لستُ أعرفك. فتفقد الحق الذي تنكَّرتَ له، ولا يَعُد الحق يستأمنك على نفسه أو وجوده، فلا تَعُد تحس بوجود الرب، وبدفئه، وبهجته المريحة، ويتركك لغم الحياة وكذبها.

📖 ١٤- فحذارِ، حذارِ، حذارِ، أن تختلق الأسباب والأعذار، لأنها تسجَّل ضدك في كتاب الحياة الذي سيُعرض عليك، لترى وتسمع كل خطاياك، وليس مَنْ يعطيك العذر، أو يُدافع عنك، لأنها فُعِلَتْ بتصميم وإرادة وسَبْق إصرار.

📖 ١٥- إن انتبهتَ لهذه الأخطاء المميتة فستتعلم كيف تعيش مع الرب، وتنعم بحضوره كرفيق كل الطريق.

📖 وتيقَّظ دائماً عندما تجد نفسك حنَّت للطريق القديمة، أمسكها واضبطها، وهي تلفق الكذبة، واشكوها للمسيح لكي يتعامل بقوته ضد الطبيعة القديمة، بروحه القدوس.

📖 ١٦- بعد أن تذوق حضور الرب ولو مرة واحدة، خُذْ هذه ذريعة لتطلبه نهاراً وليلاً، ليغشى حياتك كلها.

📖 فالرب رفيق وأفضل من كل رفيق في طريق الحياة كلها.

📖 إنه يسعده أن ترافقه أنت أيضاً في حياتك بذِكْر اسمه الليل والنهار،

وتسبِّحه وتشكره ما دمتَ حيًّا.

📖 ١٧- لا تهتم بنتائج تجاربك وعلاقاتك بالناس. اهتم بتجربة وجود الرب معك، فهذه هي الحياة، وهي غاية كل تجارب الحياة.

📖 ١٨- ولكن الذي أجده اليوم شائعاً بين الرهبان هو عدم الاكتراث بالحياة الجدية مع الله، فكثيرٌ فضَّل أن يعيش حياته الطبيعية بكل استرخاء وعدم مبالاة.

📖 فإن كان ولا بد أن يظهر راهباً بين الرهبان، فيكفيه حضور الكنيسة الشكلي مع ضرب الجرس، وتلاوة ما يقع عليه من المزامير، ربما سرًّا، وبدون حفظ.

📖 وأخذ البركة الشكلية آخر الصلاة، وآخر القداس، والعودة إلى قلاية النوم والراحة. وتضييع الوقت مع زملاء المحبة الجهنمية من رغي وكلام وضحك، ربما إلى نصف الليل بكل راحة. وليس مَنْ رأى ولا مَنْ سمع، ويومٌ يشيِّع يوماً، وسنةٌ تشيِّع سنةً. ويأتي المصير أينما يأتي ووقتما يأتي.

📖 لا يا ابني، لا يا ابني، أنت سجَّلتَ اسمك لتكون بين صفوف القديسين، وهذا كان عهداً بينك وبين الرب يسوع، والرب آمين. على هذا العهد، وهو واقفٌ كل يوم على بابك يقرع ليدخل ويهبك روح الحياة الجديدة.

📖 فلا ترفضه، ولا تستَهِن بمحبته، لأنه دفع ثمن خلاصك من دمه. فخلاصك غالي عليه، وهو سيظل يلح عليك إلا ترفض دمه وصليبه، وسيفرح جداً بعودتك وتوبتك إليه، كفرحة الأب بالابن الضال، وستكون موضع سرور لملائكته

📖 فتحنن على الواقف على بابك، فأنت في عنفوان شبابك، وقادر أن تستعيد بسرعة ما فاتك. فاقبل الرب مخلِّصاً لك اليوم، لأن هذا هو

عمله وفرحه، تجد عنده مدخرات الأُبوَّة لتوبتك، ويمدك بنعمته، فتدخل في زمرة القديسين مجاناً، ويكتب اسمك بين المخلَّصين.

📖 لا تستَهِن بدعوتي هذه لك، لأن فيها حياة جديدة لم تخطر لك على بال، وافتخر بخلاصك، فالملائكة في انتظار قرارك لتحيط بك، وتحملك حملاً وتعبر بك الأيام والسنين التي فاتت كلها، وتفرح معك يوم تجديدك!

📖 ولا تكن كصاحب الوزنة الواحدة {الرهبنة} الذي ذهب وطمرها في تراب القلاية!! الذي سماه المسيح: العبد البطَّال الشرير الكسلان. حاشا، يا ابني، حاشاك أبداً أبداً.

📖 وكما يقول القديس ذهبي الفم: "ليس مَنْ يأتي السيئات فحسب يُدان، بل مَنْ لا يعمل الصالحات أيضاً يُدان." فاعرف زمان افتقادك.

{يوم جمعة ختام الصوم سنة ٢٠٠٠}

الأب متى المسكين

{١٠}
كتاب فردوس الآباء

📖 **سألوا أبّا شيشوي:**

📖 إذا أخطأ أخٌ إلا يجب أن يصنع توبةً لمدة سنة؟

📖 فأجاب: إنّ هذا قولٌ صعب.

📖 فقال الزائرون: هل لمدة ستة شهور؟

📖 فأجاب: هذا مقدارٌ كبير.

📖 فقالوا: لمدة أربعين يومًا؟

📖 فأجاب: وهذا أيضاً مقدارٌ كبير.

📖 فقالوا له: ماذا إذن؟ إذا أخطأ أخ وكانت الأغابي معدّة فهل يجب أن يحضر هو أيضاً إلى الأغابي ببساطة؟

🕮 فقال لهم الشيخ: لا، ولكنه يحتاج أن يصنع توبةً أيامًا قليلة، إنني أثق في الله أنه إذا صنع مثل هذا الإنسان توبةً بكل قلبه، فالله سيقبله حتى خلال ثلاثة أيام.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٤٤٨



🕮 **سأل أخٌ أبّا شيشوي:** ماذا أفعل يا أبي لأني سقطتُ؟

🕮 **فقال له الشيخ:** انهض أيضاً.

🕮 فقال الأخ: لقد نهضتُ ولكنني عُدتُ فسقطتُ.

🕮 فقال الشيخ: انهض مرةً ثانية.

🕮 فقال الأخ: إلى متى أيها الأب؟

🕮 فقال له الشيخ: إلى أن تؤخَذ أما في الفضيلة، أوفي الخطية، لأن الإنسان فيما يوجد فيه، ففيه يؤخذ.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٤٤٨



🕮 **سأل إخوةٌ شيخًا عن معنى القول السابق:**

🕮 فقال الشيخ: معناه أنه كما يوجد الإنسان يؤخذ، كما هو مكتوبٌ إنّ اليوم الذي يرجع فيه البار عن برِّه ويصنع إثمًا، فجميع برِّه الذي صنعه لا يُذكَر، بل يموت موتًا في خطاياه، وكذلك إن رجع الأثيم عن إثمه وصنع برًّا، فإنّي {أي الرب} لا أذكر له إثمه، بل في البرِّ الذي صنع آخذه {أنظر حز١٨: ٢١-٢٤}.

🕮 فعلينا إذن في كل حين أن نُرضي الله بأعمال التوبة، وكلما نسقط في خطيةٍ نقوم بحرص، لئلاّ يدركنا الموت في السقوط بغير توبةٍ، فنُسلَّم إلى العقوبة الأبدية.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٤٤٨ - ٤٤٩



🕮 **قال أنبا ثيئودور البرامي:** الإنسان إذا توقف عن التوبة، يكون غير حريص على حفظ الوصية. وفى مرجعٍ آخر: الإنسان الذي هو في حالة توبة ليس مقيَّدًا بالناموس.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٤٨١



📖 **قال أنبا موسى:** أيها الحبيب، إذ قد تبقّى وقت للرجوع فارجع، وتقدّم إلى المسيح بتوبةٍ خالصة، أسرع قبل أن يُغلَق الباب، فتبكي بكاءً عظيمًا حتى تحرق دموعك خدّيك بلا منفعة.

📖 اجرِ واضبط الباب قبل أن يُغلَق، أسرع بالرجوع فإنّ المسيح إلهنا يهوى خلاص جميع الناس، وإتيانهم إلى معرفة الحق، إنه ينتظرك وسيقبلك، له المجد إلى الأبد آمين..

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٥٠١



📖 **قال الأب إيليا:**

📖 ماذا يمكن أن تفعله الخطية حيث توجد توبة؟

📖 وما هي منفعة المحبة، حيث يوجد كبرياء؟!

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٧١٣



📖 **سأل جندي الأب ميوس:** إن كان الله يقبل التوبة.

📖 فبعد أن علّمه الشيخ بأمور كثيرة قال له: أخبرني، يا عزيزي، إذا تمزق ثوبك فهل ترميه؟

📖 فأجاب: كلاّ، ولكنني أصلحه، وأستعمله مرةً أخري.

📖 فقال له الشيخ: فإن كنتَ هكذا معتنيًا بثوبك، أفَلا يعتني الله أيضاً بخليقته؟

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٧٣٣



📖 **وقال أيضاً الأب سارماتا:** إن لم يهرب الإنسان، من كل ما يمكنه أن يهرب منه، فهو يجعل الخطية أمرًا لا مفرّ منه.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٧٥٦



📖 **قال الأب سرماتا:** أفضِّل إنسانًا خاطئًا، يعلم أنه أخطأ ويتوب، عن إنسان لم يُخطئ، ويعتبر نفسه بارًّا.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٧٥٥



قال أنبا تيموثاوس:

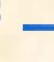
إذا سقطتَ فلا تتوانى، ولا تكسل، بل قم بسرعة.

وإذا ضللتَ أسرع بالرجوع، حتى تجد الطريق المستقيم.

لأن الطريق المستقيم جيدٌ، وليس فيه دوران، ولا يحتاج إلى طول زمان، بل بسرعة يوصل إلى مدينة السلام.

وقال أيضاً: لا توجد طريق مستقيمة سوى طريق ربنا يسوع المسيح، لأنه هو الطريق والحق والحياة.

كتاب فردوس الآباء - - القديس انبا تيموثاوس - الجزء الثالث ١٩٧



قال القديس إبيفانيوس:

عندما تصلّي قُل لله بصوت هادئ: كيف يمكنني أن أمتلكك يا رب؟ إنك تعلم جيدًا أنني حيوان، ولا أعرف شيئًا.

لقد أتيتَ بي إلى عنفوان هذه الحياة، فحررني إذن لأجل رحمتك. إنني خادمك، وابن أمتك يا رب، فبحسب مشيئتك أعطني حيوية.

زائفٌ هو الإنسان العتيق، أما الإنسان الجديد فهو حق، والحق هو أصل الأعمال الصالحة، والزيف هو الموت.

لو علم الكذّاب واللص والمفتري أنهم سيُفضحون أخيراً، وتُفضح أعمالهم لما ارتكبوا الخطية إطلاقًا. وهكذا كان الأمر بخصوص الزناة مثل ابني عالي الكاهن حفني وفينحاس، لأنهما كانا كهنة للرب، ولكنهما لم يخافا الله، فهلكا مع كل بيتهما.

والإنسان الذي يحتفظ بذكر الشرور، ويرتبط بها، ويحبسها في داخله، يشبه الذي يخبِّئ نارًا في قشّ. إذا تكلمت مع أحد بخصوص الحياة، وإذا قلتَ له كلمة، فليكن ذلك بشعور داخلي، وتوبة، وبدموع.

وقل كلامك للذي يسمعه، ويعمل به، وإلاّ فلا تتكلم، لئلاّ ترحل من هذا العالم بلا أيّة منفعة من الكلام الذي رغبتَ أن تعطي به حياةً لآخرين. لأن الله يقول للخاطئ: «ما الذي تعمله بوصاياي، لأنك

جعلت عهدي على فمك فقط» {حسب النص}؟

كتاب فردوس الآباء -ـ القديس إبيفانيوس - الجزء الثالث ٢٠٦

📖 **قال القديس إبيفانيوس:** إننا نفعل الشر، والله بطول أناته يغفر لنا، فكم بالأكثر يأتي لمعونتنا إن عملنا الخير!

كتاب فردوس الآباء -ـ القديس إبيفانيوس - الجزء الثالث ٢٠٧

📖 **قال القديس نيلوس السينائي:**

📖 إذا دنّا أنفسنا رضي الديّان عنا. لأنه يفرح، مثل الصالح الذي يرى الخاطئ يطرح الخطايا من على كاهله.

📖 وإن كنا فعلنا أمرًا نجسًا فلنغسله بالتوبة. تنهّد على قريبك إذا أخطأ كما تتنهّد على نفسك، لأننا كلنا تحت الزلل.

كتاب فردوس الآباء - القديس نيلوس السينائي - الجزء الثالث ٢٣٣

📖 **قال شيخٌ:** ها هو الصوت الذي يصرخ مناديًا الإنسان حتى آخر نسمة من حياته: "تغيّر اليوم".

كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٤٥٧

📖 **قال شيخ:** أخذ يوسف الرامي جسد الرب يسوع ووضعه في كفنٍ خصوصي، وفى قبرٍ جديد، أي في إنسانٍ جديد. إذن، فليهتم كل واحدٍ بكل عنايةٍ إلا يُخطئ، حتى لا يُهين الله الساكن فيه، ولا يطرده من نفسه.

📖 لقد أُعطيَ لبني إسرائيل المنّ لكي يتغذّوا به في البرية، ولكنّ بني إسرائيل {الحقيقي} قد أُعطوا في الحقيقة جسد المسيح.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٤٦٠

📖 **سُئِل شيخ:** إن كان الله يقبل توبة الخطاة؟

📖 فأجاب: أخبرني، يا حبيبي، لو أنّ ثوبك انشقّ هل ترميه؟

📖 فأجاب: لا، ولكنني أصلحه وألبسه.

📖 فقال الشيخ: إن كنتَ أنت تشفق على ثوبك الذي بلا حياة، فكيف لا

يشفق الله على خليقته الحيّة؟

📖 **قال شيخ:** لا تختنق {أو تيأس} إذا سقطت، بل انهض وتُب.

📖 **قال شيخ:** يجب أن نحاسب نفوسنا كل يوم، ونفتقد حياتنا بالتوبة.

📖 **قال شيخ:** يجب على الراهب أن يحاسب نفسه كل صباح ومساء، ويقول: ماذا عملنا مما يحبه الله، ومما لا يحبه الله؟

📖 وهكذا وجب علينا أن نفتقد حياتنا بالتوبة.

📖 بهذه السيرة عاش أنبا أرسانيوس، لأن الإنسان إذا عمل كثيرًا، ولم يحفظ عمله أتلفه، والذي يعمل قليلاً ويحفظ عمله يبقى معه.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٤٧٧

📖 **قيل عن أخ:** إنه سقط في تجربة، ومن شدّة التجربة ترك إسكيم الرهبنة. ثم ندم وأراد أن يبدأ في تدبيره الأول، فساعده الرب ولم يتخلّ عنه حتى خلص من قتال العدو.

📖 **قال شيخ:** تشبّه بالعشار، لئلاّ تُدان مع الفريسي.

📖 **قال أحد الشيوخ:** احترس بكل جهدك لئلاّ تسقط، لأن السقوط لا يليق بالمجاهد القوي، فإن عرض لك أن تقع، فللوقت انهض واقفًا في الجهاد، ولو عرض لك ذلك ربوات من المرات، فاطلب النعمة ربوات من المرات.

📖 وليكن النهوض والقيام حتى ساعة موتك، لأنه مكتوب: "إن سقط البار سبع مرات – أي طول الدهر السباعي – فليقم سبع مرات".

📖 إن تمسكك بسلاح التوبة بدموع، يجعلك تُحسَب مع القائمين.

📖 فتضرع بتوسل إلى الله، لأنك حتى إن سقطتَ فما دُمتَ ملازمًا للرهبنة مثل جندي شجاع يقبل الضربات مواجهةً، فإنك تُمدَح أكثر،

لأنك حتى عندما ضربك الشياطين لم تتراخ ولم تتباعد.
🕮 ولكنك إذا فصلتَ نفسك من الرهبان، تُضرَب على ظهرك كهارب جبان قد طرح سلاحه.
كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٤٧٧

🕮 **قال أحد الإخوة لبعض الرهبان:**
🕮 هل رأيتم قط أكثر كذبًا مني أنا الشقي؟ فسألوه عن السبب؟
🕮 فقال: ذا وقفتُ لأصلّي أرفع يديَّ وعينيَّ إلى فوق وأبكي، وأقول إن الله يسمع الطلبة، ويرحم الباكي، وعندما أُخطئ أقول إنه لا يراني.
🕮 ولذلك فقد ثبت لي كذب نفسي!
كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٥١١

🕮 **سُئل أحد الآباء:**
🕮 متى يثق الإنسان أنه استحق وأُهِّل لمغفرة الخطايا؟
🕮 فأجاب: إذا شعر في نفسه أنه أبغضها تمامًا من كل قلبه، وفعل ما هو ضدّها في الظاهر والخفاء.
🕮 والذي هو كذلك، يثق في مغفرة خطاياه من الله بشهادة ضميره، التي اقتناها في نفسه حسب قول الرسول، لأن القلب الذي لا لوم فيه هو الشاهد على نفسه.
كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٥٤١

🕮 **قال أحد الشيوخ لتلاميذه عند خروج نفسه:**
🕮 لا تشتهوا متاع الدنيا، فتزدادون متاعًا كثيرًا.
🕮 لا تُبغضوا أحدًا، فتكونون محبوبين من الله.
🕮 لا تدينوا أحدًا، فتتقووا ضد كل أوجاع الشياطين.
🕮 تحفّظوا من كل شيء تكون فيه ملذات العالم، التي تحرك الجسد بواسطة الفكر.
🕮 وليكن الجسد دائمًا هادئًا، ومحفوظًا من الحركات الشيطانية.
كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٥٤٢



{١١}

أنبا بيمن المتوحد

بالتوبة تُغفَر الخطية في الحال

وسأل أخٌ آخر الأنبا بيمن: أنا خاطئ فماذا أفعل؟

فقال له: مكتوبٌ: «خطيتي أمامي كل حين» {مز٥١: ٣}،

وأيضاً: «أخبر بإثمي وأغتمّ من خطيتي» {مز٣٨: ١٨}،

وأيضاً: «قلتُ أعترف للرب بإثمي وأنت غفرت لي نفاق قلبي» {مز٣٢: ٥ حسب السبعينية}.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦٠٥

وسأل أحد الإخوة الأنبا بيمن أيضاً:

يا أبي، إذا سقط إنسانٌ في خطيةٍ ورجع، أيَغفر الله له؟

فقال له الشيخ: إذا كان الله قد أوصى الناس أن يفعلوا ذلك، أما يفعل هو أكثر من ذلك؟ أَليس هو الذي لما سأله بطرس: «كم مرة يخطئ إلى أخي، وأغفر له، هل إلى سبع مرات؟

قال له يسوع: لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات» {مت١٨: ٢١و٢٢}؟

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦٠٥



قال أخٌ لأنبا بيمين:

عندما أسقط في أي خطيةٍ يوبخني ضميري قائلاً: لماذا سقطتَ"؟

فقال له الشيخ:" في أي وقتٍ يسقط الإنسان في أي ضعفٍ، أو جهالةٍ، إذا قال: "قد أخطأتُ ففي الحال يقبله الله.

سأل إخوةٌ شيخًا بخصوص القول السابق فقال:

في المعمودية تُغفر الخطايا السابقة عليها.

أما التي بعدها فتُغفر بالأسرار المقدسة.

أما الخطايا الكبيرة الملومة، التي قال بولس الرسول إنّ فاعليها لا يدخلون الملكوت، فهذه تُغفر بعد إتمام القوانين التي توضع على الخاطئ من مدبِّريه، حيث يلبس المسوح، ويفرش الرماد تحته، ثم يتناول الأسرار المقدسة، ونفسه مملوءة ندامةً على جهالته.

والذي يزلُّ في قلايته - بسبب صعوبة حروب الشياطين والأوجاع - في أي جهالةٍ كانت، فبعد أن يتألم، ويحزن، ويصلِّي، ويتلو المزامير المخصصة لذلك، ويهيِّئ نفسه باحتراسٍ لنوال الأسرار المقدسة، ويؤمن بدون شك، فهو يستحق غفران خطاياه.

أما الوجع الذي يبطئ لزمانٍ طويلٍ، ويتسلّط على الذهن بإرادةٍ منحلّةٍ، فهذا يحتاج إلى تعبٍ كثيرٍ بالجسد، والذهن، والألم، والندامة، والجهاد، والصلاة الدائمة. وحينئذٍ ينال الإنسان الغلبة على هذا الوجع، بأخذ جسد ودم ربنا، ومخلّصنا ومحيينا.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٦٠٥ ـ ٦٠٦



قال أنبا بيمين:

إذا أخطأ إنسانٌ، وكفّ عن الخطية، يكون كمن لم يخطئ.

وإذا أنت وبّخته، فارفع من مستوى رجائه.

أما إذا قلتَ له: لا تكن حزينًا بسبب ذلك، واحرص منذ الآن إلا تخطئ'، فأنت تقوده إلى التوبة وتربح نفسه.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٦٠٦



قال أنبا بيمين:

إذا لم تكن للأعمال صلة بالصلاة، فإنّ المصلِّي يتعب باطلاً.

فسأله أخٌ: ما هي المساواة بين الأعمال والصلاة؟

فقال له الشيخ: الذي يصلّي لينال غفران خطاياه، يجب عليه إلا

يكون مقصِرًا، لأنه إذا تخلَّى الإنسان عن مشيئته، يكون مقبولاً عند الله.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦٠٦

📖 **قال أبّا إسحق تلميذ الأب "بيس" {أو"فيس"}:**

📖 قال لي أخٌ إنّ أنبا بيمين قال: إنك ستقابل كثيرين في مشقّاتٍ، إذ يصومون ستة أيام متواصلة، أو أربعة أيام، أو يومين.

📖 وهم يعطون صدقات كثيرة، ويحبون الإخوة.

📖 ولكنك لن تجد كثيرين يحفظون التوبة في داخلهم.

📖 فسأله الأخ: ما هو القلب التائب؟

📖 فأجابه أنبا بيمين: إنه الإنسان الذي يتخلَّى عن رأيه، ويخضع للكل من أجل الرب.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦٠٦

📖 **سُئل أنبا بيمين:** ما هي التوبة؟

📖 فقال: التوبة هي الإقلاع عن الخطية، وعدم تكرار فعلها.

📖 ولهذا السبب دُعيَ الصدّيقون: "الذين لا عيب فيهم" لأنهم أقلعوا عن الخطية فصاروا أبرارًا.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦٠٦

📖 **قال أنبا بيمين:**

📖 أنا أُفضِّل إنسانًا يخطئ، ويندم ويتوب، مُقرًّا بخطئه، على إنسان يعمل الصلاح، ولا يخطئ، ولا يتوب.

📖 لأن الأول يشعر أنه خاطئ فيتضع بروحه.

📖 في حين أن الثاني يشعر أنه بار فيتكبّر.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦٠٦

📖 **قيل عن أنبا بيمين:**

📖 روى شيوخ الأسقيط أنّ شابًا حسن المنظر في الإسكندرية كان

مشوَّهًا ومقلوبًا إلى امرأة عاهرةٍ، وكان يظل جالسًا عند باب بيته مثل امرأة زانية. وبعد أيامٍ كثيرة توسل إلى رئيس الأساقفة القديس أثناسيوس قائلاً: عمِّدني لكي أصير مؤمنًا.

📖 فقال له القديس: اذهب وتوسل إلى الناس لكي يصلُّوا من أجلك.

📖 وبعد أن واظب مثابرًا على التوسل إلى الناس، توسلوا هم إلى الأب أثناسيوس أن يعمِّده.

📖 وقد سمعنا أنه لما أدخله في جرن المعمودية، استردّ الشاب أعضاءه التي كانت مقطوعة، فاستولت الدهشة على الناس كلهم.

📖 **وقال لي أحد الإخوة:**

📖 عندما روى لي أنبا بيمين هذه القصة قال لي ثلاث مرات القول الآتي: ماذا تكون الخطية أمام التوبة؟!

📖 والتوبة لها فاعلية في عدم ارتكاب الخطية فيما بعد.

📖 إلا ترى مقدار تحنن الرب؟!

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٦٠٧

📖 **قال الأب تيموثاوس الكاهن لأنبا بيمين:**

📖 توجد امرأة في مصر {منف بجوار القاهرة الآن} تعيش في الزنى، وتتصدّق بأجورها. فقال أنبا بيمين: إنها لن تستمر في خطية الزنى، لأن ثمرة الإيمان واضحة فيها.

📖 ثم حدث أنّ والدة الأب تيموثاوس الكاهن جاءت لتراه فسألها: إلا تزال تلك المرأة تعيش في الزنى؟

📖 فأجابت: نعم، وقد أكثرت من عدد عُشّاقها، ولكنها أيضاً أكثرت من صدقاتها. فأخبر الأب تيموثاوس الأب بيمين بذلك فقال أيضاً: إنها لن تستمر في الزنى.

📖 ثم جاءت والدة الأب تيموثاوس مرةً أخري وقالت له: أتعلم؟ إنّ تلك الخاطئة أرادت أن تأتي معي لكي تصلِّي عليها.

📖 فلما سمع ذلك أخبر أنبا بيمين الذي قال له: اذهب وقابلها.

📖 فلما رأته المرأة وسمعت منه كلمة الله امتلأت بالندم وقالت له وهي باكية: منذ اليوم سألتصق بالله وأصمم على عدم ارتكاب الزنى مرةً أخري. ثم إنها في الحال دخلت ديرًا وصارت مرضيةً عند الله.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦٠٧

📖 **أخبر أخٌ أنبا بيمين عن تجربةٍ شديدةٍ جاءت عليه:**

📖 فقال له: ابتعد من هنا مسافةً كبيرةً بقدر ما يمكنك، حيث تطوف لمدة ثلاثة أيام، وتقضي سنةً كاملةً تصوم فيها كل يوم حتى المساء.

📖 فقال له الأخ: وإذا مُتُّ قبل أن أتمم ذلك فماذا يحدث؟

📖 قال له الشيخ: لي ثقةٌ في المسيح أنك إذا تركتني وأنت عازمٌ أن تفعل هكذا، ثم تموت قبل أن تبدأ، فإنّ الله سيقبل توبتك.

📖 **طلب أخٌ من أنبا بيمين قائلاً:** قل لي كلمة.

📖 فقال له: "لقد وضع الآباء الندامة كبدايةٍ لكل عمل".

📖 **قال أنبا بيمين:**

📖 للندامة جانبان: فهي عمل صالح، وهي حماية جيدة.

📖 **وقال أيضاً:** "هذا الصوت يصرخ للإنسان حتى آخر نسمة".

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦٠٨

📖 **سئل أنبا بيمن** "ما هي التوبة؟"

📖 فقال: "لإقلاع عن الخطية، وألا يعاود فعلها، لأنه لذلك دعي الصديقون لا عيب فيهم، لأنهم أقلعوا عن الخطية فصاروا صديقين".

📖 **سأل أحد الأخوة الأب بيمن قائلاً:**

📖 "يا أبي، إن وقع إنسان في خطيئة ورجع، فهل يغفر الله له؟"

📖 فقال له الشيخ: "إن كان الله قد أمر الناس بأن يفعلوا هذا، أفما يفعله هو؟ نعم، بل وأكثر بما لا يقاس، إذ هو نفسه الذي أوصي بطرس بهذا عندما قال له: "إن أخطأ إلىَّ أخي سبع مرات أأغفر له؟: فقال له سيدنا المتحنن: "لا أقول لك سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٨٠

{١٢}
القديس مار أوغريس

📖 فوق كل شيء اسلك بالتواضع. كن مثالا جيدا يحتذي به الآخرين.

📖 لا ينطق فمك إلا بما هو حسن. اسجد وأنت تصلى.

📖 صلى بصوت منخفض، فيحبك الله والناس.

📖 اسمح لروح الله أن يسكن فيك، ومن أجل حب الله لك، سوف يأتي روحه القدوس ويقيم عندك مسكنا.

📖 لوكان قلبك طاهرا، ستعاين الله، ويبذر في قلبك بذاره الطيبة، لكي ما تتفكر في أعماله، وتتأمل في عظمته، وهذا بشرط أن تخلص نفسك وفكرك من الهموم، لتنمو روحك، وتقتلع منك الأشواك والعادات الرديئة {مت ١٣: ٢٢} {مر ٤: ١٨} {لو٨: ١٤}.

📖 إن الخاطئ عندما يرجع لنفسه ويترجى التوبة، يشبه إناء للطهي مملوء بالقذارة، وملطخ بالسواد، ومتى غُسل فانه يبرق ويلمع ويصير نظيفا.

📖 ويشبه أيضاً قطعة فحم أسود، التي سرعان ما تلتهب بالنار، ويتغير لونها إلى الأحمر، وتتوهج بالنور إذ ألقيت في النار.

📖 أو مثل أواني الفضة والذهب، إذ جلت عاد إليها لمعانها.

📖 الخاطئ الذي يطلب التوبة يكون مثل الخروف الضال الذي عاد لراعيه {لو١٥: ٦ - ٢٤}. لتكن فيك محبة التوبة، واخضع لنيرها.

📖 فرح قلب إلهك بتوبتك عن السيئات، واعمل الصالحات.

📖 تصالح مع خصمك أولا ما دام هناك وقت، ولم يحكم عليك أحد {لو١٢: ٥٨}، وبعدها تستطيع أن تفعل كل ما تقدر أن تفعله.

📖 قل إنك عبد بطال {لو١٧: ١} ولا تستطيع أن توفى دينك.

📖 بكت نفسك وقل أجير أنا في الأرض، فلماذا أتباطأ في عملي، لقد أخذت دعوة فلماذا لا ألحق برفاقي، وأنا عندي وزنات كثيرة متى سأردها. الطريق أمامي طويل وشاق، فمتى سأبلغ نهايته.

📖 وما الذي يلزمني من معونة، وزاد لأصل لنهاية الطريق.

📖 لقد أرسل ربى وإلهي في طلبي، ويريد حساب وكالته.

📖 فان كان على أن أجرى، فلماذا أحمل كل تلك الهموم الأرضية، التي تربطني بمحبة العالم. إن كان رفاقي يسهرون فهل أنام أنا.

📖 إن كان رفاق الطريق معي يحاربون وينتصرون، فهل أُهزم أنا؟

📖 هم حزانى يبكون، فهل أضحك أنا؟

📖 هم صامتون لا يتكلمون، فهل أتكلم أنا؟

📖 إن رفقائي في الطريق قد ثبتوا نظرهم وفكرهم نحو الملك المسيح، وبهاء ملكوته، فهل أظل أنا مربوطاً بمحبة الأشياء التي نذرت أن أتركها ورائي؟

عظة لمار أوغريس عن الصلاة - صفحة ٤ - ٥

أحذر في توبتك
من شيطان المجد الباطل

📖 إذا سلكت طريق التوبة بجدية، فتحاول الشياطين تحطيم جهاد أتعابك، فيقللون خطاياك ويكسوها بمكره، ويقولون لك " إن خطاياك قد تركت لك وغفرت " حتى تتخلى عن جهادك، ولا تفكر في

نقائصك، ولا تتنهد، ولا تبكي على زلاتك، وسوء أفعالك، فالمجاهد يقطع هذه الأفكار التي تأتي عليه، وهو دائما حامل سلاحه.
📖 فلا تنسى إنك أخطأت حتى لو إنك ثبت، بل اجعل لك من النوح، وتذكار الخطية اتضاعاً، وبهذا الاتضاع تطرح عنك الكبرياء.

📖 شيطان المجد الفارغ رديء جدا، فإنه يقفز على أتعابك ويبتلعها، وإنما الذي يطرح عنه محبة المجد الباطل بعمل الفضائل في الخفاء، فإنه اقترب لقتل هذا العدو. فاختم باب أتعابك بالصمت لئلا يقلعه اللسان، فيدخل شيطان المجد الفارغ ويسلب أتعابك.
📖 فإن صمت، فإن أتعابك تكون لك شهودا أمناء عند سعيك.
📖 وكما إنك تخفي خطاياك عن الناس، أخفى أتعابك أيضاً،
📖 فإذا كنت تخفي خطاياك بإتقان، فأتعاب الجهاد والتوبة التي صنعتها من أجل هذه الخطايا، لماذا تظهرها بقلة رأي؟!
📖 وبذلك تكون أخطأت في صنع الاثنين - الخطايا، وإظهار تعبك وجهادك ضد الخطية – يجب عليك أن تظهر أعمال الخطية، حتى يكون لك توبيخ ورذالة، التي هي خيرة لنفسك.
📖 ولا تظهر أتعابك، لئلا بمدح ومجد الناس تهلك نفسك.
📖 الله وحده الذي يعرف أخطاءك، وأعطاك نعمة لتقتني قوة جهاد للتوبة، فلماذا تظهر هذه، وتخفي تلك، ويظن الناس أن هذا هو تاج غلبتك.

📖 كل صلاح تصنعه أشكر الله لأجله، لأنه هو الذي يهب لك هذا الصلاح. ممدوح هو الإنسان الذي يربط أعمال التوبة والنسك بالفهم، ويروي النفس من هذين الينبوعين، فيزهر بالفضائل.
📖 فالفهم يضيء أعمال التوبة.
📖 والنسك يقتل الأعضاء على الأرض، التي هي الزنا، والنجاسة، والشهوة الشريرة، والخبث، والمكر، والحسد.

فالذي يريد أن ينتصر على عساكر الأعداء، فلا يحرس حواسه فقط بالتفرد، بل يقيم عقله قاضياً لأفكاره، فحينئذ يقتل الأعداء الخفيين براحة.

كتاب تعاليم مار أوغريس - صفحة ٢٩ - ٣٠



كما أن البنين يعزون الأم في الحزن، كذلك أتعاب التوبة تكون عزاء للنفس التي سقطت، ويزرعون فيها رجاء التوبة، ويبشرونها بالمسيح، ويجعلونها غريبة عن الخطية التي فعلتها.

فلا يجب علينا أن نصنع أتعاب العبادة من أجل العادة، بل نتعبد بالفهم والشكر، لئلا توجد النفس مسلوبة من هذه الحكمة.

كتاب تعاليم مار أوغريس - صفحة ٣٨



١٤٤- الى أن يتغير الإنسان تماما بالتوبة؛ فسوف يكون منتبها دائما لتذكر خطاياه بندم، ويتذكر النار الابدية التي يستحقها بعدل.

كتاب الفيلوكاليا - ايفاجريوس المتوحد - المجلد الأول - ترجمة واعداد - الراهب أغاثون الأنطوني - صفحة ٦٨

{١٣}

القديس أوغسطينوس

في طبيعة الخطيئة

الخطيئة عمل، وقول، وميل مخالفٌ للشريعة الأبدية.

والحال، فإن الشريعة الأبدية هي العقل الإلهي، والإرادة الإلهية، التي تدعو الجميع إلى احترام نظام الأشياء الطبيعي، وتنهي عن تجاوزه. وبالتالي فالخطيئة هي شرٌّ في الإنسان، وفوضى حقيقة، وبالخطيئة يميل الإنسان عن الخالق الاسمي، إلى الكائنات الدنيوية.

أعمالُ الله لك، خير كلها، إنما فيها الكبير والصغير، وفيها الروحي والزمني، ومع ذلك فكلّها صالحة، لأن صانعها صالح. ولذلك قيل في

موضع ما من الكتب الإلهية: "ورأيته فيَّ المحبة" نشيد٢:٤.

📖 لقد خلقك الله صالحاً إلى حدّ ما، ثم وضع ما هو أدني وأحط، ووضع دونك شيئاً، تعلوه لتصير أرفع من هذا، وأحط من ذاك، إياك أن تتخلي عن الاسمي، وتميل ما ليس شراً بطبيعته، إنما يسوء باستعمالك له استعمالاً سيئاً، وبمقاومتك لنظامه الطبيعي، فتنحدر من الأرفع إلى الأدنى.

📖 وفى الواقع فالبخل ليس عيباً في الذهب، إنما عيب في من يحبّ الذهب حباً رديئاً، متخلياً عن العدل، الذي هو أفضل من الذهب، في سبيل الحصول علية.

📖 وليست الدعارة عيباً في الأجسام الجميلة والأنيقة، إنما هي عيب في النفس التي تهوي إشباع ملذاتها الجسدية عن طريق الإثم، فتنبذ التعفف، والاعتدال الذي به نتعلق بالروح، كلّ جمال ممتع بشكل صالح لا يعرف الفساد إليه سبيلاً.

📖 وليس الإعجاب بالنفس عيباً في مديح الناس، إنما هو عيب في النفس الوسخة، التي تهوي تفريط الناس لها، نابذة شهادة ضميرها.

📖 وليست الكبرياء عيباً في ذوي السلطان، ولا في السلطة عينها، إنما هي عيب في النفس الشريرة، التي تريد أن تفرض سلطتها، متجاهلةً وجود سلطة شرعية أعلي منها.

📖 وبالنتيجة، فكل من يحبّ خيراً ما، حباً أثيماً، أياً كان ذاك الخير، يأثم هو ذاته، في الخير الذي يحصل عليه، ويشقي لحرمان ذاته خيراً أفضل. خفْ من الشر في نفسك. وخفْ من شهوة فيك.

📖 خفْ مما خلقتَ في نفسك، وليس لله أي شأن فيه.

📖 الرب خلقك خادماً صالحاً، وأنت خلقت، في نفسك، في قلبك، ربَّاً شريراً، فتطيع الإثم، وتخضع للربّ الذي صنعته لنفسك، لأنك تأبي

الخضوع للذي خلقك. أسمع لصوت الربّ الإله الذي يقول لك.

صوت المسيح

📖 يا بنيّ إني أكره ما هو منك، وأحبكّ أنت.
📖 أكره ما صنعت أنت، وأحب ما أنا صنعت.
📖 ومن أنت سوي ما صنعتُ، على صورتي ومثالي؟
📖 إنكَ تهمل ذاتك، وتحب أعمالك، وتهمل في ذاتك عملي، فتبتعد عني طبعاً، وتعثر وتخرج عن ذاتك.
📖 أصغ إلى كلامي: "توبوا إلى فأتوب إليكم" زكريا١:٣، فأنا لا أتغير، ولا أتخليّ عنك، إنما أصلح ببقائي ثابتاً، وغير قابل التغيير.
📖 ابتعدت أنا، لأنك ابتعدت، واتخذتني سبب عثرة، ولم أجعلك تعثر.

📖 أصغ إذاً إلى: "توبوا إلى، فأتوب إليكم"، وهذا يعني إني اتجه إليك، بعد أن ترتد إلى. إني أتعقب الهارب، وأنير وجه التأبين.
📖 إلى أين تهرب بعيداً عني، أنا الموجود في كل مكان، والذي لا يحده مكان؟ أخلّص الباحثَ عنى، وأعاقب من يهجرني،
📖 إذا هربت منى، وجدت قاضياً، الأفضل لك أن تتوب إلىّ فتجد أباً.
📖 لا تسيء التصرف بحريتك، فتخطأ حريتك، بملء إرادتك، كيلا تخطأ، لأن إرادتك تكون حرة إذا كانت صالحة.

صوت النفس

📖 لقد فاضت علىّ رحمتك يا ربّ، وعطفك علىّ كبير، لأنك افتديتنا بدمك يوم كنّا تفاهةً بسبب آثامنا. ولقد أتيت عملاً عظيماً، يوم خلقت الإنسان على صورتك ومثالك.
📖 وبما إنّا شئنا {أن نكون} خطاه، إلا نحسب شيئاً، وانتقل الموت ووزرُ الخطيئة إلينا من آبائنا، صرنا كتلة من غضب، وإثم، ومع

ذلك فقد حسنُ لديك يا رحيم، أن تفتدينا بثمن عظيم، وبذلت دمك عنا يا من ولدت وعشت ومتّ باراً.

📖 يا من افتديتنا بهذا الثمن العظيم، أنت لا تريد أن تُهلِك.
📖 أنت ما افتديتنا لكي نهلك، بل لكي نحيا.
📖 ولو ارتفعت خطايانا فوق رؤوسنا، فأنت لا ترذل الثمن الذي دفعته عنا، لأنك دفعت ثمناً باهظاً.

كتاب خواطر فيلسوف في الحياة الروحية ـ للقديس أوغسطينوس ـ صفحة ١٤١ ـ ١٤٤

في أعمال التوبة

📖 يتغذى العقل بالمطالعة، في الجسم الذي يصوم، وينتعش الإنسان الباطني بفضل هذا الدواء، ويصبح قادراً على أن يتحمّل برجولة صوم الإنسان الخارجي.
📖 ويحسن بك أنت أيها الغيور، الذي يحمل في جسدك موت السيد المصلوب، أن تكونّ لنفسك صليباً من قهرك لملذات الجسد.
📖 بيد أن هذا الصليب الذي لم يخجل منه الرسول، بل فاخر به قائلاً: "حاشا لي أن أفاخر إلا بصليب يسوع المسيح، الذي به صلب لي العالم، وأنا صُلْبتُ للعالم" غلاطية٦:١٤، وليس لأربعين يوماً بل للحياة بأسرها.

📖 صمْ الصوم الكبير، واحذر في الباقي من السنة، من أن يرزح قلبك تحت وطأة السكر، والإفراط في الحياة، ولا تتلطخ بالزنى والدعارة، ولا تأت المنكر.
📖 أما في الصوم فتنزه عن الأعمال المسموح بها، وأصرف بالصلاة الوقت الذي قد لا يكون لك من استعماله كبير فائدة. وجسدك الذي استسلم إلى العواطف اللحمية، أجعله يخرّ ساجداً في صلوات بارة.
📖 ويداك المتشابكتان في عناقات مقبولة، تنبسطان في تضرع إلى الله.

📖 وإن شمل صومُك باقي أيام السنة، فزدْ توبةً في الصوم الكبير.
📖 وإن صلبت جسدك في تلك الأيام من السنة بالتعفف المستمر، فأستمسك بإلهك من صميم فؤادك والزمهُ.

📖 وعلينا جميعاً نحن الذين ثبتنا على العهد، في سفرنا مخلصين، إن نتوق شوقاً إلى الوطن الواحد، بدافع من المحبة.
📖 إن لم تَنَلْ هبة الله فلا تَغرْ ممن نالها، ولا تهزأ به.
📖 وأعتبر خيراً لك ما تحب في أخيك من الخيرات الروحية، كما عليه إن يعتبر له الخير الذي يحبه فيك.
📖 إياك أن تسعى تظاهراً بالزهد، وإن تعدل في ملذاتك، بدلاً من أن تستأصلها، كأن تمتنع عن أكل اللحوم، وتتناول الأطعمة النادرة فتتنعم بها تحت ستار قهر الجسد.

📖 والحقّ، أن كل طعام نقي لمن كان نقياً، إنما اللذة الحسية التي تشبعها فيه، ما كانت يوماً نقية.
📖 أضفْ إلى صدقاتك، ما تحرم نفسك منه في الصوم.
📖 وأضفْ إلى صلواتك التي بها يسهل على صومك أن يسكّن غضب الله، الصدقة التي هي بمثابة جناح للتقوى.
📖 وأختبرْ كم يجب عليك أن تتباعد عن سلب الآخرين أموالهم، ساعة تشعر بأنك تغشّ، بحيث لا تتصدق على البائس بما يفضل عنك.
📖 قال السيد: "أعطوا تُعطوا، اغفروا يغفر لكم" لوقا٦:٣٧-٣٨.
📖 قم بهاتين الصدقتين عطاءً، وغفراناً، بكل نشاط ومحبة، يا من يرفع الصلوات استعطاءً للخير، واستبعاداً للعقاب.

📖 إنْ كان المزارع الذي يطلب الحصاد من مكان لم يُلقْ فيه بذاراً، يُعَدّ وقحاً، فما أعظم وقاحة الغني الذي يستجدي عطايا الله، ويرفض استجابة سؤال الفقير؟

📖 {ﷲ} من لم يشعر بالجوع يريد أن يتغذى من الفقير.
📖 فلا تحتقر في الفقير إلهك معوزاً، حتى إذا ما صرت في عوز كفاك الغني. لديك فقراء، وأنت فقير أيضاً.
📖 أعْط تأخذْ، أجل أعط ومقابل هذا العطاء الزهيد المنظور والأرضي، ماذا تنتظر؟ "ما لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولا خطر على قلب بشر" ١كو٢:٩.

📖 أدخرْ للسماء ما تحُرمُ منه نفسك، عائشاً في مزيد من التقتير.
📖 وليأخذ المسيح الجائع ما حرمتَ نفَسك في الصوم.
📖 إنَّ الحرمان الاختياري غذاء المحتاج.
📖 والمسكنة الاختيارية للعائش في بحبوحة، بحبوحة لازمة للمسكين.
📖 على النفس الهادئة الوضيعة، أن تتسلح بالرفق في سهولة الصفح.
📖 أطلب الصفح إن أتيت شراً، لئلا يستعبدك إبليس الذي ينتصر في تنابذ المسيحيين.

📖 في الصدقة التي بها تترك لأخيك دينة، لكي يترك لك الرب دينك، منفعة لك كبيرة. لقد أوصي المعلّم الإلهي تلاميذه بهذا العمل الصالح المزدوج قائلاً: "اغفروا يغفر لكم، وأعطوا تعطوا".
📖 تذكرَّ ذلك العبد الذي ترك له سيده دينه كلّه، وأبي هو أن يرحم رفيقاً له استدان منه مائه دينار، برغم أن دائنة قد ترك له عشرة آلاف. لا عذر له البتة في الامتناع عن هذا العمل الصالح، حيث الإرادة وحدها تعطي القدرة على العمل.
📖 بإمكانك أن تقول: لا أستطيع أن أصوم لألم في معدتي.
📖 أو أريد أن أعطي الفقراء، إنما لست أملك شيئاً.
📖 أومهما يكن زهيداً ما سوف أعطيه، فإني أخشى إن أصاب بالعوز بسببه. وبرغم إنكَ تعطي في أغلب الأحيان أعذاراً على هذه الأعمال، كاذبة، لأنك لا تجد لها أعذاراً حقيقة.

📖 فلا يمكنك أن تقول: أني لن أصفح عمّن يتوسل إلى، لأن صحتي لا تسمح لي بذلك. أو لأن ليس لي يد أمّدها إليه.

📖 أغفر يغفر، ولا حاجة لك هنا إلى أي شيء مادي، ولست تحتاج إلى عضو في جسدك.

📖 إتماماً لما تسأل، قمْ به ولا تخفْ، أعط وكن مطمئناً.

📖 فلن تتألم منه في جسدك، ولن يشحّ رزقك في بيتك.

📖 لاحظْ الآن الشرّ الذي تعمله حين لا تغفر لأخيك التائب، وقد طلُبَ منك أن تشمل محبتك عدّوك، وتأمل إن كان يحق لك أن تترك الأمور على حالها، مع أنه قد كتب: "لا تغرب الشمس على غضبكم" أفسس٤:٢٦.

📖 وتأملْ إن كان يحق لك أن تدْعي مسيحياً، مع إنكَ تصوم، حين تأبي أن تضع حداً لعداوات لا يحق لك أن تقبل بها.

عواطف وصلوات

📖 ربّ ساعدني أيها الرحيم، أن أرجو التغلب بالصوم والصلاة على العالم وتجاربه، والشيطان ومكايدة، والبشر ونشاطهم، والجسد ومغرياته، والأزمنة واضطراباتها، وعلى سائر الضيقات الجسدية والروحية.

📖 نشطّ عقلي بالصوم، وذكرني من جديد بالخلاص الذي وفرته لي رحمةً بي، في صومك وصلاتك من أجلى.

📖 وهل من رحمة أعظم من تلك التي أظهرتها لي أنا المسكين، حين نزلت من السماء يا خالق السماء، وجعت يا خبزاً سماوياً حقاً، وعطشت يا مروي العطاش، وضعفت أيها القوة، وجرحت أيها الكمال، ومتَّ أيها الحياة.

📖 وهل أعجب من رحمة تُقنعُ الخالق بأن يولدَ، والسيد بأن يخدم،

والفادي بأن يباع، والرافع بأن يهُان، والباعث من الموت بأن يقتَل؟
📖 لقد تصدَّقت عليّ يوم أمرتني بأن أعطي الجائع خبزاً، يا من سبقت فسلمت نفسك عني إلى جلاديك، إشباعاً لجوعي.
📖 أمرتني بقرى المسافر، وجئتَ إلى بيتك حباً بي، فلم تقبلك خاصتك.
📖 باركتك نفسي، يا من تغفر جميع الزلات، وتشفي سائر الأمراض، تفدي حياتي من الفساد، وتكللها برأفة منك ورحمة، وتشبع جوعي من خيراتك.



📖 عليّ أن أصوم، وأسحق نفسي حين أراك يا من علّمت التواضع، وانسحقت وأطعت حتى موت الصليب، وعليَّ أن أقتدي بصليبك مسمراً بمسامير العفة شهواتي المروَّضة.
📖 وعليَّ أن أعاقب جسدي واستعبده، لئلا أنقاد في ركاب لحم طاغ إلى المحرمات. وعليَّ أن أروضه فأحرمه بعض ما يجوز، وفي هذا كله عليَّ أن أكون مضطرماً في عبادتي، كابحاً لجماح كبريائي.
كتاب خواطر فيلسوف في الحياة الروحية ـ للقديس أوغسطينوس ـ صفحة ١٧٠ ـ ١٧٣



ثمار التوبة

📖 عليك في هذه الحياة إن تميت بالروح كلَّ يوم، تصرفات الجسد، ضبطاً وقهراً، وإفناءً، ذاك ما يجب أن تهتم به، وتسعي إليه.
📖 يتطلع الله إليك في جهدك هذا، فأطلب مساعدته حين تتألم.
📖 وإن لم يساعدك، فلستُ أقول إنكَ تنتصر، بل لن تستطيع أن تجاهد.
📖 إن كنت حقاً للمسيح تلميذاً، فأصلب جسدك مع شهواته وميوله.
📖 في الواقع عليك أن تظلّ فوق هذا الصليب حياتك كلها، لأنه لا مجال لنزع المسامير في هذه الحياة، التي قيل عنها في المزمور: "اللهم ثبت جسدي بالمسامير في مخافتك" مزمور١١٨:١٣٠.
📖 للجسد ميول لحمية، والمسامير وصايا عدله.



🕮 مخافة الرب التي رفعتك على الصليب، وجعلتك قرباناً مقبولاً لديه، قد ثبَّتت الجسد بالمسامير.

🕮 أصلب الإنسان العتيق لا بالقصوف، والسكر، والمضاجع، والعهر، والخصام، والحسد، بل ألبس الرب يسوع، ولا تهتم بجسدك لقضاء شهواته" رومية١٣:١٣-١٤. وعلى هذا النحو عشْ دوماً ها هنا، وإن لم ترد أن تغوص في وحل الأرض، فلا تنزل عن الصليب.

🕮 أراك أحياناً تقرع صدرك، فأطرد منه الخطيئة، لأن من قرع صدره وارتكب الخطيئة عينها، عَملَ حتماً على ترسيخ الخطيئة الخفية بضربة ظاهرة. أصنع ندامة، أي ثر على ذاتك بسبب خطاياك الماضية، وكفّ عن ارتكاب خطايا جديدة.

🕮 أصنعْ ندامة، أي ثر على ذاتك طال ما أنت معافى، لأنك إن صنعت ندامة حقيقة وحلَّ الأجل فسوف تتصالح سريعاً.

🕮 إن فعلت هكذا كنت بلا خوف، وتطمئن، لأنك ندمت في زمن كان يسعك أن تخطأ فيه. أما إذا شئت أن تصنع ندامة حين يستحيل عليك أن تخطأ، فلستَ أنت بالمتخلي عن الخطيئة، بل هي التي تخلت عنك. لقد خبرنا أن الكثيرين ماتوا وهم يترقبون ساعة المصالحة.

🕮 التوبة عن خطاياك تصيرك أفضل مما كنت فيه حقاً.

🕮 ولكن لا فائدة من توبة إلا إذا قمت بأعمال رحمة.

🕮 أصغ: "يا أولاد الأفاعي من علَّمكم أن تهربوا من الغضب الآتي، إلا أثمروا ثمراً جديراً بالتوبة، فكل شجرة لا تثمر ثمراً طيباً تقطع وتلقي في النار" لوقا٣:٧،٩

🕮 إذا لم تثمر تلك الثمار الطيبة، فباطلاً تفكّر بالحصول على مغفرة خطاياك بتوبة عقيمة. ما هي تلك الثمار؟ اسمع يوحنا: "ومن كان لديه ثوبان فليقسمهما بينه وبين من لا ثوب له، ومن كان لديه طعام فليعمل كذلك"

📖 هل تريد كلاماً أكثر وضوحاً وصراحة وتأكيداً من هذا الكلام؟
📖 وهل هو مخالف لما قال آنفاً: "فكل شجرة لا تثمر ثمراً طيباً تقطع وتلقي في النار" وهل هو مخالف لقضائه على الذين هم عن الشمال: "اذهبوا إلى نار الأبد، لأني جعت ولم تطعموني" متى٢٥:٣٥.
📖 قليل على الإنسان أن يبتعد عن الخطيئة، إذا أهمل الخطايا السالفة، وفقاً لما كتب: "يا بني إن خطئت فلا تزد على خطاياك، ولا تظنن نفسك في حمى من الخطيئة متى اتخذت هذا الموقف، والنبي يقول: "استغفر عمّا سلف من الخطأ ليترك لك" بن سيراخ٢١:١.
📖 وأيَّ نفع لك من الاستغفار، إذا لم تستعد لأن يُستجاب لك بفضل ثمارك الجديرة بالتوبة، إن كنت نظير شجرة عقيمة قطعتَ وألقيتَ في النار؟

📖 وإن شئت أن تستجاب صلاتك فاغفر، يغفر لك، وأعطِ تُعطَ.
📖 إنكَ تطالع في الكتب المقدسة إن: "الماء يطفئ النار الملتهبة، والصدقة تكّفر الخطايا" ابن سيرخ٣:٣٣
📖 وطالع أيضاً: "خبّئ الصدقة في قلب الفقير، وهي تتوسل إلى الرب من أجلك" كما وأنك تقرأ أيضاً: "أيها الملك فلتحسن مشورتي لديك، وافتد خطاياك بالصدقة" دانيال٤:٢٤.

📖 وهناك دروس أخري كثيرة في كلام الرب، تبين لنا قدرة الصدقة على إطفاء الآثام ومحوها، وبالتالي فإنه تعالي يرسل الناس إلى الهلاك، أو المجد بنسبة ما يكونون قد تصدقوا به، أم لا.
📖 وكأني به يقول لهؤلاء: "إنه لمن الصعب علىَّ إن أنا امتحنتكم ومحصتكم، وتفحصت ملياً أعمالكم، إلا أجد فيكم ما أدينكم به، لكن، اذهبوا إلى ملكوتي، لأني جعت وأطعمتموني، أنكم تذهبون إلى ملكوتي لا لأنكم لم تخطأوا، بل لأنكم افتديتم خطاياكم بصدقاتكم".

📖 ثم يتوجه إلى الآخرين قائلاً لهم: "اذهبوا إلى نار الأبد المعدّة للشيطان وملائكته".

📖 وإذ يعرفون أنفسهم خطاة يرتعدون، متأملين في خطاياهم، لكن، بعد فوات الأوان، وهل يجرؤون أن يقولوا إنهم يدانون ظلماً، حين يسمعون الحكم الصادر عليهم من فم ديان عادل؟

📖 وحين يشعرون بوخز ضمائرهم، ويرون كل ما في نفوسهم من جراح، أيجرؤون أن يقولوا: لقد حوكمنا ظلماً؟

📖 سوف يدركون، ولا ريب، إنهم شجبوا بعدل، بسبب ذنوبهم وآثامهم، بيد أن القاضي سوف يقول لهم "كلا. كلا لا تظنوا إنكم تدانون على هذه الخطايا. بل لأني جعتُ ولم تطعموني".

📖 لم ملتم عن خطاياكم وتبتم إلى وافتديتم جميع آثامكم بالصدقات لكنتم تحررتم بها، ونجوتم بواسطتها من تهمة خطاياكم الفظيعة، لأنه قيل: "طوبى للرحماء فإنهم يرحمون"٥:٧، "والآن اذهبوا إلى نار الأبد لأن الدينونة بلا رحمة تكون على من لا يصنع رحمة" يعقوب.

عواطف وصلوات

📖 أنت، أيها الرب، حارس لثرواتي.

📖 تدّخر لي في السماء ما أعطيك على الأرض.

📖 لو إنكَ قلت لي أعطني مالك لأدخره لك في السماء لما أحجمت عن ذلك، يارب، لكنك تقول لي في الوقت الحاضر: أعط الفقراء.

📖 أنا أعلم أن الذي يأخذ {الصدقة} منى، ليس ذاك {الفقير} الذي أري يده، بل أنت يا {رب}، من أمرتني بالعطاء.

📖 أنتَ لا تمنعني عن الدين بفائدة، يا من تحثني على انتظار مواعيدك. وإني أعطيك بيد الفقير الجدير بالاستفادة من مالي.

أنا أعطيتك الأرض، وأنت تعطيني السماء.

قبلت هبات مني زمنية، لترد لي هبات منك أبدية.

أخذت مني الخبز، لتعطيني الحياة.

قبلت ضيافتي لتعطيني بيتاً.

وعدتُ المرضى، فستمنحني الخلاص.

وزرتُ المسجونين، فستهبني الحرية.

الخبز الذي أعطيته الفقراء نفد، أما ذاك الخبز الذي سوف تعطينيه فلن ينفد إلى الأبد.

أنتَ عالم بأني لا أستغفرك حباً بخيرات هذا العالم، الزائلة، الفانية، المتبددة كالدخان، إنما أتوسلَّ إليك إتماماً لكل بر وقداسة، وقمعاً لكل شهوة وليس إرضاء للجسد. تلك هي صلواتي إليك، يارب، ساعدني في هذا الجهاد الباطني لكي أبلغ المجد بعد الانتصار.

كتاب خواطر فيلسوف في الحياة الروحية ـ للقديس أوغسطينوس ـ صفحة ١٧٤ ـ ١٧٧



الفصل الأول: في غفران الذنوب

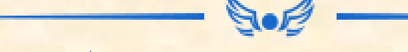
أيها المفكر بالمسيح، الراغب في الحصول على ما وعد به أيا كنت، لا تتهاون في حفظ وصاياه، لقد وعدك بالحياة الأبدية، وأوصاك بأن تسامح أخاك.

وكأني به يقول لك "يا إنسان أغفر للبشر لكي أغفر لك أنا الله" إلا تريد أن تأخذ من الرب إلهك، ما يأمرك بأن تمنحه أخاك؟

إذا لم ترده فلا تعط. قل لي، ولكن، كيف تسأل الغفران لنفسك، إن رفضتَ أن تعطي الغير ما تريده لنفسك؟ وأن أتجاسر فأقول: إن لم يكن لك ما تطلب المسامحة عليه فلا تسامح، وإن لم يحق لي أن أنطلق بهذا الكلام فاغفر، حتى ولو لم تكن لك خطيئة. أياً كنت، فأنت إنسان. إن كنت باراً، علمانياً، أم راهباً، أو إكليريكياً، أم أسقفاً، أم رسولاً، فأنت إنسان.

🕮 اسمع الآن كلام الرسول القائل: "إذ قلت إن ليس فيك خطيئة خدعت نفسك، وليست الحقيقة فيك"، أما إذا اعترفت بخطاياك، فإن الذي يسامحك وينقيك من كل إثم آمين. هو وبار.

🕮 أنه ينقي حين يسامح، وليس كمن لا يجحد ما يستحق العقاب، بل يسامح ما يجد، وبالتالي فإن كنت قد خطئت فسامح من يتوسلون، ولا تحتفظ في قلبك بعداوات ضد واحد، بقدر ما تبقي عليها بقدر ذلك تفسد قلبك. أريدك غافراً كما أجدك مستغفراً.



🕮 الناس يتوسلون إليك، فسامح، سوف تتوسل ويغفر لك.

🕮 ها قد حان وقت الصلاة، فانسجم مع الألفاظ التي تقولها.

🕮 ستقول: "أبانا الذي في السماوات"، وعليه فلن تكون في مصاف الأبناء إن لم تقل: أبانا ـ كمل ـ "ليتقدس اسمك"، ثم "ليأت ملكوتك"، وأردف قائلاً: "لتكن مشيئتك كما في السماء ـ كذلك على الأرض" وانتبه إلى ما سوف تضيف: "أعطنا اليوم خبزنا اليومي". أين ثرواتك وأنت تستعطي؟

🕮 كملّ: "أغفر لنا ذنوبنا". ها قد وصلت إلى هذه الكلمات، فبأي حق وبموجب أي اتفاق تطالب بذلك.

🕮 "كما نغفر لمن خطئ إلينا": إن كنت لا تغفر فهذا أمر بسيط، لكنك تكذب على الله. الشرط قائم، والشريعة موضوعة، "أغفر كما أنا أغفر"، وعليه، فلا مغفرة لك إن لم تغفر أنت.

🕮 "أغفر كما أنا أغفر" أنت تريد أن يغفر لك ذاك الذي تتوسل إليه، فاغفر أنت لمن يتوسل إليك.

🕮 إن المشترع السماوي قد أملي كلماته، فأسأل وفقاً للغة السماء.

🕮 "أغفر لنا كما نغفر" وأعمل بموجب ما تقول.

🕮 إن من يكذب في الصلاة يخسر نعمة، فيخسر قضيته، ويلقي عقاباً.

🕮 إن الذي أملي عليك هذه الصلوات هو محام لك: إن كان شاهداً

عليك، وإن لم تصلحْ ذاتك كان لك قاضياً، وبالتالي: قلْ وأعملْ.

📖 إن لم تقل ذلك، وطلبت ما لا يحق لك، فلستَ تنال مطلوبك.
📖 لكن، إن قلت ولم تعمل، فسوف تحاكمَ عن الكذب.
📖 أغفر لكي تنال الغفران الذي تطلبه، وتمحي خطاياك.
📖 إن أردت أن تأخذ شيئاً فأعطِ.
📖 وإن أردت أن يغفر لك فاغفر ـ ذاك هو موجز قصير.
📖 إن أهنتَ أخاك فلا تقلْ: وأي شرّ فظيع أتيت؟ لقد خطئت ضد إنسان. لا تتهاون بخطيئتك هذه التي ارتكبتها ضد إنسان.
📖 أتريد أن تعرف إنكَ هلكتَ بسبب خطيئتك هذه ضد إنسان؟ أصغ إلى صوت ربك.

صوت المسيح

📖 إن قلت لأخيك "يا أحمق" استحققت نار جهنم" متى٥:١١
📖 ولأنكم أصبحتم كلكم لي أعضاء، فحين تخطأ ضد أخيك تخطأ ضدي، وكيف لا تخطأ ضدي حين تخطأ ضد أحد أعضائي؟
📖 لا تقل "هذا شر خفيف يشفي بسرعة"، خطئت ضد أخيك، فأعمل ما يجب تشفَ. لقد أتيت بسرعة إثماً مميتاً، ووجدت له العلاج فوراً.
📖 "إذا قدمت قربانك إلى المذبح وذكرت أن لأخيك عليك شيئاً فدع قربانك أمام المذبح" متى٥/٢٢.

📖 أنا لا اغضب لتأخرك في تقديم قربانك، أنا أريدك أنت، لا قربانك.
📖 لقد هلكت، فماذا تقرّب. أتقرب قربانك وأنت لم تعد لي؟
📖 إني أبحث عمّن اشتريته بدمي، لا عمّا اجده في اهرائك.
📖 وعليه دع قربانك أمام المذبح، وأذهب فصالح أخاك.

صوت النفس

📖 ربّ، من ذا الذي ليس مديناً لك بشيء سوي من لا تجد فيه أدني خطيئة؟ ومن ذا الذي لا يدين لأخيه بشيء سوي ذاك الذي لم يخطأ ضده أحد؟ ولذلك فقد رسمت لي بعدلك أنا المدين لك، خطةً، وفرضت عليّ أنا أرعاها مع أخي.

📖 لقد رسمت في إنجيلك بإيجاز شريعتها "أغفر يغفر لكم، أعطوا تعطوا" لوقا٦/٣٧. ها أني أصلي وأريد أن تغفر لي الإثم الذي اقترفته، وأنت تريد أن أغتنم الفرصة لكي أغفر للغير.

📖 المستعطي يسألني، وأنا منك أستعطي.

📖 أنا واقف على باب ربّ العائلة، أو بالأحرى راكع عليه أتوسل، أني أبكي سائلاً شيئاً ما، وأنت هو موضوع رغبتي.

📖 الفقير يسألني خبزاً، وأنا هل أسألك سوي ذاتك أيها القائل: "أنا الخبز الحيّ النازل من السماء؟" يوحنا٦:٥١.

📖 أريد المسامحة وسأسامح. سوف أغفر لكي يغفر لي.

📖 أريد أن آخذ، فسأَعطي لكي اعطا.

كتاب خواطر فيلسوف في الحياة الروحية ـ الكتاب الخامس ـ صفحة ٢٥٦ ـ ٢٥٩

{١٤}

القديس مار إفرام

📖 يا إخوتي تأملوا معي، وليكن لكم تحنن ورفات، فإنه ما قال الكتاب الإلهي باطلاً: "أن الأخ الذي يعينه أخوه يكون كمدينة حصينة شاهقة، لأنه يقدر كاقتدار المملكة المتوطدة".

📖 ويقول أيضاً: "ليعترف بعضكم لبعض بالخطايا، وليصلى بعضكم لبعض لتشفوا". اقبلوا أيها المختارون من الله وسيلة ممن عاهد أن يرضى الله فكذب على خالقه، لكيما بطلبتكم أنجوا من الخطايا المطفية بي فأصير معافى، وأنْهض من سرير الخطية المفسدة، فإني

منذ طفولتي صرت إناءً طالحاً ومرفوضاً، والآن إذ أسمع بالدينونة أتَهاون.

📖 بما أن لي خطايا وجرائم تفوق العظم، وأعظ آخرين أن يبتعدوا من الأشياء التي لا تنفع، وتلك الأشياء تكمل منى مضاعفة.

📖 ويلي في أي يأس قد وقعت. ويلي في أي خزى قد حصلت.

📖 ويلي لأن باطني ليس كظاهري. فلهذا إن لم تشرق علىَّ رأفات الله سريعاً، فليس لي من أعمالي، ولا رجاء واحد للخلاص.

📖 لأنني أتكلم على الطهارة، وأتفكر في الفجور.

📖 أنشئ أقوالاً على عدم التألم، وفىَّ موجود الهذيذ في الآلام النجسة ليلاً ونَهاراً، فأي اعتذار لي. ويلي أي فحص قد أستعد لي بالحقيقة، أن زي الديانة الحسنة موضوع علىَّ، وليس فىَّ قوتِها.

📖 بأي وجه أتقدم إلى الرب الإله العارف مكتومات قلبي، وأنا مديون بمثل هذه المساوئ. وأجزع أن أقوم في الصلاة لئلا تنحدر علىَّ من السماء نار فتبديني، لأنه إن كان الذين قَدموا في البرية ناراً غريبة، خرجت من الرب ناراً فأحرقتهم، فماذا انتظر أنا، ومثل مقدار هذه الذنوب موضوع علىَّ؟ فماذا هل أقطع رجائي من خلاصي؟ حاشا، لأن هذا هو الذي يحرص عليه المضاد.

📖 انه إذا أنحضر أحد إلى اليأس، حينئذ يقبض عليه هو.

📖 فأنا لا أيأس من نفسي، لأنني أثق برأفات الله، وبتوسلاتكم، فلا تفتروا إذا من التضرع إلى المتعطف، لكي يعتق قلبي من عبودية الآلام المحتقرة. فقد عمىَّ قلبي، واستحال فكرى المتدين حسناً، وأظلم ذهني فرجعت، وصرت مثل الكلب العائد إلى قيئه.

📖 فليس ذهني نقياً، ولا دموع لي في صلاتي. إن تنهدت نشف ماء وجهي، من الخزي أقرع صدري فهو خزانة الآلام.

📖 لك المجد أيها المحتمل. لك المجد أيها المتمهل.
📖 لك المجد أيها المتأني على البشر.
📖 لك المجد أيها المتعطف على الناس.
📖 لك المجد أيها الصالح. لك السبح أيها الحكيم وحدك.
📖 لك المجد أيها المحسن على النفوس والأبدان.
📖 لك المجد أيها المشرق شمسه على الأشرار والأبرار، والممطر على الصديقين والظُلاَّم.

📖 لك المجد أيها المغذى كافة الأمم، وكل الطبيعة البشرية مثل إنسان.
📖 لك المجد أيها المغذى طيور السماء، والوحوش، والدواب، والبرايا المائية مثل عصفورٍ حقير. لأن كافة البرايا تنتظر لتعطيها قوتَها في أوانه، لأن عظيمة قدرتك ورأفاتك مسبوغة على سائر أعمالك.
📖 فلهذا يارب أطلب إلا تطرحني مع القائلين يارب يارب ولا يعملون مشيئتك، بشفاعة كافة الذين أرضوك، لأنك أنت تعرف الآلام المكتومة فيَّ، وأنت خبير عالم بجراحات نفسي، أشفينني يارب فأبرأ. جاهدوا يا إخوة معي بالصلوات طالبين رأفات خيرية الله.
📖 ونفسي التي تمرمرت من الخطايا، حلوها من الكرمة المحقة التي غصونِها هي لكم.

📖 اعطوا العطشان من ينبوع الحياة، الذي قد أُهلتم لخدمته.
📖 أنيروا قلبي يا من صرتم أبناء النور.
📖 أرشدوني أنا الضال إلى طريق الحياة، يا من ثبتم فيها.
📖 أدخلوني في الباب الملكي كما يُدخل السيد عبده، يا من قد صرتم للملك وارثين، فإن قلبي قد انسكب.
📖 فلتدركني بتوسلاتكم رأفات الله، قبل أن أُجتذب مع عاملي الإثم، فهناك تنكشف سائر الأفعال في الظلمة، وفى الجهر، فأي شيء يدركني إذا رآني مديونا. أين الذين يقولون الآن أنني بلا عيب، قد

خليت الصناعة الروحانية، وخضعت للآلام.

🕮 لا أريد أن أتعلم، وأشاء أن أُعلِّم.
🕮 لا أريد أن أُطِيع، وأشاء أن أُطَاع.
🕮 لا أختار أن أتعب، وأُريد أن أُتعِب.
🕮 لا أشاء أن اعمل، وأشاء أن أشجع على العمل.
🕮 لا أشاء أن أُكرِم، وأشاء أن أُكرَم.
🕮 لستُ أشاء أن أُعيَّر، وأشاء أن أعيِّر.
🕮 لا أريد أن أُحتقَر، وأشاء أن أحتَقِر.
🕮 لا أريد أن يتكبر عليَّ أحد، وأشاء أن أتكبر.
🕮 لا أختار أن أُوَبَخ، وأشاء أن أوَبِخ.
🕮 لا أريد أن أَرحَم، وأشاء أن أُرحَم.
🕮 لا أشاء أن أُنتَهر، وأريد أن أَنتَهِر.
🕮 لا أريد أن أُظلَم، وأشاء أن أَظلِم.
🕮 لا أختار أن أُضَر، وأشاء أن أُضِر.
🕮 لا أريد أن أُغتاب، وأشاء أن أَغتاب.
🕮 لا أشاء أن أَسمع، وأريد أن أُسمع.
🕮 لا أشاء أن أُمَجِّد وأريد أن أُمَجَد.
🕮 لا أشاء أن أُمسَك وأريد أن أُمسِّك.
🕮 حكيماً في الوعظ، لكنى لستُ في العمل حكيماً.
🕮 أقول ما يجب أن يُعمل، وأعمل ما لا ينبغي أن يقال.

🕮 من ذا لا يبكي عليَّ، أبكوا عليَّ أيها الأبرار والصديقون، أنا المضبوط بالآلام. أبكوا أيها المحبون النور، والباغضون الظلمة، على المحب لأعمال الظلمة، لا لأفعال النور.
🕮 أيها المٌختبرونَ، أبكوا على المنفى غير المُختبِر.
🕮 أيها الرحومون أبكوا على غير الرحوم، والمفرط.

📖 أيها الصائرون فوق كل مذمة، أبكوا على الغريق في الآثام.
📖 أيها المحبون الخير، والمبغوضون للشر، أبكوا على المحب للأفعال الخبيثة، والمبغض للأعمال الصالحة.

📖 أيها المتمسكون بالسيرة ذات الفضيلة، أبكوا على الذي ترك العالم بالذي فقط. أيها المرضيون لله، أبكوا على المرضي للناس.
📖 أيها المقتنون المحبة التامة، أبكوا على أنا الذي أحب قريبي بالأقوال، وابغضه بالأفعال.
📖 أيها المهتمون بأنفسكم، أبكوا على المهتم بالأشياء الغريبة.
📖 أيها المقتنون للصبر، والمثمرون لله، أبكوا على غير الصبور، والعادم الثمر. أيها المشتاقون إلى الأدب والتعليم، أبكوا على الفاقد الأدب، والمرفوض. أيها المتقدمون إلى الله بلا خجل، أبكوا عليَّ أنا غير المستحق أن أتفرس، وأبصر علو السماء.
📖 أيها المقتنون وداعة موسى، أبكوا عليَّ أنا الذي أضعتها باختياري.
📖 أيها المقتنون عفة يوسف، أبكوا عليَّ أنا الذي دفعتها وطرحتها.
📖 أيها المحبون مسلك دانيال، أبكوا عليَّ أنا الذي عدمتها باختياري.
📖 يا من اقتنوا صبر أيوب، أبكوا عليَّ أنا الذي صار غريباً منه.
📖 يا من اقتنيتم مثل الرسل في عدم اقتنائهم عدم القنية، أبكوا عليَّ أنا المبتعد منها بعيداً.

📖 أيها المؤمنون والراسخ قلبهم في الرب، أبكوا على الضعيف النفس والجبان. أيها المحبون للنوح، والرافضون للضحك، أبكوا على المحب للضحك، والمبغض للنوح.
📖 يا من حفظتم هيكل الله بلا دنس، أبكوا عليَّ أنا الذي قد دنسته ووسخته. يا من يتذكرون الفراق، والطريق التي لا عفو منها، أبكوا على الغير ذاكر، ولا مستعد لهذا السفر.
📖 يا من تصورت في عقولهم الدينونة التي بعد الموت، أبكوا على

المعترف بذكرها، والفاعل ضدها.
📖 يا وارثى ملكوت السماوات، أبكوا على وارث جهنم النار.
📖 ويلي أنا الذي لم تترك فيَّ الخطية عضواً صحيحاً، أو حاسة لم تفسدها، وأنا لا هم لي والموت على الأبواب قد وقف، وأنا لا هم لي.

📖 يا إخوتي هاأنذا قد كشفت لكم كلوم نفسي، فلا تتوانوا فيَّ أنا المتألم، لكن اطلبوا من الطبيب في أمر السقيم.
📖 إلى الراعي من أجل الخروف. إلى الملك من أجل الأسير.
📖 إلى الحياة من أجل المائت.
📖 لأنال الخلاص الذي بيسوع المسيح ربنا من الخطايا المتعلقة بي، ويرسل نعمته، ويؤيد نفسي التي تزلق بسرعة.
📖 فإني مستعد لمقاومة الآلام، وحين ملاحمتي إياها تحل رداءة حيلة الثعبان باللذة نفسي، وتقيدني مأسوراً، وانشط أن أجذب المحترق، فتطرأ عليَّ حرارة النار فتجذبني إلى وسط لهيبها.
📖 اطفر إلى استخلاص الغريق، ومن عدم التدريب أغرق معه.
📖 اشتهى أن أصير طبيباً للآلام، وأنا نفسي مضبوط بها، وعوض المداواة، أجرح من المريض.

📖 أنا لم أزل أعمى، وأروم أن أرشد العميان.
📖 فلذلك أنا محتاج إلى صلوات كثيرة، حتى اعرف قدري ولكى تظللني نعمة المسيح، وتضئ قلبي المظلم.
📖 وتسكن فيَّ عوض الجهالة معرفة إلهية، لأنه لا يصعب على الله كل كلمة. هو منح شعبه في البحر الذي لا يُسلك مسلكاً.
📖 هو أمطر لهم المن، ومن البحر أرسل لهم سلوى كرمل البحر.
📖 هو منح العطاش ماء من صخرة صلبة.
📖 وهو وحده خلص بصلاحه الواقع بين اللصوص.
📖 وبتحنن صلاحه يخلصني أنا الواقع في الخطايا، المغلوب مثل

مكبل بسوء الرأي. فليست لي دالة لدى فاحص القلوب والكلى، ولا يستطيع أحد أن يشفى وجع نفسي، إلا هو العالم أعماق القلب.

📖 كم من مرة وضعت في ذاتي حدوداً، وابتنيت حيطاناً بيني وبين الخطية المخالفة للشريعة، وبين المعاندين، الذين يخطرون من النتائج المضادة لخواطر للحرب.

📖 فعبر ذهني التخوم، وهدم الحيطان، لأن التخوم لم تكن لها قوة صائنة بخشية، ممن هو أفضل من الكل، والحيطان لم تأسس على التوبة الخالصة. فلذلك اقرع الآن ليفتح لي، وألبس طالباً لأنال المطلوب، كمن لا خجل له اطلب أن أُرحم يارب.

📖 أنت أيها المخلص قد وهبت لي خيريتك، وأنا كافأتَها بالمساوئ.

📖 تمهل على أنا الجافي، فلست أسأل عفواً عن كلمات باطلة، بل إنما اطلب من خيريتك صفحاً عن أعمالي التي لا بر فيها.

📖 يارب جددني من كل فعل خبيث، قبل أن يدركني الموت، حتى أجد في ساعة الوفاة نعمة أمامك، لأن ليس في الهاوية من يشكرك.

📖 يارب خلص نفسي من المخافة المنتظرة، وبيض حلتي المتسخة من أجل رأفاتك وصلاحك، لكي إذا سربلتني بالبياض أنا غير المستحق، أؤهل لملكوت سماواتك.

📖 وإذا حصلت في السرور الذي لا ينقرض أقول: المجد لمن أستخلص نفساً مغمومة من فم السبع، وجعلها في جنة النعيم.

📖 لأن لك المجد أيها الإله الكلى القداسة. آمين.

كتاب مقالات مار إفرام السرياني ـ المقالة الثانية توبيخ لذاته ـ صفحة ٧ ـ ١١

في الحض على التوبة

📖 تعالوا يا أحبائي، هلموا يا آبائي وإخوتي، يا رعية الآب المنتخبة، يا جند المسيح الموسومين، تعالوا فاسمعوا قولاً يخص نفوسكم،

هلموا فلنتجر ما دام الموسم واقفاً، تعالوا فلنجد حياة أبدية، هلموا فلنتبع خلاص نفوسنا.
🕮 املئوا أعينكم دموعاً، ففي الحين تنفتح أعين ذهنكم.
🕮 تعالوا كلنا أجمع الأغنياء والفقراء، الرؤساء والمرؤوسين، الشيوخ مع الشبان، الأبناء والبنات، وكل البنين المريدين أن ينجوا من العذاب الخالد، ويصيروا لملكوت السماوات وارثين.

🕮 فلنتضرع مع داود النبي إلى الرب الرحوم، المتعطف على الناس قائلين: "اكشف حجاب عيني، فأتأمل من ناموسك عجائب، أنر عيني لئلا أتضجع للوفاة " ولنهتف كما هتف الأعمى: "يا ابن الإله ارحمني" فإن منعنا قوم وانتهرونا لنصمت، فلنصرخ نحوه أكثر، ولا نضجر من الصراخ إلى أن يفتح يسوع المعطى النور أعين قلوبنا.
🕮 تقدموا إلى المسيح، اقتربوا منه، واستضيئوا فلا تخزى وجوهكم، واتخذوا فكراً سديداً، وشوقاً إلى الملك، والفردوس.
🕮 تَهاونوا بأمور هذا الدهر. اجتهدوا في هذه الساعة الحادية عشر.
🕮 حاضروا لئلا يغلق الباب دونكم، فقد قرب المساء الذي يأتي فيه المعطى الأجر، بمجد جزيل، ليعطى كل أحد نظير أعماله.
🕮 ولنتب يا إخوتي ما دام لنا وقت، فقد سمعتم ماذا يقول المسيح: "إن فرحاً يصير في السماء بخاطئ واحد يتوب".

🕮 أيها الخاطئ لم تتوانى، لمَ تيئس؟ إن كان يصير في السماء فرح إذا تبت، فممن تخاف؟ إن الملائكة يفرحون، وأنت تتوانى.
🕮 رئيس الملائكة هو الكارز بالتوبة، وأنت تَهرب.
🕮 الثالوث الطاهر والمسجود له، يستدعيك وأنت تتنهد.
🕮 لا يحل لنا {الانشغال بـ} اهتمام العالم، لئلا تمررنا النار الخالدة، والدود الذي لا يرقد.
🕮 فلنبكي ههنا قليلاً، لئلا نبكى هناك إذا عُذِبنا بكاءً أبدياً.

📖 احذروا إلا يتوانى أحدكم، فإن ورود المسيح يصير بغتة كبرق، أما ترهبون؟ إن في تلك الساعة ينال كل أحد نظير أعماله، كل أحد يحمل وسقه، كل أحد يحصد ما زرع، كلنا نقف عراة أمام عرش المسيح، وكل واحد منا يعطى القاضي جواباً.

📖 في تلك الساعة لا يقدر أحداً أن يغيث أحداً، لا الأخ أخاه، ولا الوالدين أبنائهم، ولا الأولاد آبائهم، ولا الأصدقاء خلانِهم، ولا رجل قرينته، لكن كل واحد يقف بخوف ورعب، منتظراً أن يسمع القضية من الله. فلِمَ نضجع فيما بعد، ولا نستعد؟

📖 لماذا لا نَهتم بحجج الاعتذار ما دام لنا وقت؟

📖 ولِمَ نتهاون بالكتب المقدسة، وبكلمات المسيح؟

📖 هل تظنون أن أقواله، وأقوال القديسين لا تديننا في ذلك اليوم، بحضرة المقام المرهب، إن لم نعمل، ونحفظ كل ما أوصتنا.

📖 قد سمعتم ماذا يقول الرب للتلاميذ: "من يسمع منكم يسمع منى، ومن يخالفكم إياي، يخالف أبى".

📖 وفى فصل آخر يقول أيضاً: "من يخالفني ولا يسمع أقوالي أنا لا أدينه، لكن له من يدينه، القول الذي قلته ذاك يدينه في اليوم الأخير".

📖 ترى أي قول مزمع أن يديننا في ذلك اليوم الأخير!، هو إنجيله المقدس، وباقي كتب الأنبياء، والرسل المقدسة.

📖 فلهذا اطلب إليكم يا إخوتي إلا تتهاونوا بالمكتوبات، إن السماء والأرض تزولان، وأما أقوال المسيح فلا تتغير.

📖 هلموا يا إخوتي قبل مجيء ذلك اليوم الرهيب، فلنلقى أنفسنا في لجة رأفات الله، فهو الإله، فيتقدم ويأمر، ويستدعينا كلنا قائلاً: "تعالوا إلى يا كافة المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم".

📖 فالمحب للناس، والمحتمل البشر يستدعى في كل وقت الجميع.

📖 المتحنن، والمتمهل، الذي يريد أن جميع الناس يخلصون، لم يأمر باستدعاء المختصين به فقط، بل يستدعيٍ الكل. "تعالوا إلى كلكم".
📖 وإن كنت موسراً، أو مقفراً، فإن المقبل إلى لا أخرجه خارجاً.
📖 من هو المقبل إلى؟ الذي عنده وصاياي، ويقبلها ويحفظها.
📖 الذي يسمع قولي، ويؤمن بمن أرسلني.

📖 مغبوط من يسمع قوله ويحفظه، وشقي من يخالفه، فإن ذلك القول يدينه في اليوم الأخير، كما كتب مرهوب هو الوقوع في يد الله الحي. تب أيها الأخ ولا تجبن.
📖 تب أيها الخاطئ واثقاً، وناظراً إلى تعطف المسيح الذي لا يحصى القائل: "ما جئت لأدعو صديقين فقط بل خطاة إلى التوبة".
📖 تب لئلا تخجل أمام المقام المرهب، حيث تقف بخوف، حيث ألوف وربوات ملائكة ورؤساء ملائكة، حين تصير الأشياء المكتومة ظاهرة. حين تفتح الكتب، حين يفرز البعض من بعض كما يفرز الغنم عن الجداء.
📖 بالحقيقة أنَها ساعة مرهبة ومجزعة، لأن الحاكم عادل، مرهوب مذهل. من ذا لا يخلف!، من لا يجزع من تلك الساعة!

📖 لأن القاضي قوى الاقتدار، ومجلس القضاء غير مستشفع، وأعمالنا تكون منتصبة أمام أعيننا، ونَهر النار قبالة الموقف، وتسبيح الملائكة مع الصديقين بلا صمت، ونحيب الخطاة غير محتمل، والدموع غير نافعة، حينئذ تنفتح الكنوز، والصديقون يتمتعون.
📖 مغبوطون الذين عطشوا وجاعوا، فإنَهم هناك سيشبعون، وويل للشباعى فإنَهم هناك يجوعون ويعطشون، والطوبى للذين افتقروا وبكوا، فإنَهم هناك يضحكون ويُعَزون. وويل للذين يضحكون الآن، فإنَهم هناك ينوحون ويبكون بلا فتور، والطوبى للذين رحموا فإنَهم هناك سيرحمون، والويل للذين لا رحمه لهم.

📖 لقد سمعتم كيف يطوب المجاهدين، وكيف يعطى الويل للمتوانين، فإذ لنا مثل هذه كلها فلنحرص أن نخلص، ولا نبصر إلى المتوانين والمتنعمين، فإنَهم كالحشيش يجفون سريعاً. لا نحب هذا الدهر فأنه يعرقل الذين يحبونه، يطرب مقدار ساعة ويرسل الإنسان إلى ذات العذاب عارياً.

📖 اسمع وأصغ إلى الكتب الإلهية، فلا تتعرقل ولا تنخدع من هذا العالم الخبيث، اسمع هذا يقول يوحنا المتكلم في اللاهوت "لا تحبوا العالم، ولا شيئاً مما فيه، فإن سائر الأشياء التي في العالم هي شهوة الجسد، وشهوة العيون، والعالم يعبر، ومن يعمل مشيئة الله يبقى إلى الأبد". اسمع الرب يقول: "ماذا ينفع الإنسان إن ربح العالم كله وخسر نفسه".

📖 أصغَ باهتمام إلى كلامه فإن القول الذي قال وعلم به ذاك، يديننا في اليوم الأخير، أترى الرب كاذباً؟ حاشا! لأنه هو الحق، فإن كنت تعرف بمبالغة أنه هو الحق، وأن أقواله غير كاذبة، فلِمَ تتوانى يا شقي؟ ماذا تتوقع؟ ـ ماذا تفتكر؟ ـ من يعتذر عنك؟

📖 أما عرفت أن كل أحد يعطى عن نفسه لله جواباً؟

📖 أما عرفت أن كل أحد يحصد ما زرع؟ وكل أحد يحمل أثقاله؟

📖 فإذ لك وقت فبدد ثقل خطاياك، فإن الإله العطوف على الناس يستدعيك قائلاً: "تعالوا يا معشر الموقرين". فإذ يأمر الكل بِهذا فلا ييئس أحد، ولا يجترئ أحد أن يقول: "أنني ما أخطأت".

📖 فإن من يقول إنني ما أخطأت فذلك أعمى ومكفوف، وأشقى كافة الناس، لأن يوحنا الإنجيلي يقول: "إن قلنا إن لا خطيئة لنا نكذب ولا نعمل الحق، ونخادع أنفسنا ونجعل الله كاذباً"، لأن ليس أحد نقياً من خطية. فماذا إذاً، إن الحاجة ماسة إلى الدموع لنغسل خطايانا، قائلين

مرتلين مع داود النبي: "اغسلني فأبيض أكثر من الثلج".

📖 وأيضاً: "أحم في كل ليلة سريري وأبل فراشي بعبراتي".

📖 وذلك إنما أخطأ ليلة واحدة، فبكى كل ليلة، فلذلك أستوضح مغبوطاً لأن النبي سبق فأبصر بمبالغة القائل: "الطوبى للذين ينوحون".

📖 لا تشتهى شيئاً من أشياء هذا العالم الزائل، أبغض الثياب الناعمة، والزينات، والوشاءَ، أمقت تلوينات الأصباغ، التصفف، التزين، التبختر، الأغاني الشيطانية، والمعازف، والصفارات، وتصفيقات الأيدي، والأصوات الغير مرتبة الوحشية.

📖 أولاً تعلم يا شقي أن هذه كلها بذور الشيطان، هذه كلها يعملها أمم العالم الذين لا رجاء خلاص لهم، فلا نماثلن الأمم لئلا ندان معهم.

📖 قد سمعتم الرسول يقول: هذا أقوله واستشهد بالرب، إلا تسلكوا أيضاً كما تسلك الأمم بإغترار عقلهم المظلم ذهنهم.

📖 فإذ قد تركنا أعمال الأمم فلا نعود إلى الأشياء التي وراء، أي التي قد سلفت ونعملها أيضاً، قد جحدت دفعة الشيطان وملائكته، ووافقت المسيح بحضرة شهود كثيرين.

📖 فانظر لمن قد وافقت وعاهدت، ولا تستهين به.

📖 في يوم الدينونة يُحضِر الملائكة كتاب الوثيقة التي عليك، وكلمات فمك أمام المقام المرهب، حيث يقف الملائكة مرتعدين، وحينئذ تسمع الصوت المويِّل: "أيها العبد الخبيث من فمك أدينك بالحقيقة".

📖 أنك تتنهد حينئذ تنهداً مراً، وتبكي في تلك الساعة ولن ينفعك شيء، ارحم نفسك ولا تبغض مهجتك.

📖 افتح عينيك وأبصر، كيف أن قوماً كثيرين يجاهدون.

📖 كيف يحرصون أن يخلصوا.

📖 كيف يكلفون ذواتِهم في كل عمل صالح.

📖 كيف يحفظون ذاتَهم من الحسد، من القرف، من البغض، من

الضحك، من الزنا، من التنعم، من الخصومة.

كيف قد أحبوا الطريق الضيق صائمين ساهرين، ملازمين الشقاء، وباكين، كيف قد أعدوا مصابيحهم بَهية.

كيف يسبح فمهم كل حين، ويمجد الختن الذي لا يموت.

وعيونَهم متأملة جماله ونفوسهم مبتهجة.

تأمل وانظر أنه قد قرب ولا يبطئ، لأنه يجئ ليفرِّح الذين يُحبونه.

يأتي ليعزى الذين ناحوا وبكوا، لا على المائت، ولا على خسران المال الوقتي، بل من أجل الخطية السهل افتعالها، ومن أجل الملكوت الذي لا نَهاية له.

ومن أجل نعيم الفردوس المطرب، الذي أُخرجنا منه لما خالفنا وصية الله، حيث يعود إليه أيضاً النائحون والباكون.

يجئ ليكلل الذين جاهدوا بمفترض الجهاد؟

الذين أحبوا الطريقة الضيقة الضاغطة. يأتي ليرحم الرحومين.

يجئ ليطوب الذين تمسكنوا من أجله.

يأتي ليشبع الذين جاعوا من أجله، وعطشوا من الخيرات.

يجئ لينير مكتومات الظلمة، ويظهر آراء القلوب.

ولِمَ لا أقول قولاً وجيزاً، يجئ ليعطى كل أحد نظير أعماله.

يجئ لا من الأرض كما جاء في المرة الأولى، لكن من السماوات بقوة ومجد كثير. حينئذ تُضرب الأبواق فتتزعزع قوات السماء، وترتعد الأرض كلها كالبحر من قِبَل مجده، ويجرى أمامه نَهر نار ينظف الأرض من المآثم. حينئذ يصير بغتة صوت.

ها الختن يجئ. ها السرور المنتظر يوافى.

وها فخر الصديقين. شمس العدل مقبل، هل ملك المتملكين، وارد الذي لا انقضاء لملكه. ها القاضي العادل آتى الآن اخرجوا لاستقباله سريعاً. وحينئذٍ يوافى الذين لهم مصابيح مضيئة، وحلتهم منيرة،

فيسمعون صوت الختن قائلاً: "تعالوا يا مباركي أبى رثوا الملك المعد لكم من قبل إنشاء العالم".

📖 فلما يصير هذا الصراخ مسموعاً من الكل، يخرج إلى استقباله الذين لهم مصابيح مضيئة بَهية، بدالة جزيلة مبتهجين، واثقين أن مصابيحهم لا تنطفئ.

📖 حينئذ إذا رأيت ذاتك في غم عظيم، في خيبة رديئة، وشدة غير محتملة، وإذا عاينت مصباحك انطفأ تقول بخزي وخجل: "يا إخوتي أقرضوني زيتاً قليلاً، فقد انطفأ مصباحي".

📖 فيجيبونك قائلين: "لعله لا يكفينا وإياك لكن أذهب إلى الذين يبيعون وأشترى لك". فتمضى بخزي وتوجع وتنهد مر باكياً، فلا تجد ألبته زيتاً تشتريه، لأنه قد أنحل موسم الحياة، وكل حياتَهم ترتعد كالبحر.

📖 قد انصرف الفقراء الجالسون حول أبواب الكنائس، الذين يبيعون الزيت هناك، فتضيق بك الأمور من كل جهة، وتتحير باكياً منتحباً، قائلاً: "أَمضى أقرع باب المسيح، لكن من يعرف إن كان يفتح لي".

📖 فإذا جئت تقرع يجاوبك الختن من داخل: "حقاً أقول لك لستُ أعرفك، أنصرف عنى يا عامل الإثم، ما رَحمت فلا تُرحم، ما سمعت صوت الفقراء، ولا أنا اسمع صوتك".

📖 كنت تسمع كتبي المقدسة وتضحك، فلهذا لا اسمح لك أن تدخل.

📖 نبذت أوامر أنبيائي ورسلي، فلهذا القول الذي قلته ذاك يدينك في هذا اليوم الأخير، انصرف عنى.

📖 لم تقبل الباب الضيق، خضبت بشرتك، وقتلت نفسك، وكيف تريد أن تدخل ههنا وتدنس مملكتي. دنست بشرتك، وأوعبت فمك قرفاً وسلباً، وعملت مشيئات الشيطان، وطرحت مشيئتي، وأبغضت قريبك، والآن تتضرع أن تدخل إلى حيث لم تُرسِل شيئاً، حيث ليس لك شيئاً موضوع.

📖 لا دموع، ولا بكاء، ولا صوم، ولا سهر، ولا تسبيح، ولا بتولية، ولا صبر، ولا صدقة، ولا شيئاً من هذه تقدمت وأرسلتها إلى هنا، فماذا تطلب؟ هذا مسكن إنما يسكنه الذين تمسكنوا من أجلى.

📖 هذه المملكة للرحومين. هذا الفرح للنائحين.

📖 هذا السرور للنادمين والتائبين. هذه النياحة للصائمين والساهرين.

📖 هذه الحياة لليتامى والأرامل. ههنا يفرح الذين جاعوا وعطشوا فرحاً مؤبداً، فأنت قد أخذت خيراتك في حياتك، أنصرف عنى إلى النار الأبدية.

📖 هذه تسمعها واقفاً خازياً، ومطرقاً إلى أسفل، وفى حين وقوفك يأتي إلى أذنك صوت الفرح والابتهاج وتعرف صوت كل واحد من رفقائك، فحينئذٍ تتنهد تنهداً مراً قائلاً: "ويلي أنا الشقي، كيف عدمت هذا المجد، وتميزت عن رفقتي، كنتُ معهم طول أيام حياتي والآن انفصلت عنهم، بالحقيقة أصابني هذا عن استحقاق".

📖 كان أولئك يمسكون عن الأغذية وغيرها، وأنا كنت أبادر إلى الأغذية والأعشية. كان أولئك يرتلون، وأنا صامت.

📖 كان أولئك يصلون، وأنا أتنزه.

📖 كان أولئك يضعون ذاتَهم، وأنا أتكبر.

📖 كان أولئك يستهينون بذاتِهم، وأنا أتزين.

📖 كانوا يبكون، وأنا أضحك.

📖 فلهذا الآن أولئك يبتهجون، وأنا أنتحب.

📖 أولئك يسرون، وأنا أبكى.

📖 يتملك أولئك مع المسيح إلى الدهور التي لا تنتهي، وأنا أُرْسَّل مع معاند المسيح إلى النار الخالدة.

📖 الويل لي أنا الشقي. ما هو الذي أنا أدخل اليه؟

📖 كم خيرات قد عدمتها لكيما أعمل مشيئة الشيطان زمناً يسيراً.

📖 الآن علمت أن كل أحد يأخذ نظير أعماله.
📖 الآن علمت أن العالم غرر بي واعتقلني.
📖 وها كم من خيرات عدمتها نفسي، وكم شرور جلبتها على ذاتي.
📖 هذه ونظائرها تقولها منتحباً، لكنك لا تنتفع بِها، لأن هناك لا منفعة من التوبة والندامة.

📖 فمن أجل هذا تُناشدنا وتُوصينا الكتب المقدسة، كتب الرسل، والأنبياء، والقديسين، أن الحظوظ الصالحة التي أعدها الله للذين أحبوه، ما رأتْها عين، ولا سمعتها أذن، ولا خطرت على بال إنسان.
📖 فقد سمعت أيضاً الرب يقول: لا "تخافوا من الذين يقتلون الجسد".
📖 وفى فصل آخر يقول أيضاً: "الطوبى للمطرودين من أجلى".
📖 ولهذا يقول الرسول: "لا تنخدعوا فإن الله لا ينخدع، الشيء الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد، فمن يزرع في الجسد يحصد بلاءً، ومن يزرع في الروح يحصد من الروح حياة خالدة، لأن الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج".

📖 أصغوا يا إخوتي وتذكروا المكتوب فقد قال: "خرج الزارع ليزرع زرعه". فمن هو الذي خرج وزرع؟ هوربنا يسوع المسيح سيد المنزل الخطير. ماذا زرع؟ قول البشارة، وصاياه المقدسة.
📖 أين زرعها؟ وفى أية أرض؟ في قلوب الناس، في كافة أقاصي الأرض. لكن الكل لم يسمعوا الإنجيل، ولا كلهم يعملون فلاحات، لكي ما وقع زرع الرب يعمل ثمراً، لكنهم في أرض بور، وذات شوك وخديعة. يقبلون قول الإنجيل، وإذ هم متصرفون في أمور العالم، وثروته، ولذاته، يختنقون ولا يعطون ثمراً.
📖 فأنتم يا أحبائي قوّموا قلوبكم، ومهدوها لقبول بشارة الإنجيل، ولا يخنق قلوبكم اهتمام العالم الكثير، فلنسعي من أجل الحاجة، لا من أجل التنعم، ولنرضى بالقوت الكافي.

📖 إن لازمتم التنعم والاستكثار، فسيكون تعبكم كثيراً، وجريكم لا يقف أصلاً، وغمكم لا ينتهي، وعيشكم كثير الاهتمام.

📖 يا إخوتي إن الحاجة إلى شيء واحد كما قال الرب، وهذه الأشياء يجب أن نصنعها في جزء من همنا، من أجل اضطرار الجسد، وتلك الفضائل يجب أن نصنعها بلا فتور، من أجل خلاص النفس، لأن ليس شيء أعلى قدراً من النفس.

📖 فمن أجلها يا إخوتي فلنحاضر، ونَهتم، ونستعد كل يوم، ولا نفنِ كل زماننا في الاهتمام بالجسد، لكن إذا جاع الجسم وطلب طعاماً، فتذكر أنت أن النفس أيضاً لها حاجتها.

📖 وكما أن الجسد إن لم يستعمل خبزاً لا يستطيع أن يعيش، كذلك النفس إن لم تتغذى بالحكمة الروحانية، فهي مائته، لأن الإنسان مركب من نفس وجسد.

📖 فلذلك قال المخلص: "أنه ليس بالخبز يعيش الإنسان فقط".

📖 فأنت إذاً كقهرمان نجيب، أعطِ النفس أغذية النفس، وأمنح الجسد أغذية الجسد، ولا تطعم جسدك وحده، وتترك نفسك مقفرة مائتة بالجوع، ولا تدع نفسك تموت لكن غذيها بالأقوال، بالمزامير، بالتسابيح، بالترانيم الروحانية، بقراءَة الكتب الإلهية، بالأصوام، بالأسهار، بالعبرات، بالرجاء، والدراسة في الخيرات المستأنفة.

📖 هذه ونظائرها هي طعام النفس وحياتَها.

📖 احذروا يا إخوتي أن يوجد أحدكم غير مثمر، من يزرع للجسد تمتع بالعالم، تنعماً، الأعشية والأغذية، من جسده يحصد بكاءً.

📖 ومن يزرع للروح صلاة، وسهراً، وصوماً من الروح يحصد حياةً أبديةً. تأملوا وأبصروا إن المتنعمين لا يمدحهم أحداً أصلاً، ولا المتنزهين، ولا الضاحكين لأن هذه تصنعها الأمم.

📖 أما الشريعة التي لنا فهي هذه: "مغبوطون المساكين بالروح، الطوبى للنائحين، الطوبى للرحومين، الطوبى للمطرودين، الطوبى للمعيَّرين، الطوبى للأنقياء القلب، الطوبى للمتمسكين بالحِمية".

📖 الطوبى للذين حفظوا المعمودية طاهرة، الطوبى للذين يزهدون في هذا العالم من أجل المسيح، مغبوطة أجسام البتوليين، الطوبى للذين لهم نساء وكأن ليس لهم، الطوبى للمتيقظين والمصلين.

📖 الطوبى للذين يقدمون نظرهم للوارد ليدين الأحياء والأموات، الطوبى للذين يبكون في صلواتَهم، هذه الفرائض المستقيمة هي أمانتهم الإلهية

📖 فأي كتاب يطوب الذين يصفرون، ويعزفون، أو الذين يضحكون، أو الذين يتنعمون، أو السكيرين، والمعربدين، أو الذين يرقصون، والمحبين للعالم. هذه الأشياء التي في العالم لم تأمرنا بِها شريعتنا، ولم تُشِر إليها، هذه لم يُعَلم بِها ربنا.

📖 يقول أيضاً النبي: "الويل للذين يقولون إن الرديء جيد، والجيد ردىء، والجاعلين النور ظلمة، والظلمة نوراً، الجاعلين الحلو مراً، والمر حلواً، الويل للذين يذكون المنافق من أجل الهدايا، وينتزعون حق الصديق".

📖 الويل للذين يقومون بالغداة ويطلبون المسكر، ويلبسون فيه إلى المساء، فإن الخمر تحرقهم، لأنَهم بالمعازف، والدفوف، والصفارات، يشربون النبيذ، ولا يشاهدون أعمال الله، ولا يتأملون صنائع يديه، وهذه ونظائرها للمحبين العالم، والناس الوادين للجسد لا المحبين للمسيح.

📖 أتشاء أن تسمع أوصاف يسيرة من التي المحبين للمسيح، والسالكين في الطريق الضيق، اسمع الرسول قائلاً: "في كل شيء نُظهر ذواتنا كما يليق بخدام المسيح، بصبر كثير، بغموم، بشدائد، بضيقات،

بجراحـــات، بحبـــوس، باضـــطرابات، بأتعـــاب، بأســـهار، بأصـــوام، وتوابعها".

🕮 والرب يقول أيضاً: "قوموا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة".
🕮 ماذا يجب أن نعمل يا إخوتي؟ ها قد سمعتم كيف يطوب السالكين فـي الطريـق الضـيق، وكيف يعطـي الويـل للسـائرين فـي الطريـق العريض الواسع، المؤدي إلى الهلاك.
🕮 فلنتعب زماناً يسيراً لنملك إلى الأبد.
🕮 وليكن بإزاء أعيننا كل حين الوارد ليدين الأحياء والأموات.
🕮 ونتـذكر دائمـاً الحيـاة الخالـدة، والملكـوت الـذي لا مـوت فيـه، والتصرف مع الملائكة، والعيشة مع المسيح.
🕮 فلنتذكر أن ليس في العـالم شـيء سـوى دمـوع، وتعييـراً، ومثالـب، وتوانٍ، وأتعاب، وأمراض، وشيخوخة، وخطايـا، ومـوت، فـلا تحـب العالم، أحذر لئلا يطربك العالم، ويعرقلك، ويرسلك عارياً إلـى ذلـك الدهر، تذكر القائل: "صلوا بلا فتور".

🕮 لا تسر بزهزهة العالم، ليكن المزمور كل وقت في فمك، فإن الرب نفسه يعظ به، ويعزى نفوسنا، ومهما فعلنا وهفونـا بـه، مـا دام لنـا أو إن التوبة فلنداوه بالعبرات.
🕮 وقت التوبة قليـل، وملكـوت السـماوات لا نَهايـة لـه، ونحـن نطـوب القديسين، ونتوق إلى إكليلهم، ولا نشاء أن نشابه جهادهم.
🕮 هل تظنون أنَهم كُللوا بغير أتعاب وأحزان كما نشاء نحن!

🕮 أتشاء أن تسمع أي نياحة كانت للقديسين فـي هـذا العـالم، بعضـهم ضُـربت أعنـاقهم، آخـرون ذاقـوا تجربـة استهزاء، وسـياط، وقيـود، وحبوس، رجموا، ونشروا، وماتوا بقتل السيف، طـافوا بجلـود غـنم، وبجلود المعزى، معوزين، مغمومين، مذلين، قوم لم يستحقهم العـالم،

تائهين في البراري، والجبال، والغائر، ومثاقب الأرض".

📖 ها قد سمعتم جزءاً من كثير من نعم القديسين ونياحهم في هذا العالم، وكأنَهم في سرور احتملوا جميع هذه ونظائرها، إذ كانوا يقدمون نظرهم إلى الخيرات المحفوظة في السماوات، التي لم تراها عين، ولم تسمع بِها أذن، ولم تختر على قلب إنسان، التي أعدها اللـه للذين يحبونه. إن أخذت اسم اللـه، تطرد الشياطين. تحرك يدك للعمل، ليرتل لسانك، ويصلى عقلك إن شئت أن تنجو من العذاب.

📖 لا تقرف أحداً قط، الويل لمن لا شريعة له، لأنه إذا استضاء الكل يُظلم هو. الويل للمفتري فإن لسانه سيعقد، فكيف يعتذر لدى الحاكم؟ لا يستطيع ذلك. الويل للمتكبر، فإن ثروته تَهرب، والنار تقبله.

📖 الويل للمتواني، فإنه سيطلب الزمان الذي أضاعه بؤساً، وإذا طلبه لا يجده. الويل لمحب الزنا، فإنه قد وسخ الحلة العروسية، وسيخرج بخزي من العرس الملكي.

📖 الويل للثلاب، ومعه المستكبر، فإنَهما سيرتبان مع القتلة، ويعذبان مع الزناة. الويل لمن يتنعم زماناً قليلاً، فإنه سَيُطلب كالخروف للذبح.

📖 الويل للمرائي فإن الراعي يجحده، والذئب يخطفه.

📖 الطوبى لمن سلك الطريقة الضيقة، فإنه سيدخل إلى السماء لابس الإكليل. الطوبى لمن سيرته عالية، وعقله متضع، فإنه تشبه بالمسيح، فسيجلس معه. مغبوط من قد صنع بالفقراء إحساناً كبيراً، فإنه إذا حُوكِمَ سيجد كثيرين ينتصرون له.

📖 الطوبى لمن يكلف ذاته في كل شيء، فإن المقتسرين يخطفون ملكوت السماوات. فلنكلف ذاتنا يا أحبائي في كل عمل صالح، ولنعزي ذاتنا ولنعظها، لينير الواحد نفس الآخر، كما أنكم تعملون ذلك في كل وقت.

📖 إن كنتم تعملون عملاً، أوكنتم تسلكون، أوعلى الغذاء، أوعلى

مضاجعكم، أوفى عمل آخر اهتموا في كل وقت من أجل الدينونة، وبإتيان الحاكم العادل.

📖 وتذكروا في قلوبكم هذا، وليقل بعضكم لبعض. ترى كيف تلك الظلمة البرانية؟ ترى كيف هي النار التي لا تطفأ، والدود الذي لا يرقد؟ ترى كيف هو صرير الأسنان؟

📖 هذه فليخاطب بِها بعضكم بعضاً كل حين ليلاً ونَهاراً.

📖 وأين يجرى النهر النارى، وينظف الأرض من آثامها؟

📖 كيف تدرج السماء كالدرج؟

📖 وكيف تنتشر النجوم كورق التينة؟

📖 كيف تفنى الشمس والقمر؟

📖 كيف تنشق السماوات بأمر السيد؟

📖 كيف يبرز القاضي من السماء وينحدر؟

📖 كيف تضطرب قوات السماوات وتحاضر؟

📖 كيف يستعد العرس الرهيب؟

📖 كيف تتكاثر أصوات الأبواق؟

📖 كيف تنفتح القبور؟

📖 كيف تنقض الأحداث؟

📖 كيف ينهض الراقدون منذ الدهر، كمن يقوم من نوم؟

📖 كيف تتحاضر النفوس إلى الأبدان؟

📖 كيف يتبادر القديسون إلى الاستقبال؟

📖 كيف يؤهل المستعدون إلى الدخول؟

📖 كيف تغلق دون المتوانين.

📖 هذه إذا دُرِست تفيد عادة حسنة، هذه إذا اهتم بِها ليلاً ونَهاراً تقتني أمراً نفيساً، لأن من يتذكر الموت دائماً لا يخطئ كثيراً.

📖 لا نحاضر طول حياتنا من أجل البطن، ومن أجل الملابس، فهذه

إنما يصنعها الأمم الذين ليس لهم أمل في الحياة الأبدية، فلا نماثلهم بل نسمع الرب يقول: "اطلبوا أولاً ملكوت السماوات وبره، وهذه كلها تزاد لكم".

📖 فلنطلب يا إخوتي ذلك الملكوت الذي لا نَهاية له، ولا انقضاء.

📖 فلنطلب ذلك الفرح المؤدى إلى الدهور التي لا تنتهي.

📖 لنبتهل يا أحبائي بوجع قلب، وبدموع، وتنهد، إلا نخيب من سماع ذلك الصوت المغبوط، ولنمتنع من التنعم هنا لنستفيد هناك، فرح الفردوس، ونعيمه. ولنبكِ هنا قليلاً لنضحك هناك. ولنجع لنشبع هناك. ولندخل من الباب الضيق، والطريق الصعب، لنتخطر هناك في الطريق العريض الواسع.

📖 وأقول أيضاً: احذروا أن يعرقلكم العالم، ويلعب بكم، ويرسلكم إلى ذلك الدهر عراه أشقياء، فإنه قد عرقل كثيرين ولعب بكثيرين، وكثيرون أعمتهم خديعة هذا العالم، فنحن يا إخوتي فلنصغ إلى ذاتنا، ولنسمع الرب قائلاً: "تعالوا ورائي".

📖 فلنترك كل شيء ونتبعه وحده، ولننبذ كل فرح هذا العالم، فإنه سيخزى كل من يحبه، فلنسرع نحن أن نتخذ الحياة الأبدية، ومجاورة الملائكة، والتصرف مع المسيح. فإن له المجد والاقتدار مع الآب والابن والروح القدس إلى أبد الدهور. آمين..

كتاب مقالات مار إفرام السرياني ـ المقالة الرابعة في الحض على التوبة ـ صفحة ١٦ ـ ٢٥

حث على التوبة

📖 يا إخوتي أنا منذهل، ومجروح بالحزن من أجل النبي القائل: "انظروا أيها المتهاونون وأعجبوا".

📖 فأولاً: أتحير من أجل ذاتي خاصة، من قبل جهلي وعدم أدبي، لأنني صرت طُرقاً لكل ألم، ولكل خطيئة، والعدو ربط فيَّ كل عضو، فينبغي لي أن أنتحب وأبكي على ذاتي، من أجل الخزي

الحاصل فيَّ.
🕮 لأنـي اهـتم بالأشـياء التـي للآخـرين، وكـان سـبيلي أن أنتـزع أولاً الخشبة التي في عيني، ثم أعاين القذى الذي في عين أخي.
🕮 إلا أن التهـاون الصـائر الآن فـيّ يرمينـي فـي الحـزن جـداً، لأننـي أبصر التواني المشتملة علينا الآن، ولا يمكنني أن أحتمل بـل أتوجـع نظير القائل: "رأيت الذين لا ذهن لهم فذبت".
🕮 لأن أية آلة لم ينصب لنا المعاند.
🕮 أو أية صناعة كثيرة أنواعها، لم يمسكنا بِها.

🕮 ويلي من لا يبكي على الأهواء المتشبثة بنا، أصـغوا إلـى المقـولات فـإنني أتضـرع إلـيكم أنـتم الـذين اختـرتم هـذه السـيرة، أن تصـغوا وتفرقوا رعباً. لأننا قد لبسنا زي الملائكة، ونحن نناجي المحال.
🕮 إن الإسكيم ملائكي، والسيرة عالمية.
🕮 أَترى الملائكة في السماوات يسيرون بالمحك والغيـرة، كمـا نشـاهد الآن فينا، لأنه قد تأصل فينا الحسد، والغيرة، والوقيعة.

🕮 لأن المحال المكار قد نضح سمه بحال مختلفـة فـي كـل واحـد منـا، وبصناعته يعرقلنا.
🕮 فواحد قد قوم الصوم، وقد مُسِك بالغيرة والحسد.
🕮 وآخر قد مسك ذاته من الشهوة الشنعاء، وقُيد تقييداً بالسبح الباطل.
🕮 آخر قد قوم السهر، وقد أقتنص بالوقيعة.
🕮 آخر قد ابعد الوقيعة، وامتلأ من عدم الخضوع والمجاوبة.
🕮 آخر قد مسك ذاته عن الأغذية، وغرق بالصلف والتيه.
🕮 آخر يواظب على الصلوات، وينغلب من الغضب والغيظ.
🕮 آخر قد قوم شيئاً يسيراً، وهو مترفع على المتوانين.
🕮 وآخر قد قيدته الرذيلة، ولـيس مـن يفهـم، مـن أجـل هـذا يوجـد فـي العبادة مماحكات وانشقاقات.



🕮 ويلي من لا يتنهد، من لا ينوح على ضعف هذه السيرة الملائكية، لأننا قد تركنا العالم، ونحن نعقل معقولات العالم.

🕮 طرحنا القنيان، ولا نكف ولا نستقر من الخصومات.

🕮 تركنا المنازل، ونذوب بالاهتمام بِها كل يوم.

🕮 ليس لنا غنى، والكبرياء لا نتركها.

🕮 أهملنا التزويج، ولا ننتقل من الطغيان الباطل.

🕮 من داخل نتواضع، وبالنفس نلتمس الكرامات.

🕮 عادمين القنية بالظن، ومضبوطين باحتشاد المال.

🕮 عادمين القنية بالكلام، ومرتبطين بالذهن بمحبة الاقتناء.

🕮 من لا ينوح على زهدنا، وعلى ونيتنا.

🕮 من يبصر ولا يعجب من صنائع العُباد، ولا سيما المبتدئين والشباب، لأنَهم ما زهدوا بالقول، ويتصلفون.

🕮 وما خاطبوا أحداً بالإسكيم، ويتعظمون.

🕮 ما سمعوا التعليم، ويعظون.

🕮 لم يبصروا الدهاليز، ويتصورون الأشياء التي داخل.

🕮 لم يرتقوا الدرج، ويطيرون نظير السحب.

🕮 بالسواء لم يذوقوا النسك، ويتدرعون بالسبح الباطل.

🕮 لم يسمعوا صوت الآذان، ويربون.

🕮 لم يجتمعوا بالرفقة الأخوية، ويتسيدون متمولين.

🕮 لم يدخلوا أبواب الدير، وقد صاروا يظنون ويذمون ويقطبون، فلا أفني الوقت لأن صنائعهم كثيرة.

🕮 وليس من يفهم، ولا من يزهد من أجل الله، ليبذل ذاته بالطاعة عبداً لأخوته، لكن إن أنتهر، يجاوب بمعاني من الخطابة.

🕮 وإذا أطاع، يشكك ذاته، ولا يغاير العزم الصالح.

🕮 ويرتب ذاته في الأشياء التي لا تنفع.

📖 ليس لـه ثلاثـة أيـام منـذ زهـده فـي العـالم، ويخاصـم مـن شـاخ فـي الإسكيم. إذ لا يريدون أن يطيعوا، يخترعون لذاتَهم صنائع.
📖 إذ لا يحتملون حرارة الجسد، ويتهم ويعادي بعضهم بعضاً.
📖 ما دخلوا تحت النير، وينتهرون، ويأمرون، ويسخطون.
📖 أعمل هذا أيها الأخ، فيقول: لا أعمله إن لم يجئ فلان.
📖 فلان متشاغل بدراسة الكتب، فسبيلي أنا أن أثابر عليها.
📖 ولعله قبل زهده كان يعيش عيشة الفعلة، ولم يعرف فـي قـديم أمـره ما هي يمناه ويسراه، وفى حال مجيئه إلى الدير قد ظهـر محبـاً للعلم ومترجماً. فلان الأخ مرتاح، فينبغي لي أنا مثله أن أرتاح.
📖 يتفرج، فسبيلي أنا أن أتنزه.
📖 يلبس حلة، فيجب لي أن ألبس مثله.
📖 أخذ كرامة، فينبغي لي أن أُكرم.
📖 قد مضى يحدث الآباء، فسبيلي أن أفاوضهم.
📖 فوض إليه السلطان على الأمر الفلاني، أتراني لا أستحق أن أؤتمن أنا عليه. هذه الأمور التي يرضاها الشباب. هذا تواضـع المبتـدئين. هذه أتعاب وأثمار الزيتون الحديث نصبه. أبِهذا الجهاد يحرصون أن يرثوا الملكوت. من أجل هذا صاروا أعداء للـه.

📖 بِهذه الأشياء يظهر أننا لم نزهد بشيء يسير من سـيرة العـالم، لأننـا بـالوهم زهـدنا، وبالحقيقـة نعقـل معقـول العـالم. وبالحقيقـة لـيس لنـا اعتذار لأننا بالإسكيم عباد، وبالخلق جفاه وعادمو الإنسانية.
📖 بالإسكيم متورعون، وبالخلق قتّال.
📖 بالإسكيم والزي متواضعون، وبالخلق مفسدون.
📖 بالإسكيم والزي محبون، وبالسخاوة ماقتون.
📖 بالإسكيم صادقون، وبالسمية معادون.
📖 بالشكل صائمون، وبالقلب مجربون.

🕮 بالإسكيم نساك، وبالقلب متكبرون مجاهدون.
🕮 بالزي أعفاء، وبالقلب زناة.
🕮 بالزي صامتون، وبالقلب طامحون.
🕮 بالزي ودعاء، وبالخلق متعظمون.
🕮 بالزي معزون، وبالسجية شامتون.
🕮 بالزي مشيرون، وبالحال مراؤون.
🕮 بالزي هادئون، وبالخلق ماكرون.
🕮 بالزي غير حاسدين، وبالخلق حسودين.
🕮 بالزي ناصرون، وبالشيمة دافعون.

🕮 أترى من أين تعرض لنا مثل هذه الأمور؟ سوى من كون ليس لنا محبة كاملة بعضنا لبعض، وليست لنا ألفة نقية، وليس لنا تواضع حقيقي، وليس لنا خوف الله أمام أعيننا.
🕮 أننا نتهاون ونتغافل ونظن أن الوصية الخلاصية خرافة وهذيان، بكلمة الله تتشدد السماوات، ونحن لا نقبله بصفة أخ.
🕮 ذلك الفم المرهوب والغير مدرك والمرعب قال: "من يشاء أن يكون فيكم عظيماً فليصر لكم خادماً". ونحن قبل أن نعاين درجة الإسكيم نتكبر، ويستعظم الواحد منا على الآخر، ويطفر بعضنا على بعض، وكلنا عقلاء عند ذاتنا، كلنا مدبرون.

🕮 كلنا متسلطون، مرتبون، منتهرون، مفترضو الشريعة، محبو الأمر والنهي، مترجمون، معلمون، كلنا نأمر، كلنا مهتمون.
🕮 أترى لا يقنعكم قول الرسول بولس إذ يقول: "إن كان الجسد كله سمعاً، فأين الشم؟". إن كان الكل أو لو الجماعة، مدبرو، الكافة مرتبون، فأين تفاضل ترتيب الله؟ ومع هذا إلا يقنعكم أن تذعنوا للقائل: "ليس أحد يأخذ الكرامة من ذاته إلا المدعو من الله".
🕮 أم كيف يقول أيضاً: "أترى كلهم معلمون".

📖 من أجل هذا رتب الله رئاسات وسلطات، لأنه إن كان في السماوات كل أرواح الخدمة الغير بالين، ولا مائتين، لم يرضي الله أن يكونوا في رتبة واحدة، بل رتب رؤساء وسلاطين وعظماء، وكل واحد منهم لا يتجاوز رتبته، وكافة الأشياء قد صارت بترتيب وثبات. فلِمَ نخاصم بعضنا بعضاً خصومات جائرة، والملائكة ورؤساء الملائكة لا يتجاوزون الحدود المرتبة لهم.

📖 ونحن ندفع بعضنا بعضاً، ويريد الواحد أن يكردس الآخر، ويسابق بعضنا بعضاً قفزاً، ونزدري ونستصغر كأننا نستطيع أن نقوِّم شيئاً أكثر منهم، ترحماً لعماية الذهن.

📖 إلا تذعنون لقول القائل: كل أحد فليثبت في الأمر الذي دعي إليه.

📖 كيف تتقون القائل: "إن من يعطى كثيراً يطالب بكثير"، لكي تقتنوا بهذا تواضعاً. يا إخوتي لا نستكمل عمرنا بهذه المناقص المذمومة، كمن ليس أمام أعينهم القضية المرهوبة.

📖 لا نسير كمن لا يزعمون أن يعطوا جواباً عن كل أمر.

📖 لا تصيروا عثرة وشكاً للذين هم من خارج.

📖 لا نضيفن خطيئة على خطايانا.

📖 لا يُفترَ على الإسكيم الجليل من أجل عدمنا الفهم، بل الأليق أن يُمدح بنا، فإنه ستوافي وتجئ تلك الساعة المرهوبة، ولا تبطئ، وفيها نكون بلا اعتذار، لأنه ماذا نستطيع أن نقول لله؟ وماذا احتجنا أن يصنعه بنا ولم يفعله؟

📖 هل ما رأينا الإله نفسه متواضعاً بصورة عبد، لنتواضع نحن ونصير متواضعين. أما رأينا وجهه الأقدس الذي لا يصفه عقل، مبصوقاً عليه، لكي إذا شُتمنا وانتهرنا لا نتوحش ونتنمر.

📖 بل أما شهدنا ظهره مبذولاً للسياط، لكي نخضع لمدبرينا.

📖 أوما عاينا وجهه وقد لطم، لكي إذا رُفضنا لا نتنمر.

📖 هل ما سمعنا عنه أنه لم يناصب، ولم يجاوب، لكيلا نكون مستبدين برأينا ولا نجاوب.

📖 وأما سمعناه يقول: "أنا لا أعمل من ذاتي شيئاً". حتى لا نصير نحن متعظمين مالكين مشيئتنا بذاتنا، وحاوين السلطان على ذاتنا.

📖 بل ترى أما سمعناه قائلاً: "تعلموا مني فإني وديع ومتواضع القلب". لنصير نحن ودعاء، ومتضعين القلب.

📖 لكننا نحن نحسد بعضنا بعضاً، وننهش ونأكل بعضنا بعضاً.

📖 أي جواب نعطيه؟!!!

📖 أطلب إليكم لا من أجل الآلام البشرية، نخرج من السعادة التي لا تنتهي. ولا من أجل الكرامة الوقتية، نضيع المجد المؤبد.

📖 ولا من أجل المحك، والغيرة، والحسد، نشجب في نار جهنم.

📖 قد التمست أن تخلص، فلِمَ تفحص أمر قريبك.

📖 قد دخلت تحت النير، فلِمَ توعز وترتب ليشتهر ثمر طاعتك.

📖 ثق فإنه لا مرتبة، ولا كرامة، ولا عظم شأن، ولا بأن يقال لأحد أولاً، وثانياً، ولا بأن يسمى مدبراً، ولا بأن يدعى أيها الشريف، ولا بأن يفوض إليه كرامة، ولا بأن يؤتمن على مرتبة، يدخل بِهذه إلى ملكوت السماوات، أو يعطى صفحاً عن خطاياه، أوينجى من التعذيب، بل هذه تُشجب، وتُهلك.

📖 لكن التواضع، والطاعة، والمحبة، والصبر، وطول الروح، تمنح ملكوت السماوات وتوابعه، لأنه لا يستطيع أحد أن ينجح، ويوقر، ويخلص، إلا بالتشبه بالرب في الكل.

📖 أما قد سمعتموه قائلاً: "ما جئت لأُخدَم بل لأَخدُم".

📖 وأيضاً: "ما جئت لأصنع مشيئتي بل مشيئة من أرسلني".

📖 وأيضاً: "من يعلي ذاته يوضع". أوما سمعتم كيف يطوب قائلاً:

الطوبى للمساكين بالروح فإن لهم ملكوت السماوات".

📖 أما سمعت أنك كنت إذا جلست تغتاب أخاك، وكيف يوعد أنه سيوبخك تجاه وجهك. أما قد سمعتم أن من يبغض أخاه هو في الظلمة، وأن المحال من أجل الحسد سقط من السماوات.

📖 أوما قد وعيتم أنه من أجل الكبرياء والمجاوبة، هبط من أي مجد وشرف، وأن مريم أخت موسى من أجل كلمة تعيير أصيبت بالبرص. فلماذا ولنا مثل هذه النماذج نسد آذاننا كما لأفعى، لا أعني الآذان الجسدانية بل آذان القلب، لأن هذه تتذكر لكن تلك لا تتذكر.

📖 لم لا تصدق القائل: "أن من يثبت في المحبة يثبت في الله".

📖 أتضرع إليكم يا معشر الرعية المنتخبة أن نستفيق ما دام لنا وقت، ولنتعفف ما دمنا في الإمهال.

📖 لئلا تفاجئنا تلك الساعة المرهبة المؤلمة، فننوح بمرارة نادمين تندماً لا ينفع، لئلا نخزى بذلك الخزي العظيم أمام الله والملائكة والناس. ولنكف عن الخصومات، ولا سيما نحن الحاويين الحواس الشبابية، تواضعوا بكل ما لكم من قوة لتستطيعوا أن تدركوا الكمال.

📖 قد علمتم كم كان لآبائنا من راحة وتحرز، وكم تواضع وتحفظ، وشقاء وازدراء بذاتَهم، فالآن الحرب عظيمة فلا نتهاون. ولا تظنوا أنكم قد وصلتم إلى الكمال، إن الحاجة ماسة إلى تعب كثير، وجهاد جزيل لننال الخلاص.

📖 لا تظنوا أن التزين الكثير، أو سدل الثياب هو التعبد، أو إن تكون يدا الإنسان بَهيتين ذلك يخلصه، أو حسن المنطق، أو ترجمة الكتب هو الكمال، أو كشف الرؤوس، أو تسريح الشعور وتنظيفها بغير الفضائل الموافقة الملائمة، التي لا تنحصر في لبس الإسكيم.

📖 لكن الإسكيم الذي يتبعه الخلق الجميل والأعمال، لأن الإسكيم خلواً

من الأعمال ليس شيئاً، فلا تُهملوا الاهتمام، ولا تتراخوا لأن الحاجة إلى تعب كثير كي نلجم الحداثة.

📖 فإن كنتم تستثقلون المقولات، لكن ذلك لا يغمني، لأنني أشاء أن تقبلوا مكاوي لتزيلوا القبح، وتنزعوا التماسي، ولا تظنوا إن كتمتم آلامكم ينساها الله، فإنني أقول لكم، إن الأفعال الخفية فيكم أستقبح أن أكتبها، لأنني إن عملت ذلك لا تثبتون بل تَهربون.

📖 فلهذا أطلب إليكم أن تواضعوا ذاتكم بالطاعة، بالمحبة، بالحقارة، بالإهانة، وبهذه أطيعوا بعضكم بعضاً.

📖 وأخضعوا بالصوم، بالصلاة، بالسهر، بالترتيب الممدوح.

📖 لا تكونوا في الخصومة أقوياء، وفى الترنيم ضعفاء.

📖 لا تكونوا منتبهين إلى تخيلات الأفكار، وناظرين مثل وحوش، وفى الصلاة ناعِسين، وتغمضون عيونكم.

📖 لا تكونوا في الحديث الباطل أقوياء كالثيران، وفى هذيذ تمجيد الله ضعفاء كالثعالب. لا تكونوا في حجج الخصومة غير مغلوبين، وفى الأقوال الروحانية تتثآبون.

📖 لا تكونوا في اللعب أصحاء، وإذا وعظتم تقطبون. لا تكونوا في النهار معافين بنهم البطن، وفى الصلاة الليلية متمارضين.

📖 لا تكونوا في المحادثات جبابرة، وفى الأعمال منحلين.

📖 لا تكونوا في أن تأمروا مكرمين، وفى أن تؤمروا متنافرين.

📖 لا تكونوا ملتزين بأن تطاعوا، وفى أن تطيعوا مقطبين.

📖 لا تكونوا في أن تأمروا صارمين وإذا أُمرتم تتذمرون.

📖 لا تكونوا إلى المائدة متسارعين، وفى الأعمال متوانين.

📖 لا تكونوا في استدعاء النواظر إليكم متيقظين، وفى أن تميزوا شيئاً صالحاً مظلمين.

📖 لا تكونوا بحضرة الإناث متأدبين، ومع إخوتكم متنمرين.
📖 لا تكونوا في كثرة الاغتذاء أقوياء، وفى الصيام ضعفاء.
📖 لا تكونوا في شرب الخمر مسرورين، وفى شرب الماء مقطبين، ومكتئبين. لكنني أتضرع إليكم يا أولاد الله، أن تتخذوا الغيرة النفيسة، ومهما كان ممدوح صالحاً يختص بالمنفعة {أفتنوه}.
📖 اقتنوا أول كل المناقب التواضع، المحبة، الخيرية، الوداعة، والدعة، سامعين بعضكم لبعض. ولا تتخاصموا في شيء لا ينفع.
📖 وكونوا غير عاجزين في الصوم، والصلاة، لتستطيعوا أن تغلبوا الجسد، لكيلا من أجل الآلام المنكرة، نعدم مثل جسامة هذه الخيرات.
📖 لا نبتغِ الوقتيات، فنضيع المجد الذي لا يفنى.

📖 أسرعوا وبادروا، وما دمنا في الجسد فلنعمل المناقب التي ترضي الله، ولنحرص، فقد حصلنا في شيء عظيم، فلا نُهمل الاهتمام، فليس صراعنا بإزاء أناس مبصرين، لكي ما إذا رأيناهم نتحرز منهم، بل الذين يحاربوننا لا يرون. فلأجل هذا إن العطب عظيم للمتوانين، وإذا غلبوا فلهم ثواب جزيل، فلنغلبهم بالحيل ولنصافقهم.
📖 فإذا حرضنا العدو على شره البطن فلنحاربه بالصوم.
📖 إن هيجنا إلى اشتهاء امرأة، فلنستعمل الصبر، ونمسك الحس، ونَهرب من المكان. إذا أنْهضنا إلى الغيظ، فلنتضرع بالسلامة.
📖 إن جعلنا أن نغضب، فلنتخذ الوداعة.
📖 إن أنْهضنا إلى المقت، فلنلاصق المحبة.
📖 إذا حصلنا إلى ابتغاء الإكرام، فلنوضح رغبة الاستحقار.
📖 إذا حضنا إلى رغبة الشرف، فلنتخذ الخفضة والدناءَة.
📖 إن خيل لنا أمور الاستعلاء، فلنصور في ذهننا تواضع الرب.
📖 أن حرضنا إلى مغايرة أخينا، فلنخطر ببالنا سقطة قايين.
📖 إن استنهضنا إلى الحسد فلنذكر هلاك عيسو.

إن حركنا إلى الاغتياب، فلنسيج علينا الصمت.

إن قاومناه هكذا يهرب، ولا يثبت، وتوافي وقتئذ النعمة، وتكللنا كما يليق بالظافرين. صدقوني يا إخوتي أنني مشجوب من جميع الأشياء التي وعظتكم أن تحفظوها، فقد صرتم أتقياء وأنا متوحل بحمأة الخطايا. لكن بادروا أن تتبعوني بتوبتكم الجليلة.

صدقوني أنني ما حفظت شيئاً مما قلته، زينوا أقوالي بأعمالكم، وأنا متيقن أنكم ستوجدون بلا عيب، وأنا سأُدان عن الأقوال التي أقولها ولا أعملها.

لا نتوانى عن خلاصنا، ولا نحسب المقولات مثل أمثال، فإننا ما أوردنا شيئاً خارج المكتوبات، والمقولات ليست كاذبة.

فلنقبل زرع هذا القول، ونثمر كالأرض الصالحة "بعض ثلاثين، وبعض ستين، وبعض مائة"، لكي ما إذا حملنا الأثمار، وتسربلنا ببهاء الفضائل، نفرح بربنا يسوع المسيح، وهو ينجينا في ملكوته.

فإن له يليق المجد إلى أبد الدهور آمين.

كتاب مقالات مار إفرام السرياني ـ المقالة التاسعة ـ حكم ـ صفحة ٧٨ ـ ٨٤

المقالة العاشرة: في تذكار الخطايا

أشاء أن أبث قدامك أيها المسيح المخلص، وأصفاً بحضرة مجدك كافة المرارة التي تختص بي، وبنيتي الخبيثة.

وأذكر أيضاً كل الطرب والحلاوة التي صنعتها معي، إذ منذ جوف أمي صرت مغيظاً جاحداً خيريتك ونعمتك، لا نشاط لي في الخير.

فأنت أيها السيد أعرضت عن كافة شروري، ومن أجل رأفاتك الجزيلة أرتفِع بنعمتك يا ابن الله رأسي، الذي كان ذليلاً كل حين من أجل خطاياي.



📖 تجذبني بنعمتك إلى الحياة، وأنا أسعى بنشاط إلى الموت، لأن عادة الآلام الرديئة المذمومة جذبتني حين أذعنت لها، وقيدت الفكر بقيود لا تنفك، والقيود مأثورة عندي دائماً، لأنني أشاء أن أتقيد.

📖 فالعادة تقيدني بإشراكها، وأفرح إذا قيدت.

📖 تغيصني في العمق، وأنا ألتذ بذلك والعدو كل وقت يجدد قيودي، لأنه قد رآني مسروراً برباطاتي الكثيرة ضفرها.

📖 وهو كثير الحيل في صناعته، فلا يربطني بالرباطات التي لا أرغبها، لكنه يقدم لي دائماً الأغلال الفخاخ التي أقبلها بالتلذذ كثيراً.

📖 لأنه يعرف أن الهوى يقوى علي، فيحضر لي بطرفة عين القيد الذي أريده، يا له من بكاء ونوح من عار وخزي، أنني أتقيد بمشيئتي، فأنا لا أقدر أن إسحق القيود في لحظة واحدة، وأصير حراً من كافة الفخاخ. لأنني بالاسترخاء والعادات متعبداً للهوى، وأُقتل بالآلام التي أستبشر أنا بِها. لو شئت لاستطعت أن أفك القيود وأسحقها. ولو أردت لقدرت أن أهرب من الفخاخ.

📖 فهل يكون أمَر من هذا النوح والبكاء؟

📖 أم يكون خزي أصعب من هذا؟

📖 نعم لا يكون أشد مرارة من هذا الخزي، أن يعمل الإنسان مشيئات عدوه. فأنا أعرف قيودي، وأخفيها في كل ساعة من كافة الذين يشاهدونني في زي الورع، وضميري يوبخني إذا عملت هذا قائلاً لي كل وقت: "لِمَ لا تستفيق يا شقي، أوما علمت أنه آتي وأقترب يوم الدينونة الرهيب، الذي فيه تظهر الأشياء كلها، أنْهض ما دمت قادراً، ومزق الرباطات التي لك، لأن فيك قوة العقد والحل".

📖 هذا يقوله لي دائماً ضميري ويوبخني، وما أريد أن أستريح من القيود والإشراك، أنوح من أجلها كل يوم وأتنهد، وأوجد مربوطاً بِهذه الآلام نفسها. أنا شقي ومتواني، غير ناجح في صالح نفسي،

كيف لا أخاف من فخاخ العدو.

🕮 جسمي مشتمل بجمال زي التورع، ونفسي مقيدة بأفكار غير لائقة.
🕮 أتورع بحضرة الناظرين بحرص، وأنا من داخل وحش لا يستأنس.
🕮 أحلي كلامي للناس وأمنحهم إياه، وأنا في نيتي مر وخبيث، فماذا عسى أن أعمل في وقت الاختبار، إذا أوضح الله كافة الأشياء في مقام الدينونة، أنا أعلم أنني سوف أعذب هناك، إن لم أستعطف من هنا الديان بالدموع.
🕮 فلذلك لا يسخط على بل ينتظر عودتي، إذ لا يشاء أن يبصر أحداً متحرقاً بالنار، بل يريد أن يدخل إلى الحياة كافة الناس.
🕮 فإذ أنا واثق برأفاتك يا ابن الله ربي، أقدِم لك طالباً، أقبل بنظرك إلى، أخرج نفسي من سجن المآثم، وأشرق شعاع نورك في ذهني، قبل أن أمضي إلى المدينة المرهبة، التي تنتظرني حيث لا يمكنني أن أتوب عن المساوئ.

🕮 وأنا مضبوط بفكرين يكتنفني كل واحد منها: هل أسافر من الجسد أولى من أن أخطئ، لكن أخاف أنا الشقي أن أمضي وأنا غير مستعد، مجرد من الفضائل، أو أبقى. فالخوف العظيم يعذب قلبي، من كوني لا أبقي في الجسد، بل لا بد من أن أنتزع منه.
🕮 ولست أعرف بأيهما أتعزى، لأنني أعاين ذاتي غير نشيط في الصلاح، وحياتي في الجسد ذات خوف وجزع، لأنني في كل وقت أتمشى بين الفخاخ، وأماثل التاجر المتواني العاجز، الذي يخسر في كل ساعة رأس المال مع الربح.

🕮 هكذا أنا أخسر الخيرات السمائية، بالإنغلاب الذي يجرني إلى المساوي، وأحس بذاتي كيف أسرق في كل ساعة، وأوجد بغير مشيئتي في الأمور التي أبغضها.

🕮 أتحير في أمر البَرية كيف هي بَهية دائماً، أنذهل في نيتي الرديئة متضايقاً مغموماً. إلا أنني كل حين أضع أساس بناء، وأنقض العمل بيدي، وتوبتي الحسنة إلى الآن لم تبتدئ، ونيتي المذمومة لا انتهاء لها. تعبدت بالاسترخاء لمشيئة عدوي، وأنا نشيط أن أكمل ذلك.

🕮 فمن يعطي لرأسي ماءً، ولعيني ينابيع دائمة لتتبع عبرات، فأبكي كل وقت لدى الإله الرؤوف، ليرسل نعمته لينتشل خاطئاً من بحر هائج بأمواج الخطايا.
🕮 فإن نفسي غرقت بتواتر الموج، وجراحاتي لا تقبل البتة عصائب الشفاء. أنتظر التوبة، وأنا مسروق بِهذا الوعد الباطل إلى أن يفنى، أقول إنني أتوب ولا أتوب إلا بالكلمات، وبالأفعال أنا مبتعد من التوبة. إن كنت في رفاهية وراحة أنسى طبيعتي، وإن حصلت أيضاً في غموم أوجد متذمراً.

🕮 الآباء القديسون كانوا محبين لله في الأحزان والمحن، كانوا مختبرين مهذبين، وقبلوا بذاتِهم إكليلاً لا يضمحل من الإله السمائي بشرف ومدائح. اقتنوا من الحزن مديحاً وثناءً جميلاً، وصاروا صورة حسنة للأجيال الواردة. ومع هؤلاء يوسف المهذب الجميل البهاء، المتناهي في العفة، المملوء جمالاً سمائياً مع محبة العلي.
🕮 أقتنى بالتجارب صبراً نفيساً، لأن حسد إخوته الرديء ما قدر أن يدر جمال نفسه، ولا استطاعة المراودة المخاتلة أن تذبل جمال الصبي الزاهر.
🕮 كانت تنظر في كل ساعة إلى زهر العفيف لتسكب عليه سماً مراً.
🕮 ولا الحبس والقيود ذبلت حسن بَهاء زهرة نفس الصبي المحب لله.
🕮 فإن كنت أنا الشقي أخطأت بغير محنة ما، وأخطئ وأغيظ وأمرمر سيدي، فقد اختبرت رأفاته الجزيلة.

📖 خلصني يارب وأعطي لعبدك كطلبته، التي يبتغي من كنز تحننك، أيها السيد لتتبع نعمتك في قلب وفم عبدك بمداومة مثل ينبوع، ليكون قلبي وفمي هيكلاً طاهراً لامعاً بخيريتك ونعمتك، قابلاً ملكاً سمائياً، لا كعش للأفكار الخبيثة، ومغارة لصوصي أردياء للروايات الشريرة. بل تحرك إصبع نعمتك لساني دائماً، كأوتار المعزفة لتمجيدك أيها المتعطف على الناس، لكي ما أمجد بلا فتور، وأبارك بشوق قلبي وفمي كل زمان حياتي.

📖 لأن من يعجز عن أن يسبحك ويمجدك هو غريب من الحياة العتيدة. أيها المسيح المخلص، أعطيني سؤال قلبي، ليصير مثل رباب النغمة لأستطيع أن أوفي ههنا ديوناً قليلة، وأحظى هناك أيضاً بوفاء نعمتك حين تجزع كل نفس وترتعد من مجدك الرهيب.

📖 نعم يا سيدي يا ابن الله الوحيد، أستجب لتضرع عبدك الخاطئ، وأقبله مثل قربان، فأخلص بنعمتك.

والمجد يليق بمن يخلص الخاطئ برأفاته. آمين.

كتاب مقالات مار إفرام السرياني ـ المقالة السابعة ـ حكم ـ صفحة ٨٤ ـ ٨٧

في الابتهال والتخشع

📖 أنت وحدك الإله الصالح المتحنن، الآتي بكافة الخيرات، وعين الأشفية، وكنز الرأفات، المعطي دائما الخيرات للذين يسألونك.

📖 فإذ كنت أنا نفسي قد نلت الخبرة بأشفية لا تحصى، ومواهب جليلة خولتها لي يوماً فيوماً، فمن أجل ذلك بلا خجل أتضرع إليك أيها المسيح الإله المحتمل البشر، أن توافيني بنعمتك كالعادة، لكي ما تجمع ذهني، وتشفي جراحاتي المخفية.

📖 لأن الانغلاب، والتنزه، قد عملا فيَّ جراحات مكتومة، فأنت أيها الطويل الأناة، المتمهل الشافي كل وقت بنعمتك ورأفاتك، شفيت بما

أنك متحنن أمراضي أنا الخاطئ. وما أمكنني بالجملة أن أعطي أجرة عوض الأشفية، لأن أشفيتك من أين لها قيمة، إن السماء والأرض لا تستطيع أن تقضي مكافأتك بواجب الاستحقاق عوض أشفيتك، إذ أشفيه خيراتك هي رأفاتك الجزيلة.

🕮 ولا يمكن أن تباع أشفيه سماوية وقدسية، لأنه لا ثمن لها، إنما بالدموع تَهبها، وبالبكاء المر تَهبها للكل، ترى من لا يعجب، ترى من لا ينذهل، ومن لا يبارك كثرة تحنن خيراتك يا مخلص نفوسنا.

🕮 لأنك ارتضيت أن تأخذ الدموع أجرة عوض أشفيتك.

🕮 فيا لقوتك أيتها الدموع.

🕮 إلى أين تبلغين؟ تدخلين إلى السماء نفسها بمجاهرة كبيرة بلا مانع.

🕮 يا لقدراتك فإن مواكب الملائكة، مع كافة القوات، يستبشرون كل وقت بدالتك. أيتها العبرات، كيف تستطعين إذا شئتِ أن تمثلي بفرح أمام عرش السيد الطاهر، العرش الأقدس الشاهق؟

🕮 كيف تصعدين إلى السماء في لحظة عين، طائرة وتأخذين طلباتك من الإله القدوس، فيلتقيكِ بطلاقة حاملاً صفحاً.

🕮 فأعطيني أيها السيد أنا الغير مستحق دموعاً كل وقت، واستنارة وقوة لتنبع فيَّ كل حين عيناي دموعاً بحلاوة، فيضئ قلبي بالصلاة النقية، وتمحى الكآبة العظمة، وتنطفئ هناك النار المحرقة بدموع يسيرة.

🕮 لأنني إن بكيت هنا، سأنجو هناك من النار التي لا تطفأ، لأنني كل يوم أغيظ أيها السيد أناتك الطويلة، ومرارتي وتحننك هما قبالة عيني. فلتغلب خيراتك، وطول إمهالك، مرارتي، لأن الطيور بتحنن عظيم تغذي فراخها، وإذا نكرتَها هذه، فلا تتوانى، ولا تغفل عنها، لأن تحننها يغلب عليها.

📖 فإذا كانت الطيور لها تحنن هكذا، فكم بالحري تغلب نعمة رأفاتك، فترحم كل المشتاقين إليك. وكذلك الأم التي تُشتم من ولدها، لا يحتمل قلبها أن يعرض عنه، لأنَها تُغلب من تحننها، فإن كانت الأم تُغلب من تحننها، فكم أولى بذلك نعمة تعطفك أيها السيد المحب للنفس، أن تغلب كل وقت من قبل رأفاتِها، فتخلص وترحم النائحين دائماً.

📖 فإذ حدق بي العدو النجس الذي يحزنني دائماً، فأغثني بالدموع في الليل والنهار، لتنقذني من قتالاته، لأنني لا أستطيع أن أحتمل حيل الخبيث وصنائعه، إن ابتعدت عني نعمتك لحظة.

📖 لأنه ساعة بعد ساعة يضغط نفسي بالأقوال والأفعال، فلتزجره قوتك التي انتهرت الأمواج البحرية لكي يبطل عن عبدك، لأنه كل وقت يجدد على حيله، ويحرص أن يتملك على ذهني، فيبعده عن حلاوة تلاوة وصاياك الإلهية. أيها السيد أرسل بسرعة نعمتك لتطرد عن عبدك الثعبان العظيم، مع كافة الأفكار القبيحة والخبيثة.

📖 فليقنعك مثلك يا سيدي لأنك قلت: "انه كان في مدينة ما قاضي غير خائف من الله، ولا يستحي من إنسان، وكانت في تلك المدينة أرملة فقيرة، وكانت تجيئه كل وقت قائلة أنصفني من خصمي، فلبث معرضاً عنها مدة طويلة بعدم تحنن متهاوناً بِها، لكن صبر الأرملة استطاع أن يقوم ذاك الفاقد التحنن والرحمة، ويستميله إلى الانتصار".

📖 فالأرملة المظلومة تقدمت إلى قاضي لا تحنن له، ولا شريعة لينتصر لها من خصمها، أما أنا أتقدم إلى سيدي المتحنن، المتمهل الصالح، المالك السلطان على الأرض وفى السماء أن يسمع مني.

📖 أيها الإله المبارك الحاوي الفم الإلهي القدوس الذي لا يكذب، لقد قلت أيها المخلص إنك تصنع الانتقام لكافة المتوكلين عليك في الليل

والنهار، يا سيدي لا تتباطأ عن الانتصار لي، أنقذني من العدو، وسهل مسيري إليك لأغلب العدو بنعمتك.

🕮 لك وحدك أبارك، لك وحدك أمجد، أيها المتحنن الطويل الإمهال، المريد أن كافة الناس يخلصون، فإذ قد نفذ زمان حياتي في الباطل، وفي الأفكار القبيحة، أعطيني دواءً لأبرأ بالكمال من جراحاتي المكتومة، وأيدني لأعمل في كرمك بنشاط ولوساعة واحدة.
🕮 فقد بقي لي من زمان حياتي الساعة الحادية عشر، دبر مركب تجارتي بوصاياك، وأعطي التاجر الحقير فهماً، لكي ما أتجر بتجارتي ما دام لي وقت، فإن سير المركب قد وصل إلى نَهايته، والوقت يدعوني أنا المتنزه والمتعظم قائلاً: أيها الكسلان هلم، فأين تجارة زمان حياتك؟

🕮 إن ساعة الموت تخيفني، لأنني أبصر أعمالي فترتعد نفسي، وأنظر إلى ونية عجزي فتفرق عظامي، لأن ساعة الفراق قد تقدمت أمام عيني، فإذا تأملتها خفت جداً، وعوض ما أفرح أغتم كثيراً، لأن أعمالي غير مستحقة الفرح.
🕮 لأن خوفاً عظيماً في أو إن الموت لكافة الخطاة الذين يماثلوني.
🕮 وفرحاً جزيلاً في أو إن الفراق لكافة القديسين، والصديقين، ولسائر الناسكين. وساعة الفراق حزن لكافة الذين ليسوا قديسين، ولا نشطين، وللمسترخين، إذا ذكروا توانيهم، وونية زمان حياتِهم الماضي. الندامة تعذب حينئذ قلب الإنسان تعذيباً كثيراً، إذ توانى هنا عن خلاصه.

🕮 والقديسون، والصديقون، والنساك، يبتهجون في ساعة الموت والفراق، إذ يشاهدون أمام أعينهم جسامة عمل نسكهم.

📖 عمل الأسهار والصلوات. والأصوام والدموع. وأضطجاعاتِهم على الأرض. ولبسهم المسوح. فتطفر نفوسهم فرحاً، لأنَهم قد أُمروا أن يخرجوا من جسدهم إلى النياح.

📖 مرهوب ورود الموت على الخطاة المسترخين، والذين لم يحرصوا أن يسيروا بطهارة في هذا العالم الباطل. وغم مؤلم جداً يشمل ساعة الفراق الإنسان الخاطئ، لأنه لا يسمح له أن ينطق بشيء البتة.

📖 ويلكِ يا نفسِ، ويلكِ، لماذا تتوانين في خلاصك؟

📖 لِمَ تصرفين في التنزه أيام حياتك كلها؟ إلا تعلمين أن دعوتك ستصير بغتة، فماذا تصنعين هناك قدام مجلس القاضي المرهوب؟

📖 إذا توانيتي هنا أي اعتذار لك تجاوبين به.

📖 كيف يسترقك العدو يا شقية ولا تفهمين.

📖 وكيف تُضيعين الغنى السمائي يوماً فيوماً متفرجة ولا تعلمين؟

📖 فوقي يا نفسِ، فوقي في ساعة الحرب، اطلبي إلى الله بدموع، اصرخى إلى الله بتوجع قلب، وفى الحين يرسل لمعونتك ملاكاً رؤوفاً، ويعتقك من محاربة العدو ورجته.

📖 احرصى إلا تسقطي في ساعة الفراق في حزن وزفرات، فتبكين بكاءً لا ينفع إلى أبد الدهر، وتتقاطر خواطر الأفعال كلها في تلك الساعة إلى ذهنك، فتقولين حينئذ منتحبةً شديداً:

📖 أنا قد كنت أتذكر في كل ساعة هذه كلها، وأناشد ذاتي وأقول: أعبر الأيام التي أنا فيها على الأرض متحرزة إلا أخطئ، ولا أسقط من وصايا الله، بل أعمل كل حين الأعمال التي ترضية بنشاط كثير، فقد وجدت الآن مصفرة ليس لي بالجملة تقويمة واحدة جيدة.

📖 أيتها النفس الشقية أصغي إلى ذاتك، جاهدي بمداومة، وأتقي الله كل وقت، أتقي الله إلهك وأرضيه بأعمال صالحة، حتى إذا حان وقت الفراق، وساعة الموت، يصادفك حسنة النشاط تنتظرينه بفرح

عظيم. أيتها النفس تفرسي في سيرتك، وفى دعوة اللـه، لأن ساعة الفراق لا تحزن حراً معتوقاً من كافة الأشياء الأرضية.

📖 لكن الموت يحزن الرجل المتنزه، والخاطئ.
📖 المهمل يحزن بسيرته.
📖 والعاجز الذي عجز عن عمل الأفعال المرضية للـه يحزن.
📖 والكثير القنية، والموسر الذي كثف نفسه بالأمور العالمية يحزن، لأنَها تفصله من العالم بلا اختياره.
📖 يحزن الآباء لأنه يفرقهم من أبنائهم المحبوبين، ومن غناهم، والإخوة، لأنه يميز بعضهم من بعض ببكاء. هؤلاء كلهم يحزنون في ساعة الموت، لأنَهم قد تقيدوا بالأمور العالمية.
📖 فأنتِ أيتها النفس الحرة، من أجل ما تنفسين وتتنهدين، إذ تستريحين من العالم وجراحاته، أثبتي كل وقت مدعوة حرة، واسلكي في طريق اللـه بثناء جميل، بنشاط الأفعال المرضية له.

📖 إن أحببتِ اللـه من كل نفسكِ، فلا ترهبي قط ساعة الموت، لكن الموت وفراق الجسد يصيران لكِ بالحري فرحاً.
📖 سلمني أيها الطويل الأناة، وخلصني أيها المسيح ابن اللـه الفاقد الخطأ. أعطيني أيها المخلص دراسة الحياة، حتى لا أملك في قلبي، ولا أقتني سوى هذه الدراسة، لأكمل كل حين مشيئتك، وبمؤازرة نعمتك إياى أنا الخاطئ، أكون حسن النشاط، سالكاً في أوامرك بصحة، كي ما أتجر حسناً بالفضة التي أعطيتها لي.

📖 وإذا أتجرت التجارة الحسنة في حقلك، أنال منك المديح، وأقول بدالة واستبشار قلب، إذا أقبلت يارب: "لقد حصلت مغبوطاً، لأنك جئت وألبستني لباساً لائقاً بعرس الختن الباقي".

📖 وأوقد المصباح الذي وهبته لي بنعمتك، وإطالة أناتك، وأخرج بفرح إلى استقبالك، ممجداً ومبارك الختن الذي لا يموت، وأؤهل أن أصير مشاركاً للصديقين، والقديسين الذين أرضوك إلى الأبد. آمين.

كتاب مقالات مار إفرام السرياني ـ المقالة السابعة ـ حكم ـ صفحة ٩٢ ـ ٩٥

في التوبة

📖 وماذا أقول للعدو الطاغي لأنه حل نسكي من أجل مرض معدتي.

📖 وجعلني غريباً من السهر في الصلوات.

📖 غرس فيَّ محبة الفضة بسبب شيخوخة طويلة.

📖 جفف دموعي، غلظ قلبي، فصلني من الطاعة التي بالمسيح، وجعلني غير مطيع وبطالاً، وصيرني حسوداً ومغتاباً.

📖 السارية التي في عيني لم يسمح لي إن أبصرها، وقذاء أخي يقدمه أمام عيني. يشير على إن أكتم أفكار قلبي، وإذا سقط أخي في هفوة، يجعلني أهذ فيها. علمني إن أكون متكبراً، وغضوباً، وسخوطاً، وجعلني شرهاً، وسكيراً، ومحباً للذة.

📖 خسارات نفسي جعلها عندي مثل فوائد، صيرني متذمراً، وعاجزاً ومهذاراً، جعلني رديء العادة ومشارًّا، علمني إن أتنزه في القراءة والترتيل، وأصلي ولا أعرف ما أقول.

📖 يسبيني مراراً كثيرة ولا أعلم، وعظت من قوم يتقون الرب فكنت أخالف وعظتهم الصالحة، وأقبل كالأسنة أقوالهم، إذا انتفعت اغضب. يكفيك أيها المحال مثل هذا الهلاك، هلمي يا نفسي منذ الآن إلى ذاتك، على من تعتمدين إذ تلبثين مغضبة من خلقكِ.

📖 إلى متي تتصرفين في هذه الشرور، لا تنكري نعمة من يسترك لكيلا يبتعد منكِ فتدفعين إلى أيدي أعدائك.

📖 يا نفسي اهربي من المحال، ومن أعماله، فإنه ماقت الناس، وقاتل الإنسان منذ القديم. إن قربت إليه لا يشفق عليك من الهلاك.
📖 أكرهي الخبيث، والتصقي بالإله المتعطف على البشر.
📖 أستحي يا نفسي منذ الآن، وأقبلي إلى طريق الخلاص.
📖 جرحتِ فلا تيأسي من ذاتك، لأن المجاهد مراراً كثيرة يخر واقعاً، وأخيراً يستوضح مكللاً.
📖 سقطتِ أنهضي، تشجعي وقولي الآن بدأت، ولا تلبثي في الهفوة لكيلا تدفعي كالجثة طعاماً لطيور السماء والوحوش.
📖 أركعي لملك المجد معترفة بخطاياكِ، فإن له كثرة رأفات جزيلة.

📖 فالمريدون إن يدخلوا إلى الملك الأرضي يُمنعون من البوابين، وتدفعهم الجنود والخدام، ويقدمون هدايا للرؤساء لينالوا مرادهم.
📖 فأنتِ إذا أثرتِ إن تدخلي إلى ملك الكل، فلا يسبق إلى وهمك شيء من هذه، لا تطلبي هدية لأن ليس أحد يأخذها، وليس من يمنع لأن الملك يوجد للحين مستعداً ومستقبلاً، لأنه غير حقود ومحب للناس، وغافر خطايا الراجعين.
📖 فتقدم بلا رياء ولا بقلب ضعيف، بل تقدم إليه بضمير نقي، لأنه قبل إن تتكلم كلمة صغيرة، أو عظيمة، عرف الأشياء التي عزمت إن تقولها له. وقبل إن تفتح فمك، تقدم وعرف أفكار قلبك.

📖 فلا تنقسم، ولا تكتم الألم، فإن ليس الطبيب جافياً بل متوجع، راثِ ليشفي بكلمة، قال فصار، وصدق هذا من الأمور نفسها، قال للمقعد: لك أقول أنْهض وأحمل سريرك وأذهب إلى منزلك، ففي الحال صار الإنسان معافى، وحمل سريرة ومضي متخطراً.
📖 قال للأبرص: أشاء فتطهر. فللوقت نقى من برصة.
📖 أقام العازر من الموت بعد أربعة أيام. ولكيلا نقول المعجزات واحدة فواحدة فنسهب القول، إن أعمال الله لا تحصى، إن التي بلت

قدميه بدموعها ومسحتهما بشعرها بكلمة حل خطاياها قائلاً: ثقي يا بنت إمانك خلصك، لأنه عين لا تنقص نابعة للناس أشفيه.

📖 فلا تتقسم إذاً، لأنه لا يطرحك، بل يريد إن تخلص، وهو الذي قال: إن كنتم أنتم الأشرار تعرفون إن تعطوا أولادكم عطايا صالحة، فكم أولى بأبيكم الذي في السماوات إن يعطي الخيرات للذين يسألونه ويستسمحونه. تقدم إذاً إلى أب الرافات معترفاً بخطاياك، بعبرات قائلاً: "أيها الرب إلهي الممسك الكل، قد أخطأت في السماء وقدامك، ولست مستحقاً إن أدعى ابنك.

📖 ولا إن أتفرس، وأبصر علو السماء من كثرة آثامي.

📖 ولا إن أسمي اسمك المجيد بشفتي الخاطئتين. لأنني جعلت ذاتي غير مستحق للسماءِ ولا للأرض، لأني أسخطك أيها الإله الصالح.

📖 أسألك يارب وأتضرع إلا تطرحني من وجهك، ولا تبعد عني لئلا أهلك، لأن لولا يدك سترتني كنت هلكت، وصرت كغبار قدام الريح، وكمن لم يظهر ألبتة في هذا العالم.

📖 لأنني منذ تركت طريقك لم يلقيني يوم صالح، لأن اليوم الذاهب في الخطايا المظنون صالحاً، أَمر من سائر الأشياء المرة.

📖 فمنذ الآن أترجى نعمتك، إن تعينني وتؤيدني إذا اهتممت بخلاصي.

📖 فالآن أسجد طالباً عضدني أنا الضال عن طريق العدل.

📖 أسكب على كثرة رأفاتك كما سكبتها على الابن الشاطر، فإنني قد أخذيت سيرتي، بددت ثروة نعمتك، ارحمني ولا تحقد على سيرتي الطالحة، كما لم تحقد على الزانية، ولا على العشار، ترأف على كاللص لأنه كان آيس من الكل فعضدته، وجعلته ساكناً في فردوس النعيم. أقبل توبتي أنا العبد البطال، فإنني آيست من الكل، لأنك أنت يارب ما جئت لتدعو صديقين، بل خطاة إلى التوبة، لأنه آيس مني

الكل. صلي أيها الحبيب، وأعترف وليساعد الصلاة والاعتراف العمل، لكيما تقوم صلاتك كبخور قدام الله، وتسمع أيها الإنسان عظيم أمانتك ليكن لك كما تريد.

📖 والإله نفسه مرشد الضالين، ومقوم الساقطين، يمنحنا إن نكمل سيرة غير مذمومة، ويقيمنا القاضي العادل في ذلك اليوم عن يمينه. آمين.

كتاب مقالات مار إفرام السرياني ـ المقالة الثانية والعشرون ـ صفحة ١٥٣ ـ ١٥٨

{١٥}

القديس باسيليوس الكبير

أسئلة عن توبة التائبين واعترافاتهم وكيفية معاملتهم

📖 **سئل:** بأي نوع ينبغي للخاطئ أن يتوب؟

📖 **فأجاب:** بأن يتشبه بالقائل: "أبغضت الشر ورذلته، وناموسك أحببته" {مز ١١٨}. وأيضاً: "أحميّ في كل ليلة سريري، وبدموعي أبل فراشي" {مز ٦}.

📖 وبأن يصنع ما شهد به الرسول عن الذين يحزنون في ذات اللَّه، مع أن الذي أخطأ غيرهم وهو قوله: "هوذا حُزنكم هذا عينهُ بحسب مشيئة اللَّه، كم أنشأ فيكم: من الاجتهاد، بل من الاحتجاج، بل من الغيظ، بل من الخوف، بل من الشوق، بل من الغيرة، بل من الانتقام. في كل شيءٍ أظهرتُم أنفُسكم أنكم أبرياءُ في هذا الأمر" {٢كو٧: ١١}.

📖 وبأن تتضاعف زيادة بره عن خطاياه، كما كُتب عن زكا العشار {لو١٩: ٨}.

📖 **سئل:** ما هي الثمرة المستوجبة للتوبة؟

📖 **فأجاب:** هي أعمال البر المضادة للخطية، لأنها تكمل المكتوب: "لكي يثمروا في كل عمل صالح بالمسيح يسوع".

📖 **سئل:** الذي يعترف بفمه فقط أنه يتوب، ولا يشفي ذاته من الخطية، كيف يكون أمره؟

📖 **فأجاب:** قد كتب "إذا ما سألك عدوك بصوت عظيم فلا تسمع منه، لأن سبعة شرور في قلبه". وكما أن الكلب إذا عاد إلى قيئه تكرهونه، كذلك الذي يعود إلى الخطية بعد أن يتركها يكرهه اللّه.

📖 **سئل:** الذي يريد أن يعترف بخطاياه، هل يجب له أن يظهرها قدام كل أحد؟

📖 **فأجاب:** مكتوب "إني لا أشاء موت الخاطئ مثل عودته".

📖 ومعلوم أن عودته التي هي توبته، ينبغي أن تكون بمقدار خطيته.

📖 والتوبة محتاجة إلى ثمرة تليق بها، لأنه قد كُتب: "فاصنعوا أثماراً تليقُ بالتوبة" {لو٣: ٨}.

📖 وأيضاً: "فكل شجرةٍ لا تصنعُ ثمراً جيداً تقطع وتُلقى في النار" {لو٣: ٩}. فإذ الخطية هي مخالفة اللّه، واللّه يريد توبة الخاطئ.

📖 فينبغي للخاطئ أن يعترف بها للذين اؤتمنوا على تدبير سرائر اللّه، لأنه قد كُتب في الإنجيل أنهم كانوا "معترفين بخطاياهم ليوحنا المعمِّد "{مر ١: ٥}، وقد كُتب أيضاً أن الذين كانوا يعتمدون من الرسل، كانوا يعترفون لهم {أع ١٩: ١٨}.

📖 **سئل:** عن الذي يتوب عن الخطية، ويسقط فيها دفعة أخري؟

📖 **فأجاب:** معلوم أن هذا لم ينزع أصل تلك الخطية منه.

📖 فهو مثل الذي يقطع أغصان الشجرة، ويترك الأصل ثابتاً في الأرض، فيعود ينبت ويفرع.

📖 وهكذا بعض الخطايا تتولد من خطايا أخري غيرها، كالحسد، والمحارنة والمغالبة، فإن هذه تتولد من محبة مجد الناس.

📖 فإن الذي يحب مجد الناس، إذا رآهم يمجدون غيره أكثر منه يحسده ويقاومه، فإذا رأى إنسان أنه قد جاهد الحسد ولم ينقطع، فليعلم أن أصله ثابت. فإذا ما قطع الأصل بالتواضع، الذي يثبت بملازمة الأمور المحتقرة، لا تعود الفروع تنبت.

📖 وهكذا ينبغي أن نصنع في باقي الخطايا.

📖 **سئل:** فالذي يتوب جيداً، كيف ينبغي أن نقبله؟

📖 **فأجاب:** كما قال إنه يدعو أصدقاءه وجيرانه، ويقول افرحوا معي فقد وجدت خروفي الضال {لو١٥: ٦}.

📖 **سئل:** والذي لا يتوب، فكيف نصنع معه؟

📖 **فأجاب:** نصنع كما قال الرب: "وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندكَ كالوثنيِّ والعشار" {مت ١٨: ١٧}.

📖 وقد علمنا الرسول أيضاً قائلاً: "أن تتجنَّبوا كل أخ يسلُكُ بلا ترتيبٍ، وليس حسب التَّعليم الذي أخذهُ منَّا " {٢تس ٣: ٦}.

ميامر مار إسحق ونسكيات القديس باسيليوس ـ الجزء الثاني ـ صفحة ٢٥٤ ـ ٢٥٨

كيف تكون التوبة؟

📖 **سئل:** النفس التي في الخطايا، بأي نوع {بأية وسيلة} تبتعد منها؟

📖 وأي فكر ينبغي أن ترجوه، إذا ما تقدمت إلى الرب؟

📖 **فأجاب:** أولاً: يجب عليها أن تبغض سيرتها القديمة المرذولة بغضاً كاملاً، حتى إن {مجرد} ذكرها تمقته، كما كتب: "إني أبغضت الشر ورذلته، وناموسك أحببته" {مز ١١٨}. وبعد هذا تخاف، وتجعل لها الإنطراح إلى الحكم الأبدي، معلماً تنظر إليه كل حين.

📖 وتعرف وقت البكاء، كما علمنا داود في المزمور السادس.

وتصدق أنها تطهر من خطاياها بدم يسوع المسيح، وكثرة رحمة اللَّه وتحننه، لأنه قال: "إن كانت خطاياكم كالقِرمز، تبيضُّ كالثلج. إن كانت حمراء كالدُّوديِّ، تصيرُ كالصُّوف" {إش ١: ١٨}.

وعندما تنال قوة لمرضاة اللَّه تقول: "بالعشاء يحلُّ البكاء، وبالغداة السرور" {مز ٢٩}. وأيضاً: "شققت مسحي، وألبستني خلاصاً، ليرتل لك مجدي" {مز ٢٩}. وإذا تقدمت بهذه الصفة إلى الفضيلة، فهي ترتل للَّه قائلة: "أرفعك يارب لأنك قبلتني، ولم تدع عدوي يفرح بي" {مز ٢٩}.



سئل: مكتوب أن خلاص نفس الإنسان هومن غناه، فالذي لم يكن له هذا ماذا يصنع؟

فأجاب: يصنع اجتهاده، ويعطيه عن نفسه.

فإذا لم يقدر فليذكر قول الرب: "كل مَن ترك بيوتاً..." {مت ١٩: ٢٩}. وإذا لم يكن قد كان منه شيء من هذا، فليتعزَّ بقول الرسول: "لأني لستُ أطلبُ ما هولكم، بل إيَّاكُم " {٢كو١٢: ١٤}.

ميامر مار إسحق ونسكيات القديس باسيليوس ـ الجزء الثاني ـ صفحة ٢٨٥

هل كل الخطايا تستحق عقوبة الموت

سألوه: هل الذي يعصى أمراً، ترى يستحق الغضب والموت؟

وكيف قطع ربنا على بعض المعاصي بعقوبة دون البعض الآخر؟

فأجاب: قد قلنا في الميمر الأول ما فيه كفاية عن السؤال الأول.

ومما يوضح هذا المطلوب قول يوحنا الإنجيلي: "من يؤمن بالابن فله الحياة الدائمة. ومن لا يؤمن بالابن" ـ أي يطيعه ـ قال "لن يرى حياة، بل يمكث عليه غضب اللَّه " {يو٣: ٣٦}.

فقال "الذي لا يطيع الابن" ولم يميز شيئاً دون شيء.

وأما كونه ذكر العقوبة في بعض الوصايا دون البعض الآخر، فإني أظن أن التعليم الذي وضعه لنا الرب بعد التطويبات يقنع المؤمنين.

🕮 وهوأن من خالف أية وصية كانت من الوصايا، فهويستحق الغضب والموت، لأنه إن كان الذي يقول لأخيه "أحمق" يستحق نار جهنم كما قال {متى ٥: ٢٢}، فكيف لا يستوجب ذلك من يفعل مثل ذلك، وما هو شر منه؟!

🕮 وتأملوا أنه قد أزاد في بعض الوصايا وعيداً كوصية القتل، إذ حكم على أقل أسبابها بنار جهنم. وبعضها أكتفي فيه بأن ذكر أن الذي يفعل السبب فقد فعل المسبب، كقوله "أن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها، فقد زنى بها في قلبه" {مت ٥: ٢٨}.

🕮 ثم أنه قطع بقضية واحدة على جميع ما قال، وذلك بقوله: "إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين، لن تدخلوا ملكوت السماوات" {مت ٥: ٢٠}. ثم عند كمال قوله التعليم قال: "كل من يسمع أقوالي هذه ولا يعمل بها، يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت، فسقط وكان سقوطه عظيماً" {مت ٧: ٢٦، ٢٧}.

🕮 فقد علم أن قصده هو أن عقاب المخالفة عظيم، وإن التهديد المذكور في بعض المواضع هو واقع على كل الخطايا.

🕮 وهذا نعلمه أيضاً من كلام الرسل العارفين بالأكثر بمقاصد كلامه.

🕮 فإن الرسول بولس ينهى في بعض المواضع عن الخطايا، ولا يذكر عقوبة، مثل قوله: "ليرفع من بينكم، كل مرارة، وسخط، وغضب، وصياح، وتجديف، مع كل خبث" {أف ٤: ٣١}.

🕮 وفى موضع آخر يذكر بعض الخطايا، ويذكر عقوبتها مثل قوله: "لا زناة، ولا عبدة أوثان، ولا فاسقون، ولا مأبون، ولا مضاجع ذكور، ولا سارقون، ولا طماعون، ولا سكيرون، ولا شتامون، ولا خاطفون، يرثون ملكوت الله" {١ كو٦: ٩، ١٠}.

📖 وفى موضع آخر قال بأتساع: "وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم، أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق، مملوءين من كل أثم، وزنا، وشر، وطمع، وخبث، مشحونين حسداً، وقتلاً، وخصاماً، ومكراً، وسوءاً، نمامين مفترين مبغضين لله، ثالبين، متعظمين، مدعين، مبتدعين شروراً، غير طائعين للوالدين، بلا فهم، ولا عهد، ولا حنو، ولا رضى، ولا رحمة، الذين إذ عرفوا حكم الله، أن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت" {رو١: ٢٨ ـ ٣٢}، ومثل هذا كثير. وقد أوجب على جميعه الموت، ولم يميز خطية عن أخري.

📖 وقد قال ربنا: "من رذلني، ولم يقبل كلامي، فله من يدينه. الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير" {يو١٢: ٤٨}، فقال "كلامي" يعنى جميع ما قاله، ولم يميز عن البعض الآخر.

📖 وكذلك كتب موسى النبي في العتيقة وصايا كثيرة، ولم يكتب عقوبة من خالفها في موضعها.

📖 وإنما كتب في الآخر: "ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس" {غل٣: ١٠}. وفى موضع آخر يقول: "ملعون من يعمل عمل الرب برخاوة" {إر ٤٨:١٠}. فإذا كان الذي يعمل بتوان ملعوناً، فالذي لا يعمل البتة أية لعنة يستحقها؟!

ميامر مار إسحق ونسكيات القديس باسيليوس ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٢٢١ ـ ٢٢٣

هل العصيان هو فعل الشر
أم ترك الخير؟

📖 **سـألوه**: ما هو العصيان؟

📖 هل هو عمل ما نهى عنه من الشر، أم ترك ما أمر به من الخير؟

📖 **فأجـاب**: إن ربنا يسوع المسيح علمنا بأقواله وأعماله، أن نترك عنا الضلالة الأولى، وأن نثبت قلوبنا في عمل الأمانة الصحيحة.

📖 فقـال أولاً: "إن لـم يـزد بـركم علـى الكتبـة والفريسـيين لا تدخلوا ملكوت الله"، وبعد هذا وضع تعليمه الذي ذكر في آخره، إن من لا يسمع قوله كالذي يبنى بيته على الرمل. ثم ذكر مثل شجرة التين، التي أمر صاحبها بقطعها لما لم يجد فيها ثمرة {لو١٣: ٧}.

📖 ثم قوله ـ في حين مجيئه الثاني ـ للذين عن شماله: "اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية"، وذلك ليس لأنهم عملوا الشر، بل لنهم لم يعملوا الخير في إطعام الجائع وبقية القول {متى ٢٤: ٤٦}.

📖 ومثل هذا كثير، وظاهر في الكتب المقدسة، أعنى أنه ليس فاعلوا الشر فقط هم الذين يستوجبون العقاب، بل والذين يعملون الخير بتوان. وتأملوا قول يوحنا المعمدان: "فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً، تقطع وتلقى في النار" {مت ٣: ١٠}.

ميامر مار إسحق ونسكيات القديس باسيليوس ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٢٢٢

هل يرضى الله بر إنسان خاطئ؟

📖 **سـألوه:** هل يرضى الله بر إنسان إذا كان متعبداً {مستعبداً} للخطية؟

📖 **فأجـاب:** قال الله في العتيقة إن "من يذبح شاة فهو ناحر كلب، من يصعد تقدمة يصعد دم خنزير" {إش ٦٦: ٣}.

📖 وقال في الحديثة إن "من يعمل الخطية هو عبد للخطية " {يو٨: ٣٤}. وقال: "لا يقدر أحد أن يخدم سيدين" {مت ٦: ٢٤}.

📖 ووضع مثالاً قال في آخره هكذا "إن كان أحد يأتي إلى، ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته، حتى نفسه أيضاً. فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً" {لو١٤: ٢٦}.

📖 فإذا كان قد وضع هذه القضية المرهوبة على الذين يعملون الأعمال الوسطانية، فإذا ترى يقال عن الذين يعملون الأعمال المرذولة؟!

📖 وقد قال الرسول: "لأنه أية خلطة للبر والإثم؟!" {٢كو٦: ١٤}.

📖 فليس أحد إذاً يعيش بالخطايا، يرضى الرب ببر.

🕮 ولهذا أسألكم يا أحبائي أن تصير الشجرة صالحة، وثمرتها صالحة.
🕮 وأن ننقي داخل الكأس والصينية، وحينئذ يتطهر خارجها،
🕮 وأن نتعلم من الرسول أن نتطهر من كل دنس الجسد والروح.
🕮 ونكمل الطهارة بمحبة المسيح لكي نرضى الله، ويقبلنا في ملكوته مع جميع قديسيه، آمين..

ميامر مار إسحق ونسكيات القديس باسيليوس - الجزء الثالث - صفحة ٢٢٣

رسالة إلى راهب سقط ويريد الرجوع

🕮 إذا كان مازال لديك أمل في الخلاص.
🕮 وإذا كنت لا تزال تحتفظ ولو بقدر ضئيل من ذكر الله.
🕮 إذا كان لديك بعض الاشتياق لسعادة المستقبل.
🕮 أوإذا كان لديك قليل من الإحساس بالرهبة من العذاب المؤبد الذي أعد لغير التائبين.
🕮 فارجع إلى عقلك فوراً، وارفع نظرك إلى السماء، اترك هذا السلوك الشاذ، وتغلب على هذا الجنون الذي أحاط بك، واظهر رفضك لهذه القوة التي تجذبك إلى أسفل. ارفع ذاتك من الأرض، وتذكر الراعي الصالح الذي جاء ليبحث عنك ويعيدك.
🕮 إذا كنت تملك قدمين فعد سريعاً.
🕮 وإذا كنت تملك أذنين للسمع فاترك ما سبق، وتذكر مراحم الله.
🕮 ولا تفقد الأمل في خلاصك، وتذكر ما كتب: "الذين سقطوا سيقومون، الذين انصرفوا بعيداً سيرجعون، والذين هُزموا سيعتني بهم". الذين أحاطت بهم الحيوانات المفترسة سينقذون، والذين يعترفون {بخطاياهم} فلا يمكن أن يتخلى عنهم.
🕮 الله لا يريد موت الخطاة، ولكن يريد أن يتوبوا ويعيشوا.

🕮 لا تشعر بصغر النفس واليأس، لأنك وقعت في أعماق الخطيـة، لأن هذا الوقت هو فرصة لأن تفكر بعمق، وتعود إلى نقاوتك، وتسترجع صحتك.

🕮 إذ سقطت فقوم، وإذ أخطأت فتب، ولا تستمر في طريق الخطية ولكن ابتعد عنها. عندما تؤدب وتئن من الألم، فإنك قد أنقذت، لأنك بالجهد وبالعرق سترجع إلى نقاوتك الأولى، وتجد الخلاص.

🕮 إذا كنت متحمساً لتحترم بعض العهود التي تصنعها مع الآخرين، فلا تهمل شرف العهد الذي صنعته مع الله في وجود شهود. لا تتردد في أن ترسل إلى خطابات مهما كانت العوائق، ولا تجعل نفسك تيأس، بل تذكر الأيام الأولى، فإن باب الخلاص والتوبة مازالا مفتوحين أمامك، تشجع ولا تيأس، فلا يوجد قانون يسلمك إلى الموت بدون رحمة، ولكن هناك نعمة لتنقذك من العقاب، وتعطيك الفرصة لتعود.

🕮 الباب مازال مفتوحاً ولم يغلق بعد، وإن العذراء القديسة مريم مازالت تسمع، وتتشفع من أجلك. ليست للخطية سيطرة عليك.

🕮 إبدا في الجهاد مرة أخري، وأشفق على ذاتك، وعلينا جميعاً نحن الذين في المسيح يسوع إلهنا، الذي له القوة، والمجد، الآن، وإلى الأبد. آمين..

كتاب الطريق إلى الفردوس ـ القديس باسيليوس الكبير ـ صفحة ٥١ ـ ٥٢

من خطاب إلى أوربيكاس الراهب

🕮 علمت أنك تود زيارتنا حتى تخفف عنا أتعابنا قليلا، ولكن خطايانا وقفت حائلا أمامك، ومنعتك من الوصول إلينا، ولذلك جاهدنا وتعبنا وحدنا، ولم نحظى بمعونتك التي كنا في احتياج لها.

وإني أشبّه ما حدث بأمواج البحر، التي ما تلبث واحدة أن تتكسّر لتعقبها الأخرى، وتهددنا بأن تبتلعنا في ظلامها، هذا أيضاً ما يحدث في تجاربنا، فإن اللحظة التي تنتهي فيها واحدة، تلوح واحدة أخري أمامنا، ومعظم الوقت لا نجد إلا إجابة واحدة وهي: "دع الماضي يذهب، واهرب من تهديدات المستقبل.

في بعض الأحيان يظهر لنا أنه لا شيء يعطينا العزاء أو النصيحة، أو يقدر أن يريحنا، أو يشترك في مساعدتنا، فلا تيأس بل نضع أمام أعيننا أهم شيء، وهو أن نصلى باستمرار، حتى لا نُقهر بأمواج الاضطراب العظيمة التي تهاجمنا.

ولكن نتذكر أيضاً نعمة الله ومراحمه، فإذا فعلنا هذا فسوف لا نُعد ضمن الخدام المتقلبين، الذين يؤمنون فقط عندما تسير الأمور الحسنة، ولكنهم يتمردون عندما يجربون بالمحن والتجارب.

ليتنا نستغل الصعوبات الحالية لأجل نفعنا، ونظهر إيماناً أعظم في الله، لأننا في حاجة شديدة إليه، له المجد إلى الأبد آمين..

كتاب الطريق إلى الفردوس - القديس باسيليوس الكبير - صفحة ٥٢ - ٥٣

سئل القديس باسيليوس:

"كيف يكون حال من صعب عليه إتمام قانون التوبة؟"

فأجاب وقال: "حال ذاك يجب إن تكون كحال ابن مريض، وفي شدة الموت بالنسبة لأبيه الخبير بصناعة الطب، والذي يرغب في مداواته. {فالابن} فلمعرفته بصعوبة وصف الأدوية، والتعب الكثير في صناعتها، وبخبرة أبيه في الطب، ولأن قلبه يطيب بمحبة لأبيه له، ولرغبته كذلك في الشفاء، فكل هذه العوامل تجعله يرسخ لمداواته، فيمكنه من نفسه أن يتداوى ويحيا، كذلك {من} يصعب عليه قانون التوبة، فليترك الآمر بين يدي معلمه".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٨١



📖 قال القديس باسيليوس:

📖 "جيد ألا تخطيء، وأن أخطأت فجيد ألا تؤخر التوبة، وأن تبت فجيد ألا تعاود الخطية، وإذا لم تعاودها فجيد أن تعرف إن ذلك بمعونة الله، وإذا عرفت ذلك فجيد إن تشكره على نعمته، وتلازم سؤاله في إراحة معونته.

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٨٥

{١٦}

كتاب طريق النساك

الفصل الثامن

الاحتراس من عودة الخطية المغلوبة

📖 إن انتصارك على الذات للمرة الأولى، يمكن أن يكون علامة على أنك الآن قد بدأت السير في الطريق.

📖 ولكن لا تعتبر نفسك إنسانًا ذا فضيلة، بل اشكر الله لأنه هو الذي أعطاك القوة للنصرة، ولا تفرح فرحًا زائدًا، بل تقدم في طريقك بسرعة، وإلاّ فإن الخطية المغلوبة ربما ترجع إلى الحياة مرة أخري، وتطعنك من الخلف.

📖 تذكر: أن بنى إسرائيل أُمروا من الله أن يطردوا "كل سكان الأرض" حينما امتلكوا الأرض الجديدة {انظر عد٢٣:٥١-٦١}، وذلك لكي يكونوا مثالاً لنا لكي نتعلم منهم.

📖 إن درجة انتصارنا على الذات قد تكون ذات قيمة تافهة، كأن نكون مثلاً قد تخلينا عن تدخين سيجارة الصباح، أوقد يكون شيئًا غير مهم بحسب الظاهر مثل عدم تحريك رأسنا، أو الإمساك عن نظرة معينة.

📖 فالحدث الخارجي ليس هو الأمر الحاسم، فالشيء الصغير يمكن أن يكون كبيرًا، والكبير يمكن أن يصير صغيرًا.

📖 ولكن المرحلة التالية من المعركة هي دائمًا تنتظرنا، لذلك ينبغي أن نكون مستعدين على الدوام، فليس هناك وقت للراحة.

📖 ومرة أخري نقول: كن صامتًا: لا تدع أحدًا يلاحظ ما تفعله، فأنت تعمل في خدمة الإله غير المنظور، فليكن عملك أيضاً غير منظور، إذ يشرح لنا القديسون، أنه إن كنا نلقى بالفتات حولنا، فلابد أن تلتقطها الطيور المُرسلة من الشيطان.

📖 احذر من إرضاء الذات: فإنها في لقمة واحدة، يمكن أن تلتهم ثمار أتعاب كثيرة، لذلك فإن الآباء ينصحون قائلين: اعمل بإفراز وتمييز.

📖 فالذي يميز يختار أهون الشرين.

📖 إن كنت على انفراد، فخذ النصيب الأصغر، أما إن كان أحد يراك من الناس، فينبعي أن تأخذ الطريق الوسط الذي لا يثير الانتباه.

📖 احفظ نفسك في الخفاء، وكن غير ظاهر على قدر ما تستطيع، واجعل هذا هو قانونك في كل الظروف. لا تتحدث عن نفسك، عن كيف نمت، وماذا حلمت، وما حدث لك، فالاتضاع لا غنى عنه.

📖 تقبل أي ملاحظات توجه إليك بدون تذمر: بل كن شاكرًا حينما تُحتقر، وحينما يتجاهلك أحد، ولا يعطيك اهتمامًا.

📖 ولكن لا تختلق أنت بنفسك المواقف المهينة، بل إن هذه المواقف ستقابلك من نفسها، بالقدر الذي تحتاج أنت إليه، خلال مسيرة اليوم.

📖 فقد نلاحظ الشخص الذي ينحني كثيرًا، ويتصرف بمذلة مثيرة، وربما نقول ما أكثر تواضع هذا الشخص! ولكن المتواضع الحقيقي لا يلفت الأنظار: "فالعالم لا يعرفه" {انظر ١يو٣:١}.

📖 فإن المتواضع هو في الغالب "صفر بالنسبة للعالم".

📖 حينما ترك بطرس وأندراوس ويوحنا ويعقوب شباكهم وتبعوا المسيح {مت٤:٢}، فماذا قال زملاؤهم الصيادون الذين بقوا كما هم على الشاطئ؟ فإن هؤلاء الأربعة قد تلاشوا، واختفوا بالنسبة لبقية الصيادين.

📖 فلا تتردد، لا تخف أن تختفي مثلهم، من هذا الجيل الفاسق الشرير، ولا تعرض أرائك بدون أن يسألك أحد، ولا تتكلم عن رغباتك واهتماماتك. فكل مثل هذا الكلام إنما يغذى انشغالك بذاتك.

📖 لا تغير عملك، أو مكان إقامتك، أوأي شيء مثل ذلك.

📖 تذكر: أنه ليس هناك مكان، وليس هناك مجتمع، ولا ظروف خارجية، لا تخدم المعركة الروحية التي قد اخترتها، والاستثناء الوحيد لهذه القاعدة هو: أي عمل يساعد رذائلك بطريقة مباشرة.

📖 لا تسعى إلى مراكز أعلى، أو ألقاب أعظم، فكلما كان مركزك أقل، كلما كنت أكثر حرية.

📖 كن مكتفيًا بظروف المعيشة التي تحصل عليها الآن.

📖 لا تكن متحفزًا لإظهار علمك أو مهارتك.

📖 "لا تتعجل في إبداء ملاحظاتك، كأن تقول: لا، إن الأمر ليس كذا وكذا، بل هو كذا وكذا". لا تناقض أي شخص، ولا تدخل في مجادلات، واسمح لغيرك أن يكون دائمًا على صواب.

📖 لا تجعل مشيئتك الخاصة فوق مشيئة أخيك. فإن هذا سيعلمك ذلك الفن الصعب: فن الخضوع، ومع الخضوع ستقتنى الاتضاع.

كتاب طريق النساك ـ صفحة ٢٥ ـ ٢٧

{١٧}

كتاب الحرب اللامنظورة

الفصل الثامن والعشرون
ماذا نعمل عندما ننجرح في المعركة؟

🕮 إن جرحت بداعي رضوخك لخطيئة ما، سواء عن ضعف، أومن طبيعة قيمك الخاطئة، كأن تتلفظ بكلمة غير لائقة، أو تفقد هدوءك، خامرك فكر شرير، أو هوى اضطرم فيك. فلا تفقد قلبك، فتجعله أسيرا لضوضاء لا معنى لها.

🕮 في الأول وقبل كل شيء، لا تزهو بنفسك فتقول: كيف أصابني ذلك؟ هذا كلام زهو وكبرياء. إنما بادر إلى التواضع، وارفع عينيك إلى الله وأنت تردد بكل رهافة: ماذا يرتجى من خاطئ ضعيف مثلي يارب غير هذا؟

🕮 بعد ذلك ارفع الشكر له، فالأمر لم يكن أكثر مما كان، وقل: "لولا رحمتك التي لا تحد يارب، لما توقفت حيث توقفت، بل كنت سأصير إلى ما هو أسوأ".

🕮 وفي أي حال، لا تدمج شعورك هذا بالتساهل مع نفسك، كي لا تسقط في طيش الفكر، فتدعى بأنك كما أنت، وهذا يبرر خطيئتك. كلا. فرغم ضعف طبيعتك وإمكانية سقوطك، فأنت مجرم بما ارتكبت، لاسيما وأنك تتمتع بمشيئة حرة، فما تقترفه سبق أن عرض على إرادتك. فكل خير هولك، والشر يعمل ضدك.

🕮 لا يبرئ ساحتك مجرد الإحساس أنك رديء، على أساس ما فعلت، بل بادر إلى دينونة نفسك، ولا تفتش حولك عمن تعاتبه، فالناس والظروف التي حولك، لا يحملون تبعة إثمك.

🕮 اللوم كله موجه إلى إرادتك، فبادر إلى ملامة نفسك.

🕮 لا تحذو حذو من يصرح فيقول: أجل، لقد اقترفت ما اقترفت فأين المشكلة؟ كلا. فأنت منذ أن تتنبه لخطيئتك، بادر إلى لوم نفسك على أساس دينونة الله المحتومة.

📖 عجل إلى إضرام مشاعر الندم والانسحاق، ليس بداعي انجرافك نحو الخطيئة وحسب، بل لأنك بخطيئتك جرحت الله الذي لطف بحالك، وحثك داعيا إياك إلى التوبة، وترك الذنوب السالفة، ومساهمتك في أسراره، وقيادتك ورعايتك في الدرب القويم كي تنمو. فخير للندامة أن تكون عميقة، وتخلو من الشك بالغفران الذي أعد لك بالتمام من قبل، والخطايا التي زالت على خشبة الصليب.

📖 التوبة هي واجب كل من يطمع بعمل المسيح الخلاصي، لذا اسجد بكليتك واصرخ: "ارحمني يا الله كعظيم رحمتك" {مزمور٥٠}.

📖 لا تتوقف حتى تبلغ الندامة، وتشعر بنيل الغفران، فالملامة والغفران متلازمان. إن هذه النعمة تحل في نهاية المطاف على كل تائب، وتقترن بالعزيمة، والتعهد بأن لا يتساهل المرء مع نفسه مستقبلا. بل يرصد حركاتها بدقة، فيتقي السقطات الصغيرة والكبيرة، مواظبا على الصلاة من أجل النعمة لكل أعمالنا.

📖 لقد ثبت أن عدم الاعتماد على النفس، هو الذي يدفع القلب إلى طلب المعونة من الله: "قلبا نقيا أخلق في يا الله" {مزمور٥٠}

📖 عليك بملامة النفس، والانسحاق، والصلاة المفعمة بترجي الغفران، مع عزيمة توحي إليك بمراقبة النفس، لاحقا، والصلاة من أجل النعمة، لتثبيتها فينا، في مسعانا وفى كل آن.

📖 عندما ترتكب خطيئة من أي نوع بالعين، أو الأذن، أو اللسان، أو الشعور، لا تدع الخطيئة تساكنك ول ولدقيقة، إنما بادر إلى البوح بها.

📖 لا تتوانى عن تطهير قلبك بالتوبة النقية أمام الله.

📖 وإن حدث وسقطت بعد ذلك، فبادر إلى عمل الأمر نفسه.

📖 بعد كل إثم، بادر إلى طلب النقاوة في حضرة الرب. سر الأمر

لأبيك الروحي في مساء اليوم نفسه، إن أمكن، وإلا عجل إلى ذلك في أقرب فرصة.

📖 فالاعتراف أمام الأب الروحي مفيدا جدا في الحرب الروحية، لا شيء يرد العدو على أعقابه ويلحق به الهزيمة، غير هذا.

📖 فهو يتوق إلى إعاقتك بكل الوسائل المتاحة، الخارجية منها والداخلية. أما داخليا، فبالأفكار، والأحاسيس. وخارجيا، فتوفير الدواعي للقاءات، والأمور الباطلة.

📖 لكن مهما كان الثمن، انتبه كي تكشف ألاعيبه.

📖 سأسوق لك أمرا: لا تنسى أن العدو يتلهف جدا إلى إقناعك بتأجيل النقاوة الداخلية توا.

📖 فهو يوجس لك بأن الخطيئة أمر معروف، لكن تريث بعض الشيء للحظة، لا ليوم أو ساعة. فأنت عندما تقبل إيحاءه هذا، فإنه يبادر إلى إعداد خطيئة أخري يرميك بها، بعد خطيئة اللسان، خطيئة العين، وخطايا الحواس الأخرى. وهكذا، فأنت في النهاية تتوانى عن عمل النقاوة من جهة الخطيئة الثانية، ويكون ذلك رغما عنك.

📖 ما عليك إلا أن تبادر إلى تنقية الخطيئة الأولى، فالإهمال يؤول إلى الوقوع في خطايا أخري، ومن شأنه أن يجعل خطاياك تدوم يوما بكامله، وعند حلول المساء تهمل أعمال التوبة والتنقية.

📖 فالنفس قد فقدت قدرتها وشوقها إلى ذلك، بعد تشويش كثير، وظلام كثير، بحيث أن النفس تكون بمثابة عين ذر فيها تراب أو ماء موحل، فهي تعجز عن رؤية أي شيء، فيؤول ذلك إلى إهمال التوبة، وتترك النفس في رجاستها.

📖 من جراء هذا، تكون صلاة المساء منقوصة والأحلام رديئة.

📖 لذا، لا تتوانى في شؤون النقاوة الداخلية، ولو إلى حين، بل بادر إلى التوبة توا عندما تتنبه لخطيئتك.

لقد اعتاد الشيطان أن يهمس لنا التكتم، وعدم الإفصاح عما يصيبنا، بالاعتراف أمام الأب الروحي، فلا تصغ إليه، بل قاومه بشدة، وبادر إلى أبيك تبوح له بكل مكنوناتك. فكما أن للاعتراف منافع حميدة كثيرة، هكذا، للتكتم مساوئ وأذى كثيرة تتولد منه.

كتاب الحرب اللامنظورة ـ القديس نيقوديم الاثوسي ـ صفحة ١٣٥ ـ ١٣٧



{١٨}

قداسة البابا شنودة

التوبة والاعتذار والتبريرات

باسم الآب والابن والروح القدس
الاله الواحد آمين

التبريرات:

١ ـ كنت قد كلمتكم فيما سبق عن التوبة:

إن أراد الإنسان أن يتوب يجب أن يبتعد عن التبريرات والأعذار.

إذا كان الشخص بارا في عيني نفسه لن يتوب، لكن متى يتوب الإنسان، ويغير مسلكه؟ إذا اعترف أنه مخطئ.

صعب على أي إنسان أن يقول إنه مخطئ.

ومن هنا كانت الأعذار والتبريرات تشمل حياة البشرية كلها، من أول آدم وحواء، لا آدم اعترف، ولا حواء.

آدم أعطى نفسه عذرا وقال "المرأة أعطتني فأكلت" {تك ٣: ١٢}.

وحواء أعطت نفسها عذرا وقالت "الحية قالت لي وأكلت"، كما لو

كانت هذه الأعذار مقبولة أمام الله.

📖 ٢. صدقوني لو صدقنا كل عذر يقوله إنسان لما وجد خاطئ واحد على الأرض. وهناك أناس يعتذرون بأسباب حقيقية، مثل آدم لما قال المرأة أعطتني، وحواء لما قالت الحية غرتني.

📖 وهناك من يعتذر بأكاذيب، تقول لإنسان كلمة فيجيب بأي كلام، وقد يكون هذا الكلام ليس له علاقة بفعله، لكنه يقول كلاما.

📖 ولعل إنسانا يجادل في أمر واضح الخطأ، ويتحول الأمر إلى مجادلة، ويظل الخطأ كما هو خطأ.

📖 ٣. محبة الذات، ومحبة المجد الباطل، تجعل كل إنسان يبرر موقفه. قد يكون إنسان لا يصلي، وتسأله لماذا لا تصلي؟ لماذا لا تقول قانونك؟، أو مزاميرك؟ فيعطي أعذارا، ولا يقول إنه مخطئ.

📖 قد يقول ليس لديه وقت، وقد يقول الأمر ليس بكثرة الصلاة، ويفلسف الأمر، المهم أن قلب الإنسان يكون متصلا بالله، وليس الكلام هو المهم.

📖 هذا يخترع شيء آخر لعله مبدأ جديد يضر، وقد ينسب الأمر لغيره، غيره عطله، ولم يسمح له بفرصة ليصلي.

📖 ربما صلاة نصف الليل لا يحضرها، أولا يصليها، وإن كلمته يعطي عذراً، وإن صدقنا كل الأعذار التي يقولها الرهبان الذين لا يحضرون نصف الليل لأمرنا الشخص المتولي دق جرس الكنيسة إلا يدق جرس نصف الليل.

📖 ٤. من ليس له أعذار؟!

📖 من الصعب أن إنسانا يقول أنا بلا عذر.

📖 الله يقول "أنت بلا عذر أيها الإنسان" {رو٢:١}، لكن الإنسان يخترع لنفسه أعذارا. أما أعذار حقيقية ولكنها غير مقبولة، مثل أعذار آدم

وحواء. وإما أعذار بأكاذيب، أو أعذار مختلفة.

📖 أ ولعلها خيالات، يعتذر بخيالات، أو مخاوف، كما يقول الكتاب "قال الكسلان الأسد في الخارج" {أم ١٣:٢٢}، وبالطبع لا يوجد أسد في الطريق لكن خيالات.

📖 إنسان غضوب نقول له لماذا؟ يجيب المهم أن قلبه أبيض!، كيف يكون غضوب وقلبه أبيض، مجرد عذر. أو إنسان لا يصوم يقول هل الحياة الدينية أكل وشرب؟ ويفلسف الأمر.

📖 أصعب شيء في الأعذار أن الإنسان يفلسف الأخطاء، أو يوجد شرعية للخطأ، مثل الذي لا يصوم ويقول الحياة ليست أكلا وشربا، وقد يأتي لك بأية "فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب" {كو٢: ١٦}، والآية لم تقل في هذا المجال، أو بهذا المعنى.

📖 ٦. حتى الهرطقات والبدع، تحاول أن تأتي بأعذار لها من الكتاب والآيات. وقد يأتي إنسان بعذر، ويقول:

📖 لا توجد قدوة صالحة أمامي. لا يوجد مرشد.

📖 لا توجد إمكانية. أو يقول الوصية صعبة.

📖 أو يقول الناس كلهم هكذا، هل هذا عذر؟

📖 لونوح قال الناس كلهم هكذا ما دخل الفلك، الناس كلهم مخطئين، لكن هذا ليس عذرا. وما كان يوجد عذر للوط لو قال الناس كلهم هكذا، كان يصير مثلهم. وما كان عذر ليوسف الصديق، فقد كان الوحيد الذي يعبد الله في مصر، قبل أن يأتي إخوته إلى مصر ليبتاعوا قمحا.

📖 ٧. حتى إذا وجدت خصومة بين الناس، تجد أعذار، وتبريرات.

📖 تجد واحدا من الاثنين مخطئ، ويقول إنه غير مخطئ، لماذا؟ لأنه يعطي أعذار وتبريرات لنفسه، وهكذا تتعقد الأمور.

📖 من أصعب الأشياء في الحياة الروحية أن الإنسان يجد لنفسه

أعذارا وتبريرات، لأن معناها أن الإنسان لا يريد أن يحمل مسئولية عمله. وما أكثر الحجج التي يقدمها الناس ونتعجب منهم، نعم صدق الكتاب عندما قال "أنا قلت إنكم آلهة" {يو١٠:٣٤}، كل شخص كإله يريد أن يظهر معصوما من الخطأ، وليس هناك معصوم سوى الله.

📖 ٨. وهناك أمور صعبة جدا ومع ذلك يحاول الناس أن يجدوا لها عذرا، شيء غريب! مثلا مثل أبونا إبراهيم أب الآباء، قال عن سارة إنها أخته وكذب، وهي زوجته، لكن لماذا تفعل ذلك يا إبراهيم؟ حتى أن أبيمالك وبخه، وسأله لماذا فعلت ذلك "أعمالا لا تعمل عملت بي" {تك٩:٢٠}. تصور ملكا أمميا يوبخ إبراهيم أبو الآباء؟!

📖 إبراهيم أعطى نفسه عذرا، بل أعطى نفسه عذرين وليس عذرا واحدا. أول عذر قال: "إني قلت ليس في هذا الموضع خوف الله البتة. فيقتلونني لأجل امرأتي" {تك٢٠:١١}.

📖 يبرر كذبه بأن الناس ليس عندها خوف الله، فهل أنت عندك خوف الله؟! ليكن عندك أنت خوف الله، ما دام هذا المكان ليس فيه خوف الله، فمن أنزلك فيه؟ ولماذا أقمت فيه؟

📖 وما دام المكان ليس فيه خوف الله، فهل تقدم امرأتك لتنجو أنت بنفسك؟ يقتلونني؟ ليقتلوك وتكون شهيدا، وتنقذ امرأتك.

📖 قال إبراهيم "إني قلت ليس في هذا الموضع خوف الله البتة فيقتلونني لأجل امرأتي، وبالحقيقة أيضاً هي أختي، ابنة أبي، غير أنها ليست ابنة أمي. فصارت لي زوجة" {تك ٢٠:١٢}.

📖 وهذا العذر الثاني "وحدث لما أتاهني الله من بيت أبي أني قلت لها هذا معروفك الذي تصنعين إلى. في كل مكان نأتي إليه قولي على هو أخي" {تك ٢٠: ١٣}.

📖 عمم الكذب، أي ليس في هذه المرة فقط قال عنها أخته، بل طلب

منها أن تقول ذلك دائما حتى لا يقتلوه، فليأخذوها وليتزوجوها، أو يفعلوا أي شيء، المهم أن ينجو هو من القتل.

أبونا إبراهيم هذا الذي لا نستحق تراب قدميه، برر الأمر بكلام.

من أراد أن يجد عذرا سيجد، حتى لو قال عن زوجته إنها أخته.

---

٩. إيليا النبي خاف من إيزابيل:

شيء عجيب أن يخاف إيليا من إيزابيل، إيليا الجبار:

الذي انتصر الانتصار العجيب في جبل الكرمل.

الذي فتح السماء وأغلقها يخاف من إيزابيل؟!

وهرب ورآه الله وقال له، ما لك ههنا يا إيليا ماذا تفعل هنا؟ هل هذا هو الكرمل، هل هذا مكان العبادة والنبوة؟ أجابه "نقضوا مذابحك، وقتلوا أنبياءك بالسيف، فبقيت أنا وحدي، وهم يطلبون نفسي ليأخذوها" {امل ١٠:١٩}. يحاول أن يجد لنفسه عذرا، ناس متعبين وقتلوا أنبياءك، وهم يطلبون الآن نفسي ليقتلوها.

هل تخاف أن يقتلوك وأنت معك الله الذي جعلك تغلق السماء وتفتحها، وجعلك تقتل ٨٠٠ نبيا من أنبياء البعل وأنبياء المرتفعات؟!

هل تخاف من هؤلاء؟ وإن خاف إيليا النبي فماذا يفعل الباقون؟ شيء صعب، لكن إيليا يجد لنفسه عذرا.

---

١٠. شاول الملك عندما قدم ذبيحة وهو رجل ليس من سبط لاوي، ولا من بني هارون، وليس له علاقة بالذبيحة.

صموئيل النبي سأله، لماذا تقدم أنت الذبيحة؟

أجابه لأنك تأخرت عن ميعادك، وكان لابد أن تقدم الذبيحة، برر الأمر، أراد أن يكون نبيا، أو كاهنا، ولم يقل أخطأت.

الذي يريد أن يجد عذرا يستطيع، عند ارتكاب الخطية، وبعد ارتكاب الخطية يجد العذر، لكن الله فاحص القلوب والكلى، بينما يوجد ناس مهما حدث لا يجدون لأنفسهم عذرا.



🕮 ١١. **من أمثلة ذلك اللص اليمين:**

🕮 تخيل اللص اليمين لو لم يكن قد آمن بالمسيح، كان يمكن أن يجد ألف عذر، يقول: هل أستطيع أن أؤمن بالمسيح إلها وهو مصلوب بجانبي؟! كيف والبصاق على وجهه، واللطم والجلد، ولا يستطيع أن يخلص نفسه؟ كيف والشعب كله ضده يقول أصلبه أصلبه؟

🕮 أؤمن به كإله ورؤساء الكهنة أنفسهم يقولون عنه إنه رجل يستحق القتل، وضال ومضل، ومجدف، وكاسر السبت، وكاسر للشريعة.

🕮 له أعذار كثيرة، حتى اللص الآخر كان يجدف على المسيح، لكن اللص اليمين لم يسمح أبدأ للعوائق التي أمامه أن تمنع إيمانه.

🕮 ١٢. **صدقوني:**

🕮 إن الذي يؤمن بالمسيح ولا يكترث بالعوائق، هذا أجره لا يوصف عند الله. قد يستتر الإنسان وراء العوائق، لكن الذي ينتصر على العوائق هذا جبار بأس.

🕮 يوسف الصديق كانت أمامه عوائق:

🕮 عند حرب امرأة فوطيفار له كان هو عبدا، ومملوكا لها، وتستطيع أن تضعه في السجن، ولحق به سمعة سيئة، وتستطيع أن تشكوه، وزوجها رجل مقتدر، و ... أمور كبيرة جدا ضده.

🕮 وهي التي تضغط وتطلب، وهو شاب صغير أي كل الأمور تعطيه أعذارا، لكن مهما كانت العوائق يوسف انتصر عليها، لماذا؟ لأن يوسف الصديق لم يفكر إطلاقا أن يجد لنفسه عذرا، لا وإن أراد أن يجد لنفسه عذرا سيجد.

🕮 ١٣. فالإنسان الذي دفن الوزنة وجد لنفسه عذرا، قال لسيد: علمت أنك رجل ظالم تحصد ما لم تزرع و .... فقلت أخبئ الوزنة حتى لا يحدث أمر من الأمور، الذي دفن الوزنة يبحث لنفسه عن عذر.

📖 ١٤. هناك من يعتذر عن الأخطاء، وهناك من يعتذر عن الخدمة:

📖 موس النبي حاول أن يعتذر عن الخدمة وقال: "لست صاحب كلام منذ أمس، ولا أول من أمس" {خر ٤:١٠}.

📖 وبالفعل كان هكذا، لم يكن صاحب كلام، كان ثقيل اللسان، لكن الله قال له لا. ووجد موسى عذرا آخر، قال لن يصدقوني.

📖 قال له الله هذا أيضاً ننتصر عليه. وجد عذرا آخر وقال: الناس سيقولون لي من أتى بك، ومن قال أن الله ظهر لك؟

📖 أجابه الله هذا أيضاً نجيب عنه.

📖 عذر آخر السحرة الذين في مصر، وهذه أيضاً لها رد، ونستطيع أن نجتاز هذه المرحلة. كل أعذار موسى أجابه الله عنها، ولم يقبل الله أي كلمة اعتذار عن الخدمة من موسى النبي، رغم أن كل أعذاره كانت صحيحة.

📖 ١٥. نفس الأمر بالنسبة لإرميا:

📖 قال لله "لا أعرف أن أتكلم لأني ولد" {إر ١:٦}

📖 أجابه الله "لا تقل أنى ولد لأني إلى كل من أرسلك إليه تذهب،

📖 لأني أنا معك" {إر ١:٧}. الله لا يقبل أعذار عن الخدمة.

📖 الله دعي آخرين أيضاً للخدمة ووجدوا له أعذارا.

📖 هناك من قال أنا تزوجت. ومن قال لي خمسة أزواج بقر.

📖 ومن قال أذهب لأدفن أبي. كل إنسان وجد عذرا عن الخدمة.

📖 ١٦. السلوك الوحي:

📖 لكن أولاد الله الذين يسلكون في طريق روحي، لا يمكن أن يجدوا عذرا لأنفسهم.

📖 قد نسأل سؤالا: ما الذي يمنع الناس أن يكونوا قديسين كأيام القديسين؟ ما هو العذر؟ نقول الزمان مختلف عن زمن القديسين؟

📖 زمننا مختلف ليس زمن سواح، ولا متوحدين؟
📖 زمننا مختلف لا يمكن أن ينفذ فيه الإنسان وصية الله؟!
📖 لا من قال هذه الأعذار، وهذا الكلام؟ القداسة ممكنة في كل زمان ومهما كانت العوائق.
📖 هل ستكون عوائق أكثر من حالة سدوم وعمورة.
📖 أم أكثر من حالة العالم الذي أغرقه الله بالطوفان.
📖 أم أكثر من حال يوسف الذي تحمل ضغوط امرأة فوطيفار؟!
📖 لا يمكن أبداً، العالم هو العالم، والخطية هي الخطية، ولكن الإنسان الذي يقف أمام الله يريد أن ينفذ وصية، والوصية هي الوصية.

📖 ١٧. نحن نقول "حل واغفر لنا يا الله"

📖 اصفح عن سيئاتنا التي صنعناها بإرادتنا، والتي صنعناها بغير إرادتنا، التي فعلناها بمعرفة، والتي فعلناها بغير معرفة، أي حتى الخطية الخفية ليست عذرا، والتي بغير إرادتنا ليست عذرا، والتي بجهل ليست عذرا، نطلب عنها صفح. المفروض أن نقف أمام الله، ولا نحاول أن تبرر أنفسنا عن أخطائنا.

📖 ١٨. الكتاب يقول "كونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السماوات هو كامل" {مت ٥: ٤٨}.
📖 نقول له الكمال غير ممكن، وخاصة في جيلنا نحن غير ممكن؟
📖 كيف الله يعطي وصايا صعب تنفيذها؟ إذا كيف يعطيها؟
📖 لو كانت الوصية غير ممكنة التنفيذ، ما كان الله طلبها منك "أنت بلا عذر أيها الإنسان" {رو١:٢}.
📖 "كن كاملا" {تك١٧:١}، إذا كن كاملا.
📖 "كونوا قديسين" {ابط ١: ١٦}، إذا كونوا قديسين.
📖 نقول له لا نستطيع أن نكون قديسين، أو كاملين؟
📖 لا، إن كانت الوصية صعبة بينما الكتاب يقول "وصاياه ليست

ثقيلة" {إيو٣: ١٠}، فالنعمة موجودة، والروح القدس موجود، وعمل النعمة وعمل الروح القدس في قلب الإنسان موجود، ويد الله التي تسند موجودة، وروح الله الذي يرشد موجود.

📖 ما عذر الإنسان إذا؟ ما عذرنا أننا لا نحيا حياة القديسين الذين سبقونا في هذا الطريق؟

📖 **١٩.** أمام الله يقول الكتاب "يستد كل فم" {رو٣: ١٩}.

📖 ما معنى يستد كل فم؟ أي لا يوجد أعذار ـ أنتم مدعوون لحياة الكمال، وحياة القداسة، ولا عذر لأحد منكم في أن يصل إلى الكمال والقداسة، لا عذر. إبراهيم أب الآباء طُلب منه أن يقدم ابنه ذبيحة. كان يجد أعذارا كثيرة.

📖 قد يقول: "يارب هذا أمر فوق طاقتي، من يستطيع يارب أن يقدم ابنه ذبيحة، هل يعقل هذا؟ إذا كنت يارب تريد أن تميت إسحق فلتمته أنت، لكن لا تجعلني أنا أرفع السكين عليه، لا أستطيع.

📖 إلا تعلم شعور الآباء؟ أنت تعلم كل شيء.

📖 كان يستطيع أن يقول له ذلك، وكان أيضاً يستطيع أن يقول لله:

📖 كيف يارب اذبحه وأنا قد أخذت به المواعيد، وأنت تقول لي بإسحق يكون لك نسل فكيف يكون لي نسل وأنا ذابحه؟ وهو لم يتزوج بعد، أوصار له أولاد، فليتزوج أولا ثم أذبحه، بعد أن تعطيه أولادا، ليكون لي نسل منه، هل أذبحه الآن؟! أذبحه الآن!"

📖 الأمر بسيط ولا يعتذر إبراهيم، كان يمكنه أن يقول: "ماذا تقول لي سارة أمه، وماذا تقول عني؟ وإسحق نفسه لا لم يعتذر ما دام الله قال ذلك فلننفذ الوصية.

📖 **٢٠.** وهل أنت طلب منك وصية صعبة أصعب من تقديم إسحق الابن الوحيد الحبيب محرقة؟! أن يعتذر إبراهيم عن ذبح ابنه، بلا شك سيجد الآلاف يشجعونه على الاعتذار، وعلينا هذه الخطية،

وسنقف تتشفع فيك أمام الله، ولا تذبح إسحق.

📖 لكن إبراهيم ليس كذلك، ما دام الله قال، إبراهيم يطيع.

📖 ولم يطع قوله فقط بل "بكر إبراهيم صباحاً" {تك ٢٢: ٣}، بسرعة، ينفذ الوصية بسرعة.

📖 **٢١.** داود النبي كان راعيا، وهجم أسد ودب على شاة من القطيع، لوترك داود الأسد والدب يأكلان الشاة فلن يلومه أحد، لأنه كان صغير السن، بل كان أباه وأمه يقولون له القطيع كله فداؤك وعش أنت. هل ستحارب أسد ودبا؟ من يقدر عليهما؟ تكفينا سلامتك وعودتك إلينا سالما. هل كان أحد يستطيع أن يلوم داود إذا ترك الأسد والأب يفترسان الشاة؟

📖 لا أحد يستطيع، لكنه لم يبحث عن أعذار، بل هجم على الأسد والدب ودخل معهما في عراك. كيف وهو صغير السن؟ لأن هذا واجبه فقام به، ولكنه أسداً يا داود، إلا تخاف؟ يقول: لا يهم أسد ما دام الرب معي، ولا يوجد دب ما دام يوجد الله.

📖 **٢٢.** أيضاً في حياة داود قصة تشبه ذلك، وهي علاقته مع شاول الملك الذي أراد أن يقتله. وداود قال "قد دفعك اليوم الرب ليدي ... وقلت لا أمد يدي إلى سيدي، لأنه مسيح الرب هو" {اصم٢٤:١٠}.

📖 لا تمد يدك يا داود، لكن الله سيجعله في قبضة يدك.

📖 ودفعه الله إلى يديه، وداود قال مستحيل مسيح الرب هو، لو قتل داود شاول، كان سيجد لنفسه ألف عذر.

📖 فشاول كان مرفوضا من الله، وقال الله لصموئيل "حتى متى تبكي على شاول وأنا قذ رفضته" {اصم ١:١٦}.

📖 وليس فقط مرفوضا من الله، بل وفارقة روح الرب.

📖 بل أيضاً باغتة روح رديء وكان به شيطان، وداؤد نفسه كان

يضرب على القيثارة له، أي داود يعرف أمر هذا الروح الرديء.

🕮 وحاول شاول أن يقتل داود أكثر من مرة.

🕮 أي عذر داود، أن شاول ذهب عقله وحاول قتله أكثر من مرة، حتى أنه حاول مرة أن يقتل يوناثان ابنه لأنه دافع عن داود، وضرب السهم فيه لكن الله لم يسمح.

🕮 ودفع الله شاول ليد داود، والشعب كله معه.

🕮 لكن داود قال: لا لن أمد يدي لمسيح الرب. كيف يا داود وأنت هو مسيح الرب؟! وصموئيل النبي قد مسحك من قبل، وشاول مرفوض؟

🕮 ٢٣. كل هذه الأمور لم يعتذر بها داود. " كيف دفعك الرب اليوم ليدي ... وقلت لا أمد يدي إلى سيدي لأنه مسيح الرب هو".

🕮 مرفوض، أو غير مرفوض، به روح رديء، أوليس فيه، أنا لست ديانا للناس، لكني لا أستطيع أن أمد يدي إليه.

🕮 ولم يقبل داود هذه الأمور عذرا، ولما دفع إلى يديه رفض أن يمد يده إليه وقال له "وراء من أنت مطارد. وراء كلب ميت" {اصم ١٤:٢٤} وأنا مسيح الرب، حتى أن شاول تعب، وأنب نفسه وقال له "أنت أبر مني" {اصم١٧:٢٩}، "أهذا صوتك يا ابني داود" {اصم ١٩:٢٩}. وشاول الجبار رفع صوته وبكى، أبكاه نبل داود، وأن داود لم يبرر ذاته، ولم يعتذر بعذر.

🕮 ٢٤. أيضاً قصة جليات:

🕮 داود صغير السن، وجليات جبار.

🕮 إن لم يحارب داود جليات، هل كان سيعاتبه أحد؟

🕮 مستحيل أن يفكر فيه أحد، لن يقول أحد لماذا لم يحارب هذا الولد جليات؟ الجيش كله لم يحارب الجبار. بل كان الجيش كله خائفا، فما بال داود الصغير. أيضاً عندما أراد أن يتحدث في الأمر عنفه أخوه.

🕮 داود لم يكن له في الأمر سوى أنه أتى ليعطي إخوته بعض

الأطعمة ويعود، فما يدخله في أمر الحرب وجليات و ...؟
🕮 وجليات كان ضخما طوله عدة أذرع، حتى رمحه كان مخيفا، لكن داود لم يجعل كل هذا أمامه عذرا. لكنك يا داود لست من رجال الجيش، وهذا أيضاً عذر مقبول، يقول هذا أيضاً ليس عذرا.
🕮 لم يدعوك أحداً يا داود لهذا الأمر، وأيضاً هذا ليس عذرا، وتقدم لمحاربة جليات، ومعه بعض الحصوات.
🕮 يعطينا داود مثلا رائعا في الحياة الروحية، التي لا تقبل عذرا مهما كانت العوائق، ومهما كان جليات مخيفا للكل، حياة بلا عذر أمام الله.

🕮 ٢٠. **مثال آخر:**
🕮 الذين حملوا المفلوج أرادوا أن يقدموا له خدمة، لكن كانت أمامهم عوائق كثيرة، لو أرادوا أن يستخدموها كعذر.
🕮 المكان مزدحم، ومغلق، ولا يوجد موضع في البيت، أمر مستحيل.
🕮 لكنهم صعدوا على سطح المنزل، ونقبوا السقف، ودلوا المفلوج.
🕮 هل كان سيلومهم أحد لو لم يقدموا المفلوج في هذا اليوم؟
🕮 لا، كانوا سيقولون المكان كان مزدحما، لكنهم نقبوا السقف.

🕮 ٢١. حيثما توجد إرادة صالحة قوية في قلب الإنسان، يستطيع أن يجد لها مائة وسيلة. لو أراد الإنسان أن يسلك في حياته الروحية سيجد الوسائل، ولا يعتذر بوقت، أو مسئولية، أو أي شيء، المهم أنه يكفي أن يقتنع الإنسان كما قال أحد الآباء القديسين "الفضيلة تريدك أن تريدها لا غير" متى يعتذر الإنسان بشيء؟
🕮 إذا كان في القلب شيء يريد أن يخفيه فيخفيه بعذر.

🕮 ٢٢. الحياة الروحية أمام الله، هي حياة أناس تخطوا العقبات في الوصول إلى الرب. مثل زكا العشار يريد أن يرى يسوع:
🕮 عذره أنه قصير القامة، والجموع مزدحمة، فأين يذهب وسط كل

هؤلاء؟ فتخطى هذه الأعذار، وصعد الجميزة.
📖 جميزة!!! كيف وهو رئيس عشارين، أي مثل مدير مصلحة الضرائب الآن، أو على مستوى مدير عام، أو وكيل وزارة الآن، ويصعد الجميزة؟!!! كيف وهو رئيس طغمة العشارين، الذين لهم قوة وسلطان، ونفوذ وسط الجموع والشعب.
📖 أين كرامته الشخصية، واحترام الناس له؟ تخطى كل هذا.

📖 **٢٨**. الذي يريد أن يسير في طريق الله لا يبرر نفسه أبدا، ويجتاز عقبات على طول الطريق.
📖 هناك سباق يسمى سباق الخيل مع العوائق، أي في طريق السباق عوائق عليه أن يتخطاها، لن يبرر نفسه ويقول هناك عوائق.
📖 لا، في طريق الله لا توجد عوائق.
📖 أيضاً الشهداء لو أرادوا أن يجدوا عوائق عن الاستشهاد سيجدوا.
📖 كثيرون عبدوا المسيح في الخفاء.
📖 مثال ذلك نيقوديموس: قابل المسيح ليلا في الخفاء، أنا مثل نيقوديموس أقابل المسيح في الخفاء؟!، لا.

📖 **٢٩**. دانيال النبي كان يستطيع أن يعبد الله في الخفاء. كما كان عوبديا يعبد الله في الخفاء أيام أخاب الملك. لكن قال لا، لما وجدهم يقولون من يعبد إلها غير إله الملك يموت، صعد فوق العلية أمام جميع الناس، وفتح النوافذ التي تطل على أورشليم لكي يراه الجميع.
📖 يا حبيبي يقول الكتاب "أغلق بابك وصل إلى أبيك الذي في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية" {مت ٦}.
📖 يقول: لا ليس ميعادها الآن، الآن ميعاد أن نفتح النوافذ والأبواب، وأمام الجميع نصلي.
📖 ولو صلى في الخفاء هل كان سيلام من أحد؟
📖 لا، فهو يعبد الله، ولم ينكر المسيح.

🕮 الذي يريد أن يعبد الله لن يجد أمامه أي تبرير لعدم العبادة.

🕮 ٣٠. **يوسف الرامي:**

🕮 عندما أراد أن يطلب جسد يسوع كان يمكنه أن يقول كيف أطلب جسده، أنتم تعلمون كل شيء، حال المدينة مرتبك.

🕮 لا، لم يجد لنفسه عذرا، وتجاسر وطلب جسد يسوع، وأخذه وكفنه.

🕮 ٣١. الإنسان الذي يريد أن يسير في طريق الله، عليه أن يتخطى كل العقبات، ولا يجعل عقبة تقف أمامه كعائق في طريق الله.

🕮 تخطي العوائق له أجر كبير عند الله.

🕮 بقدر ما تتعب في طريق الله، بقدر ما تكافأ على قدر تعبك.

🕮 جميلة عبارة الله لملاك كنيسة أفسس "أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك" {رو٢:٢}، أناس يتعبون.

🕮 ٣٢. **هناك من يعتذر بأخطاء الأنبياء:**

🕮 يقول ما المشكلة في أن نكذب إن كان أبونا إبراهيم كذب؟

🕮 أيضاً ما المشكلة لو الإنسان خدع غيره، فأبونا يعقوب أب الآباء خدع أبيه؟ ما المشكلة لما نسرق وراحيل سرقت أبيها؟

🕮 ما المشكلة لما الإنسان نتيجة الضعف الجسدي يقع في خطايا ضد العفة؟ فداود نبي وسقط؟

🕮 ما المشكلة لو إنسان أنكر المسيح فبطرس أنكره؟

🕮 ما المشكلة لوشك الإنسان في الله، فتوما شك، والرسل أيضاً؟

🕮 هل نحن أفضل من الرسل؟

🕮 ٣٣. لا، لا داعي للكبرياء، ولنكن في مستوى بطرس، والرسل، وإبراهيم أب الآباء، أي لا يتمثل بالآباء والأنبياء إلا في أخطائهم.

🕮 أي لا ينظر للقديسين في مستوياتهم العليا، لا، بل كلما أخطا خطية

يقول القديسين أخطأوا أيضاً. لكن أولاد الله القديسين لا يعذرون أنفسهم أبدا، الواحد منهم يسير أمام الله ولا يعتذر بعقبة أمام الله.

📖 ٣٤. الله عاقب الذين يعترفون بالعقبات، مثل بني عناق الذين اعتذر بهم بنو إسرائيل، وقالوا نحن في عيونهم كالجراد لا نستطيع أن نقف أمامهم، فقد ذابت نفوسنا لما رأيناهم.

📖 الله قال: الذين اعتذروا ببني عناق لن يدخلوا أرض الموعد، وبالفعل كان بنو عناق عمالقة، لكن هل تخاف من بني عناق؟

📖 الحياة مع الله هي حياة لا تعترف بالعوائق.

📖 يا ليت الإنسان يجلس بينه وبين نفسه، ويقول لنفسه بنعمة الله، أضع أمامي منهجا روحيا أسير فيه، ولا أعترف بعائق.

📖 لكن الذي يعترف بعوائق لن يتقدم.

📖 اليوم مشغول، واليوم لدي ارتباطات، واليوم مريض.

📖 لا، لو بدأت تبرر نفسك في الحياة الروحية، ستجد لكل خطا في حياتك عذرا.

📖 ٣٥. مثل إنسان يعترف بخطاياه فيقدم الأعذار قبل أن يقدم الخطية، أي يقول كانت الظروف كذا وكذا، ونتيجة الظروف سقطت في الخطية بدون إرادتي، كيف؟!

📖 ليتك تقول الخطية أولا ثم قدم الأعذار.

📖 لا هو يقدم الأعذار أولا لكي يخفف الخطية.

📖 الله لا يقبل ذلك، الأعذار والتبريرات ضد حياة التوبة من جهة، وضد حياة الاتضاع من جهة أخري.

📖 تكلمنا الآن عن جزء من التوبة والأعذار والتبريرات.

📖 نكمل فيما بعد الجزء الآخر، وإن خرجنا عن نطاق التوبة لكن سنرى كيف أن التبريرات ضد اتضاع القلب.

والمجد لله دائما آمين

كتاب عظات رهبانية ـ قداسة البابا شنودة ـ صفحة ١٥٣ ـ ١٦٤

{٢}

دوافع التوبة ونتائج الخطية

باسم الآب والابن والروح القدس

الاله الواحد آمين

📖 تكلمنا عن التوبة وذكرنا دوافع التوبة وقلنا: الدافع الأول: أن يعرف الإنسان مقداره عند الله، لكي يسمو عن الخطية.

📖 الدافع الثاني: أنه يعرف ما هي الخطية، وكيف أن الخطية موت، وضياع، وضلال، وهزيمة، وكيف أنها انفصال عن الله، وحرمان منه، وكيف أنها معاندة الروح القدس، وفساد للطبيعة البشرية، ونجاسة، وعار، إذا عرف الإنسان كل هذا يهرب من الخطية.

📖 الدافع الثالث: أن يعرف الإنسان ما هي نتائج الخطية. نتائجها صعبة. الإنسان كانت طبيعته سامية من كل ناحية، وأول ما عرف الخطية بدأت طبيعته تنهار وتضيع، فمن أول الأشياء التي كانت نتائج الخطية:

📖 **أ. الخوف:**

📖 ١. آدم قال لله "سمعت صوتك في الجنة فخشيت" {تك٣:١٠}، خفت، لم يكن آدم يخاف من قبل، لكن الخوف أصبح نتيجة للخطية.

📖 الإنسان الروحي يملك السلام في قلبه، يقول "إن يحاربني جيش فلن يخاف قلبي. وإن قام على قتال ففي هذا أنا مطمئن" {مز٢٧:٣}.

📖 لكن بالنسبة للخطاة يقول الكتاب: "لا سلام قال الرب للأشرار" {إش٤٨: ٢٢}.

📖 ويقول: "أما الأشرار فكالبحر المضطرب" {إش ٥٧: ٢٠}.

📖 ٢. إذا كان آدم خاف من الله المحبوب، الذي يشتهي الناس أن يروه، إذا كان خاف من الله أول ما رآه، شيء صعب أن الله يظهر والناس لا يريدون رؤيته، الذي حدث كيف أن آدم هرب من الله وخاف واختبأ، سيحدث في الأبدية أيضاً لما يقول الكتاب في {عب ١٠} "مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي".

📖 بالطبع الإنسان البار يبحث عن الله ويقول "التحقت نفسي وراءك" {مز ٩٣: ٨}، يقول "تشتاق نفسي إليك" {مز ١:٤٣}. لكن الخوف بالنسبة للخطاة. أنبا أنطونيوس قال "أنا لا أخاف الله لأني أحبه".

📖 ٣. لماذا يخاف الإنسان من الخطية؟

📖 على الأقل يخاف من أمرين:

📖 يخاف من عقوبة الخطية، ويخاف من كشف الخطية.

📖 دائما الذي يخطئ يخبئ الخطية، ولا يريد أن يعرفها أحد.

📖 يخاف أن تكتشف، هل عرف أحد؟ ولذلك قيل عن الخطية، إنها تحدث في الظلام وليس النور، حتى لا تكتشف، فمن نتائج الخطية أن يخاف الإنسان خوفا من أن تُكشف الخطية، أو تعرف.

📖 ومن ضمن نواحي الخوف في الدينونة نقول "يارب إن دينونتك لمرهوبة، لماذا؟ حينما "تكشف الأعمال، وتفحص الأفكار. أية إدانة تكون إدانتي" أي خجل من الأبرار الذين كانوا يظنون أنك من الصديقين.

📖 ٤. أيضاً هناك شيء آخر يخيف في الخطية:

📖 يقول الكتاب "ليس مكتوم لن يستعلن، ولا خفي لن يعرف" {مت ١٠: ٢٩}، ليس خفي إلا ويعرف، تقول كيف أهرب من هذه الآية؟ هل لابد أن خطاياي تطاردني وتعرف وتُكشف أمام الناس كلها؟ أقول لك ما دام ليس خفي إلا ويعرف فقله لأب اعترافك، وبذلك

يكون قد عرف وانطبقت عليك الآية، بدلا من أن يعرف من جميع الناس في اليوم الأخير.

أحد الأدباء الروحيين قال كلمة لطيفة، قال "فكر كما لو كانت أفكارك مكتوبة على صفحة السماء بشعاع من نور، وإنها لكذلك، لأنه سيأتي يوم وتفحص الأفكار وتعلن".

لما أخطأ الإنسان بدأ الخوف يزحف إلى قلبه، يخاف من انكشاف الخطية، ويخاف من عقوبة الخطية، ويخاف من نتائج الخطية. يا ترى ماذا ستكون النتيجة؟ داود لما أخطأ خاف.

وأحيانا الخوف يجعل الإنسان يغطي على الخطية، وأحيانا يغطي عليها بأكاذيب كثيرة، وجرائم. القديس يعقوب المجاهد غطى خطيته بالقتل، وغطى القتل بالكذب، وبدأ الخوف من انكشاف الخطية يجره إلى خطايا أخري متتالية.

٦. الخطاة يخافون لقاء الله، لذلك يخافون الموت ويرتعبون منه.

لكن الإنسان القديس لا يخاف الموت، لا يخاف من الخطية، ولا يخاف من انكشافها، ولا من عقوبتها، ولا من الموت.

من الذي يقابل الموت بدون خوف؟ الشخص الذي يُسيج من ناحية الخطية، لا توجد خطية تتعبه وتقف مقابله يوم الدينونة.

في يوم الدينونة، اليوم الذي تتكشف فيه كل الأمور أمام الكل، أمام الأعداء الذين قد يشمتون، وأمام الأحباء الذين قد يتعجبون "يقولون للجبال غطينا، وللتلال أسقطي علينا" كما ورد في {هو١٠:٨}.

ويقول: "سيطلب الناس الموت ولا يجدونه، ويرغبون أن يموتوا فيهرب الموت منهم" {رؤ٩:٩}.

ما دام الأمر هكذا: يا ليت الإنسان يعيش في حياة روحية سليمة، لا يخاف من شيء ينكشف، ولا من شيء يعاقب عليه، ولا من الموت أيضاً إن أتاه في أي وقت.



📖 **ب. عذاب الضمير:**

📖 **١. التبكيت الداخلي:** خذوا مثالا لذلك بيلاطس، الذي سلم المسيح لليهود ليقتلوه، وهو يعرف أنه بريء وبار، ضميره أتعبه داخله فأراد أن يريح ضميره، فغسل يديه وقال "أنا برئ من دم هذا البار".

📖 بعض القصص في التقليد تقول أن بيلاطس لما عاد إلى بيته وجد يديه مملوءة دماً، فطلب ماء وغسلها وقال "أنا برئ من دم هذا البار"، لكنه وجد بها دماً فظل يغسل يديه حتى تعب عقله.

📖 **٢.** لا يوجد إنسان يخطئ ويعيش ضميره مستريح، إلا لوكان عقله تائه، لكن إذا استيقظ ضميره يتعبه. الخطاة لا يحبون أن يستيقظوا لئلا يتعبهم ضميرهم. لا يحبون أن يحاسبوا أنفسهم لئلا يتعبهم ضميرهم، مثل مريض يخاف من الكشف حتى لا يظهر المرض، الخطية متعبة والإنسان للأسف الشديد لا يشعر أنها متعبة ومؤلمة إلا بعد الوقوع فيها، لعله قبل الوقوع فيها تعجبه، لكن بعدها يكتشف ألمها ويتعب، لما يستيقظ الضمير يتعبه.

📖 **٣. خذوا مثالا يهوذا الإسخريوطي:**

📖 قبل الخطية كان سعيدا، وذهب واتفق وتفاوض وقبض، بل بكل جرأة ذهب ليسلم المسيح ويقبله، لكن بعد ما أخطأ ووجد نتيجة خطيته أن المسيح سيق للصلب، ولما أتعبه ضميره لم يحتمل، ولعله تذكر كلام المسيح أنه "خيرا لذلك الرجل لو لم يولد" {مت ٢٠: ٢٦}.

📖 بدأ يتعب، ومن تعب ضميره أعاد المال، وقابل رؤساء الكهنة وقال لهم "أخطأت إذ سمت ما بريئة" {مت٢٧:٤}، ورفض أن يأخذ المال مرة أخري. وأيضاً لم يسترح بإرجاع المال، ولم يسترح بالاعتراف أنه أسلم دما بريئاً، فمن تعب ضميره ذهب وشنق نفسه.

📖 **٤.** هناك أناس مجرمون قتلة مثلاً: بعد ما يقتل ويبدأ يتعب ولا

يستطيع أن يحتمل التعب، وقد يكون غير مقبوض عليه، ولا كشف، يذهب ويسلم نفسه من تعب الضمير، وكلما يدخل الإنسان في حساسية الحياة الروحية، وفى دقتها، ويصبح ضميره ضميرا مرهفاً، وضميرة سليماً، ليس فقط يتعب من أجل خطاياه الحاضرة، بل ربما يتعب من خطاياه القديمة جداً، وربما حتى في طفولته.

📖 نسمع عن القديس الأنبا بفنوتيوس تلميذ القديس أبا مقار الكبير، هذا القديس من القديسين الجبابرة، وخلف أبو مقار في رياسة الإسقيط، وكان يصنع معجزات.

📖 هذا القديس يحكي في مرة عن حياته قال: عندما كنت طفلا صغيراً وأنا سائر بالجمل، وجدت ثمرة خيار سقطت من الجمالين فأخذتها وأكلتها، يقول "كلما أذكر هذه القصة أبكي"

📖 هذا طفل ووجد شيئا في الطريق ولم يسرقها من أحد، ثم كبر وسلك الرهبنة، وبالرهبنة انتهت خطاياه القديمة، ومات الماضي كله، وبدأ حياة جديدة مع الله، وأصبح من الجبابرة، وصانعي المعجزات، ويقول "كلما أذكر هذه القصة أبكي"، عذاب الضمير صعب.

📖 ٦. لذلك يقول داود النبي: "بدموعي أبل فراشي"، "تعكرت من الغضب عيناي" {مز٦:٢، ٨}، تعب من غضبه على نفسه.

📖 ويقول "مزجت شرابي بدموع" {مز ١٠٢: ٩}.

📖 "صارت لي دموعي خبزا نهارا ولي" {مز ٩٢: ٣}، وفى وقت قال "اجعل أنت دموعي في زقاً" {مز ٥٦:٨} أي تملاء إناء كبيراً.

📖 ٧. علماء النفس يتكلمون في عذاب الضمير، ويقولون مبدأ عجيباً جداً: في بعض الجرائم، المجرم يحوم حول جريمته، يدور حول مكان جريمته ليعرف هل عُرف شيء، قد يكون ذلك في الجرائم الكبيرة، لكن في الأخطاء التي تبد وأمام الإنسان أقل من القتل أيضاً، يتعب ويدور حول خطأه ولوفي عقله.

📖 ٨. من أكبر الأمثلة في الكتاب المقدس لفقدان السلام ـ قايين ـ الذي عاش تائهاً وهارباً في الأرض، خائفا من أن يجده أحد فيقتله، وقال لله "إنك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض، ومن وجهك أختفي" وظل يطارده صوت أخيه، ودم أخيه، وصورة الجريمة.

📖 أول إنسان في التاريخ أصيب بأمراض نفسية من الرعب، والقلق، والاضطراب، والخوف، هو قايين.

📖 بالطبع نستطيع أن نقول إن الخوف في آدم كان بداية هذه الأمراض، لكن في صورتها البشعة بدأت عند قايين، من ناحية توقع الشر والرعب "فيكون كل من وجدني يقتلني" {تك ٤: ١٤}. خوف.

📖 ٩. الأبرار لا يضطربون، ولا يخافون، ولا يقلقون، السلام يملك قلوبهم من الداخل، لأن من ثمار الروح القدس فرح وسلام، ليس كذلك الخطاة ليسوا كذلك يملكهم الحزن، والعذاب، والقلق، والخوف.

📖 مثلا قصة داود النبي: ضميره أتعبه بعد أن غفرت له الخطية، وبعد أن أعلمه ناثان بقوله "الرب أيضاً قد نقل عنك خطيتك. لا تموت" {٢صم ١٢: ١٣}. لم يكن خائفا من العقوبة، بل كان فاقد سلامه الداخلي، ومتعباً من أجل أنه أحزن الله، ضميره أتعبه، كيف يفعل ذلك، وكيف يصل إلى هذا المستوى؟

📖 ١٠. قيل إن أوريجانوس قال مرة لنفسه "أيها البرج العالي كيف سقطت"، لا تتخيلوا أن البكاء وصرير الأسنان فقط في الأبدية، بل ممكن يحدث على الأرض البكاء، وصرير الأسنان.

📖 الإنسان يبكي، ويصر على أسنانه من عذاب الضمير قائلاً: كيف يحدث ذلك! كيف أفعل هذا؟ ومع ذلك خير للإنسان أن يستيقظ ضميره ويحتمل عذاب ههنا، من أن يحتمل عذاب في الأبدية.

📖 خير له أن يجرب البكاء وصرير الأسنان على الأرض لفترة

مؤقتة، من أن يقاسيه في الأبدية بلا رجاء، هذان هما الخوف، والقلق، اللذان هما نتائج الخطية من عذاب الضمير. هناك نتائج أخري للخطية.

🕮 ج. فقدان الصورة الإلهية:

🕮 ١. يفقد الإنسان الصورة الإلهية، صورة الله التي خلق على مثالها.

🕮 صدقوني حتى ملامح الوجه تتغير في الخطية. أي:

🕮 الإنسان الغضوب ملامح وجهه يظهر فيها الغضب.

🕮 الإنسان الشهواني ملامح وجهه تتأثر بشهواته.

🕮 الإنسان المستهتر يظهر على ملامح وجهه.

🕮 كل خطية تترك طابعها حتى على ملامح الإنسان.

🕮 ٢. من القصص العجيبة التي قيلت عن الفنان الكبير الذي رسم صورة العشاء الرباني، ورسم صور التلاميذ، أنه عندما أراد أن يرسم صورة المسيح بحث عن أجمل شخص يظهر عليه البراءة والطهارة، وليس فقط الجمال، حتى وجد شخصا وأجلسه أمامه يستوحي منه ملامح المسيح.

🕮 ثم أراد أن يرسم الرسل، وكان قد مر حوالي ثلاثة سنوات فقال أبحث عن أبشع شخص لرسم صورة يهوذا، فوجد شخصا تبدو عليه البشاعة، فأتي به وأجلسه أمامه ليرسم.

🕮 فقال له ذلك الشخص: أنا أتيت ههنا من قبل، فسأله الرسام متي؟ أجاب الشخص: أتيت منذ ثلاثة سنوات، عندما استوحيت مني صورة المسيح، كان نفس الشخص ولكنه انجرف في الخطية، فتركت عليه ملامحها على وجهه.

🕮 ٣. الإنسان البسيط تبدو البساطة على وجهه. والإنسان البرئ تبدو عليه البراءة. تخيلوا صورة العذراء، هل كان فيها فقط جمال الوجه؟

بالطبع كانت بارعة الجمال، لكن صورة العذراء في ملامحها البراءة، الطهارة، البساطة، القداسة، الطيبة، الحنان، السلام. الصفات الروحية تظهر على الملامح، فلماذا ننظر في صور القديسين، ونأخذ منها تأثره روحيا في داخلنا! حتى من الملامح نستفيد.

📖 ٤. بل أن الخطية تترك تأثيرها على الإنسان من كل جهة، حتى من جهة مظهره، من جهة ملابسه تجد الإنسان في وقت من الأوقات يهتم بملابسه، وبمظهره وشكله، وفى وقت آخر تجده غير مهتم، تنظر له تعرفه من داخله كيف هو؟

📖 واحد من شكله وملابسه، تعرف أنه بسيط غير مهتم بالمظاهر، وآخر تعرف من ملابسه كيف يكون هو.

📖 الخطية تفقد الإنسان الصورة الإلهية، لذلك جاء ربنا يسوع إلى جوار الفداء، وهو السبب الأصلي الأول للتجسد.

📖 جاء المسيح إلى جوار، هذا يرجع لنا الصورة الإلهية التي خلقنا عليها، ليس فقط الصورة من ناحية ملامح الجسد، بل الصورة أيضاً من جهة النفس، وصفاتها، والروح، والقلب.

📖 **٥. فقدان الكرامة:**

📖 ١. آدم خلق على صورة الله ومثاله، ولما أخطا قال له الله "لأنك تراب وإلى تراب تعود" {تك ٣: ١٩}، لم يقل له أنت صورة الله، أو أنت على شبهي ومثالي وإلى التراب تعود. وفقد كرامته.

📖 تعرفون أيضاً كثيرا من القصص، التي فيها يفقد الإنسان كرامته نتيجة الخطية، مثل: شمشون الجبار.

📖 الذي فقد كل كرامة، وأصبح كالحيوانات يجر الطاحون، والاحترام الذي كان له، والمهابة التي كانت له كلها فقدها. فقد الكرامة أمام السماء، وأمام الناس، وأمام نفسه من داخله.

📖 أي أصعب شيء للإنسان أن يحتقر نفسه، قد يحتمل احتقار الناس

له، لكن احتقاره لنفسه صعب يحتمله، يفقد كرامته، كما قال شخص "لا الإنسان اشتهى مجد اللاهوتية، فقد حتى المجد الذي له كإنسان" أي: يفقد مجد البشرية، ويصبح الإنسان بلا كرامة. لذلك القديسين تكون لهم الكرامة والهيبة عند السماء، حتى صلواتهم لها كرامة تقتدر كثيرا في فعلها، وآخر يشعر أن صلاته بلا كرامة، بلا مفعول، حتى لا تستطيع أن تصعد لفوق، أو تدخل لحضرة الله.

📖 ٢. بل أقول إن الإنسان أصبح بلا كرامة حتى أمام الحيوانات، لأنه كان الإنسان لا يخاف من الوحوش، أدم كان مع الوحوش وكان يسميها بأسمائها، ونوح كان مع الوحوش، لكن الآن الإنسان يخاف من قط، أو كلب، وليس فقط أسد، أوما شابه ذلك. كيف يكون هذا الإنسان؟ فقد كرامته.

📖 ٣. نسمع في قصة الأنبا موسى السائح: أنه في حالة بره وطهارته، كانت الوحوش تأتي إليه وتحتكم إليه، ولما كانت الوحوش لا تجد ماء أو عشبا، كانت تأتي إليه وتتمرغ أمامه، وتطلب إليه أن يصلي من أجلها، فيصلي، فيسقط الماء ويرتوي الوحوش، وينت العشب، وتأكل الوحوش، وكان الإنسان سيد الطبيعة.

📖 أي أن الله قال لهم "أثمروا وأكثروا وأملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا" {تك ١: ٢٨} على كل الوحوش والحيوانات، وعلى كل طيور السماء وسمك البحر وله سلطة وله مهابة حتى على الوحوش.

📖 ٤. كلما رجع الإنسان إلى صورته الإلهية، كلما رجعت إليه الكرامة والمهابة التي كانت له، ولذلك نسمع أن الأنبا أنطونيوس لما احتار كيف يدفن الأنبا بولا السائح، أتاه أسدان وحفرا الأرض له.

📖 **٥. ونسمع عن علاقة القديسين بالوحوش.**

📖 الأنبا مكاريوس الإسكندراني كانت تأتيه دب وتأنس إليه، ومرة ابنها فقد بصره، ولد مفقود بصره، فأحضرت رضيعها للأنبا مكاريوس وهي تبكي كي يشفيه لها، ولما شفاه اصطادت له شاة وأحضرته له كهدية، فغضب منها وانتهارها قائلا: "إن أردت أن تأكلي تعالي وأنا أعطيك خبزة، لكن لا تفترسي حيواناً آخر، فاعتذرت له وبكت، فأخذ منها الفروة، وصارت متآلفة له متى جاعت أتت إليه ليطعمها. أي إنسان آخر يخاف من الدب.

📖 لما نسمع قصة الأسد والقديس أندرونيكوس، وكيف تمرغ الأسد عند قدميه، يا ليت أحدنا يروى قصة كرامة القديسين بالنسبة للوحوش.

📖 ٦. كرامة القديسين بالنسبة للطبيعة:

📖 منهم من يفتح السماء- ويغلق السماء- ويسمح بالمطر- ويمنع المطر.

📖 كرامة بطرس لما شابه صورة الله، واستطاع أن يمشي معه على الماء، ولما دخله الشك وأخطأ بدأ يغرق في الماء.

📖 الخطية تجعل الإنسان يفقد صورة الله.

📖 الإنسان لما يخطئ يفقد كرامته، ويفقد مهابته، ويفقد سلطته على الطبيعة، وعلى الحيوانات، وحتى على البشر أيضاً.

📖 مجرد كون أن الخطية نوع من الضعف، يفقد فيه الإنسان المهابة كإنسان ضعف، وإذا شعر الناس الذين أمامه بضعفه، يشعر أن الخطية أضاعته.

📖 ٧. مثال سليمان الحكيم:

📖 ما مهابته عندما يجد نفسه يبخر للأوثان، يحتقر نفسه، مهابته راحت وضاعت، الإنسان في حالة الخطية كما يفقد سلامه، ويفقد هدوءه، ويفقد راحة ضميره، يفقد أيضاً كرامته، ويفقد إرادته، لأن إرادته تضعف، ويفقد مقاومته للخطية.

📖 حتى الأرض تتمرد على الإنسان في حالة الخطية، ولنرى العبارة العجيبة التي قالها الله عن تمرد الأرض، في البداية قال لآدم "شوكاً وحسكا تنبت لك" {تك ٣: ١٨}.

📖 ثم قال لقايين "متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها" {تك٤:١٢} لن تعطيك المحصول الذي يجب أن تأخذه منها، لأن الأرض تتمرد عليك أيضاً. فقد المهابة مع الأرض أيضاً. من له إذا المهابة؟

📖 ٨. إنسان مثل إيليا تقول له الأرملة، ليس لدي سوى قليل من الدقيق والزيت، يقول لها الدقيق لن يفرغ، والزيت لن يفرغ طول مدة المجاعة. لم يقل لها هيا نصلي لكيلا يفرغ الزيت والدقيق، لا، واقع معين، أنا قلت هذا، لأن له مهابة على الدقيق والزيت، هذه هي قوة الإنسان الذي له.

📖 ٩. المرأة الشونمية غضبت من أليشع النبي لأن ابنها مات، فأليشع قال لجيجزي تلميذه خذ عصاي وضعها عليه، لكن جيجزي كان فاقد صورته الإلهية، وفاقدة مهابته، وللأسف ضاعت مهابة عصا أليشع لما أمسكها جيجزي، فقال له هات عصاي يا ابني، وذهب هو بنفسه، لكن عصا يمسكها شخص مثل موسى تكون عصا لها مهابة، الإنسان الروحي له مهابة، والإنسان الخاطئ يفقد مهابته.

📖 ١٠. مثل إنسان يصلي على شياطين فتضحك عليه، وتستهزئ به، ويرقصون له ويغنون، وآخر إنسان الله يقف فتصرخ الشياطين، مثل قصة وردت في البستان، شخص كان يخرج شياطين، وفى مرة من المرات خاف أن تكون أمه لا تجد طعاما في المجاعة، فقال أذهب لأفتقد أمي، فخرج وقابله الشياطين في الطريق وقالوا له: "أمي. أمي"، أوحاول أن يخرج شيطان من إنسان فضحك عليه الشياطين، فقد مهابته.

📖 ١١. مثال الخاطئ الذي وجد الأنبا ايسيذورس على باب قلايته الشياطين تلعب وتغني وتلهو.

📖 الإنسان الروحي له مهابة لدى الطبيعة، ولدى الشياطين، ولدى الوحوش، أما الإنسان لما يخطئ يفقد مهابته مع كل هؤلاء.

📖 الابن الضال لما أخطأ اشتهى الخرنوب الذي يأكله الخنازير ولم يجد، وقال: "كم من أجير لأبي يفضل عنه الخبر وأنا أهلك جوعا" {لو١٠: ١٧}، لم يصل لمستوى الأجير.

📖 الشيطان لما يغريك بخطية، يصورها لك أكثر عظمة عن غيرها في الدنيا، وبعد ما تسقط تجد نفسك تفقد كرامتك.

📖 بل بالعكس قد يصور لك الشيطان الكبرياء، والسلطة، والعظمة، على أنها الكرامة، كيف لا تنفذ كلمتك، ولابد أن تمشي كلمتك، ولا يقف أمامك أحد، ويعظم الأمر داخلك، وبعد أن تسقط تجد نفسك قد فقدت كرامتك الإلهية، وفقدت صورتك الإلهية. الخطية خاطئة جداً، ولها نتائج كثيرة صعبة، لعل من نتائج الخطية أيضاً:

📖 **ه. فقدان البساطة والنقاوة:**

📖 ١. تغير نظرة الإنسان للأمور:

📖 آدم وحواء كانا في بساطة ولا يعرفان شرا، ولا يعرفان خطأ، وعريانان ولا يشعران بذلك، ولكن لما سقطا في الخطية فقدا البساطة، فقدا البراءة الأولى، النظرة البسيطة للأمور والبريئة فقدت وصارت لهما نظرة أخري، نظراً للشجرة وجداها بهية للنظر شهية للعيون، وجيدة للأكل.

📖 هذه الشجرة كانت وسط الجنة، وكل يوم يمر آدم عليها، لماذا في هذا اليوم خاصة وجد أنها بهجة للعيون شهية للنظر جيدة للأكل؟

📖 نظرته تغيرت، دخله الشر الملبس الموت، لذلك الإنسان الذي يفقد نقاوته وبساطته، يتحول لشخص آخر متعب، تملأه الشكوك، ويفقد

البساطة. رجل فلاح مسكين يكلم الله بكل إيمان. وآخر يقرأ في كتب الفلسفة، وغيرها، ويفقد بساطته، فيفكر في الله تفكير آخر أين بساطته؟ فقدها.

📖 ٢. متى يرجع الإنسان بسيطاً كما كان، نقياً كما كان؟

📖 معرفة الخطية تملا الإنسان بالشهوات، والرغبات، والأفكار، وتصور له الأمور بصور أخري، لذلك قال المسيح: "إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد، فلن تخلوا ملكوت السماوات" {مت١٨:٣}. أي: في بساطة الأطفال، ونقاوة الأطفال، وإيمان الأطفال.

📖 نحن بالخطية فقدنا جمال طفوليتنا، وتشوهت الأمور في نظرنا، وأصبحنا حُبساء بين الخير والشر، والحلال والحرام، والصالح والطالح. انقسمت شخصيتنا وفقدت البساطة، الواحد أصبح اثنين، الشيء البسيط الواحد أصبح خيرا وشرا.

📖 إن عرفنا النتائج ننفر من الخطية، لكن للأسف بعد أن يسقط الإنسان في الخطية، يبدأ يعرف نتائجها، وقبل الخطية لا ينتبه لها.

كتاب عظات رهبانية ـ قداسة البابا شنودة ـ صفحة ٢١٩ ـ ٢٢٩

{٣}
عقوبة الخطية

باسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين.

📖 تكلمنا عن دوافع التوبة، وقلنا منها معرفة الإنسان لذاته، وأنه ابن الله، وصفات أخري تجعله يسمو عن الخطية، ومعرفته ببشاعة الخطية، وكيف هي موت وضياع، هذا يجعله يهرب من الخطية. وأيضاً معرفته بنتائج الخطية مثل: الخوف، والقلق، وفقدان البساطة،

وتعب الضمير.

📖 وسبب آخر يدعو الإنسان لترك الخطية وهو عقوبة الخطية.

📖 **عقوبة الخطية:**

📖 ١. كثيرون من الناس وسط التعاليم التي أخذوها عن رحمة الله، ومحبة الله، ظنوا أن العقوبة ربما لا تتفق مع محبة الله وحنانه، حتى بالنسبة للبشر الطيبين عندما يعاقبون يغضبون منهم، ويقولون كيف يعاقبون أليس هناك حنية أو حنو؟

📖 وأحيانا سؤال يقال عن الرعاة كيف يعاقبون؟

📖 وهل يجوز أن يعاقبوا، أم لا؟

📖 ونحن نريد أن نقول إن كان الله رحيماً، فهو أيضاً عادل. وكما قلنا من قبل، أن صفات الله لا تنفصل، فرحمة الله مملوءة عدلا، وعدل الله مملوء رحمة.

📖 ٢. وكما أن الله غير محدود في محبته وحنانه وشفقته، كذلك هو غير محدود في عدله، ولابد عدل الله يظهر، وللأسف بعض الناس يستغلون مراحم الله استغلالا رديئاً، أي ما دام الله حنون وطيباً إذا هم يفعلون ما يشاؤون.

📖 كما يستغلون أيضاً حنان الناس استغلالا رديئاً، مثل ابن أبوه طيب أوأمه طيبة فيفسد، لأنه لا توجد عقوبة، أو شخص في المحيط الكنسي لا يعبأ بشيء، ولا يهتم بشيء، لأنه لا توجد عقوبة، بينما في المحيط الرسمي، أوفي عمله العالمي، يكون أكثر حرصا لأنه توجد عقوبة فيخاف.

📖 أي إن كان شخصاً مكرساً لله، يمكن إلا يهتم بمواعيد الحضور، أو يحضر أولا يحضر بحسب هواه، لأنه لا توجد عقوبة، لكن إن كان يعمل بأي وظيفة أخري، ويعلم أنه سيحاسب على الدقيقة، ويعمل

معه تحقيق، تجده يضبط مواعيده.

🕮 أحيانا الشعور بأنه لا توجد عقوبة- يجلب أو يولد استهتار.



🕮 ٣. فهل حقا الله في حنانه وطيبته لا توجد عقوبة؟

🕮 هذا كلام غير صحيح، وإن كنا نعظ بأن الله غفر لزكا العشار، ومتى العشار، والمرأة التي ضبطت في ذات الفعل، و... الخ، فليس معنى هذا أن الله لا يعاقب.

🕮 نفكر في هذا الموضوع، ولنرى أمثلته في الكتاب المقدس، سواء في العهد القديم، أوفي العهد الجديد، نجد أمامنا أمثلة:

🕮 في {رو١١: ٢٢} عبارة جميلة جدا عن هذا الموضوع، يقول القديس بولس الرسول: "هوذا لطف الله وصرامته" نلاحظ أن هذه آيات من العهد الجديد، لأن هناك من يقول إنه توجد عقوبات في العهد القديم فقط، ولا توجد في العهد الجديد، "هوذا أطف الله وصرامته... أما الصرامة على الذين سقطوا. وأما اللطف فلك إن ثبت في اللطف، وإلا أنت أيضاً ستقطع".

🕮 لطف الله وصرامته، أي: لا يصح أن نعتمد على لطف الله وننسى صرامته، ولا يصح أن نعتمد على رحمة الله وننسى عدله.

🕮 ٤. أي قد نجد بعض الناس يقولون إن تجسد الله وصلبه وفداءه، هو المظهر الأعلى لرحمة الله، في الواقع أنه المظهر الأعلى أيضاً لعدل الله، لولا عدل الله ما كان تجسد، وصلب، وتألم ومات.

🕮 كان يمكن أن يقول "أذهب مغفورة لك خطاياك" وينتهي الأمر، لكن لأن عدل الله يقول إنه لابد أن تأخذ الخطية عقوبتها، أخذ هو هذه العقوبة بدل عن الإنسان.

🕮 لطف الله وصرامته لهما تشبيه لطيف ظهر لحظة القيامة: نجد أن الملاك الذي ظهر كان مخيفاً ومفرحاً، كان مخيفا للجنود حتى أنهم من خوفهم صاروا كأموات كما ورد في {مت٢٨: ٤}، بينما هذا

الملاك كان سبب فرح للمرأتين، ومصدر للبشرى مفرحاً.

📖 وبهذا الشكل أيضاً نرى الملائكة عموماً: بعض الناس عندما يتكلمون عن الملائكة يقولون "ملائكة الرحمة" بينما هناك ملائكة عقوبة كثيرون جداً.

📖 أول ملاك تكلم عنه الكتاب المقدس كان ملاك عقوبة، وهو الكاروبيم الذي ظهر بسيف من نار، ومنع الطريق لشجرة الحياة، وإن كان قيل: "ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم" {مز ٣٦: ٧}، فملاك الرب أيضاً عاقب.

📖 فهناك الملاك الذي ضرب كل أبكار مصر، من ابن فرعون إلى ابن الجارية، كان ملاك عقوبة، وكثيرا ما أرسل الله ملائكة للعقوبة، الملاك الذي ضرب جيش سنحاريب وأمات منه١٨٠,٠٠٠، كان ملاك عقوبة. الملاك الذي رفع سيفه على أورشليم عندما أحصى داود الشعب كان ملاك عقوبة.

📖 ٦. الله كثيرا ما ضرب، لا نتخيل فقط أن الملائكة كلها مثل الملاك الذي أخرج بطرس من السجن، أو الذي أحضر طعاما لإيليا، الله أرسل من ملائكته ليعاقبوا. لنرى ملائكته السبعة أصحاب الأبواق الذين ورد ذكرهم في سفر الرؤيا "٨" والضربات المخيفة التي ضربوها، نجد أن الله يرسل عقوبة، وهناك ملائكة للعقوبة.

📖 نجد مثلا لطيف جدا للطف الله وصرامته قصة لوط: أرسل الله ملاكين للوط وأسرته، إذا هم ملائكة رحمة، وفى نفس الوقت هذان الملاكان ضربا أهل سدوم بالعمى لأنهم أشرار، ثم نزلت نار لتحرق سدوم، فالملاكين كانا للطف والصرامة، للعقوبة وللإنقاذ معا.

📖 ٧. عقوبة الله للخطية تدل على كراهية الله للخطية، وعلى قداسة الله، وعلى عدل الله. أول خطية في العالم خطية آدم وحواء، كانت لها عقوبة، وما تزال بعض نتائجها حتى الآن.

🕮 الرجل بعرق جبينه يأكل خبزه، والمرأة بالوجع تلد أولاد، ليس في العهد القديم فقط، وإنما في العهد الجديد أيضاً، بجانب عقوبة الموت، ليس في العهد القديم فقط، وإنما في العهد الجديد أيضاً، وإلا لماذا إذا كان دم المسيح؟

🕮 ٨. الطوفان الذي أنزله الله، ومحا به كل حياة على وجه الأرض، كان مظهرا مخيفا لعقوبة الله للخطية.

🕮 مثال آخر سدوم وعمورة: اللذان أحرقهما الله بالنار، كانا مظهرا مخيفاً أيضاً لعقوبة الله للخطية.

🕮 ونحن نقف ونسأل: من قال إن خطايا العالم حاليا أقل من خطايا سدوم وعمورة، أو أقل من الخطايا التي سببت الطوفان؟ أو أقل من خطية امرأة لوط التي تحولت إلى عمود ملح؟

🕮 الخطايا أبشع من ذلك حاليا.

🕮 ٩. **السؤال الثاني:** هل الله الذي أوقع العقوبة في العهد القديم، قد تغير في العهد الجديد؟ نقف أمام قول الكتاب أنه "ليس عنده تغيير، وظل دوران" {يع ١: ١٧}، "يسوع المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد" {عب ١٣:٨}.

🕮 هل كان الله عنيفاً في العهد القديم، وطيباً في العهد الجديد كما يقول البعض؟، إن الله الذي أوقع عقوبات في العهد القديم، أوقع عقوبات في العهد الجديد.

🕮 القديس باسيليوس الكبير يضرب لنا أمثلة من عقوبات العهد الجديد فيقول: إن المسيح قال: "من قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم" {مت ٥: ٢٢}، هذا في العهد الجديد، وليس من تعليم العهد القديم، وكثيرا ما يخطئ الناس خطايا أكثر من "يا أحمق" ويقولون الله طيب وغفر للزانية، وزكا العشار، وينسي توبة هؤلاء.

📖 ١٠. في العهد الجديد قصة حنانيا وسفيرة، كيف أنه أوقعت عليهما كليهما عقوبة موت مباشرة، دون إعطاء أحد منهما فرصة للتوبة، أخطأ خطية فضربا بالموت، بعقوبة حاسمة حازمة سريعة، لئلا يظن الناس أن العهد الجديد كل واحد يسير بهواه، ويخطئ بهواه، ولا توجد عقوبة للخطية. ليس هذا تعليم الكتاب المقدس، ولتقرأوا قصة حنانيا وسفيرة في سفر أعمال الرسل.

📖 ١١. خذوا مثلا آخر من تعاليم بولس الرسول، الذي تكلم عن المحبة كلاما عجيبا في {اكو١٣}.

📖 حينما أخطأ ذلك الخاطئ في كورنثوس، قال بولس الرسول "فإني أنا كأني غائبة بالجسد، ولكن بالروح قد حكمت كأني حاضر، في الذي فعل هذا هكذا ... أن يسلم مثل هذا الشيطان لهلاك الجسد، لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع"

📖 يسلم للشيطان لإهلاك الجسد، ولما تاب هذا الشخص قال "حتى تكونوا بالعكس تسامحونه بالحري وتعزونه، لئلا يبتلع مثل هذا من المخزن المفرط. لذلك أطلب أن تمكنوا له المحبة" {٢كو٢:٧- ٨}.

📖 "هوذا لطف الله وصرامته" وجدت في تلاميذه أيضاً، الصرامة في عبارة "يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد"، واللطف في "لئلا يبتلع مثل هذا من الحزن المفرط. لذلك أطلب أن تمكنوا له المحبة"

📖 ١٢. من أعنف ما ورد في الكتاب المقدس عن عقوبات الله للخطاة، اللعنات التي صبها على من يعصى وصاياه في {تثنية ٢٨}.

📖 تجد أنه يوجد قائمتين، قائمة للبركات لمن يطيع الوصية، وقائمة للعنات لمن يعصي الوصايا، وكانت تقال على جبل، كل قائمة على جبل. من ضمنها اللعنة التي تشمل كل شيء، حتى ثمرة البطن، وثمرة الأرض، ونتاج البقر، وإناث الغنم، والأمراض الكثيرة، يقول: "تكون سماؤك التي فوق رأسك نحاسا، والأرض التي تحتك حديدا"

{تث ٢٨: ٢٣}. كلام صعب:

📖 "تكون قلقا في جميع ممالك الأرض". "لا تنجح في طرق".

📖 "لا تكون إلا مظلوما مغصوبا كل الأيام، وليس مخلص"

📖 أمور مخيفة: هذه اللعنات حملها نيابة عنا ربنا يسوع المسيح على الصليب، التي هي لعنات الناموس، التي نجانا منها الرب بدمه، ولكن ممكن أيضاً لمن يخطئ ويستهين بالدم أن تكون هذه اللعنات قائمة.

📖 **١٣.** خذوا لعنة العبودية التي فرضها الله على أولاد كنعان في {تك٩}، نقول نشكر الله أن كل هذه اللعنات في العهد القديم، إلا توجد لعنات في العهد الجديد؟ المسيح لعن شجرة التين غير المثمرة، كمثال للعنة الرياء {مر ١١}. يا ليت الإنسان يتوب، ولا يعتمد على مجرد الرحمة، دون أن ينسى العدل.

📖 ثم أن العهد الجديد يحدثنا عن عذاب الأبدية، وعن يوم الرب المخيف المرهوب، إشعياء النبي يتحدث عن هذا الأمر أن يوم الرب بسخط وحمو غضب، ويقول أيضاً: "في ذلك اليوم يدخل في الصخور في شقوق المعاقل، من بهاء هيبة الرب ومن عظمته"

📖 ملاخي النبي يقول: "فهوذا يأتي اليوم المقد كالتنور، وكل المستكبرين، وكل فاعلي الشر يكونون قشة، ويحرقهم اليوم الآتي قال رب الجنود، فلا يبقي لهم أصلا ولا قرعة" {ملا ٤:١}.

📖 داود يتحدث في المزامير، وخاصة مزامير الساعة التاسعة يقول "النار تسبق تسلك أمامه، وبلهيب تحرق أعداءه الذين حوله. أضاءت بروقه المسكونة، نظرت الأرض تزلزلت. ذات الجبال مثل الشمع من أمام وجه الرب، من أمام وجه رب الأرض كلها".

📖 **١٤.** هذا اليوم الرهيب شرحه القديس يوحنا الرسول في سفر الرؤيا، لما تكلم عن فتح الختم السادس في {رو٦: ١٢ - ١٧} قال "ونظرت لما فتح الختم السادس، وإذا زلزلة عظيمة حدثت، والشمس

صارت سوداء كمسح من شعر، والقمر صار كالدم، ونجوم السماء سقطت إلى الأرض، كما تطرح شجرة التين سقاطها إذا هزتها ريح عظيمة، والسماء انفلقت كدرج ملتف، وكل جبل وجزيرة تزحزحا من موضعهما. وملوك الأرض، والعظماء، والأغنياء، والأمراء، والأقوياء، وكل عبد، وكل حر، أخفوا أنفسهم في المغاير، وفي صخور الجبال، وهم يقولون للجبال والصخور اسقطي علينا، وأخفينا عن وجه الجالس على العرش، وعن غضب الخروف، لأنه قد جاء يوم غضبه العظيم، ومن يستطيع الوقوف".

📖 ١٥. هذا الأمر نحن نذكره في كل قداس من القداسات الإلهية، حينما نذكر الأمه المقدسة، وقيامته من الأموات، وصعوده للسموات، وظهوره الثاني المخوف المملوء مجدا.

📖 "المخوف المملوء مجدا" في كل قداس نقول تلك العبارة، قبل حلول الروح القدس، هذا تعليم العهد الجديد وليس من العهد القديم، بينما يكون الأبرار في فرح لا ينطق به ومجيد، وبينما ترتفع تراتيل القديسين ومعهم القيثارات، ويأتون مع الله على السحاب، وهو في ربوات قديسيه، يكون الأشرار يقولون للجبال أسقطي علينا، وأخفينا من وجه الرب. شيء صعب.

📖 ١٦. أما عن الدينونة فيقول العهد الجديد في {عب ١٠} "مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي"، في العهد الجديد، والعهد القديم، "الله هو هو الأمس واليوم وإلى الأبد". الذي لا يتغير.

📖 لذلك المسيح في كلامه عن المجيء الثاني يقول "يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر، وفاعلي الإثم، ويطرونهم في أتون النار. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان. حينئذ يضئ الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم" {مت ١٣: ٤١ - ٤٣}. هذا هو لطف الله وصرامته.

الآيات الخاصة بالعذاب الأبدي آيات كثيرة، أود أن أعفيكم الآن من سماعها، ولكن يمكن أن أحيلكم إلـى بضـعة آيـات: {٢تـس ١:٩ - ١٠}، {رو٢:٨- ١٠}، {عب ١٠: ٢٩ – ٢٧}، {رؤ ٢١:٨}، {رؤ ١٠:٢٠}، {رؤ ١٨} كلام كثير.

ومن خوف هذه الدينونة الرهبة، وضعت الكنيسة في صـلاة الستار قطعة "يارب إن دينونتك لمرهوبة، إذ تحشر الناس، وتقف الملائكـة، وتفـتح الأسـفار، وتكشـف الأعمـال. مجـرد فـتح الأسـفار، وكشـف الأعمال، عذاب لنفس الإنسان، وخجل له أمام الكل، ومهمـا اسـتهان الإنسان بالخطية وصمت، لا يستهين بها الله.

تصوروا في اليوم الأخير لما الأبرار تحملهم الملائكة إلـى أحضـان القديسين من بعد موتهم ويظلون مع القديسين حتى يـأتوا مـع المسـيح على السحاب، وينظر الخاطئ فيجد نفسه مفصول عن كل هؤلاء.

قصة الغني ولعازر: فيها لطف الله وصرامته:

من جهة عقوبة الخطية نوعان:

١. عقوبة أرضية، ٢. عقوبة أبدية.



العقوبة الأبدية:

معروفة: نـار لا تطفـأ، ودود لا يمـوت، وعـذاب، وبكـاء، وصـرير أسنان. معروف هذا كله وآياته كثيرة، ولكن العقوبـة الأبديـة لا تمنـع العقوبة الأرضية.

بالنسبة لأدم وحواء العقوبة الأبدية التي هي الموت الأبدي، لم تمنع عقوبة على الأرض التي هي التعب وعرق الجبين والوجع.

ومع أن العقوبة الأبديـة قد رُفعت بصـليب المسيح، وبالفداء لمن تـابوا، ودخلـوا الإيمـان، واعتمـدوا، وعاشـوا فـي الحيـاة الإلهيـة فـي وصـايا الله، إلا أن العقوبة الأرضية ما تزال قائمة.



📖 المرأة الزانية تغفر لها الخطية، كما قال الله للمرأة الزانية "مغفورة لك خطاياك" {لو٧: ٩٨}، ولكن مع ذلك الزانية لا يجوز لها أن تتزوج {مت ٥: ٣٢}. يقول: "من طلق امرأته إلا لعلة الزني يجعلها تزني. ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني". المرأة إذا زنت لها عقوبة أرضية، أنها لا تتزوج مرة أخري، نعم غفر لها أي: لا تهلك في الأبدية، أما ههنا على الأرض فتوجد عقوبة.

📖 **العقوبة الأرضية أنواع:**

📖 أما نتيجة طبيعية للخطية. وإما إنها ضربة من الله. وإما إنها عقوبة من المجتمع، أومن الكنيسة.

📖 ١. هناك خطايا كثيرة تحمل عقوباتها في ذاتها كنتيجة طبيعية، مثل: إنسان خاطئ، الخطية تجلب له أمراض، أو إنسان يتعاطى مخدرات يصاب بفقدان الشخصية، أو تلف الأعصاب، أو إنسان يدخن يصاب بسرطان، بداء الرئة، بضغط الدم، بأي أمراض أخري، أو طالب يهمل في دروسه فيرسب، لا يقول الله عاقبني، بل هي عقوبة طبيعية للخطية، نتيجة طبيعية للخطية.

📖 أو إنسان يلعب قمار فيضيع أمواله، ويصاب بالعوز. أوأم لا تحسن تربية أولادها، فيتعبها أولادها في حياتها، وتظل في نكد من تعب الأولاد، كل هذه عقوبات على الأرض غير العقوبة الأبدية.

📖 ٢. وقد تمحي العقوبة الأبدية وتنقل إلى حساب المسيح، وتبقى العقوبة الأرضية كما هي، تلميذ لم يستذكر وتاب، الله يغفر له لكن كون أنه راسب على الأرض، فهو راسب، المغفرة في الأبدية شيء آخر.

📖 أو إنسان تسببت له الخطية في مرض، الله غفر له، لكن المرض موجود، وهناك عقوبة أرضية، كضربة من الله مثل جيحزي تلميذ أليشع، لما ضرب بالبرص عقابا على مجيئه النعمان في محبة للمال،

وكذبه على معلمه {٢مل ٥}.
📖 ومثل ضربة البرص التي أصابت مريم أخت هارون عقوبة لها، لأنها تكلمت بكلمات غير لائقة على موسى. أو ضربة الدمامل التي أصابت مصر عقوبة على قساوة فرعون. أو ضربة الوباء التي أصابت الشعب عقوبة عن خطية داود.
📖 غير المرض هناك عقوبات أخري مثل الفشل.

📖 **٣.** هناك عقوبات من المجتمع، ومن الكنيسة، مثل أي عقوبة يفرضها القانون على المخطئين في أية جريمة من الجرائم، هذه ليس لها دخل بالعقوبة الأبدية.
📖 أي القاتل على الأرض يقتل، أوفي أشغال شاقة، أو سجن، لكن هذه ليس لها دخل مع العقوبة الأبدية، تغفر له في الأبدية لما يتوب، لكن العقوبة الأرضية موجودة، وأي نوع من أنواع الذنب.
📖 عقوبة من المجتمع مثل فضيحة أمام المجتمع، أو كلام الناس عن الخطية البشعة التي اقترفها إنسان. عقوبات كنسية تملأ القوانين الكنسية، توجد عقوبات مثل الحرمان من التناول لفترة معينة، أو الحرمان من دخول الكنيسة، أو الحرمان من جماعة المؤمنين.
📖 أو بالنسبة للكهنوت مثل: التجريد، والإيقاف فترة معينة، عقوبات شديدة. حتى الكنيسة كانت تقيم نظام الخوارس من أجل هذه العقوبات قديما.

📖 **٤.** بقي أن أقول ملاحظة بسيطة، وهي: أن الله كان يفرض العقوبات الأرضية حتى على قديسيه الذين يحبهم جدا، مثال هذا عقوبته التي فرضها على داود لما أحصى الشعب في {٢صم١٢:١٢} داود قال "أخطأت إلى الرب: وناثان قال عنه "الرب أيضاً قد نقل عنك خطيتك. لا تموت" {٢صم ١٢: ١٣}.
📖 هذا رفع الخطية في الأبدية، لكن العقوبة على الأرض قال الله له،

أمامك ثلاث عقوبات عليك أن تختار منها، داود تذلل، وقال أخطأت أمام الله، وقال "انحمقت جداً" {٢صم٢٩:١٠}.

📖 كما قال: "فلنسقط في يد الرب لأن مراحمه كثيرة، ولا أسقط في يد إنسان" {٢صم ١٤:٢٦}. ورغم أن رحمة الله واسعة، لكنه أخذ العقوبة.

📖 حتى داود الذي يحب الله حبا عجيبا ظهر في مزاميره وصلواته.

📖 لما في أواخر حياته جمع كل شيء لبناء الهيكل، قال لـه الله أنت لا تبني الهيكل لأن يديك بها دماء، يبنيه ابنك الخارج من صلبك".

📖 يارب أنا حبيبك، وصديق لك، وأنت تقول "وجدت داود بن يسي رجلا حسب قلبي" {أع ١٣: ٢٢}، يأخذ العقوبة، وسيأخذها، حتى بعد أن أخذ العقوبة ومات، الله يقول "لأجل داود عبدي" {امل ١١: ٣٦}.

📖 نعم يعمل أعمال رحمة كثيرة من أجل داود، لكن داود أخذ العقوبة، أمور صعبة، وهكذا حرمه الرب من بناء الهيكل، وبقيت العقوبة الأرضية على الرغم من المغفرة في السماء، رغم أنه كان مختار الرب، ومسيح الرب.

📖 إذا كان الأمر هكذا مع رجل قديس مثل داود النبي، فهل نحن أمام أنفسنا أعظم من داود، أولنا دالة عند الله أكثر من داود، أوفي مثل قداسة داود، ومثل توبته؟!

📖 ٦. خذوا مثالا آخر موسى النبي، الذي دافع عنه الله، وقال {الله عنه} إنه آمين. على كل بيتي {عد١٢:٧}، والذي صنع به المعجزات، وصنع آيات، وضرب مريم بالبرص من أجله، أمور كثيرة جدا.

📖 عند ضرب الصخرة في {عدد ٢٠}، حكم الله عليه، وقال له لا تدخل أرض الموعد، يارب من أجل العشرة الطويلة، والأربعين يوما التي قضيناها معا على الجبل؟ هو موسى الذي أخذ الشعب ليقوده هذه القيادة كلها، وكما يقول المثل "طباخ السم يذوقه".

📖 لن تدخلها، إذاً لن تدخلها، واحتمل موسى كل قساوة الشعب، وكل

تمرده في البرية، هو أطاع الرب، وقاد الناس إلى طاعته، ولم يدخل أرض الميعاد، وحبنا لبعضنا أين هو؟، يقول الله أنا أسامحك في ملكوتي، لكن هنا فتنفذ العقوبة حتى على موسى النبي.

📖 إن الله في عدله لم يجامل موسى حبيبه، على الرغم من دالته عنده، فكم بالأولى الذين ليس لهم دالة موسى، ولا عظمة موسى، ولا معجزات موسى، ولا محبة موسى.

📖 هل داود وموسى فقط؟ لا. هناك كثيرون.

📖 نكتفي حاليا في هذه الليلة بهذا الكلام الصعب، وهناك كلام صعب آخر نؤجله لمناسبة أخري، لئلا يظن الناس أنه لأن الله حنون هم يلهون كما يشاعون، في ظل هذا الحنو يحدث الاستهتار، والتهاون، اعتمادا على محبة الله، التي هي مفروض تقود إلى توبة، وإلى حب آخر. له المجد دائما أبدية آمين.

عظات رهبانية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٢٣٣ ـ ٢٤٣



قداسة البابا شنودة الثالث

كتاب التوبة والنقاوة

الباب الأول: ما هي التوبة	**الباب الثاني:** دوافع التوبة
الباب الثالث: وسائل التوبة ـ كيف أتوب	**الباب الرابع:** علامات التوبة
الباب الخامس: نقاوة القلب	**الباب السادس:** حفظ التوبة

الباب الأول



١ـ ما هي التوبة	٢ـ نمو التوبة وكمالها	٣ـ دعوة إلى التوبة
٤ـ لا تيأس	٥ـ التوبة بين الجهاد والنعمة	٦ـ أهمية التوبة
٧ـ عوائق التوبة	٨ـ التوبة والكنيسة	

📖 {١} ما هي التوبة؟

ما دامت الخطية هي انفصال عن الله

📖 **فالتوبة إذن هي رجوع إلى الله:**

📖 والرب يقول في ذلك "ارجعوا إلى، أرجع إليكم" {ملا ٣: ٧}، والأبن الضال حينما تاب، ورجع إلى أبيه {لو١٥: ١٨، ٢٠}. حقاً أن التوبة هي حنين الإنسان إلى مصدرة الذي أخذ منه. وهي اشتياق قلب ابتعد عن الله، ثم شعر انه لا يستطيع أن يبعد أكثر.

📖 **مادامت الخطية خصومه مع الله، تكون التوبة هي الصلح مع الله:**

📖 وهذا ما ذكره معلمنا القديس عن عمله الرسولي، قال: "إذن نسعى كسفراء عن المسيح تصالحوا مع الله" {٢ كو٥: ٢٠}.

📖 والتوبة لا تقتصر على الصلح، إذ بها يعود الله فيسكن في قلب الإنسان، فيتحول هذا القلب إلى سماء، أما غير التائب فكيف يتحول قلبه إلى سماء، حيث تسكن الخطية؟ والكتاب يقول "أيه شركة للنور مع الظلمة؟" {٢ كو٦: ١٤}.

📖 **والتوبة أيضاً هي يقظة روحية:**

📖 لأن الإنسان الخاطئ هو إنسان غافل، لا يحس ما هو فيه. لذلك يخاطبه الكتاب قائلاً "إنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم" {رو١٣: ١١}. ولعله بهذا المعني اعتبرت التوبة هي رجوع الإنسان إلى نفسه: أوهي رجوع النفس إلى حساسيتها الأولي، ورجوع القلب إلى حرارته، ورجوع الضمير إلى عمله. وحسناً قيل عن الابن الضال في توبته "فرجع إلى نفسه" {لو١٥: ١٧}. أي أنه عاد إلى وعيه، وإلى تفكيره السليم، وإلى أدراكه الروحي.

📖 ومادامت الخطية تعتبر موتاً روحياً، كما يقول الكتاب عن الخطاة انهم "أموت بالخطايا" {أف ٢: ٥}، تكون التوبة إذن انتقالاً من الموت إلى الحياة، حسب تعبير القديس يوحنا الإنجيلي {١يو٣: ١٤}.

📖 وفى ذلك يقول القديس بولس الرسول "استيقظ أيها النائم، وقم من الأموات، فيضئ لك المسيح" {أف٥: ١٤}. والقديس يعقوب الرسول يؤكد نفس المعني إذ يقول "من رد خاطئاً عن طريق ضلاله، يخلص نفساً من الموت، ويستر كثرة من الخطايا" {يع ٥: ٢٠}. إن التوبة قيامة للروح، لأن موت الروح هو انفصال الروح عن الله، كما قال القديس أوغسطينوس.

📖 **التوبة هي قلب جديد طاهر، يمنحه الرب للخطاة، يحبونه به:**

📖 هي عمل إلهي يقوم به الرب في داخل الإنسان، حسب وعده الإلهي القائل: "أرش عليكم ماء طاهراً، فتطهرون من كل نجاستكم. وأعطيكم قلباً جديداً، وأجعل روحاً جديده في داخلكم. وأجعلكم تسلكون في فرائضي، وتحفظون أحكامي وتعلمون بها" {حز ٣٦: ٢٥ – ٢٧}. التوبة هي التحرر من عبودية الخطية والشيطان. ومن أغلال العادات الخاطئة، ومن السير وراء الشهوات.

📖 ولا يمكن ان ننال هذه الحرية بدون عمل الرب فينا. ولذلك يقول الإنجيل: "إن حرركم الابن، فبالحقيقة أنتم أحرار" {يو٨: ٣٦}. إنها حقاً حرية لأن "كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية" {يو٨: ٣٤}. نحصل على هذه الحرية، إن كنا بالتوبة نثبت في الحق، وليس في الباطل، والحق يحررنا {يو٨: ٣٢}.

📖 **التوبة إذن هي ترك الخطية:**

📖 ولكن من أجل محبه الله، ومن أجل محبة البر. لأنه ليس كل ترك للخطية يعتبر توبة. فقد يبتعد الإنسان عن الخطية بسبب الخوف، أو

الخجل، أو العجز، أو المشغولية {مع بقاء محبتها في القلب}، أو بسبب أن الظروف غير متاحه. ولا تعتبر هذه توبة. أما التوبة الحقيقية فهي ترك الخطية عملاً وفكراً وقلباً، حباً في الله، ووصاياه، وملكوته، وحرصاً من التائب على ابديته.

🕮 التوبة الحقيقية هي ترك الخطية، بلا رجعة:

🕮 وهكذا تروي قصص القديسين الذين تابوا، مثل القديس أوغسطينوس، والقديس موسى الأسود، والقديسات مريم القبطية، وبيلاجية، وتاييس، وسارة.

🕮 إن التوبة كانت في حياة كل هؤلاء وغيرهم، هي نقطة تحول نحو الله، استمرت مدي الحياة، بلا رجعه إلى الخطية. ويذكرنا هذا بقول القديس شيشوي "لا أتذكر أن الشياطين قد أطغوني في خطية واحدة مرتين". ربما الخطية الأولي كانت عن طريق جهل، أو تهاون، أو ضعف، أو عدم دراية بحيل الشياطين، أو عدم حرص. أما بعد التوبة واليقظة، فهناك كل التدقيق في الحياة، والاحتراس من الخطية.

🕮 أما الذي يترك الخطية ثم يعود إليها، ثم يتركها ثم يعود، فهذا لم يتب بعد، إنما هذه مجرد محاولة للتوبة، كلما يقوم فيها الخاطئ تشده الخطية إلى أسفل. إن صك حريته لم يكتب بعد.

🕮 التوبة هي صرخة من الضمير، وثورة على الماضي:

🕮 إنها اشمئزاز من الخطية، وندم شديد، ورفض للحالة القديمة، مع خجل وخزي منها. لذلك قيل عن التوبة إنها "قاض لا يستحي".

🕮 التوبة هي تغيير لحياة الإنسان:

🕮 ليست هي انفعالاً وقتياً نحو الله، إنما هي تغيير جدي وجذري في حياة الإنسان فيه يشعر هو وكل من يعاشره أن حياته قد تغيرت، وأفكاره تغيرت، وكذلك مبادئه، وقيمه، ونظرته إلى الحياة، وطباعه،

وأسلوبه في الحديث، ومعاملاته للناس، وعلاقته بالله. ونفسه أيضاً من الداخل قد تغيرت. وأصبح قلباً رافضاً للخطايا السابقة التي كان يحبها. ودخلت محبه الله إلى قلبه. وصار له منهج روحي يشعر فيه بلذة روحية.

📖 ولهذا كله، قيل بصدق عن التوبة: "التوبة هي استبدال شهوة بشهوة". هي شهوة للحياة مع الله، بدلاً من شهوة الخطية والجسد. وهنا لا تقتصر التوبة على الجانب السلبي، الذي هو ترك الخطية ومحبتها، إنما تدخل من الناحية الإيجابية في محبه الله، وملكوته، وطرقه، إنها حرارة تسري في الإنسان، وتشعله بالرغبة في حياة طاهرة، ولهذا قيل عن التوبة أيضاً:

📖 **التوبة تجديد للذهن:**

📖 تجديد الطبيعة يكون في المعمودية {رو٦: ٤}. أما تجديد الذهن فإنه يكون في التوبة، عملاً بقول الرسول " تغيروا عن شكلكم بتجديد الذهن، فإنه يكون في التوبة، عملاً بقول الرسول "تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم، لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة" {رو١٢: ٢}.

📖 **التوبة هي المفتاح الذهبي، الذي يفتح به باب الملكوت:**

📖 أوهي الباب الحقيقي الموصل إلى السماء، أو إلى الملكوت. لأنه بدون التوبة لا يملك الله في قلوبنا. إن التوبة هي زيت في مصابيح العذارى، يجعلهن أهلاً للدخول إلى العرس {متي ٢٥}.

📖 والتوبة هي القناة التي توصل استحقاقات الدم من الصليب: إن الطريقة الوحيدة التي تمحي بها خطايانا بعد المعمودية. لذلك قال البعض عنها إنها "معمودية ثانية". إنها جحد للشيطان مرة أخري. أنها فض للشركة التي بين الخاطئ والشيطان، ليدخل في شركة مع الروح القدس {٢ كو١٣: ١٤}.

📖 التوبة جمرة نار يلقطها أحد السارافيم من فوق المذبح. ويمحوها إثم

الخاطئ قائلاً له: "قد انتزع إثمك، وكفر عن خطيتك" {أش ٦: ٧}، إنها الوسيلة الوحيدة التي تمحي بها خطايانا من كتاب دينونتنا، وما أجمل قول الرب في ذلك أنساها "لا أذكر خطيئتهم بعد" {أر ٣١: ٣٤}، ومن أهمية التوبة في نوال المغفرة، قول الرب: "أن لم تتوبوا فجميعكم هكذا تهلكون" {لو١٣: ٣}.

📖 **التوبة هي طريق الهروب من الغضب الآتي:**

📖 على شرط أن تكون توبة حقيقية، وأن تتناسب مع خطورة الخطية. إن توبة أهل نينوي، استطاعت أن توقف حكم الله عليهم بالهلاك. فلما تابوا رجع الله عن حكمة، وعن الشر الذي أراد أن يفعله بهم فلم يفعله {يون ٣: ١٠} وهكذا في أحكام أخري لله {أر ٢٦: ١٣، خر ١٨: ٢١، ٢٢}. حقاً ما أجمل قول أحد القديسين: "إن الله سوف لا يسألك: لماذا أخطأت؟ إنما سيسألك: لماذا لم تتب"؟

📖 **التوبة إذن هي إبقاء الله عليك، وعدم أخذك في خطيتك:**

📖 إن الله من عمق محبته، أعطي الكل فرصاً للخلاص، مهما كانت خطاياهم. فالله لا يأخذ أحداً في وضع هالك، قبل أن يعطيه فرصه ليتوب. فالتوبة هي منحه إلهية، وهبها الله للخطاة، لكي تطهرهم، وتريح ضمائرهم المثقلة بخطاياهم. وتعيد إليهم السلام الداخلي، وتردهم إلى رتبتهم الأولي التي كانت لهم قبل الخطية.

📖 إنها يد الله الممدودة، يطلب أن يصالحك: إنها فرصه لصفحة جديدة يفتحها الله في علاقته معك، يغفر لك الماضي كله، ويغسلك فتبيض أكثر من الثلج {مز ٥٠}.

📖 فرصه تقوي فيك الرجاء، وتبعد عنك اليأس مهما ساءت حالتك. ولذلك قيل عن التوبة إنها باب الرحمة، وإنها باب الغفران، وأنها باب الحياة، وإنها جسر يوصل بين الأرض والسماء. هذا من جهة عمل الله فيها، وما يقدمه من مغفرة. أما من جهة الإنسان فنقول

عنها:

🕮 **التوبة هي استجابة من الإنسان، لدعوة الله اليه:**

🕮 إنها استجابة من الضمير، لصوت الله فيه. واستجابة من الإرادة، لعمل النعمة معها. إنها عدم مقاومة للروح الذي يعمل فينا لخلاصنا {أع ٧: ٥١}، وعدم إحزان للروح {أف ٤: ٣٠}، وعدم إطفاء للروح {١ تس ٥: ١٩}. سئل مار إسحق عن التوبة، فقال: "هي قلب منسحق"

🕮 إنها النفس المنسحقة الراجعة إلى الله: إنها الركب الجاثية، والعيون الدامعة، والقلوب المنكسرة. إنها أم الدموع، والانسحاق، والاتضاع، لأن التوبة تلد كل هؤلاء.

🕮 تحطم كبرياء الخاطئ، وتفتت قلبه الصخري، وتدخله إلى حياة الاتضاع، قال مار إسحق أيضاً: ذبيحة التوبة التي نقدمها لله، هي القلب الذي اتضع وانسحق، وانكسر بدموع الصلاة أمام الله، طالباً المغفرة عن ضعفه، وميل طبيعته، أوليس هذا أيضاً ما قيل في المزمور الخمسين – مزمور التوبة – "الذبيحة لله روح منسحق. القلب المتخشع والمتواضع لا يرذله الله".

🕮 قال الشيخ الروحاني: "التوبة هي عذاب عظيم للشيطان مضادها".

🕮 لأنها تخلص وتعتق المسبيين الذين سباهم بشره. وتعبه في سنين كثيرة، تضيعه التوبة في ساعة واحدة. زرع الشوك الذي زرعه بأرضنا، وربي بحرص في سنين كثيرة، في يوم واحد تحرقة وتطهر أرضنا.

🕮 "إنها تجعل الزناة بتولين. من لا يحبك أيتها التوبة – يا حاملة جميع التطويبات – إلا الشيطان، لأنك غنمت غناه كل ما اقتناه. يا أم الغفران، أن الآب المملوء رحمة، لا يغضبك إذا طلبت إليه، لأنه وهبك ان تكون شفيعه للخطاة، وسلم لك مفاتيح الملكوت".

📖 بعد أن زار يوحنا الدرجي دير التائبين، ورأي انسحاق نفوسهم بالتوبة، وشدة جهادهم، وحرارة صلواتهم، قال "طوبت الذين أخطأوا وتابوا نائحين، أكثر من الذين لم يسقطوا ولم ينوحوا على أنفسهم".

📖 التوبة هي فرح في السماء، وعلى الأرض: لأنه مكتوب "يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب" {لو١٥: ٧، ١٠}. فإن أردت ان تفرح السماء تب.

📖 وهي فرح على الأرض أيضاً: فرح للتائب، وللراعي، وللكنيسة كلها. التوبة فرح لأنها دعوة للمأسورين بالإطلاق {أش ٦١: ١}. إنها فرح بالتحرر من عبودية الشيطان والخطية، وفرح بلذة الحياة الجديدة النقية، وفرح بالمغفرة.

📖 وفرح لأن التوبة هي حياة النصرة، أو أنشودة الغالبين، فيها ينشد التائب مع داود: "مبارك الرب الذي لم يسلمنا فريسة لأسنانهم. نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين. الفخ انكسر، ونحن نجونا" {مز ١٢٤: ٦، ٧}.

📖 على أن التوبة ليست هي الغاية في الحياة الروحية وإنما:

📖 التوبة هي بداية رحلة طويله إلى حياة النقاوة.

📖 التوبة هي بداءه مع العلاقة مع الله.

📖 هي بداءه طريق طويل غايته القداسة، والكامل.

📖 فالذي لم يبدأ التوبة حتى الآن، أي لم يبدأ أول الطريق، كيف تراه سيصل إذن إلى نهايته. والذي يؤجل أول خطوة إلى حين الشيخوخة أو ساعة الموت، كيف تراه يصل إلى قول الرب: "كونوا أنتم كاملين، كما أن أباكم الذي في السماوات هو كامل" {متي ٥: ٤٨}.

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٨ ـ ١٤

📖 {٢} نمو التوبة وكمالها:

📖 التوبة كأية فضيلة، ينمو فيها الإنسان ويتدرج:

📖 ويظل ينمو حتى يصل إلى كمالها. فما هي نقطة البداية في التوبـة؟ هل هي ترك الخطية من أجل مخافة الله؟

📖 هناك نقطة قبل ترك الخطية، وهي الرغبة في التوبة:

📖 لأن كثيـرون لا يريـدون أن يتوبـوا. بـل يجـدون لـذه فـي الخطيـة تدعوهم للبقاء فيها. أو إن طباعهم جميلة فـي أعينـهم، لا يريـدون أن يغيروها. لذلك فمجرد الرغبـة فـي التوبـة هـي نقطـة حسنـة، تتلقفها النعمة التي تسأل: أتريد أن تبرأ؟ وتعمل عملها فـي الإنسـان، وتكـون أول خطوة بعد ذلك هي ترك الخطية بالفعل.

📖 لكن أهم من ترك الخطية بالفعل، تركها بالقلب، والفكر:

📖 فهناك من يترك الخطية بالعمل. ولكن محبتها ماتزال في قلبه، يحن إليها، ويندم على فرص معينة كان يمكنه فيهـا أن يخطـئ ولـم يفعل**!** مثل هذا الإنسان، ربما ترك الخطية من اجل وصـية الله، ولـيس لأنـه يكرهها. المفروض أنه يتدرج في التوبة حتى تنتزع الخطية من قبله.

📖 وكمال التوبة هو كراهية الخطية:

📖 أي يصل إلى الوضع الذي يكره فيه الخطية من كـل قلبـه، ويشـمئز منها، ولا يحتاج إلى بذل أي جهد فـي مقاومتهـا، لأنهـا لـم تعد تتفق وطبيعته. وهنا يصل الإنسان إلى حافه النقاوة. ونقاوة القلب موضوع طويل، سنفرد له فصلاً خاصـاً فـي البـاب الرابـع {علامـات التوبـة}، أو ربما نخصص له الباب الخامس. علـى أن تـرك الخطيـة التـي تتعب الإنسان، أو البارزة في حياته، وكراهيتهـا. تـأتي بعده درجـة أخـري وهي:

📖 ترك الخطايا التي تتكشف له بالنمو الروحي:

📖 ذلك لأن الله من حنوه علينـا، لا يكشـف لنـا كـل خطايانـا وضـعفاتنا

دفعه واحدة، حتى لا نقع في صغر النفس. وإنما كلما نسمع عظات روحية، وكلما نقرأ في كتاب الله، وفى الكتب الروحية، تتكشف لنا ضعفات في أنفسنا، وتقصيرات تحتاج إلى علاج، وإلى جهاد، وإلى توبة. وهكذا ندخل في عملية تطهير وتنقيه، قد تستمر مدي الحياة.

📖 لأن الشيطان قد يترك ميداناً، ويحارب في ميدان آخر. والمفروض أن نكون مستعدين له كل الميادين. حتى الخطية التي نكون قد استرحنا منها فترة قد يعاود القتال فيها. وبهذا تستمر التوبة معنا مدي الحياة. كما أن التوبة، لا يجوز أن تقتصر فقط على مكافحة السلبيات التي هي فعل الخطايا، وإنما.

📖 **هناك توبة عن النقائض، الخاصة بالنمو الروحي:**

📖 فالمفروض في التائب أن يصنع ثماراً تليق بالتوبة {متي ٣: ٨}. وبهذا يدخل في ثمار الروح {غل ٥: ٢٢}. فان كان لا يأتي بثمر، فهو محتاج توبة إلى توبة، عن خطية عدم الإثمار، لأن الكتاب يقول: "من يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل، فتلك خطيه له" {يع ٤: ١٧}.

📖 **التوبة إذن ليست مرحلة وتنتهي، إنما تستمر معنا:**

📖 لأنه ليس أحد بلا خطية، ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض. فكلنا نخطئ، ونحتاج إلى توبة. وهكذا تصير التوبة بالنسبة إلينا عملاً يومياً، لأننا في كل يوم نخطئ. و: "أن قلنا إننا لم نخطئ، نضل أنفسنا وليس الحق فينا" {١ يو١: ٨} إنما

📖 **هناك فرق بين توبة الخطاة، وتوبة القديسين:**

📖 الخطاة يتوبون عن خطايا هي كسر صريح للوصايا، وتدل على عدم محبة الله. أما القديسون فيتوبون عن تقصيرات طفيفة سببها الضعف البشري. ويتوبون عن نقائض يشعرون بها لشهوتهم في حياة الكمال، التي يرون طريقه طويلاً أمامهم، ومازالت أمامهم

مراحل ليعبروها جني يصلوا، كل ذلك مع حفظ قلبهم في محبة الله.

📖 **وقد وضعت لنا الكنيسة صلوات يوميه نطلب فيها التوبة:**

📖 ففي قطع الأجبية، ومزاميرها، كل يوم، نلاحظ الصلوات الأتية:

📖 **{١}** الاعتراف بالخطية، واستحقاق العقوبة: كما في {مز ٦، ٥٠}، وقطع الغروب

📖 **{٢}** طلب المغفرة: كما في قطع تحليل السادسة، وباقي الصلوات.

📖 **{٣}** طلب إنقاذ الرب للمصلي من الخطية ذاتها: كما في تحليل الثالثة.

📖 **{٤}** طلب إرشادات لمعرفة الطريق: كما في {مز ١١٩}، وقطعه {تفضل يارب}.

📖 **{٥}** لوم النفس وتبكيتها على سقوطها وتهاونها: كما في قطع النوم.

📖 **{٦}** إيقاظ النفس للتوبة، وتذكيرها بالموت والدينونة، ومجيء المسيح الثاني: كما في قطع النوم، وإناجيل، وقطع نصف الليل.

📖 **هذا يدل على أننا نطلب التوبة كل يوم وكل ساعة:**

📖 وكمثال لذلك يقول المصلي في قطع صلاة النوم "هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوب ومرتعب من اجل كثرة ذنوبي ... فتوبي يا نفس مادمت في الأرض ساكنه" و: "أي جواب تجيبي وأنت على سرير الخطايا منطرحة، وفى أخضاع الجسد متهاونه".

📖 وفى صلاة العروب "إذا كان الصديق بالجهد يخلص، فأين أظهر أنا الخاطئ". وفى صلاة الليل "أعطني يارب ينابيع دموع كثيرة، كما أعطيت في القديم للمرأة الخاطئة". في صلاة السادسة "مزق صك خطايانا أيها المسيح إلهنا ونجنا". وفى صلاة الثالثة "طهرنا من دنس الجسد والروح. وانتقلنا إلى سيرة روحانية لكي نسعى بالروح ولا نكمل شهوة الجسد".

📖 ويعوزنا الوقت إن دخلنا في تفاصيل التوبة في صلوات الأجبية، فهذا يحتاج إلى كتاب خاص. بعد كل هذا، هل يجرؤ أحد أن يقول إن التوبة مرحلة اجتزناها وانتهت، ودخلنا في السماويات، وفى طلب المواهب والمعجزات!!

📖 الذي يظن انه اجتاز مرحلة التوبة، لم يفحص ذاته جيداً:

📖 أولم يفحص ذاته في ضوء الوصايا، وبروح الاتضاع. من منا مثلاً وصل إلى محبة الأعداء؟ {متي ٥: ٤٤}. أو وصل أن يلهج في ناموس الرب النهار والليل؟ {مز ١}. أومن منا وصل إلى الصلاة كل حين دون أن يمل؟ {لو١٨: ١}. الوصايا كثيرة ولم ننفذ منها شيئاً. أخشى أن أتكلم عن التفاصيل، فيقع البعض في صغر النفس. فالصمت أفضل.

📖 إذن التوبة لازمه لكل منا كل يوم من حياتنا. ليت كل واحد منا يقرأ ويتأمل في الدرجات الروحية التي وصل إليها القديسون، ليعلم كيف هو خاطئ! والأعجب أن القديسين الذين وصلوا إلى تلك الدرجات كانوا يقولون إنهم خطاة ومحتاجون إلى توبة، كانوا يبكون على خطاياهم. ماذا نفعل نحن إذن؟!

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ١٤ ـ ١٧

📖 {٣} دعوة إلى التوبة:

📖 إن الله المحب للبشر، بدافع من محبته لأولاده، يدعوهم للتوبة:

📖 ذلك لأنه "يريد أن الجميع يخلصون" {١ تي ٢: ٤}. هو لا يشاء أن يهلك أحد، بل أن يقبل الجميع إلى التوبة {٢ بط ٣: ٩}، وهو من أجل خلاصهم مستعد أن يتغاضى عن أزمنه الجهل {أع ١٧: ٣٠}. بل إنه يقول في محبته العجيبة: "هل مسرة أسر بموت الشرير. إلا برجوعه فيحيا" {حز ١٨: ٣}. هو يحبنا، ويريدنا بالتوبة أن نتمتع بمحبته، يريد بالتوبة أن يشركنا في ملكوته، ويمتعنا بمحبته.

📖 إنها ليست مجرد أوامر يصدرها الله على أفواه أنبيائه القديسين، بل

هي دعوة حب للخلاص "توبوا وارجعوا، لتمحي خطاياكم" {أع ٣: ١٩}. "من رد خاطئاً عن طريق ضلاله يخلص نفساً من الموت، ويستر كثرة من الخطايا" {يع ٥: ٢٠}. إذن هذا الأمر من أجلنا نحن ومن خلاصنا، الذي جعله يتجسد ويتألم لأجلنا، والذي لا نستطيع أن نناله إلا بالتوبة.

📖 **لذلك نري في دعوته لنا للتوبة، مشاعر الحب:**

📖 إذ يقول: "ارجعوا إلى أرجع إليكم" {ملا ٣: ٧}، " توبوا وارجعوا {حز ١٤: ٦}، "ارجعوا إلى بكل قلوبكم ... ارجعوا إلى الرب إلهكم" {يوئيل ٢: ١٢، ١٣}، ويقول في محبته على لسان إرمياء النبي: "أجعل شريعتي في داخلهم، واكتبها على قلوبهم. وأكون لهم إلهاً، وهم يكونون لي شعباً ... أصفح عن إثمهم، ولا أذكر خطيتهم بعد" {أر ٣١: ٣٣، ٣٤}.

📖 **وفى دعوته لنا للتوبة، وعد بتطهيرنا وغسلنا:**

📖 إنه يقول". "اغتسلوا، تنقوا، أعزلوا شر أفعالكم. وهلم نتحاجج يقول الرب: إن كانت خطاياكم كالقرمز، تبيض كالثلج" {أش ١: ١٦، ١٨}. ويقول: "أرش عليكم ماء طاهراً فتطهرون. من كل نجاستكم، ومن كل أصنامكم أطهركم. وأعطيكم قلباً جديداً" {حز ٣٦: ٢٥، ٢٦}.

📖 **وهويدعونا للتوبة لأننا نحن نحتاج إليها:**

📖 فهو يقول: "ما جئت لأدين العالم، بل لأخلص العالم" {يو١٢: ٤٧}، "لا يحتاج الإصحاح إلى طبيب بل المرضي. لم آت لأدعو أبراراً بل خطاه إلى التوبة" {مر ٢: ١٧}. نعم إن ابن الإنسان جاء يطلب ويخلص ما قد هلك" {متي ١٨: ١١}.

📖 هذه التوبة إذن من صالحنا. وليست أمراً مفروضاً علينا، ولنا نحن كامل الاختيار. الله يدعونا للتوبة ثم يقول: "إن شئتم وسمعتم، تأكلون

خير الأرض. وإن أبيتم وتمردتم، تؤكلون بالسيف" {أش ١: ١٩،٢٠}. والصالح لنا ان نسمع ونطيع، من اجل نقاوتنا، ومن أجل أبديتنا، ومن أجل أن نتمتع بالله. هوذا الرسول يمسي دعوته لنا للتوبة "خدمه المصالحة" وينادي "تصالحوا مع الله" {٢كو٥: ١٨، ٢٠}. فهل نحن نرفض أن نتصالح مع الله؟! وهل من صالحنا رفض المصالحة!

🕮 **التوبة نافعه، مهما كان أسلوبها، باللين أو بالشدة:**

🕮 ولهذا يقول القديس يهوذا الرسول: "ارحموا البعض مميزين. وخلصوا البعض بالخوف، مختطفين من النار مبغضين حتى الثوب المدنس من الجسد" {يه ٢٢، ٢٣}.

🕮 كان القديس يوحنا المعمدان شديداً في مناداته بالتوبة {مت ٨:٣-١٠}. ويقول القديس بولس الرسول لأهل كورنثوس: "الآن أنا أفرح، لا لأنكم حزنتم، بل لأنكم حزنتم للتوبة" {٢ كو٧: ٩}.

🕮 ولذلك كان بعض القديسين في عظاتهم يجعلون الناس يبكون، وكان ذلك نافعاً لهم. كما كانت عقوبات الكنيسة نافعة للتوبة وللخلاص.

🕮 **لذلك كانت الدعوة للتوبة، أهم موضوع في الكتاب:**

🕮 لكي يتنقى الناس، ولكي يخلصوا. ولما كانت التوبة لازمه للخلاص، بذلك أرسل السيد المسيح قدامه يوحنا المعمدان، يهيئ الطريق أمامه بالتوبة، فنادي بالتوبة قائلاً: "توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات" {مت ٣: ٢}. هذا الملكوت الذي لا يمكن ان تنالوه إلا بالتوبة. وقدم للناس معمودية التوبة.

🕮 وهكذا عمل التوبة، سبق عمل الفداء. والمعمدان سبق المسيح، والسيد المسيح نفسه نادي للناس بالتوبة "من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز قائلاً: توبا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات" {مت ٤: ١٧}. وكان يقول: "قد كمل الزمان، واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالأناجيل" {مر ١: ١٥}.

📖 ولما أرسل الإثني عشر "خرجوا يكرزون ان يتوبوا" {مر ٦: ١٢}. وقبيل صعوده أمر أن يكرز باسمه للتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم" {لو ٢٤: ٤٧}.

📖 كان أول كارز بالتوبة هو نوح. وتبعه أنبياء كثيرون:

📖 مثل إشعياء: {أش ١}، وحزقيال: {حز ١٨}، ويونان: {يون ٣}، ويوئيل: {يوء ٢}، وإرمياء {أر ٣١}.

📖 وهي أيضاً واضحة كل الوضوح في أسفار العهد الجديد. والدعوة إلى التوبة هي عمل جميع الرعاة، والمعلمين، والوعاظ، ورجال الكهنوت، وكل المرشدين الروحيين. وهي واضحة في أقوال الآباء، لقد اهتم الآباء جداً بالدعوة إلى التوبة:

📖 قال القديس الأنبا أنطونيوس: "أطلب التوبة في كل لحظة"

📖 وقال القديس باسيليوس الكبير: "جيد إلا تخطئ. وإن أخطأت، فيجد إلا تؤخر التوبة. وإن تبت، فيجب إلا تعود إلى الخطية. وإن لم تعد، فجيد أن تعرف أن هذا بمعونة من الله. وإن عرفت فجيد ان تشكره على ما أنت فيه".

📖 وقال مار إسحق: "في كل وقت من هذه الأربع والعشرين ساعة من اليوم، نحن محتاجون إلى التوبة".

📖 وقال أيضاً: "كل يوم لا تجلس فيه ساعة بينك وبين نفسك، وتتفكر بأي الأشياء أخطأت، وبأي أمر سقطت، وتقوم ذاتك فيه. لا تحسبه من عدد أيام حياتك".

📖 إن الدعوة إلى التوبة لازمه للكل. ومما يستلفت النظر:

📖 إن الدعوة للتوبة، وجهت حتى إلى ملائكة الكنائس السبع فالرب يقول لملاك كنيسة أفسس: "أذكر من أين سقطت وتب" {رؤ ٢: ٥} وكلمة "تب" يقولها أيضاً لملاك كنيسة برجامس {رؤ ٢: ١٦}، وملاك

كنيسة ساردس {رؤ ٣: ٣}، ولملاك كنيسة لاودكية {رؤ ٣: ١٩}، وقد أرسل الله ناثان النبي لينادي بالتوبة إلى داود النبي مسيح الرب.

📖 **أن دعوة الله بالتوبة تحمل شعور الإشفاق على أولادة:**

📖 فهو يريد الذين ضلوا أن يرجعوا إليه، ليكون لهم نصيب في الملكوت، وفى ميراث القديسين، وفى شركة الكنيسة. لأن السلوك الخاطئ يمنع شركتنا بالله {١ يو١: ٦}، ويمنع شركتنا مع بعضنا البعض "ولكن إن سلكنا في النور، كما هو في النور، فلنا شركة مع بعضنا البعض. ودم يسوع المسيح إبنه يطهرنا من كل خطية" {١ يو١: ٧}.

📖 **والله يقبل التائبين. وأمثلة ذلك كثيرة في الكتاب:**

📖 لقد قبل الابن الضال في سوء حالته {لو١٥}.

📖 وقبل المرأة السامرية التي كان لها أكثر من خمسة أزواج {يو٤}.

📖 وقبل اللص اليمين على الصليب على الصليب {لو٢٣: ٤٣}.

📖 وصلي من اجل صالبيه لتغفر لهم خطيتهم {لو٢٣: ٣٤}.

📖 وقبل زكا رئيس العشارين {لو١٩: ٩}، ومنحه الخلاص هو وأهل بيته، وقبل متي العشار وجعله رسولاً من الإثني عشر {مت ١٠: ٣}. ويكفي قوله: "من يقبل إلى، لا أخرجه خارجاً" {يو٦: ٣٧}.

📖 بل أكثر من هذا، أن الرب هو الذي يقف على الباب ويقرع منتظرا من يفتح له {رؤ ٣: ٢٠}. فإن كان يفعل هذا، فبالحري يفتح لمن يقرع أبواب رحمته الإلهية.

📖 **ومن جهة مراحم الرب على الخطاة، صدق من قال:**

📖 "إن مراحم الرب أقوي من كل دنس الخطية". إن أبشع الخطايا وأكثرها – بالنسبة إلى مراحم الله – كأنها قطعه طين قد ألقيتها في المحيط. أنها لا تعكر المحيط، بل يأخذها ويفرشها في أعماقه، ويقدم

لك ماء رائقاً. وقبول الله للتوبة، إنما يكشف عن أعماق محبته الإلهية.

لذلك لا نستكثر خطيتنا على فاعليه دمه. ولا نستكثرها على عظم محبته، وعظم رحمته. وقد قال أحد الشيوخ القديسين: لا توجد خطية تغلب محبة الله للبشر. إنه هو الذي يبرر الفاجر {رو٤: ٥}. أقول هذا حتى لا ييأس الخطاة إذا نظروا إلى خطاياهم.

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ١٤ ـ ١٧



{٤} لا تيأس:

في هذه النقطة أتذكر خطاباً وصلني من أحد الشبان منذ ٢٢ عاماً. قرأته فتأثرت كثيراً، لدرجة أنني بكيت. ثم أرسلت له رداً، أذكر أنني قلت له في مقدمته "وصلني خطاباك يا أخي المحبوب، ويخيل إلى أنني قرأته مراراً قبل أن أراه. إنه صورة حياة أعرفها، وقصة قلوب كثيرة، نعم. إنها حرب تتعب كثيرين. أفكارها معروفه، تتكرر في اعترافات الناس وفى أسئلتهم الروحية. وسنحاول أن نتناول هنا كل فكر منها، لنرد عليه.

{١} الشكوى الأولي: أنا يئست. لا فائدة مني:

اعلم يا أخي أن كل أفكار اليأس هي محاربة من الشيطان. إنه يريدك أن تيأس من التوبة، سواء من إمكانيتها، أومن قبولها، حتى تشعر أنه لا فائدة من الجهاد، فتستلم للخطية، وتستمر فيها وتهلك نفسك. فلا تسمع للشيطان في شيء مما يقوله لك. وكلما تحاربك فكرة من أفكار اليأس، رد عليها بقول ميخا النبي: "لا تشمتي بي يا عدوتي، فإن إن سقطت أقوم" {مي ٧: ٨}.

وأعلم إن اليأس يقود إلى الاندماج في الخطية بالأكثر، فيتدرج الخاطئ من سيء إلى أسوأ. وربما في اليأس يحاربه الشيطان بأن يبعد عن أب اعترافه، وعن كل إرشاد روحي، وعن الكنيسة كلها.

لكي ينفرد به بلا معونة!!

📖 إن حرب اليأس حورب بها الأنبياء والقديسون. فقال داود النبي: "كثيرون يقولون لنفسي: ليس له خلاص بإلهه" {مز ٣}. ولكنه يرد على هذا فيقول: "أنت يارب هو ناصري، مجدي ورافع رأسي"، إن داود لم ييأس من سقطته، بل بكي عليها وتاب، ورده الله إلى رتبته الأولي. بل كان الله يفعل خيرات كثيرة مع عديدين، وهو يقول: "من أجل داود عبدي" {١مل ١١: ٣٢، ٣٤، ٣٦}، فلا تيأس إذن، وتذكر الذين تابوا من قبل.

📖 وإن كنت قد يئست من نفسك، فإن الله لم ييأس من خلاصك. لقد خلص كثيرين، وليست أنت أصعب منهم جميعاً. وحيث تعمل النعمة فلا مجال لليأس. تقدم إذن إلى التوبة بقلب شجاع، ولا تصغر نفسك.

📖 **{٢} يقول: كيف أتوب، وانا عاجز تماماً عن القيام من سقطتي؟**

📖 لا تخف. الله هو الذي سيحارب عنك. والحرب للرب {١صم ١٧: ٤٧}. ولا تهتم مقاومتك، ضعيفة أم قوية. فالله قادر أن يخلص بالكثير أو بالقليل ... إن الله أقوي من الشيطان الذي يحاربك، وسيطرده عنك. فلا تنظر إذن إلى قوتك، إنما إلى قوة الله.

📖 واصرخ وقل: "توبني يارب فأتوب" {أر ٣١: ١٨}، وإن كنت عاجزاً عن أن تقيم نفسك، فالرب قادر أن يقيمك. إنه هو الذي "يقيم الساقطين، ويحل المقيدين" {مز ١٤٥}، "رجاء من ليس له رجاء ومعين من ليس له معين".

📖 كن كالجريح الذي كان ملقي على الطريق بين حي وميت، عاجزاً عن ان يقوم. ولكن السامري الصالح أتاه وأقامه {لو١٠: ٣٠}.

📖 اوكن كالموتى الذين أقامهم الرب، ولا قدرة لهم ولا حياة.

📖 **٣- تقول حالتي رديئة جداً، وفاقده الأمل:**

📖 أتراها فاقده الأمل، أكثر من العاقر التي قال لها الرب "ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد" {أش ٥٤: ١}. وأعطاها أكثر من ذات البنين؟!

📖 إن حالتك قد تكون فاقدة الأمل من وجهة نظرك أنت. أما الله فله رجاء فيك. لا تجعل أملك إذن في نوعية حالتك، إنما في غني الله الذي يعطي بسخاء، وفى حبه وفى قدرته.

📖 ٤- تقول ولكنني لا أريد التوبة، ولا أسعى إليها:

📖 طبعاً، هذا أسوأ ما في حالتك. ومع ذلك فلا تيأس. ويكفي ان الله يسعي لخلاصك. وهو يريد لك ان تخلص. وصلوات قديسين كثيرين ترفع من أجلك، مع تشفعات ملائكة. والله قادر أن يجعلك تريد هذه التوبة. وتذكر قول الرسول "لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا، وأن تعملوا لأجل المسرة" {في ٢: ١٣}.

📖 صل وقل: أعطني يارب الرغبة في أن أتوب. أن الخروف الضال لم يبحث كيف يرجع، ولكن صاحبه بحث عنه، وأرجعه إليه. وكذلك كان الحال مع الدرهم المفقود {لو١٥}.

📖 **٥- تقول:** هل من المعقول ان أعيش طول عمري بعيداً عن الخطية، بينما قلبي يحبها؟! لو تبت عنها سأرجع إليها!

📖 إن المغالطة التي يلقيك بها الشيطان في اليأس، هي إنك ستعيش في التوبة بنفس هذا القلب الذي يحب الخطية! كلا، فسيعطيك الرب قلباً جديداً {حز ٣٦: ٢٦}. وسينزع منك محبة الخطية. وحينئذ لن تفكر أن ترجع إليها. بل على العكس، إن الله سيجعلك في توبتك تكره الخطية، وتشمئز منها. شعورك الحالي سيتغير.

📖 ٦- تقول: حتى إن تبت، ستبقي أفكاري ملوثه بصور قديمة:

📖 لا تخف. ففي التوبة سينقي الله فكرك، وتصل إلى تجديد الذهن الذي قال عنه الرسول {رو١٢: ٢}، كم كانت الصورة الرديئة التي في

ذاكره أوغسطينوس، وفى ذاكره مريم القبطيـة! ولكـن الـرب محاهـا، ليتقدس الفكر بمحبته.

📖 وثق أن الذين عادوا للتوبة، كانوا فـي حالـة أقـوي، بـل كثيـر مـنهم منحهم الرب مواهب ومعجزات، مثـل يعقـوب المجاهـد، ومـريم إبنـه أخي إبراهيم المتوحد، ومريم القبطية. والتائب محبته أكثر، كالخاطئة التي أحبت كثيراً، لأنه غفر لها الكثير {لو٧: ٤٧}.

📖 وداود في توبته كان أعمق حباً واتضاعاً.

📖 **٧- تقول: وهل يغفر الرب لي؟ وهل يقبلني؟**

📖 اطمئن، فإنه يقول: "ن يقبل إلى لا أخرجه خارجاً" {يو٦: ٣٧}. وقـد قال داود النبي " لم يصنع معنـا حسـب خطايانـا، ولـم يجازنـا حسب آثامنا ... كبعد المشرق عن المغرب، ابعد عنا معاصينا. لأنـه يعـرف جبلتنا، يذكرنا أننا تراب نحن" {مز ١٠٣}.

📖 إنه لا يقبلنا فقط، بـل يغسـلنا فنبـيض أكثـر مـن الـثلج {مـز ٥٠}. ولا يعود يذكر لنا خطايانا {أر ٣١: ٣٤، حز ٣٣: ١٦، عب ٨: ١}.

📖 تذكر أن نفسك غالبيه عند الرب من اجلها تجسد وصلب.

📖 **٨- تقول ولكن خطاياي بشعة جداً:**

📖 أجيبك بقول الكتاب " كل خطية وكل تجديف بغفر للناس" {مـت ١٢: ٣١}. حتى الذين تركوا الإيمان ورجعوا إليه غفر لهـم. وكـذلك الـذين وقعوا في بدع وهرطقات وتـابوا، غفـرت لهـم. وبطـرس الـذي أنكـر المسيح وسب ولعن وقال لا اعرف الرجل، غفر له. وليس هذا فقـط، بل أعيد إلى درجه الرسولية والرعاية.

📖 حتى الذين كانوا في موضع القدوة، مثل هرون رئيس الكهنـة الـذي اشترك مع بني إسرائيل في صنع العجل الذهبي ليعبـدوه {خـر ٣٢: ٢-٥}، لما تاب غفرت له. وهوشع الكاهن العظيم، انتهر الرب من أجلـه الشيطان، وألبسه ثيباً جديدة {زك ٣: ١-٤}.

📖 **٩- تقول ولكني تأخرت كثيراً. فهل هناك فرصة؟**

📖 هكذا قال أوغسطينوس في اعترافاته "تأخرت كثيراً في حبك" والرب قبل أصحاب الساعة الحادية عشرة، وكافأهم بنفس المكافأة {مت ٢٠: ٩}، وقد قبل اللص اليمين على الصليب، في آخر ساعات حياته. وطالما نحن في الجسد، هناك فرصة للتوبة.

📖 لذلك نقول في صلاة النوم "توبي يا نفسي مادمت في الأرض ساكنه". لأن الرجاء في التوبة لا يتبدد إلا في الهاوية، حيث قال أبونا إبراهيم للغني "بيننا وبينكم هوة عظيمة" {لو١٦: ٢٦}. فما دمت في الجسد، أمامك فرصة للتوبة، فانتهزها.

📖 **١٠- تقول أخشى أن تكون خطيتي تجديفاً على الروح القدس:**

📖 أقول لك إن التجديف على الروح القدس، هو الرفض الكامل الدائم مدي الحياة لكل عمل للروح القدس في القلب، فلا تكون توبة، وبالتالي لا تكون مغفرة. ولكن إذا تبت، تكون قد استجبت لعمل الروح فيك. ولا تكون خطيتك تجديفاً على الروح

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٢١ - ٢٥

📖 {٥} التوبة بين الجهاد والنعمة:

📖 إن كلامنا عن عمل الله في التوبة، ومعونه النعمة، لا تعني أن يتكاسل الإنسان ويتراخى، منتظراً أن الله يقيمه، فهوذا الرسول يوبخ أمثال هؤلاء قائلاً: "لم تقاوموا بعد حتى الدم، مجاهدين ضد الخطية" {عب ١٢: ٤}. إذن من المفروض أن يقاوم الإنسان حتى الدم كل أفكار الخطية، وكل شهواتها، وكل طرقها. ويبعد عن العثرات، ويستخدم كل الوسائط الروحية التي تثبت محبه الله في قلبه.

📖 وأيضاً: يدخل في حرب روحية، "ضد أجناد الشر" {أف ٦}. وفى هذه الحرب يقاتل ويصمد للعدو، ويلبس سلاح الله الكامل، لكي يقدر

أن يثبت ضد مكايد إبليس {أف ٦: ١}. ويكون في كل ذلك ساهراً على خلاص نفسه {أف ٦: ١٨}.

فالرسول يقول: "اصحوا وأسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر. فقاوموه راسخين في الإيمان {١ بط ٥: ٨، ٩}. إن الله يريد منك أن تقاوم. وفى مقاومتك سوف تسندك النعمة بكل قوة. ولكن اظهر محبتك لله بمقاومتك الخطية. وصل ليعطيك الرب قوة على مقاومتها. وهكذا تشترك مع الله في العمل.

الابن الضال لم ينتظر حتى يأتيه الآب في الكورة البعيدة ليأخذه منها، إنما رجع إلى نفسه، وشعر بسوء حالته، وعرف الحل، ونفذ، ورجع إلى الآب فقبله {لو١٥}.

وأهل نينوي صاموا، وتذللوا، وجلسوا على الرماد، وصرخوا إلى الله بشده ورجعوا عن أفعالهم، فقبلهم الله إليه {يون ٣}.

والله لكي ينبهنا إلى واجبنا في التوبة يقول: "ارجعوا إلى، فأرجع إليكم" {ملا ٣: ٧}. ويقول على لسان إشعياء النبي " اغتسلوا، تنقوا، اعزلوا شر أفعالكم ... وهلم نتحاجج يقول الرب" {أش ١: ٦}. ويقول في سفر يوئيل النبي " ارجعوا إلى بكل قلوبكم، وبالصوم والبكاء والنوح. ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم" {يوء ٢: ١٢، ١٣}.

إذن هناك واجب على الإنسان يقوم به في عمل التوبة. ولا يكتفي بأن نفسه عند قدمي الرب، دون جهاد في الداخل والخارج! أو كما يقول البعض "عملك الوحيد هو مجرد تقبل عمل النعمة فيك"! هل هذا الرأي يتفق مع توبيخ الرسول: "لم تقاوموا بعد حتى الدم، مجاهدين ضد الخطية {عب ١٢، ٤}؟!

إذن فلنجاهد. ولكن لا نعتمد على أنفسنا، بل نطلب يد الله العاملة معنا وبجهادنا نثبت رغبتنا في التوبة، وجدية توبتنا.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٢٥ - ٢٦



📖 **{٦} أهمية التوبة:**

📖 **أهم ما في التوبة، أنه بدونها لا يتم الخلاص:**

📖 يقول الرب: "ان لم يتوبوا، فجميعكم كذلك تهلكون" {لو١٣: ٣}. وقد "أعطي الله الأمم التوبة للحياة" {أع ١١: ١٨}. وقد يقول البعض أن السيد المسيح قدم لنا دمه للخلاص والمغفرة. فما لزوم التوبة إذن؟ إلا يكفي دم المسيح؟ فنجيبه:

📖 إن التوبة هي التي تنقل استحقاقات دم المسيح في المغفرة. فالخلاص مقدم للكل. ودم المسيح كاف للكل. ولكن لا ينال منه إلا التائبون. حقاً إن دم المسيح "يطهرنا من كل خطية". ولكنه لا يطهرنا إلا من كل خطية نتوب عنها.

📖 وقد اشترط الرسول هذا التطهير أمرين وهما "إن سلكنا في النور" {١ يو١: ٧}، وأيضاً: "إن اعترفنا بخطايانا" {١ يو١: ٩}.

📖 وهذان الشرطان متعلقان بحياة التوبة. ولذلك فالتوبة تسبق المعمودية، إذ فيها مغفرة الخطايا. وفى هذا قال بطرس الرسول لليهود يوم الخمسين: "توبوا وليعتمد كل منكم على اسم يسوع المسيح لمغفرة الخطايا" {أع ٢: ٣٨}.

📖 والكنيسة في معمودية الكبار تشترط الإيمان والاعتراف. وقوانين الكنيسة تمنع عماد غير التائبين. أما بالنسبة للصغار، فيكتفي بطقس {جحد الشيطان} لينوب عن التوبة.

📖 **ومن أهمية التوبة، إنها تلازم الإيمان أو تسبقه:**

📖 وقال القديس مرقس الإنجيلي أن السيد المسيح كان يكرز قائلاً: "قد كمل الزمان، واقترب ملكوت الله. فتوبوا وآمنوا بالإنجيل" {مر ١: ١٥}. والإيمان بدون توبة لا يخلص أحداً، لأن عدم التوبة يهلك الإنسان {لو١٣: ٣}. والتوبة تسبق التناول من الأسرار المقدسة.

📖 ففي العهد القديم قال صموئيل النبي: "تقدسوا وتعالوا معي إلى الذبيحة" {١ صم ١٦: ٥}. وفى العهد الجديد يقول القديس بولس

الرسول " ... ليمتحن الإنسان نفسه، وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس. لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق، يأكل ويشرب دينونة لنفسه، غير مميز جسد الرب. لأننا لو حكمنا على أنفسنا، لما حكم علينا" {١ كو١١: ٢٧- ٣١}.

📖 **والتوبة تسبق جميع أسرار الكنيسة المقدسة:**

📖 وذلك لكي يستحق الإنسان فاعليه الروح القدس فيه. ولكي ينال مغفرة بالتوبة، تؤهله لنعمة الروح القدس العاملة في الأسرار.

📖 إن توبة الابن الضال، سبقت دخوله بيت أبيه {لو١٥}. والتوبة هي شرط لازم لمغفرة الخطايا. وفى ذلك يقول القديس بطرس الرسول: "فتوبوا وارجعوا لتمحي خطاياكم" {أع ٣: ١٩}.

📖 وما أجمل قول مار إسحق "ليست خطية بلا مغفرة إلا التي بلا توبة". التوبة إذن لازمه قبل وبعد المعمودية. قبل المعمودية لتؤهل لنوالها. وبعد المعمودية لمغفرة الخطايا التي تحدث بعد المعمودية.

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٢٧ ـ ٢٨

📖 **{٧} عوائق التوبة:**

📖 **لا يوجد شيء يحاربه الشيطان أكثر من التوبة:**

📖 ذلك لأنها تضيع كل تعبه السابق. لذلك تبدو أحياناً صعبه على البعض. لأنه حينما يريد الإنسان أن يتوب، يضع الشيطان أمامه كل ما يمكن من العثرات والعراقيل التي تمنع، أو تعطل توبته، ومنها:

📖 **{أ} العثرات:**

📖 سواء كانت إغراءات، أو فرصاً لم تكن متاحه من قبل، حتى نضعف أمامها الإدارة. ويمكن أن تكون البيئة إحدى العوائق التي تعطل التوبة، بما تقدمها من عثرات ومن مفاهيم خاطئة.

📖 **{ب} مقارنه الخاطئ نفسه بمستويات ضعيفة:**

📖 يظن مع هذه المستويات أنه في حاله حسنة لا تحتاج إلى توبة، أو تقف أمامه الأعذار، كأن يقول: "كل الناس هكذا. هل أشذ عن الكل". طبعاً ليس عذراً أن تكون الغالبية مخطئة. فقد كان نوح محتفظاً ببره في عالم كله شر. وكذلك كان يوسف الصديق، وموسى النبي، في أرض مصر، ولوط في سدوم.

📖 **{ج} ضعف الشخصية، بحيث يمكن أن تنقاد للوسط المحيط:**

📖 والمفروض أن تكون للإنسان شخصيته الثابتة، التي لا تنجرف مع الاتجاه العام. إن سمكه صغيره يمكن أن تقاوم التيار وتسير عكسه، لأن فيها حياة. بينما كتله ضخمه من الخشب – قدر هذه السمكة مئات المرات – يمكن أن يجرفها التيار لأنه لا إرادة لها. فكن قوي الشخصية، ليمكنك أن تتوب. والرسول يقول: "لا تشاكلوا هذا الدهر" {رو١٢: ٢}.

📖 **{د} التأجيل:**

📖 إن الشيطان لا يحاربك حرباً مكشوفة بالامتناع عن التوبة، بل يدعوك إلى التأجيل بتقديم إغراءات معينه.

📖 وللتأجيل خطورات منها: إن فرض التوبة قد تفلت. وكذلك فإن الخطية كلما استمرت، تأخذ سلطاناً، وتثبت أقدامها. وربما بالتأجيل مجرد الرغبة في التوبة لا توجد، والتأثيرات الروحية التي تدفع إليها قد تفقد مفعولها.

📖 **{هـ} اليأس:**

📖 والشعور بأن التوبة صعبة، وغير ممكنه. وكما يقول يوحنا الدرجي: "إن الشياطين – قبل السقطة – يقولون لك إن الله رؤوف ورحيم. أما بعد السقطة فيقولون إنه ديان عادل، ويخوفونك لتيأس من مغفرة الله فلا تتوب". وقد تحدثنا في الصفحات السابقة عن عائق

اليأس وعلاجه.

📖 **{و} البر الذاتي، الذي فيه لا يشعر الإنسان إنه مخطئ:**

📖 التوبة هي تغيير حياة. والذي حياته جميله في عينية، كيف يغيرها؟! إنه إن لم يشعر بسوء حالته، فلا يمكن أن يتوب ويغير حياته. كذلك لا يتوب، من لا يبكت نفسه، ومن يرفض تبكيت الآخرين. ومن يظن أنه دائماً على حق، وأن عبارات {توبوا، وارجعوا} هي موجهه إلى غيره.

📖 وكذلك من يترك أذنيه لسماع كلام المديح ويصدقه، ومن يفسر وصايا الله حسب هواه، ويرفض أن يتبكت ضميره بسببها. التوبة سهله للمتواضعين. وصعبه على الأبرار في أعين أنفسهم.

📖 إنها سهله للعشار المنسحق الشاعر بخطاياه، وصعبه على الفريسي الذي يفتخر في صلاته قائلاً: "أشكرك يارب إني لست مثل سائر الناس الظالمين الخاطفين الزناة" التوبة سهله للمرأة الخاطئة التي بللت قدمي المسيح بدموعها. وصعبه على سمعان الفريسي الذي ظن انه ليس خاطئاً مثلها. ولذلك حسناً أن الرب أظهر له إنه هو وهي مديونان. ولكنه ليس له نفس حبها، إذ يري دينه أقل بكثير {لو٧}.

📖 التوبة سهلة على الذين يعرفون أنهم خطاه، أما الأبرار في أعين أنفسهم، فعلي أي شيء يتوبون؟! مادام لا يعترفون بأنهم أخطأوا في شيء! حقاً: "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب"، أي الذين يظنون في أنفسهم أنهم أصحاء!

📖 هؤلاء، حتى أن جابهم أحد بخطية، أما أن ينكروها، أو يفسرها تفسيراً ملتوياً، أو يحملوا مسئوليته على غيرهم، أو يجادلوا ويبرروا أنفسهم. ولكنهم لا يعترفون بخطأ، وبالتالي لا يتوبون.

ربما الذين يقفون أمام الناس كقدوة لهم، من الصعب أن يقولوا إنهم محتاجون إلى توبة. ليت هؤلاء يكونون أيضاً قدوة للناس في الاعتراف بالخطأ، وبالاحتياج إلى توبة. لذلك نقول إن التوبة قد تكون سهله للموعوظ، وصعبه على الواعظ، والخادم، والمرشد، ومن في مستواهم.

من عوائق التوبة أيضاً عدم وجود مخافة الله في القلب:

وكما قال مار إسحق: حيث لا توجد المخافة، لا توجد التوبة أيضاً.

البعض ينفرون من المخافة باسم المحبة. ولبعدهم عن المخافة يقعون في اللامبالاة، ويسقطون في خطايا. وبهذه الخطايا يبرهنون على أنه ليست لهم المحبة التي تطرح المخافة إلى الخارج {١ يو٤: ١٨}. مخافة الله تشعر الإنسان بخطاياه، فتدفعه إلى التوبة. وسنقدم لك عنها كتاباً خاصاً إن شاء الله.

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٢٨ ـ ٣٠



{٨} التوبة والكنيسة:

الكنيسة لها عمل كبير في توبة كل إنسان:

يدخل في نطاقه عمل التعليم والإرشاد، وعمل الرعاية والافتقاد، ونقل أعمال الروح القدس وعطاياه من أجل خلاص كل أحد، ونقل استحقاقات الدم الكريم.

فالكنيسة هي التي تدعو الخطاة إلى التوبة. هي التي تقوم بما أسماه القديس بولس الرسول "خدمة المصالحة" و"كلمة المصالحة" تنادي الخطاة لأن "تصالحوا مع الله" {٢ كو٥: ١٨ – ٢٠}. وذلك عن طريق الوعظ والتعليم، وتقدم كلمة الله للناس.

وربما لولا عمل الكنيسة هذا ما تاب أحد:

والكنيسة تحث إلى التوبة في كل ما تقوم به من أعمال الرعاية.

بزيارة الناس، وحل مشاكلهم بكل أنواعها، الروحية والاجتماعية.
كأب حنان يهتم بأولاده، ويقربهم إلى أبواه الله.

📖 والكنيسة هي الوسط الروحي الذي يساعد على حياة التوبة:

📖 بعيداً عن أوساط العالم المملوءة بالعثرات، بحيث أن كل من يتوب يجد الكنيسة البيئة الصالحة التي فيها حياة روحية. وربما لولا الكنيسة لكن كل شعور روحي ينبت في الإنسان تختنقه أشواك العالم فيذبل ويجف.

📖 والكنيسة تقدم للتائب سر الاعتراف، وتمنحه الحل، والمغفرة:

📖 وفى سر الاعتراف يشرح التائب كل ما في قلبه، وتستريح نفسه من أسراره المكتوبة، ويقدم إلى الله كل ضعفاته وسقطاته في سمع الكاهن، لينال عنه حلاً من الله، من فم الكاهن.

📖 وذلك بحكم السلطان الذي قال فيه الرب "من غفرتم له خطاياه، غفرت له، ومن أمسكتموها عليه أمسكت" {يو٢٠: ٢٣}. وأيضاً بحكم قوله "كل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء. وكل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء" {مت ١٨: ١٨}.

📖 وهكذا يخرج التائب من اعترافه وقد استراح ضميره. إذ يكون قد سمع كلمه الحل والمغفرة، من وكيل الله له سلطان أن يقولها حسب السلطان المعطي له من الله. وهكذا يملك السلام على قلبه، ويبدأ بدءاً جديداً.

📖 والكنيسة في سر الاعتراف تعطي الإرشاد الروحي:

📖 حسبما قال الكتاب إنه من فم الكاهن تطلب الشريعة {حج ٢: ١١}، وهكذا يشرح الأب لأبنه في الاعتراف الطريق الروحي السليم الذي يسير فيه، لأنه لا يوجد أحد يستغني عن المشورة والكتاب يقول "هناك طريق تبدو للإنسان مستقيمة وعاقبتها طرق الموت" {أم ١٤:

١٢}، كما يقول "على فهمك لا تعتمد" {أم ٣: ٥}.

وفى الكنيسة يجد التائب القلب الذي يأتمنه على أسراره:

فالأسرار الشخصية الخاصة بحياة الإنسان الروحية، والتي تشمل سقطاته وضعفاته، لا يستطيع أن يأتمن عليها كل أحد. وربما لا يستطيع كتمانها تماماً لأن هذا الكبت قد يتعبه. ولكن عند الأب الكاهن يجد ضمان السرية، ويجد الحلول اليد المخلصة التي يقوده في حب وفى إخلاص.

والكنيسة تقدم للتائب كل بركات سر الإفخارستيا.

هذا السر العظيم الذي قال عنه الرب "من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه" و" حيا بي" {يو٦: ٥٦، ٥٧}.

وخارج الكنيسة لا يجد بركة هذا السر العظيم الذي يعنيه في توبته، ويغذيه روحياً، والذي "يعطي عنا خلاصاً، وغفراناً للخطايا، وحياة أبدية لكل من يتناول منه" {يو٦: ٥٤}.

ولكن لعل إنساناً يقول: مادامت التوبة تؤدي إلى المغفرة، فما حاجتي إلى الكنيسة، وإلى الاعتراف، والتناول، والتحليل؟

فنجيبه: بالتوبة تستحق المغفرة، وبالاعتراف وتناولها. وفرق بين استحقاق المغفرة، ونوال النعمة. كما أن التوبة تشمل في داخلها الاعتراف أيضاً. والتحليل جزء من سر التوبة، والتناول امتداد لفاعليه ذبيحة المسيح.

يقول: إن تبت ومت قبل قراءة التحليل، فما مصيري؟

إن مت هكذا يرحمك الله. والتحليل يقرأ عليك في صلاة الجناز.

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٣٠ ـ ٣٢



الباب الثاني

دوافع التوبة

الفصل الأول: إن عرفت من أنت تسموعن الخطية		
١ـ أنت نفخة قدسيه من فم الله	٢ـ أنت مسكن لله، وهيكل للروح	٣ـ أنت أخ وشريك ووارث معه
٤ـ أنت شريك للروح القدس	٥ـ أنت عضوفى جسد المسيح	٦ـ أنت تتناول جسد الرب ودمه
الفصل الثاني: إن عرفت ما هي الخطية تهرب من الخطية		
١ـ الخطية هي موت	٢ـ الخطية ضلال وضياع	٣ـ الخطية هزيمة لا نصره
٤ـ الخطية انفصال عن الله	٥ـ الخطية حرمان من الله	٦ـ الخطية معانده للروح القدس
٧ـ الخطية فساد للطبيعة	٨ـ الخطية نجاسة وزني	
الفصل الثالث: أن عرفت نتائج الخطية تنفر من الخطية		
١ـ من نتائج الخطية الخوف	٢ـ عذاب الضمير	٣ـ نتائج الخطية
الفصل الرابع: إن عرفت عقوبة الخطية تهرب من الخطية		
١ـ عقوبة الخطية	٢ـ لطف الله وصرامته	٣ـ رحمة الله وعادلة
٤ـ عقوبات الله المخيفة	٥ـ عذاب الإبدية المرعب	٦ـ عقوبتان للخطية
٧ـ عقوبات لأحباء الله	الفصل الخامس: دوافع أخري للتوبة	

📖 نريد أن نجعل توبتنا مبنيه على أساس سليم، وعلى فهم صحيح للحياة الروحية، والعلاقة مع الله. وأهم دافع لنا إلى التوبة هوان نعرف قيمة أنفسنا، أن يعرف الواحد منا مقدار نفسه، ومن يكون. فأعرف يا أخي نفسك من أنت.

الفصل الأول

إن عرفت من انت تسمو عن الخطية

📖 فلو عرفت المقدار العظيم الذي لك، والمركز الكبير الذي تشغله، لكنت تربأ بنفسك السامية ان تنزل إلى مستوي الخطية. وهكذا لا يمكن أن تسقط. فمن أنت؟

📖 {١} أنت نفخة قدسيه قد خرجت من فم الله:

🕮 أنت يا أخي لست حفنه من تراب كما يظن البعض: أنت نفخة قدسية خرجت من فم الله وحلت في التراب. وهكذا صرت "نفساً حية" {تك ٢: ٧}. ولست مجرد تراب، أو طين. يليق بك إذن أن تغني في فرح وتقول:

🕮 ما أنا طين ولكن ـ أنا في الطين سكنت

🕮 لست طيناً أنا روح ـ من فم الله خرجت

🕮 وسأمضي راجعاً لله ـ أحيا حيث كنت

🕮 إن وجودك في هذا التراب – أيها الأخ المبارك – هو مجرد فتره غربه قصيرة ترجع بعدها إلى الله، وتثبت فيه إلى الأبد. فأعرف غربتك، وعش كروح، تسمو عن المادة، والعالم، وأعمال الجسد.

🕮 **أنت ابن الله، أنت صورته ومثاله:**

🕮 أنت – يا أخي – صورة الله. فهكذا قال الكتاب في قصة الخلق: "وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ... فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه" {تك ١: ٢٦،٢٧}.

🕮 فإذا كنت أنت صورة الله وشبهه، فكيف تخطئ؟! هل إذا تدنست بالخطية تظل محتفظاً بصورتك الإلهية؟! كلا، طبعاً. إذ لا يمكن أن يراك إنسان في النجاسة، والسقوط ويقول: "هذا صورة الله"!

🕮 لذلك فإن القديس أثناسيوس الرسولي في كتابه "تجسد الكلمة"، يقرر أن الإنسان عندما سقط، تشوه، وفقد صورته الإلهية، وأتي السيد المسيح ليعيد إلينا صورتنا الأصلية.

🕮 لو عرفت أيها الأخ إنك صورة الله لا يمكن ان تخطئ، ولو عرفت أنك ابن الله فلن تخطئ كذلك، لأن الابن يجب أن يشبه أباه.

🕮 ما أسهل أن نفتخر افتخاراً باطلاً ونقول: "إننا أولاد الله"، وأعمالنا لا تدل على ذلك. كما كان اليهود يفتخرون باطلاً بأنهم أولاد إبراهيم، وأخجل الرب كبرياءهم بقوله: "لوكنتم أولاد إبراهيم، لكنتم تعملون

أعمال إبراهيم" {يو٨: ٣٩}. فإن كان أولاد إبراهيم يجب أن يعلموا أعمال إبراهيم، فكم يجب أن يكون أولاد الله الذين على صورته ومثاله؟ هل نحن نحيا كأولاد لله، حتى ندعي أولادة؟

📖 ما أسهل أن نخاطب الله في صلواتنا قائلين: "أبانا الذي في السماوات"، ونحن لا نسلك كبنين لذلك الأب السماوي!!

📖 تذكر يا أخي باستمرار أنك ابن الله، واسلك في حياة البر حتى تستحق أن تدعي ابناً لذلك البار، واضعاً أمام عينيك قول الكتاب: "إن علمتم أنه بار هو، فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه" {١ يو٢: ٢٩}. فاعلموا ان كل من يصنع البر مولود منه" {١ يو٢: ٢٩}.

📖 إذن إن كنت لا تصنع البر، فلست تستحق أن تدعي ابناً لله. أخاف أن تكون عبارة "أولاد الله" سبب تبكيت لنا، ههنا، وفى اليوم الأخير.

📖 من أجل هذا يشرح لنا القديس يوحنا الرسول هذا الأمر فيقول "ايها الأولاد، لا يضلكم أحد. من يفعل البر فهو بار كما أن ذاك بار. من يفعل الخطية فهومن إبليس من البدء يخطئ" {١ يو٣: ٧، ٨}، أي أن من يفعل الخطية هو ابن للشيطان، هومن إبليس وليس من الله.

📖 يا للهول! ثم يسجل لنا الرسول قاعدة جوهرية يقول فيها: "كل من هو مولود من الله لا يفعل الخطية، لأن زرعة يثبت فيه. ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله" {١ يو٣: ٩}. بهذا المقياس يمكنك أن تقيس أيها الأخ نفسك عندما تقول إنك ابن الله وهكذا فإن الرسول يختم كلامه بقوله: "بهذا أولاد الله ظاهرون، واولاد إبليس {ظاهرون}" {١ يو٣: ١٠}.

📖 إن شعورك بأنك ابن لله، يذكرك بالطبيعة السامية التي وضعها الله فيك والتي عناها الرسول، بقوله عن المولود من الله أن "زرعه يثبت فيه". لذلك قال أيضاً: "المولود من الله يحفظ نفسه، والشرير لا يمسه" {١ يو٥: ١٨}. ففي كل مرة تخطئ، ينبغي أن تنسحق في

أعماقك، شاعراً إنك غير مستحق للقلب ابن الله.

📖 لذلك فإن الكنيسة المقدسة تجعل المصلي يقول للرب كل يوم في صلاة الغروب "أخطأت إلى السماوات وقدامك، ولست مستحقاً أن أدعي لك ابناً". ولماذا "لست مستحقاً إن أدعي لك ابناً"؟ لأني أخطأت، والمولود من الله لا يخطئ.

📖 لابد أن نفهم جيداً المعني العملي لبنوتنا لله، ندخل إلى أعماق هذا اللقب. ونسأل أنفسنا في كل عمل نعمله، وفى كل كلمه نقولها، وفى كل فكر نرضي به. هل نحن نعمل، ونتكلم، ونفكر، كما يليق بأولاد الله؟ إن بنوتنا لله ليست مجرد لقب. وإنما يجب أن نسلك بما تتطلبه هذه البنوة من مشابهة الابن لأبية.

📖 إن "الله روح" {يو٤: ٢٤}. و"المولود من الروح هو روح: {يو٣: ٦}. فإن كنت أيها الأخ إنساناً جسدانياً، تسلك حسب الجسد وليس حسب الروح، فكيف تكون ابناً لله الذي هو روح؟! وكيف تكون مولوداً من الروح؟

📖 إن الذي يعيش في الخطية، لا يستطيع مطلقاً أن يقول إنه ابن الله، بل لا يستطيع أن يدعي أنه يعرف الله، مجرد معرفه. وهذا يوضحه الرسول في عبارته المخيفة التي يقول فيها: "كل من خطئ، لم يبصره، ولا عرفه " {١ يو٣: ٦}، لأنه "من قال قد عرفته – وهو لا يحفظ وصاياه – فهو كاذب وليس الحق فيه" {١ يو٢: ٤}، هل في حياة الخطية يمكنك أن تقول: أنا أعرف الله؟! كلا، إنه يجيبك ويقول: اذهب عني، أنا لا أعرفك، ولا أنت تعرفني.

📖 لذلك يا أخي، إن تذكرت أنك ابن الله، فينبغي ان تسلك كما يليق بالدعوة التي دعيت إليها {أف ٤: ١}. أسلك مثله، في طريقة " كما سلك ذاك تسلك أنت أيضاً " {١ يو٢: ٦}. كما عاش المسيح على الأرض، تعيش أنت في ملء القداسة، في ملء الطهارة في ملء

البركة. لأنه ترك لك مثالاً تحتذيه {يو١٣: ١٥}. أما أن عشت في الخطية، فتأكد في أعماقك إنك لا تستحق البنوة لله، لأن صورة أولاد الله ليست هكذا.

📖 وفى كل مرة تقول له: "أبانا الذي في السماوات"، ينبغي أن يوبخك ضميرك، وتنسحق في داخلك، وتقول له: "إن كان من تواضعك يارب من محبتك، قد دعوتني ابناً لك. إلا أنني بأعمالي برهنت على أنني لا أستحق أن أدعي لك ابناً. اجعلني كأحد إجرائك. إن أبوتك لي – وإن كانت تشرفني جداً – إلا أنها تسحقني سحقاً، وتشعرني بالفارق الكبير بين ما أنا كائن فيه، وما ينبغي أن أكونه.

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٣٤ ـ ٣٧

📖 {٢} أنت مسكن لله، وهيكل للروح القدس

📖 أنت يا أخي لست فقط ابن الله، ونفخه قدسية قد خرجت من فم الله، وإنما أنت أيضاً هيكل لله، والله يسكن فيك، وهكذا يقول لنا الرسول: "أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله ساكن فيكم. إن كان أحد يفسد هيكل الله، فسيفسده الله. لأن هيكل الله مقدس الذي أنتم هو" {١كو٣: ١٦، ١٧}. "أنتم هيكل الله الحي". كما قال الله: "إني سأسكن فيهم، وأسير بينهم" {٢ كو٦: ١٦}.

📖 شهوة الله منذ البدء أن يسكن فيك، ينظر إلى قلبك، ويقول: "ها هو موضع راحتي إلى الأبد. ههنا أسكن لأني اشتهيته" {مز١٣٢: ١٤}.

📖 تقول له: "عندك يارب الكنائس، عندك الهياكل والمذابح. سكناك في السماء، وسماء السماوات هي عرشك" فيقول لك: ولا واحدة من هذه تعجبني مثل سكناي في قلبك "يا إبني أعطني قلبك" {أم ٢٣: ٢٦}.

📖 أنت أيها الأخ المبارك أهم عند الله من كنيسة مبنيه:

📖 إن تهدمت إحدى هذه الكنائس فما أسهل على البشر أن يعيدوا

بناءها، بجمع المال تبني. أما إذا تهدم إنسان مثلك، فلا يمكن أن يعاد بناؤه إلا بدم المسيح. لا ملاك، ولا رئيس ملائكة، ولا رئيس آباء، ولا نبياً، يقدر أن يردك إلى رتبتك الأولي، ليس غير دم المسيح، فبدونه لا يكون لك خلاص أنت يا اخي أهم عند الله من كنيسة مبنيه.

🕮 أنت كنيسة حية:

🕮 أهم من الطوب والحجارة، أنت هيكل للروح القدس. لقد سمح الله أن يتحطم هيكل سليمان، ولا يترك فيه حجر إلا وينقض. أما أنت هيكل للروح القدس. أما أنت فمن أجلك أرسل الله الرسل، الأنبياء، والملائكة، وعين الرعاة، والكهنة، والمعلمين، ورتب كل وسائط النعمة، وقدم استحقاقات الفداء العظيم "لكيلا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" {يو٣: ١٦}.

🕮 إن كنت إذن بيتاً لله، والله يسكن فيك، فتذكر قول الكتاب "ببيتك يارب تليق القداسة" {مز ٩٣: ٥}. واعرف أنك بالخطية تنجس بيت الله، الذي هو أنت. أذكر إذن قول الرسول: "كونوا انتم أيضاً مبنيين – كحجارة حية – بيتاً روحياً، كهنوتاً مقدساً، لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح" {١بط ٥:٢}.

🕮 إن السيد المسيح يبحث عن مكان يسكن فيه، وهذا المكان هوأنت. وعندما قال الرب عن نفسه انه "ليس له اين يسند رأسه" {لو٩: ٥٨}، لم يكن يقصد فقط البيوت المادية، وإنما بالأكثر قلوب الناس.

🕮 إن قلبك هو المكان الذي يريد الرب أن يسند فيه راسه، حقاً إن لذته في بني البشر {أم ٨: ٣١}، وهو مايزال يقرع على بابك لتفتح له. وفى اشتياقه إلى قلبك يقول: "إن احبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه إبي، وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً" {يو١٤: ٢٣}، وهكذا يأتي الآب والأبن ويسكنان في قلبك، وأنت من قبل هيكل للروح القدس.

🕮 فيصير قلبك بهذا الوضع مسكناً للثالوث القدوس. هنا ويعقد

الصمت لساني، وهيبة، وإجلالاً، لهذا القلب المقدس "ما أرهب هذا المكان!!! ما هذا إلا بيت الله، وهذا باب السماء" {تك ٢٨: ١٧}.

📖 هذا هو المسكن الإلهي العجيب الذي يأتي إليه الله من بعيد "طافراً على الجبال، قافزاً على التلال" {نش ٢:٨}، ينادي نفسك العزيزة في حب "إفتحي يا أختي، يا حبيبتي، يا حمامتي، يا كاملتي، لأن رأسي قد أمتلأ من الطل، وقصصي من ندي الليل" {نش ٥: ٢}. فإلي متي تنتظر يا أخي ولا تفتح!!!

📖 تصور يا أخي أن الله الذي لا تسعه السماوات كلها، ولا الكون أجمعه، الله الذي قال عنه داود: "للرب الأرض وملؤها، المسكونة وكل الساكنين فيها" {مز٢٤: ١}، الله هذا يقرع على بابك، ويشتهيك مسكناً له. هو يريد أن يعيش أنت في قلبه، يثبت فيك وأنت فيه، وتصير كنيسة مقدسة له.

📖 أذكر أنني في يوم ما أرسلت خطاباً إلى أحد الأخوة المباركين، قلت له فيه "سلم على الكنيسة المقدسة التي في قلبك". لأني كنت أعرف أن في قلبه كنيسة تصعد منها رائحة بخور، وتخرج منها ألحان وتسابيح، وترتفع فيها ذبائح روحية. ألم يقل المرتل: "فلتستقم صلاتي كالبخور قدامك، وليكن رفع يدي ذبيحة مسائية" {مز١٤١: ٢}.

📖 إن عرفت يا أخي هذا، أنك هيكل للروح القدس، فلا تخطئ، لئلا تحزن روح الله فيك، وتطفئ حرارته. بل أن أتاك الشيطان يوماً بخطية، تقول له: "إذهب عني بعيداً، فلست أنا لك. أنا بيت الله، أنا مسكن لله، أنا موضع مقدس للرب. أنا الذي يقرع الله على بابي لكي أفتح له. أنا هيكل للروح القدس، أنا كنيسة مقدسه. أنا الذي يأتي إلى الآب والإبن وعنده يصنعان منزلاً. أنا مسكن للثالوث القدوس. هل أنا شيء هين يمكن أن ينجسه الشيطان؟! كلا، أنا سماء ثانية. عرش لله يجلس عليه". أنت يا اخي لست هذا كله فقط، بل أيضاً:



📖 {٣} أنت أخ للمسيح، شريك للمسيح، ووارث معه:

📖 تواضع عجيب من الرب أن يدعونا أخوة له، نحن لا نجرؤ أن نناديه بهذا اللقب، لأننا لم نصل إلى مستواي العبيد البطالين الذين فعلوا كل ما أمروا به {لو١٧: ١٠}. ولكننا أمام تشريفه لنا، يجب ان نسلك كما يليق بالدعوة التي دعينا إليها

📖 عجيب ان يقال عن الرب الإله إنه "بكر وسط أخوة كثيرين" {رو٨: ٢٩}. أخوة كثيرين؟! يا للعجب! والعجيب أيضاً أنه "لا يستحي ان يدعوهم اخوه" {عب ٢: ١١}. وأعجب من الكل أن يقال عنه أنه "يشبه أخوته في كل شيء" {عب ٢: ١٧}.

📖 وهكذا نري السيد المسيح يقول للمريمتين "اذهبا قولا لأخوتي أن يمضوا إلى الجليل، هناك يرونني" {متي ٣٨: ١٠}. ويكرر نفس العبارة للمجدليه "اذهبي وقولي لهم" {يو٢٠: ١}. ولم يقل هذا التعبير عن الرسل فقط، بل قاله عن الكل: "من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي، وأختي، وأمي" {مت ١٢: ٤٨}. وقال عن الخير الذي يعمل مع الفقراء والمساكين: "الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد أخوتي هؤلاء الأصاغر فبي قد فعلتم" {مت ٢٥: ٤}.

📖 إذن فأنت يا أخي أخ للمسيح، وأنت أيضاً وريث معه للمواعيد، وللمجد العتيد. عن كان قد قيل عنه في مثل الكرامين الأردياء إنه هو الوارث {مت ٢١: ٣٨}، فقد قيل كذلك "إننا ورثه أيضاً، ورثه الله، ووارثون مع المسيح" {رو٨: ١٧}. أعرف يا أخي إذن مقدارك من أنت، أنت: أخ للمسيح، وأنت وريث معه، وليس هذا فقط.

📖 بل أنت شريك له كذلك:

📖 "إن لنا شركة معه" {١يو١: ٦}. إنه اشترك معنا في اللحم والدم {عب

٢: ١٤}. ونحن إنما نؤدب "لكي نشترك في قداسته" {عب ١٢: ١٠}. نشترك معه في آلامه، لكي نشترك في الفرح باستعلان مجيئه {١ بط ٤: ١٣}. قد دفنا معه {في المعمودية} لكي نقوم معه {رو٦: ٤، ٥}.

📖 وسنعيش حياتنا عاملين معه {١ كو٣: ٩}. ونتألم معه لكي نتمجد معه {رو٨: ١٧}. وسنأتي معه على السحاب {يه ١٤} ونكون معه في كل حين {١ تس ٤: ١٧}، وحيثما يكون هو نكون نحن أيضاً {يو١٧: ٢٤}. إنها شركة لك مع المسيح تبدأها الآن أيها الأخ المبارك، وتستمر معك إلى الأبد. فاحرص على هذه الشركة المقدسة، لأنك بالخطية تفقدها.

📖 إنك لا تستطيع أن تستمر شريكاً للمسيح إن تسير في الخطية، لأن الكتاب حينئذٍ سيوبخك بقوله: "أية خلطة للبر، والإثم؟! وأية شركة للنور مع الظلمة؟! وأي اتفاق للمسيح مع بليعال!" {٢ كو٦: ١٤، ١٥}.

📖 إنك عندما تفعل الخطية تكون كمن يقول للرب: لقد فككت الشركة للشيطان، ولم أعد شريكاً لك بعد! أنظروا أي مجد يكون لنا عندما نسير في طريق الله، وأي نزول وانحدار وسقوط عندما نبعد عنه ... فكيف يمكن أن تفعل الخطية، أنت يا شريك المسيح، شريكه في العمل وفى الآلام وفى المجد؟! أنت تلبس المسيح في المعمودية {غل ٣: ٢٧}، وتحيا لا أنت، بل المسيح الذي يحيا فيك {غل ٢: ٢٠}.

📖 وأنت لست فقط شريكاً للمسيح إنما أيضاً:

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٤٠ ـ ٤٢

📖 {٤} أنت شريك للروح القدس، شريك للطبيعة الإلهية:

📖 وهكذا فإنه من البركة التي يعطينا إياها بولس الرسول أن تكون "شركة الروح القدس، مع جميعنا" {٢ كو١٣: ١٤}. هذه البركة التي نأخذها من الكنيسة في آخر كل اجتماع وفى بداية القداس أيضاً

📖 أنت شريك للروح القدس، ليس في الجوهر، وإنما في العمل. إنه

يعمل فيك، ويعمل معك، ويعمل بك، من أجل خلاص نفسك، ومن خلاص الناس، في نشر ملكوت الله، وفى بنيان جسد المسيح. أنت لا تعمل وحدك وإلا كنت معتمداً على ذراعك البشرى، "وإن لم يبن الرب البيت، فباطلاً تعب البناؤون" {مز ١٢٧: ١} الروح القدس هو يشترك معك في العمل. وهو لا يعمل وحده، وإنما يشركك معه، لتأخذ بركة. أنت شريك للروح القدس، شريك للطبيعة الإلهية، في العمل.

📖 والروح القدس يعمل معك دائماً للخير. وعندما تعمل الشر أو الخطية، إنما تعمل وحدك، وتكون قد رفضت شركة الروح القدس.

📖 لذلك يقول الكتاب عن حالة الخطية " لا تحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم" {أف ٤: ٣٠} ويقول أيضاً "لا تطفئوا الروح" {١ تش ٥: ١٩} وإذا استمر الإنسان في حالة الخطية، فربما يتعرض لما خاف منه داود النبي حينما قال " روحك القدوس لا تنزعه منى " {مز ٥٠: ١١}!!

📖 يا أخي ما أعجب أن يقال عنك إنك " شريك الطبيعة الإلهية" {٢بط ١: ٤}. بل ما أعجب أن يعاتبنا الرب بقوله إنكم آلهة، وبنمو العلي كلكم" {مز ٨٢: ٦}. يا لهذا المركز الكبير، ويا لهذه الشهادة العظيمة! أو بعد هذا كله نخطئ؟ أيصح إله؟! ويتمرغ في الدنس، وفى التراب، وفي النجاسة!

📖 هل عندما تخطئ تكون شريكاً للطبيعة الإلهية؟!، بل شريكاً للشيطان لأن الكتاب يقول " الذي يفعل الخطية هومن إبليس، لأن إبليس من البدء يخطئ. بهذا أولاد الله ظاهرون، وأولاد إبليس {ظاهرون}" {١يو٣: ١٠}.

📖 إننا عندما نخطئ ننسى مجدنا العظيم، ونفقد مراكزنا، ولذلك فإن الله بعد أن قال لنا: "أنا قلت إنكم ألهه" أكمل قائلاً: "ولكنكم مثل

البشر تموتون، وكأحد الرؤساء تسقطون" {مز ٨٢: ٧}، ومن هو هذا الرئيس الذي سقط؟ إنه الشيطان، الذي كان قبلاً رئيس ملائكة!

أن الإنسان الذي يخطئ؟، هو إنسان لا يعرف مقدار ذاته. لذلك قيل عن الخاطئ إنه جاهل. عجيب أنه بعدما أكل من شجرة المعرفة صار جاهلاً! لأنه التمس المعرفة بعيداً عن الله، أو ألتمس معرفه تفصله عن الله. فلا يعرف ما هي ذاته، ولا من هو الله، ولا ما هي العلاقة بينهما. يا أخي، اعرف ذاتك، من أنت حينئذ لا تخطئ.

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٤٢ ـ ٤٣

{٥} عضوفى جسد المسيح من لحمه وعظامه:

إن الكنيسة هي جسد المسيح، والمسيح رأسها. ونحن – جماعة المؤمنين – هم الكنيسة. إذن فنحن جسد المسيح {أف ٤: ١١}. بل إننا "أعضاء جسمه، من لحمه، ومن عظامه" كما يقول الرسول {أف ٥: ٣٠}. كل عضو فيك، هو عضو المسيح.

ولذلك ففي كلام الرسول عن خطية الزني قال: "ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح. أفاخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية؟! حاشا" {١ كو٦: ١٥}.



فكيف نخطئ ونحن جسد المسيح؟! كيف نخطئ إلى الرب الذي يعتبرنا كشخصه تماماً، كل ما يمسنا يمسه؟! أليس أنه عندما عاتب شاول الطرسوسي، لم يقل: "لماذا تضطهد المؤمنين". وإنما قال له: "لماذا تضطهدني" {أع ٩: ٤}، لأنه يعتبرنا كشخصه تماماً، وعندما يطوب الرحماء في اليوم الأخير، سوف لا يقول لهم: "أنتم أطعمتم الجياع، وسقيتم العطاش"، وإنما سيقول لهم: "كنت جوعاناً فأطعمتموني، وعطشاناً فسقيتموني" {مت ٢٥: ٣٥}.

إلهنا هذا المحب، الذي يعتبرنا كشخصه تماماً، كيف يمكن أن

نخطئ إليه، ونجرح قلبه الحساس الحنون؟! إن الشخص الخاطئ، إنما يقطع ذاته من المسيح، لأن جسد المسيح مقدس كله. وعضويتنا في جسد المسيح يوضحها قوله: "أنا هو الكرمة، وأنتم الأغصان" {يو١٥: ٥}، فعصارة الكرمة تصعد وتسري إلى الأغصان فتمنحها الحياة. وكل غصن في الكرمة تكون له صورة الكرمة، وله ثمر الكرمة، وله طبيعة الكرمة، فهم صورة مصغره من الكرمة نفسها، وهو والكرمة شيء واحد.

📖 فهل أنت غصن حقيقي في هذه الكرمة الإلهية؟ وهل أنت تصنع ثمراً يليق بغصن حي؟ إن المفروض في أغصان الكرمة أن تعطي ثماراً تماثلها، أن تثمر عنباً يفرح الرب به، ويشرب من نتاجه جديداً في ملكوته الآب {مت ٢٦: ٢٩}.

📖 ماذا تظنه كان يقصد عندما قال للمرأة السامرية "أعطيني لأشرب" {يو٤: ٧}. أتراه كان يريد منها ماءاً، أم كان يريد أن يشربها هي، كان عطشاناً إلى نفسها ليضمها إلى ملكوته. كان يريد أن يشرب من نتاج الكرمة، من عصيره الذي سكبه في قلب تلك المرأة. فهل تسري فيك عصارة الكرمة ايها الأخ المبارك؟ هل تتمشي عصارتها في كل عروقك، وتجعلك تورق وتثمر عنباً أم شوكاً؟

📖 فإن كنت تعطي شوكاً، فلست إذن عضواً في الكرمة. ويقيناً أن العصارة التي تسري فيك ليست هي من الكرمة. اعلم إذن أن الغصن الذي لا يصنع ثماراً، لا ينفع، ولا يصلح، بل يقطع ويلقي في النار {يو١٥: ٦}. وإذا قطع، لا يصبح بعد عضواً في الكرمة.

📖 لقد انتهي أمره!! إن الإنسان السائر في الخطية، هو غصن معاند، قد رفض عصارة الكرمة، رفض أن تسري في عروقه، فجف وسقط، أو قطع وألقي في النار. أما الصالح، فهو على العكس يفتح شرايينه جيداً لكي تدخل فيها عصارة الكرمة، وبهذا ينتج ثمراً فينقيه السيد الرب ليأتي بثمر أكثر.

📖 ما ه ونتائج الكرمة الذي تريد أن تشربه منا يارب؟ هو ثمركم، أريد أن تغذي بثماركم، بثمر الروح فيكم {غل٥: ٢٢}. هذا الثمر هو عمل الله فيكم هو نتجه تمشي عصارتي في عروقكم. من أجل هذا إن تذكرتم على الدوام أنكم أغصان في كرمتي، وأعضاء في جسدي، فليس فقط سوف لا تخطئون، وغنما بالأكثر سوف تثمرون، وأفرح بثمركم. هل عرفت يا أخي مقدارك العظيم، أنت لست فقط عضواً في جسد المسيح إنما أيضاً:

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٤٣ ـ ٤٥

📖 {٦} أنت الذي تتناول جسد الرب ودمه:

📖 أنت تأكل جسد المسيح، وتشرب دمه، فتثبت فيه، ويجري في عروقك دم المسيح الطاهر النقي القدوس. ما أسماك وما أطهرك! كتب أحد الأشخاص في مذكرته بعد تناوله: "هذا الفم المقدس الذي تناول جسد الرب ودمه: كلمه زائدة لا تخرج منه، ولقمة زائدة لا تدخل فيه".

📖 تذكر يا أخي باستمرار أن فمك يتناول جسد الرب ودمه، حينئذ لا يمكن أن تخرج منه شتيمة، أو أغنية عالمية، أو مزاح باطل، أو كذب، أو قسم، أو غضب، أو باقي خطايا اللسان. وتذكر أن جسدك هذا يحل فيه جسد المسيح، حينئذ تخاف أن تنجس هذا الجسد، أو تجعله أداه للخطية.

📖 إيها الأخ المبارك، لا تنس نفسك، أذكر من أنت، وماذا يليق بك فلا تخطئ. قال أحد القديسين: "يسبق كل خطية: أما الغفلة. وأما الشهوة. وإما النسيان" وفعلاً، يسبق الخطية النسيان.

📖 فنحن ننسي أنفسنا أننا صورة الله، وأننا شبهه ومثاله، وأننا أولاده، وأننا مسكن لله، وهياكل للروح القدس. وننسي أننا أخوة المسيح،

وشركاء الروح القدس، وشركاء الطبيعة الإلهية وننسي أننا أعضاء في جسد المسيح، وأننا نتناول جسده ودمه. لذلك نخطئ. وإن تذكرنا حقيقتنا، ما أخطأنا. إنك في حاله الخطية، تكون قد نسيت كل أمجادك هذه، أو تكون قد فقدن كل أمجادك وضعت.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٤٥ - ٤٦

الفصل الثاني

إن عرفت ما هي الخطية تهرب من الخطية

📖 لكي يتوب الإنسان، لا يكفي أن يعرف من هو. إنما يجب أن يعرف أيضاً ما هي الخطية، ما هي طبيعتها الخاطئة، وعقوبتها، ونتائجها، وأضرارها. لذلك نقول لك:

📖 {١} الخطية هي موت:

📖 حقيقي أن "أجرة الخطية هي موت" {رو٦: ٢٣} و"والخطية إذا كملت تنتج موتاً" {يع ١: ١٥}. ولكن بالإضافة إلى أن عقوبة الخطية هي الموت، نقول عن الخطية ذاتها هي حاله موت، موت أدبي، وروحي. والشواهد على ذلك كثيرة:

📖 ففي مثال الابن الضال، قال الآب "لأن إبني هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوجد" {لو١٥: ٢٤}. فوصفه بأنه في حالة الخطية "كان ميتاً". ولم يصح إلا بعد رجوعه.

📖 والقديس بولس الرسول يقول عن الأرملة المتنعمة إنها "ماتت وهي حية" {١ تي ٥: ٦}. كما يقول عنا جميعاً "كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا" {ف ٢: ٥}. وعندما أخطأ ملاك {راعي} كنيسة ساردس، أرسل إليه الرب رسالة على فم القديس يوحنا الرائي يقول له فيها:

"أنا عارف أعمالك، إن لك اسماً إنك حي وأنت ميت" {رؤ ٣: ١}. فالإنسان الخاطئ هو شخص ميت، لأنه انفصل عن الحياة الحقه بانفصاله عن الله، والله هو الحياة.

📖 إلم يقل السيد المسيح: "أنا هو القيامة والحياة" {يو١١: ٢٥}. "أنا هو الطريق، والحق، والحياة" {يو١٤: ٦}. حقاً "فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس" {يو١: ٤}.

📖 فالذي ينفصل عن المسيح بالخطية، إنما ينفصل عن الحياة فيعد ميتاً، مهما كانت فيه انقاس تتردد. لذلك صدق القديس أوغسطينوس عندما قال: موت الجسد هو انفصال الروح عن الجسد. وموت الروح هو انفصال الروح عن الله.

📖 فالخاطئ إذن هو إنسان ميت، مهما ظن أنه حي، وانه يتمتع بالحياة!! إن الخطاة لا يفهمون فهماً سليماً. يظنونها مجرد تمتع بالعالم ولذاته. وهكذا عندما تتحدث إلى أحد الخطاة عن التوبة، يجيبك قائلاً "أتركني أتمتع بالحياة"، يظن هذه المتعة الجسدية حياة، وهي موت! كما قيل عن الأرملة المتنعمة إنها ماتت وهي حية. فإن كانت الخطية موتاً، إلا يجدر بنا أن نسأل أنفسنا.

📖 أحقاً نحن أحياء؟! كم هي إذن سنو حياتنا على الأرض؟ غالب الظن أننا سنجيب على هذا السؤال بنفس إجابة أبينا يعقوب، عندما قال لفرعون: "أيام سني غربتي. قليله وردية. ولم تبلغ إلى أيام سني حياة آبائي" {تك ٤٧: ٩}.

📖 حياتنا تقاس فقط بالأيام التي قضيناها مع الرب ثابتين في محبته. أما فترات الخطية في حياتنا فهي فترات موت. لا تقل إذن "أنا في الأربعين من عمري"! فربما حياتك كلها لم تبلغ عشر سنوات مع الله.

📖 يا أخي اسأل نفسك: هل أنت حي أم ميت؟! أخشى ما أخشاه أن تنطبق على أحد فينا العبارة التي قالها الرب لملاك كنيسة ساردس:

"أن لك اسماً إنك حي وأنت ميت"! {رؤ ٣: ١}.
📖 تري إن نزل ملاك الآن ليعد الأحياء الموجدين في الكنيسة، من منا يجده حياً ومن منا يجده ميتاً؟! يا للخجل، عندما نعرف حقيقتنا، أحقاً نحن أحياء أم أموت بالخطية؟ بهذا يحكم كل منا على نفسه.

📖 كل يوم مثمر وثابت في الرب هو يوم حي، وكل يوم هو في الخطية هو يوم ميت. وبهذا يمكن أن تعرف عمرك، وكم سنة لك.
📖 فلا تسمح يا أخي أن يضيع يوم من أيام حياتك، ويموت ويدفن إلى الأبد لأن الأيام التي تذهب لا يمكن إن تعود. أما الأيام الحية فهي خالدة. هناك لحظات في حياة الإنسان تقتدر كثيراً في فعلها. الدقيقة تساوي سنوات، أوقد تساوي أجيالاً.
📖 لذلك عش حياتك كامله، دسمة، غنية، مثمرة. تصور ساعة في حياة بولس الرسول، لها ولا شك قيمتها وقوتها، وربما تكون هذه الساعة أطول من حياة إنسان آخر بأكمله.

📖 يا أخي، لا تفتخر باطلاً، ولا تقل بغير حق: أنا ابن الله، أنا صورته ومثاله، أنا هيكل للروح القدس، أنا شريك للطبيعة الإلهية، أنا عضو في جيد المسيح!! كلا، إن كنت خاطئاً فانت ميت، ولست شيئاً من هذا كله. تقول لله "أنا ابنك"، فيقول لك "اذهب عني. لا أعرفك".
📖 إن الخطية هي موت. وهي أيضاً ضلال، وضياع، وتوهان.
كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٤٧ ـ ٤٩

📖 {٢} الخطية ضلال وضياع:

📖 في الإصحاح الخامس عشر من الإنجيل لمعلمنا لوقا البشير، توجد ثلاثة أمثال تشرح لنا كيف أن الخطية هي ضلال، وضياع، وتوهان مثال الابن الضال، ومثال الخروف التائه، ومثال الدرهم المفقود.
📖 الابن الضال، ضل نتيجة لشهوات قلبه، بقصد ومعرفة وتدبير

📖 والخروف الضال، تاه عن غباء، وعدم معرفة، وقله خبرة.

📖 والدرهم المفقود، أضاعه غيره، أو وقع وظل واقعاً لا يتحرك.

📖 إنه أمر مؤسف حقاً، أن ينظر الله في كيسه، فلا يجدك. أمر مؤسف، أن يعد الله دراهمه، وفلا تكون في وسطها. ويظل الله يبحث عنك في كيسه، وفى كل موضع، أين تراك وقعت، فلا يعثر عليك. وأخيراً يعلنها حقيقة مؤلمه: لقد كان لي درهم، ولكنه ضاع. نعم، ضاع وفقد ولم يعد له وجود. أخشى عندما يحصي الله شعبه، إلا توجد أسماء مكتوبة في سفر الحياة، لأن الخطية قد أضاعتها.

📖 أتعرف هذا يا أخي أنك عندما تسير في طريق الخطية، تكون ضعت، ولم تعد في يد الله! نعم، أن الخطية هي ضياع، هي ضلال، هي توهان. والخاطئ هو إنسان تائه، سواء تاه بإرادته، أم بجهله، أم أتاهه غيره.

📖 إن الابن الضال عندما خرج من بيت أبيه، ظن انه قد وجد نفسه وقد وجد حريته، وقد وجد ثروته، ومتعته، وأصحابه. ولكنه في الواقع لم يكن قد وجد بل أضعها. والخروف الضال ربما شعر أنه قد ترك الحظيرة الضيقة المغلقة، إلى الفضاء الرحب الواسع المفتوح، وأخيراً وجد أنه تاه، وابتعد عن راعيه وعن أحبائه. إن الخاطئ يفهم الحرية والمتعة فهما خاطئاً. وبنفس الوضع فيما يظن الخطية نصرة تكون له هزيمة.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٤٩ - ٥٠

📖 {٣} الخطية هزيمة لا نصره:

📖 لنفرض أن إنساناً أهانك فأهنته، واشتددت عليه فغلبته، وأفحمته، وأسكته، واعتدي عليك فاعتديت عليه بالمثل، أو بأضعاف ذلك، أتراك إذن قد انتصرت؟! كلا، بل انهزمت، لأنك قد انغلبت من الأثارة، وانفعلت ولم تقو على الاحتمال، وغلبتك الخطية.

📖 ربما تقول: "أنا دافعت عن كرامتي. أنا لم اترك هذا الإنسان يطغئ على، بل أوقفته عند حده، وانتصرت عليه". قد تكون هكذا منتصراً في عيني نفسك، ولكنك في واقع الأمر مهزوم: قد هزمتك خطية الغضب، هزمتك خطية المجد الباطل، وهزمتك خطية الإدانة، وخطية الانتقام، وعدم المحبة، وعدم الاحتمال. لذلك يقول الكتاب في {رو١٢: ٢١} "لا يغلبنك الشر، بل اغلب الشر بالخير"

📖 إن الإنسان الخاطئ، هو إنسان مغلوب من الخطية، وما أكثر الأسباب: هناك إنسان ينهزم أمام الجسد، وآخر ينهزم أمام الكرامة، وثالث ينهزم من شهوة الطعام، ورابع ينهزم أمام المال، وآخر أمام الغضب، وآخر أمام الحقد ... ألخ.

📖 قد ينظر إنسان إلى امرأة ويشتهيها، فيزني بها في قلبه. وفى كل ذلك يظن أنه قد لذذ نفسه وتمتع بذلك المنظر. ولكنه في الحقيقة يكون قد انهزم أمام الخطية وسقط. منظر واحد قد غلبه وجعله يقع في الشهوة. وقد تنظر الملائكة إليه من السماء وتقول: "مسكين هذا الإنسان الضعيف، لم يستطيع أن يحتمل منظراً من المناظر فسقط. باع الملكوت وخسره من أجل منظر تافه".

📖 فالإنسان الخاطئ هو إنسان مهزوم ومغلوب، مهما أحاط نفسه بمظاهر القوة الزائفة، والأنسان البار قد يبدو– في نبله وسموه مهزوماً أمام الناس، ويكون في قمة انتصاره. والأمثلة على ذلك كثيرة: قايين مثلاً عندما قام على هابيل وقتله، هل كان في قتله لأخيه منتصراً ام منهزماً؟ ربما ظن في نفسه في بادئ الأمر انه قد انتصر على أخية، لأنه استطاع أن يضربه ويلقيه على الأرض ويقتله. ولكنه في حقيقة الأمر كان مهزوماً.

📖 لقد انهزم أمما الحسد والغيرة. وانهزم أمام الغضب، والحقد. وفقد محبته، وهزمه شيطان القسوة، وهزمته خطية القتل. وهذا الذي ظن

نفسه قوياً، عندما وقف أمام الله ارتجف وارتعب، فقال قايين للرب: "ذنبي أعظم من أن يحتمل. أنك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض، ومن وجهك اختفي، وأكون تائهاً وهارباً في الأرض، فيكون كل من وجدني يقتلني" {تك ٤: ١٣: ١٤}.

📖 مسكين قايين. إنسان ضعف غلبته الخطية. كذلك كان هيرودس الملك أيضاً عندما قبض على يوحنا المعمدان، وألقاه في السجن، وأراد ان يسكت هذا الصوت الصارخ في البرية فلم يفلح فقطع رأسه. فهل كان هيرودس قوياً عندما قتل يوحنا، أم بالحري كان ضعيفاً أمام شهوته، وعزته، وكبريائه، وانقياده للنساء؟! أكبر دليل على ضعفه، انه ظل يخاف من يوحنا حتى بعد موته. فلما ظهر المسيح ظن هيرودس أنه يوحنا قد قام من الأموات {مت ١٤: ٢}.

📖 وهكذا أنت أيضاً عندما تتسلط غلي غيرك، وتهينه، وتشتمه، وتحرجه، وتتهكم عليه، ويبدو هو ضعيفاً ذليلاً أمامك، لا يستطيع ان يقابلك بالمثل. أتراك تظن نفسك قد انتصرت؟! كلا، بل هزمتك كل هذه الخطايا، وغلبك الشر.

📖 إن الخاطئ يظن النصرة حيث توجد الهزيمة، ويظن اللذة حيث يوجد الضياع، ويظن القوة حيث يوجد الضعف. لذلك قال الكتاب: "لأنهم مبصرين لا يبصرون، وسامعين لا يسمعون، ولا يفهمون" {مت ١٣: ١٣}. وبنفس هذا المقياس الخاطئ نظر البعض إلى صليب المسيح له المجد.

📖 فظن غير الفاهمين أن صلبه كان دليلاً على الضعف، والهزيمة، أو دليلاً على انتصار أعدائه عليه، وكان الواقع عكس ذلك تماماً. لقد كان صالبوا المسيح في موقف الهزيمة، وليس في موقف النصرة. لقد انهزموا أمام حسدهم، وغيرتهم منه. وانهزموا أمام شياطين الكذب، والقسوة، والجبن، ونكران الجميل.

📖 أما السيد المسيح فاستطاع أن ينتصر في محبته وبذله، ويقدم لنا

الخلاص، ويحطم مملكة الشيطان، ويفتح الفردوس لمنتظريه، ويتمم عمل الفداء العظيم. كان منتصراً على طول الخط، بعكس صالبيه الذين رجع كثيرون منهم وندموا. كانت أحكام الناس مختله، فالخطية هي ضعف وهزيمة، وماذا عن الخطية أيضاً:

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٥٠ ـ ٥٢

📖 {٤} الخطية انفصال عن الله:

📖 الخطية انفصال عن الله، لأنه "أيه شركة للنور مع الظلمة، وأي اتفاق للمسيح مع بليعال" {٢ كو٦: ١٤و١٥}. وهكذا نري أن الابن الضال في خطيته قد خرج من بيت أبيه، وانفصل عنه. والخطية ليست مجرد انفصال عن الله، وإنما هي خصومة معه.

📖 إن العالم عندما أخطأ وقع في خصومة مع الله، عبر عنها طقسياً بالحجاب المتوسط الذي كان يفصل المؤمنين عن قدس الأقداس. لذلك عندما جاء السيد المسيح، أقام صلحاً بيننا وبين الله، ونقض الحاجز المتوسط، وقيل عنه في القداس "صالحت الأرضيين مع السمائيين". صالحهم لأن الخطية كانت قد سببت خصومه بينهم وبين الله. من أجل هذا نصلي صلاة الصلح قبل أن نبدأ القداس. قبل أن نتناول نصطلح أولاً مع الله.

📖 الإنسان الخاطئ بينه وبين الله خصومة. قد اغضب الله، وأحزنه، وانفصل عنه: ترك بيته وكهنته، وترك كتابه ووصاياه، وترك جسده ودمه، وترك الكلام معه أيضاً ـ هناك خصومة إذن.

📖 وكلما ازدادت الخطية، ازدادت الخصومة، وأزداد الانفصال عن الله. لقد وصلت هذه الخصومة بين الله والناس إلى حد مريع في أيام إرمياء النبي، لدرجة أن الله قال لنبيه: "لا تصل لأجل هذا الشعب. ولا ترفع لأجلهم دعاء، ولا صلاة، لأني لا أسمع لك" {أر ١٢: ١٤}. ووصلت الخصومة إلى درجة أن قال الله: "وإن وقف موسى

وصموئيل أمامي، لا تكون نفسي نحو هذا الشعب" {أر ١٥: ١}.

📖 ووصلت الخصومة إلى حد أن قال الله للعذارى الجاهلات: "الحق أقول لكن أني لا أعرفكن" {مت ٢٥: ١٢}. وقال لآخرين: "أني لم أعرفكم قط، اذهبوا عني يا فاعلي الإثم" {مت ٧: ٢٣}. "لا أعرفكم من أين أنتم. تباعدوا عني يا جميع فاعلي الظلم" {لو١٣: ٢٧}.

📖 "لا أعرفكم"!! يا للهو، ويا للخجل. الله ينكر معرفته بالإنسان، وينكر صلته به، ويتبرأ منه، ومن خلطته، ويبعده عنه. أي ألم هذا، وأية فضيحة. وفى الخصومة قد تصل الخطية في بشاعتها إلى درجة العداوة مع الله.

📖 وهكذا يقول القديس يعقوب الرسول: "أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله. فمن أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله" {يع ٤: ٤}. وهذا المعني يؤيده أيضاً القديس يوحنا الرسول بقوله "إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب" {١ يو٢: ١٥}. بعكس ذلك محبو الله، في صداقتهم له، ودالتهم عليه.

📖 شتات بين: دالة وخصومة:

📖 إن عرفنا مقدار الدالة التي بين الله ومحبيه. تملكتنا الغيرة، ويلتهب قلبنا فنود أن نكون مثلهم. وسنحاول هنا أن نستعرض بعض أمثلة:

📖 قيل عن أبينا إبراهيم إنه خليل الله: ونحن نستشفع به في الصلاة، فنقول لله في صلاة الساعة السادسة "من أجل إبراهيم حبيبك" إنه حبيب الله، صديقة، بينه وبين الله دالة.

📖 عندما أراد الله أن يحرق سدوم، قال الرب: "هل أخفى عن إبراهيم ما أن فاعله؟!" {تك ١٨ ١٧}. يا للعجب!! إن الله لم يرد ان يحرق سدوم قبل أن يخبر إبراهيم أولاً، ويتفاهم معه في الموضوع.

📖 ومن يكون إبراهيم هذا يارب؟ أليس حفنه من تراب ورماد {تك ١٨: ٢٧}. كلا يجيب الرب – إنه حبيبي وصديقي. لابد أن أخبره أولاً

وآخذ رأية. لا يصح أن يفاجأ بالموضوع كباقي الناس. ويخبر الله إبراهيم. ويتفاهم معه إبراهيم بدالة "أفتهلك البار مع الأثيم. حاشا لك أن تفعل مثل هذا المر. حاشا لك. أديان الرضى كلها لا يصنع عدلاً".

📖 إنه أسلوب قد لا نستطيع ان نكلم به بعض البشر خوفاً منهم، ولكن إبراهيم يكلم به الله بكل جرأة ودالة. ويظل يتفاوض معه: عسى أن يكون خمسون باراً في المدينة. ربما نقص الخمسون باراً خمسة. عسى أن يوجد هناك أربعون. ثلاثون. عشرة. ويستجيب الرب ويقول "لا أهلك من أجل عشرة" {تك ١٨: ٣٢}. إنها صداقة مع الله. عجب أن يوجد أناس لهم صداقه مثل هذه مع الله، يتفاهم معهم، ويتفاهمون معه.

📖 نفس الوضع الذي حدث لإبراهيم مع الله، حدث لموسي أيضاً: صنع اليهود عجلاً من ذهب وعبدوه، فغضب الرب جداً من هذه الخيانة التي خانوه بها، بعد سلسلة من المعجزات عملها معهم، وبعد سلسلة من الإحسانات قدمها إليهم. وفكر الله أن يهلك هذا الشعب. ولكنه رأي أن يخبر موسى أولاً، وبعد أن شرح الرب لموسى كيف أن هذا الشعب صلب الرقبة قال له "أتركني... لأفنيهم" {خر ٣٢: ١٠}. ونحن نقف في خشوع أمام كلمة "أتركني". ما معني هذا الكلام أيها الرب إلهنا القادر على كل شيء. هل أنت محتاج أن يتركك موسى لتفعل هل هو ممسك بك ليمنعك؟ وهل هو يستطيع؟

📖 على أن عجبنا يزداد ليس فقط من كلام الله، بل بالأكثر من رد موسى. فكما قال يعقوب للرب وهو يصارعه "لا أتركك" {تك ٣٢: ٢٦}، هكذا قال موسى للرب في جرأة، ودالة المحبة قال له "أرجع يارب عن حمو غضبك، وأندم على الشر" {خر ٣٢: ١٢}. كلام جريء عجيب. من يستطيع أن يقوله للرب، بل من يستطيع أن يقوله لأحد الرؤساء على الأرض؟! ويعلل موسى احتجاجه: لئلا يقولوا قد أخرجهم بخبث من أرض العبودية، لكي يهلكهم في القفر.

📖 والعجيب أن الله لم يغضب من موسى، بل وافقه. ونفذ له ما يريد. ويقول في ذلك الكتاب "فندم الرب على الشر الذي قال انه يفعله" {خر ٣٢: ١٤}. ما هذا يارب؟ يجيب إنهم أصدقائي، لهم دالة عندي.

📖 عجباً! أي رجل هو موسى هذا؟! بل أية دالة هي هذه بين الله وأحبائه. إن قرأ خاطئ عنها يشعر بحرارة الغيرة تلهب قلبه. ليترك ما هو فيه، ويصير هؤلاء. مثال آخر نقرأه عن موسى:

📖 يقول الكتاب أنه كان على الجبل مع الرب: "أربعين نهاراً وأربعين ليلة" {خر ٣٤: ٢٨}، هل تظنون أن كتابة الوصايا العشر على اللوحين كانت تستغرق كل هذه المدة من الله؟! هل تحتاج كتابتها إلى يوم من الله، إلى ساعة، أو دقائق، أو لحظة؟!

📖 إنما الله قد استبقي موسى أربعين يوماً على الجبل، لأنه صديقة وحبيبه وكليمه. الله يفرح بوجود موسى معه لأنه إبنه. وموسى يفرح بالوجود في حضرة الرب يتمتع به. وإلا قولوا لي أية مهمه كانت تقتضي الأربعين يوماً. كل الوصايا التي أخذها موسى من الله لا تستغرق أكثر من يوم واحد. أما الباقي، فهو فترة دالة وصداقة ومحبة. إن الله له أصدقاء وأحباء، قال لهم علانية "لا أعود أسميكم عبيداً بل أحباء" {يو١٥: ١٥}.

📖 قيل إنه: "كان يحب مرثا واختها ولعازر" {يو١١: ٥}. وعندما بكي على لعازر قال الناس "أنظروا كيف كان يحبه" {يو١١: ٣٦}. والقديس يوحنا الإنجيلي قيل عنه مراراً " التلميذ الذي كان يسوع يحبه". إن الله له أحباء، لهم دالة كبيرة عنده، وفى أيديهم يضع مفاتيح السماء. يستطيعون أن يفتحوا السماء ويغلقوها كما يشاءون.

📖 كلمة عجيبة نسمعها من إيليا النبي الذي قال "لا يكون طل ولا مطر في هذه السنين إلا عند قولي" {١ مل ١٧: ١}، عبارة "إلا عند قولي" عبارة عجيبة وقوية.

📖 فلم يقل إيليا "عندما يشاء الله" أو "عندما يأذن الله"، بل قال في ثقة

وحزم "إلا عند قولي". وفعلاً أغلقت السماء حسب قوله، وظلت مغلقة ثلاث سنين وسته أشهر. وكان جوع وتعب لكل الناس. ولكن ظلت السماء مغلقه تنتظر قول إيليا. وعندما تكلم مرة أخري، أمطرت السماء.

📖 مفاتيح السماء هذه التي في أيدي القديسين، تكلم عنها الشيخ الروحاني في حديث عن صلاتهم ومفعولها، فقال عنهم إنهم يكونون: "ليس كمن يصلي، وإنما كمن يتقبل الصلاة، كإبن اؤتمن على خزائن أبيه، يفتحها ويعطي منها للناس".

📖 نسمع مثل هذا عن القديس المتنيح الأنبا إبرام أسقف الفيوم، يأتيه إنسان في مشكله فيقول له "روح يأبني هاتلاقيها اتحلت". تأتيه امرأة تطلب نسلاً، فيقول لها "ماتزعليش السنة الجاية يكون عندك ابن"، يقول هذا حتى بدون صلاة، ويحدث ما يقول عنه.

📖 إنها بركات يوزعها على الناس، وهبات أخذها من الآب السماوي يعطيها بحنان لطالبيها. إلا تملكنا الغيرة عندما نسمع عن أمثال هؤلاء ومكانتهم عند الله. وأحباء الله هؤلاء، لا يكتفي بمنحهم هذه الهبات، إنما أيضاً يدافع عنهم، ولا يقبل فيهم كلمة سوء.

📖 مثال ذلك: موسى النبي. تزوج امرأة كوشيه، وكان يبدو أن هذا ضد الشريعة، لكن الرب قد منع الزواج بالنساء الغريبات. وفعلاً تضايق بسبب هذا الزواج هرون أخو موسى، ومريم أخته، وتكلما عليه. فصمت موسى، لأنه كان حليماً جداً.

📖 ولكن الرب لم يصمت. ولم يقبل أن يقول ان يقول أحد كلمه رديئة عن حبيبه موسى، حتى لوكان القائل هو هرون رئيس الكهنة، ومريم النبية أخت موسى وهرون. فاستحضر الله هؤلاء الثلاثة، ووبخ مريم وهرون توبيخاً شديداً وقال لهما: "إن كان منكم نبي للرب، فبالرؤيا استعلن له، وفى الحلم أكلمه. وأما عبدي موسى فليس هكذا، بل هو

آمين. في كل بيتي. فماً إلى فم، وعياناً أتكلم معه. فلماذا لا تخشيان أن تتكلما على عبدي موسى؟" {عد ١٢: ١-٨}.

📖 وضرب الله مريم بالبرص، فإذا هي برصاء كالثلج. فأخرجوها خارج المحلة سبعة أيام. ما هذا يارب الذي تفعله؟! يقول: إنه موسى عبدي حبيبي الذي ائتمنه على كل بيتي، وأكلمه فماً فلم. كيف أسمح لهؤلاء أن يهينوه وأنا صامت؟! لابد أن ينالوا عقوبة لكي يوقروه، وكل من يسمع يوقره أيضاً. لعل مثل هذا يفهم من قول الله لأبينا إبراهيم "وأبارك مباركيك، ولا عنك العنه" {تك ١٢: ٣}.

📖 إنها كرامة عجيبة يعطيها الله لأحبائه. ليس فقط أن يكونوا مباركين، بل أكثر من هذا أن يكونوا هم أنفسهم بركة {تك ١٢: ٢}. كما كان إيليا بركه في بيت الأرملة، وكما كان يوسف بركة في بيت فوطيفار وفى أرض مصر، وكما كان إليشع بركة في بيت الشونمية.

📖 ومن الكرامة العجيبة التي يعطيها الله لأولاده، والمعجزات التي يجربها على أيديهم. معجزات كان يمكن ان يعملها الله بنفسه، ولكنه يعهد بها إلى أحبائه، ليكرمهم في أعين الناس.

📖 إنسان مريض مثلاً يصلي إلى الله أن يشفيه. فبدلاً من ان يشفيه الله بنفسه، يرسل إليه الله أحد القديسين فيشفيه. يرسل سيدتنا العذراء، أو مارجرجس، أو القديسة دميانة. ويمجد الناس العذراء، ومارجرجس، والقديسة دميانة، ويفرح الرب، وينشد في آذان هؤلاء القديسين: من يكرمكم يكرمني. أنا أكرم الذين يكرمونني.

📖 ونسأل الرب: إلى أي حد تكرمهم؟

📖 فيقول: يجلسون على اثني عشر كرسياً حولي، ويدينون أسباط إسرائيل الإثني عشر {مت ١٩: ٢٨}. نقول له يارب كيف يجلسون معك في مجدك، أنت الذي تقف أمامك الملائكة، ورؤساء الملائكة؟ يقول: "أنا أكرم الذين يكرمونني". ونسأله: كيف يجلس هؤلاء يارب على كراسي القضاء في يوم الدينونة، بينما أنت الديان وحدك، ديان

الأرض كلها، الذي تدين الأحياء الأموات، وقد دفعت إليك كل الدينونة من الآب {يو٥: ٢٢}؟ يجيب أن لذتي في بني البشر. إنني أحبهم، وسأكرمهم أكثر.

📖 إن كنت أنا ديان الأرض كلها، فسيدينون الأرض. وإن كنت أنا ملك الملوك، فهم سيملكون معي. وان كنت سأجئ في مجدي على السحاب، فسيأتون على السحاب معي سيكونون في كل حين معي، حيث أكون أنا يكونون هو أيضاً.

📖 الله يكرم كل هؤلاء، بمحبته لهم، وبسكناه معهم، وبدفاعه عنهم، وبإعطائهم مفاتيح السماء والأرض، وبإعلان كرامتهم للناس حتى يكرموهم أيضاً، وبالدالة التي يعطيهم إياها حتى يكلموه من جهة أحكامة. هذه فكرة موجزة عن الدالة التي يجدها الأبرار عند الله، ولإكرامه التي يمنحها لهم. وعلي الجانب الآخر نجد الخطية عكس هذا: الخطية هي: حرمان من الله. وحرمان من الملائكة. وحرمان من مجمع القديسين.

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٥٤ ـ ٥٩

📖 {٥} الخطية حرمان من الله:

📖 الإنسان إنما يحرم نفسه من الله، يفصله ذاته وقلبه عن الله:

📖 فالخطية قبل كل شيء هي عدم محبة لله. لأنه واضح قول الرب: "من يحبني، يحفظ وصايا" {يو١٤: ٢٣، ٢٤}. وواضح أيضاً قول الرسول: "إن أحب أحد العالم، فليست فيه محبة الآب" {١يو٢: ١}. الذي يحب الله يلتصق به، وبكل ما يقربه إليه. أما الذي يميل بقلبه إلى الخطية، فإنه يبعد عن محبة الله لأنه لا يستطيع ان يحب الله والخطية في وقت واحد.

📖 والخطية هي أيضاً عصيان الله. وثورة على الله. وتمرد عليه:

📖 هي عدم مخافة الله، تطورت إلى استهانة بوصاياه، وإلى كسر لها،

أمام الله الذي يري الإنسان أثناء ارتكابه للخطية، في سهولة. فهي إذن عدم حياء من الله.

📖 أما الأبرار فليسوا كذلك. هوذا الصديق عندما عرضت له الخطية يقول في إباء وخشية "كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله" {تك ٣٩: ٩}. لقد كان الله أمامه حينما عرضت الخطية عليه. وهكذا اعتبر أن الخطية هي ضد الله ذاته، وانه بها "يخطئ إلى الله". وليس فقط إلى المرأة وإلى زوجها.

📖 وبهذا المعني نفسه قال داود النبي لله: "إليك أخطأت، والشر قدامك صنعت" {مز ٥٠: ٤}. مادامت الخطية إذن موجهة إلى الله، وقدام الله، فهي إذن تمرد عليه. إنها ثورة على ملكوته، ثورة على قداسته وصلاحه، ومحاولة لطرده من القلب، وتمليك غيره مكانه.

📖 ولما كان الله غير محدودة. وأن قدمت عنها كفارة لابد أن تكون كفارة غير محدودة. وبهذا أصبح غفرانها لا يتم إلا بذبيحة المسيح، ويوضع هذه الخطية على كتفيه ليحملها عنا، بكل ما فيها من نجاسة وعار الخطية تمرد على الله، وهي أيضاً معانده لروحة القدوس.

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٥٩ ـ ٦٠

📖 {٦} الخطية معانده للروح القدس:

📖 روح الله الذي فيك يريدك أن تحيا في القداسة التي تليق بأولاد الله، وهو يعمل فيك للخير والبر. فإن سرت في طريق الخطية، تكون معانداً للروح. لذلك يقول الكتاب "ولا تحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم" {أف ٤: ٣٠}. إذن فكل من يرتكب إحدى الخطايا، إنما يحزن روح الله.

📖 ويقول الكتاب أيضاً " لا تطفئوا الروح" {١تس ٥: ١٩}. أن روح الله عندما يعمل في قلب إنسان. يلهبه بالحب، ويلهبه بالحماس نحو الخير، ويلهبه بالغيرة المقدسة على نشر ملكوت الله. لأن إلهنا نار آكله {عب ١٢: ٢٩}. وكل من يحوي الله في داخله إنما يحوي ناراً

ملتهبة. لذلك قيل عن الله: "الذي خلق ملائكته أرواحاً، وخدامه ناراً تلتهب" {مز ١٠٤: ٤}.

📖 ولهذا أمرنا الرسول أن نكون "حارين في الروح "{رو١٢: ١١}. لأن كل من يعمل فيه روح الله، لابد أن يلتهب بالحرارة الروحية. أليس ان روح الله عندما حل على التلاميذ الأطهار، إنما حل عليهم بألسنة "كأنها من نار" {أع ٢: ٣}؟!

📖 لذلك كله، نقول إن من يفعل خطية، إنما يطفئ الروح كقول الكتاب. وإطفاء هذه الحرارة، يفوده إلى الفتور. وإذا استمر في الفتور يصل إلى برودة روحية بحيث لا يؤثر فيه شيء من الوسائط الروحية التي تلهب غيره من الناس. ومع كل هذا يظل روح الله فيه، ولكن حزيناً وحرارته منطفئه.

📖 ولكن أخوَف ما نخافه على الخاطئ أن يفارقه روح الله. كما فارق شاول الملك فبغته روح رديء من قبل الرب {١صل ١٦: ١٤}. وهذه الحالة المحزنة هي التي صرخ بسببها داود في صلاته قائلاً: "لا تطرحني من قدام وجهك، وروحك القدوس لا تنزعه مني" {مز٥١: ١١}. هذه الحالة الخطيرة هي التي يسمونها "التجديف على الروح القدس".

📖 التجديف على الروح القدس، هو الرفض الكامل الدائم لعمل الروح القدس في القلب، من كثرة الشر يصل الإنسان إلى حالة من قساوة القلب، ترفض كل عمل للروح حتى الموت. وحينئذ لا يمكن ان يتوب، لأن التوبة تأتيه نتيجة لعمل الروح القدس فيه، لأن الروح يبكت الإنسان على الخطية {يو١٦: ٨}.

📖 وإذ لا يتوب لا يمكن أن ينال مغفرة. لان القديسين قد قالوا "ليست خطية بلا مغفرة، إلا التي بلا توبة". وهكذا قيل إن خطية التجديف على الر وح القدس لا مغفرة لها. لكننا لم نصل بعد إلى هذا الوضع المملوء يأساً. ما يزال روح الله يعمل فينا للتوبة.

📖 فعلينا أن نستسلم لعمل الروح، ولا نرفضه، بعناد. أن كنا قد أحزنا

روح الله من قبل، فلا نستمر في إحزانه. وإن كنا قد أطفأنا حرارته فينا، فلا نستمر في لإطفائها. لا يصح أن نستمر في عناد، لئلا يفارقنا الروح، فنشبه الهابطين في الجب.

📖 ليتنا نكره الخطية، التي تعاند عمل روح الله فينا. فإن الخطية خاطئة جداً إنها فساد للطبيعة البشرية.

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٦٠ ـ ٦١

📖 {٧} الخطية فساد للطبيعة البشرية:

📖 من أجل هذا قيل عن الخطاة انهم "زاغوا وفسدوا" {مز ١٤: ٣}.

📖 إن الإنسان هو صورة الله ومثال. ولكنه في حالة الخطية لا يكون كذلك، يكون قد فسد وفقد صورة الله. لذلك أنا لا أوافق ذلك الذي يسقط، فيدافع عن سقوطه قائلاً: "هكذا شأن الطبيعة البشرية". " أنا معذور، طبعي كده"!

📖 كلا، ليست هذه هي الطبيعة البشرية كما خلقها الله الصالح، الذي بعد ان خلق كل شيء، نظر إليه فغذا هو حسن جداً {تك ١: ٣١}. طبيعتك البشرية يا أخي هي في أصلها صالحة جداً. إنما أنت تشكو في سقوطك من طبيعتك بعدما فسدت بالخطية. هذا الفساد هو الذي شكا منه الرسول قائلاً: "أما أنا فجسدي مبيع الخطية. ويحي أن الإنسان الشقي، من ينقذني من جسد هذا الموت" {رو٧: ١٤، ٢٤}. إن الخطية تتلف طبيعتنا، وتجعل مستواها السامي ينحط.

📖 لذلك فالخطية انحطاط. تصوروا إنساناً في مركزه العالي كابن لله يحط نفسه إلى المستوي الذي يصير فيه ابناً لإبليس. ويبلغ من الحطة الذي يصير فيه إلى ظلام. وينسي مركزه العالي، ويعمل كأحد أولاد الناس. الخاطئ إنسان ينحط في نظر نفسه، وتقل قيمته أو تنعدم في نظر نفسه. وسأضرب لكم مثالا: هل يستطيع ابن ملك أن يجلس على كوم من الزبالة؟ قطعاً لا يستطيع. كم بالأولي إذن ابن الله؟!

📖 والخاطئ أيضاً لا ينحط فقط في نظر نفسه، وإنما أيضاً في نظرته

إلى الناس. مثال ذلك، شاب ينظر إلى أحد الفتيات نظرة شهوانية.

🕮 لا شك انه لوكان سامياً في تفكيره لقال في نفسه: هذه الفتاه هي هيكل للروح القدس كيف ألمسه أو أنجسه؟! لا يمكنني مطلقاً أن أفسد هيكل الله. لأن "إن كان أحد يفسد هيكل الله، فسيفسده الله لأن هيكل الله مقدس هو" {١ كو٣: ١٧}. إنما ينظر الفتي إلى الفتاة بشهوة لأن مستواها قد انحط في نظره.

🕮 هذه هي الخطية التي تفسد الطبيعة البشرية، وتحولها من هيكل لله إلى أداة للفساد. وهي لا تفسد الطبيعة البشرية فحسب. بل تفسد الأرض كلها. ولذلك قيل في سفر الرؤيا عن الزانية العظيمة إنها "أفسدت الأرض بزناها" {رؤ ١٩: ٢}. وماذا عن الخطية أيضاً؟

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٦١ ـ ٦٢

🕮 {٨} الخطية نجاسة وزني وعار:

🕮 **الخطية نجاسة:** لذلك فالملائكة الذين سقطوا تلقبوا بالأرواح النجسة {مر ٦: ٧} والأمراض التي كانت ترمز للخطية – كالبرص – كانت تعتبر نجاسة وكذلك الحيوانات النجسة.

🕮 ونري امثله في الكتاب المقدس عن نجاسة الخطية، حيث يقول الوحي الإلهي على فم حزقيال النبي " إن بيت إسرائيل لما سكنوا أرضهم، نجسوها بطريقهم وبأفعالهم. كانت طريقهم أمامي كنجاسة الطامث {حز ٣٦: ١٧}، وعن كسر السبت يقول: "نجسوا سبوتي" {حز ٢٠: ١٣}. وعن أخطاء الكهنة يقول في سفر نحميا " لأنهم نجسوا الكهنوت" {نح ١٣: ٢٩}. ومن جهة القتل يقول الكتاب "لأن أيديكم قد تنجست بالدم. وأصبعكم بالآثم" {أش ٥٩: ٣}. وعن الزنا يقول" ونجست الأرض بزناك. فأمتنع الغيث" {أر ٣: ٢}.

🕮 ووصف الخطية بالنجاسة لا ينطبق فقط على خطايا الزنا والقتل، بل حتى على خطايا الفم واللسان أيضاً. فعن خطايا اللسان يقول السيد المسيح نفسه " ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان، بل ما يخرج

من الفم هذا ينجس الإنسان" {مت ١٥: ١١}. وقد أطلق الرب كلمة النجاسة على الخطية عموماً. فقال عن الأبرار "عندك أسماء قليلة. لم ينجسوا ثيابهم فسيمشون معي في ثياب بيض لأنهم مستحقون" {رؤ ٣: ٤}. أما عن الخطاة فقال: "أتيتم، ونجستم أرضي. وجعلتم ميراثي رجساً" {أر ٢: ٧}.

📖 إن عرفت كل هذا يا أخي، أن الخطية نجاسة، لابد أنك ستنفر منها ستشعر أنك في حالة الخطية "إنسان نجس"!! ستشعر أن كل كلمة خاطئة تخرج من فمك، إنما هي تنجسك. لأن الذي يخرج من الفم هو الذي ينجس الإنسان.

📖 ولما كان الزني هو أبرز ما في النجاسة، لذلك اعتبرت الخطية زني وهكذا يقول الكتاب عن خطايا بني إسرائيل "زنت يهوذا"، " زنت إسرائيل {حز ١٦} أي أخطأت كل من هاتين المملكتين.

📖 وماذا قيل عن الخطية أيضاً.

📖 قيل إنها عار: "عار الشعوب الخطية" {أم ١٤: ٣٤}.

📖 وهي أيضاً مرض: وهكذا قيل عن فم إشعياء النبي "تركوا الرب، استهانوا بقدوس إسرائيل. كل الرأس مريض، وكل القلب سقيم، من أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحة، بل جرح وإحباط وضربة طرية لم تعصب ولم تلين بالزيت" {أش ١: ٥، ٦}.

📖 والخطية أيضاً جهل: جهل بالله، وبالإيمان، وبالخير، وربما ينبغي أن يكون. وهكذا قال الرب: "الثور يعرف قانيه، والحمل معلف صاحبه، أما إسرائيل فلا يعرف، شعبي لا يفهم" {أش ١: ٣}. وماذا تكون الخطية أيضاً؟ الخطية أيضاً نقص، وعيب وضلال، وعمي وظلمة، ونسيان لله. وهي أيضاً ظلمة لأنها بعد عن النور الذي هو الله. ولذلك حسناً قيل عن الخطاة أنهم "أحبوا الظلمة أكثر من النور" {يو٣: ١٩}، وقيل أيضاً "أما الجاهل فيسلك في الظلام" {جا ٢: ١٤}.

أمران يجعلاننا ننفر من الخطية

طبيعة الخطية البشعة، ونتائج الخطية المريعة

فما هي أذن: نتائج الخطية؟

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٦٢ ـ ٦٤



الفصل الثالث

إن عرفت نتائج الخطية تنفر من الخطية

{١} من نتائج الخطية الخوف والقلق:

إنها تفقد السلام الداخلي، وتملأ القلب بالخوف والاضطراب.

إن القديس لا يخاف. ولذلك قال داود النبي: "إن يحاربني جيش، فلن يجاف قلبي. وإن قام على قتال، ففي هذا أنا مطمئن" {مز ٢٦}. أما الخاطئ، فهو على الدوام خائف، فاقد لسلامه: "لا سلام قال الرب للأشرار" {أش ٤٨: ٢٢}.

وقال أيضاً: "الأشرار كالبحر المضطرب" {أش ٥٧: ٢٠}.

لقد بدأ الخوف مع الخطية الأولي، خطية آدم وحواء:

لم نسمع عن آدم أنه كان يخاف الله قبل الخطية، بل على العكس عندما كان الله ينزل إلى الجنة كان آدم وحواء يقابلانه بفرح، ويلتذان بالحديث معه. أما بعد الخطية، فنقرأ أن آدم قد أختبأ خوفاً من وجه الله في وسط أشجار الجنة.

ولما ناداه الرب، صرح آدم بخوفه قائلاً: "سمعت صوتك في الجنة فخشيت، لأني عريان، فاختبأت" {تك ٣: ١٧}. تصوروا إن الله المحبوب الذي يشتهي كل أحد أن يراه، يصبح مخيفاً للخاطئ فيهرب من رؤيته!! الله الذي هو: "أبرع جمالاً من بني البشر"، "الذي حلقه حلاوة، وكله مشتهيات"، يصبح مخيفاً للخاطئ! عندما يراه الخاطئ يخاف، أو يهرب منه، ويختبئ منه لكيلا يراه!!

📖 النفس المحبة لله تقول مع عروس النشيد: "إني أقوم في المدينة في الأسواق، وفى الشوارع، اطلب من تحبه نفسي". وإن وجدته تقول: "أمسكته ولم أرخه" {نش ٣: ٢، ٤}.

📖 أما النفس الخاطئة فلا تضع أمامها سوي الآية التي تقول: "مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي" {عب ١٠: ٣١}. فالله مخيف بالنسبة إلى الأشرار. وأما الأبرار فهم أصدقاء الله يفرحون به.

📖 قال القديس الأنبا أنطونيوس الكبير لتلاميذه "يا أولادي، أنا لا أخاف الله، فتعجبوا من عبارته وأجابوه: "هذا الكلام صعب يا أبانا"، فقال لهم: "ذلك لأني أحبه، ولا خوف في المحبة، بل المحبة تطرح الخوف إلى الخارج" {١يو٤: ١٨}.

📖 تخيلوا معي يا أخوتي، أن الله قد حضر الآن في وسطنا. تري كم واحد منا يفرح لمجيئه، ويدخل تحت أحضانه؟ وكم واحد يهرب ويخاف؟! الخطاة يخافون لقاء الله، لذلك يخافون الموت ويرتعبون منه. يخافون ساعة الدينونة الرهيبة التي سينكشفون فيها أمام الكل. أمام الأعداء الذين يشمتون بهم، وأمام الأصدقاء الذين كانوا يظنونهم غير ذلك، أنقياء وأبرار.

📖 لذلك عندما تأتي تلك الساعة "يقولون للجبال غطينا، وللتلال أسقطي علينا" {لو٢٣: ٣٠، هو١٠: ٨}. هؤلاء سيطلبون الموت ولا يجدونه، ويرغبون أن يموتوا فيهرب الموت منهم" {رؤ ٩: ٦}.

📖 حقاً إن آدم عندما أخطأ بدا يخاف. زحف شيء جديد رهيب إلى داخل نفسه، لم يكن موجوداً فيها من قبل. هو الخوف، والرعب، وفقدان السلام. إن هذا الخوف الذي خاف به آدم من الله هو مبدأ الأمراض النفسية التي أصابت البشرية نتيجة للخطية، لأن النفس بهذا الخوف بدأت تمرض.

📖 إن الشخص البار محتفظ بسلامه، هادئ ومسرور. أما الخاطئ

فيفقد سلامه من الداخل ومن الخارج: من الداخل ضميره يثور عليه. والروح القدس يبكته، ومن الخارج يخاف أن تنكشف الخطية، كما يخاف من نتائجها وعواقبها. لم نر أبداً إنساناً خاطئاً يعيش على الدوام مستريح البال مهما نام ضميره. لابد أن يستيقظ هذا الضمير بعد حين ويثور عليه ويتعبه.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٦٥ - ٦٦



{٢} عذاب الضمير:

من أمثلة عذاب الضمير قصة تقال عن بيلاطس:

كان بيلاطس يعرف أن المسيح برئ، ولذلك قال "ها أنا قد فحصت قدامكم، ولم أجد في هذا الإنسان علة مما تشتكون به عليه " {لو٢٣: ١}. وإذ كان جالساً على كرسي الولاية أرسلت إليه امرأته قائلة "أياك وذلك البار. لأني تألمت اليوم كثيراً في حلم من أجله".

ولكنه أمر بحكم الموت ضد ضميره. ولأجل ان يريح ضميره راحة زائفه، اخذ ماءاً وغسل يديه قدام الجميع قائلاً: "إني برئ من دم هذا البار" {مت ٢٤:٢٧}.

وتقول القصة إن بيلاطس عندما خلا إلى نفسه في منزله، وجد يديه ملطختين بالدماء فغسلهما مرة ثانية. ولكن الدم لم يفارقهما. فغسلهما للمرة الثالثة وهو يقول: "أنا برئ من دم هذا البار". ولكنه عاد الدم ما يزال يلطخهما. فاستمر يغسلهما مرات عديدة وهو يصرخ في رعب قائلاً "أنا من دم هذا البار". أنها قصة تصور لنا مقدار الرعب، وفقدان السلام الذي يصيب الخاطئ نتيجة لخطيئته.

إن الخطية متعبة. وقد لا يحس الإنسان بمقدار خطورتها إلا بعد وقوعها، وربما بعد وقوعها بمدة، حين يستيقظ الضمير، من تلقاء نفسه، أو بمؤثر خارجي. ومن أمثلة عذاب هذه اليقظة المتأخرة للضمير. قصة يهوذا الإسخريوطي.

📖 إن يهوذا لم يشعر ببشاعة خيانته في بادئ الأمر. كان مشغولاً بالتآمر، والمقابلات، وكان مشغولاً بالمال وتسلمه. وبميعاد ومكان تسليم سيده، حتى إنذارات الرب له لم يحس بها. وأخيراً عندما حوكم السيد المسيح، وحكم عليه بالصلب. استيقظ ضمير يهوذا، وظل ضميه يعذبه، فوجد نفسه أمام خطيئة بشعة ومرعبة، وبدأ يتذكر كلام الرب للتلاميذ "أنتم طاهرون، ولكن ليس كلكم" - "أحد منكم سيسلمني"- "ابن الإنسان ماض كما هو محتوم. ولكن ويل لذلك الإنسان الذي يسلمه" {لو٢٢: ٢٢}.

📖 وتذكر يهوذا أيضاً قول الرب له: "ما تريد أن تعمله فاعمله بأقصى سرعة". ثم كلمة المسيح الأخيرة له "يا صاحب لماذا جئت" {مت ٢٦: ٥٠}، "أبقبلة تسلم ابن الإنسان" {لو٢٢: ٤٨}. ولم يستطيع يهوذا ان يحتمل كل هذا، وأتعبه ضميره جداً، فقام وذهب لرؤساء الكهنة، ورد الثلاثين من الفضة قائلاً: "قد أخطأت إذ أسلمت دماً بريئاً. فقالا له ماذا علينا أنت أبصر. فطرح الفضة في الهيكل وانصرف" {مت ٢٧: ٣}. ومع كل هذا استمر ضمير يهوذا يعذبه، وظل يعذبه بلا هوادة. وتسمرت صورة خطيئته في عمق بشاعتها أمام عينيه. وأخيراً "مضي وخنق نفسه" {مت ٢٧: ٥}.

📖 يا أخوتي ما أبشع الخطية، وما أكثر رعبها، عندما يستيقظ الضمير إن الإنسان قد لا يحس بمرارتها طالما هو في دوامه من الخطايا، أو من المشغوليات، ولكن بمجرد أن ينتبه لنفسه، أو يرجع لذاته، يتعب ويتألم من منظر خطيئته.

📖 لذلك فإن بعض المجرمين يذهبون ويسلمون أنفسهم للعدالة معترفين بجرائمهم. لأنهم لم يستطيعوا أن يحتملوا تأنيب الضمير، ولا القلق الداخلي الذي يتعبهم، وفقدان السلام الناتج عن إحساسهم بالإثم. لذلك صدق قول الكتاب "لا سلام قال الرب للأشرار" {أش ٤٨: ٢٢}. وهناك قاعدة هامه عند علماء النفس تقول إن المجرم يظل

يحوم حول مكان الجريمة في الإيام الأولي لحدوثها. لأنـه يكـون قلقاً وخائفا من اكتشاف أمره. ويقول في نفسه "يا تري هل تركت أثـراً أم لم اترك. وهل عرف رجال البوليس أم لم يعرفوا؟!".

📖 من أجل هذا فإن رجـال النيابـة والشـرطة عنـدما يكتشـفون جريمـة يترصدون مكانها متخفين، لكي يكتشفوا كل الأشخاص المشـتبه فـيهم الذين يحومون حول المكان.

📖 ومـن أمثلـة الخـوف والقلـق وفقـدان السـلام، مـا حـدث لقـايين بعـد خطيته: عاش تائهاً وهارباً في الأرض، خائفاً أن يقتله أحد كمـا قتـل أخـاه، شـاعراً أن الله قـد طـرده عـن وجـه الأرض، وطـرده من أمـا وجهه {تك ٤: ١٣، ١٤}.

📖 وبهذا القلق قضي قـايين حياتـه فـي خـوف. ولـم يسـتفد مـن خطيتـه شيئاً. تطارده خطيته، ويطـارده صـوت أخيـه الصـارخ مـن الأرض. هكذا الأمراض النفسية التي تصيب الخطـاة نتيجـة للقلـق، والخـوف، والانزعاج، والاضطراب، وتوقع الشر باستمرار.

📖 **أما الأبرار فعلي العكس من ذلك يعيشون في فرح وسلام:**

📖 هم في فرح مستمر، لا يضطربون، ولا يقلقون، ولا ينزعجون من الداخل، فالكتاب المقدس يقول: "من ثمار الروح القدس محبة، فـرح، سلام" {غلا ٥: ٢٢}. إذن فالشخص الذي لا يعيش في سـلام، لا توجـد فيه ثمار الروح القدس.

📖 قيل عن القديس الأنبا أنطونيوس، في القصة التي كتبها عنه القديس أثناسيوس الرسولي "من من الناس كان مضـطراً الـنفس، أو منـزعج القلب، ويـري وجـه الأنبـا أنطونيـوس، إلا ويمتلـئ بالسـلام". مجـرد رؤية وجه الأنبا أنطونيوس – في هدوئه وفرحه – كانت تملأ القلـب بالسـلام. لـيس كـذلك الخطـاة، ليسـوا كـذلك، بـل هـم حـزن وعـذاب، وبخاصة عندما يستيقظ ضميرهم ويلبهم بسياطه. وقد أخذنا فكرة عن

عذاب الأشرار كيهوذا وقايين.

📖 ونريد أن نأخذ مثالاً عن عذاب الضمير للقديسين ممثلاً أفضل تمثيل في قصة داود النبي: في أثناء الخطية، كان داود النبي في نشوة اللذة الجسدية، فلم يشعر بخطورة ما كان يفعل! حتى أنه اتبع خطية الزني بخطية القتل، دون أن يتحرك ضميره، أو يتحرج. ولكن بعد أن واجهه ناثان بخطيته، وبدأ يحس خطورة ما فعل، حينئذ استيقظ ضميره، وبدأ يتعبه، على الرغم من قول النبي له "الرب قد نقل عنك خطيئتك، لا تموت" {٢ صم ١٢: ١٣}.

📖 عندما استيقظ ضميره، بلل داود فراشه بدموعه. وصارت دموعه له طعاماً نهاراً وليلاً، ولصقت بالتراب نفسه، وعاش في مذله من نفسه، وصرخ إلى الرب قائلاً: "إن عظامي قد اضطربت، ونفسي قد انزعجت جداً" {مز ٦}. ورضي بالمذلة من اجل خلاص نفسه، وقال في ذلك "خير لي يارب أنك أذللتني لكي أتعلم ناموسك" {مز ١١٨}. حقاً إن الإنسان عندما تتكشف له خطاياه، يصير من عذاب ضميره وكأنه في جحيم.

📖 هل تظنون أن "البكاء وصرير الإسنان" يكونان فقط في البحيرة المتقدة بالنار والكبريت؟ كلا، بل يكونان على الأرض أيضاً، عندما يتعذب الإنسان في قلبه من هول خطاياه. يحدث هذا في أوقات التوبة، عندما يحس الإنسان التائب مقدار بشاعة خطيته، ويبكي عليها بدموع وحرقة قلب، ويلوم نفسه قائلاً: أين كان عقلي وتفكيري عندما فعلت هذا؟! ويظل ضميره يؤنبه، فتصطك أسنانه من الألم والندم والخزي والعار والشعور باحتقار الذات.

📖 وفى الحقيقة خير التائب أن يقاسي "البكاء وصرير الأسنان" ههنا على الأرض، من ان يقاسيه هناك في الأبدية على غير رجاء. رأينا أنه من نتائج الخطية الخوف، وفقدان السلام الداخلي، والمرارة وعذاب الضمير. على أن هناك نتائج للخطية.



📖 {٣} نتائج الخطية:

الخطية تغير الإنسان تغييراً كلياً، ومن نتائجها

📖 ١ـ فقد الصورة الإلهية:

📖 خلق الإنسان على صورة الله ومثاله. ولكنه في حاله الخطية لا يحتفظ بهذه الصورة الإلهية، بل يفقدها. يفقدها من الداخلي ومن الخارج أيضاً، إذ تترك الخطية طابعها على وجهه وملامحه، وعلى صوته وإشارتها، بل تترك الخطية طابعها على زيه وملابسه. وحتى كلماته أيضاً، وأسلوبه، ولغته تعبر عن الخطية الكامنة فيه، حسبما قيل "لغتك تظهرك" {مر ١٤: ٧٠}. من أجل هذا قال معلمنا القديس يوحنا: "بهذا أولاد الله ظاهرون، وأولاد إبليس" {١ يو٣: ١٠}.

📖 فأنت أيها الأخ يا من غيرت الخطية شكلك وطباعك، وأنت أيتها الأخت يا من غيرت الخطية وجهك وملابسك وصوتك. ارجعا إلى الله بالتوبة. وسيغير كما التوبة في كل شيء، وتعيد إليكما الصورة الإلهية التي فقد تماها. وكما يفقد الإنسان صورته الإلهية بالخطية، كذلك يفقد كرامته.

📖 ٢ـ فقد الكرامة:

📖 كان الإنسان قبل الخطية نفخة قدسية خرجت من فم الله. كان صورة الله مثاله. أما بعد الخطية فإن الرب يقول له "أنت تراب، وإلى التراب تعود". عاد تراباً كما كان، ولم يستحق أن يدعي صورة الله. اشتهي أن يكون له مجد الألوهية ففقد مجد البشرية الذي كان له.

📖 ولأنه – كالحيوانات – اشتهي أن يأكل، لذلك أعطاه الرب أن يأكل العشب {تك ٣: ١٨} الذي كان من قبل طعام الحيوانات {تك ١: ٣٠}. وضاعت هيبته على الحيوانات وأصبح يخافها وصارت لها إمكانية أن تأكله بعد أن كان سيداً عليها جميعاً {تك ١: ٢٦}. حتى الحية أصبح

في أمكنها أن تسحق عقبه {تك ٣: ١٥}.
📖 حتى الأرض تمردت عليه. وأصبحت تنبت له شوكاً وحسكاً {تك ٣: ١٨}، بل أن أقسي عبارة في تمرد الأرض على الإنسان تظهر في قول الله "متي عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها" {تك ٤: ١٢}.
📖 الإنسان الخاطئ هو إنسان فاقد للكرامة، فاقد للاحترام. هو لعبه في أيدي الشياطين، وفى أيدي الأشرار، ليست له هيبة. بل أنه يفقد احترام ذاته لذاته.

📖 أنظروا إلى الابن الضال، وكيف صار يشتهي الخرنوب الذي تأكله الخنازير، وكيف تمني أن يكون كأحد الأجراء في بيت أبيه!
📖 بل أنظروا إلى نبوخذ نصر الملك، وكيف نزعوا عنه جلاله، وصار كأحد الحيوانات {دا ٥: ٢، ٢١}. وشمشون الجبار، كيف أنه بالخطية فقد قوته، وفقد كرامته، وأذله وهزأ به أهل فلسطين {قض ١٦: ١٩ – ٢٥}.
📖 لا يخدعك الشيطان يا أخي، إذ يصور لك في الخطية ملاذاً وشهوات، ويعدك بكرامات وإغراءات. وعندما تذوق الخطية تجدها في الأخر مرة كالعلقم، تقودك إلى الذل، وتفقدك كل شيء، وتورثك الكآبة والضيق، وتقودك إلى اليأس، وتغطي بالخزي وجهك. وكما تفقد فيها صورتك الإلهية وكرامتك، كذلك تفقد بساطتك ونقاوتك.

📖 ٣- فقد البساطة والنقاوة:

📖 الإنسان البار هو إنسان نقي، لا يعرف سوي الخير، أما عندما يخطئ فإنه يبدأ أن يعرف الشر أيضاً، وهكذا يفقد بساطته. وينظر إلى الأمور بغير نظرته الأولي ويعرف أموراً جديدة تسيئه معرفتها، ويتمني لو كانت تزول من فكرة.
📖 كان آدم وحواء عريانين في الجنة – قبل الخطية – ولا يخجلان. يعيشان في بساطة لا تعرف الدنس. ولكنهما بالخطية فقدا بساطتهما،

واضطرا أن يصنعا لهما مآزر.

📖 وأنت أيها الأخ، ماذا فعلت الخطية بك؟ هل أفقدتك بساطة فكرك، ونقاوة قلبك. هل غيرت نظرتك إلى الناس، ونظرتك إلى نفسك، ونظرتك إلى الأمور. ما أبشع هذا التغير ليتك لا تتمادي، حتى لا تفقد ما بقي لك من بساطة ومن نقاوة. ليتك ترجع إلى الله بالتوبة، حتى ترجع إليك نقاوتك الأولي. ويمنحك الرب ثوباً جديداً ابيض.

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٧٠ ـ ٧٢

الفصل الرابع

إن عرفت عقوبة الخطية تهرب من الخطية

📖 ها قد عرفت في الفصل السابق نتائج الخطية وما يمكن أن تحطمه في داخل النفس البشرية حيث تفقد صورتها وبساطتها ونقاوتها وتورثها الخوف والقلق والعذاب والخزي والهوان، وبقي ان تأخذ فكرة عن عقوبة الخطية.

📖 {١} عقوبة الخيطة:

📖 ينبغي أن نعرف جيداً: أن الله كما أنه رحيم، ولا حدود لرحمته، كذلك هو أيضاً عادل ولا حدود لعدله. وكما أنه شفوق يغفر الخطية، كذلك هو قدوس يكره الخطية.

📖 غير أن البعض – للأسف الشديد – يستغل مراحم الله إستغلالاً رديئاً، يقوده إلى الاستهتار، وإلى الخطية، معتمداً اعتماداً زائفاً على مراحم الله!! مثل هذا يخطئ كما يريد، وإن وبخته يقول لك "إن الله رحيم. وحنون. وطيب. لا يصنع معنا حسب خطايانا، ولا يجازينا حسب آثامنا! الذي غفر للمرأة الزانية يغفر لي، والذي غفر لزكا العشار يغفر لي أنا أيضاً. والذي غفر لأوغسطينوس يغفر لي

ويسامحني. والذي قبل إليه مريم القبطية وموسى الأسود، يقبلني أنا أيضاً معهم!!

📖 يقول هذا، وينسي التوبة العجيبة العميقة التي كانت لأولئك القديسين، والتي بسببها قبلهم الرب إليه. تلك التوبة التي كانت حداً فاصلاً في حياتهم، وتغييراً كلياً لسيرتهم، فلم يرجعوا إلى الخطية مرة أخري مطلقاً، بل كانوا كل يوم يزدادون في النعمة وينمون في محبة الله. ولم تكن رحمه الله لهم مجالاً للاستهتار، أو للاستمرار في الخطية، حاشا. ينبغي أن نفهم عدل الله ورحمته فهماً سليماً، يقودنا إلى التوبة. وفى هذا المجال ما أجمل أن نورد ما ذكره القديس بولس الرسول عن لطف الله وصرامته:

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٧٣ ـ ٧٤

📖 {٢} لطف الله وصرامته:

📖 هكذا قال الرسول العظيم معلماً: "هوذا لطف الله وصرامته، أما الصرامة فعلي الذين سقطوا، وأما اللطف فلك، إن ثبت في اللطف، وإلا، فأنت أيضاً ستقطع" {رو٢٢:١١}.

📖 لا يصح إذن أن نعتمد على لطف الله، وننسي صرامته. ولا يصح أن نعتمد على رحمة الله ـ وننسي عدله:

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٧٤

📖 {٣} رحمة الله وعادلة:

📖 إن صفات الله لا تنفصل عن بعضها البعض، بحيث تقف واحدة منها مستقلة عن الأخرى، إنما نذكرها أحياناً منفردة، من جهة التفاصيل وليس من جهة الفصل، لكي يفهمها الناس. ولكنها متحدة لاهوتياً. الله عادل في رحمته، ورحيم في عدله. عدله رحيم، ورحمته عادلة. عدله مملوء رحمة، ورحمته مملوءة عدلاً. ولا يمكن أن نفصل رحمته عن عدله.

📖 هذه الوحدة القائمة بين الرحمة والعدل هي أساس عمل الفداء. لو

كانت رحمة الله قائمه بذاتها – بدون العدل – لكان يكفي برحمته ان يقول للبشر "مغفورة لكم خطاياكم"، وينتهي الأمر، بدون صلب. لكنه بالرحمة غفر الخطية، وبالعدل دفع ثمن الخطية.

📖 ولأن الله عادل، تجسد ومات عنا، ليدفع ثمن خطيئتنا. العدل لابد أن يستوفي حقوقه، حتى لوأدي الأمر أن يأخذ الله جسداً، ويصير في الهيئة كإنسان، ويأخذ شكل العبد، ويهان، ويصلب ويتعذب ويموت.

📖 إن كان هكذا عدل الله، فأين نهرب من عدله؟

📖 يمكن أن تشبه معاملة الله لك أحياناً بالمرآة: فكما أنك تنظر إلى المرآة في وقت ما فتري وجهاً بشوشاً فرحاً، وتنظر إليها في وقت آخر فتري وجهاً حزيناً عابساً، مع أن المرآة واحدة. هكذا – كالمرآة – يريك الله حالتك. تنظر إلى وجه الله، فتري حالتك من الداخل.

📖 إن كنت تائباً، تري الله في لطفه. وإن كنت مستهتراً، تري الله في صرامته. لطف الله وصرامته يمثلها الملاك الذي ظهر للمريمتين عند القبر. هذا الملاك كان مخيفاً ومفرحاً. كان مخيفاً للحراس لدرجة أن الكتاب المقدس يقول عنه "فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات" {مت ٢٨: ٤}. ونفس هذا الملاك كان سبب فرح للمرأتين ومصدراً لبشري مفرحة. هكذا الله مخيف للبعض، ومفرح للبعض الآخر.

📖 **ولطف الله وصرامته، يظهران عموماً في عمل الملائكة:**

📖 كلنا نتكلم عن ملائكة الرحمة. فهل ننسي أنهم أيضاً ملائكة للعقوبة والإهلاك؟ نحن نعلم إن ملاكاً أيقظ إيليا النبي وهو جوعان، وأعطاه طعاماً ليأكل. ومشي إيليا بقوة تلك الأكلة التي أخذها من الملاك أربعين يوماً {١مل ١٩: ٦- ٨}.

📖 ونعلم أن ملاكاً أرسله الله إلى هاجر عندما أشرف ابنها على الموت عطشاً، ففتح عينيها فأبصرت بئر ماء، وشرب ولدها وعاش {تك ٢١: ١٥-١٩}. ونعلم أن ملاكاً نزل غلي الجب، وسد أفواه الأسود فلم

تضر دانيال {دا ٦: ٢٢}. كذلك ذهب ملاك إلى السجن، وأخرج بطرس منه بعد أن فك السلسلتين من يديه {أع ١٢: ٧-١٠}. ويعوزنا الوقت أن نشرح عمل الملائكة الحالة حول المؤمنين وتنجيهم.

📖 والملائكة المبشرة بالخيرات، والملائكة التي هي "أرواح خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" {عب ١: ٤}. غير ان طبيعة الملائكة الرحيمة، لم تمنع أن تكون الملائكة أيضاً للضرب والعقوبة والهلاك.

📖 وسنضرب الآن أمثلة لملائكة أرسلهم الله للإهلاك والعقوبة: من أمثلتهم الملاك المهلك الذي ضرب كل أبكار المصريين، فماتوا جميعهم في ليلة واحدة "من بكر فرعون الجالس على كرسيه، إلى بكر الأسير الذي في السجن، وكان صراخ عظيم في مصر، لأنه لم يكن بيت ليس فيه ميت" {خر ١٢: ٢٩، ٣٠}.

📖 كذلك الملاك الذي رفع سيفه على أورشليم عندما أخطأ داود النبي وعد الشعب. ومات في ذلك اليوم سبعون ألف رجل {١ أي ٢١: ١٤}.

📖 ومن أمثلة ملائكة الإهلاك: الملائكة السبعة أصحاب الأبواق الذين ورد ذكرهم في سفر الرؤيا، وذكر ضرباتهم المخيفة {رؤ ٨: ٩}.

📖 ولا ننسي أول ذكر للملائكة في الكتاب المقدس كان مرعباً، إذ طرد الله الإنسان من جنة عدن، وأرسل الكاروبيم بسيف من نار لحراسة طريق شجرة الحياة حتى لا يأكل منها الإنسان {تك ٣: ٢٤}.

📖 ولعل اللطف والصرامة يتجليان في وقت واحد في الملاكين المرسلين إلى لوط، أنقذاه وفى نفس الوقت ضربا الناس الأشرار بالعمي {تك ١٩: ١٠، ١١}.

📖 كما يتجليان معاً في قصة أليشع النبي مع نعمان السرياني، إذ شفي نعمان من برصه، وجعل البرص الذي كان عند نعمان يلصق بجيحزي "فخرج من أمامه أبرص كالثلج" {٢مل ٥: ١٤- ٢٧}.

📖 إن كان الله هكذا في لطفه وصرامته، وهكذا أيضاً ملائكته،

وأنبياؤه، فلنخف نحن أيضاً لئلا نتعرض لصرامه الله بسبب خطايانا.
كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٧٤ - ٧٦

📖 {٣} عقوبات الله المخيفة:

📖 إن رحمة الله التي لا تحد، لم تمنع ورود أمثلة لعقوبات مخيفة، أوقعها العدل الإلهي على البشرية، بسبب خطايا الإنسان التي تحدت قداسة الله، وقاومت صلاحه، وكسرت وصايا. مثال ذلك الطوفان، الذي محا الله فيه الإنسان من على وجه الأرض {تك ٦: ٧}.

📖 **مثال آخر هو حرق سدوم وعمورة:**

📖 إذ أمطر الله عليهما كبريتاً وناراً من السماء "وقلب تلك المدن، وكل الدائرة، وجميع سكان المدن، ونبات الأرض ... ونظرت امرأة لوط إلى الوراء فصارت عمود ملح" {تك ١٩: ٢٤- ٢٦}.

📖 ونحن نقف أمام الطوفان، وأمام حرق سدوم وعمورة ونتعظ ونفكر. من قال إن خطايانا هي أقل من خطايا سدوم؟! أو أقل من خطايا الناس وقت الطوفان؟! أو أقل من خطية امرأة لوط التي صارت عمود ملح؟! ومن قال إن الله الذي أوقع هذه العقوبات في القديم، قد تغير في العهد الجديد؟!

📖 اليس "هو هو، أمساً واليوم وإلى الأبد" {عب ١٣: ٨}، "ليس عنده تغيير ولا ظل دوران" {يع ١: ١٧}. هو أيضاً الذي في العهد الجديد أوقع حنانيا وسفيرا ميتين، من أجل أنهما كذبا في حديثهما مع بطرس الرسول. وكم من الناس يكذبون أثناء حديثهم مع الآباء الأساقفة، والآباء الكهنة، بل مع الآباء البطاركة أيضاً!

📖 وهو أيضاً الذي سمح لعبده بولس أن يقول عن خاطئ كورنثوس: "حكمت أن يسلم مثل هذا للشيطان لإهلاك الجسد، لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع" {١كو٥: ٥}.

📖 ومن أعنف ما ورد في الكتاب المقدس عن عقوبات الله للخطاة: اللعنات التي صبها الله على من يعصي وصاياه: وقد وردت قائمة بهذه اللعنات في سفر التثنية إذ يقول الرب: "ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه. تأتي عليك جميع هذه اللعنات وتدركك: ملعوناً تكون في الحقل، ملعوناً تكون ثمرة بطنك، وثمرة أرضك، نتائج بقرك، وإناث غنمك، ملعوناً تكون في دخولك، وملعوناً تكون في خروجك. يرسل الرب عليك اللعن، والاضطراب، والزجر، في كل ما تمتد إليه يدك لتعمله، حتى تهلك، وتفني سريعاً من أجل سوء أعمالك إذ تركتني، تكون سماؤك التي فوق رأسك نجاساً، والأرض التي تحتك حديداً. يجعلك الرب منهزماً أما أعدائك، في طريق واحدة تخرج عليهم، وفى سبع طرق تهرب أمامهم. وتكون قلقاً في جميع ممالك الأرض. ولا تنجح في طرقك، بل لا تكون إلا مظلوماً مغصوباً كل الإيام، وليس مخلص. أيضاً كل مرض وكل ضربة – لم تكتب في سفر الناموس هذا – يسلطها الرب عليك حتى تهلك ... وتكون حياتك معلقه أمامك، وترتعب ليلاً ونهاراً، ولا تأمن على حياتك. في الصباح تقول ياليته المساء، وفى المساء تقول ياليته الصباح، من ارتعاب قلبك الذي ترتعب، ومن منظر عينيك الذي تنظر" {تث ٢٨: ١٥، ٦٨}.

📖 حقاً مخيفة ومرعبه هي هذه اللعنات. ومن شدة ما فيها من رعب أصمت عن تسجيل جميعها. إنها تعطينا فكرة عن قداسة الله التي لا تتساهل مطلقاً مع الخطية، وتعطينا فكرة عن عدل الله الذي يجازي الخطية حسب ما فيها من بشاعة، فليتنا نقرأ كل هذا ونتعظ ونتوب. وتاركين الخطية التي تسبب كل هذه اللعنات.

📖 **حقاً أن اللعنة دخلت إلى العالم نتيجة الخطية:** عندما أخطأ آدم قال له الرب "ملعونة الأرض بسببك" {تك ٣: ١٧}. ثم تطور الأمر فزحفت اللعنة إلى الإنسان ذاته، وهكذا قال الرب لقايين "ملعون أنت

من الأرض التي فتحفت فاها لتقبل دم أخيك من يدك" {تك ٤: ١١}.
📖 " ملعون أنت" تماماً مثلما قال للحية من قبل "ملعونة أنت" {تك ٣: ١٤}. وهكذا تشابه الإنسان الخاطئ مع الشيطان "الحية القديمة" وحق ان يسمي الخطاة بأنهم "أولاد إبليس" {١ يو٣: ١٠}، أو أنهم "أولاد الأفاعي" {مت ٧:٣}.
📖 ثم كانت لعنة الطوفان، التي هي لعنة الإفناء {تك ٨: ٢١}. ثم كانت لعنة العبودية التي وقعت أولاً على كنعان، حيث قيل له: "ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لأخوته" {تك ٩: ٢٥}. ثم كانت لعنات الناموس {تث ٢٨} التي شملت عقوبات عديدة. كان منها الموت والمرض، والوباء، والفقر، والفشل، والظلم، والقلق، والهزيمة.
📖 وفى العهد الجديد لعن السيد المسيح شجرة التين المورقة غير المثمرة {مر ١١: ٢١}، التي تعطي فكرة عن الرياء مع عدم التقوي، وكانت رمزاً لكل من يسلك هذا السبيل. حقاً من يقرأ كل هذا ولا نخاف؟! ومن يحتمل أن يلعنه الله! بل من يحتمل أن يفقد البركة التي أخذها أولاً من الرب؟!
📖 فلنتب يا إخوتي لأن كل هذه الأمور قد تركت لنا مثالاً، وكتبت لإنذارنا، نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور {١كو١٠: ١١}. ولنغسل خطايانا بدموع التوبة، قبل أن يلحقنا يوم الدينونة الرهيب حيث لا ينفع بكاء ولا توبة.

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٧٦ ـ ٧٩

📖 {٥} عذاب الأبدية المرعب:

📖 إن مجرد التفكير في يوم الموت، ويوم الدينونة، يبعث في قلب الخاطئ قشعريرة، ويقوده إلى التخشع والتوبة.

📖 إنه يوم رهيب مخوف:

📖 يقول عنه إشعياء النبي "هوذا يوم الرب قادم قاسياً بسخط وحمو

غضب، ليجعل الأرض خراباً، ويبيد منها خطاتها" {١٣: ٩}. "في ذلك اليوم يطرح الإنسان أوثانه. ليدخل في نقر الصخور، وفى شقوق المعاقل، من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته، عند قيامه ليرعب الأرض" {أش ٢: ٢٠، ٢١}.

📖 وعن هذا اليوم يقول ملاخي النبي: "فهوذا يأتي اليوم المتقد كالتنور. وكل المستكبرين، وكل فاعلي الشر يكونون قشاً، ويحرقهم اليوم الآتي – قال رب الجنود – فلا يبقي لهم أصلاً ولا فرعاً" {ملا ٤: ١}. حقاً أن يوم مجيء الرب لرهيب شرحه قال عنه المرتل في المزمور "السحاب والضباب حوله. العدل والقضاء قوام كرسيه. النار تسبق وتسلك أمامه وتحرق أعداءه من حوله. أضاءت بروقه المسكونة. نظرت الأرض فتزلزلت. ذابت الجبال مثل الشمع قدام الرب، قدام سيد الأرض كلها" {مز ٩٧}.

📖 هذا اليوم الرهيب شرحه القديس يوحنا الرسول في رؤياه فقال: " نظرت لما فتح الختم السادس، وإذ زلزلة عظيمة حدثت. والشمس صارت سوداء كمسح من شعر، والقمر صار كالدم، ونجوم السماء سقطت إلى الأرض كما تطرح شجرة التين سقاطها إذا هزتها ريح عظيمة. والسماء انفلقت كدرج ملتف. وكل جبل وجزيرة تزحزحا من موضعهما. وملوك الأرض والعظماء والأغنياء والأمراء والأقوياء وكل عبد وكل حر. أخفوا أنفسهم في المغاير وفى صخور الجبال. وهم يقولون للجبال والصخور أسقطي علينا، وأخفينا عن وجه الجالس على العرش وعن غضب الخروف، لأنه قد جاء يوم غضبه العظيم ومن يستطيع الوقوف" {رؤ ٦: ١٢-١٧}.

📖 هذا هو حال الخطاة والأشرار في ذلك اليوم. أما الأبرار فإنهم يصعدون إلى الرب على السحاب، ويكونون في كل حين مع الرب، في مجده. وبينما يكون الأبرار في " فرح لا ينطق به ومجيد" {١ بط ١: ٨}، وبينما ترتفع تراتيل القديسين ومعهم قيثارات الله {رؤ ١٥: ٢، ٣}، وبينما يتمتع هؤلاء بصحبة الرب وقديسيه في أورشليم السمائية.

بينما هؤلاء في النعيم، يكون الأشرار في عذاب لا يطاق، لا يعرفون للراحة طعماً إلى الأبد.

🕮 عذاب الأشرار وآلامهم:

🕮 يقول الرب عنهم "فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي، والأبرار إلى حياة أبدية" {مت ٢٥: ٤٦}. ويقول أيضاً: "يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر، وفاعلي الإثم، ويطرحونهم في أتون النار. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان. حينئذ يضئ الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم" {مت ١٣: ٤١، ٤٢}.

🕮 ما أشد هذا العذاب الأبدي الذي لا ينتهي، في بكاء وصرير الأسنان في الظلمة الخارجية، وفى لهيب النار، يزيده إلماً تلك المقارنة التي تعقد بين حال الأشرار، وحال الأبرار. يصف بولس حالتهم فيقول: "سيعاقبون بهلاك أيدي من وجه الرب ومن مجد قوته، متي جاء ليتمجد في قديسيه ويتعجب منه في جميع المؤمنين" {٢ تس ١: ٩، ١٠}. ويقول أيضاً: "سخط وغضب، شده وضيق، على كل نفس إنسان يفعل الشر اليهودي أولاً ثم اليوناني. ومجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح " {رؤ ٢: ٨-١٠}.

🕮 لا شك أننا نخاف ونرتعش حينما نسمع هذا الرسول القديس يقول: "فإنه إن أخطأنا باختيارنا – بعدما أخذنا معرفة الحق – لا تبقي بعد ذبيحة عن الخطايا بل قبول دينونة مخيف وغيره نار عتيدة أن تأكل المضادين" {عب ١٠: ٢٦، ٢٧}.

🕮 ويعلل الرسول ذلك قائلاً: "من خالف ناموس موسى، فعلي شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة. فكم عقاباً أشر تظنون أنه يحسب مستحقاً من داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قدس به دنساً وازدري بروح النعمة فإننا نعرف الذي قال: لي الانتقام أنا أجازي يقول الرب، وأيضاً الرب يدين شعبه مخيف هو الوقوع في يدي الله

الحي" {عب ١٠: ٣١}.

📖 والقديس يوحنا الحبيب الرسول المشهور بحديثة المستفيض عن محبة الله، يتحدث في رؤياه عن البحيرة المتقدة بالنار والكبريت" {رو٢١: ٨}. ويصف عقاب الخاطئ فيقول: "سيشرب من حمو غضب الله المصبوب صرفاً في كأس غضبه، ويعذب بنار وكبريات أمام الملائكة القديسين، وأمام الخروف. ويصعد دخان عذابهم إلى الأبدين. ولا تكون راحة نهاراً وليلاً" {رو١٠:١٤، ١١}.

📖 "وسيعذبون نهاراً وليلاً إلى أبد الآبدين " {رؤ ٢٠: ١٠}.

📖 ويشرح كمثال لهذا العذاب عقوبة بابل الزانية فيقول: " قدر ما مجدت نفسها وتنعمت، بقدر ذلك أعطوها عذاباً وحزناً. وسيبكي وينوح عليها ملوك الأرض الذين زنوا وتنعموا، حينما ينظرون دخان حريقها، واقفين من بعيد لأجل خوف عذابها قائلين: ويل ويل" {رؤ ١٨: ١٧- ١٠}. ما أرهب تلك الدينونة.

📖 من أجل هذا وضعت الكنيسة المقدسة، أن يقال في صلاة الستار "يارب إن دينونتك لمرهوبة، إذ تحشر الناس، ويقف الملائكة وتفتح الأسفار، وتكشف الأعمال، وتفحص الأفكار. أية إدانة تكون إدانتي أنا المضبوط في الخطايا، من يطفئ لهيب النار عني، أن لم ترحمني أنت يا محب البشر".

📖 والله لا يرحم الخاطئ إلا إذا كان يتوب:

📖 حقاً، إنه خجل عظيم، أن تكشف جميع العمال والأفكار، أمام كل الناس والملائكة. من يستطيع أن يحتمل انكشافه في تلك الساعة؟ ومرعب أيضاً ومخجل أن ينفصل الخطاة عن الأبرار. هنا على الأرض يجتمع الكل معاً، أنجس الفاسقين مع أقدس الصالحين. أما هناك فلا. يبدأ الله فيفصل الزوان عن القمح، والجداء عن الخراف، وأهل الشمال عن أهل اليمين. يحرم الخطاة من عشرة القديسين إلى الأبد، ومن عشرة الملائكة، ومن عشرة الله.

📖 تصوروا الإنسان البار عندما ينتقل تحمله الملائكة مثل لعازر {لو١٦: ٢٢}. وتأخذه إلى أحضان القديسين. تفوده في ذلك وتعرفه بكل أحد. هذا هو نوح، وهذا هو هابيل، وهذا هو شيت، وباقي الآباء البطاركة، وهؤلاء هم موسى، وصموئيل، وإرميا، وإشعياء، ودانيال، وباقي الأنبياء. وهنا الأنبا أنطونيوس، والأنبا مكاريوس، والأنبا باخوميوس، وباقي الآباء الرهبان. تعال لنريك الأنبا بولا، وأبا نفر، والأنبا ميصائيل، وباقي الآباء السواح.

📖 وانظر هنا الأنبا أثناسيوس، والأنبا كيرلس، والأنبا ديوسقورس، وباقي أبطال الإيمان. وهنا مارجرجس، ومارمينا، والقديسة دميانة، وباقي الشهداء. وهؤلاء هم الملائكة، والقوات، والأرباب، والسلاطين، والشاروبيم، والسارافيم وكل الجمع غير المحصي الذي للقوات السمائية.

📖 إنها حفلة تعارف عجيبة، تتعرف فيها الروح البارة على مجمع الملائكة، والقديسين. أما الخطاة فيكونون واقفين من بعيد، في الظلمة الخارجية، بينهم وبين الأبرار هوة عميقة من بعيد، في الظلمة الخارجية، بينهم وبين الأبرار هوة عميقة، محرومين من مجمع الأبرار، ومن متعه الخلطة بهم.

📖 لا شك أنها مؤثرة جداً تلك الكلمات التي تشرح حالة الغني في الجحيم، إذ يقول الكتاب في ذلك عنه: "فرفع عينية في الجحيم، وهو في العذاب، ورأي إبراهيم من بعيد، ولعازر في حضنه، فنادي وقال يا أبي إبراهيم ارحمني. وأرسل لعازر، ليبل طرف أصبعه بماء، ويبرد لساني، لأني معذب في هذا اللهيب" {لو١٦: ٢٣، ٢٤}.

📖 يا للعجب أليس هذا هو لعازر المسكين الذي كانت الكلاب تلحس قروحه، الذي كان هذا الغني ينظر إليه من قبل في اشمئزاز. وهوذا الآن قد تغير الوضع، وأصبح الغني العظيم يشتهي أن يأتيه لعازر، ولا يحصل على مشتهاه.

📖 الخطية هي حرمان من القديسين، وهي بالأكثر حرمان من الله. كل هذا عن العقوبة الأبدية. ولكن بالإضافة إلى هذه، هناك عقوبات أخري للخطية، عقوبات على الأرض.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٧٩ - ٨٣



📖 {٦} عقوبتان للخطية:

📖 للخطية عقوبتان: عقوبة أرضية وأخري في الأبدية:

📖 أما العقوبة الأبدية، فيمكن للإنسان أن ينجو منها بالتوبة. بعكس الأرضية التي قد فرضها الله على الإنسان، فيقاسيها على الرغم من توبته.



📖 آبائنا الأولان كمثال:

📖 عندما أخطأ آدم وحواء، ماذا كانت عقوبتهما؟ كانت هي الموت. هذا الموت خلصهما منه المسيح بموته. ولكن على الرغم من حكم الموت هذا الذي أنذرهما به الله من قبل. لم يقف الأمر عند هذا الحد، بل أوقع الله عليهما عقوبة أخري أرضية.

📖 فماذا كانت العقوبة الأرضية لآدم وحواء؟ الطرد من الجنة كانت عقوبة مشتركة لكليهما. وماذا أيضاً؟ قال الرب لآدم: "ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. بعرق وجهك تأكل خبزاً" {تك ٣: ١٧،١٩}. وظلت عقوبة التعب وعرق الجبين لاصقة بجميع أبناء آدم إلى يومنا هذا، على الرغم من عمل الفداء العظيم على الصليب.

📖 وقال الرب لحواء: "تكثيراً أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولاداً". وجاء السيد المسيح وغفر للمرأة خطيئتها، ومع ذلك فهي ماتزال تحبل وتلد بالتعب والوجع. إنها عقوبة أرضية.

📖 أن هذه العقوبة الأرضية التي وقعت على آدم وحواء، هي مثال واضح لما يقاسيه الإنسان على الأرض نتيجة خطيئته حتى إن

غفرها الله له في السماء.

📖 **مثال المراة الزانية:**

📖 من المعروف أن السيد المسيح غفر لكثير من الزاينات كالمرأة الزانية التي بللت قدميه بدموعها، ومستحتهما بشعر رأسها. وكالمرأة التي ضبطت في ذات الفعل وأنقذها الرب من الرجم قائلاً للمشتكين عليها "من كان منكم بلا خطية، فليرجمها أولاً بحجر" {يو٨: ٧}.

📖 ومع هذه المغفرة فقد عاقب الرب المرأة الزانية بتطليقها وبعدم الزواج ثانية {مت ٥: ٣٢، مت ١٩: ٩، لو١٦: ١٨}. وكثير من الناس يتساءلون لماذا لا يسمح بالزواج للزانية، وقد غفر الرب للمرأة الزانية. والجواب بسيط. يمكن أن يغفر الرب للزانية إذا تابت، وهكذا لا تفقد أبديتها بل تجد لها نصيباً في الفردوس. أما ههنا فإنه توجد لها عقوبة أرضية تكابدها جزاء خطيتها. مادامت لم تكن أمينه لزوجها، فلا يمكن أن يأتمنها الرب على زواج آخر، بل تكون درساً لغيرها.

📖 والعقوبة الأرضية على أنواع: أما أن تكون نتيجة طبيعته للخطية. وأما أن تكون ضربه من الله. وأما أن تكون عقوبة من المجتمع، أو من الدولة، أو من الكنيسة.

📖 **العقوبة الأرضية كنتيجة طبيعية للخطية:**

📖 هناك خطايا كثيرة تحمل عقوبتها في ذاتها: فالزاني مثلاً قد يصاب بالضعف، أو الأنيميا، أو بعض الأمراض السرية. والذي يتعاطى المخدرات مثلاً قد يصاب بفقدان الشخصية، وبتلف الأعصاب. والذي يدخن قد يصاب بالسرطان، أو داء الرئة، أو ضغط الدم، أو غيرها من الأمراض. والطالب الذي يهمل دروسه، له عقوبة على الأرض هي الرسوب والفشل، والذي يلعب الميسر {القمار}، يصاب بالفقر والعوز. والأم التي لا تربي ابنها، تقاسي الأمرين على الأرض من سوء أخلاق هذا الابن.

📖 كل هذه عقوبات على الأرض، غير العقوبة الأبدية. وقد تمحي العقوبة الأبدية بالتوبة، وتظل العقوبة الأرضية كما هي: فالأم التي لم تربِ ابنها، قد تتوب وتغفر لها خطيتها، ويظل ابنها مرارة قلب لها على الأرض.

📖 والتلميذ الذي لم يذاكر ورسب قد يتوب ويغفر له الرب إهماله، ولكن هذا لا يمنع ان سنة من عمرة قد ضاعت على الأرض سدي. والذي تسبب له الخطية مرضاً، قد تغفر له الخطية بالتوبة، ويظل المرضي معه كعقوبة أرضية، هي نتيجة طبيعية للخطية.

📖 **العقوبة الأرضية كضربة من الله:**

📖 قد يكون المرض مثلاً نتيجة طبيعة للخطية، كالأمراض التي تنتج عن التدخين، وتعاطي المخدرات، والزني، وشرب الخمر ... الخ.

📖 على أن هناك نوعاً آخر من الأمراض يعتبر ضربة من الله. مثل ضربة البرص التي أصابت جيحزي تلميذ أليشع، عقاباً له على محبته للمال، وكذبة على معمله {٢ مل ٥: ٢٧}، ومثل ضربة البرص التي أصابت مريم أخت هارون وموسى، عقاباً لها على تكلمها ضد موسى {عد ١٢: ١٠}، ومثل ضربة الدمامل التي أصابت مصر عقاباً على قساوة قلب فرعون {خر ٩: ١٠}. ومثل ضربة الوبأ الذي أصابت بني إسرائيل عقوبة على خطية داود الملك، فمات منهم في يوم واحد سبعون ألف رجل {٢ صم ٢٤: ١٥}.

📖 وعن مثل هذه الضربة يقول الرب في لعنته للخاطئ "يلصق بك الرب الوبأ، حتى يبيدك عن الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها. يضربك بالسل، والحمى، والبرداء، والالتهاب، والجفاف واللفح والذبول، فتتعبك حتى تفنيك، يضربك الرب بقرحة مصر، وبالبواسير، والجرب، والحكة، حتى لا تستطيع الشفاء" {تث ٢٨: ٢١، ٢٢،٢٧}. وغير المرض هناك ضربات أخري من الله:

📖 كالفشل مثلاً: قد يكون الفشل نتيجة طبيعية لإهمال الإنسان وتقصيره، وقد يكون أيضاً ضربه من الله لزوال البركة {تث ٢٨}. كذلك من أمثال هذه الضربات: الهزيمة، والعبودية، بل الموت أيضاً، أن الخطية هي موت، وعقوبة الخطية هي الموت أيضاً. مثلما حدث مع عالي الكاهن إذ لم يربي أولاده {١ صم ٤: ١٨}.

📖 تأمل يا أخي في حياتك. أنظر في كل ما فعلته، وفشلت فيه، لعل هناك خطية هي السبب في كل ما يصيبك من ضربات.

📖 عقوبات للخطية مع المجتمع والدولة والكنيسة:

📖 هناك عقوبات للخطية تصيب الإنسان على الأرض، لا يوقعها الله مباشرة، وإنما يوقعها المجتمع، أو الدولة، أو الكنيسة.

📖 فمن العقوبات التي ينالها الإنسان الخاطئ من المجتمع الفضيحة، والعار، وسوء السمعة، بل قد يصل الأمر إلى الاحتقار، أو إلى نبذ الإنسان من المجتمع الذي يعيش فيه، وتحاشى الخلطة معه.

📖 وقد تكون العقوبة الأرضية صادرة من الدولة معاً. عقوبة من الله. مع فضيحة من المجتمع، مع سجن تحكم به الدولة.

📖 وهناك أيضاً عقوبات كنسية كثيرة تشملها كتب القوانين الكنيسة. ومن ضمنها الحرمان من التناول فترة معينة، أو الحرمان من دخول الكنيسة، أو الإيقاف عن الكهنوت أو التجريد. أو عقوبات أخري لا داعي الآن لسردها.

📖 ولكني أقول الكنيسة عندما كانت صارمة وحازمة في عقوبتها، كانت جماعة المؤمنين أكثر قداسة، وحرصاً، وتدقيقاً، وفيها خوف الله. وأنت أيها الأخ، أسال نفسك: هل ارتكبت خطأ تستوجب به حكماً كنسياً لم يوقع عليك؟ ربما تكون هارباً من مثل هذا الحكم، ولا تستحق دخول الكنيسة حسب القوانين. إن العقوبة الأرضية أمر سمح الله ان يوقع حتى على أحبائه القديسين الذين جاهدوا لأجله، وفعلوا معجزات بإسمه.

🕮 {٧} عقوبات لأحباء الله القديسين:

{١} مثال داود النبي

🕮 أخطأ داود النبي: زني، وقتل. ثم اعترف بخطيئته على ناثان قائلاً "أخطأت إلى الرب" وسمع العفو الإلهي بقول ناثان لـه: "والرب قد نقل عنك خطيئتك. لا تموت" {٢ صم ١٢: ١٣}. وهكذا رفع الرب عن داود العقوبة الأبدية. أما العقوبة الأرضية فبقيت. وكيف كان ذلك؟

🕮 تاب داود توبة عجيبة، وعميقة، وصارت لـه الدموع خبزاً نهاراً وليلاً، حتى قال: "أعوم في كل ليلة سريري، وبدموعي أبل فراشي" {مز ٦}. وانسحقت نفسه في التراب: وتذلل أمام الله.

🕮 ومع كل هذا ظل يطارده قول الرب: "والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد، لأنك احتقرتني، وأخذت امرأة أوريا الحثي لتكون لك امرأة. هكذا قال الرب. هاأنذا أقيم عليك الشر من بيتك، وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك، فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس" {٢: صم ١٢: ١٠، ١١}. وقد كان.

🕮 فلم يفارق الزني بيته متمثلاً في خطايا ابنيه أمنون وإبشالوم. ولم يفارق السيف بيته أيضاً حيث قام ضده إبشالوم. وخرج داود من أورشليم حافي القدمين وباكيا، ومضطرباً، وخائفً من ابنه. وقضي فترات ذل وتعب على الأرض نتيجة لخطيته.

🕮 وحتى عندما أراد داود أن يبني بيتاً للرب، وأعد كل شيء من حجارة وحديد "ونحاس كثير بلا وزن وخشب وأرز لم يكن له عدد"، لم ينس له الرب الدماء التي سفكها، بل كان إليه كلام الرب قائلاً: "قد سفكت دماً كثيراً. فلا تبني بيتاً لإسمي، لأنك سفكت دماء كثيرة على الأرض أمامي {١ أي ٢٢: ٣-٨}. وهكذا حرمه الرب من بناء

الهيكل، وبقيت العقوبة الأرضية على الرغم من المغفرة في السماء.

📖 تكرر الأمر مرة أخري عندما أخطأ داود وعد الشعب، فغضب عليه الرب عندئذ ندم داود: ضربه قلبه، فأحس بخطيئته وتاب عنها، واعترف بها إذ صرخ إلى الرب قائلاً: "لقد أخطأت جداً فيما فعلت. والآن يارب أزل إثم عبدك، لأني انحمقت جداً" {٢صم ٢٤: ١٠}. فهل رضي الرب بهذه التوبة منه، وهذا الاعتراف، وهذه الصلاة؟ نعم قبل توبته، وغفر له خطيئته، ومحا عنه العقوبة الأبدية. ولكن بقيت العقوبة الأرضية.

📖 وهكذا مضي الرب في معاقبته لعبده، وعرض عليه ثلاث ضربات شديده تحمل معني الإفناء والإهلاك، وهي: الجوع، والوبأ، وسيف الأعداء! وقال داود مستسلماً "قد ضاق بي الأمر جداً. أقع في يد الله – لأن مراحم كثيرة – ولا أقع في يد إنسان". إلا أن الله على الرغم من هذا التذلل لم يشأ أن يعفو. وأرسل ملاكاً مهلكاً رفع سيفه على أورشليم، وقتل منها سبعين ألف رجل، حتى صاح داود في ألم لا يطاق مخاطباً الرب: "ها أنا قد أخطأت وأنا أذنبت. وأما هؤلاء الخراف، فماذا فعلوا؟! فلتكن يدك على أنا وعلي بيت أبي" {٢صم ٢٤: ١١-١٧}. ما هذا يارب الذي فعلتنه مع عبدك داود؟!

📖 أليس هو الذي قلت عنه: "وجدت داود بن يسي رجلاً حسب قلبي"؟! {أع ١٣: ٢٢}. لماذا لا تتراءف وتغفر؟ يقول: نعم أنا أغفر في السماء، أما على الأرض فيأخذ عقوبته.

📖 يا للهول! حتى مع داود يارب؟! حتى مع داود الذي يحبك، الذي قال لك: "محبوب هو اسمك يارب فهو طول النهار تلاوتي" {مز ١١٨}؟! داود الذي كان ينهض في نصف الليل ليشكرك على أحكام عدلك، الذي كان يقول: "سبقت عيناي وقت السحر لأتلو في جميع أقوالك" {مز ١١٨}؟! داود إلى كان يقول لك: "يا الله، أنت إلهي، إليك أبكر. عطشت نفسي إليك. التحقت نفسي وراءك" {مز ٦٢}! داود

رجل التسبيح والصلاة، رجل المزمور والقيثار والعشرة الأوتار. داود تعمل معه هكذا؟!

📖 فإن كان الأمر هكذا مع داود، النبي، المحبوب، فماذا نقول نحن عن أنفسنا، وليست لنا مثل دالته، ولا مثل قداسته، ولا مثل توبته؟!

📖 علينا أن نستيقظ إذن ونصحو لأنفسنا، لأن إلهنا عادل، ويحاسب كل واحد حسب أعماله، مهما كان مركزه الروحي عند الله نفسه. إنه لم يفعل هكذا مع داود وحده، بل مع موسى أيضاً:

{٢} مثال موسي النبي

📖 مثال موسى النبي أصعب في دلالته من مثال داود:

📖 من ذا الذي يستطيع ان يصف المحبة التي كانت بين الله وعبده موسى؟! موسى حبيب الله وكليمه، موسى رجل الآيات والمعجزات، الذي شق البحر الأحمر، الذي ضرب الصخرة فأخرجت ماءاً.

📖 موسى الذي بصلاته حول الله المياه المرة إلى مياه حلوة، الذي بصلاته انزل الله المن والسلوى من السماء، الذي كان رفع يديه أقوي من جيش يشوع، موسى الذي دافع الله عنه لما تقولت عليه مريم وهارون، فضرب مريم بالبرص، وقال لمريم وهارون: "إن كان منكم نبي للرب، فبالرؤيا استعلن له، في الحلم أكلمه، وأما عبدي موسى فليس هكذا، بل هو آمين. في كل بيتي. فماً إلى فم، وعياناً أتكلم معه لا بالألغاز، وشبه الرب يعاين. فلماذا لا تخشيان أن تتكلما على عبدي موسى" {عد ١٢: ٥-٨}.

📖 أخطأ موسى عندما ضرب الصخرة مرتين قائلاً للشعب المتذمر: "اسمعوا أيها المردة، أمن هذه الصخرة تخرج لكم ماءاً". فكانت النتيجة إن الله حكم عليه بعدم دخول ارض الموعد" {عد ٢٠: ٧- ١٢}.

📖 ما هذا يارب الذي تفعله؟ هل تنسي كل هذه العشرة الطويلة من أجل خطية واحدة حدثت في ظروف قاسية؟! ولكن الله يصر على أن

موسى لا يدخل الأرض!

📖 ما هذا الذي تقول يارب؟ دا على رأي المثل "طباخ السم بيدوقه". وأنت تعرف كيف أنني تعبت من أجل هذا الشعب عشرات السنين، واحتملت تذمره في صبر، وأنا أقوده في البرية وهو متمرد صلب الرقبة. هل تنسي تعبي، أنا موسى عبدك، حبيبك، صديقك، كليمك! كل هذا ولا فائدة، والرب مصر على عقوبته. وتضرع إليه موسى: أنا أخطأت، يارب سامح، يارب اغفر، يارب أنس هذه الخطية "دعني أعبر وأري الأرض الجيدة ". وكأن الله يقول بنفس المبدأ.

📖 أنا أسامح في ملكوتي. أما ههنا فتنفذ العقوبة، حتى على موسى. ولماذا ازداد تضرع موسى النبي، غضب الله عليه وقال له: "كفاك. لا تعد تكلمني أيضاً في هذا الأمر" {تث ٣: ٦}. وأخيراً بعد إلحاح، وتوسلات وتضرعات، سمح له أن يري الأرض من بعيد، من على الجبل، ولكن لا يدخل إليها!! إن الله في عدله لم يجامل موسى حبيبه، على الرغم من دالته عنده. وأنت يا أخي ما هي دالتك؟ هل مقامك عند الله أعلي من موسى؟!

📖 إن كان الأمر هكذا، أفلا تشفق على نفسك وتتوب، لئلا تتعرض لعدل الله نتيجة خطيتك، فلا تشفع فيك حياة مقدسة سابقة. إن موسى وداود لم يفلتا من العقوبة، فهل تفلت أنت؟ أعطيك مثالاً آخر للعقوبة الأرضية هو يعقوب أبو الآباء:

{٣} مثال يعقوب أب الآباء

📖 يعقوب هذا الذي أحبه الله وهو في البطن، قبل أن يولد، وقبل أن يفعل خيراً، قال الله أحببت يعقوب، وأبغضت عيسو" {رو٩: ١٣}. وأعطاه الرئاسة على أخيه الكبير وهو في البطن، فقال لرفقه: "في بطنك أمتان، ومن أحشائك يفترق شعبان. وكبير يستعبد لصغير" {تك ٢٥: ٢٣}. يعقوب هذا أخطأ، أطاعه لمشورة أمه التي كانت تحبه أكثر

من عيسو، وخدع أباه وأخذ البركة.

📖 فلم يتركه الله بدون عقوبة، على الرغم من ظهوره له، إذ نظر الله وجهاً لوجه {تك ٣٢: ٣٠}، وعلى الرغم من المواعيد التي منحه إياها، والبركة التي زوده بها، والرؤى التي أعلنها له. إذ ظهر له على السلم الواصلة بين السماء والأرض وقال له: "يكون نسلك كتراب الأرض. ويتبارك فيك وفى نسلك جميع قبائل الأرض. وها أنا معك، وأحفظك حيثما تذهب" {تك ٢٨: ١٤، ١٥}.

📖 على الرغم من كل هذا، كما غش يعقوب أباه، سمح الله لأولاده أن يغشوه بالمثل، عندما باعوا يوسف، وغمسوا قميصه في دم تيس ذبحوه، وأشعروا أباهم أن وحشاً قد اغترس يوسف. ووقع يعقوب في خدعة أولادة، ومزق ثيابه، وناح على ابنه أياماً كثيرة {تك ٣٧: ٣١-٣٤}. كذلك خدعة خاله لابان، وزوجه ليئة بدلاً من راحيل، التي كانت أحب إلى قلبه، والتي تعب من أجلها سنوات طويلة. وغشه خاله أيضاً في أجرته فغيرها مرات عديدة.

📖 وظلت المتاعب تلاحق يعقوب، حتى أنه في كلامه مع فرعون – لخص حياته في عبارة موجزة قال فيها: "أيام سني غربتي. قليله وردية" {تك ٤٧: ٩}.

📖 حقاً إن خطيته كانت قد غفرت، وأظهر له الله رضاه بالبركة والرؤى والمواعيد. ولكنه – على الرغم من محبته له – لم يمنع عنه العقوبة الأرضية. هل اقتنعت أيها الأخ المبارك بخطورة عقوبة الخطية. يعوزني الوقت لو ضربت لك امثله أخري عديدة من الكتاب المقدس. إنما أترك هذا الأمر لتأملك الخاص، وأعطيك الآن مثلاً، أو مثالين من تاريخ الآباء:

{٤} مثال القديس موسي الأسود

📖 كان في مبدأ حياته قاتلاً وقاسياً. ثم تاب، وأتي إلى الدير وترهب،

وتدرج في حياة النعمة حتى صار مثالاً للوداعة، والطيبة، ومحبة الأخوة، وبلغ من محبته أنه كان أحياناً يمر على قلالي الرهبان يحمل جرارهم سراً، ويمضي إلى البئر ليملأها لهم ماءاً.

ومنحه الرب موهبة الرؤي وصنع المعجزات. وتناهي في القداسة جداً حتى صار مرشداً روحياً لكثيرين. فأخذوه ورسموه قساً. وصار من أعمدة البرية المعدودين، ولكن على الرغم من كل هذه التوبة، وهذه القداسة، وهذه المواهب، هل نسي له الله خطاياه الأولي التي تستحق العقوبة؟

نسمع أنه عندما هجم البربر على الدير، هرب الرهبان، ودعوا الأنبا موسى ليهرب معهم. فقال لهم: أنا اعلم يا أولادي أن البربر سيقتلونني، لأنني قتلت كثيرين في شبابي. والكتاب يقول: "من أخذ بالسيف، بالسيف يؤخذ" {مت ٢٦: ٥٢}. وحدث هذا فعلاً، وهجم البربر على أنبا موسى فقتلوه، وتمت النبوءة. لعل البعض يتساءل: ما معني أن يموت قديس عظيم هذه الميتة البشعة، وقد تاب عن جهالات شبابه؟! ولكنها طريقة الله. مثال آخر

{٥} مثال القديس الأنبا بيمن

قرأت قصة في أحدي المخطوطات الثمينة بالدير، قيل أن قديساً يدعي الأنبا بيمن كان متقشفاً جداً، وكان يعيش حياة الفقر والعوز، وتخلو مغارته من غطاء يقيه البرد بالليل.

هذا القديس زاره شاب فقضي الليلة في مغارة أخري إلى جواره، ولما أصبح الصباح سأله القديس بيمن كيف قضي ليلته، فأجاب الشاب تعبت من شدة البرد لعدم وجود غطاء، فقال القديس في خجل "أما ان فنمت متدفئاً". فسأله الشاب كيف كان ذلك،

فأجاب "أتي أسد بالليل ونام إلى جواري فدفأني بجسمه". ولما

انذهل الشاب مما حدث للقديس، وكيف يرقد إلى جواره أسد دون أن يفترسه. حينئذ قال القديس "أنا أعلم يا إبني، انه لابد ستفترسني الوحوش في يوم من الأيام. ذلك لأن شاباً طرقني ذات ليلة فلم أفتح له، وكان خائفاً، وقد افترسته الوحوش فعلاً كما عرفت". وحدث ما توقعه الأنبا بيمن.

📖 هذه أمثلة للعقوبة الأرضية. ويوجد من أمثلتها الكثير جداً لمن يقرأ الكتاب، ويطلع على قصص التاريخ، وضعت كلها مثالاً لتعليمنا. لهذا كله، لا يصح ان نفهم مراحم الله الواسعة منفصلة عن عدله. لئلا بحجة مراحم الله وحنوه وعطفة، ننقاد إلى الاستهانة، والاستهتار، ونرتكب الخطية، غير شاعرين بخطورتها، وفى محبة الله لنا ننسي مخافته!

📖 لأن بعض الناس تبيح لنفسها الخطية، وتظن أن الأمر في منتهي السهولة! مجرد دقائق تقضيها مع أب الاعتراف، تعترف وتنال الحل، وكان شيئاً لم يحدث!! كان وصايا الله لم تكسر. وكأن قلب الله لم يجرح! حقاً أيها الأخ، إن الأب الكاهن عندما يقرأ لك صلاة التحليل، فهو يضيف خطيتك إلى الكأس التي شرب الرب مرارتها، فتنجو من العقوبة الأبدية بدم المسيح أنت كنت تائباً.

📖 أما العقوبة الأرضية فلها حساب آخر، ربما لا تنجو منه. أحذر إذن لنفسك، فالأمر ليس سهلاً كما تظن. ومع ذلك فلتعزيتكم، ولكيلا تقعوا في العب واليأس، أقول لكم إن الله لا يعاقب بعقوبة أرضيه على كل خطية. وذلك لأن خطايا الإنسان لا تحصي، وهو في كل يوم يخطئ "وفى أشياء كثيرة نعثر جميعاً" {يع ٣: ٢}.

📖 فلو كان الله يعاقب بعقوبة أرضية على كل خطية، لتوالت العقوبات في غير نهاية، وبغير حصر، لتناسب عدد الخطايا. ولكن الله يترك الكثير. ووسط مئات الخطايا، قد يعاقب على واحدة منها، حتى لا يستهتر الإنسان ويقع في اللامبالاة، وأيضاً لكي يتضع، ويستفيد

روحياً كما حدث لداود النبي.

📖 إن العقوبة الأرضية، هي ولا شك من مراحم الله، يدعونا بها إلى اليقظة، فنضيق من غفلتنا، كما فنشعر أننا أخطأنا، وأننا أغضبنا الله منا، فنتوب، ونرجع إليه. وهكذا ننجو من العقوبة الأبدية، ليس لأن العقوبة الأرضية قد حلت محلها، حاشا! بل لأنها أيقظتنا لنتوب، فنستحق المغفرة.

📖 إننا إن تألمنا هنا، فهذا أفضل من الآم الأبدية، ومن عارها. ومع ذلك، فإن كانت عقوبات الأبدية مخيفة، فإن الأمر لا يزال بيدنا. فحتي هذه اللحظة، مازال في أيدينا أن نقرر مصيرنا.

📖 لقد استطاع القديس بولس الرسول ان يقول بكل جرأة: "وأخيراً وضع لي إكليل البر، الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل" {٢ تي ٤: ٨}.

📖 فهل تستطيع أن تقول نفس عبارة القديس بولس؟! ليتك تستطيع. وحتى إن كان إكليل البر قد وضع لك فاحترس، و"تمسك بما عندك لئلا يأخذ أحد إكليلك" {ؤ ٣: ١١}. وعش في حياة التوبة والاحتراس كل أيامك. إن الخوف من عقوبة الخطية، يدفعك إلى التوبة. ولا شك أن هناك دوافع أخري، فما هي؟

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٩٤

الفصل الخامس

دوافع أخري للتوبة

📖 هناك دوافع للتوبة، تصدر من داخل الإنسان، من مشاعر قلبه، ذكرنا الكثير منها. وهناك دوافع أخري للتوبة تكون من الخارج، تأتي إلى الإنسان حتى دون ان يطلب. ونذكر من بين هذه الدوافع:

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٨٧ ـ ٩٤



{١} زيارة النعمة

📖 إن الله: "يريد أن الجميع يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون" {١تي ٢: ٤}. ولذلك فهو يسعي إلى خلاص الكل. ونعمته تعمل في الخطاة لكي يتوبوا، لكي يريدوا ولكي يعملوا {في ٢:١٣}. كل إنسان لابد أن تأتيه زيارات النعمة.

📖 **{١} شاول الطرسوسي كمثال:**

📖 لقد شهد عن نفسه أنه كان من قبل مجدفاً، ومفترياً، ومضطهداً للكنيسة {١تي ١: ١٣}، وكانت مناخس تنخس ضميره، لكي يترك هذه القسوة، وهذا العنف، ولكنه كان يرفس هذه المناخس، ولا يستجيب. وأخيراً ظهر له الرب في طريق دمشق وعاتبه بقوله: "شاول شاول، لماذا تضطهدني صعب عليك أن ترفس مناخس" {أع ٢٦: ٤، ٥:٩}. وواضح أن قيادة شاول إلى التوبة، وإلى ترك اضطهاده للكنيسة، لم تبدأ من داخل نفسه، إنما أتاه الدافع من الخارج من زيارة النعمة بلقاء الرب له، الذي صالحه، وأصلحه، ودعاه لخدمته.

📖 **{٢} نفس الوضع حدث مع يونان النبي:**

📖 كان هارباً من الرب، وكان غير موافق على المناداة لنينوي، لئلا تدركها رحمة الله فتسقط كلمته. وفعلاً لما قبل الرب توبة نينوى، وخلص هذه المدينة، جلس يونان شرق المدينة مغتاظاً! بل أنه اغتاظ حتى الموت وقال: "موتي خير من حياتي" {يون ٤: ١-٣}.

📖 وفيما هو هكذا، زارته نعمة الرب لتخلصه من غمه الخاطئ. كلمه الرب بنفسه لكي يصالحه، لكي يشرح له، ويغير قلبه، ويقوده إلى التوبة. وهكذا كانت النعمة بصوت الله وصلت إلى النبي، كما حدث مع شاول. ولكن لا يشترط في النعمة ان يكلم الله الإنسان. إنما قد يرسل الله شخصاً، يبكت هذا الخاطئ لكي يتوب. كما حدث حينما

أرسل الرب ناثان لكي يبكت داود ليتوب.

📖 لم يكن داود يحس ما هو فيه، بل كان يتدرج من خطية إلى أخري، من الشهوة إلى الزني، إلى القتل. إلى أن زارته النعمة بمجيء ناثان إليه، وتعريفه بخطورة ما حدث منه. حينئذ فقط بدأت تستيقظ نفسه الغافلة وقال: "أخطأت إلى الرب" {٢ صم ١٢: ١٣}. ثم بدأ قصة توبة عميقة، بلل فيها فراشة بدموعه {مز ٦}.

📖 وهكذا لم تبدأ توبة داود من دوافعه الداخلية، إذ كانت نفسه في غفوة مستمرة في الخطية، إنما بدأت التوبة بدافع خارجي، بتبكيت من الخارج. وهنا دخلت مشاعر التوبة إليه، وبدأ العمل الداخلي فيه.

وأنت أيها القارئ العزيز، هل تدري. ربما الإنسان الذي يبكتك على خطية، هو مرسل من نعمة الله إليك، ليقودك إلى التوبة.

📖 فإن رفضته، ورفضت توبيخه – حتى لوكان قاسياً – تكون رافضاً لنعمة الله العاملة فيك. وتكون زيارة النعمة قد افتقدتك ولم تستفيد منها. لا تظن أن زيارة النعمة، لا تأتي إلا عن طريق صوت الله، أو صوت نبي، أوعن طريق حلم، أو رؤيا، أو أمثال هذه الأمور الفائقة، إنما قد يكون الأمر أبسط من هذا بكثير.

📖 فقد تفتقدك النعمة بمرض مثلاً، يكون هو صوت الله إليك. كالمرض الذي افتقد به الرب مار أوغريس، وقاده ليس فقط إلى التوبة، وإنما إلى الرهبنة أيضاً.

📖 وكالمرض الذي افتقد به الرب الأنبا تيموثاوس السائح، وكقصص أمراض عديدة وردت في الكتاب، وفى التاريخ.

📖 وقد يكون المرض الذي يفتقدك الرب به، مرضاً لا يصيبك أنت، إنما يصيب أحد أحبائك المقربين إليك جداً. ويستطيع هذا المرض أن يشد ركبتيك إلى أسفل، ويرفع يديك إلى فوق، فتصرخ من أعماقك إلى الرب. وقد استطاع المرض أن يعصر قلبك عصراً، فيتجه إلى الله ويصطلح معه، من اجل هذا الذي تحبه.

🕮 وقد تكون زيارة النعمة على شكل ضيقة، أو مشكلة. تكون هي أيضاً صوت الله إليك، يناديك أن تتوب، لكي يتراءف الرب عليك، ويخرجك من هذه الضيقة، وقد يدفعك الرب إلى أيدي أعدائك، فيقوون عليك، فترجع إلى الرب، لكي ينقذك، وأمثلة هذا الأمر كثيرة في سفر القضاة. المهم أن تكون حواسك الروحية مدربة، تستطيع أن تميز بها صوت الله، الذي يناديك لكي ترجع إليه.

🕮 لذلك في كل ما يمر بك من أمراض، ومن ضيقات، ومن مشاكل، لا تفصل شيئاً من هذا عن علاقتك بالله. اجعلها كلها تقوي علاقتك به، وتعمق صلواتك، وتزيد محبتك للرب.

🕮 وقد تأتيك زيارة النعمة، أثناء قراءتك لكتاب روحي، أو أثناء سماعك عظة روحية، أو لحن مؤثر. فتجد شعوراً في داخلك، يحثك أن تعمل شيئاً من جهة علاقتك بالله. تجد قلبك في حالة غير طبيعية، يتحرك داخلك، أو يتحرك عمل الروح داخله. وتجد الروح القدس يبكتك على خطية، أو يشوقك إلى الحياة مع الله، وإلى التصالح معه، إنها زيارة من النعمة، احرص إلا تفلت منك.

🕮 إن زيارة النعمة افتقدت فيلكس الوالي، حينما كان القديس بولس الرسول يتكلم عن البر والتعفف' والدينونة العتيدة أن تكون، فاتعب فيلكس {أع ٢٤: ٢٥}. ولكنه للأسف لم يستغل زيارة النعمة لمنفعته. بل قال لبولس: "اذهب الآن، ومتي حصلت على وقت استدعيتك".

🕮 أما أنت فإن زارتك النعمة، لا تنس قلبك، ولا تؤجل التوبة. استفد من كل شعور روحي تحدثه النعمة في داخلك، وبخاصة حينما تشعر بثورة في داخلك على حياة الخطية، وبمحبة طارئة نحو الله، ربما لم تكن موجودة في داخلك من قبل.

🕮 لقد زارت النعمة أغريباس الملك، فيما كان القديس بولس يتكلم، فقال أغريباس لبولس "بقليل تقنعني أن أصير مسيحياً" {أع ٢٦: ٢٨}.

واكتفي أغريباس بمجرد الاقتناع، دون أن يخطو خطوة أخري. أما أنت فإن زارتك النعمة، لا تكتف بمجرد الأقناع. لأنه ماذا يفيدك إن اقتنعت ان طريقك خاطئ، دون أن تقوم عملياً بتغيير هذا الطريق.

📖 لا تجعل زيارة النعمة في عقلك فقط، أو حتى في قلبك فقط، إنما يجب أن تعمل أيضاً في إرادتك، فتقوم وتعمل عملاً. على أن زيارات النعمة تقدم لنا حقيقة جميلة ومعزية وهي:

📖 حتى إن كنت أنت لا تسعي إلى خلاص نفسك، فإن الله المحب يسعي بنعمته لكي يخلصك، وهو الذي يبدأ. كل ما يريده الرب منك هو الاستجابة لصوته في داخلك، يريدك أن تعمل معه، حينما يبدأ هوان يعمل فيك، يريدك حينما تسمع صوته إلا تقسي قلبك، وحينئذ تقودك زيارة النعمة إلى التوبة، كما قادت كثيرين.

📖 إن زيارات النعمة تعطي لكل خاطئ دفعة من رجاء، يثق بها أن الله يحبه، وأنه لا ينساه أبداً في رعايته، ويبحث عنه كما بحث عن خروفة الضال. وان لم تكن في قلب هذا الخاطئ مشاعر تقوده إلى التوبة، فإن الرب يغرس في قلبه هذه المشاعر بعمل نعمته، ويمهد كل الوسائط التي تجعل قلبه يتحرك نحو التوبة.

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٩٤ ـ ٩٨

الباب الثالث

وسائل التوبة ـ كيف اتوب

١ـ إجلس مع نفسك	٢ـ لا تستخدم أسلوب التبريرات	٣ـ تبريرات وأعذار واهية
٤ـ ينتحلون المبررات	٥ـ لا تؤجل التوبة	٦ـ أمثلة لم تؤجل
٧ـ قابلوا الرب ولم يستفيدوا	٨ـ التأجيل ليس في صالحك	٩ـ لا تقس قلبك
١٠ـ أسباب قساوة القلب	١١ـ ابعد عن الخطوة الأولى	١٢ـ ابعد عن العثرات
١٣ـ لا تتساهل مع الخطية	١٤ـ اعد تقييم سلوكك	١٥ـ اهرب من خطايا المحبوبه
١٦ـ اهتم بأبديتك	١٧ـ اقتن محبة الله لتطرد الخطية	١٨ـ صارع مع الله وخذ معونة

📖 قد يكون لكل إنسان الأسلوب الذي يصل به إلى التوبة، أو الأسلوب الذي تراه النعمة مناسباً له، أو مناسباً لظروفه.

📖 على الرغم أن هناك قواعد عامة – في الطريق إلى التوبة – تتناسب الكل. ولعل من اهم هذه القواعد النصائح التالية:

📖 ١- أجلس مع نفسك. حاسبها. واخرج معها بقرار.

📖 ٢- لا تلتمس لنفسك الأعذار والتبريرات.

📖 ٣- لا تؤجل التوبة. أبداً من الآن، وأنتهز الفرص.

📖 ٤- اهتم بخلاص نفسك. وأعرف ما يطلبه الله منك.

📖 ٥- ابعد عن الخطوة الأولي إلى الخطية.

📖 ٦- ابعد عن قساوة القلب، حينما تعمل النعمة فيك.

📖 ٧- أعد تقييم سلوكك. وابعد عن الخطايا التي تلبس ثياب الحملان.

📖 ٨- ابعد عن الثعالب الصغار المفسدة للكروم. واسلك بتدقيق.

📖 ٩- اهتم بالاعتراف والتناول.

📖 ١٠- اهتم بعلاج نقط الضعف التي فيك، وبالذات الخطايا المحبوبة.

📖 ١١- اهتم بمحبة الله، لتطرد منك محبة الخطية.

📖 ١٢– صارع مع الله وخذ منه قوة، لكي بهذه القوة تتوب.

📖 وسنحاول أن نتناول كل هذه النقاط واحدة فواحدة. لكي نتأمل نفعها في حياة التوبة.

📖 {١} اجلس مع نفسك:

📖 أنت تريد أن تتوب، هذا حسن جدا. الله أيضاً يريدك أن تتوب إلا إنه "يريد أن الجميع يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون" {١تى ٢: ٤} ولكن يبقى السؤال أمامنا هو: تتوب عن ماذا؟ وكيف تتوب؟

📖 لذلك فأنت محتاج أن تجلس إلى نفسك، لأنك واحد من إثنين:

📖 ١- أما أنك لا تحس ما أنت فيه من خطأ، لا تعرف حالتك بالضبط، ولا تدرك أخطاءك، ولا عمقها وبشاعتها، لأن دوامة المشغوليات

والاهتمامات تجذبك إليها باستمرار، وأنت غارق فيها تماماً، ليس لديك وقت أن تفكر في نفسك، وفى روحياتك، وربما لم يخطر هذا الموضوع على فكرك! فأنت إذن محتاج أن تجلس إلى نفسك، لتدرك حالتك وتعرف أخطاءك.

📖 ٢- أو أنت تعرف أخطاءك، أو تعرف البارز منها، ولكن ليس لديك وقت، ولا فرصة، لكي تفكر كيف تترك هذه الأخطاء، وكيف تعالجها، فقبل أن يدور بذهنك أن تعالج خطأ معيناً، تكون قد وقعت فيه مرة أخري، أو وقعت في غيره، أوفي ما هو أبشع منه، والأخطاء والخطايا تحيط بك من كل ناحية، وليست هناك فرصة للتخلص منها.

📖 **فأنت محتاج إذن أن تجلس أيضاً مع نفسك لكي تعالجها:**

📖 إنك تشبه مريضا: أما أنه لا يحس ما فيه من مرض، أو يدرك أنه مريض، ولكنه يحتاج إلى كشف وتشخيص دقيق وعلاج.

📖 أتحتاج أن يجلس إلى أجهزة التحليل، وإلى كشف الأشعة، ومعرفة ما يدور في داخله بالضبط، ونوعية ومدى خطورة أمراضه. وهو يحتاج أيضاً أن يعرف العلاج، ويمارسه لكي يشفى، وأن يتابع هذا العلاج طبيب حكيم خبير بالأمراض وعلاجها. وهذا كله لا يتأتى للمريض إلا إذا أنتزع نفسه من جميع مشغوليته مهما كانت أهميتها، وجلس إلى أجهزة التحليل والأشعة لمعرفة نفسه، بعيدا عن الناس. وهنا تبدو أهمية الجلوس مع النفس روحيا.

📖 **ولكن ما هو برنامج هذه الجلسة الروحية وعمل الإنسان فيها؟**

📖 إنها جلسة هدفها التوبة، وتنقية النفس. وذلك بأن تكتشف خطاياك وضعفاتك، وتلوم نفسك عليها. ثم تعرف أيضاً أسباب سقوطك، سواء أكانت أسبابا خارجية تضغط عليك، أو أسبابا داخلية تسعى فيها أنت

إلى الخطية، أوهى طباع، وعادات، أو تأثر بآخرين، وتحاول أن تتحاشى كل هذا وتبعد عنه، أو تعالجه.

📖 **وفى هذه الجلسة تعرض ضعفاتك وخطاياك على الله:**

📖 تعرض عليه كل ضعفاتك، لكي تنال منه القوة.

📖 وتعرض عليه في ندم كل خطاياك، ليهبك الحل والمغفرة.

📖 تعرضها وأنت تقول للرب فلا صلاة منسحقة، ما سبق أن قاله داود: "انضح على بزوفاك فاطهر، واغسلنى فأبيض أكثر من الثلج" {مز ٥٠}. ثم تخرج من هذه الجلسة، لكي تعترف بهذه الخطايا أمام الأب الكاهن، لكي يقرأ لك صلاة التحليل، ويرشدك بما يلزم، ويسمح لك بالتناول.

📖 وفى جلستك الروحية مع نفسك، تعزم في قلبك عزماً أكيدا على ترك الخطية، بكل رضى واقتناع داخلي. فانت لا تقصر جلستك فقط على بحث الماضي، والندم عليه، ولوم النفس وتبكيتها على سقوطه، إنما أنت أيضاً في جلستك مع نفسك:

📖 **تضع خطه حكيمة للمستقبل من واقع حالتك واختباراتك:**

📖 وتصمم في أعماقك أن تسلك فيها بتدقيق شديد، ويجديه، والتزام، وفى هذا العزم على حياة نقية في المستقبل، لا تته وسط تفاصيل عديدة، إنما اهتم أولا بنقط الضعف الواضحة التي فيك، وبالفضائل الأمهات التي تحوي داخلها باقي الفضائل، فإنك إن أدركت واحدة منها في عمقها – كمحبة الله مثلا – أدركت الحياة الروحية كلها

📖 **وهذا العزم المقدس، لابد أن تعرضه على الله ليباركه ويقويك:**

📖 وأنا أنصح أن هذا لا يكون نذراً تنذره كما يفعل البعض، ولا يكون استنزالا للويلات على نفسك، كما يقول البعض "يفعل بى الله ويزيد، إن فعلت هذا مرة أخري في المستقبل" فهذه النذور والويلات، قد

تحوي في داخلها اعتماداً على ذراعك البشرى، كأن لك القوة الذاتية التي تستطيع أن تنفذ بها ما تعد الله به، مهما كانت العقبات والحروب التي تصادفك، وما أكثر من وعد الله وعودا، ولم ينفذ، ثم عاد ليقول في حزن: كم وعدت الله وعداً حانثا، ليتنى من خوف ضعفي لم أعد.

📖 إنما الأمر لا يعدو أنها رغبات مقدسة، تعرض فيها إرادتك وعزمك أمام الله، ليعطيك قوة على التنفيذ، لأنك بدونه لا تستطيع أن تفعل شيئا {يو١٥: ٥}، وهكذا تتحول جلستك مع نفسك إلى صلاة، تطلب فيها القوة للسير في حياة التوبة، ونقاوة القلب.

📖 ولا شك أن الشيطان يقاوم بكل قوته جلوسك مع نفسك، لأنه يخشى أن تفلت من سيطرته، عن طريق أمرين:

📖 **أ-** إنه يخشى أن تجلس مع نفسك، فتدرك سوء حالتك حالته الروحية، فتفكر جديا في التوبة، وبهذا تفلت من يده.

📖 **ب-** يخشى إن جلست مع نفسك، أن تجلس مع الله أيضاً، وتنال منه قوة روحية لا يقوى الشيطان على مقاومتها فتغلبه بهذه القوة الإلهية.

📖 والشيطان جرب أن كثيرين، جلسوا مع أنفسهم فتابوا.

📖 **وكمثال لهؤلاء قصة الابن الضال {لو١٥: ١١ ـ ٢٤}.**

📖 لما كان هذا الابن الضال مشغولا مع أصحابه، أستمر في ضلاله، إذ لم يكن لدية وقت ولا رغبة للجلوس مع نفسه.

📖 ولكن كيف إذن بدأت قصة توبته؟ تلك القصة التي استحقت أن تسجل في الإنجيل من فم الرب نفسه، بدأت لما جلس إلى نفسه في يوم ما، وفحص حالته، وفكر في حياته، وفى الوضع الذي وصل إليه، وأدرك الحقيقة المرة ـ أدرك – في جلسته مع نفسه – مقدار سوء حالته التي انحدر إليها فقال: "كم من أجير عند ابى بفضل عنه الخبز، وأنا هنا أهلك جوعا".

📖 ولكن هل مجرد إدراك سوء الحالة يكفي؟ كلا. إنما لابد من الوصول إلى حل، وما هو الحل؟ قال "أقوم وأذهب إلى أبى، وأقول

له أخطأت إلى السماء وقدامك، ولست مستحقا أن أدعى لك إبنا. اجعلني كأحد أجرائك" {لو١٥: ١٧ _ ١٩}.

📖 لقد أدرك سوء حالته، وعرف الحل، ووصل إلى قرار، ونفذ. نفذ في الحال، إذ يقول الكتاب بعدها مباشرة "فقام وجاء إلى أبيه" {لو١٥: ٢٠}. وبدأ حياة جديدة اصطلح فيها مع الآب. ويقينا لو لم يجلس الابن الضال هذه الجلسة المصيرية مع نفسه، ما كان قد وصل إلى القرار وإلى التوبة، والانسحاق، والرجوع، والتصالح، والخروج من قبضة الشيطان، إلى حيث لبس الحلة الأولى.

📖 **مثال آخر هو القديس أوغسطينوس:**

📖 إنه لم يستطيع أن يتوب وهو في دوامة المشغوليات، دوامة الصحاب، والخطية، واللذة، ثم دوامة الفلسفة، والفكر. ولكنه لما جلس إلى نفسه، تلك الجلسة العميقة. استطاع أن يصل إلى الإيمان وإلى التوبة، ويرجع إلى الله، ويفلت إلى البد من قبضة الشيطان، ويصير بركة لكثيرين.

📖 إنها ليست مجرد جلسة عادية، إنما هي جلسة مصيرية.

📖 صدقوني إن أهم عمل للآباء والمرشدين والوعاظ، هو دعوة كل إنسان خاطئ إلى الجلوس مع نفسه في حضرة الله، وفى ضوء وصاياه، مثلما فعل أوغسطينوس، أو الابن الضال، الذي حسنا قيل عنه إنه "رجع إلى نفسه" {لو١٥: ١٧}

📖 **لذلك فالشيطان يقاوم جلوس الإنسان مع نفسه، وذلك بأمرين:**

📖 **أ-** أما أنه يمنع جلوسك مع نفسك بأن يقدم لك عشرات المشغوليات،

📖 ومئات الأفكار، ويذكرك بأمور ترى أنها هامة جداً، ويجب أن تتفرغ لها. وكل ذلك لكي تعود إلى دوامتك مرة أخري. مثال ذلك إن انتهرت فرصة بداية عام جديد من حياتك لتجلس مع نفسك، يمكن للشيطان أن يعمل على شغل هذه المناسبة بالحفلات، والمجاملات،

حتى تشتغل بها، ولا تخلو للتفكير في نفسك.

🕮 وإن كانت بداية عام ميلادي، أو عام قبطي، تريد أن تجلس فيها مع نفسك، يحاول أن يمنعك عن ذلك بأنشطة روحية، واجتماعات، وكلمات، حتى لا تتفرغ لنفسك. فما أسهل في عيد النيروز مثلاً، أن ننشغل بالحديث عن الشهداء، وعذاباتهم، واحتمالهم، وشجاعتهم، وأمجادهم، وننسى أنفسنا.

🕮 نتحدث عن التاريخ، وننسي الواقع الذي نعيشه.

🕮 نتحدث عن جدودنا العظام، ولا نفكر في كيف نشاطهم.

🕮 حسنة بلا شك هي أخبار الشهداء، ولكن إلى جوارها فلنفكر في أنفسنا، لأنهم تركوا لنا مثالاً لنقتدي به.

🕮 ولكنها محاولة – ولو بأسلوب روحي – لمنع الإنسان من الجلوس مع نفسه. فإن أصررت على الجلوس مع نفسك. وقلت "إفعلوا هذه، ولا تتركوا تلك". حينئذ يلجأ الشيطان إلى حيلته الثانية وهي:

🕮 **ب** – يحاول الشيطان أن يدخل في جلستك مع نفسك، ليفقدها فوائدها. إنه لا ييأس أبداً. مادام لم يستطع أن يمنعك عن الجلوس مع نفسك، فليمنع عنك روحياتها. وذلك بأن يقدم لك أفكاراً وأحاسيس، ويمنعك من تبكيت نفسك، ويخفف من مشاعر ندمك**!** فكيف ذلك؟

🕮 إن تذكرت أيه خطية، فبدلاً من أن ينسحق قلبك بسببها، وتوبخ ذاتك عليها بدموع التوبة، يقدم لك الشيطان عنها أعذاراً وتبريرات**!**

🕮 أما أنت فأعلم أن هدفك من هذه الجلسة الروحية هو تنقية نفسك وليس تبريرها. وتنقية النفس تأتى بمعرفة خطاياها، وتبكيتها عليها، وليس بتدليل النفس، أو مجاملتها، أو تخفيف المسئولية عنها بإلقائها على الوسط الخارجي، أو على الآخرين.

🕮 لذلك في جلستك مع نفسك، كن صريحاً معها إلى ابعد حد. لا تجاملها، ولا تدللها، فهذا لا ينفعك روحياً، ولا يقودك إلى التوبة. بل اكشف لها كل أخطائها وكل ضعفاتها، بكل ما فيها من دنس، ومن

بشاعة. ولا تحاول أن تقدم عنها أعذاراً أو تبريرات.

🕮 إنما قدم عنها توبة وندماً وانسحاق قلب. واعرف أن العشار قد خرج مبرراً دون الفريسي، لأنه انسحق أمام الله وطلب الرحمة لأنه خاطئ {لو١٨: ١٣}. والكتاب يقول " أنت بلا عذر أيها الإنسان " {رو٢: ١}. ويقول أيضاً " ليس لهم هذر في خطيتهم " {يو١٥: ٢٢}.

🕮 **إنك لا تنال المغفرة بالتبريرات، إنما بالتوبة تؤهل للغفران:**

🕮 فكما تميز إنك لا تنال المغفرة بالتبريرات، إنما بالتوبة تؤهل للغفران. فكما تميز العشار على الفريسي بإدانته لنفسه، كذلك تميز اللص اليمين على زميلة اللص الآخر في قوله: "نحن بعدل جوزينا، لأننا ننال استحقاق ما فعلناه" {لو٢٣: ٤١}، مغبوط هو الإنسان الذي يتكشف خطاياه في جلسته مع نفسه. ومغبوط أكثر من يقدم هذه الخطايا للرب، محفوفة بالندم، مبللة بالدموع.

🕮 اهتم إذن بإدانة نفسك، فإن ذلك يساعدك على التوبة، ويجلب لك الاتضاع، وانسحاق القلب، ويمكنك من الاعتراف، ويجعلك قريباً من الرب، الذي يقول عنه الكتاب: "قريب هو الرب من المنسحقين بقلوبهم". وحسناً قال القديس الأنبا أنطونيوس: "إن دنا أنفسنا، رضي الديان عنا".

🕮 ولهذا فإن جلست مع نفسك، وتذكرت خطاياك، فلا تعذر ذاتك، ولا تجلب اللوم على غيرك، ناسياً ما فعلته أنت، كما فعل آدم وحواء.

🕮 إن لومك لغيرك لا يبررك، حتى لوكان ذلك الغير ملوماً فعلاً. لهذا يجب أن تركز على ما فعلته أنت، لأنك مطالب به.

🕮 إنها حيلة ولا شك من الشيطان، أن يجعلك في محاسبتك لنفسك، تهتم بمسئولية الآخرين عن خطاياك، وليس بمسئوليتك أنت!

🕮 **ولعل من حيلة أيضاً، أنه يقلل لك من خطورة خطاياك:**

🕮 ولا يجعلها تبدو على حقيقتها في بشاعتها، كما لو كانت شيئاً

بسيطاً، لا تستحق أن تحزن بسببها وتندم. وما أسهل أن يسمى لك الخطايا بغير أسمائها، أو يفلسف الخطية، ويحاول أن يخفيها وراء سلامة القصد، أو حسن النية! وهكذا يوسع ضميرك، لكي يبتلع خطايا معينة، لا تريد أن تتحمل مسئوليتها، أو نتائجها.

📖 وكل هذا يقودك ولا شك إلى الاستهانة، واللامبالاة، ولا يساعدك على التوبة، بل ربما يدفعك إلى الاستمرار فيما أنت فيه، ويبعد عنك خشوع القلب، وانسحاقه.

📖 أما أنت فكن حازماً مع نفسك ووبخها. وإن كنت لا تحتمل أحياناً أن يكلمك الغير بصراحة من جهة أخطائك ويوبخك، فعلى الأقل يمكنك أن توبخ نفسك بنفسك. قل لها ما يريد الناس أن يواجهوك به، ولكن يمنعهم الخجل، أو الأدب والاحتشام، أو عدم رغبتهم في جرح شعورك. وكما قال القديس مكاريوس الكبير: "أحكم يا أخي على نفسك، قبل أن يحكموا عليك".

📖 وإن كان في طبعك شيء من القسوة، أو الشدة، فاستخدمه ضد نفسك، ولا تستخدمه مع الناس. إن نفسك هي التي تحتاج إلى الشدة، لكي ترتدع، ولا تعود تخطئ. أدبها إذن بقضيب من حديد، وربها في خوف الله وفى طاعته. وإن كان يلزمك باستمرار محاسبة النفس، فإنه يلزمك أيضاً معاقبة النفس، بدلاً من أن يعاقبها الله.

📖 وفى إدانتك لنفسك، تذكر قول القديس العظيم الأنبا أنطونيوس: "أن ذكرنا خطايانا، ينساها لنا الله، وإن نسينا خطايانا، يذكرها لنا الله".

📖 إن داود الملك، لما كان لا يحس بخطيئته، ولا يذكرها، أرسل له الله ناثان النبي، فشرح له بشاعة الخطية وقال له: "أنت هو الرجل" {٢صم١٢: ٧}. ولما أدان داود نفسه وقال: "أخطأت إلى الرب" سمع بعدها مباشرة عبارة: "والرب نقل عنك خطيتك. لا تموت" {٢صم١٢: ١٣}. فلا تنتظر أنت أن يرسل لك الله ناثان آخر يكشفك.

📖 **إجلس إذن مع نفسك لكي تدينها، وتؤهلها بالتوبة لنوال المغفرة:**

📖 وإن كان البعض قد تعود أن يجلس جلسة جدية مع نفسه في بداية العام الجديد، أوفي الأصوام، أوفي مناسبات هامة في حياته.

📖 فاجلس أنت مع نفسك كل يوم وحاسبها: افحصها، واطمئن باستمرار على نقاوتها. واسهر على سلامة اتجاهاتها، وتابعها في حياة التوبة، إن كانت قد بدأت هذه التوبة من قبل. خوفاً من أن تفتر الحرارة التي بدأت بها الطريق مع الله.

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ١٠٠ ـ ١٠٧

📖 {٢} لا تستخدم أسلوب التبريرات والأعذار:

📖 إن كنت تريد أن تحيا في حياة التوبة، فلا تحاول أن تقدم أعذاراً، أو تبريرات عن كل خطية تقع فيها. فالإعذار لا تتفق مع حياة التوبة، ولا مع حياة التواضع.

📖 فالتبريرات معناها أن الإنسان يخطئ، ولا يريد أن يتحمل مسئولية أخطائه. يخطئ ويقدم الموضوع كأنه طبيعي جداً، هناك أسباب دعت إليه! كأن لا خطأ في الأمر، مثل هذا الذي يجد لخطيته ما يبررها، كيف يمكن يتوب عنها؟! التبريرات هي محاولة لتغطية الخطية، وليست توبة عن الخطية، وبإيجاد مبرر للخطية، ما أسهل أن يستمر المخطئ فيها، وعذره معه!!

📖 إنسان يغطى الخطية بعذر، كما يغطيها غيره بأكذوبة. ويريد بهذا التبرير أن يخرج من الخطية سليما بلا عيب، بلا لوم، يلتف بثوب من المجد الباطل، بينما الخطية هي الخطية مهما كانت الأسباب المحيطة بها، أو الظروف المصاحبة لها. ألسنا في صلاة الثلاثة تقديسات نطلب حلا ومغفرة حتى عن الخطايا الخفية، والتي فعلناها بغير معرفة، أوب غير إرادتنا، ولا نعتبر كل هذه مبررات، صدق الذي قال إن الطريق جهنم مفروش بالأعذار والتبريرات والحجج.



📖 خطية المبررات قديمة بقدم البشرية، منذ أبوينا آدم وحواء:
📖 حاول آدم أن يبرر خطيته بأن المرأة أعطته، وحاولت حواء أن تبرر خطيتها بأن الحية أغرتها، ولكن الله ما قبل عذرا من آدم، ولا من حواء، ولا حتى وجد هذه الأعذار تستحق الرد أو المناقشة، بل على العكس عاقب آدم على العذر الذي قدمه، وقال له في مقدمة عقوبته "لأنك سمعت لقول امرأتك، وأكلت من الشجرة" {تك ٣: ٧}، وللأسف توارثنا نحن خطية التبرير هذه من آدم وحواء عبر الأجيال.
📖 بل أن قديسا عظيما مثل إبراهيم أبى الآباء، وقع في هذه الخطية عينها، لما قال عن سارة إنها أخته {تك ٢٠: ٢: ١١}. وبسبب هذا أخذها أبيمالك ملك جرار على بيته. وكان من الممكن أن يقترب إليها، لولا أن الرب منعه في حلم، وأنذره بالموت بسبب ذلك.
📖 فلما عاتب أبيمالك أبانا إبراهيم قائلا له: "بماذا أخطأت إليك، حتى جلبت على، وعلى مملكتي خطية عظيمة؟! أعمالا لا تعمل عملت بى!"، أجاب أبونا إبراهيم بمحاولة يبرر فيها مسلكه، وقال: "إنى قلت ليس في هذا المكان خوف الله البتة، فيقتلوني لأجل امرأتي" {تك ١٠: ١١}. وما أسهل الرد على هذا التبرير، الذي ألقى فيه المسئولية على غيره.

📖 لأنه يمكننا أن نقول: ولماذا أتيت يا أبانا إلى هذا المكان الذي لا يوجد فيه خوف الله؟ ولماذا أقمت فيه ولم تتركه مادام هو هكذا؟ وهل دخلت هذا المكان بإرشاد من الله الذي قال لك من بدء دعوتك "اذهب إلى الأرض التي أريك" {تك ١٢: ١}. وهل يجوز يا أبانا أن تضحى بامرأتك من أجل سلامتك، وتعرضها بهذا الخطر اقتراب رجل غريب إليها، وتعرض هذا الغريب لغضب الله؟! ولماذا تلجأ إلى هذه الطرق لحمايتك، دون اللجوء على معونة الله؟!
📖 ويبدو أن أبانا إبراهيم لما وجد التبرير، استمر وجعله سياسة ثابتة! وهكذا قال لزوجته في صراحة تامة "هذا هو معروفك الذي تصنعينه

إلى: في كل مكان نأتي إليه، قولي عنى هو اخذى" {تك ٢٠: ١٣}.

📖 وبهذا كان ممكنا في كل مكان يحلان فيه أن تتكرر نفس المشكلة، لأن إبراهيم وجد تبريرا لذلك {تك ٢٠: ١٢}، ولم يقل: هي زوجتي! يندر أن يقول إنسان "أنا أخطأت" مادام أسلوب التبرير ممكنا.

📖 وقد تكون الخطية واضحة جداً، لا تقبل النقاش، ومع ذلك لا مانع من ان تقدم عنها تبريرات وأعذراً مثال ذلك: صاحب الوزنة الواحدة الذي أخذها ودفنها في حفرة في الأرض، دون أن يتاجر بها ويربح كزميليه. هذا أيضاً لما حاسبه سيده لم يخجل من أن يقدم تبريرا وعذرا، ولكنه حسبما يقول المثل "عذرا أقبح من ذنب"

📖 فقال: "يا سيد، عرفت أنك إنسان قاس، تحصد من حيث لم تزرع وتجمع من حيث لم تبذر، فخفت ومضيت وأخفيت وزنتك في الأرض" {مت ٢٥: ٢٤، ٢٥}. وطبعا لم يقبل الرب هذا العذر منه، وأمر بطرحه في الظلمة الخارجية.

📖 **مخالفة يونان النبي للرب:**

📖 وكانت مخالفة واضحة، وأيضاً كان لها تبرير!

📖 هرب يونان من الرب، ورفض أن يذهب إلى نينوى حسب أمر الرب، بل ذهب بسفينة على ترشيش. ولما أرجعة الرب، وكرز لأهل نينوى وتابوا "غم ذلك يونان غما شديداً فاغتاظ "

📖 ومع ذلك قدم تبريرا لموقفة، ليثبت أنه على حق، فقال: "آه يا رب، أليس هذا كلامي إذ كنت بعد في أرضى. لذلك بادرت بالهرب إلى ترشيش، لأني علمت أنك إله رؤوف، ورحيم، بطيء الغضب، وكثير الرحمة ونادم على الشر. فالآن يا رب خذ نفسي منى، لأن موتى خير من حياتي" {يون ٤: ١ – ٣}. هذا هو العذر الذي قدمه النبي ليبرر به مخالفته للرب، وحزنه على خلاص ١٢٠ ألف نسمة!! من يقبل هذا الكلام؟! خطية واضحة أخري، وهي:

📖 **شاول الملك أصعد محرقة للرب، وهو ليس كاهنا:**

📖 ومع وضوح الخطية قدم لها تبريرات. فلما وبخه صموئيل النبي على ذلك، لم يقل "أخطأت"، ولم يقدم ندما وتوبة، إنما قدم أعذاراً وتبريرات! فقال للنبى: "لأني قد رأيت أن الشعب تفرق عنى، وأنت لم تأت، والفلسطينيون متجمعون في مخماس. فتجلدت، وأصعدت المحرقة" {١صم ١٣: ١١، ١٢}، وطبعا لم يقبل النبي منه هذه الأعذار، واسمعه عقوبة الله له، بأن مملكته لا تقوم، وأن الرب أختار رئيسا آخر للشعب بدلا منه.

📖 **وإيليا النبي الجبار، وجد له عذرا، لما خاف من إيزابيل وهرب!**

📖 وصله تهديدها {١صم ١٩: ٢}، فخاف وهرب! ولما سأله الله عن هروبه بقوله "مالك ههنا يا إيليا؟" وجد تبريرا، فقال مرتين "قتلوا أنبياءك بالسيف، وبقيت أنا وحدي. وهم يطلبون نفسي ليأخذوها" {١مل ١٩: ١٠ – ١٤}. وفى هذا التبرير، نسى كل أعمال الله العجيبة معه، وكيف قواه على مقابلة آخاب الملك وتوبيخه {١مل ١٨: ١٨}، كما قواه على قتل ٤٥٠ نبيا من أنبياء البعل {١مل ١٨: ٢٢، ٤٠}. فلم يكن هناك داع للخوف والهروب، مادامت يد الله معه.

📖 ولم يقبل الله طبعا هذا العذر من إيليا، وأمره بعدة مهام، منها أن يذهب ويمسح إليشع بن شافاط نبيا عوضا عنه" {١مل ١٩: ١}.

📖 أما عبارة "بقيت أنا وحدي" فرد الرب عليها بأنه أستبقى ٧٠٠٠ ركبة لم تجث للبعل {١مل ١٩: ١٨}، حقا، ما أكثر التبريرات، وكلها غير مقبولة. فما الهدف منها؟

📖 يريد الإنسان بهذه التبريرات، أن يكون بلا لوم أمام الناس، وربما أمام نفسه أيضاً، لكي يريح ضميره إذا احتج عليه.

📖 ولكن حتى لو قبل الناس هذه الأعذار، وحتى لو أستطاع الإنسان آن يخدع نفسه، ويخدر ضميره ليقبل هذه التبريرات، أترى الله

يقبلها؟! الله العالم بكل شيء، والذي رفض كل هذه الأمثلة التي أوردناها، الله الذي أمامه "يستد كل فم" {رو٣: ١٩}. إن التبريرات لا تصلح مع الله، إنما يصلح الخضوع والاعتراف بالخطية.

🕮 وهناك تبريرات أخري تبدو كلون من تدليل النفس:

🕮 مثال ذلك عذراء النشيد التي قرع الرب على بابها، وظل طول الليل هكذا، حتى امتلأ رأسه من البطل، وقصصه من ندى الليل، وهو يناديها بأرق الألفاظ. ومع ذلك اعتذرت عن أن تفتح له بقولها: "قد خلعت ثوبي فكيف ألبسه؟ قد غسلت رجلي فكيف أوسخهما" {نش ٥: ٢، ٣}. أترى قبل الرب منها هذا العذر؟! كلا، بل تحول وعبر، وجعلها تقاسى مرارة التخلي بقولها: "طلبته فما وجدته دعوته فما أجابني"

🕮 ومن أمثلة التبريرات غير المقبولة، الاعتذارات عن الخدمة:

🕮 موسى، الذي اعتذر عن الخدمة بقوله للرب: "لست أنا صاحب كلام، منذ أمس، ولا أول من أمس. بل أنا ثقيل الفم واللسان" {خر ٤: ١٠}. ولم يقبل الرب هذا العذر من موسى. وعالج له موضوع ثقل اللسان - وأميا أيضاً اعتذر عن الخدمة بقوله: "لا أعرف أن أتكلم لأني ولد" {أر ١: ٦}، ولم يقبل الرب منه هذا الاعتذار، بل وبخه قائلاً "لا تقل إني ولد، لأني إلى كل من أرسلك إليه تذهب، وتتكلم بكل ما آمرك به. لا تخف. لأني معك، أنقذك" {أر١: ٧، ٨}.

🕮 وهكذا لم يقبل الرب أيضاً اعتذار من قال له: "إئذن لي أن أمضى أولا وأدفن أبى" بل قال له: "اتبعني ودع الموتى يدفنون موتاهم" {مت ٨: ٢١، ٢٢}

🕮 ولكن ما أعجب الراعي الصغير، الذي يهجم السد على غنمه. فلا يعتذر عن حمايتها بضعفه أمام عنف الأسد. يشبه شيئا من هذا ما فعله داود الصغير {١صم ١٧}.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ١٠٨ - ١١٢

📖 {٣} تبريرات وأعذار واهية:

نرد عليها بأمثلة لقديسين رفضوا التبريرات

📖 متى يتخلص المخطئ من تبريره لعمله، كما تخلص داود النبي، الذي لما عد الشعب، لم يحاول أن يقدم لذلك تبريرا، بل ضربه قلبه وقال للرب: "لقد أخطأت جداً فيما فعلت. فالآن يا رب أزل إثم عبدك، لأني انحمقت جدا" {٢صم ٢٤: ١٠}.

📖 هكذا يتكلم الإنسان المتواضع التائب المعترف بخطيئته أمام الله. أما غير المتواضع وغير التائب، فإنه يحاول أن يجد تبريرا عند ارتكاب الخطية، وبعد ارتكابها أيضاً، وفى الحديث عنها بصفة عامة.

📖 ويؤسفني أن أقول إن توالى الأعذار والتبريرات عند مثل هذا الشخص تجعل المبادئ والقيم عنده تهتز، ومادام كل خطأ له ما يغطيه، إذن فلا توجد مثل يسير على منهاجها، أو روحيات يتمسك بها. وسنحاول هنا أن نذكر بعض الأعذار العامة التي يعتذر بها البعض، إذا لم يسلكوا حسنا في حياتهم.

📖 ١- يقولون كل الناس هكذا "لكل كده" هل نشذ عن المجتمع؟! وكأنهم بهذا يعتبرون أن الخطأ إذا صار عاما، لم يعد خطأ يلام عليه الفرد! كأن نقائص المجتمع كله لم تعد نقائص، أوصار الخطأ العام مبررا لخطأ الفرد!! كلا، فالخطأ هو خطأ، عاما كان أو خاصا. ومن اجل ذلك يقوم المصلحون الاجتماعيون بإصلاح أخطاء المجتمع، وكذلك يهاجمها الرعاة، والكهنة، والكتاب، وأصحاب المبادئ.

📖 **ثم لننظر إلى الكتاب المقدس. ونرى مدى الحكم على هذا العذر:**

📖 نوح أب الآباء، كان يعيش ببره في عصر كله فاسد، وبلغ من فساد الناس في تلك الأيام، أن الله أغرق العالم كله بالطوفان، إذ رأى "أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو

شرير كل يوم" {تك ٦: ٥}. "فمحا الله كل قائم كان على وجه الأرض" {تك ٧: ٢٣}.

📖 أكان هذا الفساد العام عذرا لنوح أن يسلك مثلهم هو أسرته، ويقول "كل الناس هكذا، هل نشذ عن المجتمع؟" أم هو سلك بكماله أمام الله والناس، وكان لابد أن يشذ عن هذا المجتمع الفاسد، وإن كانت عبارة "نشذ عن المجتمع" تتعبكم، فلنقل بتعبير أفضل "نتميز عن المجتمع"، وهذا التمايز قال عنه الكتاب: "لا تشاكلوا هذا الدهر" {رو١٢: ٢}، أي لا تصيروا شكله.

📖 **ونفس هذا الكلام نقوله أيضاً عن لوط في سدوم:**

📖 كانت المدينة كلها فاسدة، مما أدى إلى أن يحرقها الرب بالنار {تك ١٩}، ولم يوجد فيها عشرة فقط من الأبرار، حتى لا يهلك الله هذه المدينة من أجل العشرة {تك ١٨: ٣٢}، فهل كان هذا عذرا يسمح للوط أن يسلك مثلهم، حتى لا {يشذ} عن المجتمع! وهل في ذلك يتبع المثل القائل "إن كنت في بلد بعيد فيه العجل، حش وارمى له"!

📖 كلا، بل يحتفظ الأبرار بمبادئهم السامية، مهما كان الخطأ عاما وعلى العكس يمكن أن يقال: إن كان الخطأ منتشراً فهذا يحتاج إلى حرص أكثر، سدوم خلص منها ثلاثة فقط: لوط وابنتاه وهلك الجميع.

📖 **مثال آخر، هو يوسف الصديق في أرض مصر:**

📖 لعله كان الوحيد في أرض مصر الذي يعبد الله، بينما كان الكل يعبدون الديانات المصرية القديمة: رع، وآمون، وإيزيس، وأوزوريس، وبتاح ... إلخ ولم يسمح يوسف لنفسه أن يجارى المجتمع.

📖 **وهكذا كان دانيال أيضاً والثلاثة فتية في أرض السبى:**

📖 حتى في طعامهم كانوا مميزين، مع أنهم كانوا أسرى حرب،

مستعبدين وتحت قوانين ملزمه، وما أجمل قول الكتاب في ذلك: "وأما دانيال فجعل في قلبه إلا يتنجس بأطايب الملك، ولا بخمر مشروبه" {دا ١: ٨}. هكذا أنت، عش بروحياتك السليمة، حتى لو عشت بها وحدك.

📖 إن لم تستطع أن تؤثر المجتمع بروحياتك، فعلى الأقل لا تندمج فيه وتخضع له. ولا تجعل الأخطاء العامة تؤثر عليك.

📖 المفروض في أولاد الله أنهم يطيعون ضمائرهم، ولا ينجرفون مع التيار، معتذرين بان الجو العام هكذا، إن القلب الضعيف هو الذي يسقط ويحتمى وراء الأعذار. وكذلك محبو الخطية، والذين يعرجون بين الفرقتين {١مل ١٨: ٢١}، أما القلب الذي يحب الله فهو قوى مهما وجد من صعوبات في طريق التوبة، يحاول أن ينتصر عليها. لماذا إذن تأخذ موقفا ضعيفا أمام الذين يعيرونك بتدينك؟

📖 أولئك الذين يسخرون بالأسلوب الروحي، محاولين بسخريتهم أن يضعفوا معنوياتك، ويجذبوك إلى طرقهم، ويفقدوك ثمار توبتك!! فإن كنت تائبا حقا، لا تجعلهم سبب نكسة لك، فإما أن تكون قويا في إقناعك، وتثبت لهم سمو حياة الروح، وإما أن تصمت وتظل ثابتا طريقك الروحي، دون أن ترتد.

📖 **هنا ونتحدث عن سبب آخر يعتذر به البعض، وهو العوائق:**

📖 **٢-** البعض يعتذر بالعوائق. بينما يليق بالأقوياء أن ينتصروا على العوائق، وسنقدم اللص اليمين كمثال رائع، ورفض العوائق كمبرر.

📖 ما أكثر العوائق التي كانت تقف أمام إيمان هذا اللص، حتى أنه لوكان لم يؤمن – كزميله – لكان له عذره بل أعذاره.

📖 بمن يؤمن؟ إنه لم ير المسيح في قوته، وتجليه، ومعجزاته.

📖 والذين رأوا الكثير من معجزات المسيح الباهرة ضعفوا في ذلك الحين، وواحد من أبرز تلاميذ أنكر. وفى أذني اللص كانت تدوي أصوات الجماهير "أصلبه - أصلبه".

📖 فهل يؤمن اللص بشخص يراه مصلوبا أمامه، في ضعف، والدم ينزف منه، وألفاظ الاستهزاء والتعيير والتحدي تحيط به من كل جانب، وهو صامت. والكهنة ورؤساء الكهنة ضده، وشيوخ الشعب ضده، والقادة ومعلمو الشريعة ضده، والحكام ضده، وحتى اللص الآخر المصلوب إلى جواره يسخر به أيضاً.

📖 الذين حملوا المفلوج هم مثال آخر على تخطى العوائق {مر ٢: ١ – ١١}. ما كان أسهل على هؤلاء أن يعتذروا للمفلوج بأنهم لا يستطيعون مساعدته وتوصيله إلى المسيح. فالبيت الذي يوجد فيه مملوء بالشعب، والزحام شديد جدا، والطرق كلها مسدودة، ولا يوجد أي منفذ أو أي مدخل، ولا توجد أية طريقة للوصول إلى المسيح.

📖 أما هم، فلم يعترفوا بكل تلك العوائق، لأن محبة الخير التي فيهم كانت أقوى من العوائق. فحملوا المفلوج على محفة، وثقبوا سقف البيت، وأنزلوا مريضهم إلى الرب ليشفيه، ما أعظم هذه النية الخيرة، وهذه الإرادة القوية، وعلى رأى المثل "حيثما توجد إرادة وتجد وسيلة".

📖 أيضاً: "القلب القوى يجد مائة وسيلة للشيء الذي يريد أن يفعله"

📖 وأيضاً قال الآباء "إن الفضيلة تريدها لا غير" يكفي أن تريد، وحينئذ تجد النعمة تفتح أمامك أبوابا كانت مغلقة، وروح الله القدوس يقويك، وأرواح الملائكة، والقديسين تحيط بك، لا تعتذر إذن بالعوائق، إنما فكر جيدا كيف تنتصر عليها.

📖 زكا العشار أيضاً، كانت أمامه عوائق في الوصول إلى المسيح: بل حتى مجرد رؤية المسيح كانت غير ممكنة بالنسبة إليه: الزحام شديد جدا، وكان هو قصير القامة. وأيضاً كان رئيسا للعشارين، أي إنسانا مكروها من الكل بعيدا عن الروحيات، يسخرون إن طلب اللقاء بالمسيح. ففكر أن يصعد على جميزة ليراه.

📖 وكان أمام هذا عائق آخر هو مركزه الكبير. ولكنه انتصر على هذا كله. لذلك استحق أن يكلمه الرب ويقول لـه: "ينبغـي أن أمكـث اليـوم في بيتك" {لو١٩: ٥}، حقا إنه لوكان الـدافع الـداخلي ضـعيفا فـي قلـب زكا، لوجد تبريرا من العوائق التي أمامه، وما وصل إلى المسيح.

📖 فهل أنت دوافعك الداخلية ضعيفة لذلك تعتذر بالعوائق؟!

📖 هوذا امامنا مثل حدث في عصر الاستشهاد: شاب لم تنفع معـه كل طريـق التعـذيب. فـأرادوا إسـقاطه بإغرائـه مـن جهـة عفتـه. ففشـل الإغراء فربطوه إلى فراش، لتأتى امرأة وتخطى معه. فلما رأى هذا الشاب أنه لا حيلة للتخلص، جز على لسانه، حتى سـال دمـه وبصـقه في وجهها، فاشمأزت وتركته، وأنقذ الشاب عفته.

📖 لوكان ضعيفا من الداخل، لوجد تبريرا للسقوط. ولكن قوته الداخلية جعلتـه ينتصـر، ولا يعتـرف بـالعوائق ولا التبريـرات. وهـذا يجعلنـا ننتقل إلى الحديث عن عذر آخر يقدمونه:

📖 **٣-** يعتـذر الـبعض بشـدة الضـغوط الخارجيـة، أو شـدة الإغـراء الخارجي: عن القلب الثابت في الداخل، لا يمكن أن يخضع للضـغوط الخارجية، ولا يسقط بسببها، ولا يتخذها تبريرا لسقوطه. إنمـا يبـرر موقفه بالضغوط الخارجية، الشخص الذي محبتـه ثابتـة مـن نحـو الله ومن نحو الوصية، أوفي قلبه خيانة في الداخل، وليس هو مخلصـا لله بالحقيقة، ولا مخلصا لوصاياه!

📖 خذوا يوسـف الصـديق كمثـال رائـع فـي الانتصـار علـى الضـغوط الخارجية: لا شك أن الضغط الخـارجي كـان شـديدا عليـه جدا. كـان عبدا مستعبدا لامرأة. والمرأة هي التي تطلب منه الخطيـة، وتلـح فـي ذلك، وهو يرفض. وتلح أيضاً. وهو تحت سلطانها، تستطيع أن تسـئ على سمعته، وأن ترميه في السجن كما فعلت أخيراً. ولوكـان ضـعيفا من الداخل، لوجد ما يبرز سقوطه! ولكنه قال: "كيف أفعل هـذا الشـر

العظيم وأخطئ إلى الله" {تك ٣٩: ٩}، واحتمل من أجل بره.

📖 إن القلب النقي الثابت في بره، لا يعترف بالمبررات، ولا يخضع للإغراء الخارجي. مثال ذلك قصة داود مع شاول الملك: حاول شاول مراراً عديدة أن يقتل داود بلا ذنب، وطارده من برية إلى أخري. وأخيرا وقع في يد داود. رآه نائما في كهف. وقال رجال داود له "هوذا اليوم الذي قال لك عنه الرب هاأنذا أدفع عدوك ليدك، فتفعل به ما يحسن في عينينك" {١صم ٢٤: ٤}.

📖 وكان الإغراء شديداً، يتخلص به من عدو، ومن الموت الذي يتهدده، ويتولى الملك بدلا منه، ولكن داود رفض هذا الإغراء وقال: "حاشا لي من قبل الرب أن أعمل هذا الأمر بسيدي مسيح الرب، فأمد يدي إليه، لأنه مسيح الرب هو"، ووبخ داود رجاله {١صم ٢٤: ٦، ٧}. وكانت هناك تبريرات كثيرة: من قال إنه مسيح للرب؟ لقد أعلن الرب رفضه له {١صم ١٦: ١}، كذلك كان روح الرب قد فارقه، وبغته روح رديء من قبل الرب" {١صم ١٦: ١٤}، وكان داود يعرف هذا، لأنه هو الذي كان يضرب له على العود، فيرتاح ويذهب عنه الروح الرديء {١صم ١٦: ٢٣}.

📖 هذا إذن إنسان خاطئ ومرفوض، فإن تخلصت منه تكون قد خلصت الشعب من شره، كلا. إنه مسيح الرب هو، وأنت يا داود، أنت هو مسيح الرب الحقيقي. مسحك صموئيل النبي ملكاً، وحل عليك روح الرب {١صم ١٦: ١٢، ١٣}، فأصبحت أنت البديل الرسمي لذلك الشرير، ولو أخذت الملك لا تكون قد اغتصبته فهو حقك. والشعب كله سيفرح بك، كما أن الله هو الذي دفعه إلى يدك. وتذكر أن هناك حربا بينك وبينه، وهو يريد قتلك، فإن قتلته تكون طبيعة الحرب.

📖 ولكن داود لم يقبل شيئا من هذه التبريرات جميعها، وقال: "كيف أمد يدي إلى مسيح الرب؟!"، ليكن خاطئا وشريراً، وليكن مرفوضاً،

وليكن عدوا لي، ليكن ما يكون، ولكنه مسيح الرب هو، لا أمد يدي إليه. إنها صورة مثالية للقلب النقي، الذي يرفض التبريرات والإغراءات. تنتقل إلى نقطة أخري في مشكلة الأعذار:

📖 **٤- يعتذر البعض فيقول أنا ضعيف، والوصية صعبة:**

📖 قد تقول إنك ضعيف، إن لم تضع معونة الله في اعتبارك. فأنت لست وحدك. قد تكون ضعيفاً، ومع ذلك تقول: "أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني" {في٤: ٣}. طالما صلاتك موجودة فأنت لست ضعيفاً، لأن قوة الله ستعمل فيك، تنصرك ضد كل خطية، وتقيمك من كل سقطة.

📖 لوكان داود نظر إلى نفسه كضعيف، ما حارب جليات. هذا الشعور بالضعف، كان مبرراً لكل رجال الجيش أن يبقوا في أماكنهم يقوموا لمحاربة جليات. أما داود، فلم يكن يسمح للمبررات أن تحميه من وصية الله، وعمل الروح. كانت هناك مبررات أمام داود تعفيه من منازلة جليات لكنه لم يستخدمها:

📖 **أولاً:** هو ليس من رجال الجيش، إنما جاء طعاماً لأخوته، وكان يمكن أن يقتصر على هذه المهمة ويمضي، طالباً لهم صالح الدعوات.

📖 **ثانياً:** كان جليات رجلاً مخيفاً في جسمه الهائل، وأسلحته الجبارة. ولا يلوم أحد صبياً صغيراً مثل داود إن امتنع عن محاربته.

📖 **ثالثاً:** إن أحداً لم يطلب منه هذا الأمر، أو حتى يفكر فيه!

📖 **رابعاً:** كان كل قادة الجيش خائفين من الرجل، حتى الملك شاول نفسه لم يتقدم لمحاربته.

📖 فما كان أسهل على داود أن يعتمد على هذه المبررات، ويقول "ما شأني بهذا الأمر. ولماذا أحشر نفسي في مسئوليات غيري؟! ويمضي. ولكن غيره داود دفعته أن يتقدم لمقاتلة جليات، ويخلص الشعب منه.

📖 الأعذار موجودة، ولكن رفض استخدامها، والاحتماء بها. وصعوبة العمل يشهد بها الكل، ولكنه انتصر عليها بالإيمان.

📖 لقد عاقب الرب الذين أضعفوا معنويات الشعب بالحديث عن المصاعب. أولئك الذين رأوا الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً، ولكنهم قالوا "غير أن الشعب معتز، والمدن حصينة. لا نقدر أن نصعد إلى الشعب لأنهم أشد منا. وقد رأينا هناك الجبابرة بنى عناق. فكنا في أعيننا كالجراد، وهكذا كنا في أعينهم " {عد١٣: ٢٧ – ٣٣}.

📖 وبهذا الحديث الذي يحطم الروح المعنوية "رفعت كل الجماعة صوتها وصرخت. وبكى الشعب تلك الليلة وتذمر" {عد١٤: ١}. ورفض الرب أولئك الذين صعبوا الأمر وشرحوا استحالة تنفيذه.

📖 لذلك لا تقل عن وصية الرب إنها صعبة. لأنها لو كانت صعبة ما أمر الرب بها. كيف يأمر بما لا يمكن تنفيذه؟!

📖 إن الله لا يمكن أن يأمرنا بالمستحيل. إنه يعطي الوصية – مهما كانت تبدو صعبة – وفى نفس الوقت يعطي القدرة على تنفيذها.

📖 يعطي القدرة على تنفيذها. يعطي الوصية، ويعطي معها النعمة. والروح القدس يعمل داخل القلب لكي يؤهله للعمل، بل ويشترك في العمل معه. وإلا ما كان أحد يقدر أن ينتصر على إبليس الذي هو مثل أسد يزار يجول ملتمساً من يبتلعه هو {١بط٥: ٨}.

📖 **إن إبراهيم أبا الآباء لم يمتنع عن تنفيذ وصية صعبة جداً:**

📖 قال له الرب: "خذ ابنك، وحيدك، الذي تحبه، إسحق. وأصعده محرقة" {تك٢٢: ٢}. ولم يعتذر أبونا إبراهيم بصعوبة الوصية، وبأنها

فوق مستوي الطبيعة، وبأن هذا ابن المواعيد، وابن شيخوخته، وماذا يقول لأمه. بل بكر صباحاً، وذهب لينفذ وصية الله.

📖 الله الذي أعطي إبراهيم القوة على التنفيذ، هو أيضاً قادر أن يعطيك قوة، الذي جعل أرميا الصغير مدينة حصينة، وأسوار نحاس على كل الأرض {أر١: ٨} هو قادر أن يقويك مثله.

📖 في طريق التوبة، لا تخف من خطية، ولا من عادة، أو طبع، ولا من شيطان، بل قل "أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني". ولا تجعل هذا الخوف مبرراً لك في ترك العمل الروحي

.

📖 أبونا إبراهيم طلب الله منه ابنه الوحيد ليذبحه، فلم يبخل به عليه، ولم يقل الوصية صعبه. ولم يحاول أن يوجد مبررات ليمتنع. وأنت، ما هو الشيء الصعب الذي يطلبه الرب منك ولا تستطيعه؟! هل هو يطلب منك أن تذبح ابنك الوحيد، أم المطلوب منك بسيط جداً؟!

📖 طوباهم أولئك الجبابرة الذين انتصروا على قلوبهم من الداخل، يعتذروا بصعوبة الوصية كما نفعل نحن في تبرير أنفسنا. حقاً إن ملكوت السماوات يحتاج إلى قلوب كالصخر، لا تلين أمام العوائق، ولا تضعف أمام الصعاب. وتنفيذ وصية الكتاب في قوله: "تشدد، وكن رجلاً" {١مل٢: ٢}. هنا تظهر الرجولة الحقة، في حياة النقاوة.

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ١١٣ ـ ١٢٠

📖 {٤} الذين لا يريدون ينتحلون المبررات:

📖 عند البعض، مادام العذر موجودا ويمكنهم تقديمه، حينئذ تصير الخطية سهلة، والتقصير سهلا. دون مراعاة لمشاعر الرب الذي يتحولون عن محبته، ودون أمانة للوصية، أو التزام بها. وأثناء الاعتذار، يخادع الإنسان نفسه، ويكون ضمير مخلخلا غير ثابت.

📖 وباب الاعتذار واسع، قد يدخل فيه الصدق والكذب:

📖 أي قد تكون الأعذار غير حقيقية، أومن السهل الانتصار عليها، وليست عائقا حقيقا له قوة المنع التي تغلب الإرادة. وقد تكون الأعذار فرصة للتهاون، أو المحبة الخطية. أوقد تكون ستارا للكبرياء التي ترفض الاعتراف بالخطأ.

📖 وقد تكون سببا ثانويا وليست هي السبب الحقيقي. وعلى العموم فالتبريرات والأعذار دليل على عدم التوبة. العجيب أن الإنسان غير التائب، على الرغم من أخطائه، نفسه جميلة في عينيه، يناقش من أجلها ويجادل! كل شيء يعمله، له في نظره أسبابه وحكمته. وكل خطية لها تبريرها، وكل تقصير في أعمال الفضيلة، له أيضاً تبرير. ولا يوجد خطأ في أي تصرف يتصرفه!

📖 يتكلم كما لوكان معصوما لا يخطئ. يدافع ويبرر. من الصعب أن تخرج من فمه كلمة "أخطأت"! وإن شددت عليه الخناق، فأقصى ما يقوله هو: "آه هذا العمل، من الجائز أن البعض يفهمونه على غير المقصود منه! ولكنى أقصد"، وتتوالى سلسة أخري من التبريرات. كأنه إله لا يخطئ!! "الم أقل إنكم آلهة" {مز٨٢: ٧}،

📖 هؤلاء {الآلهة} الذين لا يخطئون، لا يمكن أن يتوبوا! عن أي شيء يتوبون؟ حقا لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب، هؤلاء لا يحتاجون إلى المسيح الغافر، والمخلص! فأي شيء تراد سيغفر لهم، أو يخلصهم منه! حتى الذين يقصرون في كل الواجبات الروحية من صلاة، وصوم، وحضور الكنيسة، والتناول، يجدون أيضاً مبررات لتقصيرهم، وكأنهم لم يخطئوا.

📖 تسأل أحدهم لماذا لا تصلى؟ ولماذا تذهب إلى الكنيسة؟ فلا يقول لك مطلقا: "أنا مقصر" أو: "أنا مخطئ"، إنما يبرر تقصيره بانه ليس لديه وقت، وإن ناقشته في ذلك يضع أمامك قائمة طويلة من المشغوليات، فإن سألته "ولماذا لا يكون الرب ضمن مشغولياتك؟" ولماذا لا تحسب الصلاة أمرا هاما تحجز له مكانا في تنظيمك

لوقتك؟ حينئذ يدخلك في تبرير آخر في محاولة لفلسفة الخطأ، فيقول: المهم في القلب، ومادام قلبي نقيا، لا حاجة إذن إلى الصلاة! فإن الله هو إله القلوب.

📖 وطبعا الرد واضح. فالقلب النقي لا يغنى عن الصلاة، بل يساعد عليها القلب النقي فيه محبة الله، والذي يحب الله يتكلم معه، ويصلى.

📖 والإنسان الروحي يجمع بين الأمرين: نقاوة القلب، والصلاة، وكما قال الكتاب: "افعلوا هذه، ولا تتركوا تلك" نقاوة القلب لازمة للصلاة، فالصلاة التي تخرج من قلب نقى هي المقبولة أمام الله.

📖 كذلك يبدو أن الذي يرد بهذه العبارة لا يفهم معنى عبارة "نقاوة القلب"، فإن كان القلب نقيا، لا يمكن أن يقول إنه لا حاجة به إلى الصلاة، فالذي لا يحتاج إلى صلاة، ليست له نقاوة القلب.

📖 وقد تسأل آخر: لماذا لا تصوم؟ فيقول لك: وهل الذين يصومون كلهم قديسون: فلان يصوم ويفعل كذا، وفلان يصوم ويفعل كذا، فإن قلت له: وما شأنك بهؤلاء؟ إن الله سوف لا يسألك عنهم، وإنما سيسألك عن نفسك، حينئذ يرجع إلى نفس التبرير، بفلسفة الموضوع ويقول: الحياة مع الله ليست بالأكل والشرب، والمهم في نقاوة القلب!! كما لوكان الصوم لا يساعد على نقاوة القلب!!

📖 وعبثا تحدث مثل هذا عن روحانية الصوم وفائدته، وأن من يسلك فيه بطريقة روحية ينمو في حياة الروح، وأن الله أمر بالصوم لفائدته، والأنبياء كانوا يصومون مع نقاوة قلوبهم، والسيد المسيح نفسه صام. وهنا لا تجد منطقا، إنما هي تبريرات لمجرد التخلص من المسئولية.

📖 وقد يعتذر آخر بعدم وجود مرشدين روحيين، ولا قدوات صالحة. ويبدو أن هذا الاعتذار أيضاً مبالغ فيه. فالذي يحتاج إلى إرشاد لا بد سيجده. وإن لم يجد مرشدين أمامه الكتب تملأ الدنيا، وفيها كل شيء، وأمامه الصلاة يطلب من الرب فيرشده، ومعه الضمير، ومعه

الكتاب المقدس.

📖 إن القديس الأنبا أنطونيوس، الذي عاش وحده في البرية، ولم يكن هناك راهب قبله ليرشده، لم يعتذر بعدم وجود مرشدين، بل شق الطريق وحده، وبنعمة الله وصل، وأرشد غيره.
📖 أما القدوات الصالحة فهى كثيرة. على الأقل لا تطلب كل الصفات المثالية من شخص واحد، إنما خذ من كل إنسان فاضل قدوة في نقطة معينة. وهناك أيضاً سير القديسين والأبرار الذين انتقلوا، وخلاصة القول إن الذي يريد أن يصل إلى الله، لن يعدم الوسيلة. ويبقى السؤال الوحيد هو: هل تريد؟
📖 جميل من السيد المسيح أنه كان يسأل بعض المرضى الذين يأتون إليه طالبين الشفاء، بعبارته الخالدة العميقة: "أتريد أن تبرأ" {يو٥: ٢٦}، نعم، إن كنت تريد، فإن الله مستعد أن يعمل معك ويقويك، وهو الذي يغسلك فتبيض أكثر من الثلج، وهو الذي يطهرك من كل خطية، ويطهرك من كل دنس الجسد والروح، ولكن المهم أن تريد. أما إن كنت لا تريد، فلا داعي للتبريرات. كن صريحا مع نفسك.
كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ١٢١ ـ ١٢٢

📖 {٣} لا تؤجل التوبة، ولا تضيع الفرضة:

📖 فرص للتوبة ضيعها البعض: من مراحم الله على الخطاة، أنه يقدم لكل خاطئ فرصا كثيرة لكي يتوب، تزوره فيها النعمة وتعمل في قلبه. ونتيجة لعمل الله داخله، يجد قلبه قد التهب برغبة مقدسة في التوبة، والرجوع إلى الله.
📖 ربما يكون قد تأثر بعظة، أو بكتاب، أو باجتماع روحي، أو بقدوة صالحة، أو أن حادثة موت، أو مرض هزته من الداخل، أو مناسبة معينة رأى أنه يجب عليه استغلالها.
📖 والحكيم هو الذي يستغل تلك التأثرات، ولا يدع الفرصة تفلت منه،

مثلما حدث مع الابن الضال، الذي حينما ذراته النعمة، وأثرت في قلبه وفكره، قال "اقوم الآن" وقام وذهب إلى أبيه، وقدم توبة.

📖 أما الجاهل فيجعل الفرصة تعبر دون ان يستفيد منها. ثم يبحث عنها فلا يجدها. وفى ذلك، ما أخطر العبارة التي قيلت عن عيسو إنه: "لم يجد للتوبة مكاناً، مع أنه طلبها بدموع" {عب ١٢: ١٧}.

📖 كان قد جاء إلى أبية متأخرا، بعد أن تحولت البركة إلى يعقوب، وأصبح هو المختار الذي بنسله تتبارك جميع قبائل الأرض، وبكى عيسو "وصرخ صرخة عظيمة ومرة" {تك ٢٧: ٣٤، ٣٨}، ولكن بعد فوات الوقت، بعد أن صار البكاء لا يفيد شيئا.

📖 **أنظر إلى عذراء النشيد، ماذا حدث لها. وخذ درسا:**

📖 كانت نائمة، كأي خاطئ، ولكن قلبها كان مستيقظا لنداء الرب. وسمعت صوته يناديها "إفتحي لي"، ولكنها تباطأت، والتمست الأعذار، ثم قامت أخيراً لتفتح، ولكن بعد فوات الفرصة، بعد أن كان حبيبها قد تحول وعبر، وإذا بها تصرخ وتقول "خرجت نفسي عندما أدبر. طلبته فما وجدته، دعوته فما أجابني" {نش ٥: ٦}. وتعرضت المسكينة لآلام كثيرة، غير أن الرب من أجل محبتها منحها فرصة أخري. أما بالنسبة إليك:

📖 وربما تضيع منك هذه الفرصة، ولا تجد فرصة أخري فهكذا حدث لفليكس الوالي، وللملك أغريباس، كل منهما جاءته الفرصة ن حينما وقف بولس الرسول يترافع أمامه، ومن جهة فليكس، يقول الكتاب إنه" بينما كان {بولس} يتكلم عن البر والتعفف والدينونة العتيدة أن تكون، ارتعب فيلكس" {أع ٢٤: ٢٥}.

📖 عملت النعمة في قلبه، وحركته إلى الإيمان والتوبة، ولكنه لم يستغل الفرصة، ورأى أن يؤجلها إلى مناسبة أخري، فقال للقديس بولس "اذهب الآن، ومتى حصل لي وقت أستدعيك" {أع ٢٤: ٢٦}.

📖 وللأسف الشديد، لم يقل سفر أعمال الرسل أن فليكس حصل على وقت واستدعى بولس، وهكذا ضاعت منه فرصة العمر كله. وهكذا أغريباس الملك أيضاً، تحدث أمامه القديس بولس العظيم، بكل ما فيه من عمق وإقناع، وبكل ما فيه من عمل الروح. فتأثر أغريباس جداً، وعملت النعمة في قلبه، وقال لبولس "بقليل تقنعني أن صير مسيحيا" {أع ٢٦: ٢٨}.

📖 ولكن المسكين لم ينتهز الفرصة، وقام من منصة القضاء ومضى، ومضت معه التوبة والإيمان، وضاعت الفرصة، ولم يقل الكتاب شيئا بعد ذلك عن أغريباس، وبينما كان بينه وبين الله هذا القليل.

📖 ليته فعل، مثل الخصى الحبشي، الذي انتهز الفرصة، ونال الخلاص. هذا الخصى دبرت نعمة الله أن يقابله فيلبس في الطريق، ويشرح له ما كان يقرأه من سفر إشعياء. وتأثر الرجل، وعمل الله في قلبه، فآمن، ولم يترك الفرصة تفلت فقال لفيلبس: "هوذا ماء ماذا يمنع أن أعتمد" {أع ٨: ٣٦}. وفى الحال نزلا إلى الماء، وتعمد "وذهب في طريقة فرحاً" إنه من الأمثلة الرائعة لانتهاز الفرصة.

📖 وأنت يا أخي كم فيلبس أرسله الله في طريقك، وتأثرت به، ولكنك جعلت الفرصة تفلت من يدك، ولم تستفد منها. لذلك لا تؤجل التوبة، فكثيرون من الذين أجلوا التوبة، لم يتوبوا على الإطلاق، وضاعت حياتهم.

📖 انظر إلى اليهود، كم من مرة رفضوا الرب، وساروا وراء آلهة أخري، وكم كان الرب يرسل إليهم الأنبياء والرسل، لكي يجذبهم إليه، وكانوا يضيعون هذه الفرص كلها، حتى ألقاهم الرب في يدي أعدائهم، ورفض صلواتهم وذبائحهم وقال لهم: "حين تبسطون أيديكم أستر وجهي عنكم. وإن أكثرتم الصلاة لا أسمع" {أش ١: ١٥}.

📖 وأيضاً قال لأرميا النبي: "وأنت فلا تصل لأجل هذا الشعب، ولا ترفع لأجلهم دعاء، ولا صلاة، ولا تلح على، لأني لا أسمعك" {أر ٧:

١٦}. فهل تريد بتوالي التأجيل أن تصل إلى هذا الوضع؟!

📖 إن توالى تأجيل التوبة، قد يعنى رفض التوبة، وهذا هو الذي حدث لفرعون حتى هلك: كم مرة قال فرعون لموسى وهرون: "خطأت صليا لجلى"، ومع ذلك لم يتب. أنظروا إلى قوله بعد ضربة البرد، والرعود" أخطأت هذه المرة، الرب هو البار، وأنا وشعبي الأشرار صليا، وكفى حدوث رعود الله البرد فأطلقكم" {خر ٩: ٢٧، ٢٨}. ومع ذلك لم يتب فرعون، ولم يفي بوعوده، والجأ إلى التأجيل.

📖 وها هو بعد ضربة الجراد يقول لموسى وهرون: "أخطأت إلى الرب إلهكما وإليكما. والآن اصفحا عن خطيتي هذه المرة فقط. وصليا إلى الرب إلهكما، ليرفع عنى هذا الموت" {خر ١٠: ١٦، ١٧}. ورفع الرب عنه هذه الضربة، كما رفع غيرها، ولم يتب.

📖 كانت ألفاظ التوبة على فمه. ولم تكن التوبة في قلبه: كان يصرخ خوفا، وليس اقتناعاً. وكان يعد بالتوبة ولا يوفى. وظل يؤجل وعوده للرب يوما بعد يوم، وضربة بعد ضربة، إلى أن أدركه الغضب الإلهي، وغرق في البحر الأحمر وهلك، وكان تأجيل التوبة بالنسبة إليه، هو رفض عملي للتوبة.

📖 إنها فرص عرضها الرب عليه، بالضربات العشر. وكان يتأثر بها، ويوقن أنه لا بد أن يتوب، ولكنه لم يستغل هذه الفرص لخلاص نفسه، وكانت محبة العالم في قلبه، أكثر من محبة التوبة، فهلك.

📖 ومن أمثلة الذين ضيعوا فرص التوبة، الكرامون الأردياء {مت ٢١}. أولئك الذين كم من مرة يرسل لهم صاحب الكرم عبيده، فلا يستجيبون، ولا يرجعون عن شرهم. وأخيرا أرسل إليهم إبنه، وكانت فرصة للتوبة، فلم يتوبوا. فماذا حدث؟ لقد قال لهم أخيراً "ملكوت الله ينزع منكم، ويعطى لأمة تعمل أثماره" {مت ٢١: ٤٣}.

📖 **لنأخذ شمشون الجبار مثالا لتأجيل التوبة:**

📖 كان قد بدأ بداية طيبة، إذ حل عليه روح الرب، ثم بدأت خطيئته حينما تعرف بدليلة، وأسلمها قيادته، وخضع لمشورتها، وقد خدعته هذه المرأة أكثر من مرة، وسلمته لأعدائه، وكان يعرف هذا ومع ذلك لم يتب {قض ١٦}، واستمر فيما هو فيه.

📖 وأخيرا كسر نذره، وأخذه أعداؤه وقلعوا عينيه، وأوثقوه بسلاسل، وكان يطحن في بيت السجن {قض ١٦: ٢١}، هكذا فعلت به الخطية، وتأجيل التوبة. وإن كان الله قد أعطاه فرصة أخري يوم وفاته، كرجل من رجال الإيمان {عب ١١: ٢٢، ٢٣}.

📖 إن التباطؤ في التوبة قد يهلك الإنسان، كما حدث لعاخان بن كرمى، هذا أخذ من المال الحرام وخبأه، وانهزم الشعب بسبب خطيئته، أمام قرية صغيرة هي عاي، فلم يتحرك ضميره ويعترف بالخطأ. وقال الرب: "في وسطك حرام يا إسرائيل"

📖 وأعلن يشوع هذه الحقيقة، ولم يتحرك عاخان. ثم بدأ يشوع يلقى القرعة ليعرف من هو المتسبب في غضب الله. ولم يتقدم عاخان ليعترف. ووقعت القرعة على سبطه يهوذا، وعلى عشيرته {الزارحيين}. وكل ذلك وعاخان لا يتقدم ليعترف إلى أن أشار الله إليه بالإسم. فاعترف ما فعله، بعد فوات فرصة التوبة، اعترف كمن كشفه الرب، وليس كمن يكشف نفسه وأخذوه فرجموه {يش ٧: ٢٥}.

📖 **لذلك حسنا أن الملاكين لم يسمحا للوط بأن يتباطأ:**

📖 حدث ذلك حينما أراد الله أن يحرق سدوم. يقول الكتاب: "وكان الملاكان يعجلان لوطا" ولما توانى، أمسكا بيده، وبيد امرأته، وبيد ابنتيه، وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة. وقالا له: "اهرب لحياتك" {تك ١٩: ١٥ – ١٧}. كان لابد أن يبتعد لوط بسرعة عن مكان الشر، حتى لا يهلك. هناك أمور خطيرة تلزم معها السرعة، ومنها التوبة، لا يصلح لها التباطؤ، ولا يصلح التأجيل.

📖 إن العذارى الجاهلات، جئن متأخرات، بعد أن أغلق الباب. لذلك

خسران الملكوت، ووقفن أمام الباب المغلق، يقلن في أسى، أوفى يأس "يا سيد افتح لن " فلم يسمعن سوى تلك العبارة المخيفة "الحق أقول لكن إني لا أعرفكن" {مت ٢٥: ١٢}، لقد جئن، ولكن بعد فوات الفرصة، بعد أن أغلق الباب.

📖 حقا ما أخطر، وما أعمق تلك العبارة التي قالها الرب في سفر الرؤيا عن الخاطئة إيزابيل: "وأعطيتها زمانا لكي تتوب عن زناها، ولم تتب" {رؤ ٢: ٢١}. وعبارة "أعطيتها زمانا" هذه يقف القلب أمامها بخشوع ويصمت، وإذ لم تتب هذه الخاطئة في الزمان الذي أعطاها الرب إياه، فإن الرب شرح ما سوف يوقعه بها من ضربات، وقال في ذلك أيضاً، إنه: "سيعطى كل واحد بحسب أعماله" {رؤ٢: ٢٣}. إن الله بطول أناته، أعطى زمانا لهذه الخاطئة لكي تتوب فيه.

📖 **فلا يجوز أن يؤجل الإنسان توبته، مستهينا بطول أناة الله:**

📖 هوذا الرسول يوبخ على ذلك قائلا: "أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله، وطول أناته، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة" {رو٢: ٤}، ويرى الرسول أن مثل هذا الإنسان يدل على أن في قلبه قسوة، وعلى أنه غير تائب، ويذخر لنفسه غضبا في يوم الغضب {رو٢: ٥}.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ١٢٣ - ١٢٨

📖 {٦} أمثلة لم تؤجل:

📖 يعجبني في داود النبي أنه كان سريع التوبة:

📖 كان إنسانا مثلنا، يمكن أن يخطئ، ولكن قلبه كان رقيقا حساسا، يستجيب لصوت الله بسرعة، ويتوب توبة صادقة دون تأجيل، أو إبطاء. ظهر هذا لما وبخته أبيجايل في لطف، حينما أراد الانتقام لنفسه من نابال الكرملي، فلم يجادلها، ولم يبرر موقفه، وإنما قال لها "مبارك عقلك. ومباركة أنت، لأنك منعتني اليوم عن إتيان الدماء وانتقام يدي لنفسي" {١صم ٢٥: ٣٣}.

📖 وكانت توبته سريعة جداً لما عد الشعب، إذ ضربه قلبه وقال: "أخطأت جداً فيما فعلت. انحمقت جداً" {٢صم ٢٤: ٢١، ١٧}.

📖 ولما نبهه ناثان إلى خطيئته نحو امرأة أوريا الحثى، لم يجادل، إنما قال: "أخطأت إلى الرب" {٢صم ١٢: ٧، ١٣}. وامتلأت مزاميره بعبارات التوبة الصادقة والانسحاق، وبلل فراشه بدموعه.

📖 **كذلك كانت توبة أهل نينوى، توبة القديسة بائيسة:**

📖 فمع أن يونان النبي أعطى نينوى فرصة طويلة لتتوب، ونادى قائلاً "بعد أربعين يوما تنقلب نينوى" {يون ٣: ٤}، إلا أن هذه المدينة العظيمة لم يؤجل توبتها إلى قرب نهاية هذه المدة، إنما تابت مباشرة في المسوح والرماد، توبة عميقة، شملت الكل فرفع الله غضبه عنها.

📖 والقديسة بائيسة، التي اخذ الرب روحها في نفس يوم توبتها، في نفس الأمسية التي أتفقدها فيها القديس يوحنا القصير، لو أنها أجلت توبتها، وموعد صعود روحها تلك الليلة، ترى ماذا كان سيصبح مصيرها؟ سعيد إذن من يستغل الفرصة التي يرسلها الله لتوبته، ولا يقسى قلبه من يدري، ربما هذه الفرصة لا تعود.

📖 حدث هذا مع سجان فيلبى، الذي كان حافظا للسجن، حينما أحدث الرب زلزلة في نصف الليل، فانفتحت أبواب السجن، وانفكت القيود لإنقاذ بولس وسيلا. وهذا لم يتأخر، وإنما قال لبولس وسيلا: "سيدي، ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟" {أع ١٦: ٣٠}، وآمن. وأخذ بولس وسيلا إلى بيته "في تلك الساعة من الليل" – أي بدون أي إبطاء – "اعتمد في الحال هو والذين له أجمعون" {أع ١٦: ٣٣}،

📖 أليس درسا لنا في قصة سجان فيلبى، أن نقرأ عبارة: "في الحال"، وأيضاً عبارة: "في تلك الساعة من الليل "، وكان ذلك "نحو نصف الليل" {أع ١٦: ٢٥}. لماذا إذن نؤجل توبتنا.

📖 **نفس الأسلوب نقرأه تقريبا في توبة زكا:**

📖 قال الرب له: "اسرع وانزل"، وقد نفذ زكا في الحال، وأخذ المسيح على بيته، وفى ذلك يقول الإنجيلي: "فأسرع ونزل وقبله فرحا" {لو١٩: ٦}. وهكذا قال الرب: "اليوم حدث خلاص لهذا البيت".

📖 إن أمور التوبة، لا يجوز فيها التأجيل مطلقا، إنما يناسبها عبارات:

📖 "الآن" كما في قصة الابن الضال {لو١٥}.

📖 "في الحال"، "في تلك الساعة" كما في قصة سجان فيلبى {أع ١٦}.

📖 "أسرع"، "واليوم" كما في قصة زكا {لو١٩}.

📖 **كل قصص التوبة في سير القديسين، تتميز أيضاً بعدم التأجيل:**

📖 مريم القبطية، حالما أمكنها أن تدخل كنيسة القيامة وتتبارك من الأيقونة، للحال نفذت ما عزمت عليه في توبتها، وهكذا صارت سائحة قديسة

📖 وبيلاجية، لما تأثرت بعظة القديس نونيوس، لم تتركه حتى منحها نعمة العماد، ونترك لكم باقي التفاصيل في أمثلة التاريخ.

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ١٢٩ ـ ١٣٠

📖 **{٧} قابلوا الرب ولم يستفيدوا:**

📖 ونقول عن أول إنسان في العالم أضاع فرصة التوبة هلك: إنه قايين: كلمه الرب بنفسه، وأنذره من جهة خطيته، ولم يكن قد تورط بعد، وقال له: "عند الباب خطية رابضة. وأنت تسود عليها" {تك ٤: ٧}، ونصحه بالتوبة "إن أحسنت، أفلا رفع". ولكن قايين أضاع الفرصة، ولم يسمع للنصيحة، وترك الأفكار والمشاعر تسيطر عليه فسقط، وكان سقوطه عظيما.

📖 والعجيب أن هناك كثيرين تقابلوا مع الرب، وأضاعوا هذه الفرصة: الشاب الغنى، كانت له فرصة لقاء مع الرب، وسمع منه نصيحة لخلاصه. ولكنه للأسف سمعها، ومضى حزينا {مت ١٩: ٢٢}. وعبارة "وتعال اتبعني" التي قالها له الرب، لم يعمل بها. وهكذا

أضاع الفرصة.

📖 والفريسي الذي دعا المسيح إلى بيته {لو٧: ٣٦} لم يستفد أيضاً من هذه، أما أنت فإن تكلم روح الله في قلبك فلا تضيع الفرصة. إن ملايين من الذين في الجحيم، يتمنون دقائق حياة كالتي لك، مجرد دقائق، أو حتى لحظات، يقدمون فيها توبة، ولكنهم لا يجدون. لقد ضاعت الفرصة، واغلق الباب، وأنت يا أخي لك هذه الحياة كلها إلا تفكر في التوبة، وتنتهز الفرصة. وكما قال الرسول "مفتدين الوقت، لأن الأيام شريرة" {في ٥: ١٦}.

📖 اعلم أن تأجيل التوبة من أعمال الشيطان الذي لا يريد التوبة:

📖 هو يعلم أن منعك عن التوبة منعا صريحا، أمر لا يقبله ضميرك، لذلك لا يقول لك مطلقا "لا تتب" إنما كلما تحرك قلبك نحو الله يقول لك: لا مانع، ولكن ليس الآن، الفرصة أمامنا طويلة! ويظل يقودك في سلسلة لا تنتهي من التأجيلات، حتى تنتهي الحياة!

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ١٣١ ـ ١٣٢

📖 {٨} عواقب التأجيل ليست في صالحك:

📖 إن تأثرت تأثرا روحيا، وعزمت على التوبة فلا تؤجل:

📖 **١-** أنت لا تضمن نفسك. لا تضمن أن تستمر فيك هذه المشاعر الروحية، بل ربما تبحث عن هذه الرغبة في التوبة، فلا تجدها!

📖 **٢-** ولا تضمن الظروف المحيطة بك.

📖 **٣-** ولا تضمن الغد وما يأتي به. فاستغل حالتك الآن

📖 **٤-** ولا تضمن أية عراقيل يضعها العدو في طريقك، وقد عرف بعزمك على التوبة، وبزيارة النعمة لك.

📖 **٥-** وإذا بقيت في الخطية، منتهزاً فرصة أخري، ربما تتحول حالتك إلى أسوأ، وتشتد الخطية عليك، وتتحول من مجرد سقطه، أو ممارسة، إنو عادة، أو إلى طبع، وتسيطر عليك تماما، وتربطك

بسلاسل لا يكون من السهل الفكاك منها. وتدخل في سقطات متتابعة لا تعرف لها نهاية!

📖 إن الشيطان يؤجل لك التوبة، ريثما يسيطر عليك تماما!

📖 وتصبح في حالة لا تعرف فيها كيف تتوب، أولا تريد فيها أن تتوب، إذ يكون قد أدخل الخطية على عمق أعماق قلبك، وفى نفس الوقت عمل على شل إرادتك. وحينئذ يوقعك في اليأس.

📖 وهنا ونناقش نقطة أخري وهي:

📖 على أي شيء يدل التأجيل؟

📖 إنه يدل على عدم محبتك لله، ببقائك في مخالفته، وكسر وصاياه، ورفض الحياة معه، والتصالح معه.

📖 ويدل أيضاً على أن محبة الخطية مازالت في القلب.

📖 ويدل على عدم جدية الرغبة في التوبة. فالرغبة الجادة تنفذ.

📖 ويدل أيضاً على أن اهتمامك الخاطئ بذاتك، أعمق عندك من اهتمامك بالله ومشاعره، وعلاقته بك. وأقول اهتمامك الخاطئ بذاتك، لأن الذي يهتم بذاته اهتماما سليما، إنما يهتم بأبديتها وخلاصها، وبالتالي بتوبتها، لذلك لا تؤجل توبتك أبدأ، إنما كما يقول الرسول:

📖 "إن سمعتم صوته، فلا تقسوا قلوبكم" {عب ٣: ٧، ١٥}.

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ١٣٠ ـ ١٣١

📖 {٩} لا تقس قلبك:

مدى الإستجابة لصوت الله

📖 إن الله يدعو الجميع إلى التوبة، ولكن القلوب تختلف في مدى استجابتها: الله من فرط محبته للبشر "يريد أن الجميع يخلصون" {١تى ٢: ٤}، وهو بنفسه يسعى إلى خلاصهم، ومن أجل خلاصهم أرسل الأنبياء، والرسل، وأرسل وحيه الإلهي ينادينا في كتابه

المقدس أن نرجع إليه ونتوب "ومتغاضيا عن أزمنة الجهل" { أع ١٧: ٣٠}، ووضع فينا الضمير لكي يبكتنا، وارسل إلينا روحه القدوس يعمل فينا. وأقام لنا الرعاة والكهنة والوعاظ والمعلمين، لكي نسمع صوت الله إلينا من أفواههم. ولكن المهم هو: من يسمع؟ ومن يقبل؟ وما مدى استجابتنا لصوت الله؟ وهنا تختلف نوعية القلوب: مثال ذلك: الغصن اللين، والغصن اليابس:

📖 الغصن اللين يتجاوب معك: تعدله ينعدل، تقيمه يستقيم، تغير وضعه، إنه طيع في يديك. أما الغصن اليابس فلا يلين لك، وإن أردت أن تعدله يقاوم، وعلى رأى الشاعر الذي قال: "إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ـ ولا يلين إذا قومته الخشب".

📖 هناك قلوب قاسية من هذا النوع، يعمل الرب معها فلا تستجيب، تماما مثل مريض لا يستجيب للعلاج، يقدم له الطبيب الأدوية المألوفة لمرضه، والتي يستجيب لها أمثاله من المرضى، أما جسده هو، فلا يستجيب لها، لا تأتى هذه العلاجات بنتيجة معه، وقد يستمر المرض كما هو، على الرغم من العلاج، أو تتأخر الحالة عن ذي قبل، وهكذا القلب القاسي الذي لا تأتى وسائط النعمة بأية نتيجة معه، وتستمر طباعه كما هي، وأخطاؤه كما هي:

📖 يقينا إن هذا القلب القاسي لا يريد أن يبرأ، أو هو– لقساوة قلبه – لا يريد أن يعترف بأنه مريض يحتاج إلى شفاء، فيبقى في مرضه كما هو، كالفريسيين القساة الذين عاصروا وعاشروا المسيح سنوات، ورأوا معجزاته ولم يستفيدوا، بل قالوا بعدها إنه خاطئ! وسمعوا تعليمة ولم يستفيدوا، بل قالوا إنه مضل، وناقص للشريعة. وينطبق على هؤلاء القساة القلوب، قول سليمان الحكيم: "إن دققت الأحمق في هاون لا تفارقه حماقته" {أم ٢٧: ٢٢}

📖 ذلك لأن قساوة القلب، لا تسمح للخاطئ المتمسك بمسلكه، أن يغير سلوكه، أو يترك خطيئته، إنه رافض لله مهما سعى الله إليه ليخلصه.

📖 عجيب أن الله الحنون يسعى وراء الإنسان، والإنسان يرفض الله!

📖 الله العظيم يسعى إلى التراب والرماد، والتراب الرماد يغلق قلبه أمام الله. الله يتكلم وينادى وهذا المخلوق المسكين يسد أذنيه، ويسد قلبه، ويرفض أن يفتح للرب. الله يقرع على الباب، حتى يمتلئ رأسه من الطل، وقصصه من ندى الليل {نش ٥: ٢}، والإنسان يغلق بابه، ولا يأبه بهذا القلب الكبير الذي أتاه "طافراً على الجبال، وقافزا على التلال" {نش ٢: ٨}. إنها قساوة قلب.

📖 وقد نرى أحيانا إنسانا يقسو على أخيه الإنسان، فلا نستريح لقساوته، أما أن يقسو الإنسان على الله نفسه، فهذا كثير. ما أعجب أن يكون الإنسان قاسيا في معاملته مع الله، الله الحنون الطيب، الذي روح هذا الإنسان في يده، والذي يعامل الكل برقة متناهية.

📖 ولكن ليست كل القلوب هكذا، فهناك قلوب طيبة، لا تحتمل طرقة الله على بابها، فتقوم لتفتح له بلا إبطاء، حالما صوته الإلهي.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ١٣٣ - ١٣٤

أمثلة من القلوب الطيبة

📖 **أوغسطينوس:** صاحب القلب الرقيق الطيب – قضى فترة طويلة بعيدا عن الله، لأن الصوت الإلهي لم يكون قد وصل إليه واضحا، فلما وصله صوت الرب، استجاب للتو، بكل القلب، وبكل العاطفة، وصار قديسا.

📖 **ومريم القبطية:** ظلت بعيدة عن الله زمنا، وبعيدة عن صوته، ولكن لما شعرت بصوت الله وهو يناديها عند الأيقونة المقدسة، تغيرت تغيرا كاملا، واستجابت للرب، وعاشت بقية عمرها في محبته.

📖 **وهكذا بلاجية:** مجرد منظر القديسين أثر فيها، مجرد عظة سمعتها، كان لها قلب رقيق سهل التأثر. وعلى الرغم من زناها وغناها، تابت بسرعة. وكانت استجابتها عجيبة.

📖 عجيب في قصص التوبة، أن الزواني يستجيبون للرب بسرعة،

وفى الواقع ليس هذا بعجيب، لأن غالبية هؤلاء الزواني لم تكن لهم قلوب قاسية. وإنما كانت لهم قلوب عاطفية، تستجيب للحب بسرعة، ولكنها انحرفت في حبها، فاتجهت به نحو الجسد، وغلبها الجسد، ولكنها حالما تجد حبا حقيقيا من الله، أومن قديسيه، وترجع بسرعة.

📖 فالعاطفة موجودة، والحب موجود، ولم يكن ينقصهما سوى التوجيه السليم. بعكس أصحاب القلوب القاسية الذين لا يستجيبون بسرعة، وربما لا يستجيبون على الإطلاق، ولذلك حسنا قال الرب لبعض هؤلاء القساة من رؤساء اليهود: "الحق أقول لكم إن العشارين والزوانى يسبقونكم إلى ملكوت الله" {مت ٢١: ٣١}.

📖 وعجيب أن كثيرا من هؤلاء الزناة، تابوا وتحولوا من خطاة إلى قديسين، العاطفة الملتهبة التي لهم، لما تحولت إلى الله، واشتعلت بمحبته، واستطاعت أن تصل إلى حياة القداسة بسرعة. لسنا نذكر فقط أوغسطينوس، ومريم القبطية، وبيلاجيه.

📖 إنما يعوزني الوقت إن تحدثت عن خاطئات أخريات استجبن للرب بسرعة، وتحولن إلى قديسات: مثل القديسة بائيسة، والقديسة تاييس، والقديسة مرثا، والقديسة مريم بنت أخي القديس إبراهيم المتوحد، والقديسة أفدوكيا، وغيرهن كثيرات.

📖 ومن أمثلة هؤلاء من الرجال: القديس يعقوب المجاهد، والقديس تيموثاوس السائح، وبدء حياة مار أوغريس: إنهم جميعا لم يأخذوا من الله مجهودا في إرجاعهم إليه، لم يتركوا الله يلح عليهم، أو يناديهم بلجاجة.

📖 المرأة السامرية، مجرد جلسة واحدة مع المسيح، غيرت حياتها كلية، وتحولت من امرأة خاطئة "لها خمسة أزواج، والذي معها ليس لها" إلى القديسة السامرية. كان لها قلب رقيق يمكن أن يستجيب بسرعة للرب، أكثر من الفريسيين العنفاء الذين يتكلمون عن المبادئ العالية ولا ينفذونها.

📖 وداود النبي – بعد خطيئته وزناه – لم يحتمل من ناثان عبارة واحدة هي أنت هو الرجل فصرخ للتو قائلا "أخطأت إلى الرب"، وتاب عجيبة، كان فيها في كل ليلة يعوم سريره، وبدموعه يبل فراشه" {مز ٦}.

📖 نعم إن القلب الرقيق، قد تكفيه كلمة لتغيير حياته، عبارة واحدة سمعتها تاييس من القديس بيصاريون، جعلتها تسقط على الأرض، وتنفجر باكية، ثم تخرج معه من مكان الإثم لتحيا كقديسة.

📖 وعبارة واحدة سمعتها بائيسة من القديس يوحنا القصير، جعلتها تتأثر، كما تاثرت ببكائه عليها، وخرجت معه تائبة، وصعدت الملائكة بروحها في تلك الليلة طاهرة كشعاع من نور.

📖 القصص كثيرة، وكلها تدور في فلك واحد، وهو القلب الرقيق الذي يستجيب بسرعة، وليس هذا فقط في دائرة الزوانى الذين تابوا، وإنما في نطاقات أخري كثيرة نجد قلوبا رقيقة، سهلة الاستجابة، لا تعاند الرب، بل تسمع له بسرعة، وترجع إليه.

📖 شاول الطرسوسي غيرته عبارة واحدة من الرب:

📖 كان شاول شديداً جداً في تنفيذ الشريعة، وكان مضطهداً للكنيسة، ولكن لم تكن في قلبه قسوة، إنما كانت في قلبه غيرة حسبها مقدسة، وفعل ما فعله بجهل {اتى ١: ١٣}، فلما ظهر له السيد المسيح الذي كان شاول يضطهده، وسمع منه عبارة واحدة قبل الكلمة بفرح، وتحول إلى العكس، وآمن وتألم لأجل المسيح.

📖 وبطرس الرسول، مجرد أن سمع صياح الديك بكى بكاء مراً. لم يكن محتاجا إلى كثير من التوبيخ. يكفي أنه سمع الديك، حتى قامت ثورة في داخله ضده، عصرت قلبه، وعصرت عينيه. هكذا القلب يكفيه القليل ليتوب.

📖 زكا العشار تطلع إليه المسيح وكلمة، فلم يحتمل، وأعلن توبته أمام الجميع {لو١٩: ٥}، وكم كلم المسيح كتبة وفريسيين وكهنة، ولم

يستفيدوا، أما زكا، فلم يكن قلبه في التوبة قاسيا مثلهم، على الرغم مما هو معروف العشارين من ظلم.

🕮 ومتى العشار، لم يعوزه أيضاً لتغيير حياته، سوى كلمة واحدة من المسيح، هي "أتبعني" {مت ٩: ٩}، فترك كل شيء، وقام وتبعه.

🕮 وبنفس الوضع فعل بطرس، وأندراوس الصيادان، حينما قال لهما المسيح "هلما ورائي فأجعلكما صيادي الناس" {مر ١: ١٧}.

🕮 القلب الحساس ليس فقط يطيع صوت الله، بل يستجيب لأية إشارة منه ولومن بعيد، يهتز قلبه لها، لأن قلبه متفتح لله باستمرار. المسألة إذن تتركز في القلب: هل هو قاس أم سهل، والنوعان يظهران معا في قصة داود، ونابال الكرملي.

🕮 نابال الكرملي سمع رجاء من داود أن يعطيه من جزاز غنمه، لأنه كان هو وجنده محتاجين إلى الطعام، فلم يستجب نابال لأجل قساوة قلبه، فأنذره داود فلم يرتدع، بسبب قساوة قلبه أيضاً، ما نفع معه الرجاء، ولا التهديد. أما أبيجايل زوجة نابال، فما أن سمعت بقصة داود مع زوجها، حتى تحرك قلبها بسرعة واستجابت، وقابلت داود وقدمت له ما يحتاجه جنده من طعام، واستعطفته، وفى نفس الوقت وبخته في أدب على أنه حاول أن ينتقم لنفسه.

🕮 وداود في هذه القصة – مع شدته – يقدم مثالا للقلب الطيب الذي يقبل التوبيخ بسرعة، ويرجع عن أخطائه. إذ قال لها "مبارك عقلك، ومباركة أنت، لأنك منعتني اليوم من إتيان الدماء، وانتقام يدى لنفسي" {١صم ٢٥: ٣٣}.

🕮 القلب الطيب يقبل التوبيخ. أما القلب القاسي فيثور:

🕮 داود قبل التوبيخ من أبيجايل، وهي امرأة. وكذلك القديس الأنبا أنطونيوس قبل التوبيخ من تلك المرأة التي قالت له: "لوكنت راهبا لكنت تسكن في الجبل"، ولم يقبل الكلمة فقط وينفذ، بل قال في قلبه بالأكثر إن ذلك صوت الله إليه.

📖 بعكس ذلك، شاول الملك، وهو معروف بقساوة القلب – لما كلمه إبنه يوناثان من أجل داود قائلا: "لماذا يقتل؟ ماذا عمل؟" {١صم ٢٠: ٣٢}، حمى غضب شاول على يوناثان إبنه، ووجه رمحه إليه ليقتله، وشتمه بشتائم صعبة، وأخزاه {١صم ٢٠: ٣٠، ٣٤}.

📖 إن القلب القاسي، لا يقبل التوجيه، ولا النصح، ولا يتحول عن فكره، وإنما تقنعه كبرياؤه بان يثبت حيث هو، لذلك حسنا قال الكتاب: "الرب يقاوم المستكبرين" {يع ٤: ٦}.

📖 لم يقف الرب يوما ضد العشار المسكين، لكن وقف ضد الفريسي القاسي المتكبر، وضد الكتبة والفريسيين القساة، الذين في قساوتهم يحملون الناس أحمالا عسرة الحمل {متى ٢٣}. هؤلاء القساة يخسرون أنفسهم، ويخسرون الناس، ويخسرون الله.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ١٣٤ - ١٣٨

قسوة القلب تعطل التوبة

📖 ولعل من أبرز الأمثلة لهذه القسوة فرعون:

📖 لم تستطع جميع الضربات أن تلين قلبه، وإن كان أحيانا قد قال: "أخطأت إلى الرب" {خر ١٠: ١٦}، إنما كان يرجع بعدها ويشتد قلبه كما كان، وكلما كان يعد وعداً، كان يرجع في وعده بعد إرتفاع غضب الرب، وكما قال الكتاب: "فلما رأى فرعون أنه قد حصل الفرج، اغلظ قلبه ولم يسمع لهما {لموسى وهارون}" {خر ٨: ١٥}،

📖 وظل فرعون في قساوة قلبه حتى هلك، كان الله يريد أن يجذبه إليه بتلك الضربات، ولكنه رفض أن يستمع للرب، على الرغم من كل عجائب الله التي لمسها بنفسه.

📖 **مثال آخر: هو الشعب المتمرد في البرية:**

📖 كل عجائب الله معهم في ارض مصر، وكل عجائبه معهم في

البرية، وكل إحساناته الكثيرة إليهم، كل ذلك لم يلين قلوبهم! لا الضربات العشر، ولا شق البحر الأحمر، ولا المن والسلوى، ولا الماء الذي فجره الله لهم من الصخرة، ولا عمود النار الذي كان يضئ لهم ليلا، ولا السحابة التي كانت تظللهم وتهديهم نهارا. لا شيء من هذا كله جعلهم يتوبون.

📖 فوصفهم الرب مراراً عديدة بأنهم شعب صلب الرقبة: {خر ٣٢: ٩، ٢٣: ٣، ٥، ٣٤: ٩، تث ٩: ٦}، وقال إنهم " قساة الوجوه، صلاب القلوب" {خر ٢: ٤}، وقال عنهم: "صلاب الجباه، قساة القلوب" {حز ٣: ٧}، وبسبب قساوتهم هذه، لم يستجيبوا للرب ولم يطيعوه، بل كانوا دائمي التذمر عليه، لا يتوبون مطلقا مهما أحسن إليهم، حتى قال عنهم: "مددت يدي طول النهار لشعب معاند مقاوم" {رو١٠: ٢١}.

📖 تصوروا الله يمد يده ليصالح شعبا، فيرفض الشعب يد الله الممدودة باستمرار طول النهار، ولا يمد يده إليها ليصافح، أو ليصالح، فماذا انتفعوا من قساوة قلوبهم؟ لقد خسروا الرب، وخسروا أرض الموعد ولم يدخلوها، بل هلك جيلهم المتذمر كله في البرية، وغضب الله عليهم وكاد يفنيهم، لولا شفاعة موسى فيهم {عد ٣٢}.

📖 وابتلعت قساوة القلب كل شيء، ولم تذكر شيئا من إحسانات الله، ولم تلن، ولم ترجع إليه، وكل أقوال الأنبياء وإنذاراتهم لم تأت بأية نتيجة، وكأن بذار الله بالنسبة إليهم، قد وقعت على صخر!

📖 بذار على صخر، لا يصلح معها ماء، ولا سماد، ولا أيدي عاملة، ولا خبرة زراعية، إنها على صخر، لا تدخل إلى داخل هكذا القلب القاسي لا يتأثر بشيء: يوبخه ضميره، فلا يشعر يوخز الضمير. يفتقده الروح القدس، ليبكته على خطية، فلا يستجيب لصوت الروح فيه. يسمع كثيرا، ويقرأ كثيرا، ولا فائدة. يدخل الكنيسة ويخرج، وهوكما هو بنفس القلب. ويعترف ويتناول مراراً، ولا يغير فيه الاعتراف شيئا ولا التناول. لا تنفع معه إحساناتك الله إن تذكرها، ولا تحنيفه إنذارات الله ولا تردعه. إنه صخر قلب قاس لا يتأثر.

ينطبق عليه قول أبينا إبراهيم أبى الآباء "ولا إن قام واحد من الموتى يصدقوني" {لو١٦: ٣١}. لأجل ينبهنا الكتاب قائلا: "إن سمعتم صوته، فلا تقسوا قلوبكم" {عب ٣: ٧}.

📖 **وصوت الله يأتينا من مصادر متعددة:**

📖 قد يكلمنا الله من خلال كتابه المقدس، أوعن طريق العظات، والإرشاد الروحي، أومن خلال الأحداث التي تظهر فيها يد الله، أوفى الجلسة الهادئة مع النفس، والمهم في كل ذلك أن نقابل صوت الله بأذن صاغية، وقلب مفتوح، قلب لين، غير معاند، حتى إن وقعنا في قساوة القلب مرة، لا نستمر.

📖 فعذراء النشيد، وإن كانت لم تفتح للرب في أول مرة، وقسى قلبها عليه، وإلا أن القلب عادة فرق مرة أخري، وقالت: "حبيبي مد يده من الكوة، فأنت عليه أحشائي" {نش ٥: ٤}، وقامت تبحث عن هذا الحبيب في كل مكان، وتقول: "أحلفكن يا بنات أورشليم، إن وجدتن حبيبي، أن تخبرنه بأني مريضة حبا" {نش ٥: ٨}. ليتنا نحارب قسوة القلب فينا، لأنه إن رق قلبنا، ستؤثر فينا كل الوسائط الروحية، وتقودنا إلى التوبة ومحبة الله.

📖 **الإنسان الحساس الرقيق، كل شيء روحي يؤثر فيه:**

📖 إن سمع قداسا أو لحنا يتأثر، إن سمع عظة ـ وقرأ كتابا روحيا يتأثر، وقد يتأثر أيضاً بتذكر أحبائه الذين رقدوا، فإن أخطأ يقول "لعل روح فلان تراني الآن"، وبذلك يرجع عن الخطأ لتوه، مجرد صورة يراها للمسيح مصلوبا، قد تحصر مشاعره فيبكى، كما فعلت القديسة العذراء التي قالت في داخلها "وأما أحشائي فتلتهب بالنار عند نظري إلى صلبوتك الذي أنت صابر عليه يا إبني وإلهى".

📖 **عينا الإنسان الحساس، أشبهها بإسفنجة مملوءة ماءاً:**

📖 بأقل لمسة أو ضغطه، يفيض ما بها، وهكذا الإنسان ذو القلب الرقيق، دموعه قريبة باستمرار، إن أخطأ يرجع بسرعة، ولا يستمر في الخطأ. كما فعل داود النبي، وكما حدث لبطرس الرسول في إنكاره، يدرك خطأه بسرعة، ويندم بشدة ويتوب لوقته.

📖 ابعد يا أخي إذن عن قساوة القلب. وليكن قلبك رقيقا حساساً يستجيب لكل تأثير روحي بلا إبطاء.

📖 **واعلم أن قساوة القلب لها أضرارها الخطيرة:**

📖 فهي تؤدى إلى الفتور الروحي، وإلى السقوط، وتجعل الإنسان لا يأتي بثمر على الإطلاق، وإن استمرت القساوة في القلب على الدوام كمنهج حياة، فإنها تجعل الحياة تيبس تماماً، وتكون نهايتها الحريق {عب ٦}.

📖 لا تقل: "وماذا أفعل؟ هذه طبيعتي". كلا، إن طبيعتك هي في الأصل صورة الله ومثاله {تك ١: ٢٦}، وكل خطأ أتى بعد ذلك هو عرض زائل، يمكن التخلص منه، التخلص منه بالتوبة، وقبول عمل الروح القدس فيك، وكم من قساة تحولوا إلى ودعاء. كالقديس موسى الأسود الذي تحول من قاتل إلى راهب وديع طيب القلب جداً، وصار مرشد لكثيرين، وتخلص قلبه تماما من كل قساوة تجاه الله والناس.

📖 لنبحث إذن عن أسباب قساوة القلب، ونرى كيف يكون علاجها.

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ١٣٨ ـ ١٤١

📖 {١٠} أسباب قساوة القلب وعلاجها:

هناك أسباب لقساوة القلب نستعرض المألوف منها

{١} ممارسة الخطية

📖 الخطية تقسى القلب، والاستمرار في ممارسة الخطية يقسى القلب بالأكثر، لأنه طالما الإنسان يحيا في الخطية، فإنه ينسى الله، وينسى الوصية، وينسى الصليب، وينسى الموت والفداء. والنسيان يقسى

قلبه، فيشرب الخطية كالماء، ويتعود عليها، وتصبح سهلة أمامه، لا يسمع فيها صوت ضميره، ولا صوت الروح.

📖 والتوبة عن الخطية تزيل هذه القسوة، بل إن مجرد التأمل في بشاعة الخطية، يطرد هذه القسوة من القلب، وقد تحدثنا عن هذا بالتفصيل في الباب الأول من هذا الكتاب.

{٢} الشعور بحلاوة الخطية

📖 إن ذاق الإنسان الخطية ووجدها حلوة، ما أسهل أن ينسى محبة الله، وينسى وصاياه، ويتقسى قلبه، وتغطى حلاوة الخطية على كل شيء، وتبسط غشاوة على العقل والقلب.

📖 حواء لما رأت الشجرة شهية للأكل، تقسى قلبها، ونسيت وصية الله، ونسيت حكم الموت. ولم تعد أمامها حياة النقاوة، ولا محبة الله، وشهوة الشجرة غطت على كل شيء.

📖 **كذلك شمشون نسى نذره، وخدرته الخطي:**

📖 حينما كان مع دليلة، لم يكن مع الله، أنسته الخاطئة كل شيء، ونداء روح الله الذي فيه، لم يعد يعطى تأثيره. بل نسى أن دليلة لم تكن مخلصه له، وسلمته لأعدائه أكثر من مرة، ولكن القلب بالشهوة كان قد تقسى حتى عن سماع صوت العقل، أصبح صلباً، لا يؤثر فيه شيء. وفقد شمشون كرامته ونذره {قض ١٦}.

📖 **لهذا السبب أيضاً رفض الشاب الغنى وصية المسيح:**

📖 كان يبحث عن الحياة الأبدية، ويسأل عنها، وكان يحفظ الوصايا منذ صباه، ولكن كانت هناك محبة المال في قلبه، وحلاوة هذا المال قست قلب هذا الشاب، فسمع الوصية من المسيح، ومضى حزينا، لأنه كان ذا أموال كثيرة {متى ١٩: ٢٢}.

📖 **وحلاوة الخطية قست قلب فرعون:**

📖 أمامه مئات الآلاف يمكنه أن يسخرهم في أعماله، كيف يمكن أن يترك كل هؤلاء يمضون، ويخسر هذا الجيش من المسخرين؟! حلاوة هذه الخطية، خطية السخرة، وخطية السيادة، قست قلبه، فلم يستفد من كل الضربات التي حلت عليه، وعلى مصر كلها، وكلما كان القلب يستجيب، كانت حلاوة الخطية تثنيه فيرجع.

📖 **كذلك فعل آخاب، حين اشتهى حقل نابوت اليزرعيلي:**

📖 من أجل حلاوة هذا الحقل في عينيه، كسر وصية الله، واستسلم لنصيحة إيزابيل، وقتل نابوت ظلما بعد أن لفق حوله تهما، واستحضر شهود زور. كانت حلاوة هذا الحقل تغشى على ضميره تماماً، وتقسى قلبه، الذي قبل الظلم والقتل.

📖 حلاوة الخطية تجعل صوت الضمير يفقد تأثيره، ويتقسى القلب: فإما أن الإنسان ينسى وصية الله، وإما أن يؤجل تنفيذها لكي يستمر بقاؤه مع الخطية التي يحبها فترة أطول، وخلال هذا يصم أذنيه عن كل صوت داخلي يبكته، وعن كل صوت خارجي ينصحه.

📖 ويصبح قلبه صلبا غير قابل للتحول، يناديه العقل أن يبعد عن هذه الخطية التي يحبها، ويناديه ضميره، وتناديه كل المؤثرات الروحية، ولكن القلب الذي تقسى بالخطية، يقول: "نعم سأبعد، ولكن ليس الآن" ويؤجل التوبة.

📖 **والتأجيل يقسى القلب، فلا يلين للهاتف الروحي:**

📖 قساوة القلب تجعل الإنسان يؤجل التوبة، وتأجيل التوبة يقسى القلب بالأكثر، فكلما يؤجل الإنسان توبته، ويستمر شاعراً أنه يتمتع بالخطية، تزداد حالته سوءا. ممارسته للخطية تشعره بحلاوتها ونفعها، وحلاوة الخطية تدعوه إلى مزيد من الممارسة، وفى كل ذلك

يكون القلب قاسيا لا يتأثر بالروحيات.

📖 لا حل إلا أن يفقد الشعور بحلاوة الخطية، فإما أن يصل إلى الاقتناع بانه في حالة ضياع، وبأن الخطية تضره هنا وتفقده أبديته. وإما أن بعض نتائج الخطية تهزه هزا. وإما أن الله يضربه فيستيقظ. وإما أن يمل من الخطية ويتعب، وحينئذ يفكر تفكيرا آخر، وهناك علاج آخر هام وهو:

📖 **الإكثار من أغذية الروح، حتى تفقد الخطية حلاوتها:**

📖 لابد أن تتغير نظره الإنسان إلى الخطية. ولعل هذا ما يقصده الرسول بقوله: "تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم" {رو١٢: ٢}، وبتجديد الذهن لا يشعر بحلاوة في الخطية.

📖 نتناول سببا آخر لقساوة القلب وهو:

{٣} التأثير الخارجي الضار

📖 إن العشرة والصداقة والبيئة، لها بلا شك تأثير على حالة القلب:

📖 فإن عاشرت أشخاصا لهم قلوب حساسة لوصايا الله، فإنك تتعلم منهم هذه الحساسية، وتتعلم الدقة في السلوك الروحي. وإن عاشرت أشخاصا لا يبالون، يعلمونك قساوة القلب.

📖 ربما لولا عشرة إيزابيل، ما كان آخاب الملك قد تقسى قلبه ليقتل نابوت اليزرعيلي {١مل ٢١}، إيزابيل هي التي قدمت له الفكرة الخاطئة، وساعدته على تنفيذها، ودبرت له كل شيء، وسهلت له العقبات، وقست قلبه فتقسى.

📖 **وهكذا فعلت نصيحة الشباب مع رحبعام، فتقسى قلبه:**

📖 نصحوه أن يقول للناس "إن خنصري أغلظ من متني أبى. أبى أدبكم بالسياط، وأنا أؤدبكم بالعقارب" {١مل ١٢: ٨ – ١١}، وهكذا

أفهموه الكرامة بأسلوب ضيعه، فتقسى قلبه، نفذ نصيحتهم.

📖 وهكذا من يسهلون الخطية للآخرين، ويساعدونهم عليها: هناك أشياء قد ينفر منها القلب بطبيعته، ولكنه إن شجعه أحد عليها، أو قاده، فإنه يستسلم ويسقط، كمن يتعلم التدخين لأول مرة، أو كجماعات الهيبز الذين كانوا يقترفون أموراً بشعة، كالعرى أمام الناس، أو ممارسة الجنس أمام الأصدقاء، أو أنواع أخري من الإباحية، ومن القتل، وشرب الدماء • وكان أتباعهم يشمئزون منها في أول الأمر، ولكنهم ينقادون أخيراً ويمارسونها، كما ورد في مذكراتهم، ويتقسى قلبهم.

📖 وقد صدق أحد الأدباء، حينما قال: "قل لي من هم أصدقاؤك، أقول لك من أنت"، أصعب شيء هو الضمير الواسع، الذي يبرر كل خطأ، ويجد لكل خطيئة تعليلاً، ويجعل العقل في خدمة رغبات النفس. فإن وجدت هذا النوع من الناس، فابعد عنه، لئلا يغرس في قلبك أفكاراً وشهوات لم تكن فيه، يقسى قلبك بتبرير الخطية، أو باعتبارها شيئا طبيعياً، أو على الأقل يهزأ من تدقيقك في الحياة الروحية، معتبرا ذلك تطرفا أو عقداً. فيقسى قلبك.

📖 **وقد تكون الصحبة الشريرة كتبا أو وسائل إعلام:**

📖 أو مطبوعات، أو تسجيلات صوتية، أو أفلام، أو شرائح. وكل ذلك يترك في نفسك تأثيرا في اتجاه معين، ويقودك حيث لا يريد الله لك، ويعلمك أشياء جديدة قد تضرك، ويغرس فيك أفكاراً قد تغير نظرتك الروحية، فيتقسى قلبك.

📖 أو يقدم لك مفاهيم جديدة عن الحرية، وعن القوة، وعن الشخصية، وعن السعادة، ربما تشوش على مبادئك وقيمك. احترس إذن، وكن مدققا في اختيار ما تقرأ وما ترى، وافحص ما تسمع، حتى داخل بيتك. وافحص كل فكر جديد. وتدرب على تمييز الأرواح.

📖 لا تقبل كل مشورة، وكل فكر، وكل رأى، إنما كن قويا من الداخل، ولتكن لك فضيلة الإفراز، وتمييز الأرواح {١يو٤: ١}، ولا تفقد مبادئك الروحية، وكن دقيقا في اختيار أصدقائك، وكن كثير الاستشارة في كل جديد تقابله، وافحص كل شيء في ضوء تعليم الكتاب، وسير القديسين، والمبادئ الروحية الثابتة. وأيضاً من الأشياء التي تساعد على تقسية القلب:

{٤} الاستسلام للعوائق

📖 المفروض أن ننتصر على العوائق، لا أن نستسلم لها:

📖 ما أسهل أن يضع الشيطان أمامك عوائق في كل تفاصيل حياتك الروحية: بالخوف على الصحة، قد يقف عائقا أمام الصوم. وقلة الوقت، قد تقف عائقا أمام الصلاة، والقراءة الروحية، والاجتماعات، والخدمة. والاحتياج المالي، ربما يقف عائقا أمام دفع العشور لله. والمشغولية قد تقف عائقا أمام تقديس يوم الرب. وما يسمى بالحكمة قد يغطي كل تصرف خاطئ. فتكون الحكمة العالمية عائقا أمام تقدمك الروحي. وبالحكمة قد تتعلم التملق، والمحاباة، والخوف.

📖 **واستسلامك للعوائق، يعلمك التهاون، ويقسى قلبك:**

📖 إن القلب القوى لا يعترف بأن هناك عائقا يقف أمامه، ولا يسمح لهذه العوائق أن تقسى قلبه، بل يحيا في حياة الانتصار المستمر، ويجد في الانتصار على كل عائق لذة روحية، وإن وضع الشيطان عوائق أمامه، يتذكر قول الرسول: "فقاوموه راسخين في الإيمان" {١بط٥: ٩}. من الأسباب الأخرى التي تقود إلى قساوة القلب:

{٥} الاستهانة بلطف الله

📖 أحيانا يخطئ الإنسان وإذ لا يجد أمامه عقوبة إلهية رادعة، يستهين بوصايا الله، ويفقد مخافته، ويتقسى قلبه، بينما نرى الإنسان يدقق في تصرفاته الرسمية، حيث توجد مؤاخذة، ومساءلة، وعقوبة. ويذكرنا هذا بقول الرسول: "أم تستهين بغنى لطفة، وإمهاله، وطول أناة، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة. ولكنك من أجل قساوتك، وقلبك غير التائب، تذخر لنفسك غضبا في وقت الغضب" {رو٢: ٤، ١٥}.

📖 **القلب القاسي ينفعه أحيانا الحديث عن مخافة الله:**

📖 الذي تذيبه المحبة، يمكن الحديث معه عن محبة الله، أما الذي يستهين، ويستهتر، ولا يبالي، فإن مخافة الله قد تنفعه، والرسول يقول: "لا تستكبر بل خف" {رو١١: ٢٠}، ويقول أيضاً "مكملين القداسة في خوف الله" {٢كو٧: ١}، لعل هذا يذكرنا بأن الكبرياء هي أحد أسباب قساوة القلب:

{٦} الكبرياء

📖 الكبرياء تقسى القلب، والمتكبر لا يفكر إلا في ذاته، وفى كرامته، لا يضع الله أمامه، ولا الناس، وفى سبيل تنفيذ مشيئته، يمكن أن يفعل أي شيء، ولا يبالي، وهكذا يصل إلى قساوة القلب.

📖 أما المتواضع، فينسحق قلبه أمام الله، ويطيع، ولا يقسو. وإذا وصل الإنسان إلى انسحاق النفس، يمكن أن يقوده الانسحاق إلى التوبة، إذ تفارقه قساوة القلب، وتلازمه النعمة. من الأسباب التي تؤدى أيضاً إلى قساوة القلب:

{٧} فقدان هيبة الوسائط الروحية

📖 فالذي يمارسها بلا روح، تفقد هيبتها عنده: وبالتالي تفقد تأثيرها عليه، وهكذا لا يستفيد منها، فيتقسى قلبه.

📖 قديما كان يدخل إلى الكنيسة، فيتجشع قلبه ويخاف، إذ يشعر أنه أمام الله في بيته، أما الآن، فهو يتحدث، ويناقش، ولا تترك في نفسه أثراً. وكذلك الهيكل. كذلك اعتاد التناول، والاعتراف بغير خشية، اعتاد الصلاة، والقراءة بغير روح، واعتاد الصوم كعمل جسداني. ولأن قلبه تقسى بالخطية، والاستمرار فيها، لم تعد هذه الوسائط الروحية تغير من أمره شيئا.

📖 كمريض تعود أدوية معينة، ففقدت تأثيرها عليه، أو كإنسان يأخذ مسكنات بكثرة، إلى ان تفقد هذه المسكنات مفعولها بالنسبة إلى آلامه، أو كموظف يقابل رئيسا له باستمرار، ويختلط به، فلم يعد يخشاه، أو يهابه، كباقي الموظفين، أو كإنسان عاش في أماكن مقدسة واعتادها، فلم يعد يتأثر بها كمن يزورها لأول مرة.

📖 لذلك يحتاج من يمارس الوسائط الروحية، أن يمارسها بروح، بعمق، بفهم وخشوع، حتى تعود هيبتها إليه، ويستفيد منها لترد قلبه إلى الله.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ١٤٢ - ١٤٩

📖 {١١} ابعد عن الخطوة الأولى:

واحترس من الثعالب الصغار

📖 إن كنت تريد أن تتوب، فاحترس من الخطوة الأولى نحو الخطية:

📖 وفى غالبية الحالات لا تهجم عليك الخطية دفعة واحدة بكل قوتها، إنما تزحف إليك زحفا في مدة طويلة، حتى تصل إليك بتدريج كثير، فانظر من أين تأتيك الخطية، وارقب مراحلها.

📖 **ومراحل الخطية تبدأ غالبا باتصال، ثم انفعال، ثم اشتعال:**

📖 تتصل بك الخطية أولا عن طريق العثرات، أو التهاون،

والمعاشرات الردية. فإن أعطيتها مجالا، قد تؤثر عليك فتنفعل بها، سواء أكان انفعالاً فكريا، أو عاطفيا، فإن تهاونت مع هذا الانفعال الداخلي، يشتد فيتحول إلى اشتعال. وفى هاتين المرحلتين تكون مؤثرات الخطية قد انتقلت من الخارج إلى الداخل، وهذا أخطر، وقد يتطور الأمر إلى ما هو أشد.

📖 **يتطور الأمر إلى صراع داخلي، ربما ينتهى إلى تسليم فسقوط:**

📖 إنه صراع بين الضمير والخطية. أوبين الروح والمادة. والصراع يدل على أن الإنسان رافض للخطية، وأنه يقاوم، وهي مرحلة متعبة، ولكنها أفضل من التسليم والسقوط. ويكون الإنسان قد أوقع فيها نفسه، بتهاونه في المراحل السابقة.

📖 **أنت لا تضمن هذا الصراع بينك، وبين الخطية:**

📖 قد تنجح فيه بعد تعب، وقد تفشل فتلقى سلاحك، وتستسلم للعدو، وتسقط، فالخطية من طبعها، إنها لا تستريح حتى تكمل. وإن سقطت في الخطية، لا يترك كالعدو، بل يستمر في حربه، حتى تتكرر الخطية، وحتى تتحول إلى عادة عندك، أو طبع فيك. وتصل إلى الوضع الذي لا تستطيع فيه أن تقاوم، بل تخضع لكل ما يقترحه الشيطان عليك، كعبد له، وللخطية التي سيطرت عليك.

📖 سبى العدو لك وعبودية الخطية، يمثلها سبى بابل، حيث يقول المرتل: "على أنهار بابل هناك جلسنا، فبكينا حين تذكرنا صهيون" {مز ١٣٦}، ويقول "كيف نسبح تسبحة الرب في أرض غريبة؟" ولا يكتفى عدو الخير بأن يجعل فريسته عبدا للخطية، وإنما قد يتطور إلى وضع أبشع.

📖 **قد تتطور العبودية إلى مذلة العبودية:**

📖 أي الوضع الذي يشتهى فيه الإنسان الخطية ولا يجدها! ويطلبها

متوسلا بكل قواه، كمن يطلب شهوة المال، أو شهوة المقتنيات، أو شهوة الجسد، فلا يجدها. أو كمن يطلب العظمة، أو الكبرياء، أو الانتقام، أو التشفي، ويسعي بكل رغبته لعله يجد، وكأنه يتوسل إلى الشيطان، أن يمنحه الخطية! وهذه مذلة، وقد يتمادى الشيطان حتى يحتقر هذا الإنسان!

🕮 ففي أية مرحلة من هذه المراحل أنت كائن؟

🕮 ليتك تختصر الجهاد، وتبعد عن الخطوة الأولى، فهذا أسهل لك وأريح، وأكثر ضمانا. كما أنه يدل على نقاوتك، وعدم قبولك للخطية، ويدل على عدم تفاوضك مع العدو، وتعاملك معه، وعن هذا شرح القديس دورثيئوس: مثال "الشتلة الصغيرة، والشجرة الضخمة"

🕮 فقال إنه من السهل جداً أن تقتلع شجيرة صغيرة من الأرض، تمد يدك فتنزعها بسهولة، ولكن إن صبرت عليها حتى تصير شجرة ضخمة، يكون من الصعب عليك اقتلاعها، وحتى إن نجحت، فهناك خطورة أخري، قد تنتصر على فكر شرير داخلك، بعد صراع مرير، ولكنه أثناء الصراع يكون قد نجس ذهنك، وربما قلبك.

🕮 وحتى إن طردته من عقلك الواعي، قد يبقى في ذاكرتك، وفى عقلك الباطن، وربما يعود إليك بعد حين، أو يظهر في أحلامك، أوفى ظنونك. فلماذا كل هذا التعب؟ الوضع السليم هو أن تتخلص منه من بادئ الأمر، قبل أن يستقر، وقبل أن يتسع نطاقه في محاولة تدمير روحياتك. حاول أن تنتصر من البد، من مرحلة الاتصال.

🕮 بقدر إمكانك، حاول أن تبعد عن الاتصال بالخطية:

🕮 في ذلك يقول المزمور: "طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار. وفى طريق الخطاة لم يقف. وفى مجلس المستهزئين لم يجلس" {مز١}. وقد لاحظ أحد القديسين لوناً من التطور فيما ذكره المزمور: سلوك، ثم وقوف، ثم جلوس. المرحلة الأولي هي السلوك أي المشي. أخطر منها الوقوف معهم. وأخطر منهما الجلوس، أي

الاستقرار. كما أن مرحلة المستهزئين الأخيرة هي أبشع من مرحلة الخطاة. إذ تعني خطاة مستهزئين.

📖 لذلك لا تسمح للخطية للخطية أن تتطور معك، أو إن تجعلك تتطور معها، ومن أول خطوة ابعد عنها، هذا إن كنت تريد أن تتوب، وإن كنت تريد أن تحفظ قلبك نقيا. وعلى أية الحالات: في أية مرحلة وجدت، لا تتطور إلى أسوأ. لأن إرادتك قد تكون قوية في أول هذا القتال، في مرحلة الاتصال، فإذا انفعلت تكون إرادتك قد بدأت تستجيب للخطأ، وفى الاشتعال تكون قد ضعفت، وفى الصراع تدخل في مرحلة حياة أو موت، فإن سقطت، تكون إرادتك قد انتهت، وتصبح إنسانا مسلوب الإرادة، فالتفت إلى نفسك، واحترس منذ الخطوة الأولى، واعلم هذا جيدا، أنه:

📖 **كلما يخطو الإنسان خطوة في طريق الخطية، تضعف إرادته:**

📖 ويميل إلى الخطية، ويكون قد أعطى الشيطان مكانا، ووسع له داخل نفسه، كلما يخطو خطوة أخري نحو الخطية، تقل محبة الله في قلبه، ويكون سقوطه أمراً متوقعا جدا، لذلك يقول المزمور "يا بنت بابل الشقية طوبى لمن يمسك أطفالك، ويدفنهم عند الصخرة" {مز ١٣٦}، بنت بابل {أرض السبي} هي الخطية. وأطفالها هم شهوات الخطية، أو أفكارها منذ الأولى، قبل أن تكبر الخطية، طوبى لمن يمسكهم ويدفنهم {أي يتخلص منهم} عند الصخرة.

📖 وكما يقول الكتاب: "والصخرة كانت المسيح {١كو١٠: ٤}. أي طوبى لمن يقاوم الخطية، من أول ولادتها في الفكر، ويستعين في القضاء عليها بقوة من المسيح نفسه، وسنحاول أن نضرب أمثلة من الكتاب عن تطور مراحل الخطية: كيف تطور الأمر في سقوط أمنا حواء؟

📖 لنأخذ درسا في حياتنا من هذه الخطية الأولى هل سقطت حواء

حينما قطفت من الشجرة فأكلت، وأعطت رجلها فأكل معها؟ كلا، فقد كانت هذه هي المرحلة الأخيرة من المأساة، وكانت تطوراً طبيعيا جدا لكل ما سبقها، وكان الأمر متوقعا! فكيف ذلك؟

🕮 كيف تطور الأمر مع حواء، حتى قطفت من الشجرة؟

🕮 بدأت المشكلة حينما جلست مع الحية، فأسمعتها الحية كلاما عجيبا "لن تموتا يوم تأكلان تنفتح أعينكما، وتصيران مثل الله، عارفين الخير والشر" {تك ٣: ٤، ٥}، وهنا دخل الشك في قلب حواء. ثم بدأت تفقد الإيمان في صدق كلام الله الذي قال "يوم تأكلان موتا تموتاً" أو على الأقل بدأ إيمانها يتزعزع، ودخلها الشك، وأسلمها الشك إلى الشهوة، شهوة الألوهية، وشهوة المعرفة، وليس مجرد شهوة الثمر، وهنا كان انفعالها الداخلي قد بلغ أقصاه، وفقدت حواء بساطتها، وفقدت نقاوتها الداخلية، ونظرت على الشجرة، فإذا هي: "جيدة للأكل، وبهجة للعيون، وشهية للنظر" {تك ٤: ٦}.

🕮 كل يوم كانت حواء تمر على الشجرة، لأنها في وسط الجنة، ولم تكن تنظر إليها هكذا، فمن أين هذه النظرة؟ فكر غريب دخل إلى القلب، تحول إلى شهوة، وسيطرت الشهوة على القلب، واستسلمت لها الإرادة. وما كانت حواء قادرة في ذلك الحين، وما كان آدم قادرا، على الإمتناع عن الأكل، فحالة قلبهما كانت قد تغيرت تماما عن وضع النقاوة والبساطة الأولى، وحل الشك محل الإيمان، واشتد الإغراء جدا، وضعفت الإرادة جدا، وسقطت حواء وآدم معها.

🕮 كان يجب على حواء أن تبعد عن الخطوة الأولى: فلا تجلس مع الحية وهي "أحيل حيوانات البرية" وإن جلست، فما كان يجب أن تسمع كلاما ضد وصية الله، وإن سمعت، كان يجب أن ترفضه، ولا تصدقه، ولا تجعل الفكر الخاطئ يدخل إلى القلب، ويتحول إلى شهوة، وإن جاءتها مثل هذه الشهوة، كان يجب أن تقاومها.

🕮 ولكنها تركت الأمور تتطور في قلبها، وتقودها من خطية إلى

أخري، حتى وصلت إلى أقصى درجات السقوط، وما كان أغناها عن كل هذا، لو بعد منذ الخطوة الأولى.

📖 **أتريد أنت إذن إلا تسقط؟ ابعد عن الحية:**

📖 ابعد عن "المعاشرات الردية التي تفسد الأخلاق الجيدة" {كو١٥: ٣٣}، احترس من التأثيرات الخارجية الشريرة، واحترس من أن تنفتح عيناك لكي تبصر الخطية، ابعد عن هذه الخطوة الأولى، حتى لا تقودك إلى الضياع شيئا فشيئا.

📖 **فبهذه السقطة عينها سقط شمشون بسبب حية أخري:**

📖 شمشون الجبار، القاضي العظيم، ذو الكرامة والهيبة، الذي كان روح الرب يحركه {قض ١٣: ٢٥}، والذي حل عليه روح الرب {قض ١٤: ٦}، شمشون هذا، باح بسره، وكسر نذره، وأذله أعداؤه ففقأوا عينيه، وجعلوه يجر الطاحون في بيت السجن {قض ١٦: ٢١}، وقد تأثرت جدا من هذا المنظر وأنا شاب صغير منذ حوالي أربعين سنة، وكتبت قصيدة على لسان شمشون أولها:

📖 أنا الجبار أم شبحي ـ أنا شمشون أم غيرى؟

📖 إذا ما كنت شمشونا ـ فأين مهابة القدر؟

📖 وأين كرامة القاضي ـ وأين مواكب النصر؟

📖 وأين النور من عيني ـ وأين الطول من شعري؟

📖 وأين كرامة القاضي ـ هل تدرين ما سرى؟

📖 أجيئ أنني مصغ ـ فقد تحيرت في أمرى؟

📖 أنا الجبار أم شبح ـ أنا شمشون أم غيرى؟

📖 شمشون هذا: هل حلت مأساته فجأة، أم لها تطورات؟

📖 نعم لها تطورات، خطوة تقود إلى خطوة: أولها انه ذهب إلى غزة، وأخطأ هناك {قض ١٦: ١}، ثم تعرف على امرأة اسمها دليلة، وتطورت علاقته بها إلى أنه أحبها وتعلق بها، ثم أقام عندها ٩ وفى

كل هذا ما كان ضميره يتعبه!

📖 وأحس أعداؤه هذا فاستغلوها ضده، وحاولت أن تعرف سر قوته لتسلمه إلى أيدي أعدائه، وسألته أكثر من مرة، وكانت تخبر أعداءه، وهو يعلم هذا، ومع ذلك بقي على علاقته بها، وتطور إلى أن أخبرها بسره، فباعته لأعدائه بالفضة، ورضى أن يسلمها رأسه لحلق شعره، وضاعت قوته، فأسروه.

📖 ما كان أغناه عن كل هذا، لو أنه بعد عن الخطوة الأولى، أو لو أنه أستيقظ إلى نفسه، في أية مرحلة من المراحل التي مرت عليه، قبل أن يصل إلى المأساة.

📖 **مأساة لوط، مرت أيضاً بمراحل وتطورات:**

📖 لقد هلكت سادوم، وهلك معها كل غنى لوط، وفقد كل شيء، وجميع أقاربه، وفقد امرأته أيضاً، وكان يمكن أن يهلك مع المدينة، لولا أن أخرجه مع ابنتيه ملاكان {تك ١٩}.

📖 وأنا عندما أحلل مشكلة لوط، إنما أرجع بعقارب الساعة إلى الخلف سنوات، حينما كان يعيش في صحبة رجل الله إبرام، إلى جوار الخيمة والمذبح، ثم بدأت المشكلة.

📖 أحب لوط الغنى والاتساع، فاشتهى الأرض المعشبة، وأدى به هذا المر إلى أن ينفصل عن رجل الله إبرام، وكانت أول خسارة له، ثم تطلع يبحث عن الأرض المعشبة، فرأى سدوم، وكانت أرض سقى "كجنة الله، كأرض مصر" {تك ١٣: ١٠}، "فاختار لوط لنفسه"، وكان هذا خطأ روحيا "وكان أهل سادوم أشراراً، وخطاة لدى الرب جداً" {تك ١٣: ١٣}، ومع ذلك: لم ينظر لوط إلى روحيات المكان، بل إلى خضرته!

📖 فترك إبرام والمذبح، ليذهب إلى الأرض المعشبة، في عشرة الأشرار، ذهب إلى المكان الذي فيه خير مادي، وليس إلى المكان الذي فيه الله! وبدا أن روحياته في الدرجة الثانية من اهتمامه "وكان

البار – بالنظر والسمع، وهوساكن بينهم – يعذب يوما فيوما نفسه البارة بالأفعال الأثيمة" {٢بط: ٢: ٨}.

📖 ومع ذلك كله، تطور الحال به أسوأ، فاختلط بشعب الأرض، وزوجهم من بناته، فقد هيبته الروحية بينهم، حتى أنه عندما أنذرهم بحكم الله فيما بعد "كان كمازح في أعين أصهاره" {تك ١٩: ٤٠}، وهجموا على بيته حين دخل عنده الملاكان، وانتهى الأمر بهلاك المدينة، وفقد كل ما كان له.

📖 وكان الأجدر أن ينتبه من البداية، ولا يترك إبرام. كان عليه أن يحارب في قلبه الخطوة الأولى، وهي محبة الأرض المعشبة، محبة الغنى والاتساع، إذن ما كان يحدث له شيء من كل هذا الذي حدث.

📖 لنتأمل إذن خطية داود ونرى خطوتها الأولى:

📖 لقد زنى داود، وقاده الزنى إلى القتل، ليغطي خطيئته كما قاده الأمر إلى أسلوب من الكذب والالتواء، لخداع أوريا الحثى {٢صم ١١: ٨ – ١٣}، فهل كان الزنى هو الخطوة الأولى؟ كلا سبقها إنه رأى المرأة تستحم فاشتهاها، ومع ذلك لم تكن هذه هي الخطوة الأولى، إذ سبقها أن داود قام عن سريره، وتمشى على سطح بيت الملك، وتطلع على بيوت الناس، وأسرار حياتهم الشخصية، ولكن سبقت هذه خطوة أخري أساسية: كانت الخطوة الأولى في سقطه داود، حياة الترف:

📖 هذا الترف الذي يجعله يبيت في قصره، بينما الشعب منشغلا في الحرب في الصحراء، وهولا يشاركهم حتى بشعوره، لقد كان أوريا أكثر نبلا منه في هذه النقطة، إذا لما دعاه داود أن يذهب إلى بيته ويستريح، أجاب أوريا" عبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء، وأنا آتى إلى بيتي، لآكل واشرب واضطجع مع امرأتي؟! وحياتك نفسك لا أفعل هذا الأمر" {٢صم ١١: ١١}.

📖 قديما لم يكن داود هكذا لقد تغيرت حياته: كان مطاردا من شاول،

هاربا من برية إلى أخري يسكن في المغارات، يحارب بنفسه، ويبيت على الأرض، ولم يخطئ وقتذاك، أما الآن فإنه في ترف، يسكن القصور، وله خدام وحشم وعبيد، ويرسل الجيش ليحارب، بينما هو في بيته على سريره، يقوم منه ليتمشى على السطوح، وينظر الناس، وليست له مشاعر المشاركة مع جيشه المحارب، وقاده الترف إلى الشهوة، ثم إلى الخطية ومحاولة تغطيتها.

📖 وسقط في خطايا كثيرة، جعلته فيما بعد يبلل فراشه بدموعه {مز ٦} ولما أراد الله أن يعالجه من هذه الخطوة الأولى، سمح أن يقوم ضده أبشالوم، ويخرج داود من قصره حافيا {٢صم ١٥: ٣}، ويشتمه شمعي بن جيرا في الطريق، وبرده الرب إلى طقسه الأول.

📖 فلنتأمل إذن كيف أمكن يبخر سليمان للأوثان:

📖 سليمان احكم أهل الأرض في جيله، الذي ظهر له الله مرتين وكلمه {١مل ١١: ٩}. ومنحه الحكمة، والجلالة، وسعة الصدر، وكيف أمكن أن يسقط في هذه الجهالة العجيبة؟ إنها لم تأت فجأة ولا شك، إنما سلكت في تطورات.

📖 وكانت الخطوة الأولى أن تزوج نساء غريبات {١مل ٩: ١٦، ٢٤}، وتطور الأمر إلى أن قال الكتاب: "أحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون: موآبيات، وعمونيات، وأدوميات، وصيدونيات، وحيثيات" {١مل ١١: ١}، وكان هذا ضد وصية الله التي تمنع الزواج بالأجنبيات.

📖 وتطور الأمر إلى انه بنى مرتفعات على الجبال لآلهة هؤلاء النسوة الغريبات، "كي يوقدون ويذبحن لآلهتهن" {١مل ١١: ٧، ٨}، وانتهى أمر سليمان في تطور الخطية معه بمأساة، إذ يقول الكتاب: "وكان في زمان شيخوخته أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخري. فذهب وراء عشتاروت إلهة الصيدونيين، وملكوم رجس العمونيين. وعمل سليمان الشر في عيني الرب" {١مل ١١: ٤ – ٧} كل ذلك

تطور من الخطوة الأولى، الزواج بأجنبيات.

🕮 يعوزني الوقت إن تحدثت عن تطور الخطية قادتهم إلى خطوات أبشع، ولكنى أقول: لست أقوى من الأنبياء، والحكماء، والجبابرة الذين سقطوا، فاحترس من الخطوة الأولى للخطية، واهرب لحياتك. إنك لست أقوى من آدم، الذي كان في الفردوس في حالة فائقة للطبيعة. ولا أقوى من داود الذي حل عليه روح الرب، وكان مسيحا للرب. ولا أقوى من شمشون نذير الرب، الذي كان روح الرب يحركه. ولا أقوى من سليمان الذي كلمه الرب مرتين، وكان احكم أهل جيله. ولا أقوى من إبراهيم أب الآباء وخليل الله، الذي لكي ينقذ نفسه كذب وقال إن سارة أخته، وعرضها للضياع {تك ٢٠: ١١، ١٣}.

🕮 وصدق الكتاب حينما قال الخطية إنها: "طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء" {أم ٧: ٢٦}. إذن فلنحترس من الخطية بكل قوتها، ليس فقط حينما تشتد علينا، وتهجم مثل أسد يزأر ملتمسا من يبتلعه {١بط ٥: ٨}، وكلا، وإنما من أول خطوة، نمسك أطفالها، وندفنهم عند الصخرة، ليس فقط الخطايا الواضحة البشعة، وإنما كل الخطية مهما بدت بسيطة، أو صغيرة، أو تافهة.

🕮 نعمل بقول الوحي في سفر النشيد: "خذوا لنا الثعالب، الثعالب الصغار، المفسدة للكروم" {ش ٢: ١٥} "الكرم" بصفة عامة هو الكنيسة، وبصفة خاصة: قلب كل مؤمن. و"الثعالب" هي الخطايا الماكرة التي تبدو صغيرة، وليست مثل الوحوش الكاسرة التي يستعد الجميع لها. خطورتها أنها لصغرها، ربما لا يهتم أحد بها. فيتركونها تنمو وتكبر، حتى تتطور إلى وضع مخرب، يصعب مقاومته. وهذه الوصية تدعونا إلى التدقيق والاهتمام، وأن نبحث في حياتنا ما هي هذه الثعالب الصغار لكي نقاومها. كما أننا نتعلم درسا هاما وهو لا يجوز إهمال أية خطية، مهما بدت صغيرة:

📖 فإن أي ثقب بسيط في مركب، قد يتسع إذا ما أهمل، حتى يتحول إلى كارثة غرق. ونهر النيل بمجراه العظيم بدأ بقطرات أمطار سقطت على جبال الحبشة، وسارت حتى وصلت إلينا نهرا. وتل القمامة الضخم الذي ألقوه على الصليب، بدأ بمقطف واحد من القمامة. وأطول مشوار في الخطية، بدأ بخطوة واحدة. فلنحترس مدققين من كل خطوة للخطية. ونطرد الثعالب الصغار.

📖 التي ربما تكون أحيانا قليلا من الكسل، أو التهاون، والتراخي، أو قليلا من التبسط في الكلام، أو التصرف، عارفين أن الذي يهتم بالنسبة إلى القليل، سيهتم ولا شك بالكثير أيضاً، وكما يقول المثل الإنجليزي: "اهتم بالبنس، وستجد أن الجنية يهتم بنفسه". إذن لا تغفل الأشياء الصغير، بل اهتم بمقاومتها

📖 هناك ثعالب صغيرة دخلت حياة القديسين ولنأخذ إبراهيم مثلا: في مرتين، ضحى أبونا إبراهيم بزوجته سارة، قال إنها أخته، فأخذوها إلى ملك البلاد، إذ حسنت في عينيه، لأنها كانت جميلة جدا، مرة في مصر {تك ١٢: ١٠ – ٢٠}، والأخرى في أرض جرار {تك ٢٠: ١ – ١٤} ولولا تدخل الرب نفسه، لضاعت سارة، وصارت زوجة لغير إبراهيم في حياته فكيف وقع أبونا إبراهيم في هذا الأمر؟

📖 لعل الخطوة الأولى هي الخوف على حياته: خاف وقال لسارة "إذا رآك المصريون، يقولون هذه امرأته، فيقتلونني ويستبقونك" {تك ٢: ٢}. وهل من أجل خوفك، تضحى بامرأتك؟ هذا كثير. على أن خوف إبرام من الموت، سبقه خوف آخر من المجاعة يقول الكتاب "حدث جوع في الأرض، فانحدر إبرام إلى مصر، ليتغرب هناك" وكانت مصر لغناها ترمز إلى الاعتماد على الذراع البشرى، ولكن ثعلبا صغيراً كان قد دخل إلى إبرام فما هو؟

📖 هذا الثعلب الصغير غير المرئي، كان ضعف إيمان في قلب إبرام، من جهة إعالة الله له في وقت المجاعة، ضعف الإيمان هذا قاده إلى الاعتماد على الذراع البشرى، فنزل إلى مصر، وعرف الشيطان

نقط الضعف هذه، فقاده إلى الخوف على حياته من الموت، كما خاف على حياته من الجوع، والخوف قاده إلى التضحية بامرأته، وقاده هذا إلى الكذب، والادعاء بانها أخته، واستطاع الثعلب الصغير الذي دخل إليه أن يفسد الكرم من كل هذه النواحي.

📖 **ثعلب صغير آخر دخل إلى أيوب، هو البر الذاتي:**

📖 كانت مشكلة أيوب أنه رجل كامل ومستقيم، ويعرف عن نفسه انه كامل ومستقيم، ومن اجل هذا، وقع في البر الذاتي، وكان كما قال الكتاب: "باراً في عيني نفسه" {أي ٣٢}، وظل الله ينقيه بالتجارب، حتى قال: "نطقت بما لم أفهم، بعجائب فوقى لم أعرفها" {أي ٤٢: ٣}.

📖 **ما أسهل أن نقطة صغيرة تجر إلى مشاكل عديدة جدا:**

📖 ثعلب صغير حارب يوسف الصديق، هو الحديث عن النفس: فتحدث أمام أخوته عن أحلامه، وعن الذين يسجدون له في الحلم، فأثار ذلك حسدهم، وتحول الحسد إلى بغضة "وازدادوا أيضاً بعضا له من أجل أحلامه ومن أجل كلامه" {تك ٣٧: ٨}، وتطور الأمر حتى باعوه أخيراً كعبد، لذلك حسنا أن السيدة العذراء لم تكن تتحدث عن كل العجائب التي تحدث معها، إنما تحتفظ بذلك في قلبها {لو٢: ٥١}.

📖 وكان القميص الملون ثعلبا صغيرا آخر سبب مشاكل: القميص الملون الذي صنعه يعقوب لابن شيخوخته، يوسف فأثار حسد أخوته "فلما رأى أخوته أن أباهم أحبه أكثر من جميع أخوته، أبغضوه، ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام" {تك ٣٧: ٤}، أتراك أنت أيضاً تفعل هذا، حينما تغرق في معاملاتك للناس، وتظهر حبا لشخص منهم أكثر من غيره؟! حقا، من كان يظن؟! أن الخطوة الأولى في خطايا عديدة، تصل إلى بيع الأخ، وخديعة الأبناء لأبيهم، والوصول إلى عبودية فرعون، كل هذه تكون بسبب قميص ملون، أو رواية صبي صغير لأحلامه؟ ولكنها الثعالب الصغار المفسدة للكروم.

📖 لذلك يقول الكتاب: "أسلكوا بتدقيق، لا كجهلاء، بل كحكماء" {أف ٥: ١٥}، كن دقيقا جداً إذن، فربما خطأ تظنه بسيطا يجر إلى مشاكل كثيرة، بينما التدقيق ينفعك، ويعلمك الحرص.

📖 ونضرب لذلك مثلا: الذي يهتم بالحشمة داخل غرفته، لابد سيحتشم في الخارج. الذي في حجرته الخاصة المغلقة عليه، يستحى من أرواح الملائكة والقديسين، هذا لابد أن يسلك باحتشام في الخارج أمام الناس، وتصير الحشمة من طباعه، ومن ناحية أخري، من لا يبالى بأن يجلس في وضع غير لائق، في حجرته الخاصة، قد يتعود ذلك، ويجلس أحياناً بنفس الطريقة أمام الناس!

📖 الشيطان ذكي. لا يهاجمك بخطية بشعة دفعة واحدة: لا يطلب منك باباً واسعاً يدخل منه إلى حياتك. وكل ما في الأمر أنه يستأذنك في ثقب إبرة. وقد لا تبالي، فتسمح له. وهذا يكفيه. يظل يوسعه حتى يتلف حياتك كلها. ولذلك فالتدقيق أفضل.

📖 **ما أكثر الخطايا التي تدخل من ثقب إبرة:**

📖 الشيطان مثلاً لا يدعوك إلى عدم الصلاة، إنما إلى تأجلها.

📖 إن رآك متعوداً الصلاة حالماً تستيقظ، يقول لك: أنتظر حتى تغسل وجهك وتفيق ثم تصلي. وقب أن تفيق يكون قد ألقي في ذهنك أفكاراً عديدة تشغلك وتنسيك، وأشياء أخري تعطلك. أما أنت فلا تعطيه، بل استمر في صلاتك، حتى وأنت ذاهب لتغسل وجهك.

📖 كن محترساً إذن. وابعد عن الخطوة الأولي التي تقودك إلى الإهمال والفتور، أو التي تقودك إلى الخطية.

📖 **والخطوة الأولى للخطية، قد لا تكون خطية في ذاتها**

📖 فربما علاقة خاطئة، تكون بدايتها صداقة بريئة لا خطأ فيها. وربما يكون ضياع وقت البيت كله، حول التلفزيون والأفلام، بدأ بفرجة

بريئة على فيلم علمي أو مباراة للكرة، ثم تطور الوقت، حتى ضيع مذاكرة التلاميذ، وحضور اجتماعات الكنيسة. فعلي الإنسان إذن أن يكون مدققاً ومحترساً، والخطوة الأولي إلى الخطية تختلف من شخص لآخر: الترف كان الخطوة الأولي لخطية داود.

والحسد كان الخطوة الأولي لخطية قايين، وأخوة يوسف.

والتزوج بالأجنبيات الأولي في خطية آدم وحواء وخطايا عصر القضاة {قض٣: ٥، ٦}.

ومحبة النساء كانت الخطوة الأولي في سقطة شمشون.

والخوف كان الخطوة الأولي لخطية بطرس وخطية إبراهيم.

فابحث أنت ما هي الخطوة الأولي في خطاياك؟ واحترس منها جداً. وإن وقعت في الخطوة الأولي، لا تكمل الثانية.

ربما تكون خطوتك الأولي أنك ذهبت إلى غزة، أو إلى سدوم، أو إلى جرار، ربما ضعف في شخصيتك يجعلك تستسلم لمشورة الأشرار. ربما لا تكون محبة الله في قلبك. ربما خطوتك الأولي هي الغرور أو الثقة الزائدة بالنفس التي لا تقودك إلى الاحتراس. وربما تكون الخطوة الأولي لسقوطك هي العثرات.

أياً كانت فسنحاول أن نبحثها معاً، لكي نخلص منها. واستفد من دراسة الخطوة الأولي التي أسقطت غيرك. وبخاصة أولئك الذين كانوا جبابرة في حياة الروح. أنظر إذن "كيف سقط الجبابرة، وبادت آلات الحرب" {٢صم١: ٢٧}. وبالاحتراس من الخطوة الأولي، تعلم حياة التدقيق. واحرص أن تتخلص من الثعالب الصغار المفسدة للكروم. وكما قالت القديسة سارة: "إن فماً تمنع عنه الماء، لا يطلب خمراً. وبطناً تمنع عنها الخبز، لن تطلب لحماً"

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ١٥٠ - ١٦١



{٦} ابعد عن العثرات:

📖 واهرب من مصادر الخطية، ابعد عن العثرات بنوعيها: سواء الواردة إليك من آخرين، أو التي أنت تعثر بها غيرك.

أبعد لخطورة العثرة

📖 العثرة في اللغة هي السقطة: والذي يعثر غيره، هو الذي يتسبب في إسقاط غيره. وبهذا يحمل ذنب ذلك الساقط، أو يشترك في ذنبه.

📖 وفى ذلك قال السيد المسيح له المجد: "ويل لذلك الإنسان الذي به تأتي العثرة" {مت٨: ٧}، "خير له أن يعلق في عنقه حجر الرحي، ويغرق في لجة البحر" {مت٨: ٦، لو١٧: ٢}.

📖 عبارة "ويل لذلك الإنسان" تدل على خطورة خطيته. ولشعور القديس بولس الرسول بخطورة إثار الآخرين، ولحرصه إلا يهلك أحد بسببه، قال عبارته المشهورة: "إن كان طعام [أكل اللحم] يعثر أخي، فلن اكل لحماً إلى الابد، لئلا أعثر أخي" {اكو١٣:٨}.

📖 ولخطورة العثرة أيضاً، نرى أن السيد المسيح وضع الذين يعثرون قبل الخطاة في استحقاق الدينونة. فقال: "هكذا يكون في انقضاء العالم: يرسل ابن الإنسان ملائكته، فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر، وفاعلي الإثم، ويطرحونهم في أتون النار" {متى١٣: ٤ – ٤٢}. جاعلاً المعاثر قبل فاعلي الإثم، لأنهم السبب. وإن كان إعثار الآخرين أمراً خطيراً، فإن إعثار الصغار والبسطاء أمراً أخطر.

📖 وهكذا قال الرب في الويل الذي صبه على الذين تأتي منهم العثرات "من أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بي" {متى١٨: ٦}، "خير له لو طوق عنقه بحجر رحى، وطرح في البحر من أن يعثر أحد هؤلاء الصغار" {لو١٧: ٢}.

📖 ذلك لأن الصغار والبسطاء، يقبلون العثرة بسهولة. إنهم يصدقون

كل شيء، بسرعة، وبلا نقاش، ولا يشكون فيمن يكلمهم، وليست لديهم القوة على فحص الأمو، والتمييز العميق بين ما هو حق، وما هو باطل في كثير من الأمور. وهكذا لا يوجد تكافؤ في كفتي الميزان، بين من تصدر منه العثرة ومن يتقبلها.

📖 وعدم التكافؤ هذا، وجد في عثرة حواء من الخطية:

📖 حواء كانت بسيطة جداً، نقية للغاية، لا تعرف ما هي الخطية من قبل، لا تعرف الشر، لا تشك في كلام غيرها إذ لا تعرف أن هناك كائنات تكذب. لم تختبر الكذب ولا الحيلة من قبل، ولم تعرفهما.

📖 والحية كانت "أحيل حيوانات البرية" تعرف كيف تكذب، وكيف تسبك العثرة في مكر. وهكذا لعدم تكافؤ الكفتين أمكنها أن تعثر حواء. وكانت حواء بالنسبة إلى الحية، هي "أحد هؤلاء الصغار".

📖 هكذا إعثار الأطفال أيضاً:

📖 إنهم في سن يصدقون فيه كل شيء، ويقلدون كل شيء، حتى الحركات والملامح، ويرددون الألفاظ التي يسمعونها، بلا فهم. وهم عجينة سهلة، يمكن تشكيلها بسهولة. لذلك حرام جداً أن يفسدهم أحد.

📖 ما أخطر العثرة التي ينقلونها من آبائهم، ومن إخوتهم، ومن الجيران، والمدرسين، والأهل، ومن وسائل الإعلام المتنوعة، إن التعامل معهم ينبغي أن يكون بحرص شديد، كأجهزة حساسة.

📖 لذلك ابعد عن كل عثرة، وبخاصة للبسطاء وللصغار:

📖 احذر كل حذر أن تتعب أفكار البسطاء، تصور إنسانا ببساطة الأطفال، لم يتفتح قلبه للشر، يأتي إنسان أكبر منه عقلا، وأكثر منه خبرة، فيفتح عينيه على عثرات، ويدخل في ذهنه أفكاراً من الصعب خروجها منه فيلوث فكره، ويفقده بساطته، ويشككه، ويعثره، ويسقطه. إلا يحمل دينونته؟ الذي يعثر صغيرا، يكون كالذي يحارب

من لا سلاح له.



🕮 **وقد تؤخذ كلمة {صغار} النسبي، وليس المطلق:**

🕮 أي من هو أصغر منك في المعرفة، وفى الإرادة، وفى المركز، ويمكنك إسقاطه. حقا ما أخطر هذا الأمر، فما هي خطورته إذن؟

🕮 إننا نوضحها في سببين:

🕮 **١-** شعور الإنسان بأن هذا الشخص كان بريئا، ولولا الذي أسقطه، وأفسد فكره وشعوره، ما كان قد سقط.

🕮 **٢-** ماذا يحدث لو أن هذا أسقط غيره قد تاب ـ بينما الذي سقط بسببه لم يتب؟ هل يستريح ضميره في توبته؟ وهو يرى من قد هلك بسببه؟ لذلك احترس جدا من أن تعثر غيرك.

🕮 إن توبتك في يديك، تستطيع أن تتوب إن رجع قلبك إلى الله، ولكن توبة هذا الذي أعثرته، ليست في يديك، فإن استمر في خطيئته التي سقط فيها بسببك، وهلكت نفسه، تؤخذ نفسك عوضا عن نفسه.

🕮 وحتى إن غفر الله لك بالتوبة، إلا يبقى في قلبك ألم مرير، وأنت ترى من قد هلك بواسطتك، مهما خلصت أنت؟! هذا إذا كنت خلصت أنت؟! هذا إذا كنت أنت سبب العثرة.

🕮 أما إن كانت العثرات تأتيك من آخرين، فنصيحتي لك: ابعد عن العثرات، واهرب من كل أسباب الخطية، تذكر قول الملاك للوط: "اهرب لحياتك. ولا تقف في كل الدائرة. لئلا تهلك" {تك ١٩: ١٧}.

🕮 واذكر أيضاً أن هروب يوسف الصديق من العثرة التي ألحت عليه، كان هو السبب في عدم سقوطه في الخطية، كذلك الرب لما اختار أبانا إبرام، وأراد أن يكون به شعبا مقدساً، أبعده عن العثرات، بأن أخرجه من أرضه وعشيرته {تك ١٢: ١}.

🕮 **بهروبك من الخطية وعثراتها، تدل على رفضك لها:**

🕮 فالهروب من العثرات فضيلة، لأنه يدل على أن القلب من الداخل

لا يريد الخطية، لذلك احترس من أن تظن الهروب ضعفا، فليس من الحكمة أن يفتر الإنسان بقوته، ويعرض نفسه للتجارب، ويدخل نفسه في حروب ربما تتعبه، إذن لا تصف الابتعاد عن العثرات بأنه ضعف، بل قل إنه صيانة.

🕮 وقد نصح الآباء بالبعد عن "مادة الخطية" وقالوا في ذلك "إن القريب من مادة الخطية، تصادفه حربان، من الداخل ومن الخارج، أما المبتعد عنها فله حرب واحدة". وليس الآباء فقط هم الذين ينصحون بالهروب من العثرات، بل الكتاب المقدس نفسه يقول: "وأما الشهوات الشبابية فاهرب منها" {٢تى ٢: ٢٢} ويعلل ذلك بأن "المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة" {١كو١٥}.

🕮 والمزمور الأول واضح في قوله "طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشهورة الأشرار، وفى طريق الخطاة لم يقف، وفى مجلس المستهزئين لم يجلس" {مز ١: ١} لأن صحبتهم كلها عثرات.

🕮 بل حتى السيد المسيح نفسه يقول: "إن كانت عينك اليمنى تعثرك، فاقلعها وألقها عنك"، "وإن كانت يدك اليمنى تعثرك، فاقطعها والقها عنك" {مت ٥: ٢٩، ٣٠} قال ذلك في العظة على الجبل، وكرر نفس الكلام مناسبة أخري {مت ١٨: ٨، ٩}

🕮 وهذا التكرار يدل على اهتمام الرب بهذه النقطة بالذات، أي البعد عن العثرات، وليس شرطا ان يؤخذ كلام الرب هذا بطريقة حرفية، إنما يمكن: تفسير هذه الآيات بمعنى روحي، غير حرفي أي أنه: إن أتتك العثرة من أعز إنسان لديك، الذي هو كعينك، أو إن أتت العثرة من أكثر إنسان يساعدك، كيدك اليمنى، فابتعد عنه.

🕮 أو يمكن تفسير الآية بمعنى أنه إن أتتك العثرة من داخل نفسك وليس من الخارج، فابعد عنها بكل حزم، حسب وصية المسيح، ولو أدى الأمر إلى استشهادك.

من أين تأتي العثرة

📖 **قد تكون العثرة داخلية، من داخل الإنسان:**

📖 "من كنز قلبه الشرير تخرج الشرور" {لو١٦: ٤٥}، فمنه تصعد شهوات، وأفكار تزعجه، قد تكون العثرة من حواسه التي تجمع له مناظر، وأحاديث تتعبه، قد تكون من رغباته ومسلياته وهواياته، ومن أفكاره، وأحاسيسه، ومما خزنه لنفسه في عقله الباطن من صور، واخبار، وأفكار، لذلك فهو يبعثر نفسه، وإن لم تأته شهوة من الخارج، يجلبها لنفسه من الداخل، بتصرفه الخاص حقا "إن أعداء الإنسان أهل بيته" {مت ١٠: ٦}، وبيته هو قلبه وفكره.

📖 إن كنت هكذا، فحاول أن تضبط نفسك، كما قال الرسول: "مستأثرين كل فكر لطاعة المسيح" {٢كو١٠: ٥}.

📖 **هناك عثرات من الخارج: من البشر ومن الشياطين:**

📖 وفى الخطية الأولى للبشرية، يوجد النوعان معا: وهما عثرة الشيطان لحواء، وعثرة حواء لآدم، والشيطان قد يعثر الناس بطريقة مباشرة، وقد يعثرهم عن طريق البشر، وعن طريق خدامه الذين "يغيرون شكلهم كخدام للبر" {٢كو١١: ١٥}.

📖 **وهناك عثرات من الشياطين، كالرؤى والأحلام الكاذبة:**

📖 فالشيطان كما يقول الكتاب قد "يغير شكله إلى شبه ملاك نور" {٢كو١١: ١٤}، ومعروفة القصة التي وردت في البستان، التي ظهر فيها الشيطان بهيئة ملاك لراهب قديس،

📖 وقال له "أنا جبرائيل الملاك أرسلني الله إليك"

📖 فأجابه الراهب في اتضاع "لعلك أرسلت إلى غيرى وأخطأت الطريق أما أنا فإنسان خاطئ لا استحق أن يظهر لي ملاك"

📖 فتركه الشيطان ومضى.

🕮 **وقد يظهر شيطان كروح من أرواح البشر المنتقلين:**

🕮 يقول أنا روح فلان {أحد أقربائك، أو معارفك}، ويخبر بأشياء تتعلق بهذا الإنسان، أو بيته، أو أهله، حتى يصدقه من رأوه. وقد يظهر في صورة أحد القديسين، أو السواح، حتى يخدع الناس.

🕮 وقد يظهر الشيطان في حلم: وهناك أحلام كثيرة من الشيطان، كما قال القديس الأنبا أنطونيوس عن خبر معين "جاء الشياطين في حلم وأخبروني" لذلك نصيحتي لك: لا تصدق الأحلام، ولا تجعلها تقودك في حياتك. فليست كل الأحلام من الله، كأحلام دانيال، ويوسف الصديق، ويوسف النجار، إنما هناك أحلام من الشيطان ليعثر بها الناس، وهناك رؤى من الشيطان.

🕮 **وأيضاً لا تتبع الأرواح، فقد أضلت كثيرين:**

🕮 والكتاب يقول: "لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله، لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا على العالم" {١يو٤: ١}. وهؤلاء مرسلون من الشيطان، وكذلك المسحاء الكذبة، والمسيح الدجال في آخر الزمان، ضد المسيح الذي قال عنه الرسول: "مجيئه بعمل الشيطان، بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة، وبكل خديعة الإثم في الهالكين" {٢تس ٢: ٩}.

🕮 **كذلك ميز أفكار الشيطان وحيله:**

🕮 فقد يحارب بالفكر، وليس فقط بالرؤى والأحلام والأرواح، أما أنت فلا تصدقه، كما يقول الرسول: "لئلا يطمع فينا الشيطان، لأننا لا نجهل أفكاره" {٢كو٢: ١١}، لذلك لا تتبع كل فكر يأتي إليك، ظانا أنه من روح الله! ولا تقل في جرأة "الروح قال لي"، وأصبر على الأفكار، لتعرف هل هي من الله أم لا. واستشر.

🕮 إن القديس مكاريوس الكبير جاءه فكر أن يزور الآباء السواح في

البرية الجوانية، وهو فكر مقدس كما يبدو، ولكن القديس مكاريوس قال في ذلك "فبقيت مقاتلا هذا الفكر من الله أم لا" إذن لا تسرع وراء الأفكار لتنفذها، إن الشيطان قدم للمسيح ثلاثة أفكار ولكنه رفضها جميعا، ولم يقبل شيئا منها، ورد عليها.

📖 فارفض أنت أيضاً كل فكر يأتيك من الشيطان، وتذكر ما قيل على لسانك في المعمودية "أجحدك أيها الشيطان، وكل أفكارك الردية، وكل جنودك وكل بقية نفاقك". أرفض كل فكر لا ينميك روحيا، ولا يبنيك، سواء جاءك من الشيطان أومن الناس.

📖 **وكما تهرب من عثرات الشيطان، أهرب من عثرات الناس:**

📖 وعثرات الناس منها نوع عام قد يشمل المجتمع كله، ومنها نوع خاص بك أنت بالذات، من جهة الأشخاص الذين تختلط بهم، سواء كانت عثرتهم لك ولغيرك، أولك وحدك. سواء كانوا أعداء، أو أصدقاء، فالعثرة قد تأتى من أعز الأقرباء والأحباء.

📖 وغالبية الشبان الذين يفسدون، إنما يأتيهم الفساد من أصدقائهم الأعزاء جدا، الذين لهم تأثير عليهم، وشمشون أتته العثرة من دليلة، وكانت أحب إنسان إلى قلبه، كما أن آخاب الملك أتته العثرة من زوجته إيزابيل، ولا ننسى أن أبانا آدم أتته العثرة من حواء، وما أكثر الأطفال في البيوت الذين تأتيهم من والديهم، إن كان البيت غير متدين – فيسمعون في البيت الشتائم، وكلام الشجار، ويأخذون عن الوالدين كل الطبائع، والعادات الخاطئة.

📖 **ويعقوب أبو الآباء أتته العثرة من أمه رفقة:**

📖 هي التي أوعزت إليه أن يتنكر في زى أخيه عيسو، ويخدع أباه إسحق، ويأخذ البركة منه. وهي التي وضعت الخطة كلها، ودبرت كل شيء. ولما خاف يعقوب من هذه الخديعة، وإمكانية انكشافها قائلا: "فأجلب على نفسي لعنة لا بركة قالت له أمه: "لعنتك على يا

انبى. اسمع لقولي فقط" {تك ٢٧: ٨ – ١٣}، وما أسهل أن تأتى العثرة لأبنة من أمها، الأم التي تتلف حياة ابنتها بعد زواجها، وتعمل على خراب بيتها، بالتدخل، وفرض رأيها عليها وعلى زوجها.

📖 **السيد المسيح جاءته عثرة من تلميذه بطرس، فوبخه:**

📖 والمقصود بهذه العثرة "نصيحة خاطئة". إذ فيما كان السيد يشرح لتلاميذه إنه ينبغي له أن يذهب إلى أورشليم "ويتألم كثيرا من الشيوخ، ورؤساء الكهنة، والكتبة، ويقتل وفى اليوم الثالث يقوم".

📖 لم يعجبه بطرس أن معلمه العظيم يسلم نفسه"، "فأخذه بطرس إليه"، وقال له في محبة خاطئة "حاشاك يا رب لا يكون لك هذا"، فالتفت الرب إليه وقال: "اذهب عنى يا شيطان. أنت معثرة لي" {متى ١٦: ٢١ – ٢٣}، وهكذا رفض المسيح هذه العثرة من تلميذه وصديقه.

📖 **ينبغي أن ترفض العثرات التي تأتيك من أحبائك:**

📖 حتى لو كانت تلك العثرة من أقرب أقربائك، فقد قال السيد المسيح: "أعداء الإنسان أهل بيته، من أحب أبا، أوأماً، أكثر منى فلا يستحقني. ومن أحب ابناً، أو ابنة، أكثر منى فلا يستحقني" {متى ١٠: ٣٦، ٣٧}، وإن الحب هو أولا لله، ومن محبته تنبع كل محبة، والطاعة هي أولا لله، ومن طاعته تنبع كل طاعة، حتى طاعة الآباء قال عنها الكتاب: "أيها الأولاد أطيعوا والديكم في الرب، فإن هذا حق" {أف ٦: ١} هي إذن طاعة لازمة، ولكن "في الرب".

📖 **ولذلك يوناثان لم يطع والده شاول في اضطهاده لداود:**

📖 بل وبخه على ذلك بقوله: "لماذا تخطئ إلى دم برئ، بقتل داود بلا سبب" {١صم ١٩: ٥}. كان سليمان الملك مع احترامه الشديد لوالدته بتشبع، لم يطعها في وساطتها لأدونيا أخيه" {مل ٢: ١٩ – ٢٣}.

📖 **ومن حدود الطاعة، أنه لا تكون فيها عثرة:**

📖 من عشرتك مع الناس، ومن خبراتك في الحياة، أصبحت تدرك تماما من أين تأتيك العثرة، وبسبب من، فاستفد من هذه الخبرة في أن تحيط نفسك بجو نقى على قدر إمكانك، والذين لا تستطيع أن تبعد عنهم جسديا، ابعد عنهم من جهة الفكر، ومنهج الحياة، وكما قال الكتاب: "لا تشتركوا في أعمال الظلمة غير المثمرة، بل بالحرى بكتوها" {أف ٥ ك ١١} فإن لم تستطع أن تبكتها، فعلى الأقل لا تسر في تيارها، ولا تخضع للعثرة.

📖 واحرص أنت نفسك إلا تكون عثرة لغيرك، حتى لا تقع في مسئولية أمام ضميرك، وأمام الله، وربما أمام الناس، إن تسببت في سقوطه أحد.

مسئولية العثرة

📖 شاب أعثر من فتاة، ووقع في الشهوة، فما مسئوليتها؟

📖 الإجابة هي: إن كانت هذه الفتاة في كامل أدبها، وهي جميلة بطبيعتها، وجمالها كان السبب في عثرة هذا الشاب، فلا لوم عليها إطلاقا، ولا مسئولية عليها في العثرة.

📖 فهناك قديسات، بسبب جمالهن، أعثر البعض، ولعله من أبرز الأمثلة على ذلك، القديسة يوستينه التي كانت جميلة جدا، وقد وقع إنسان في محبتها، ولم يستطع أن يستحوذ عليها، فاستخدم السحر في الوصول إلى ذلك، وكان مجرد ذكر اسمها يطرد الشياطين المستخدمة في السحر، حتى آمن الساحر كبريانوس بسبب ذلك، وصار من قديسي الكنيسة.

📖 أنستطيع أن نقول إن القديسة يوستينا عليها مسئولية في العثرة؟! كلا بلا شك، وإنما هنا: المسئولية كاملة على من اشتهاها، والعثرة بسبب شهوته. وبنفس الوضع يمكننا أن نتكلم عن القديسة سارة زوجة أبينا إبراهيم، كانت جميلة جداً، وكان جمالها يجذب الملوك،

حتى أخذها فرعون إلى قصره مرة {تك ١٢: ١٤، ١٥}، وأخذها أبيمالك ملك جرار مرة أخري {تك ٢٠: ٢}، ولم يكن لها ذنب في المرتين كلتيهما. لا ذنب لها طبعا في إنها جميلة. إنما الذنب كله على من يشتهى. إذن متى تكون المرأة مسئولة في العثرة؟

🕮 تكون كذلك إن قصدت أن تغرى الرجل، وتجتذبه إليها بطريقة فيها لون من الإثارة، أو إن سقط الرجل بسبب سلوكها أو سبب حديثها، أو بسبب إغرائها، أو إن كانت في زينتها، أوفى ملابسها سبب عثرة فعلا، بالنسبة إلى الإنسان العادي.

🕮 وكذلك تكون الفتاة مسئولة إن عملت على إغراء الشاب، أما بملء قلبه بشهوات تجعله يرتكب الخطية بالحواس، أو العمل، أو إن تعثره بطريقة تشغل فكره فيهمل مسئولياته، ويضيع روحياته.

🕮 أما إن كان كل السبب في عثرة الفتاة هو جمالها الطبيعي، فلا ذنب عليها، نقول هذا حتى لا تتشكك بعض الفتيات الطاهرات، ويقعن في الوسوسة وفى عقدة الذنب بسبب جمالهن.

🕮 **وما يقال على المرأة في ذلك، يمكن أن يقال على الرجل:**

🕮 وإلا فما ذنب كل هؤلاء؟ ما ذنب يوسف الصديق في أن امرأة فوطيفار وقعت في الشهوة بسببه، لأنه كان جميلا؟ هل نستطيع أن نقول إنه أعثرها؟! أو إن ضميره يتعبه إذ وقعت في الشهوة بسببه؟ كلا، بلا شك.

🕮 وبنفس المنطق، ما ذنب الملاكين اللذين وقع أهل سدوم في شهوة الجسد بسببهما، وهما كملاكين ما كان لهما جسد، بالإضافة إلى أن لهما طهر الملائكة إنما العثرة هنا في القلب الفاسد الذي اشتهى.

🕮 ونفس الكلام يمكن أن يقال عن زكريا الراهب الشباب الصغير، الذي حدثت عثرة بسبب جمال صورته، وقد رويت قصته في بستان الرهبان، واضطره أن ينزل إلى بحيرة الملح ويشوه جسمه وشكله،

ليبعد العثرة التي تسببت من أخطاء غيره.

📖 أما الذين يريدون أن يهربوا من مسئولية أخطائهم، وذلك بأن يلصقوها ظلما بغيرهم، قائلين إنه قد أعثرهم على الرغم من براءته، فهؤلاء ينطبق عليهم قول الشاعر: "نعيب زماننا والعيب فينا ـ وما لزماننا عيب سوانا"

📖 ما أجمل كلام السيد الرب عن العين البسيطة:

📖 لقد قال " إن كانت عينك بسيطة، فجسدك كله يكون نيراً، وإن كانت عينك شريرة، فجسدك كله يكون مظلما" {مت ٥: ٢٢، ٢٣}، وكثيرون يعثرون، لأن عيونهم ليست بسيطة، عيونهم فيها الخطية، لذلك كل شيء يمكن أن يثير الخطية فيهم، فليت كل أحد يدرب نفسه على هذه العين البسيطة.

📖 وكما تكلمنا عن مدى مسئولية الفتاة في إعثار الشاب، نقول:

📖 هناك مسئولية أيضاً على الشاب في إعثار الفتاة، فقد يعثرها الشاب بكثرة المديح، والكلام المعسول، وبالود الذي يظهره لها في تلطف زائد غير عادى، أو يعثرها بكثرة إلحاحه عليها، ومطارتها بشدة حتى تضعف، وتحرج، وتستجيب له، كما يعثرها بالوعود التي يعطيها لها، والتي يؤكدها مراراً فتصدقه، وهكذا يعلقها ويتعبها، ولكنها إن أعثرت من مجرد شخصيته، فلا ذنب له في ذلك.

📖 أما أنت فابعد عن المُعثِرات من كلا النوعين:

📖 **{أ}** ابعد عن العثرة المثيرة فعلا، التي يوجد فيها نوع من الإغواء، أو الإغراء، والتي على صاحبها مسئولية في إسقاط الآخرين، وحاول على قدر إمكانك أن تكون عينك بسيطة.

📖 **{ب}** وابعد أيضاً حتى عن المجالات البريئة بطبيعته، ولكنها تسبب لك عثرة بسبب ضعفك أنت، وقل لنفسك في اتضاع: أنا لا أريد هنا

أن أبحث عن المسئولية أين أضعها، هل هي بسبب غيرى، أم بسببي وإنما: سأبعد حتى لا أسقط، ولو بسبب ضعفي.

📖 حتى لوكان غيرى بريئا تمام البراءة، كبراءة الذئب من دم يعقوب! أو كبراءة ابن يعقوب من خطية امرأة فوطيفار.

📖 **ونفس الكلام نقوله عن باقي أنواع العثرات:**

📖 ونقصد العثرات الأخرى، خارج نطاق الأمور الجنسية، كأن يفهمك إنسان بطريقة خاطئة، بينما يكون كلامك واضحا جدا، ولا يعنى إطلاقا ما قد فهمه! أو إن يقول لك أحدهم "أنت تقصدني بهذا الكلام"، بينما تكون بريئا جدا، ولا تقصده، وإنما هي ظنونة وشكوكه، وشعوره الداخلي بالخطأ، ونقول إنه في كل ذلك: ليست العثرة من المتكلم، إنما هي مسئولية الفهم الخاطئ.

📖 ومع ذلك عليك من أجل المحبة، أن توضح قصدك السليم، وتشرح ما التبس على غيرك فهمه، وأن تحترس في كلامك حتى لا يفهم خطأ، ومع ذلك ابعد عن العثرات، وكن حريصا جدا في الكلام، وفى التصرف، وخصوصا حيثما يوجد بعض الموسوسين، الذين يفهمون الكلام بطريقتهم الخاصة.

📖 **هناك نوع من الناس، يقول الواحد منهم باستمرار:**

📖 أنا تعقدت من تصرفات الناس! أنا تعقدت من كلامهم!

📖 ويقصد أنه قد أعثر منهم، ومن كلامهم، وسواء كان هذا الكلام صحيحا، أو مبالغا فيه، سواء كانت هناك عقد داخلية، أو التعقيد في تصرفات الناس، السيد المسيح قد قال لنا: "لابد أن تأتى العثرات" {مت ١٨: ٧}، ذلك لأننا لا نعيش في عالم مثالي، وإنما في عالم مملوء بالعثرات، فيه الحنطة، وفيه أيضاً الزوان، وسيبقى الزوان مع الحنطة إلى يوم الحصاد {مت ١٣: ٣٠}.

📖 فما هو موقفنا إذن؟ الموقف السليم هو أن: لا نبحث على من تقع

مسئولية العثرة، إنما نبحث عن الخلاص منها. والخلاص منها، هو في الهروب من العثرات، وليس في فحص المسئولية فيها، في أسهل أن يوقعنا هذا الفحص في أخطاء أخري، ولكن لا يجوز أن نقول إننا تعقدنا من عثرات الناس.

🕮 **فلا يصح أن تفقدنا العثرات نقاوتنا الداخلية:**

🕮 ولا يصح أن تفقدنا العثرات سلامنا القلبي، نحن لسنا في السماء، ولكننا على الأرض، والأرض لابد توجد فيها أخطاء، والمهم هو أننا ننجو من هذه الأخطاء، ولا ننجو منها بالتذمر، والشكوى، إنما ننجو من العثرات، بنقاوة القلب، وبعدم الاستجابة لها، وفى نفس الوقت لا نعثر أحداً.

🕮 وإن كنا أقوياء من الداخل، لا تضرنا العثرات بشيء، بل نكون كالبيت المبنى على الصخر، الذي صادمته الأمطار والعواصف، فلم تؤذه بشيء {متى ٧: ٢٥}. إن المسئولية ليست كاملة في كل الحالات على الذي تأتى منه العثرة.

🕮 فهناك التجارب من الطرف الآخر، ولولاه ما تمت السقطة، قد يقول الكحول إن عود الكبريت أعثرني فاحترقت، ولكنى أقول: لولا أن السبرتو مادة قابلة للاشتعال، ما كان يعثره عود الكبريت، هوذا عود الكبريت قائم كما هو، وكوب الماء لا يعثر منه، بل إنه إذا اقترب من كوب الماء ينطفئ.

🕮 وعلى كل، سواء كنت ماءاً أو كحولا، فالهروب بالنسبة إليك أضمن، الهروب على الأقل فيه اتضاع يخلص كثيرين، فقد أبصر القديس الأنبا أنطونيوس فخاخ الشيطان منصوبة، فصرخ "يا رب، من يفلت منها؟ فأتاه الصوت المتضعون يفلتون منها.

🕮 العثرة الخطوة أولى: إن وقعت فيها، فلا تكمل باقي الخطوات، ووجود العثرة ليس عذراً لك، ولا تبريرا لأخطائك، لأن الله وضع

فيك روحه القدوس، ومنحك قوة للمقاومة، فإن استجبت للعثرة، تكون قد خسرت هذه القوة الإلهية، ولم تستخدمها.

📖 إن الانتصار ممكن أمامك، تذكر يوسف الصديق الذي كان أقوى من العثرة وانتصر، على الرغم من شدة الحرب التي تعرض لها، العثرة مجرد عرض، فإن لم يصادف قبولا، انتهى أمره.

أنواع العثرات

📖 يركز كثيرون الكلام في العثرة على الأمور الجنسية، وهي حقا هامة وخطيرة، ولكنها ليست كل شيء.

📖 والعثرات في هذا المجال تأتى بطرق كثيرة من وسائل الإثارة الجنسية، سواء عن طريق الإغراء الذي يقوم به الأفراد، أوعن طريق وسائل اللهو المختلفة، ووسائل الترفيه، بالصور المعثرة، والأغاني العابثة، والفكاهات الجنسية، أوعن طريق القصص البطالة التي تسمع وتقرأ، وكذلك الروايات والأفلام.

📖 وقد تأتى العثرة عن طريق الخلطة، والمعاشرات الردية، وقد تأتى من داخل النفس، أما أنت فابعد عن كل العثرات، واضبط حواسك، واعلم إن "الحواس هي أبواب للفكر" كما قال مار إسحق، وما تراه، وما تسمعه، قد يجلب لك أفكاراً خاطئة، ويكون معثراً لك، والفكر قد يلد شهوة، والشهوة تقود إلى الخطية الفعلية.

📖 ولكن لعلك تسأل: ماذا أفعل؟ هل أغمض عيني، والعثرة في كل مكان؟! ولا بد أنى سأرى وسأسمع؟

📖 فأقول لك إنك لست مسئولا عن النظرة الأولى، مادامت قد أتت عرضا، ولكنك مسئول عن النظرة الثانية، ودوافعها.

📖 إن كان المنظر المعثر رأيته قد أثارك، أو أعجبك، فأعدت النظر إليه بإرادتك، سواء في صورة حية، أو صورة مطبوعة، فأنت هنا تكون قد أخطأت، لأنك بإرادتك الحرة قد نظرت، فإن كانت النظرة

الأولى كذلك، برغبتك وإرادتك، فأنت مسئول عنها أيضاً.

📖 ونفس الوضع نقوله عن السماعات الخاطئة، اهرب منها، فماذا إن لم تستطع؟ إن اضطررت لسماعها، فلا تعطها عمقك، ولا فكرك، ليكن سماعا عابرا، لا تدخله إلى أعماقك، ولا تفكر فيه، ولا تعيده إلى ذهنك، ولا تعلق عليه، وكما قال الشاعر: "إذ بُليت بشخص لا خلاق له ـ فكن كأنك لم تسمع، ولم يقل".

📖 وبقدر إمكانك اهرب من اللقاءات المعثرة، فإن اضطررت إلى هذا، اجعلها قصيرة المدى على قدر استطاعتك، كذلك لا تنفرد مع شخص يقاتلك به العدو، وتضعف من الداخل في وجودك معه، وحاول في أمثال هذه اللقاءات، أن ترفع قلبك إلى الله وتصلى، ولا تكن في اللقاء بكل قلبك وعواطفك.

📖 هذه كلمة مختصرة عن العثرات الجنسية، وهي موضوع طويل وضعت فيه كتب، وليس الآن مجاله، إنما نحب أن نقول هنا ن إن العثرات ليست جميعها جنسية.

📖 **فهناك عثرات الفكر مثلا، وهي على أنواع:**

📖 منها الفلسفات الخاطئة التي قد تقرأها فتشوش أفكارك، وقد تجلب لك شكوكا، إذا كنت تقرأ وأنت غير مستعد لها مسبقا، بفكر أصيل سليم، ويلزمك الحرص فيما تقرأ.

📖 وتوجد الكتابات الإلحادية، والتي تهاجم الدين، والملحدون كثيرون، وكل ما يكتبونه توجد ردود عليه، ولكنهم يشكلون عثرة بالنسبة إلى غير الدارسين، وغير العارفين، وتسبب لهم شكوكا هي أخطر عليهم من خطايا الجسد، التي يسهل التخلص منها.

📖 **والمضلون في الفكر الديني كثيرون، ومعثرون:**

📖 كان يربعام بن بناط لإسرائيل إذ جعله يخطئ، وينحرف عن عبادة

الله {١مل١٤: ١٦}. وقد كان من مضللي الشعب قبيل مجيء المسيح: يهوذا الجليلي في أيام الاكتتاب الذي أزاغ وراءه جمعاً غفيراً. وثوداس الذي التصق به حوالي أربعمائة {أع٥: ٣٦، ٣٧}.

📖 كذلك في أيام المسيح كان الكتبة، والفريسيون، والصدوقيون، وأمثالهم مضلين للشعب. وكانوا عثرة كبيرة. أمسكوا مفاتيح المعرفة، فما دخلوا وما جعلوا الداخلين يدخلون. لقد أعثروا الشعب كله بتعاليمهم.

📖 **ومن العثرات الفكرية، الأفكار العقيدية المنحرفة:**

📖 الأفكار التي تشمل بدعة، أو هرطقة، أو فكراً لاهوتياً غير المسلم لنا من الآباء القديسين، ولا يتفق مع العقيدة السائدة في الكنيسة، والتي يؤمن بها الكل. وهذا الفكر قد يعثر الناس، ويثير فيهم شكوكاً. فلا تقبل هذه الأفكار كما قال الآباء الرسل {غلا١: ٧، ٨، ٣ يو١٠، ١١}.

📖 **اهرب من هذه العثرات الفكرية، فأنت في زمان التوبة:**

📖 أنت إنسان تبحث عن خلاص نفسك. فما شأنك الأفكار التي تشوش على ذهنك، وتدخلك في مجالات من الجدل، وربما في خصومات، لا تتفق مع سعيك إلى نقاوة القلب بالتوبة. أتركها إلى المتخصيصين يردون عليها. واعكف أنت على الكتب الروحية التي كلما تقرأها، تزداد محبتك لله، وتشعر باقتراب قلبك إليه.

📖 وكما تهرب من العثرات الفكرية العقيدية، اهرب من كل عثرات فكرية أخري مثل: عثرات الفكر التي تجعلك تعثر في الناس وتدينهم.

📖 فهناك أشخاص إذا أتعبتهم أفكار الإدانة، أ وأخبار الإدانة، يصبونها جميعها في آذان الآخرين، ولا يبالون إن كانت تعثرهم هذه الأخبار أم لا، ولا يبالون بما تدخله في قلوبهم من جهة الشك في الناس، أو إدانتهم، والإقلال من شأنهم، أو عدم المحبة لهم. أما أنت فاهرب من كل هذه، وحاول أن تحتفظ بمحبتك للكل. والذين يشوهون صور

الناس في نظرك، ابعد عنهم، لتحفظ بنقاوة فكرك.

📖 **وهناك عثرات من الذين يحكون أسرارهم للناس:**

📖 هم لا يستطيعون أن يحفظوا سراً، حتى أسرارهم الخاصة، وخطاياهم يحكونها للناس. وقد يعثر السامع من سماع هذه الأسرار والأخبار. ويعثر من أسماء الناس الذين تتعلق بها تلك الحكايات، وربما يقع في خطايا بسببها.

📖 ومع أن الكنيسة حرصت أن تجعل الاعتراف سراً، إلا أن الناس مازالوا يحكون لغيرهم، وتكون حكاياتهم عثرة.

📖 **ومن العثرات الفكرية أيضاً، المشورات الخاطئة، والمضرة:**

📖 وكمثال لذلك مشورة أخيتوفل. وكان أخيتوفل هو مشير داود، تركه وانضم إلى فتنة أبشالوم، ليقدم له نصيحة كانت عثرة لأبشالوم، وتشجيعاً له في الثورة على أبية داود. ولكن الرب سمع لصلاة داود، وأبطل مشورة أخيتوفل.

📖 ومن أمثال مشورة أخيتوفل المعثرة مشورة بلعام لبالاق {عدد٢٢}. وقد أطلق عليها الكتاب اسم "ضلالة بلعام" {يه١١}. وقال عنه شفر الرؤيا أنه: "كان يعلم بالاق أن يلقي معثرة أمام بني إسرائيل، أن يأكلوا ما ذبح للأصنام ويزنوا" {رؤ٢: ١٤}. وذلك لكي يحل عليهم غضب الله، فينتصر عليهم عدوه.

📖 ولا شك أنها كانت مشورة معثرة وشريرة. فتخير أنت مشريك، وابعد عن كل مشورة معثرة. سواء صدرت ممن تستشيرهم، أو ممن يتطوعون لنصحك في حياتك. وقد يقدمون لك نصائح لا ترضي الله. وربما تأخذ صورة الإشفاق عليك، بينما لا يكون إشفاقهم روحياً.

📖 **ومن العثرات التي يتعرض لها البعض، القدوات السيئة:**

📖 فلا تجعل هذا الأمر يعثرك، مهما كان الشخص الذي أعثرت

بتصرفاته كبيراً، ولا يغير هذا الأمر من مبادئك شيئاً، ولا من حبك لله وكنيسته. وتذكر أنه قيل عن إيليا النبي العظيم: "إيليا كان إنساناً تحت الآلام مثلنا" {يع٥: ١٧}.

📖 ولتكن قدوتك الثابتة في السيد المسيح، وسير القديسين. أما أخطاء الناس مهما كبروا فلا تجعلها تعثرك. فالخير هو الخير مهما بعد البعض عنه. والكتاب المقدس ذكر لنا خطايا الأنبياء، لنعلم أن الإنسان هو الإنسان بضعفاته أياً كان مركزه.

📖 أما العثرات الخاصة في حياتك، فافحصها واعرف أسبابها وابعد عنها، لأن التوبة لا تتفق والعثرات. ابحث عن الأسباب التي تعثرك وتقودك إلى الخطية، ما هي؟ وهل هي قريبة منك؟ وكيف تبعد عنها؟ وهل هي داخل نفسك، أم تأتيك من آخرين.

📖 وابعد عن هذه العثرات على قدر إمكانك، حتى لا تؤثر عليك. واهرب من الأصدقاء الذين يجربونك إلى أسفل، ويفقدونك روحياتك. وردد ما نقوله باستمرار في الصلاة الربية "لا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير".

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ١٦٢ - ١٧٨

📖 {١٣} لا تتساهل مع الخطية:

📖 كثيراً ما يسقط الإنسان في الخطية، بسبب التساهل. فكيف ذلك؟

📖 المعروف أن الخطية تبدأ بحرب من الخارج، وتريد أن تدخل وتسيطر. وبالتساهل تتحول الحرب من الخارج إلى داخل القلب.

📖 فكيف يحدث هذا التطور؟ وما دور التساهل فيه؟

📖 تكون الخطية في الخارج: منظراً مثيراً، أو صورة في كتاب، أو كلمة يقولها شخص ما، أو أي شيء يمكن اشتهاؤه، أو اقتناؤه.

📖 ثم يتساهل الإنسان مع حواسه، مع سمعه، أو بصره، فيأتيه الفكر ضعيفاً في البدء، ويمكن طرده بسهولة. ولكن: بالتساهل مع الفكر،

ينزل إلى القلب، ويتحول إلى شعور، فإن استيقظ الإنسان إلى نفسه، يمكنه التخلص من هذا الشعور، موقنا تماماً أن هذا الشعور الخاطئ يبعده عن محبة الله، ويقوده إلى خطية، بل هذا الشعور الخاطئ هو خطية في حد ذاته، وعدم نقاوة في الداخل، وينجس القلب.

📖 **ولكن بالتساهل مع الشعور، يتحول على انفعال، أو شهوة:**

📖 وهنا يكون الإنسان قد بدأ يخضع للفكر، وبدأ يدخل في صراع داخلي، بين شهوته وضميره، ومن طبيعة الشهوة إنها تريد أن تسيطر، إن طردت بحزم وأمكن التخلص منها، ولكن بالتساهل تبدأ الشهوة أن تنتشر، أو يبدأ الانفعال أن ينتشر، حتى تشمل هذه الحرب الداخلية فكر الإنسان، وقلبه، حواسه، وربما جسده أيضاً.

📖 **وبالتساهل مع الشهوة، تحاول أن تعبر عن ذاتها عمليا:**

📖 أي تحاول أن تشبع ذاتها بطريقة عملية، فإن تساهل في ذلك، يتم العمل، وتصبح الخطية كاملة، ثم لا تستريح الخطية بهذا، إنما تريد أن تتكرر، فإما أن يتوب الإنسان بعد سقطته، وإما أن تتكرر خطيته ولكنه أحيانا: يتساهل في عمل الخطية، فتتحول إلى عادة أو طبع.

📖 وبهذا يخضع لسيطرتها، ويصير عبدا لها، يفعلها بغير إرادته أحيانا، ولا يملك السيطرة على نفسه، كمن يقع في الغضب تلقائيا، ويثور دون أن يتحكم في نفسه، وكمن يخطئ في الكلام دون أن يتحكم في نفسه، وكمن يزنى، أو يجمع المال، أو يستهزئ بغيره، كل ذلك تلقائيا، دون يراجع نفسه، ويتحكم فيما تفعل.

📖 أما الأبرار، فهم في منتهى الحزم، لا يتساهلون مع أنفسهم، لهم رقابة شديدة جدا على أنفسهم: رقابة على كل فكر، على كل شعور، رقابة شديدة على حواسهم، في حزم، ورقابة على كل كلمة تخرج من أفواههم، وعلى كل تصرف، قلوبهم "جنة مغلقة، عين مقفلة، ينبوع مختوم" {نش ١٢:٤}، ولقلوبهم وأفكارهم وحواسهم أبواب

حصينة، عليها حراسة مشددة، لا يستطيع أن يفلت منها أحد، فرقابة الضمير ساهرة في حرص، والنعمة تحفظها.

📖 هذا الإنسان البار المحصن، الساهر على خلاص نفسه، يغنى لها، ويغنى لحفظ الرب له، ويقول: "سبحي الرب يا أورشليم، لأنه قوى مغاليق أبوابك، وبارك بنيك فيك، وجعل تخومك في سلام" {مز ١٤٧}، فهل أنت هكذا؟ أم أنت متساهل في حراستك لنفسك؟ غير مدقق في غلق أبوابها، بل تفتحها بين الحين والحين، ظانا أن العدو لا يقدر على هدم حصونك؟

📖 **لا تتساهل إذن مع الخطية، اعتماداً على قوتك:**

📖 ثقة منك أن الشيطان لا يقدر عليك، على الأقل في هذه النقطة بالذات، إنما خذ درسا من سقطات القديسين، والأنبياء، واعلم أن الخطية "طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلاها أقوياء" {أم ٧:٢٦}، فالذي لا يحترس، ولا يبعد عن العثرات، ولا يهرب لحياته، ولا يطلب معونة الله ونهاراً، ويمكن أن يسقط كما سقط من قبله أقوياء،

📖 واعلم أنك إن تساهلت مع الخطية، يمكن أن تجرك – دون أن تشعر – خطوة خطوة في السقوط، وإلى الهلاك، تأمل أية نتائج خطيرة تحدث لك، كلما تساهلت مع الخطية، يقل احتراسك، وتضعف إرادتك، وتقل محبتك لله، وتتغير في الداخل، وفى الخارج.

📖 إنك تكون في ملء قوتك – حينما تبدأ الحرب الروحية – وفى ملء عمل النعمة معك، ولكنك كلما تتساهل مع الخطية تضعف قوتك، وتقل مقاومتك، ويزداد تأثير الخطية عليك، وتزداد سيطرتها على تفكيرها، وشعورك، وإرادتك، إذ يكون فكر الخطية قد ثبت أقدامه داخلك، وحينما تحاول أن تخرج من نطاقه، ومن مجاله، تجد عقبات، وتدخل في صراع، وقد كنت تقوى عليه في بادئ الأمر.

🕮 **بتساهلك تجد عدوا في داخلك يقاومك، ويضغط عليك:**

🕮 وباستمرار التساهل، تجد قوتك قد فرغت، واستسلمت، كقطعة من الحديد، وجدت نفسها في مجال من المغناطيس، وتريد أن تخرج منه ولا تعرف، وأحياناً لا تريد، بل تجد نفسها بكل ما فيها منجذبة إليه.

🕮 **في تساهلك مع الخطية، تحزن الروح الساكن فيك:**

🕮 وتطفئ حرارة الروح في داخلك {١تس ١٩:٥، أف ٣٠:٤}، وتتنازل عن النعمة المعطاة لك، وتكون بهذا التساهل مع الخطية، قد رفضت سلاحك الروحي، وخنت الرب، وفتحت الباب لأعدائه ومقاوميه، خنت عشرة الله، ودخلت في عشرة الخطية، ولو عن إهمال وتراخ، صلابتك بدأت تهتز من الداخل، فالأقوياء لا يتساهلون.

🕮 **تساهلك مع الخطية، معناه أن مثاليات بدأت تهتز:**

🕮 بدأت تتنازل عن المستوى اللائق بك كصورة الله ومثاله {تك ٢٦:١}، ورضيت لنفسك أن تتفاهم مع الشيطان، وتسمح له بمكان داخلك، ورائك الشيطان انك من النوع الذي يمكن أن يخضع له ويستجيب، وليس من النوع الصلب الذي يقاوم بشدة، ويرفض كل اقتراحاته أيا كانت،

🕮 لقد كان الشيطان يختبرك، ويجس نبضك، ليعرف نوعيتك، هل أنت سهل، أم صعب؟ هل ترفض كل ما يعرضه بحزم، وبدون نقاش؟ أم تقبل؟ أم تتفاوض؟ أم تتساهل معه، وتقابله في منتصف الطريق، لذلك هو يعرض عليك أفكاره وحيله، فإن تساهلت أمامه وتراخيت، حينئذ يعرف معدنك، ويعاملك على أساس هذه الخبرة.

🕮 **وتسقط هيبتك أمام الشياطين، بسبب تساهلك معهم:**

🕮 هناك قديسون تخافهم الشياطين وتهابهم، ومثل ذلك القديس الذي

أتاه شيطان ليحاربه، فربطه خارج القلاية، وجاء ثان وثالث فربطهم أيضاً خارجها، وظلوا يصرخون، فقال لهم "امضوا واخزوا".

📖 ومثل القديس الأنبا ايسيذورس قس القلالي، الذي قال لـه الشياطين "أما يكفيك أننا لا نستطيع أن نمر على قلايتك، ولا على القلاية التي إلى جوارها، واخ واحد لنا في البرية، جعلته يعتدى علينا الليل والنهار بصلواته؟!".

📖 والقديس مكاريوس الكبير، الذي كانت تخافه الشياطين قائلة "ويلاه منك يا مقاره" هذا لما نفى إلى جزيرة فيلا من الأريوسيين، صاحت الشياطين صارخة لما دخل إلى الجزيرة.

📖 الشيطان يخاف أولاد الله الحقيقيين، الذين يهزمونه، أما إن رآك أنت تقبل أفكاره، وتتساهل معه، وتفتح له أبوابك، وتخون الرب بسببه، حينئذ تسقط هيبتك في عينيه، ولا يرى إنك صورة الله التي يخافها، ولا هيكل الروح القدس الذي يرتعب منه، حينئذ يلعب بك الشياطين، ويسلمك كل واحد منهم للآخر لكي يلهو بك، ككرة قد نزلت إلى الملعب، واللاعبون يمررنها بينهم، وكل واحد منهم يقذفها إلى اتجاه! احترس إذن لنفسك، ولا تكن كرة تنزل إلى الملعب.

📖 **فالذي يتساهل مرة، يتعود التساهل ويتمادى فيه:**

📖 قد تساهل سليمان مع نفسه في كسر وصية الله التي تمنع الزواج بأجنبيات، فتزوج ابنة فرعون {١مل ١٦:٩}، ثم سهل عليه الأمر فتمادى فيه "وأحب سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون، موآبيات، وعمونيات، وأدوميات، وصيدونيات، وحيثيات، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل: لا تدخلون إليهم، ولا يدخلون إليكم، لأنهم يميلون قلوبهم وراء آلهتم" {١مل ١١:١، ٢}.

📖 ولما رأى الشيطان تساهل سليمان، دفعه إلى أخطر، فكما تساهل مع نفسه، وكسر الوصية في الزواج بهن، ازداد تساهله، فبنى

مرتفعات لهؤلاء النسوة لعبادة إلتهن، وقاده تساهله إلى أنه بنى مرتفعة للكموش إله الموآبيين، وأخرى لمولك إله العمونيين، ومال قلبه وراء آلهة أخري {١مل ١:١١- ٩}.

📖 ربما كان الشيطان يخاف سليمان أول الأمر، لأنه كان احكم أهل الأرض، فلما رآه يتساهل مع الخطية، دفعه في هذا التساهل إلى ابعد حد يمكن تصوره!

📖 وكذلك فعل معه من جهة التساهل في محبة النساء، سمح سليمان لنفسه بالتساهل في تعدد الزوجات، فلم يوقفه الشيطان عند حد معقول، إنما جعل التساهل يتمادى معه، إلى أن صارت له "سبع مئة من النساء السيدات، وثلاث مئة من السراري {١مل ٣:١١}،

📖 إن كان التساهل يمكن أن يجر إنسانا حكيما إلى هذا المستوى، فماذا يمكن أن يقال إذن عن الناس العاديين؟! لذلك لا تتساهل مطلقا، مهما بدت الخطية بسيطة، مجرد قولك إنها خطية بسيطة، يقودك على التساهل، لا تقل هذا شيء بسيط، وهذا أمر تافه لا يزعج الضمير، وهذه ليست بخطية، وهذا التصرف لا يعثرني، ولن يترك أثراً في، فكثيرون سقطوا لعدم التدقيق، والذي لا يحترس من الصغائر، يمكن أن يقع في الكبائر، وكل خطية هي تمرد على الله، وانفصال عنه، ودنس، وسقوط، وضعف.

📖 ولا تظن أن الخطية التي تهلك الإنسان هي مجرد الوقوع في كبائر، كالزنا والتجديف، والقتل، والسرقة، فقد قال الرب: "من قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم" {مت ٢٢:٥}، "ومن قال لخيه رقا يكون مستوجب المجمع".

📖 كثيرون يتساهلون في الكلام، بينما الكتاب يعتبر الكلام الخاطئ نجاسة، ويقول: "ما يخرج من الفم ينجس الإنسان" {مت ١١:١٥}،

📖 وعن الحرص من جهة اللسان، وعدم التساهل في أخطاء الكلام،

يقول يعقوب الرسول: "ان كان أحد فيكم يظن انه دين وليس يلجم لسانه بل يخدع قلبه، فديانة هذا باطلة" {يع ١: ٢٦} إذن لا تحترس فقط من الزنا، والسرقة، والقتل، فربما كلمة واحدة تكون سبب دينونتك، لأن الكتاب يقول "بكلامك تتبرر، وبكلامك تدان" {مت ١٢:٣٧}، "كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس، سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين" {مت ١٢:٣٦}.

📖 لم يفهم القديسون عبارة {الكلمة البطالة} على أنها الكلمة الشريرة، مثل الكذب والشتيمة والتجديف والإدانة، وإنما فهموا الكلمة البطالة، على انها كل كلمة ليست للمنفعة، ليست للبنيان، لا تبنى نفس السامع، ولا تبنى الملكوت، وهكذا صمتوا، وكانوا لا يتكلمون إلا بحساب، حينما يرون أن الكلام سيكون للبنيان.

📖 ولا شك أن الذي لا يتساهل مطلقا مع نفسه، في اللفظ بكلمة ليست للبنيان، لا يمكن طبعا أن يتساهل مع نفسه في أن يلفظ بكلمة شريرة،

📖 والذي لا يتساهل في كلمة، لن يتساهل في العمل، والتدقيق الذي يتعوده، يشمل كل حياته وكل تصرفاته، عالما أن كل فعل يأتي إلى الدينونة مهما كان بسيطا، مجرد نظرة نظرتها امرأة لوط إلى الوراء، حولتها إلى عمود ملح {تك ١٩:٢٦}، وكذبة كذبها حنانيا وسفيرا جعلتهما يسقطان ميتين لا توبة {أع ٥:١ _ ١٠}.

📖 إذن لا تقسم الخطية إلى كبيرة وصغيرة، لكي تسمح لنفسك بالتساهل مع الصغيرة، وإنما كن دقيقا في كل شيء، واعلم أن التساهل مع الشيء الصغير يجعله يكبر، والسيد المسيح لم يمنع عن الزنا فقط، إنما عن النظرة المشتهية أيضاً، ولم يطلب منا فقط أن نحتمل من يسخرنا ميلا، بل دعانا إلى احتمال الميل الثاني أيضاً {مت ٥:٢٨، ٤١}.

📖 الذي يتساهل في الخطوة الأولى، يقع في الثانية، والذي يتساهل في

الثانية، يقع في الثالثة، وهكذا إلى غير حد، والشيطان – كما قيل عنه – "فتال حبال"، يفتل حبالا لاصطيادنا، وحباله طويلة، لا مانع أن يدبر حيلة في عشر سنوات، ليسقطك في خطية واحدة! فاحترس منه، ولا تتساهل معه أبدأ، والشيطان قد يلومك إذا كنت مدققا في تصرفك، ولم تتساهل.

🕮 **وقد يصفك الشيطان بالتطرف، أو الوسوسة، وتعقيد الأمور:**

🕮 فلا تسمع له، وكن ثابتا في روحياتك، لا تثيرك هذه الاتهامات، وكن مثل القديس ببنوده الأسقف، الذي لما رآت إحدى النساء تدقيقه الشديد، قال: إن هذا الشيخ موسوس! فأجابها القديس قائلا "هل تعلمين يا امرأة كم سنة قصيتها في البرية لكي أقتنى هذا الوسواس؟ لقد قضيت خمسين سنة لأقتنيه فهل أفقده لآجلك في لحظة واحدة"، وترك الأسقفية ومضي.

🕮 واعرف أن الخطية هي كسر لوصية الله، وبعد عن محبته، لذلك فأنت في تساهلك: لست تتساهل مع نفسك، إنما تتساهل في حقوق الله، لا تتساهل مع نفسك في ارتكاب الخطية، إن أخطأت:

🕮 لا تتساهل في معاقبة نفسك خطيتها، إن التساهل في تأديب النفس على سقطاتها، قد يؤدى إلى اللامبالاة، وعدم الخوف، والاستهانة بوصايا الله، والعودة إلى ارتكاب الخطية بسهولة، اعتماداً على أن الله محب وغفور "لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا" {مز ١٠٣}،

🕮 **لا تدلل نفسك إذن، ولا تسامحها بسهولة:**

🕮 واعلم أن الخطية التي لا تنال عقوبتها كما ينبغي، والتي لا تنسحق بسببها النفس وتذل، ما أسهل أن يرجع إليها الإنسان مرة أخري، ولا تقل إن هذه الخطية قد عملتها في الماضي، ومرت وانتهت، ونلت عليها حلا ومغفرة!

📖 كلا، بل بكت نفسك باستمرار، وتذكر أن داود النبي بلل فراشه بدموعه فترات طويلة، بعد أن سمع حكم المغفرة من الله على فم ناثان. لكنه على الرغم من هذه المغفرة، صارت دموعه له شرابا نهاراً وليلا، وصغرت نفسه في عينيه، وظل يبكتها زمانا هو العمر كله، ويقول "خطيتي أمامي في كل حين" {مز ٥٠}.

📖 فلتكن أنت كذلك، وافرض على خطاياك عقوبات شديدة، وكن حاراً في الروح {رو١١:١٢}، واعمل عمل الرب بكل نشاط وكل حرص، ولا تتساهل في ذلك فقد قيل: "ملعون من يعمل عمل الرب برخاوة" {أر١٠:٤٨}. كن كالراعي الساهر على غنمه، الذي يحرس حراسات الليل، بكل يقظة، لا يتساهل مع نفسه في أن يغفو لحظة.

📖 كن حاراً في عبادتك: إن وجدت نفسك متعبا، أولا رغبة ذلك في الصلاة، فلا تتساهل مع نفسك، وتنام بغير صلاة، لئلا بهذا التساهل تتعود نفسك الإهمال والتراخي، بل كما قال مار إسحق: "إذا حوربت بأن تهمل صلاتك وتنام، لا تطاوع نفسك وإنما: اغضب نفسك على صلاة الليل، وزدها مزامير".

📖 كذلك كن حازما في صومك، لأنك إن تساهلت موعد الأكل، ستتساهل أيضاً في نوع الطعام وكميته، ثم تتساهل في ضبط نفسك، ويصحبك عدم الضبط هذا في كل تفاصيل حياتك الروحية، كن متيقظا إذن لخلاص نفسك، بكل حرص، ساهرا باستمرار، لئلا يأتي بغته فيجدك نائما. {مر٣٦:١٣}.

📖 لا تنم، وإن نمت، احترس من الصحو المتأخر:

📖 فشمشون ظل متساهلا في روحياته، غافلا عن خلاص نفسه زمانا، ومتى صحا؟ كان ذلك صحوا متأخرا، بعد أن فقد نذره، وفقد قوته، وسباه الأعداء،

📖 ولوط كذلك، متى صحا؟، متأخرا جدا بعد أن فقد كل شيء في

حريق سدوم، وكثيرون سقطوا، لأنهم تساهلوا مع الغفلة الروحية، ولم يستيقظوا لأنفسهم إلا متأخرين، بعد أن كانت الخطية قد تمكنت منهم، فلا تكن كهؤلاء، وكإنسان آمين. على حياتك، لا تتساهل مع الخطية، وماذا أيضاً:

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ١٧٩ ـ ١٨٦



{١٤} اعد تقييم سلوكك:

واحترس من ثياب الحملان

الخطية لا تحب أن تكشف ذاتها، إنما أحيانا تتنكر:

هي لا تكشف ذاتها إلا للمستهترين الذين يحبونها، أما بالنسبة إلى أولاده الله، فإنها دائما تتنكر، حتى لا يتنبهوا لها ويبعدوا عنها، ولا مانع مطلقا من أن تتنكر في زي فضيلة، أو وراء أي اسم لطيف غير مكشوف، ويمكن أن ينطبق على أمثال هذه الخطايا قول الرب: "يأتونكم بثياب الحملان، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة" {مت ٧:١٥}.

المضللون من المعلمين الكذبة يفعلون هكذا، والخطايا التي تضلل الإنسان، وتستغل بساطته تفعل هكذا أيضاً، والشيطان نفسه يأتي بثياب الحملان، وكما يقول الرسول: "الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور، وخدامه أيضاً يغيرون شكلهم إلى شبه خدام للبر" {٢كو١٤:١٠، ١٥}، يحدث هذا لكي تتم الخديعة، فتتم السقطة، ولهذا يحتاج أولاد الله دائما إلى حكمة وإفراز، لكي يميزوا بين طريق الرب وطريق الشيطان، ويميزوا إرادة الله من الإرادات الخاطئة.

فكثيرا ما يسلك البعض في طريق خاطئ نتيجة للجهل وعدم المعرفة، ونتيجة لخديعة الشياطين لهم، لذلك فالأب الكاهن في القداس الإلهي يطلب من الله المغفرة والصفح قائلا: "عن خطاياي وجهالات شعبك" ولماذا نسميها جهالات؟

لأن الكتاب يقول: "توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة، وعاقبتها

طرق الموت" ذكرت هذه الآية في سفر الأمثال {أم ١٢:١٤}، وتكررت لأهميتها مرة أخري في نفس السفر بنفس النص {أم ١٦:٢٥}، مادام هكذا، ويمكن للإنسان أن يخدع.

📖 وكما قال الرب "هلك شعبي من عدم المعرفة" {هو٦:٤}، على فهمك لا تعتمد {أم ٣:٥}، وهكذا نرى داود النبي يصرخ كثيرا في مزاميره ويقول: "علمني يا رب طرقك فهمني سبلك" {مز ١١٩}، فإن كان النبي العظيم – الذي حل عليه روح الرب – يقول هكذا، فماذا نقول نحن؟

📖 ليس جميع الناس حكماء، وليس الحكماء حكماء في كل شيء "الحكيم عيناه في رأسه، أما الجاهل فيسلك في الظلام" {جا ٢:١٤}، ونحن لا ندعى الحكمة، فماذا نفعل إذن؟

📖 علينا بالمشورة، حتى لا تخدعنا ثياب الحملان، والكتاب يقول في ذلك: "طريق الجاهل مستقيم في عينيه، أما سامع المشورة فهو حكيم" {أم ١٢:١٥}، وليس كل شخص نسمع منه المشورة، فقد كانت مشورة بلعام ضلالة {يه ١١}، وكانت مشورة أخيتوفل ليست حسب مشيئة الله، لذلك نستطيع أن نقول إنه ليست كل مشورة هي من الله، فقد قال الوحى الإلهي:" يا شعبي، مرشدوك مضلون" {أش ٣:١٢}،

📖 فما أكثر الذين هلكوا نتيجة الإرشاد الخاطئ، ولبس هذا الإرشاد المضلل ثياب الحملان، وهلك به أصحابه، كما يقول الكتاب: "أعمى يقود أعمى، كلاهما يسقطان في حفرة" {مت ١٥:١٤}، وقد رأينا كيف ضاع رحبعام نتيجة سماعه للمشورة الخاطئة {مل ١٢:١٠}، وقد وبخ الرب الكتبة والفريسيين على إرشادهم الخاطئ، وقال إنهم: "قادة عميان" {مت ٢٣:١٦، ١٣}،

📖 هؤلاء طبعا غير المرشدين القديسين {عب ١٣}، الذين يقول عنهم الكتاب: "اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله انظروا إلى نهاية

سيرتهم وتمثلوا بإيمانهم" {عب ١٧:١٣}، لذلك نحتاج لإفراز شديد لنميز بين الإرشاد السليم والإرشاد الخاطئ، بين روح الحكمة وروح الضلال، كما قال الرسول: "امتحنوا الأرواح هل هي من الله" {١يو٤:١}، والذي يتمسك بروح الله فيه، سيرشده الروح، فإشعياء النبي يقول عن روح الرب إنه: "روح الحكمة والفهم، روح المشورة" {أش ١١:٢}، فلنصل إذن أن ينقذنا الرب من كل خداع الشياطين.

🕮 ومن الخطايا التي تتنكر في زي فضائل لتضلنا:

🕮 على أنه إن سقط أحد في خداع الشياطين هذا، فإن الاتضاع يرفعه من سقطته، لأنه حالما ينكشف له الأمر، أو ينهيه صديق مخلص، أو مرشد حكيم، يعترف حينئذ بخطئه، ولا يعود إلى ذلك الخطأ مرة أخري، ويكتسب بذلك معرفة وتوبة.

🕮 أما المتعجرف بمعرفته، أو بسلوكه، فإن توبته صعبة، وذلك لأن الإنسان البار في عيني نفسه، يدافع عن خطيئته، ويسميها بغير اسمها حتى لا يخجل! لأنه إن اعترف بأن هذه خطية، يعترف بالتالي انه مذنب، وكبرياؤه تمنع هذا! إذن لا مانع من أن يلبسها ثياب الحملان، ويسميها باسم آخر مقبول، غير محرج له، حتى لا ينكشف أمام الناس، وحتى يخدع نفسه، فلا ينكشف أيضاً أمام نفسه، إن أمكن، والذين يغطون خطاياهم بثياب الحملان، لا يتوبون.

🕮 إذ كيف يتوبون عنها ويتركونها، وهم لا يحسبونها خطية، ولا يعترفون أنها خطية؟! بل قد يسمونها باسم فضيلة! وبهذه التسمية يدافعون عن سلوكهم، وبالتالي يستمرون فيه، وقد يصبح عادة لهم، أو طبعا لهم، أو منهجا ثابتا في حياتهم لا يغيرونه، لأنهم يسمون الخطية بغير اسمها الحقيقي، ويغطون عليها فلا تظهر!

🕮 وبهذه التسمية، وهذه التغطية، تهتز المبادئ والقيم عندهم: عن

الخطية المكشوفة والمعروفة، من السهل مقاومتها وتجنبها، وهي تتعب الضمير السليم، حتى أنه إن وقع فيها الإنسان، من السهل ان يتركها، لذلك فإن الشيطان – الحكيم في الشر – يعمل على تغيير القيم من جذورها.

🕮 **وبتسمية الخطية بغير اسمها، يدخل مع البشر في حرب مسميات:**

🕮 وتزداد خديعة الشيطان، إن استطاع أن يجعل من هذه التسمية مفهوما شائعا بين الناس، وهذا اخطر، إذ ينتشر بين الكثيرين يرددونه بلا وعى، وهذه التسميات هي خديعة مقصودة من جهة الشيطان، أو دعاة الشر، أما من جهة العامة، فقد تكون الخطية هنا جهلا منهم، يحتاج إلى توعية روحية، أوي كون انقيادا غير حكيم، وانسياقا بغير عمق،

🕮 يحتاج إلى قوة في الشخصية، سواء في الفكر، أوفى التصرف، حتى لا تشدها الدوامة، وحتى لا تسير مع التيار اينما اتجه، وهكذا فإنه نتيجة لخداع الشياطين، وأتباعهم من محاربي الفضيلة، نجد أن قيما كثيرا، تحتاج إلى توضيح مفهومها.

🕮 أي أننا ندخل مع هؤلاء في حرب تعريفات definitions، بحيث لابد أن نعرف: ما هو مفهوم هذه الفضائل، أو القيم؟ ما هو المقصود بها؟ ما هو مضمونها، أو تحديد معناها بالضبط؟ حتى لا يكون هناك خطأ واضح في التطبيق، وبما يتنازعه، تفسيرات متضادان بالنسبة إلى فضيلة واحدة.

🕮 **ومن امثله هذه الفضائل التي تحتاج إلى تحديد معناها:**

🕮 ما هو مفهوم الحرية مثلا؟ وما هو مفهوم القوة؟ وما مفهوم العظمة، والكرامة؟ كذلك ما معنى الانتصار؟ وما معنى الرجولة، والبطولة، والشجاعة؟ وما معنى النجاح؟ وما معنى الطموح؟

🕮 كلها قيم عظيمة، ولكن الناس يختلفون في مضمونها ومعناها، هذا

بافتراض حسن النية، وبناء على ذلك يقع البعض في الخطية، بفهم خاطئ، بينما يتحاشاها البعض الآخر بمفهوم سليم.

📖 **تحت اسم الحكمة مثلا، كم خطايا تختبئ؟**

📖 يقع الإنسان في التملق، وفى الجبن، وفى الرياء، ويسمى هذه حكمة. ويقع في مجاراة الشر، والسير في التيار العام الخاطئ، ويسمى هذه أيضاً حكمة. وقد يستخدم الكذب، والخديعة، واللف والدوران، ويعتبر أن هذه حكمة منه، يكفي أنها أوصلته إلى غرضه، أو حفظته في أمان، وكأن الوصولية أيضاً حكمة!

📖 وهنا يكون قد أخطأ مفهوم الحكمة! لأن الشر ليس حكمة، لأنه ليس من الحكمة أن يخسر الإنسان الملكوت، من اجل أي غرض زائل على الأرض، وصدق الرسول حينما قال: "لأن حكمة هذا العالم هي جهالة عند الله" {١كو١٩:٣}.

📖 وهي ليست جهالة فقط، بل هي أيضاً سبب عقوبة: "لأنه مكتوب الآخذ الحكماء بمكرهم"، والدهاء والحيلة، ليست هي حكمة روحية، فابتعد عنها، لأن الحية كانت "أحيل حيوانات البرية" {تك ١٣}، وكانت شيطانا.

📖 **استخدام يعقوب الحكمة البشرية، فأوقعته في خطايا كثيرة:**

📖 بتلك {الحكمة} أقصد بالحيلة والدهاء، تحايل حتى سرق الباكورية من أخيه، بأسلوب خال من الحب الأخوي {تك ٢٥:٣٠ ـ ٣٤}،

📖 وبنفس {الحكمة} خدع أباه، حتى سرق منه البركة، بدلا من أن يأخذها أخوه {تك ٢٧}، واشتركت معه في ذلك أمه رفقة.

📖 وبنفس الحكمة أيضاً، أخذ من خاله لأبان كل ما ولدته الغنم {تك ٣١:٣٠ ـ ٤٣}، ولم يكن في هذه النقطة بالذات أمينا مع خاله لابان، إنها نفس طريقة الحيلة البعيدة عن براءة البساطة.

📖 كم يحتاج مثل هذه {الحكيم} أن يتوب عن حكمته: لو أنه سمى

الأمور بأسمائها الحقيقية، وقال عن هذا احتيال، أو دهاء، أو مكر، أو اعتماد على ذراع بشرى، لأمكن أن يتوب، أما أن يسميها حكمة، فهذه تسمية تغطى على الخطية، ولا تساعده على التوبة.

📖 صدقوني إن الحكيم في عيني نفسه، من الصعب أن يتوب:

📖 لأنه لا يرى فيما يفعله خطية، بل يرى أن تصرفاته تدل على ذكاء، وحسن تصرف! وهل من المعقول أن يتوب الإنسان عن الذكاء، وحسن التصرف؟ كلا، بل إن الناس يقصدونه ليعلمهم كيف يصل، ويصبح مرشدا إلى طرق خاطئة، وأكثر من هذا أنه قد يفتخر بحكمته هذه، وكيف استطاع أن يستخدم عقله للحصول على ما يريد، وينطبق عليه قول الكتاب: "مجدهم في خزيهم" {في ١٩:٣}.

📖 الذي تنسحق نفسه بسبب الخزي من أخطائه، هذا يمكنه أن يتوب، أما الذي يرى في هذا الخزي مجدا له وفخرا، فسوف يستمر فيما هو فيه، راضيا عن نفسه، ومثال ذلك التاجر الذي يفتخر بأنه استطاع أن يلعب بالسوق، ويكذب، والموظف الذي يفتخر بانه طوى رئيسه بأسباب ملفقة عرضها عليه، فانطلت عليه الحيلة وصدقه، وكذلك الذي يفتخر بانه يستطيع أن يمثل أي دور على أي أحد، ويكسب الموقف بتمثيله المتقن، أو كالشاب الذي يفتخر بانه يستطيع أن يسقط أية فتاة مهما كانت متدينة؟! كيف يمكن لهذا الإنسان أن يتوب، إن كان يفتخر بأخطائه؟!

📖 يذكرني هذا بالشياطين التي تفتخر بإسقاطها للقديسين!

📖 لقد كان الفريسيون في حرفيتهم، يفتخرون بأنهم يسيرون في أصعب طريق، ويضيقون على أنفسهم، حتى أن بولس الرسول حينما كان يتكلم عن ماضية قال: "حسب مذهب عبادتنا الأضيق عشت فريسيا" {أع ٢٦:٥}، بينما السيد المسيح وبخ الفريسيين على

تحميلهم الناس أحمالاً ثقيلة، فما دخلوا، ولا جعلوا الداخلين يدخلون {مت ٢٣}، إن الفريسيين كانوا يفتخرون بحرفيتهم، لذلك لم يتركوا الحرفية، بل اعتبروها تدقيقا في امور الدين، وتشددا في التدين، كان لها اسم آخر، يغطيها ويحامى عنها!

📖 وكذلك كل خطية، يمكن أن يكون لها اسم آخر، يحتمى به الخاطئ فلا يتوب، فالتدخين لا يظهر على أنه قتل للصحة، وعبودية للإرادة، وإضاعة للأموال، وإنما يأخذ اسم المتعة، وإراحة النفس، وهو اسم لا يتعب الضمير كثيراً.

📖 والرقص يأخذ اسم الفن، ومحترفوه يسمون أهل الفن والفنانين، كذلك الرسوم العارية التي تعثر كثيرين، هي أيضاً فن لا غير! وما شبه هذا كثيرا جداً، وخطية الزنى هي أيضاً تلبس ثياب الحملان، وتحمل اسم الحب، ويخلط مقترفوها بين الحب والشهوة.

📖 وإعلان عمل الخير أمام الناس لكسب مديحهم، لا يؤخذ على أنه رياء، إنما يلبس ثياب الحملان، ويأخذ اسم القدوة الحسنة، والتعليم العملي، وتقديم صورة الله للناس، وعدم اعثارهم.

📖 وتحت اسم الدعابة والمزاح، تستتر أيضاً خطايا كثيرة، يتهكم إنسان على آخر، يجرح شعوره، ويتخذه مجالا لضحكه، ويضحك عليه الآخرين غير مبال بوقع كل هذا عليه، وإن لمته، يقول إن هذا مجرد مزاح ودالة وعشم! وهكذا يسمى عدم احترام الناس مزاحا.

📖 وقد يسرق ويخفى، أو يأخذ أشياء يملكها غيره، ويقول: كنت أمزح معه، وقد يتصرف شاب مع فتاة بعض تصرفات جنسية غير لائقة، يقول كنت أمزح معها، وكل أنواع الهزل غير اللائق، تدخل تحت اسم المزاح والدعابة، وقد تشمل أي أحد مهما علا مركزه، حتى الله نفسه بالتجديف على اسمه، قد يعتذر عن هذا بانه دعابة، وتدخل كلها تحت اسم خفة الدم، واللطف، وخفة الروح؟! وتسأل أليس لهذا المزاح حدود؟ فلا تجد جوابا.

📖 **ومن الناحية المضادة، تلبس القسوة أيضاً ثياب الحملان:**

📖 فقسوة الأب على ابنة، لا تظهر تحت اسم قسوة، إنما تحت اسم الحزم والتأديب، ويجد لها هذا الأب القاسي مفهوما خاصا في قول الكتاب: "فيرعاهم بقضيب من حديد" {رؤ ٢:٢٧}، وينسى قول المزمور: "لا تؤدبني بسخطك" {مز ٦:١}، وينسى الكلام عن عطف الأب {مز ١٠٣}،

📖 وقد يقتل أب ابنته الخاطئة، ولا يسمى هذا الأمر جريمة قتل، وإنما يسميها غسلاً ومحوا للعار، ودفاعا عن الشرف!، مجرد ثياب حملان لإراحة الضمير، وتبرير العمل.

📖 واضطهاد من يخالف في الرأي، أو العقيدة، يسمى غيرة مقدسة، وهكذا يأخذ اسماً آخر يصير فيه فضيلة، وفى هذا قال السيد المسيح "تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم انه يقدم خدمة لله" {يو١٦:٢}.

📖 وبهذه التسمية الجديدة كان شاول الطرسوسي يريح ضميره في كل أنواع القسوة التي قام بها {أع ٩:٢٦ – ١١}، وقد قال في ذلك عن نفسه في افتخارات ماضية "من جهة الغيرة، مضطهد الكنيسة" {في ٦:٣}.

📖 وبالمثل فإن كثيراً من ألوان الغضب والنرفزة، قد تأخذ اسم الدفاع عن الحق، والدفاع عن النظام، والدفاع عن الكرامة، ولكها ثياب حملان لا تتعب الضمير!

📖 والحياة العابثة قد تختفي وراء اسم "الحرية" وربما الابن الضال الذي ترك بيت أبيه، قد ظن أنه يمارس حريته الخاصة، ويجرب الحياة ويختبر! والوجوديون في كل أخطائهم يتعللون بهذا أيضاً: ممارسة الحرية، والشعور بالكيان الشخصي، الشعور بوجودهم! وتحت هذا الاسم يقترفون كل أنواع الإباحية، والاعتداء على حريات الآخرين، وصدق الذي قال "كم من جرائم اقترفت باسمك أيتها الحرية"، وبالمثل خطايا أخري كثيرة تلبس ثياب الحملان:

📖 فالأم قد تتدخل في شئون ابنتها، ودفاعا عنها، وحرصا على كرامتها، وقد يكذب محام، أو محاسب، وقد يضع هذا تحت عنوان مقتضيات المهنة! بينما المهنة شريفة ليس هذا من مقتضياتها. إن الخطية، لا تحب أن تظهر باسمها الحقيقي، لأنه يتعب صاحبها.

📖 فحتى البدعة في الدين، لا يظهر مطلقا باسم بدعة، بل يقدمها صاحبها على اعتبار إنها الفهم السليم للدين الذي يجهله الكثيرون، وإن كانت هذه البدعة تحمل عقيدة لم يألفها الناس، فإنه يسمى هذا تجديداً! وإن قاومه المتمسكون بتقاليد الكنيسة، يقول: هل تحجرون على تفكيرنا؟ لنا الحرية ان ينشر أفكاره الخاطئة بين الناس، ويتعرض لحكم بولس الرسول {غل ٧:١، ٩}،

📖 بل حتى الذي يعثر الآخرين في التصرف، لا يقول إنه يعثرهم، بل إنه يعلمهم الحياة! أما أنت فاهرب من التسميات الخاطئة، وثياب الحملان، لتكن لك مبادئك الثابتة الراسخة، التي لا تتزعزع بمسميات جديدة، ومفاهيم غير روحيه، بل تعتمد على كلمة الرب اولا، وعلى الإيمان المسلم لنا مرة من القديسين {يه ٣}.

📖 واحتفظ بنقاوتك، ولا تسمح ان تسمى خطيئتك باسم آخر يريح ضميرك، إراحة وقتية زائفة، بينما تشعر في أعماقك إنه لون من الهروب من المسئولية، بل الحري إكشف خطيئتك أمام نفسك لتتوب عنها، وأمام الله لتنال مغفرة.

📖 **طوبى لمن يكتشف خطاياه، ويندم عليها، ولا يغطيها بإسم آخر:**

📖 لأنك إن سميت خطيئتك باسم أخر، لن تتوب، فالإنسان يترك ما يرى أنه خطأ، فإن لم يكن خطأ، لماذا إذن يتركه! إنها معرقلات من العدو يمنع بها التوبة، بأسلوب من الشفقة الزائفة، قد يحاول بها أن يريح النفس، ولكنه لا يريح الروح، ولا يساعدها على الاهتمام بأبديتها، أما أصحاب ثياب الحملان، فيجب أن ينزعوها، لكي تظهر

الخطية على حقيقتها، خاطئة جدا، تفقد النفس نقاوتها، وتحتاج إلى توبة، أما أصحاب المسميات الجديدة، فيحتاجون إلى تجديد أذهانهم.

📖 كما قال الرسول: "لا تشاكلوا هذا الدهر" أي لا تصيروا بشكله، أو شبهه "بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم" {رو٢:١٢}، فأذهانكم هذه التي أفسدتها المسميات، وثياب الحملان، اعملوا على تجديدها بالفهم الروحي السليم بتجديد الذهن هذا، يمكن للإنسان أن يتوب، وماذا أيضاً؟

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ١٨٧ ـ ١٩٥



📖 {١٥} اهرب من خطاياك المحبوبة:
وعالج نقط الضعف فيك

📖 ليس الخاطئ هو الإنسان الذي يسقط في جميع الخطايا، بهذا السقوط الكامل الشامل يهلك، إنما تكفي خطية واحدة يكون ساقطا فيها، هذه تلوث نفسه، وتكون سببا لهلاكه.

📖 خطية يحبها، تمثل نقطة الضعف فيه، وتكون خطيته المحبوبة هذه، هي العائق بينه وبين الله، إن انتصر على هذه الخطية بالذات، صار منتصرا في حياته الروحية، وإن انهزم فيها، فلا تنفعه كل انتصاراته على باقي الخطايا الأخرى.

📖 هذه الخطية تمثل مدخل الشيطان إلى قلبه وإرادته، وينبغي أن ينتصر في هذا الميدان بالذات الذي هزمه فيه العدو، وغالبا ما تكون نقطة الضعف هذه، هي النقطة الثابتة المتكررة في كل اعترافاته، كلما ذهب ليعترف بخطاياه.

📖 نقطه الضعف هذه، تذكرنا بثقب واحد في سفينة:

📖 مهما كانت السفينة هائلة ورائعة، فهذا الثقب الواحد يمكن أن يكون سببا في غرقها، كذلك بقعة واحدة في ثوب، تكون كافية لتوسيخه، مهما كان جميلا ونظيفا في باق أجزائه، ونقطة حبر واحدة في كوب

ماء، تجعله كله غير صالح للشرب، ولابد لنا أن نجاهد لإصلاح الثقب الذي في السفينة، مهما كانت التحسينات الأخرى الموجودة فيها، وكذلك نعمل على إزالة البقعة الواحدة من الثوب، ولا نفتخر بأن الباقي منه نظيف.

📖 مثال تلميذ رسب في مادة واحدة في الامتحان:

📖 ومع أنها مادة واحدة، فإنه يعتبر راسبا، مهما كان ناجحا في باقى المواد الأخرى، وحتى لو حصل في باقي المواد على درجات نهائية، فمن أجل هذه الواحدة التي رسب فيها، قد يعيد العام كله، عليه إذن أن يعرف نقطة الضعف التي عنده، ويركز عليها ويعالجها.

📖 أو مثال مريض يشكو من مرض معين يؤلمه:

📖 مهما كانت باقي أجهزة جسمه سليمه، سيبقى متألما مادام هذا المرض باقيا، وعلى طبيبه أن يركز على موطن الألم بالذات لكي يعالجه، كذلك في الحال مع الخطية، لأنها مرض.

📖 خذ مثالا آخر بإنسان يصوم: وفى صومه يمتنع عن أطعمة كثيرة، ولكنه لا يستطيع أن يمنع نفسه عن طعام معين بالذات، يشتهيه، فما الذي يستفيده مثل هذا الإنسان من صومه، مادام ضعيفا، لا يقوى على ضبط نفسه، في النقطة التي يحارب فيها بشهوة الطعام، ألسنا نقول حقا، أنه لو امتنع عن هذا الطعام بالذات، لصار ناجحا في صومه، وفى روحياته، أما إن سقط في هذه، فقد سقط في الكل، ويذكرنا هذا بقول الكتاب: "من حفظ كل الناموس، وإنما عثر في واحدة، فقد صار مجرما ففي الكل" {يع ٢:١٠}.

📖 فما معنى هذه العبارة من قول الرسول؟ وكيف نفهمها؟

📖 تفهمها بسؤال واحد تحتاج أن تجيب عليه وهو: هل أنت تحب الله، بحيث لا يوجد شيء يمكن أن يبعدك عنه؟ فإن وجد شيء، أي شيء، يكون هو المشكلة في حياتك، وهو نقطة الضعف فيك، أو هو خطيتك

المحبوبة التي تنافس الله في قلبك.

🕮 إن الله يقول: "يا إبني أعطني قلبك"، فلوكان قلبك في جهة أخري بعيداً عنه، تكون هذه الجهة هي العائق الوحيدة الذي يعوقك عن الصلة بالله، لم يكن هناك أشياء كثيرة تبعد آدم وحواء عن الله، إنما كانت هناك تلك الشجرة الواحدة لا غير، لو إنهما استطاعا أن ينتصرا بالنسبة إليها، لصارت حياتهما كاملة أمام الله، ولكن بانهزامهما خسرا كل شيء.

🕮 انتصر إذن على نقطة الضعف التي فيك، والتي يعرفها الشيطان عنك، ويدرك تماما أنه كلما يريد أن يهزمك، يدخل إليك من هذا الباب بالذات، كثيرون يعزون أنفسهم بأعمال بر لهم، يتذكرونها لتغطى على هذه الخطية، ولكن الله لا يقبل هذه التغطيات.

🕮 مثال ذلك الرجل الفريسي، الذي كان الضعف فيه، أنه يظن نفسه باراً، ويحتقر غيره من الخطايا، هذا كانت له نقط بيضاء كثيرة، إذ أنه كان يعشر جميع أمواله، وكان يصوم يومين في الأسبوع، وكان واقفا في الهيكل يصلى، ولم يكن من الناس الظالمين الخاطفين الزناة، ومع ذلك لم يخرج من الهيكل مبرراً {لو٩:١٨ – ١٤}.

🕮 فلماذا؟ لأن كل هذه الأعمال لم تستطع أن تغطى على العجرفة الداخلية، التي هي نقطة الضعف فيه بالذات، والتي يجب أن يتخلص منها، ليتبرر أمام الله.

🕮 بنو إسرائيل أرادوا أن يغطوا على خطاياهم بالذبائح والبخور، وبالتقدمات، وحفظ المواسم من سبوت، وشهور، وأهلة، وباقي الطقوس، والصلوات، ولكن الله لم يقبل هذا منهم، بل قال لهم: "لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب، لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة، البخور هو مكرهة لي، رؤوس شهوركم، وأعيادكم، أبغضتها نفسي، صارت على ثقلا، مللت حملها، فحين تبسطون أيديكم، أستر عيني عنكم،

وإن أكثرتم الصلاة لا أسمع، أيديكم ملآنة دما، اغتسلوا، تنقوا، اعزلوا شر أعمالكم" {أش ١١:١ – ١٦}.

📖 هنا النقطة المطلوبة، حيث موطن الداء، لا تغطية الطقوس، والممارسات، الخطية لا تمحى بأعمال بر أخري، إنما بالتوبة، لذلك لا تضل الطريق، فحيثما توجد خطيئتك حاربها وقاومها، ولا تقل: سأصوم يومين، أو سأعطى أموالى للفقراء، كل هذا لا يقبل منك، إن كنت ماتزال مستبقياً الخطية في قلبك، إنما واجه حقيقة نفسك في صراحة، واستفد دروسا لحياتك من قصص الكتاب.

📖 وخذ كمثال: قصة الشاب الغنى {متى ١٦:١٩ – ٢٢}:

📖 كان إنسانا يهتم بأبديته، ويسأل: "أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية"، وكان يحفظ وصايا الرب منذ حداثته، ولكن كانت هناك نقطة ضعف واحدة فيه، وهي محبة المال، وقد ركز المسيح على نقطه الضعف هذه بالذات، فقال له: "إن أردت أن تكون كاملا، اذهب بع كل مالك، واعطه للفقراء، فيكون لك كنز في السماء"، وهنا وضع الرب يده على الجرح الذي كان يؤلم هذا الشاب، "فمضى حزينا لأنه كان ذا أموال كثيرة".

📖 **ووضع الرب يده أيضاً على الجرح الذي كان يتعب أيوب:**

📖 كان أيوب الصديق "كاملا ومستقيما" بشهادة الرب عنه {أي ٨:١}، "وليس مثله في الأرض"، وكان يشفق كثيرا على الفقراء، وينقذ الضعفاء من ظالميهم، و"عيونا للعمى، وأرجلا للعرج" {أي ٢٩}، وباختصار كان رجلا باراً، فماذا كانت نقطه الضعف إذن؟

📖 كان باراً، ويعرف عن نفسه أنه بار، فأتعبه البر الذاتي {أي ٣٢:١}،

📖 وهكذا جرده الرب من كل شيء: من أولاده، وغناه، ومن صحته، وكرامته، ومن احترام الناس له، ولم يبق له شيئا، ودخل مع الله في عتاب، وأخيرا قال: "قد نطقت بما لم أفهم، بعجائب فوقى لم اعرفها،

أسألك فتعلمني، لذلك أرفض وأندم في التراب والرماد" {أي ٣:٤٢-٦}، ولما وصل أيوب إلى التراب والرماد، تخلص من بره الذاتي، ورفع الله عنه تجربته، وصار أكمل مما كان، انتصر في نقطة الضعف أيضاً.

📖 **وكان بلعام نبيا، وكانت له نقطة ضعف أهلكته:**

📖 ظهر له الرب وكلمه {عدد ٢٢:١٢}، ولما طلب منه بلعام ان يلعن الشعب، قال: "الكلام الذي يضعه الله في فمي، به أتكلم" {عدد ٢٢:٣٨}، وأقام سبعة مذابح، وقدم سبع ذبائح، "ووضع الرب كلاما في فمه" {عدد ٢٣:٥}، وتكلم كلاما طيبا، وتنبأ نبوءات عن السيد المسيح "وحى بلعام بن بعور، وحى الذي يسمع أقوال الله، الذي يرى رؤيا القدير مطروحا، وهو مكشوف العينين، أراه وليس الآن، أبصره وليس قريبا، يبرز كوكب من يعقوب، ويقوم قضيب من إسرائيل" {عدد ٢٤:٣، ٤ ١٥ – ١٧}، ثم سقط بلعام بنقطة الضعف التي فيه، حبه للمال، وتحدث الكتاب عن ضلالة بلعام إنها مأساة،

📖 **وسقط سليمان بنقطة ضعف هي محبة النساء ومجاملتهن:**

📖 كان أحكم هذه الأرض، بحكمة من الله نفسه، وقد ظهر له الله مرتين وكلمه، وهو الذي بنى الهيكل، وبارك الشعب، وكتب أسفارا عديدة من الكتاب المقدس، ومع ذلك كانت فيه نقطة ضعف واحدة هي محبة النساء، فتزوج أجنبيات، وجرته هذه الخطية الواحدة إلى السقوط، فمال قلبه إلى آلهة زوجاته.

📖 وبنفس نقطة الضعف الواحدة هذه، سقط شمشون الجبار، نذير الرب، الذي حل روح الرب عليه وكان يحركه!

📖 **ويعوزنا الوقت إن تحدثنا عن نقط ضعف أتعبت الأنبياء:**

📖 كان إبراهيم أبو الآباء كاملا في كل شيء، وباراً، ولكن وجدت

نقطة ضعف فيه هي الخوف، وبالخوف وقع في خطايا {تك ١٢، ٢٠}.

📖 وكان بطرس تلميذ الرب قديسا عظيماً، وكانت فيه نقطة ضعف هي الاندفاع، كما كانت نقطة الضعف عند توما الرسول هي الشك، وكانت نقطة الضعف التي أتعبت أبانا يعقوب أبا الآباء، هي الاعتماد على الحيل البشرية.

📖 وبعض الخطاة كانت نقطة ضعف واحدة تضيعهم:

📖 خطية الحسد هي التي ضيعت قايين، وقادته إلى قتل أخيه، وخطية الكبرياء وحدها أسقطت كثيرين، وكذلك خطية الزنا، وربما إنسان تكون فيه فضائل كثيرة، ولكن يسقط لعدم ضبطه لسانه، حسب قول الكتاب: "بكلامك تتبرر وبكلامك تدان"، وإنسان آخر يسقطه العناد.

📖 والشيطان أسقطته خطية الكبرياء وحدها:

📖 هي الخطية الوحيدة التي تحدث عنها الكتاب في قصة سقوط الشياطين، كما رواها إشعياء النبي {أش ١٣:١٤، ١٤}، ثم دخلته خطية الحسد، ثم الكذب ثم تعددت خطاياه، ولكن هذا كله جاء بعد خطية الكبرياء التي سقط بها من طهره الملائكي.

والهراطقة كذلك: لكل منهم سقطته الخاصة:

📖 فلا تظنوا أن الهراطقة كمان كل تعليمهم هرطوقيا، أو كان كل كلامهم بدعا في الدين، هناك منهم من له عظات عميقة مثل ترتليانوس الذي وقع في الهراطقة المونتانيين Montntists وصار قائدهم، ومثل اوطاخي الذي كان من اكثر الرهبان روحانية في القسطنطينية، ثم وقع في بدعته.

📖 إنها نقطة واحدة أهلكت كلاً من هؤلاء، والأمثلة كثيرة، وكل إنسان له نقطة ضعف خاصة هي سبب سقوطه، فتأمل ما هي نقطة الضعف التي فيك، وما هي خطيتك المحبوبة التي بها تسقط، والتي

تضعف مقاومتك أمامها،

🕮 وفى توبتك، ركز على هذه النقطة كل جهادك، وكل صلواتك، وكل ما تأخذه من المعونة النعمة، فإن انتصرت عليها، سيخاف الشيطان من محاربتك فيما بعد، وبتركك هذه الخطية المحبوبة منك، تعبر على أن محبتك لله هي التي تقود حياتك، وليس حبك لشهواتك.

🕮 أحذر من أن تحتفظ بهذه الخطية المحبوبة وتقول للرب: "أحبك يا رب من كل قلبي، لكن أترك لي هذه النقطة وحدها"، فقولك هذا يدل على إنك لا تحب الله من كل قلبك، إذ يوجد له منافس في قلبك هو هذه الخطية بالذات، وأنت تحبها أكثر مما تحب الله. وكأن الله يقول لك: "قد وضح لك الآن الميدان الحقيقي الذي ينبغي لك أن تحارب فيه، وهو هذه النقطة بالذات".

🕮 **إن الشيطان لا يحاربك في كل الخطايا، إنما يختبرك أولا:**

🕮 يمر في أرضك، ويجسها، ويعرف ما هي نواحي الضعف فيها، وبكل ذكاء يعرف في أي الخطايا يحاربك، وفى أيها تكون أسهل سقوطا، وأكثر لاستجابة له، وعليك أن تكون صريحا مع نفسك، وتفحصها وتعرف من أين تسقط. وإن لم تستطع أن تهرب، وتبعد عن العثرات، احترس في هذه النقطة بالذات، بكل حيطة، واطلب من الرب معونة ليقف معك في حروبك.

🕮 ولا تضع لنفسك برنامجا روحيا طويلا لتسير فيه: إنما ركز في الميدان الأساسي، سواء بالهروب، أو بالحروب، في النقط التي تعكر نقاء قلبك، وصفاء روحك، والتي هي ميدان هزيمة لك في الماضي، وخذ في جهادك درسا من داود النبي.

🕮 لا تقل أنا انتصرت على جليات الجبار وهزمته، وانتصرت على الدب والأسد وانتزعت منهما الفريسة، وانتصرت كذلك في مطاردة

شاول لي، احتملته وانتصرت على نفسي، لا تقل هذا، إنما قل: "ميدان حربي هي بتشبع، وهناك يجب أن انتصر"، وليكن الرب معك.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ١٩٦ - ٢٠١



{١٦} اهتم بأبديتك:

وحسب حساب النفقة

يا إخوتي، طريقنا الروحي طريق طويل. العمر كله لا يكفيه:

ينبغي أن نعرف تماماً: ما هو المطلوب من؟ وهل نحن نسير في الطريق، ونتقدم فيه خطوة خطوة كل يوم، نحو الهدف، أم نحن لم نبدأ بعد؟ أم سرنا خطوات ووقفنا؟ وهكذا فلنحسب من الآن حساب النفقة، ساهرين على خلاص نفوسنا.

المطلوب منا ليس مجرد الإيمان العادي، إنما حياة القداسة، فيقول الرسول: "نظير القدوس الذي دعاكم، كونوا أنتم أيضاً قديسين" {١بط١:١٥}. "القداسة التي بدونها لا يعاين أحد الرب" {عب١٢:١٤}.

على أن هذه القداسة ليست هي آخر المطاف، إنما ينبغي إن وصلنا إليها أن ننمو فيها، وإلى أي حد ننمو؟ حتى نصل إلى الكمال، حسب وصية الرب القائل: "كونوا كاملين، كما أن أباكم الذي في السماوات هو كامل" {متى٥:٤٨}.

فهل نحن قد وصلنا إلى هذه القداسة، وإلى هذا الكمال؟ والمعروف أن الكمال النسبي هو درجات يسعى فيها نحو الغرض جميع الكاملين منا {فى٣:١٤،١٥}. وإلى أي حد يسعون؟ إلى الحد الذي يقول فيه الرسول: "لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله" {أف٣:١٩}.

صدقوني، لقد وقفت أمام هذه العبارة منذهلاً، حينما قرأتها أول مرة! ثم أعدت القراءة، فإذا الرسول يقول: "وأنتم متأصلون،

ومتأسسون في المحبة، حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض، والطول، والعمق، والعلو. وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة، لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله" {أف٣:١٨،١٩}.

📖 هنا وأصمت: لأنه ماذا يمكن أن أقول؟! ولكنى أتذكر أن الرسول لم يطالبنا فقط بأن نسلك حسب الروح {رو٨:١}. وإنما قال: "إمتلئوا بالروح" {أف٥:٨}. ما هو كنه هذا الإمتلاء بالروح؟

📖 أنا يا رب لست أعلم! هل معناه في بساطة أنه لا يوجد شيء في كياننا يكون خالياً من الروح، بل هذا الملء يشمل كياننا كله؟ إن حدث هذا لنا، أترانا حينذاك كيف نسلك؟ يقول الرسول إن المطلوب منا هو أن نسلك كما كان المسيح يسلك على الأرض في تجسده.

📖 "من قال إنه ثابت فيه، ينبغي أنه كما سلك ذاك، يسلك هو أيضاً" {١يو٢:٦}. من يستطيع هذا، مهما حاول؟! حقاً ما أعلى هذه المرتفعات التي يريد الروح أن يقتادنا إليها، لنكون "صورة الله ومثاله" {تك١:٢٦،٢٧}. إنه وضع من النمو الدائم، لا يقف عند حد.

📖 قلت يوما إنه يشبه من يطارد الأفق:

📖 ينظر إنسان إلى الأفق، فيراه هناك في آخر الطريق. فيذهب إلى آخر الطريق، فيرى الأفق عند الجبل، حيث تبدو السماء منطبقة على الأرض. فيذهب إلى الجبل، فيرى الأفق بعيداً عند البحر. فيذهب إلى البحر، فيراه ممتداً بعيداً. إلى غير حدود. هكذا حياة الكمال.

📖 ولأجل هذا قال القديسون عن أنفسهم إنهم خطاة:

📖 نقرأ عن آباء البراري، الذين ارتفعوا جداً في حياة الروح، فنرى أنهم كانوا يجلسون في قلاليهم ويبكون على خطاياهم، وحتى الرسل القديسون كانوا أيضاً يتحدثون عن خطاياهم. ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك قول بولس الرسول: "الخطاة الذين أولهم أنا" {١تى١:١٥}. فإن كان بولس الرسول أول الخطاة. فماذا نقول نحن عن أنفسنا؟!

🕮 إن مثال بولس الرسول يجعلنا ننسحق جداً:

🕮 بولس الرسول الذي تعب أكثر من جميع الرسل {١كو١٥:١٠}، الذي كرز في بلاد عديدة، وكتب ١٤ رسالة لأجلنا، الذي صنع أيات عجيبة ومعجزات، ومن كثرة الإستعلانات، "أعطى شوكة في الجسد، لكيلا يرتفع" {٢كو١٢:٧}.

🕮 بولس هذا الذي صعد إلى السماء الثالثة، وسمع كلمات لا ينطق بها {٢كو١٢:٤}. وما هذا الذي تفعله؟ يجيب: "أنسى ما هو وراء، وأمتد إلى ما هو قدام". يمتد إلى قدام!! إلى أين؟

🕮 هل هناك ما هو أكثر من السماء الثالثة؟ وهذه الحياة المملوءة بالكرازة، والقداسة، والمعجزات؟! وإن كان بولس على الرغم من كل ما وصل إليه، يقول: "أسعى نحو الغرض" {فى٣:١٤}. فماذا نقول نحن الذين لم ندرك شيئاً مما قد أدركه هذا القديس العظيم؟!

🕮 إننا لم نسلك بعد في محبة الله، ولا حتى في طاعته. لم نتصرف كأبناء محبين، ولا حتى كعبيد أمناء مخلصين، بل إننا لم نصل إلى درجة {بيد بطالين}. هوذا الرب يقول: "متى فعلتم كل ما أمرتم به، فقولوا إننا عبيد بطالون" {لو١٧:١٠}.

🕮 لأننا ما نزال في حدود الأوامر، لم نرتفع بعد فوق الناموس، إلى درجة الحب، الحب الذي يبذل كل شيء، الذي يخسر كل الأشياء – وهو يحسبها نفاية – لكي يربح المسيح {فى٣:٨}.

🕮 إن كان هكذا حال الذين يقف عند حدود تنفيذ الوصية، فماذا يقال عن الذي يخطئ ويكسر الوصية؟! إنه ليس عبداً لله على الإطلاق، لا عبداً صالحاً ولا بطالاً، بل هو مقاوم لله، وعبد لإبليس. أقول لك هذا، لكي تعرف نفسك، ولكي تعرف ما هي المرحلة التي قطعتها في الطريق إلى الله، لئلا تظن، إذا صليت مزمورين، أنك قد وصلت!!

🕮 إذن اعرف يا أخي أين أنت. واهتم بخلاص نفسك:

🕮 إن لك نفساً واحدة لا تملك غيرها. إن ربحتها ربحت كل شيء. وإن خسرتها خسرت كل شيء. لأنه ماذا يمكن أن تأخذ من العالم عوضاً عن نفسك؟ وهوذا الرب يقول عبارته الخالدة: "ماذا ينتفع الإنسان، لو ربح العالم كله وخسر نفسه" {متى١٦:٢٦}.

🕮 إجلس إذن إلى نفسك. وافحص حياتك جيداً: هل أنت سائر في الطريق، أم لا؟ وهل تحرص على أبديتك، أم قد ضيعت نفسك، وضاعت أيامك التي كان ينبغي أن تستخدمها في معرفة الله، وفى محبته، وفى النمو الروحي، حتى تدرك الغاية التي من أجلها أدركك المسيح.

🕮 **يا أخي: أن الطريق طويل قدامك، وأنت لم تبدأ بعد:**

🕮 الطريق يبدأ بالمخافة، لأن "بدء الحكمة مخافة الله" {أم٩:١٠}. والمخافة بالتدريج تقود إلى المحبة، ولكنك إلى الآن لم تصل إلى مخافة الله، لأنك مازلت تكسر وصاياه، فمتى تصل إلى المحبة إذن؟!

🕮 وأنت لا تستطيع أن تصل إلى الله، إلا إذا كنت تسلك حسب الروح. وإن سلكت حسب الروح، ستظهر ثمار الروح في حياتك. وثمار الروح منهج طويل، شرحه بولس الرسول. فقال: "وأما ثمر الروح فهو محبة، فرح، سلام طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف" {غل٥:٢٢}. والمحبة التي هي أولى هذه الثمار، شرحها الرسول بالتفصيل في {١كو١٣}، ووضع لها حوالى أربع عشرة علامة. فهل وصلت إلى شيء منها؟

🕮 ثم ماذا عن الصلاة وتفاصيلها؟ وماذا عن الهذيذ، والتأمل، وكل الوسائط الروحية؟ وماذا عن حروب الشياطين، وكيفية الانتصار عليها، أنا لا أريد أن أثقل عليك بتفصيل الحياة الروحية، لأنني سأحدثك عنها جميعها إن شاء الله في كتاب كبير اسمه [معالم الطريق الروحي]. أما الآن فكل ما أنصحك به، هو أن تبدأ بالخطوة الأولى

في العلاقة مع الله، لأنه إن لم تبدأ بأول خطوة فكيف تصل؟!

📖 **ونقطة البدء في علاقتك مع الله، هي التوبة:**

📖 بها تصطلح مع الله وترجع إليه: أي تنتقل من خارج الدائرة إلى داخلها. ثم تحملك النعمة، وتعبر بك درجات الطريق.

📖 وهكذا تنتقل من خطوة التوبة، إلى النقاوة، إلى القداسة، إلى الكمال النسبي، إلى النمو في هذا الكمال. أتريد أن تبدأ الطريق وتخطو إلى التوبة. ضع أمامك هذه القاعدة:

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٢٠٢ - ٢٠٥

📖 **{١٧} اقتن محبة الله لتطرد منك محبة الخطية:**

📖 الإنسان لا يستطيع أن يعيش في فراغ عاطفي. فهو أما أن يملأ قلبه بمحبة الله، أو أن يمتلئ هذا القلب بمحبة العالم والجسد: "محبة العالم عداوة لله" {يع٤: ٤}.

📖 نقطة أخري، وهي: أن محبة الله أقوى وأعمق من أية محبة أخري، لذلك إن أدخلتها في قلبك، فإنها حتمًا ستطرد كل الشهوات الأخرى منه، وصدق ذلك القديس الذي قال: "التوبة هي استبدال شهوة بشهوة". أي بعد أن كنت تشتهي العالم والجسد والخطية، أصبحت كل شهواتك روحية، مركزة في الله والحياة معه.

📖 فلا يكن قلبك إذن خاليًا من حب الله وملكوته، لئلا تسكنه محبة الخطية. وأحفظ هذا الميزان سليمًا داخل قلبك. لا تجعل كفة العالم ترجح بتأثيرات كثيرة من النظر، والسمع، والقراءة والخلطة المعثرة. إنما استخدم بكل قوة جميع الوسائط الروحية المتاحة لك، التي تعمق محبة الله في عقلك.

📖 **وثق أن الخطية لا تستطيع أن تدخل قلبًا يحب الله:**

📖 ولا نقصد بالإنسان الذي يحب الله، مجرد ممارسته للوسائط

الروحية كالصلاة، والصوم، والقراءة الروحية، وحضور الكنيسة، والاعتراف والتناول. وإنما يهمنا قبل كل شيء أن تكون هذه الوسائط الروحية، نابعة من حب داخلي في القلب.

📖 **فالدين هو الحب: حب الله، وحب للخير، وحب للغير:**

📖 وإن لم يوجد هذا الحب، يفتر القلب، ويفقد الشعلة الروحية التي تسلمها من روح الله يوم عرفه. وقد يتطور الفتور إلى خطية، مهما كانت لهذا الإنسان خدمة في الكنيسة، ومهما كان طاقة من النشاط والحركة. {عن محاضرة بعنوان "الحب وليس الممارسات" ألقيت في الكاتدرائية الكبرى يوم الجمعة ١١-١١-١٩٧٧}.

📖 **بدون محبة الله داخلك، لا تستطيع أن تتوب:**

📖 وإن تركت الخطية، لا يكون تركًا حقيقيًا عن نقاوة قلب. وإنما قد تكون مجرد إجراءات خارجية لصلح شكلي مع الله، ويخاف أن تدخله الخطية إلى جهنم، فلكي يتقي الله وعقوباته، يدخل في الدين. ويسمى هذه "تقوى" أي اتقاء لله وغضبه.

📖 وبهذا الخوف، قد يبعد عن الخطية بالعمل، ولكن لا تبعد الخطية عن قلبه. ويظل القلب مقلقلًا، لليمين ولليسار، ولا يستقر إلا بالحب.

📖 التوبة إذن هي: تحويل مشاعر القلب بالحب نحو الله. وكل الممارسات الروحية كالصلاة والصوم، لا تكون قائمة بذاتها، إنما ملتصقة بهذا الحب.

📖 فالصلاة بغير حب الله، ليست هي صلاة بالحقيقة. وكذلك الصوم. وكذلك حضور الكنيسة والتناول. فأنت تصلي وتقول: "عطشت نفسي إليك"، "باسمك أرفع يدي، فتشبع نفسي كما من شحم ودسم" {مز٦٢}، "محبوب هو أسمك يا رب، فهو طول النهار تلاوتي"

{مز١١٩}. وأنت تقرأ في الكتاب وتقول: "وجدت كلامك كالشهد فأكلته". وأنت تذهب إلى الكنيسة وتقول: "مساكنك محبوبة أيها الرب إله القوات. تشتاق وتذوب نفسي للدخول إلى ديار الرب" {مز٨٣: ١}.

📖 **بهذه المشاعر تجد لذة في التوبة. وتوبتك تستمر وتستقر:**

📖 أما إن لم يوجد فيك هذا الحب، فحتى إن تركت الخطية، ما أسهل أن تحاربك لترجع إليها. لماذا، لأنك لم تجد في الحياة مع الله شبعك، لم تجد في حياة التوبة ما يملأ قلبك، وما يملأ عواطفك ومشاعرك، وما يحفظك من التماس الحب في الخارج.

📖 أنا أعرف أنك تريد التوبة، ولولا ذلك ما كان هذا الكتاب بين يديك الآن. بل ربما تظن أنك بدأت التوبة فعلًا، من أجل أنك تمارس وسائط روحية، ومع ذلك فأنت: تصلي، وتصوم، ولا تشعر أن محبة الخطية قد فارقتك! فلماذا؟

📖 كلنا نؤمن بفوائد الوسائط الروحية، ولكن على شرط أن تمارسها بطريقة روحية. فإن كنت تصلي، وتصوم، وتقرأ الكتاب، وتجد في ذلك شبعًا روحيًا، ولذة وتعزية وفرحًا، ويقودك كل هذا إلى تعميق محبتك لله. إذن فأنت سائر على الدرب. ومن سار على الدرب وصل. إن لم تعش في التوبة بهذا الحب، تكون تائهًا.

📖 لا بد إذن أن تقتني محبة الله، التي تستطع أن تطرد من قلبك محبة الخطية. لا بد أن تعرف المسيح، لكي تستطيع أن تترك الجرة عند البئر {يو٤}. فإن لم يكن لك هذا الحب، أطلبه في صلاتك بكل لجاجة. هي صلاة تقولها في كل وقت، من كل قلبك، ومن كل فكرك، ومن عمق أعماقك: "أعطني يا رب أن أحبك ـ أنزع محبة الخطية من قلبي، وأعطني محبتك".

📖 **وابحث عن كل الوسائط التي تساعدك على محبة الله**

📖 ليست كل قراءة تنفعك. ولكن هناك قراءات روحية تؤثر كثيرًا في

قلبك، وتمس مشاعرك الروحية. وهناك أماكن مقدسة تؤثر فيك، وأشخاص محبون لله، تراهم فتحب الله مثلهم. بكل هذا، وأمثاله، التصق بكل قوتك. وابعد عن كل شيء، به تبعد محبة الله عن قلبك.

📖 كن حريصًا على هذه المحبة كل الحرص. لأنها هي التي تطرد منك محبة الخطية. بل كلما زادت محبة الله فيك، حينئذ ينفر قلبك من الخطية، ويشمئز منها، ويندم على أيامه الأولى التي عاشها في الخطية. وبهذا يكون الله قد وهبه قلبًا جديدًا. قلبًا يحب الله، غير القلب القديم تمامًا.

📖 وفي هذا القلب المحب لله، تعبد الله بفرح، ولا تجد صعوبة في حفظ وصاياه. بل تغنى مع يوحنا الحبيب قائلًا: "هذه هي محبة الله أن نحفظ وصاياه. ووصاياه ليست ثقيلة" {١يو٥: ٣}.

📖 ولماذا ليست ثقيلة؟ لأنك تعيش فيها بفرح، بحب، من غير صراع داخلي يشبعك. إذ لا تجد ناموسًا آخر في أعضائك، يحارب ناموس ذهنك، ويسبيك إلى ناموس الخطية" {رو٧: ٢٣}.

📖 **الإنسان الذي يحب الله، يجد لذة في تنفيذ وصاياه:**

📖 ويجد لذة في عمل ما يرضيه. ولا يسمح لنفسه أبدًا أن يغضبه. كإنسان يحب أباه وأمه، ويجد لذة في إرضائهما، وكسب بركتهما ورضائهما، ولا يسمح لنفسه أن يغضبهما في شيء. إن وصلت إلى هذا الشعور، يمكنك أن تتوب بسهولة.

📖 ولكن بدون محبة الله، تجد التوبة صعبة وثقيلة. ولا تشعر برغبة في ترك الخطية، إذ لا توجد محبة أعمق تحل محلها. ابحث إذن عن هذه المحبة الأعمق. واسلك في كل الوسائط التي توصلك إليها. وحينئذ لا يمكن أن تجد التوبة صعبة، ولن تجد الوصية ثقيلة.

📖 **ولكن متى تجد التوبة صعبة، والوصية ثقيلة؟**

📖 تجدها كذلك إن كانت محبة الله ليست كاملة في قلبك، أو لم تصل

إلى شيء منها بعد، ولذلك فأنت حينما تحاول أن تتوب، تصارع محبة مضادة في داخلك، وتضغط على إرادتك، وعلى قلبك وعواطفك. وتحاول أن تهرب من صور أثيمة راسخة في عقلك الباطن، وفي ذاكرتك، تشدك إلى أسفل، بعيدًا عن الله.

🕮 ولكنك إذا أحببت الله، حينئذ لا تستطيع أن تخطئ، والشرير لا يمسك {١يو٣: ٩، ٥: ١٨}. وحينئذ لا تكون الوصية ثقيلة، بل تكون الخطية ثقيلة. الخطية هي التي تصير صعبة، مهما حاول العدو أن يضغط على إرادتك، تقاوم وترفض أن تخطئ، وتقول من كل قلبك "كيف أخطئ، وأفعل هذا الشر العظيم أمام الله؟!" {تك ٣٩: ٩}.

🕮 وتجد وصية الرب مفرحة، ومضيئة تنير العينين {مز ١٩}.

🕮 وتصبح التوبة سهلة عليك، وتصل منها إلى نقاوة القلب.

🕮 ولكن لعلك تسأل: كيف يمكنني أن أصل إلى محبة الله هذه، التي تطرد مني محبة الخطية؟ هناك وسائل توصلك إلى محبة الله، منها:

🕮 اقرأ كثيرًا في سير القديسين الذين أحبوا الله من كل قلوبهم، وبذلوا كل شيء من أجله. وخسروا كل الأشياء من أجل فضل معرفته، لكي يوجدوا فيه، واقرأ كتبًا كثيرة عميقة عن الفضيلة، لكي تثير محبة الخير في قلبك، فتترك ما أنت فيه.

🕮 واقرأ قصص التوبة والرجوع إلى الله، فهي مؤثرة جدًا ونافعة لك.

🕮 وتذكر الموت، والدينونة، والملكوت الأبدي، لكي تشعر بتفاهة الخطايا التي تحاربك، بل وتفاهة العلم كله. وتذكر كم أحبك الله طول حياتك وأحسن أليك. فإن هذه الذكريات الحلوة تثير فيك مشاعر الحب والعرفان بالجميل من نحو الله. فتحبه لأنه أحبك قبلًا.

🕮 وماذا أقول؟ ليتك تقلب هذه الصفحات من الكتاب، وتعيد قراءة ما كتب فيه عن دوافع التوبة. ومع ذلك فلكي تصل إلى التوبة، عليك أن تصارع مع الله، ليعطيك محبته، أو ليعطيك قلبًا جديدًا يحبه. وكيف ذلك؟

📖 {١٨} صارع مع الله وخذ منه معونة:

📖 أنت تريد أن تتوب، وتنتصر على خطاياك، حسنًا تفعل. ولكن ضع أمامك هذه القاعدة الهامة، وهي: "النصرة على الخطية ليست مجرد عمل بشري".

📖 ١- **أولًا:** لأن الخطية قوية، لها هذه القوة التي بها "طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلاها أقوياء" {أم٧: ٢٦}. فهل هذه الخطية التي أسقطت آدم، وشمشون، وداود وسليمان، تستطيع أن تحاربها بمفردك، بدون معونة إلهية؟! محال.

📖 ٢- هذه الخطية قد أخذت سلطانًا عليك، حينما أسقطتك من قبل.

📖 ٣- إنها لا تقتصر على الحرب الخارجية، إذ تجد لها أيضاً استجابة في داخلك، تجعل الحرب مزدوجة.

📖 ٤- هذا هو تعليم الكتاب القائل "إن لم يحرس الرب المدينة، فباطل هو سهر الحارس" {مز١٢٧: ١}. بل هذا قول المسيح نفسه: "بدوني لا تقدرون أن تعملوا شيئًا" {يو١٥: ٥}.

📖 ٥- كل عمل تعمله بمفردك، دون أن يشترك الله معك، غالبًا ما تفشل فيه. وحتى إن نجحت ستنسبه إلى نفسك، ويحاربك المجد الباطل، معتقدًا أنك بقوتك قد انتصرت. والمعروف أن الاتضاع هو من أقوى الأسلحة التي ينهزم بها الشياطين.

📖 وقد استخدمه القديس الأنبا أنطونيوس، حينما كان يقول لهم "أنا أضعف من أن أقاتل أصغركم". ثم يصرخ إلى الرب قائلًا "أنقذني يا رب من هؤلاء الذين يظنون أنني شيء".

📖 **٦- وقد أثبتت خبراتك الماضية، فشلك في التوبة بمجهودك:**

📖 كم مرة حاولت أن تقوم وسقطت مرة أخري. كم مرة عاهدت الله على التوبة، ووعدته وعودًا، وقلت في تصميم لن أفعل هذه الخطية مرة أخري.

📖 بل أحيانًا كنت تستنزل الويلات على نفسك وتقول: "أمرضني يا رب إن فعلت هذه مرة أخري". كنت تقول هذا، كما لو كان الأمر في يدك وفي إمكانك. ونصيحتي لك، بدلًا من أن تقول: أعدك يا رب أن أتوب. الأجدر بك أن تقول للرب: توبني يا رب فأتوب {أر٣١: ١٨}.

📖 أطلب منه التوبة كعطية صالحة من عنده، لأنه هو نفسه وعد بهذا، وقال "أعطيكم قلبًا جديدًا، وأجعل روحًا جديدة في داخلكم. وأجعل روحي في داخلكم، وأجعلكم تسلكون في فرائضي" {حز٣٦: ٢٦،٢٧} {أنظر فصل "قلبًا جديدًا" في كتاب: كيف أبدأ عامًا جديدًا}، فتمسك بوعده المقدس هذا، واطلب منه أن يمنحك هذه التوبة، ويعطيك القلب الجديد، ويجعلك تسلك في وصاياه.

📖 **وهذا ما تعلمنا إياه الكنيسة في صلوات الساعات:**

📖 ألسنا نقول في المزمور الخمسين "انضح على بزوفاك فأطهر، واغسلني فأبيض أكثر من الثلج". إذن الله هو الذي يغسلك فتبيض، ولست أنت القادر على غسل نفسك. وفي كثير من المزامير نقول: "خلصني يا رب. احفظني. علمني طرقك".

📖 وفي صلاة الساعة الثالثة نقول: "طهرنا من كل دنس أيها الصالح وخلص نفوسنا"، "طهرنا من دنس الجسد والروح. وانقلنا إلى سيرة روحانية، لكي نسمى بالروح ولا نكمل شهوة الجسد". وهذا ما نقوله أيضاً في القداس الإلهي: "طهر نفوسنا، وأجسادنا، وأرواحنا"

📖 ونكرر هذه العبارة في القداس أكثر من مرة: إذن فنحن نتعلم من الكنيسة أن التوبة، والطهارة، والنقاوة، ليست مجرد نتيجة مجهود منا، إنما نحن أيضاً نطلبها من الله في صلواتنا.

📖 وكأن الإنسان يقول لله: "أنا عاجز يا رب عن تطهير نفسي. فقم أنت بهذا العمل حسب سابق وعدك". "قم أيها الرب الإله"، "قم يا رب خلصني يا إلهي". وهنا تظهر أهمية الصلاة في الوصول إلى التوبة.

📖 مار إسحق ركز عليها وحدها، لدرجة إنه قال: "من كان يظن أن له طريقًا آخر للتوبة غير الصلاة، فهو مخدوع من الشياطين".

📖 أما أنت فعلى الأقل في كل جهادك، لا تكن معتمدًا على قوتك، ولا على ذكائك، ولا على إرادتك وتداريبك، فأنت وحدك بدون معونة من الله، لن تصل إلى التوبة بمجهودك الخاص. قل له: "يا رب أنا محتاج إليك، وبدونك لا أستطيع شيئًا. الإرادة حاضرة عندي. ولكن أن أفعل الحسنى لست أجد. الشر الذي لست أريده إياه أفعل" {رو٧: ١٨، ١٩} "ضللت مثل الخروف الضال، فاطلب عبدك" {مز١١٩}.

📖 ألست أنت القائل "أنا أرعى غنمي وأربضها يقول السيد الرب، وأطلب الضال، وأسترد المطرود، وأجبر الكسير، وأعصب الجريح" {حز٣٤: ١٥، ١٦}. هوذا أنا هذا الضال، الكسير، والجريح، فاطلبني واستردني، وأعصبني. أنا يا رب وصلت إلى حالة من الضعف والعجز، لست أستطيع فيها أن أعدك بأن أتوب. وإن وعدتك قد أخلف وعدي. لست أعدك، إنما أطلب وعدًا منك بأن تخلصني من الخطية.

📖 ألست أنت القائل "تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال، وأنا أريحكم" {متى١١، ٨}. نعم يا رب أنا محتاج أن تريحني من هذا الحمل الثقيل. ألم تقل إن "ابن الإنسان جاء يطلب ويخلص ما قد هلك" {لو١٩: ١٠}. إنني أنا المحتاج إلى هذا الخلاص منك.

📖 ليس فقط الخلاص من الدينونة، إنما الخلاص من الخطية ذاتها.

📖 لقد أسموك "يسوع" أي المخلص، لأنك تخلص شعبك من

خطاياهم {متى١: ٢١}. خلصني إذن من خطاياي. ليتني أسمع منك قولك المعزي "من أجل شقاء المساكين، وتنهد البائسين، الآن أقوم – يقول الرب. أصنع الخلاص علانية" {مز١١}.

📖 **هكذا تعلم يا أخي الصراع مع الله لأجل التوبة:**

📖 صارع مثل غريق وجد أمامه قارب نجاة. صارع مثل يعقوب الذي قال للرب "لا أطلقك إن لم تباركني" {تك٣٢: ٢٦}.

📖 قل له: "أنا يا رب جربت نفسي، وعرفت ضعفها وعجزها أمام الخطية. بقي أن تتدخل أنت. لا تلمني يا رب من أجل ضعفي. إنما أنقذني من هذا الضعف.

📖 بدلًا من أن تدينني لأني نجس، طهرني من هذه النجاسة. أنت قد أعطيتني وصايا لكي أنفذها، فأعطني أيضاً القوة التي أنفذ بها هذه الوصايا. أعطني المقاومة التي أقاوم بها الشيطان. وأعطني محبتك التي تطرد من قلبي محبة الخطية". وأثبت يا أخي في صلاتك، فهي طريقة مضمونة إلى التوبة.

📖 **فالإنسان الذي يعرف الصلاة القوية، لا يعرِف الهزيمة مطلقًا:**

📖 والإنسان الذي يُدخل الرب في قتالاته وحروبه، لا يمكن أن ينهزم أبدًا. صارع إذن مع الله. خذ منه القوة، والسلاح الروحي الذي تحارب به، خذ منه الوعود الإلهية، والقلب الجديد، والروح النقية.

📖 خذ منه الإرادة والعزيمة. خذ الإيمان الذي تحارب به، والثقة في أنك ستغلب. ثق أنك إن انتصرت في صلاتك، ستنجح في ميادين القتال كلها. إن نجحت في صراعك مع الله، لن تقدر عليك أيه قوة على الأرض.

📖 بل تتمتع بالعبارة الجميلة التي قالها الرب لأرميا الصغير: "يحاربونك ولا يقدرون عليك، لأني أنا معك يقول الرب. لأنقذك" {أر١: ١٩}. وحينئذ "يسقط عن يسارك ألوف، وعن

يمينك ربوات. وأما أنت فلا يقتربون إليك" {مز٩٠}.

📖 حقًا إن "الرب يقاتل عنكم، وأنتم تصمتون" {خر١٤: ١٤}..

📖 يقاتل عنكم في حروبكم الخارجية. ويقاتل عنكم في حروبكم الداخلية، في القلب، والفكر. لذلك في كل حروبك الروحية، ضع أمامك هذه القاعدة "إن الحرب للرب". "الحرب للرب" {١صم١٧: ٤٧}. وليس للرب مانع أن يخلص بالكثير وبالقليل" {١صم١٤: ٦}.

📖 لذلك لما حارب الشعب عماليق، لم يكن هو الذي يحاربه بل الرب. وهكذا قيل "للرب حرب مع عماليق" {خر١٧: ١٦}. كذلك كل الخطايا التي تهزمك، للرب حرب معها. هو الذي يغلبها فيك، ولست أنت، لأنه قال "أنا قد غلبت العالم" {يو١٦: ٣٣}.

📖 انتصارك الروحي إذن، هو عن طريق الرب وحده. ولن تصل إلى التوبة، ولن تنتصر على خطية واحدة، إلا عن طريق الرب. فتقول مع داود "قوتي هو الرب وقد صار لي خلاصًا" {مز١١٧}. وتقول مع بولس الرسول: "يعظم إنتصارنا بالذي أحبنا" {رو٨: ٣٧}.

📖 إذن ليس انتصانا بعزيمتنا، أو باتكالنا على ذواتنا، إنما بهذا الذي أحبنا، ومن محبته لنا، يقيمنا من سقطتنا بقوته، "ويقودنا في موكب نصرته" {٢كو٢: ١٤}. إن الله دائمًا كما يقول الرسول "يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح" {١كو١٥: ٥٧}.

📖 فلا تتحول عنه إذن، مركزًا كل جهودك للتوبة في ذاتك، إنما خذ القوة منه لكي تتوب. واهتف مع معلمنا بولس قائلًا: "أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني" {في٤: ١٣}.

📖 في المسيح إذن، في قوته ومعونته، تستطيع كل شيء. وخارج المسيح لا تستطيع شيئًا. إذن صارع معه أولًا، قبل صراعك مع الخطية، مثلما صارع يعقوب مع الله قبل أن يذهب لمقابلة عيسو. فلما غلب مع الله، أصبح عيسو خفيفًا في حمله. أتقول ليعقوب اذهب

أولًا إلى عيسو. يجيبك: هذا الشخص لا يقدر عليه إلا الله. إذن أنا أذهب إلى الله أولًا، وآخذه معي لمقابلة عيسو. هكذا تفعل مع الخطية.

📖 بكل أتضاع قلب، قل أنا أضعف من هذه الحرب. "أنا أضعف من أن أقاتل أصغرهم" كما قال القديس الأنبا أنطونيوس. وإن قال باراق قائد الجيش: إنه لن يذهب إلى الحرب ما لم تذهب معه دبورة النبية {قض٤: ٨}. فأنت أيضاً لن تقوى على الخطية بمفردك ما لم يحارب الله معك.

📖 قل من أنا حتى أقف أمام الشياطين وحدي؟! أنا لست كفؤًا لهذا القتال. وأنت يا رب نصرتي. تعال واغلب العالم في قلبي، كما غلبته من قبل.

📖 **أنت تعرف يا رب كل شيء. تعرف ضعفي وهزيمتي:**

📖 تعرف أني لا أملك إرادة، ولا قوة، ولا عزيمة. بل أحيانًا لا أملك مجرد الرغبة في التوبة. ولا أعرف أن أحارب، ولا أصمد على تجارب العدو. وباختصار لست أعرف كيف أتوب. وإن عرفت لا أقوى. وإن قويت مرة أنهزم مرات.

📖 انتشلني كشعلة من النار مثل يهوشع {زك٣: ٢}.

📖 هذا الذي من أجل توبته، وقف ملاك الرب ضد الشيطان الذي يقاومه، وقال له: لينتهرك الرب يا شيطان، لينتهرك الرب. أليس هذا شعلة منتشلة من النار؟ وانتشله الملاك من النار، وألبسه ثيابًا مزخرفة {زك٣: ١- ٥}. إن الله يحب هذا الصراع معه. والذين صارعوا معه، في الصلاة والطلبة، أخذوا منه قوة.

📖 **ولكن. قد يقول إنسان: صليت كثيرًا ولم أتب:**

📖 لا يا أخي، فكل صلاة توافق مشيئة الله لا بُد تستجاب. والصلاة من أجل التوبة توافق مشيئة الله، ولكن:

📖 ١- ربما تكون فعلًا قد صليت. ولكن ليست الصلاة الخارجة من عمق القلب، التي تصارع مع الله برغبة صادقة في هذه التوبة، وبدالة الابن عند أبيه.

📖 ٢- أو ربما تكون قد صليت، ولم تثبت في صلاتك. إنما قلت كلامًا، ومللت بسرعة! ولم تكن لك طول الأناة في الصلاة. الصلاة التي تطلب، وتنتظر الرب في إيمان. الصلاة التي تتميز بالجهاد، والإصرار، واللجاجة، والإلحاح. مثلما طلب إيليا من الرب. وكرر الصلاة مرات، حتى نال الاستجابة في سابع مرة {١مل١٨: ٤٤}. وانظر إلى يعقوب إنه صارع الرب "حتى طلوع الفجر" {تك٣٢: ٢٤}. أي طول الليل ولم يمل.

📖 ٣- أو ربما صلاتك في غير إيمان، وفي غير انسحاق قلب.

📖 ٤- أو ربما الاستجابة السريعة ليست في صالحك، كما قال القديس باسيليوس: "أحيانًا يتأخر الله علينا في استجابة الطلبة، لكي نعرف قيمتها. لأن الأشياء التي ننالها بسهولة، قد نفقدها بسهولة.

📖 فيشاء الله أن تذل بالخطية بعض الوقت، حتى تعرف قيمة الخروج منها. وإذا أنعم عليك بالتوبة تشعر بفرح أعظم، وتحرص عليها بكل قوتك، لأنك لم تحصل عليها إلا بكل صعوبة، وبعد وقت. وحينئذ تكون في توبتك أكثر تدقيقًا، وأكثر حرصًا وخوفًا من السقوط".

📖 ٥- أو ربما تأخير التوبة، سببه أن الله يريد أن يعرف مدى جديتك في طلب التوبة، ومدى ثباتك في الطلبة.

📖 ٦- وقد يكون تأخير الاستجابة بسببك. فأنت الذي لا تريد.. حقًا تطلب بفمك، أما قلبك فلا يريد. وأنت الذي تضع معطلات للتوبة. ويناسبك قول الكتاب "إن سمعتم صوته، فلا تقسوا قلوبكم" {عب٣:

٧}. لذلك لا تطلب المعونة، بينما تنام وتتراخى.
📖 فعمل الله من أجلك، ليس تشجيعًا لك على التهاون والكسل، اتكالًا على عمل الله! الله يريدك أن تعمل معه. هو يعمل لتوبتك، وأنت تشترك معه. هو يقدم لك المعونة، وأنت لا تضع المعطلات بإرادتك، ولا تترك أبوابك مفتوحة للخطية. وباختصار أدخل بكل إمكانياتك مهما كانت ضئيلة، في شركة مع الروح القدس {٢كو١٣: ١٤}.
📖 قدم رغبتك أولًا، وقد استسلامك لعمل الله فيك. وقدم ما تستطيعه من عمل. ومع ذلك لا تتضايق. لقد خلص الله كثيرين لا قدرة لهم على عمل شيء.
📖 هناك أشخاص لم يعملوا شيئًا: نازفة الدم مست هدب ثوبه في إيمان. وصاحب اليد اليابسة، قال له الرب مد يدك فمدها. والمولود أعمى طلب إليه أن يغتسل في بركة سلوام فذهب واغتسل {يو٩: ٧}.
📖 ولكن غير هؤلاء من لم يستطيعوا أن يعملوا شيئًا، مثل المفلوج الذي دلوه من السقف {مر٢: ٤}. ومثل الجريح الذي حمله السامري الصالح، وكان ملقى على الطريق ما بين حي وميت {لو١٠: ٣٠}. ومثل مريض بيت حسدا، الذي استمر ثماني وثلاثين سنة عاجزًا عن الوصول إلى الشفاء {يو٥:٥}. وكذلك كل أصحاب العاهات المستعصية.

📖 **ماذا فعل هؤلاء، من أمثال المفلوج وأشباهه؟ لا شيء:**
📖 وبالمثل كل الموتى الذين أقامهم السيد المسيح. أكان باستطاعة الميت أن يفعل شيئًا، ليتخلص من الموت؟! كلا. بلا شك. والخاطئ يعتبر ميتًا. ميتًا بالخطية {أف٢: ٥}. له سم أنه حي، وهو ميت {رؤ٣: ١}. إن كان لا يستطيع شيئًا، فالمسيح قادر أن يقيمه.
📖 لذلك لا تيأس، ولا تقلق. إن كل هذه الأمثلة في رموزها تعطينا فكرة عن أن: الله يبحث عن خلاص الخطاة، الذين يقدرون والذين لا يقدرون. الذي يقدر كالابن الضال، الذي يستطيع أن يرجع إلى بيت

أبيه. والذي لا يقدر مثل الخروف الضال والدرهم المفقود. وقد ورد ذكر الثلاثة في أصحاح واحد {لو١٥}. وللرب في غير القادرين شرط واحد، وهو أنهم لا يقاومون عمله لخلاصهم.

🕮 ومن أمثلة الذين لا يقدرون "العاقر التي لم تلد" {أش٥: ١}. وكانت رمزًا للنفس العقيمة التي لا تعطي ثمرًا للروح. وقد جعلها الله مخصبة أكثر من ذات البنين.

🕮 **بل هناك أشخاص خلصهم الله دون أن يطلبوا:**

🕮 مثال لوط الذي قبل الرب شفاعة إبراهيم فيه، فأخرجه من سدوم، بينما لوط نفسه لم يطلب. ولما أخبره الملاكان بأن سدوم ستحترق كان متباطئًا في الخروج. ويقول الكتاب في ذلك "كان الملاكان يعجلان لوطًا. ولما توانى، أمسك الرجلان بيده وبيد امرأته وبيد ابنتيه، لشفقة الرب عليه، وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة" {تك١٩: ١٥، ١٦}.

🕮 إن عبارة "لشفقة الرب عليه" عبارة معزيه ولا شك: الله الذي أشفق على كل هؤلاء، هو أيضاً فليشفق عليك، وليمنحك التوبة من عنده، ويقودك إليها، وينزع منك قلب الحجر ويعطيك قلبًا جديدًا {حز٣٦: ٢٦}. مبارك هو الرب في كل أعماله محبته، وفي سعيه لخلاص الكل.

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٢١١ ـ ٢١٨

الباب الرابع

علامات التوبة

ثمار تليق بالتوبة	١ـ الاعتراف بالخطأ	٢ـ الخجل والخزي
٣ـ الندم والألم والدموع	٤ـ الانسحاق والاتضاع	٥ـ إصلاح نتائج الخطأ
٦ـ الإشفاق على المخطئين	٧ـ مشاعر أخري تصاحب التوبة	٨ـ الحرارة الروحية

ثمار تليق بالتوبة

📖 {١} الاعتراف بالخطأ:

والاعتراف بالخطأ، يشمل أربع نقاط هامة وهي:

📖 **{أ}** الاعتراف بالخطأ على الله في الصلاة.

📖 **{ب}** الاعتراف على الأب الكاهن.

📖 **{ج}** الاعتراف على مَنْ أذنبت إليه.

📖 **{د}** اعترافك بينك وبين نفسك أنك أخطأت.

{أ} الاعتراف بالخطأ على الله في الصلاة

📖 ذلك لأن الخطية موجهة أصلًا إلى الله، كما اعترف داود النبي في المزمور الخمسين قائلًا للرب "لك وحدك أخطأت" {مز٥٠}. ومثل اعتراف دانيال النبي "أخطأنا وأثمنا، وعملنا الشر قدامك، وتمردنا وحدنا عن وصاياك" {دا٩: ٥}. ومثل اعتراف نحميا قائلًا "أنا وبيتي قد أخطأنا. لقد أفسدنا أمامك، ولم نحفظ الوصايا والفرائض والأحكام التي أمرت بها موسى عبدك" {نح١: ٦، ٧}. وهكذا أيضاً اعترف عزرا الكاتب {عز٩: ٦}.

📖 أنت أخطأت إلى الله. إلى قلبه الحنون، وإلى عظمته:

📖 أخطأت إلى القلب المحب العطوف، الذي تولاك بالعناية، والرعاية، والحب، والستر، فبعدت عن محبته، ودنست هيكله المقدس الذي هو أنت. وأحببت العالم أكثر منه. وتهاونت بعظمته وكسرت وصاياه. ولهذا قال ناثان لداود "لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر في عينيه" {٢صم١٢: ٩}.

📖 عجيب: يخجلون من أب الاعتراف، ولا يخجلون من الله!

🕮 وبنفس الوضع يخجل الإنسان من أن يرتكب خطية أمام الناس، ولا يخجل من ارتكابها أمام الله! وقد خجل داود من عدم خجله في ارتكابه الخطية أمام الله، لذلك قال له "لك وحدك أخطأت. والشر قدامك صنعت" {مز ٥٠}. وهكذا قال دانيال "عملنا الشر قدامك". ومع ذلك أحالنا الله إلى مَنْ نخجل منه.

{ب} الاعتراف على الأب الكاهن

🕮 باعتباره وكيلاً لله، أو خادمًا له، وليس بصفته الشخصية:

🕮 فالذي يعترف عليه إنما يعترف على الله في سمع الكاهن. ويذكرنا هذا بقول يشوع بن نون لعخان بن كرمي "اعترف لله وأخبرني ماذا فعلت. لا تخف عنى" {يش ٧: ٩}.

🕮 **والاعتراف على الكاهن معروف في العهدين القديم والجديد:**

🕮 كل الذين تقدموا إلى معمودية التوبة من يوحنا المعمدان الكاهن "اعتمدوا منه في الأردن، معترفين بخطاياهم" {متى ٣: ٦}.

🕮 والخاطئ في العهد القديم، كان حسب الشريعة "يقر بما قد أخطأ به، ويأتي إلى الرب بذبيحة لإثمه" {لا ٥: ٥، ٦}.

🕮 وفي العهد الجديد "كان كثير من الذين آمنوا، يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم" {أع ١٩: ١٨}.

🕮 **ويعترف المخطئ على الكاهن، لينال الحل والسماح بالتناول:**

🕮 والخجل أمام الأب الكاهن في الاعتراف، مفيد يساعد على عدم معاودة الخطية. لأن الخوف من خجل الاعتراف يجعله لا يرتكب الخطية مرة أخري. إلى أن يرتقي روحيًا فيتعود الخجل من الله الذي يراه، ويسمعه أثناء خطيئته. كما أن التناول مع خجل الاعتراف، يذكرنا بأكل خروف الفصح

على أعشاب مرة {خر١٢: ٨}.

📖 **ويجب امتزاج الاعتراف بالتوبة، وقد سمى سر التوبة:**

📖 إنه ليس تصفيه لحساب قديم، للبدء في فتح حساب جديد! إنما هو توبة، والاعتراف إحدى علاماتها.

📖 والاعتراف هو أن يكشف الإنسان ذاته، ويدين ذاته. لذلك يحتاج إلى اتضاع وانسحاق، وخشوع أيضاً. ولهذا لا يجوز أن يكون مجرد حكايات يحكيها المعترف للأب الكاهن.

📖 كما لا يجوز فيه أن يبرر المعترف ذاته، أو يدافع عن نفسه، أو يلصق مسئولية أخطائه بالآخرين، أو يحول الاعتراف إلى شكوى! ففي كل هذا يكون الاعتراف قد خرج عن معناه كعلامة للتوبة، وجزء من عناصرها. تحدثنا عن الاعتراف على الله والأب الكاهن. ننتقل إلى النوع الثالث.

{ج} الاعتراف على مَنْ أذنبت إليه

📖 وذلك لكي ترضى قلبه من جهتك وتصالحه، عملًا بقول الرب "أترك قربانك قدام المذبح، واذهب أولًا اصطلح مع أخيك" {متى٥: ٢٤}. وهكذا تقول له "أخطأت إليك في كذا وكذا، فاغفر لي". وهو يغفر لك عملًا بقول الكتاب "إن أخطأ إليك سبع مرات في اليوم، ورجع إليك سبع مرات في اليوم قائلًا: أنا تائب، فاغفر له" {لو١٧: ٤}. يبقى النوع الرابع من الاعتراف، وهو: اعترافك بينك وبين نفسك أنك أخطأت.

{د} اعترافك بينك وبين نفسك أنك أخطأت

📖 وهذا هو المصدر لكل الاعترافات الثلاثة التي ذكرناها، ويسبقها في الزمن. لأنه إن لم تعترف داخل نفسك أنك أخطأت، فعلى أي

شيء إذن ستعترف على الله، أو على الأب الكاهن؟!

📖 وكيف تعترف على من أذنبت إليه، إن كنت لا تشعر أنك أذنبت في شيء.. إذن لابد أن تحاسب نفسك، وتشعر في أعماقك باقتناع كامل أنك أخطأت. لأنه بدون هذا لا تكون توبة، ولا يكون اعتراف.

📖 وقد قال القديس مكاريوس الكبير: "أحكم يا أخي على نفسك، قبل أن يحكموا عليك". وقال أب رهبان جبل نتريا للقديس البابا ثاؤفيلس "صدقني يا أبى لا يوجد أعظم من أن يرجع الإنسان بالملامة على نفسه في كل شيء".

📖 إذن لابد أن تدين نفسك أولًا داخل قلبك. وهذا سيدفعك أن تدين نفسك أمام الله، وأن تدين نفسك أمام الأب الكاهن. والذي لا يدين نفسه، لا يمكنه أن يتوب.



📖 العشار أدان نفسه. حكم على نفسه أنه خاطئ. لذلك أمكنه أن يقف في الهيكل بخشوع يقدم توبة، ويطلب مغفرة، ويخرج مبررًا {لو١٨: ١٣}. أما الفريسي الذي لم يكن يدين نفسه في شيء، فلم يجد في حياته خطأ يقدم عنه توبة، أو يطلب عنه مغفرة!!

📖 إن الذي يشعر أنه سليم تمامًا، هل من المعقول أن يسعى إلى الطبيب أو يطلب شفاء؟ هكذا من الناحية الروحية: لا يطلب التوبة إلا من يعترف بأخطائه.

📖 **لما كان داود لا يحس بخطيئته، لم يقدم توبة:**

📖 لقد أخطأ داود، ووسط دوامة الخطيئة، ما كان يفكر مطلقًا فيما قد فعله. لذلك لم يقدم ندمًا ولا توبة. واضطر الأمر أن يرسل الله له ناثان النبي، الذي كشف له ثقل خطيئته وبشاعتها. فاعترف داود أنه أخطأ {٢صم ١٢: ١٣}. ومن ذلك الوقت فقط بدأت قصة توبته.



📖 **وأيوب أيضاً ما كان يعرف أنه محارب بالبر الذاتي:**

📖 لذلك دخل في جدل طويل مع أصحابه الثلاثة، بل كثرت شكواه من الله نفسه، وقال له "في علمك أنني لست مذنبًا، ولا منقذ من يدك" {أي ١٠: ٧}. "لأنه يعرف طريقي. إذا جربني أخرج كالذهب" {أي ٢٣: ١٠}.

📖 وهكذا كان أيوب بارًا في عيني نفسه" {أي ٣٢: ١}. واحتاج الأمر أن يرسل له الله أليهو بن برخئيل البوزى ليكشف له نفسه، بل أن يكلمه الله ويشرح له. إلى أن وصل أيوب أخيراً إلى انسحاق النفس، وقال للرب "ها أنا حقير، فماذا أجاوبك. وضعت يدي على فمي" {أي ٤٠: ٤}. وقال أيضاً "قد نطقت بما لم أفهم. بعجائب فوقى لم أعرفها" {أي ٤٢: ٣}.

📖 **أكثر أمرين يمنعان الاعتراف والتوبة، الأعذار والبر الذاتي:**

📖 كأن يعتذر الإنسان بضعفه، أو بضعف الطبيعة البشرية عمومًا، أو بشدة الحروب الخارجية، أو بأنه ارتكب الخطية عن جهل أو نسيان، أو كان فيها ضحية لغيره. أو يلصق المسئولية بغيره: فيتهم الكنيسة بعدم رعايتها له، أو يتهم أب اعترافه بعدم الاهتمام، أو يعاتب الله نفسه لأنه لم يرسل معونة.

📖 أما التائب الحقيقي، فلا يتهم إلا نفسه، حاملًا عار خطيئته بنفسه. ويقف أمام الله كمذنب لا يبرر ذاته، كما حدث للص اليمين الذي اعترف قائلًا "نحن بعدل جوزينا، لأننا ننال استحقاق ما فعلنا" {لو ٢٣: ٤١}. إن الأعذار تحاول أن تغطى على الخطية، أو تخفف ثقلها.

📖 **أما البر الذاتي فهو أخطر، لأنه ينكر وجود الخطية:**

📖 إنه أخطر من الأعذار التي تعترف بوجود الخطية، وإنما تحاول أن تهرب من مسئولياتها، أو تقلل منها. أما البر الذاتي، فلا يرى أن شيئًا خاطئًا قد حدث منه. لذلك وبخ الرب الفريسيين "الواثقين بأنفسهم

إنهم أبرار" {لو ١٨: ٩}. وقال إنه "لم يأت ليدعو أبرارًا بل خطاة إلى التوبة" {متى ٩: ١٣}. حقًا هؤلاء الذين يرون ذواتهم أبرارًا، ونفوسهم جميلة في أعينهم. ربما ينطبق عليهم قول الكتاب "يوجد بار يبيد في بره" {جا ٧: ١٥}. هؤلاء بعيدون تمامًا عن التوبة.

وإن واجهتهم بأخطائهم، يجادلون كثيرًا، ولا يعترفون:

إن السماء لا تفرح بتسعة وتسعين {بارًا} من أمثلة هؤلاء، الذين يرون أنهم "لا يحتاجون إلى توبة" {لو ١٥: ٧}. بل تفرح بالخاطئ المنسحق في توبته، معترفًا بأخطائه.

الأخطاء التي يعترف بها، هي التي يتوب عنها ويطلب مغفرة. إننا نندم فقط على الخطايا التي نعرفها ونعترف بها. ونحتاج أيضاً أن نندم على الخطايا التي سوف نعرفها عن ماضينا، حينما يكشفها الله لنا فيما بعد، أو التي تتكشف لنا من خلال قراءاتنا الروحية وما نسمعه من العظات ومن أفواه المرشدين والآباء. فنبدأ أن نتوب عنها. وهكذا ننمو في توبتنا، وننمو في اعترافنا بأخطائنا.

مقاييسنا الروحية تصبح أكثر حساسية، وموازيننا تصبح أكثر دقه. فلا نعرف فقط أخطاءنا، إنما بالأكثر نشعر بثقل هذه الخطايا وبشاعتها. إن داود النبي لما عرف عمق خطيئته، صار له عُمق في التوبة، وعمق في انسحاق القلب وتذلله أمام الله. لذلك علينا أن نتعمق في الفهم الروحي لنعرف حالتنا تمامًا.

وجائز أن فضائلنا التي نفتخر بها الآن، نبكى بسببها فيما بعذر:

نبكى على ضآلتها، وتفاهتها، وضعف مستواها، كلما تتسع أمامنا الآفاق الروحية والرؤية الروحية. ونبكي أيضاً على افتخارنا بهذه الفضائل. المهم أن تكون لنا المعرفة الحقيقية، سواء بأخطائنا أو نقائصنا. وبالاعتراف يستحق الإنسان المغفرة.

وذلك حسب قول القديس يوحنا الرسول: "إن قلنا إنه ليس لنا

خطية، نضل أنفسنا وليس الحق فينا. إن اعترفنا بخطايانا، فهو آمين. وعادل حتى يغفر لنا خطايانا، ويطهرنا من كل إثم" {١يو ١: ٨، ٩}.

📖 **والاعتراف ليس هو مجرد كلمة: أخطأت:**

📖 لقد قال عخان بن كرمي هذه الكلمة بعد فوات الفرصة {يش ٧: ٢٠}. إذ ظل بعيدًا عن الاعتراف طول الوقت، إلى أن أشار الرب إليه بالاسم. فاضطر أن يعترف. ولم ينل سماحًا، بل رجمته كل الجماعة.

📖 ويهوذا الإسخريوطي قال: أخطأت {متى ٢٧: ٤}، ومات هالكًا.

📖 وفرعون -عن سياسة، وليس عن توبة قال: أخطأت {خر ٩: ٢٧}. وكررها مرة أخري فقال لموسى وهرون "أخطأت إلى الرب إلهكما وإليكما. والآن اصفحا عن خطيتي هذه المرة فقط" {خز ١٠: ١٦}. ومع ذلك هلك فرعون، لأن قلبه لم يكن تائبًا.

📖 **الاعتراف الذي نقصده، هو النابع من التوبة:**

📖 هو علامة من علامات التوبة، وعنصر من عناصرها. أما الاعتراف بغير توبة، فلا يفيد شيئًا. ما دمنا إذن في الجسد، ومادامت أمامنا فرصة للتوبة، قبل أن يغلق الباب، فلنفحص إذن ذواتنا، ولندرك خطايانا، ونعترف بها، مقدمين بذلك توبة.

📖 وهكذا تتغطى الخطية بدم المسيح، وننال عنها حلًا. كما ننال أيضاً حلًا عن طريق الإرشاد الروحي للسير في الطريق السليم. والاعتراف الممزوج بالتوبة، فيه ترك للخطية، وندم عليها.

📖 ومن علامات التوبة أيضاً: الخجل والخزي.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٢٢٠ - ٢٢٥

📖 {٢} الخجل والخزي:

📖 الخجل والخزي يصاحبان التوبة: متى شعر التائب ببشاعة الخطية. وكأنه يقول لنفسه: كيف أمكن أن أسقط إلى هذا المستوى؟ أين كان

عقلي؟ وأين كان ضميري؟ حين فعلت هذا. كيف ضعُفت هكذا؟ وكيف استسلمت؟ وكيف نسيت صورتي الإلهية، ووضعي الروحي؟!

🕮 إنه يخجل من خطيته، التي تقف أمامه كل حين {مز ٥٠}. تُطارده صور الخطية كأنها سياط من نار تُلهب ضميره، فيشعر بخجل من نفسه. وقد يخفي وجهه، ويضع يديه على عينيه، كأنه لا يريد أن يرى. هو أمام نفسه إنسان قد ضُبِط في ذات الفعل. ولا يستطيع أن يرفع وجهه إلى الله من شدة خجله.

🕮 مثل العشار الذي قيل عنه إنه "وقف من بعيد، لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء" {لو ١٨: ١٣}. بل قرع صدره معترفا بخطيته طالِبًا الرحمة. ومثال الابن الضال، الذي من فرط خجله قال لأبيه "لست مستحقا أن أدعى لك ابنا" {لو ١٥: ١٩}.

🕮 وكلما يتذكر خطيته، يقول مع المرتل في المزمور: "اليوم كله خجلي أمامي، وخزي وجهي قد غطّاني" {مز ٤٤: ١٥}.

🕮 وكأنه يقول مع دانيال النبي "لك يا سيد البر. أما لنا فخزي الوجوه" {دا ٩: ٧}. إنه يخجل من عار الخطية ومن فضيحتها. ويخجل من دنس الخطية، ومن نجاستها. ويخجل من هزيمته أما الخطية، كما لو كان جنديا سَلَّمَ سلاحه للعدو وأُخذ أسيرا.

🕮 ويخجل من محبة الله له، ومن قدسية الله:

🕮 يخجل كلما قارن معاملته لله، بمعاملة الله له. وكيف أنه قابل محبة الله بالجحود والنكران، بل وبالخيانة أيضاً. وكيف أن الله كان يراه في سقطاته، الله الكلي القداسة والكمال. ويخجل من طول أناة الله عليه، وكيف صبر عليه حتى تاب.

🕮 ويخجل من أرواح القديسين والملائكة:

🕮 الذين كانوا يرونه في سقطته ويتعجبون، ويُصَلّون من أجله لكي يقوم. بل يخجل أيضاً من أرواح أقربائه وأصدقائه الذين انتقلوا،

وكيف إنهم لابد تعجبوا إذ رأوا أن حالته هكذا! كيف يواجههم فيما بعد.

📖 **بل يخجل من أعدائه الذين يشمتون به إن عرفوا سقطاته:**

📖 هو يخجل من كل هؤلاء، بل يخجل أيضاً من الكنيسة وقدسيتها، ويخجل من الهيكل، والمذبح، ومن التقدم للتناول. ويخجل من صلواته التي فيها عبارات عن محبة الله، والالتصاق به، وهو الذي فصل نفسه عن هذه المحبة.

📖 **ويخجل من وعوده التي وعد بها الله قبلًا:**

📖 وكيف أنه حَنَثَ بكل عهوده، حتى تلك التي كلَّم الله فيها بجدية كبيرة، وربما كان ذلك أمام المذبح، أو وهو واضع يده على الإنجيل، أو في مناسبات روحية.

📖 **ويخجل أيضاً في اعترافاته، كلما يذكر بشاعة خطاياه:**

📖 نفسه تصغر في عينيه. ويشعر باحتقار لهذه النفس في حالة سقوطها وضعفها، وكأنه يريد أن يتبرأ من ماضيه كله. ويخزى من نسبة هذا الماضي إليه.

📖 **ومع هذا كله، فالخزي من الخطية علامة صحية:**

📖 إنها تدل على أن الإنسان رافض لها ومُشمئز منها. وهذه علامة على نقاوة القلب، وتختلف عن حالة السقوط التي كان فيها قابلًا للخطية، أو راضيًا عنها، أو ملتذًا بها. وإن بقى معه هذا الخزي من الخطية، فإنه يساعده على عدم السقوط في المستقبل.

📖 **وهناك أنواع من الناس تحاول الهروب من الخزي والخجل:**

📖 وذلك بأعمال خاطئة تدفعهم إلى التمادي في الخطية. إذ قد

يستغل الشيطان خجلهم من خطاياهم السابقة، ويدفعهم إلى تغيير الوسط الديني الذي يعيشون فيه، والذي يخجلون من مقارنة سقطاتهم بنقاوته، أو يدعوهم إلى تغيير أب الاعتراف، إذ يخجلون من سرد خطاياهم أمامه، أو إلى ترك الاعتراف كله، أو ترك الكنيسة وحياة التدين. أو إنهم يهربون من خجلهم، بالاستغراق في حياة الترفيه، واللهو، والضحك. وكل هذه تصرفات يائسة ضد حياة التوبة:

📖 لذلك نحن نطوّب التائبين الذين يشعرون بالخزي من خطاياهم. ويرافق هذا الخزي أيضاً الندم والدموع ووخز الضمير.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٢٢٦ - ٢٢٨

📖 {٣} الندم والألم والدموع:

📖 الألم بسبب الخطية، علامة من علامات التوبة الحقيقية، وعنه قال داود النبي في المزمور السادس: "لأن عظامي قد اضطربت، ونفسي قد انزعجت جدًا" {مز ٦}. حقًّا إن السيد المسيح قد تألم عن خطايانا، ولكن يجب أن ندخل معه في "شركة آلامه" {في ٣: ١٠}.

📖 وألم التائب بسبب الخطية، يتوازن مع لذته السابقة بها:

📖 هذه اللذة التي حصل عليها قبلًا، يردها في التوبة أربعة أضعاف، بتحمل آلام وخز الضمير وتبكيته. بل إن عبارة "البكاء وصرير الأسنان" يقاسيها حرفيًا في توبته بمقياس ما، في جحيم يجوزه هنا على الأرض، كالمحرقة التي تجتاز النار إرضاء لقلب الله {لا ١}.

📖 وقد يُبَكِّتْ نفسه تبكيتا شديدا، ويؤدبها ويعاقبها بعنف. بل قد يطلب من أب الاعتراف عقوبات روحية، لعل ضميره يستريح ولو قليلا. فبالعقوبات يعلن احتجاجه على خطاياه.

📖 الذي يتوب حاملا عاره، يقبل نوعين من العقوبة:

📖 النوع الأول: هو العقوبات التي يفرضها على نفسه، سواء بالتوبيخ

المر، أو بحرمان من أشياء تحبها نفسه، لتزهد هذا العالم الذي أحبته قبلًا.

📖 والنوع الثاني: هو كل عقوبات تأتيه من الخارج، سواء من الله، أو من الناس. فيقبل كل تلك العقوبات برضى، وبغير تذمر، ولا شكوى، وهو مقتنع بها، وشاعر أنها أقل مما يستحق.

📖 حتى العقوبات التي تصيبه ظلما، يقبلها أيضاً برضى. مثلما حدث للقديس مار إفرام السرياني الذي سُجِنَ مرة ظُلما، فقَبِلَ هذا وقال إنه يستحقه عن خطية قديمة لا علاقة لها بهذا الموضوع. ومثلما قَبِلَ داود النبي تعيير وشتائم شمعي بن جيرا {٢ صم ١٦: ٥-١٠}. ومثلما قَبِلَ القديس موسى الأسود طرده يوم سيامته قسا وقال لنفسه "حسنا فعلوا بك يا أسود اللون، يا رمادي الجلد".

📖 الذين لا يحتملون الأدب والعقوبة، هم بعيدون عن التوبة:

📖 لأن التائب الحقيقي يشعر باستحقاقه لكل ما يأتي عليه. ولا يرفض مطلقا ما تجلبه الخطية من مرارة، بل يقبلها بشكر، حامِلًا عاره. والألم، نتيجة واضحة للخطية، كما حدث لآدم وحواء {تك ٣: ١٦، ١٧}. لا يجوز الهروب منها.

📖 وكلما استمرت العقوبة فترة أطول، يتنقى القلب بالأكثر:

📖 مثل الغسيل الذي يستمر في الغَلْي فترة طويلة، يُصبح أكثر نظافة. ومثل الذهب الذي يبقى في النار فترة مناسبة، يتنقى من الشوائب. وعلى عكس هذا فإن الذي ينال المغفرة بسهولة، هاربًا مما تجلبه الخطية من ألم. هذا ما أسهل أن يرجع إلى الخطية مرة أخري، إذ لا يشعر ببشاعة نتائج الخطية!

📖 لا تَقُلْ: الرب حمل عني كل الآلام، وأنا أستريح!

📖 لا تنظر إلى آلام المسيح بهذه اللامبالاة، مُفكرا في ذاتك وحدك. وتذكر أن الذين تناولوا الفصح، إنما أكلوه على أعشاب مُرّة {خر ١٢:

٨}. فما مركز الأعشاب المُرّة في حياتك؟ وما مدى دخولك في شركة آلام المسيح؟

🕮 إن رأيت المسيح يحمل الصليب فداء لخطاياك، اجر وراءه وقُل له: "أعطني أن أحمله معك كالقيرواني" {لو ٢٣: ٢٦}. أو قُل لـه فـي ألـم: "أنا يـا رب صليبك، حملتنـي هـذا الزمـان الطويـل كلـه. أنـا يـا رب الأشواك التي وضعوها حول رأسك. أنا المسامير التي ثقبوا بها يديك وقـدميك. ليتنـي أُصلَب معـك مثـل اللـص اليمـين. أو ليتنـي أقـول مع بولس الرسول "مع المسيح صُلِبت" {غل ٢: ٢٠}.

🕮 ولا تدع آلام المسيح عنك تدعوك إلى الاستهتار، وأنـت تنظـر إلـى خطاياك بغير ألم. وإن كان يجـب علينـا أن نخـرج مـع الـرب خـارج المحلة حاملين عاره {عب ١٣: ١٣}، فعلى الأقل: لنحمـل عـار أنفسـنا، في مذلة، وفي دموع.

الدموع

🕮 للدموع أنواع كثيرة. ولكننا هنا نـتكلم عـن نـوع واحـد منهـا، وهـي دموع التوبة، التي يبكي بها الإنسان على خطاياه. لا تظنوا أن البكـاء على الخطايا، هي درجة للمبتدئين. فكثير مـن القديسـين الكبـار كـانوا يبكون على خطاياهم. بل كان هذا هـو مـنهج روحـي معـروف لآبـاء البرية. ولعل أبرز الأمثلة للبكاء على الخطية، داود النبي:

🕮 هـذا الـذي قـال: "فــي كـل ليلـة أعـوم سـريري، وبـدموعي أبِّـل فراشي" {مز ٦: ٦}. كم كانت كمية بكاء هذا النبي التائـب، الـذي كـان يعوم سريره بدموعه؟ فهل كان يبكي على خطايـاه، حينمـا يعـود إلـى بيته فقط في نهاية كل يوم عند المساء؟

🕮 كلا، فهو يقول: "صارت دموعي لـي خبـزا نهـارا ولـيلا" {مز ٤٢: ٣}. حتى أثناء أكله وشربه، يقول "أكلت الرماد مثل الخبز، ومزجـت شـرابي بالـدموع" {مز ١٠٢: ٩}. أي أنـه فيمـا هـو يشـرب، تتسـاقط دموعه في كوب شرابه، فيَمْزِج شرابه بالدموع.

📖 وكانت دموعه غزيرة، على الرغم من العظمة المحيطة به. إذ كان مَلِكًا، وقائدا للجيش، وقاضيا للشعب، ورب أسرة كبيرة. ومع ذلك، فهو لا يهتم بكل هذه العظمة، وهذا الترف، حتى يقول للرب "أنصِت إلى دموعي" {مز ٣٩: ١٢}. ويقول له "اجعل دموعي في زق عندك" {مز ٥٦: ٨}.

📖 **ولعل إنسان يسأل: لماذا أبكي وخطيتي قد غفرت؟**

📖 فنقول له: إن داود بكى على خطيته بعد أن غُفرت، وليس قبل ذلك. فقبل المغفرة ما كان يحس بخطورة سقطته وبشاعتها، إلى أن نبهه ناثان النبي إلى ذلك، فاعترف بخطيته، وغفر له الله على لسان ناثان النبي الذي قال له "الرب قد نقل عنك خطيئتك. لا تموت" {٢ صم ١٢: ١٣}. وبعد ذلك بكى داود كل ذلك البكاء. فلماذا بكى؟ هل كان ذلك خوفا من عقوبة، أو طلبا لمغفرة؟ كلا.

📖 إن العبد يبكي خوفًا من العقوبة. أما الابن فيبكي من حساسية قلبه تجاه أبيه. فمن مِنّا بكى مثل بكاء داود؟ من مِنّا عَوّم سريره بدموعه ليلة واحدة، وليس في كل ليلة مثله؟ لقد ظل داود يبكي على خطيته طول حياته. ولم يسترح من بكائه إلا عند موته. فحينما اقترب من الموت قال: "ارجعي يا نفسي إلى موضع راحتك، فإن الرب قد أحسن إلى. وأنقذ نفسي من الموت، وعينيّ من الدموع" {مز ١١٤}.

📖 أنقذه من الموت الأبدي بقبول توبته. وأنقذ عينيه من الدموع، لأنه نقله إلى "الموضع الذي هرب منه الحزن والكآبة والتنهد". وأنقذه الرب من الدموع هناك، لأنه بكى ههنا بما يكفي.

📖 **يذكرنا هذا بقصة القديس أرسانيوس الذي بكى كثيرًا:**

📖 بكى وهو في حالة القداسة، وهو عمود في البرية. بكى حتى تساقطت رموش عينيه من كثرة البكاء. وكان في الصيف يبلل خوصه بالدموع. وكان يضع منشفة على حِجْرَهُ وهو جالس يستقبل

فيها الدموع. وساعة موته بكي كثيرا. فقال له تلاميذه "حتى أنت يا أبانا تخاف من هذه الساعة"؟! فقال لهم: "إن خوف هذه الساعة ملازم لي منذ دخلت إلى الرهبنة".

📖 فإن كان هذا القديس يبكي، على الرغم من فضائله الكثيرة، وعلى الرغم من تواضعه، ومن حكمته، وصمته، وسهره طول الليل في الصلاة، وعلى الرغم من أن البابا كان يطلب زيارته ملتمسا منه كلمة منفعة. فماذا نقول نحن عن أنفسنا؟!

📖 لذلك حينما سمع القديس الأنبا بيمن عن نياحة القديس أرسانيوس قال: "طوباك يا أبانا أرسانيوس لأنك بكيت على نفسك في هذا العالم". وتابع عبارته قائلًا: "لأن الذي لا يبكي على نفسه في هذا العالم، لابد سيبكي إلى الأبد في العالم الآخر. أما بُكاؤه ههنا فباختياره. ولكن هناك بسبب العذابات التي سينالها. ومن المستحيل على إنسان أن يفلت من البكاء هنا وهناك".

📖 **وكان هذا البكاء هو نصيحة القديس مكاريوس قبل وفاته:**

📖 قال القديس بِلاديوس: سمعت أن الشيوخ الذين في نتريا، أرسلوا إلى أبا مكاريوس الكبير الذي كان يسكن في الإسقيط، وتوسلوا إليه قائلين: "نرجوك يا أبانا أن تأتي إلينا حتى نراك قبل أن ترحل إلى الرب، لكيما لا ينتقل كل الناس إليك".

📖 ولما ذهب إليهم تجمعوا كلهم معا إليه. وطلب إليه الشيوخ متوسلين أن يقول للأخوة كلمة منفعة. فبكى الرجل القديس وقال لهم: "فلنَبْكِ يا إخوتي، ولتَفِضْ عيوننا بالدموع، قبل أن نذهب إلى المكان الذي تَحْرِقْ فيه دموعنا أجسادنا". فبكوا كلهم، وسقطوا على وجوههم قائلين: "صَلِّ عنا أيها الأب".

📖 ماذا فعل القديسون من خطايا، حتى بكوا هكذا؟! وحتى كانت النصيحة المألوفة التي يقولها كل شيخ لمن يأتي طالِبًا إرشاده: "اجلس في قلايتك، وابكِ على خطاياك". إن كان هذا هو منهج

القديسين، فكم بالأولى نفعل نحن، ولنا خطايا لا تحصى.

📖 انظروا أيضاً إلى بكاء رجل شيخ مثل بطرس الرسول، هذا الذي لما أحس بنكرانه للرب: "خرج وبكى بكاء مُرًا" {متى ٢٦: ٧٥}. إن بكاء الشيوخ أكثر تأثيرا في النفس من بكاء الصغار والأحداث.

📖 **ومن الذين اشتهروا بالبكاء أيضاً، القديس ايسيذورس:**

📖 إنه قس القلالي العظيم، الذي كان تحت إرشاده الروحي حوالي ثلاثة آلاف راهبا. وكان هو أب اعتراف القديس موسى الأسود.

📖 وكان رجل رؤى وعجائب، وكان الشياطين يخافونه ويهابونه جدا ويهربون منه. ومع ذلك كان هذا القديس يبكي بدموع غزيرة، ويَجْهَشْ بالبكاء بصوت عالٍ. لدرجة أن تلميذه الذي يسكن إلى جواره سمعه مَرَة يبكي، فدخل إليه وسأله: "لماذا تبكي يا أبي؟" فأجابه: "أنا يا ابني أبكي على خطاياي".

📖 فقال التلميذ: "حتى أنت يا أبانا، لك خطايا تبكي عليها؟!"

📖 فأجابه القديس: "صدقني يا ابني، لو أن الله كشف لي كل خطاياي، ما كان يكفي ثلاثة أو أربعة يبكون معي عليها!"

📖 إنها حساسية في القلب المرهف، والضمير الدقيق. يبكي لأنه اغضب الله المُحِب، ولأنه نزل عن المستوى الروحي اللائق به كصورة الله، ولأنه سقط وما كان ينبغي أن يسقط. ويبكي خجلا من حاله. ومهما غُفِرَت الخطية، هذا لا يمنع أنها حدثت..

📖 لقد غفر الله نكران بطرس، ولكن التاريخ لا يزال يتحدث عن ذلك النكران. وغفر الله لراحاب، ومع ذلك فالكتاب المقدس يتحدث عنها بلقب "راحاب الزانية" {عب ١١: ٣١}.

الدموع

الكنيسة تعلمنا أن نبكي كل يوم

📖 فكل مِنّا يقف ليصلي في الهجعة الثانية من صلاة نصف الليل في كل يوم ليقول: "أعطني يا رب ينابيع دموع كثيرة، كما أعطيت منذ القديم للمرأة الخاطئة" وتعطينا الكنيسة فصل الإنجيل الخاص بهذه المرأة التي بلّت قدمي المسيح بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها {لو ٧: ٣٦-٥٠}، لكي نقرأه، ونتخذ هذه المرأة مثالا لنا في البكاء على الخطية "لكي نقتني لنا عمرا نقيا بالتوبة".

📖 فإن صليت هذه الصلاة في نصف الليل، قل: "أعطني يا رب ينابيع دموع كثيرة، لأبكي على كذا وكذا"، واذكر أمام الله كل خطاياك، وضعفاتك، ونقائصك، وسقوطك. وليتك تذكرها بدموع قدامه.

📖 **تقول: ولماذا أذكرها، وقد غفرها المسيح؟**

📖 هنا، ويناسبنا جدا أن نتذكر قول القديس العظيم الأنبا أنطونيوس: "إن ذكرنا خطايانا، ينساها لنا الله، وإن نسينا خطايانا، يذكرها لنا الله." نعم اذكر خطاياك لكي تعرف ضعفك، فتحترس وتدقق في حياتك. واذكرها لكي تعرف كم غفر الله لك، وكم حمل عنك على الصليب، فتحبه. وتكون دموعك علامة حب، كما كانت دموع المرأة الخاطئة.

📖 **القلب الرقيق هو الذي يبكي. أما القلب القاسي فلا يبكي:**

📖 فليكن قلبك رقيقا في توبتك. وليكن بُكاؤك نوعا من الاعتذار تقدمه للرب الذي أخطأت إليه، وليكن بُكاؤك دليلًا على خجلك مما فعلت. وثِق أن الذي يبكي على خطاياه، لا يرجع إليها بسهولة مرة أخري. لأنه ذاق مقدار الألم الذي تجلبه الخطية للقلب وللضمير.

📖 **والله يدعونا إلى بكاء التوبة هذا:**

📖 فيقول في سفر يوئيل النبي: "ارجعوا إلىّ بكل قلوبكم، وبالصوم، والبكاء، والنوح. ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم، وارجعوا إلى

الرب إلهكم" {يوء ٢: ١٢، ١٣}.

🕮 ويقول في سفر ملاخي النبي: "مغطين مذبح الرب بالدموع بالبكاء والصراخ" {ملا ٢: ١٣}. كما يقول أيضاً: "طوباكم أيها الباكون الآن" {لو ٦: ٢١}،

🕮 "طوبى للحزانى، لأنهم يتعزون" {متى ٥: ٤}.

🕮 ابكِ إذن على خطيتك. وحينئذ سيُعزيك قول المزمور: "الرب سمع صوت بُكائي. الرب لصلاتي سمع" {مز ٦}. قال داود هذا بعد قوله "بدموعي أبّل فراشي". إن الدموع علامة للتوبة، ولها استجابة عند الرب. لها صوت يسمعه الرب، فيحن قلبه. وما أجمل قول المرتل: "الذين يزرعون بالدموع، يحصدون بالابتهاج" {مز ١٢٦: ٥}. هذا الابتهاج هو التعزية التي يحصدها الإنسان من دموعه.

🕮 ولكن احذر من أن تكون دموعك مُصطنعة، أو أن تكون سببا للبِر الذاتي، بدلا من أن تكون دموعك سببًا لانسحاق القلب، أو نتيجة له، أو علامة على التوبة. وعلى رأى أحد القديسين: "إذا أتتك الدموع، فتذكر السبب الذي من أجله جاءت". أي تذكر خطيتك التي سببت لك الدموع. حينئذ لا ترتفع بدموعك بل تنسحق.

🕮 ولكن ربما يقول أحدهم: "ومن أين لي الدموع؟ وهل إذا لم أبكِ لا أكون تائبًا، أو لا يقبل الله توبتي" كلا، يقبلك الله. ولكن ابحث لماذا هربت منك الدموع.

🕮 **إن للدموع أسبابا تجلبها، وأسبابا تمنعها:**

🕮 ولعل السبب الأول هو نوعية القلب. فالقلب الرقيق بطبعه، يكون سهل التأثر، وسهل البكاء، مثل قلب إرمياء النبي ومثل قلب داود.

🕮 وهناك قلوب أخري ليس من السهل أن تبكي. وإن بكت، فلابد أن يكون هناك سبب دفعها إلى البكاء كان أقوى من مقاومة طبعها. ويكون تأثرها أكثر.



📖 **رقة القلب إذن تجلب الدموع. وتمنعها القسوة والعنف:**

📖 إذن اسع إلى هذه الرقة في حياتك، وابعد عن العنف. واعرف أن القسوة لا تتفق مُطلقًا مع حياة التوبة. فالتائب إنسان يترجى مراحم الله. والكتاب يقول: "طوبى للرحماء فإنهم يرحمون" {متى ٥: ٧}. فعليه إذن أن يكون رحيمًا، لكي يعامله الله بنفس الرحمة. لأنه يقول: "بالكيل الذي به تكيلون، يكال لكم" {متى ٧: ٢}.

📖 **وإدانة الآخرين أيضاً تمنع الدموع:**

📖 لأن الذي يدين غيره، لا يكون منشغلا بخطاياه، وإنما بخطايا الآخرين. ويكون ناسيًا ضعفاته وسقطاته، ومُركِّزا على ضعفات غيره، فكيف يبكي مثل هذا؟ وعلى من؟

📖 ويزداد مثل هذا بُعدا عن الدموع، إن كانت إدانته لغيره فيها قسوة، أو عنف، أو تَجّنِ، أو كان شديدًا في توبيخ غيره على أخطائه.

📖 **ومن الأسباب التي تمنع الدموع: الغضب:**

📖 فالمفروض أن يغضب الإنسان التائب على نفسه وليس على غيره. فإن غضب على غيره، تتركز كل عواطفه وأفكاره في أخطاء غيره. وحينئذ تُفَارِقَهُ الدموع، حتى إن كانت له من قَبْل. وفي الغضب أيضاً قسوة وعنف.

📖 **ومن الأشياء التي تمنع الدموع أيضاً: المتعة واللذّة:**

📖 فالذي يحيا في رفاهية ومتعة، في ملاذ العالم المتنوعة، من الصعب أن تأتيه الدموع. وعموما أمثال هذه الأمور لا تتفق مع حياة التوبة، التي يُضَيِّقْ فيها الإنسان على نفسه، ويُعاقب ذاته، ويحرمها من كثير من المُتع، ويَفرض عليها أصوامًا.

📖 ولهذا كانت التوبة عند كثيرين مصحوبة بالصوم، والمسوح، والتذلل، وأشباهها، كما في الصوم أيام يوئيل، وكما في صوم نينوى.

وهذه تتفق مع التوبة ومع الدموع.

📖 **وطبعا مما يُبْعِدْ عن الدموع: الضحك والفرح:**

📖 حقًا إنَّ لكل شيء تحت السموات وقت "لِلْبُكَاءِ وَقْتٌ وَلِلضِّحْكِ وَقْتٌ" {جا ٣:٤}. ولكن الضحك والمزاح ليس هو زمان التوبة، ولا وقتها. وحياة اللهو، والتهكم، والفرح، ومباهج الدنيا المختلفة. كل هذه لا تتفق مع الدموع، بل تعوقها، لأنَّ الذي يبكي على خطاياه، هو إنسان يعصره الحزن على سقطاته.

📖 **ومن الأشياء التي تجلب الدموع، الشعور بغربة العالم:**

📖 شعور الإنسان إنَّه غريب على الأرض، لا يصح أنْ يضع آماله فيها. بل على العكس عليه أنْ يزهد العالم وكل ما فيه، ويستعد لأبديته. كل ذلك يساعد على الدموع.

📖 وهكذا تذكار الموت والدينونة والعالم الآخر. كل ذلك يجلب الدموع. ولذلك وضعت لنا الكنيسة أنْ نتذكر الموت في صلاة النوم، ونتذكر مجيء المسيح الثاني في صلاة نصف الليل، ونتذكر في كليهما وفي صلاة الستار أيضاً الدينونة العتيدة أنْ تكون. وهذا كل يوم. لأنَّ كل هذه التذكارات نافعة لنا، تساعدنا على التوبة والاستعداد، كما أنَّها تجلب الدموع.

📖 وهكذا كانت زيارة القبور تجلب الدموع أيضاً، إذ فيها يقول التائب مع داود النبي "عَرِّفْنِي يَا رَبُّ نِهَايَتِي، وَمِقْدَارَ أَيَّامِي، كَمْ هِيَ فَأَعْلَمَ كَيْفَ أَنَا زَائِلٌ" {مز ٣٩:٤}.

📖 **كذلك حياة الاتضاع والانسحاق تساعد على الدموع:**

📖 بينما الكبرياء، والعظمة، ومحبة المديح. كل هذه لا تتفق مع مشاعر التوبة، ولا تتفق مع الدموع. ولهذا يحسن أنْ ننتقل إلى هذه النقطة من علامات التوبة.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٢٢٨ - ٢٣٦

🕮 {٥} الانسحاق والاتضاع:

🕮 التائب الحقيقي يعيش بنفس منسحقة، يعصره الخجل والندم، ويشعر بمذلة الخطية. ويسلك بهذه المذلة داخل نفسه، وأمام الله. ويظهر ذلك في معاملاته للناس.

🕮 **وهو في انسحاقه يبكت ذاته باستمرار على ما اقترفته:**

🕮 يبكتها على أيام حياته التي ضاعت بلا ثمر، ويبكتها على ضعفها، وسقوطها، وخيانتها للرب. ويقول لها "كثيرون غيري سبقوني من زمان، ووصلوا إلى علاقات حب عميقة مع الله. وأنا ما زلت أجاهد لأتوب! فإلى متى هذا التواني والكسل"؟!

🕮 ينوح هذا التائب على ذاته التي سقطت، متذكرًا قول مار إسحق "التائب الذي لا ينوح في كل يوم بسبب خطاياه، فليعرف أنَّه أضاع ذلك اليوم، ولو صنع فيه كل خير".

🕮 **وتبكيته لذاته، يجعلها تتضع، مهما تغيرت حياتها في التوبة:**

🕮 ومهما فعلت في توبتها من حسنات، فإنَّها لا ترتفع، لأنَّ خطيتها أمامها في كل حين. والإنسان يُذكِّر نفسه بسقطاتها حتى لا ترتفع، وحتى لا تدفعها ثمار التوبة إلى أفكار المجد الباطل. وكما قال مار إسحق أيضاً "إذا حوربت بأفكار المجد الباطل فلا تقبلها. إنما ذكِّر مريم بزناها، وإسرائيل بانغلابه".

🕮 **وبلومك لنفسك، ومعرفتك لضعفك، تقتنى اتضاع الفكر:**

🕮 والتائب المتضع يرى أنَّه مستحق لكل حزن يصيبه. لذلك فإنَّه يقبل كل ما يأتي عليه في هدوء ورضى، وبغير تذمر، ولا تعب ولا شكوى، شاعرًا في أعماقه أنَّه يستحق أكثر من هذا بكثير.

🕮 بل يرتل مع داود قائلًا "خير لي يا رب أنَّك أذللتني، حتى أتعلم

حقوقك" {مز ١١٩}.

📖 **وكلما طالت فترة انسحاق التائب، تزداد توبته عمقًا:**

📖 لأنَّه يدرك مذلة الخطية، وبشاعتها، ونتائجها داخل نفسه. كما يدرك أيضاً ضعفه، فيتعوَّد في حياته الاحتراس والتدقيق. ومسكين هو الإنسان الذي في التوبة، يرى أنَّ حياته قد تغيرت، فيظن أنَّه لم يعد في حاجة إلى جهاد وإلى احتراس، ناسيًا ضعفه السابق!

📖 **خطورة على التائب، أنْ يترك الانسحاق بسرعة إلى الفرح:**

📖 فالخطية التي لم تأخذ في التوبة حظها من الانسحاق والمذلة، ما أسهل أنْ يعود الإنسان إليها، لأنَّ خطورتها وبشاعتها لم تنغرس طويلًا في أعماقه.

📖 إنَّ داود لم يسرع في توبته إلى الفرح، بل بقى منسحقًا تشهد مزاميره على انسحاقه. ومريم القبطية استمرت سنوات طويلة في انسحاق نفسها. ويعقوب المجاهد استمر حوالي ١٨ سنة يبكي على خطاياه. وفى حياة التوبة، ما أخطر الذين ينتقلون بسرعة من الخطية إلى الخدمة، أو إلى اشتهاء المواهب.

📖 وقد يقف إنسان حديث التوبة على منبر الكنيسة، ليحكي خبراته الروحية، فيقول في بساطة "حينما كنت خاطئًا " أو: "حينما كنت أعيش في الخطية". كما لو كان حاليًا لا علاقة له بالخطية، التي هي من أخبار الماضي وحده!

📖 وتسأل مثل هذا الإنسان "والآن، إلا تخطئ؟ "فيقول لك "الآن نشكر المسيح "يقصد أنَّه يشكره على البر الذي يعيش فيه. بل قد يتحدث بكل جرأة عن النور الذي يضئ في قلبه حاليًا، والحب الذي يملأ قلبه من نحو الله. ما أخطر عبارة "حينما كنت خاطئًا".

📖 إنَّها خالية من الاتضاع. بل تدل على عدم معرفة حقيقية للنفس. وهي لا تتفق مع توبة العشار، وصلاته في الهيكل، ولا مع

قول بولس الرسول "الخطاة الذين أولهم أنا". ولا تتفق مع كل قصص التوبة في سير القديسين.

📖 **أنت يا أخي كنت خاطئًا، وما زلت خاطئًا:**

📖 والفرق بين حالتك السابقة، وحالتك الآن: أنَّك كنت خاطئًا ومستمرًا في الخطية، وربما ما كنت تدرى بنفسك. أما الآن فأنت خاطئ، وتشعر أنَّك خاطئ، وتجاهد بنعمة الرب معك أنْ تتوب.

📖 والتوبة قد تستمر معك طول الحياة، إلى أنْ تصل إلى النقاوة.

📖 إنَّ الذي لا يشعر أنَّه خاطئ، إنَّما يرتكب بهذا خطية أكبر. لأنَّه لا يوجد أحد بلا خطية، ولو كانت حياته يومًا واحدًا. كلنا نخطئ، في كل يوم. وكلنا نقف في كل ساعة أمام الله كخطاة. وفى الصلاة الربية التي نصليها باستمرار، نقول "اغفر لنا خطايانا". ونردد هذا في باقي صلواتنا. حتى لو كنت صديقًا، هوذا الكتاب يقول "الصِّدِّيقَ يَسْقُطُ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَيَقُومُ" {أم ٢٤:١٦}. ربما أنت الآن تائب. ولكنك لست معصومًا. ولن تصل إلى نقاوة القلب إلا بانسحاق النفس.

📖 **والذي لا يقتنى الانسحاق، ليس هو تائبًا بالحقيقة:**

📖 إنَّه لا شك لا يعرف نفسه. وهو إنَّما يبنى على أساس خاطئ يقوده إلى العجرفة. ما أجمل تلك المديحة التي نقول فيها للرب "الخطية دي طبعي. وأنت طبعك الغفران".

📖 **اقرأ عن القديسين الذين تابوا، واحتفظوا بمسكنة قلوبهم:**

📖 بل احتفظوا أيضاً بمذلة نفوسهم. وإنْ جاءهم فكر إنَّهم تابوا، كانوا يرجعون الفضل إلى الله "الْمُقِيمِ الْمَسْكِينَ مِنَ التُّرَابِ الرَّافِعِ الْبَائِسَ مِنَ الْمَزْبَلَةِ" {مز ١١٣}. ويصرون على اعتبار أنفسهم خطاة طول أيام حياتهم. مثل القديس العظيم الأنبا شيشوي الذي شاهدوه في ساعة موته يطلب فرصة لكي يتوب. لذلك مهما نموت في النعمة، الأفضل

لك أنْ تقول: "أريد أنْ أبقى في مشاعر التوبة طول عمري".
📖 عش في انسحاق القلب، لأنَّه "قَرِيبٌ هُوَ الرَّبُّ مِن منسحقي القلب" {مز ٣٤}. وإنْ حاربك الشيطان أنْ تصعد إلى الدرجات العليا، وأنْ تجلس في السماويات، وأنْ تحصل على المواهب.. فقل: أنا لم أصل بعد إلى شيء من هذا. كل ما أعرفه عن نفسي أنَّني خاطئ يريد أنْ يتوب. وإنْ دخلت في الخدمة، لا تجعلها تنسيك خطيتك.
📖 ولا تجعل نجاحك في أي عمل روحي، ينسيك دموعك، وانسحاقك. بل على العكس وبخ نفسك وقل: "مَنْ أنا حتى أخدم. أنا لم أصل إلى روحيات الخادم، مهما كانت لي من معلومات. والمعلومات ليست هي التي تخلص النفس".

📖 **إنَّ بولس الرسول ظل منسحقًا حتى بعد الرسولية.**
📖 ظلت خطيته أمامه، حتى بعد الرؤى والاستعلانات والعجائب، وحتى بعد أنْ صعد إلى السماء الثالثة، وبعد أنْ تعب أكثر من جميع الرسل {١كو ١٥: ١٠}. ففي حديثه عن ظهور الرب لتلاميذه بعد القيامة، يقول "وَآخِرَ الْكُلِّ كَأَنَّهُ لِلسِّقْطِ ظَهَرَ لِي أَنَا. لأَنِّي أَصْغَرُ الرُّسُلِ أَنَا الَّذِي لَسْتُ أَهْلًا لأَنْ أُدْعَى رَسُولًا لأَنِّي اضْطَهَدْتُ كَنِيسَةَ اللهِ" {١كو ١٥: ٨، ٩}. ثم يقول في رسالته الأولى إلى تلميذه تيموثاوس "أنَا الَّذِي كُنْتُ قَبْلًا مُجَدِّفًا وَمُضْطَهِدًا وَمُفْتَرِيًا. وَلَكِنَّنِي رُحِمْتُ، لأَنِّي فَعَلْتُ بِجَهْلٍ فِي عَدَمِ إيمَانٍ" {١تى ١: ١٣}.
📖 ولعلنا نقول له: لست أنت أيها القديس العظيم بولس الرسول، إنَّه شاول الطرسوسي. أما أنت فشخص جديد في المسيح يسوع، كارزًا ومبشرًا ورسولًا وبانيًا للملكوت. ولكن هذا القديس يظل في انسحاقه ويقول "أَنَا الَّذِي لَسْتُ أَهْلًا لأَنْ أُدْعَى رَسُولًا".
📖 خطيته القديمة انتهت من جهة العقوبة، وليس من الذاكرة.
📖 ما زالت في ذاكرته، تمنحه الانسحاق، والشعور بعدم الاستحقاق. وعلى الرغم من السنوات الطويلة في الخدمة، يحيا فيها كمبتدئ،

كأصغر الرسل، كأول الخطاة.

📖 **عِش أنت أيضاً كمبتدئ، كل أيام حياتك.**

📖 وكأنَّك لا تزال طفلًا في حياة الروح. ويكفيك أنَّ "الرب يحفظ الأطفال" {مز ١١٥}. ولا تظن مطلقًا أنَّك وصلت إلى هدفك الروحي. فبولس الرسول العظيم يقول "لَيْسَ أَنِّي قَدْ نِلْتُ. وَلَكِنِّي أَسْعَى لَعَلِّي أُدْرِكُ.. لَسْتُ أَحْسِبُ نَفْسِي أَنِّي قَدْ أَدْرَكْتُ" {في ٣:١٢،١٣}. بل إنَّ القديس العظيم الأنبا أرسانيوس كان يصلي قائلًا "هبني يا رب أن أبدأ".. كأنَّه لم يبدأ بعد! الانسحاق علامة من علامات التوبة، ومن علاماتها أيضاً: إصلاح نتائج الخطأ.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٢٣٦ - ٢٤٠

📖 **{٥} إصلاح نتائج الخطأ:**

📖 لا يكفي مطلقًا أنْ تترك الخطية وتتوب عنها، وتعترف بها وتنال الحل. إنَّما يجب أنْ تصلح نتائج خطيتك على قدر ما تستطيع. وسنضرب لذلك بعض أمثلة:

📖 **لنفرض أنَّ إنسانًا سرق، هل يكفي أنْ يعترف بالسرقة؟**

📖 هل اعترافه يكفي للمغفرة، بينما لا يزال يوجد عنده مال حرام حصل عليه بالسرقة؟ كلا. بل على قدر طاقته يُعيد الشيء المسروق إلى أصحابه، إنْ كان بإمكانه أنْ يفعل هذا، ولو بطريقة غير مكشوفة. وإنْ كان قد ظلم أحدًا، يحاول معالجة هذا الظلم.

📖 وهوذا أمامنا مثل واضح لتعليمنا هو زكا رئيس العشارين. هذا لما تاب، قال للرب علانية "هَا أَنَا يَا رَبُّ أُعْطِي نِصْفَ أَمْوَالِي لِلْمَسَاكِينِ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ وَشَيْتُ بِأَحَدٍ أَرُدُّ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ" {لو ١٩:٨}. فإنْ كنت لا تستطيع أنْ تفعل مثل زكا وترد أربعة أضعاف، فعلى الأقل ردّ المسروق نفسه، أو ردّ الظلم وعالجه، بدون أضعاف.

📖 **إنَّك تشعر بجمال التوبة، إنْ كنت فيها ترد الحق لأصحابه.**

📖 ألعلك تشعر بخجل في ذلك، إذ تعترف عمليًا أنَّك ظلمت وسرقت. هذا خير لك، لأنَّ مثل هذا الخجل يكون كحصن لك يمنعك من ارتكاب هذه الخطية مرة أخري. كما أنَّك في داخلك، ستشعر بأنَّ توبتك مبنية على قيم لها احترامها، فيفرح قلبك ويتعزى.

📖 **كذلك إنْ كنت قد شهَّرت بأحد، وأسأت إلى سمعته.**

📖 أليس من حقه في توبتك أنْ تردّ إليه اعتباره، ما دمت قد ظلمته وأسأت إليه، وبخاصة مَنْ يشيع على أحد كلام كذب، تكون له نتائج سيئة في حياته. فماذا إنْ كان إصلاح نتائج الخطية غير ممكن؟

📖 إنْ كان بالحق غير ممكن، فعلى الأقل تنسحق نفسك لهذا السبب، أنَّك ارتكبت خطايا من الصعب علاجها! علامة أخري من علامات التوبة وهي:

📖 {٦} الإشفاق على المخطئين:

📖 قال مار إسحق: "الذي ينوح على نفسه، ليس يعرف سقطات غيره، ولا يلوم أحدًا على إساءة". إنْ تاب إنسان، ففي شعوره بالانسحاق وعدم الاستحقاق، لا يفكر مطلقًا في خطايا غيره، ولا يدين أحدًا، إذ هو نفسه واقع تحت الدينونة بسبب خطاياه. وكما قال السيد للذين أرادوا رجم المرأة الخاطئة "مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلاً بِحَجَرٍ" {يو ٨:٧}.

📖 حقًا إنَّ المشغول بإخراج الخشبة التي في عينه، لا يستطيع أنْ يدين القذى الذي في عين أخيه {متى ٧:٥}. وكلما يأتيه فكر إدانة لأحد، يقول لنفسه: "أنا سقطت في كذا وكذا. وهذا الإنسان أبرّ منى، لأنَّ خطاياي أكثر منه بكثير". إنَّ الانسحاق ينزع من قلب التائب كل قسوة، ويعطيه رحمة على كل أحد مهما أخطأ.

📖 وتذكره لخطاياه يجعله يشفق على المخطئين ولا يدينهم، بل يبكى

لأجلهم كما كان يفعل القديس يوحنا القصير في اتضاع قلبه. إذ كان حينما يرى أحدًا في خطية يبكى ويقول: "إنْ كان الشيطان قد أسقط أخي اليوم، فقد يسقطني غدًا. وقد يفسح الرب لأخي فيتوب. وربما أسقط أنا ولا أتوب {ويبكى}".

📖 ما أروع الكلمات التي قالها في ذلك بولس الرسول: "اُذْكُرُوا الْمُقَيَّدِينَ كَأَنَّكُمْ مُقَيَّدُونَ مَعَهُمْ. وَالْمُذَلِّينَ كَأَنَّكُمْ أَنْتُمْ أيضاً فِي الْجَسَدِ".

📖 " {عب ١٣:٣}. إنَّ الذي لم يخطئ، قد يدين الخطاة بنزعة من الكبرياء. أما الذي أخطأ، وجرب ضعف الطبيعة البشرية، فإنَّه يشفق عليهم. ولنا مثال واضح في سيرة القديس موسى الأسود:

📖 هذا الذي لما دُعي إلى مجمع رهباني لإدانة أخ أخطأ، ذهب إلى هناك وهو يحمل خلفه زنبيلًا مثقوبًا مملوءًا بالرمل. فلما سألوه عن هذا، أجاب: هذه خطاياي وراء ظهري تجرى وأنا لا أبصرها. وقد جئت إلى ههنا لأدين أخي.

📖 التائب لا يذكر خطايا غيره، حتى لو كانت ضده:

📖 ذكر القديس الأب أموس أنَّه من علامات التوبة "الصفح عن خطايا القريب، وترك دينونة الآخرين، وتمسكن القلب".

📖 ويقول مار إسحق "إنَّ التائب يكون له صبر كامل على الإهانة والملامة". ويقول القديس العظيم الأنبا أنطونيوس "إذا لامك أحد من الخارج، عليك أن تلوم نفسك من الداخل. فيكون هناك توازن بين خارجك وداخلك".

📖 التائب يغفر لغيره، كما غفر الرب له.

📖 أو كي يغفر الرب له، حسب قوله الإلهي "اِغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ" {لو ٦:٣٧}. ولما علمنا الرب الصلاة الربية، لم يُعلق إلا على طلبة واحدة منها وهي الخاصة بطلب المغفرة، فقال "فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلاَّتِهِمْ يَغْفِرْ لَكُمْ أيضاً أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلاَّتِهِمْ

لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أيضاً زَلاَّتِكُمْ" {متى ٦:١٤،١٥}. ولتكن هذه المغفرة في حب، تتفق مع وصية "أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ" {لو ٦:٢٧}. وتتفق مع حياة الاتضاع اللائقة التوبة.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٢٤١ - ٢٤٣



{٧} مشاعر أخري تصاحب التوبة:

الإنسان التائب الباكي على خطاياه، يكون دائمًا وديعًا هادئًا، لا يخاصم، ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته {أش ٤٢:٢،٣}.

والتائب يشعر برغبة في الصمت، إذ يرى أنَّه ليس أهلًا للكلام، وإنَّه من الخير له أنْ يسمع. فالاستماع أفضل من التكلم.

وهكذا فإنَّ التائب يبعد عن التعليم، متذكرًا قول يعقوب الرسول "لاَ تَكُونُوا مُعَلِّمِينَ كَثِيرِينَ يَا إِخْوَتِي، عَالِمِينَ أَنَّنَا نَأْخُذُ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ! لأَنَّنَا فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ نَعْثُرُ جَمِيعُنَا" {يع ٣:١،٢}.

ويقول لنفسه: "مَنْ أنا حتى أُعلم غيري. التعليم درجة فوق مستواي. ما هي خبراتي الروحية، حتى أُعلم الآخرين أيضاً؟!"

التائب يشعر أنَّ آفاقًا روحية، قد فتحها الله أمامه، وأنَّه بدأ يدخل في مذاقة الملكوت، لذلك غالبًا ما نرى التائبين يتصفون بالحرارة الروحية.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٢٤٣



{٨} الحرارة الروحية:

إنَّ التوبة حرارة تسرى في الإنسان، تشعله بالرغبة في تغيير حياته إلى أفضل. وصدق الشيخ الروحاني في قوله عن التوبة "كل مَنْ وُلد منها، أنبتت له أجنحة من نار، ومع الروحانيين يطير إلى العلاء".

والتوبة تلد داخل القلب محبة جبارة نحو الله.

لأنَّنا كلما تأملنا في الحمل الثقيل الذي رفعه عنا، وحمله عنا. وكلما نتأمل في بشاعة الخطايا الكثيرة والمريرة التي غفرها لنا. حينئذ

تزداد محبتنا له بالأكثر.

📖 مثل تلك المرأة الخاطئة التي بللت قدميه بدموعها، وقال عنها إنَّها أحبت كثيرًا، لأنَّه غفر لها الكثير {لو ٧}. إنَّ الخطاة الذين يشعرون بثقل خطاياهم ومغفرة الرب لها، هم الذين يحبون الله بالأكثر، وهم الذين يفهمون عمق الصليب، وعمق الفداء.

📖 وفى هذا الحب يكون مستعدًا لبذل نفسه من أجل الله.

📖 تملكه حرارة عجيبة، تدفعه إلى قدام بشدة. هذا الدفع الذي حوّل كثيرين من الخطاة إلى قديسين، مثل بيلاجية، ومريم القبطية، وأوغسطينوس. هؤلاء هم الذين تابوا، وشعروا بلذة هذه الحياة، ونموا فيها.

📖 مشكلة كثيرين إنَّهم يفقدون حرارة التوبة التي بدأوا بها.

📖 الحرارة التي كانت تشعل قلبهم بالحب، والتي تدفعهم إلى تعويض كل ما سبق من ضياع في حياتهم. هذه الحرارة، إنْ لم يحتفظ بها التائب، ويشعلها باستمرار، ما أسهل أنْ يفقدها، ويتطور إلى الفتور، وربما تبرد مشاعره بعد أنْ ينسى خطاياه ويبعد عنها بعض الوقت!

📖 التائب يشعر أنَّ عينه قد تفتحت على حياة جديدة.

📖 كأنَّ باب الفردوس قد فتح أمامه، ورأى هناك ما لم يره من قبل. وهذه الحياة الجديدة تجذبه إليها بشدة، حتى أنَّ بعض آباء الاعتراف يخافون على أبنائهم المعترفين من تطرف الاندفاع في تلك الفترة. وما أكثر الذين ينذرون أنفسهم لله في حرارة توبتهم.

📖 مثل القديسة بيلاجية والقديسة مريم القبطية، وآخرين. لأنَّ هؤلاء في توبتهم وندمهم على خطيتهم شعروا بزهد في العالم كله، ولم يعد فيه شيء يغريهم بعد أنْ ذاقوا محبة الله.

📖 وفى الحرارة الروحية التي تصاحب التوبة: يشعر التائب بقوة فيه،

ما كانت عنده قبلًا. كان في خطيته ضعيفًا أمام الشيطان وحروبه، أما في توبته فإن روح الله يعطيه نعمة خاصة، وقوة على حياة التوبة.

📖 يُذكرنا بالمريض الذي من ضعفه نقلوا له دمًا، فتقوى بهذا الدم الجديد. أو أنَّ الله أعطى هؤلاء التائبين قلوبًا جديدة، يجرى منها دم جديد قوى، مشبع بمحبة الله. فتنطبق عليهم نبوءة إشعياء: "يُجَدِّدُونَ قُوَّةً. يَرْفَعُونَ أَجْنِحَةً كَالنُّسُور" {أش ٤٠:٣١}.

📖 "يَرْكُضُونَ وَلاَ يَتْعَبُونَ يَمْشُونَ وَلاَ يُعْيُونَ" وقوله أيضاً "يُعْطِي الْمُعْيِيَ قُدْرَةً وَلِعَدِيمِ الْقُوَّةِ يُكَثِّرُ شِدَّةً" {أش ٤٠:٢٩}.

📖 أتراك يا أخي لمست هذه القوة في توبتك، وشعرت كيف أنَّ يمين الرب قد انتشلتك إلى حياة النور، وأنَّ الله "يجدد مثل النسر شبابك" {مز ١٠٣:٥}. فتغنى مع داود قائلًا "يمين الرب صنعت قوة، يمين الرب رفعتني. يمين الرب صنعت قوة، فلن أموت بعد بل أحيا" {مز ١١٨}. وبهذه القوة تحيا حياة فاضلة.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٢٤٣ - ٢٤٥

📖 {٩} السير في الحياة الفاضلة:

📖 لا توجد توبة بدون تغيير في الحياة. فالتوبة ليست مجرد اعتراف وتناول، إنَّما هي ترك للخطية للسير إيجابيًا في حياة البر. وبهذا ينال التائب المغفرة، حسب قول القديس يوحنا الرسول: "إِنْ سَلَكْنَا فِي النُّورِ كَمَا هُوَ فِي النُّورِ، فَلَنَا شَرِكَةٌ بَعْضِنَا مَعَ بَعْضٍ، وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ" {١يو ١:٧}. إذن سلوكنا في النور شرط أساسي لتطهيرنا من الخطية. هو إذن من علامات التوبة.

📖 ويعبر القديس بولس الرسول عن هذا السلوك، الذي يُطهر من الخطية، ويرفع الدينونة، فيقول إنه "لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ

حَسَبَ الرُّوحِ" {رو ٨: ١}.

إذن من شروط هذه الحياة الجديدة، أنْ تسلك في النور، وأنْ تسلك حسب الروح. أو كما قال القديس بولس "أَنْ تَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلدَّعْوَةِ الَّتِي دُعِيتُمْ بِهَا" {أف ٤: ١}.

وقال "لِتَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلرَّبِّ.. مُثْمِرِينَ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ" {كو ١: ١٠}. "اسْلُكُوا فِي الْمَحَبَّةِ، اسْلُكُوا كَأَوْلاَدِ نُورٍ" {أف ٥: ٢،٨}.

إذن التوبة ليست مجرد ارتماء عند قدمي المسيح، كما يقول البعض.. إنَّما هي تتميز بسلوك روحي خاص، ويحفظ وصايا الرب.

قال القديس يوحنا الرسول "مَنْ قَالَ إِنَّهُ ثَابِتٌ فِيهِ، يَنْبَغِي أَنَّهُ كَمَا سَلَكَ ذَاكَ هَكَذَا يَسْلُكُ" {١يو ٢: ٦}.

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٢٤٣ ـ ٢٤٥



{١٠} النقاوة:

إنَّها العنصر الإيجابي في حياة التوبة، ثمر تغيير الحياة:

فيها تختفي شهوة العالم، والجسد، والخطية، وتصبح شهوة القلب مقدسة، في حياة البر، ومحبة الله. ولا يعود التائب ينفعل مرة أخري بمحبة الخطية.

ومن علامات النقاوة أنَّ الإنسان يعمل الفضيلة بدون جهاد، بدون تعب، بدون صراع. لأنَّه لا يوجد داخله ما يقاومها.

إنْ كنت تجد صراعًا في داخلك بين الخير والشر، فأنت لم تصل إلى النقاوة بعد، ولكنك تجاهد لكي تصل. وإنْ كنت تتعب من أجل الوصول إلى حياة البر، فأنت ما تزال في فضيلة الجهاد، ولم تصل إلى النقاوة بعد.

بالنقاوة يملك السلام على قلبك، ويبطل الصراع بانتصار الخير.

بالنقاوة تصبح راحتك في الله، وشهوتك في الله، وسعادتك فيه. وتشمل النقاوة كل حياتك: ألفاظك، حواسك، جسدك، قلبك، أفكارك.

وتصير مسكنًا للروح القدس، تظهر منه ثمار الروح.

📖 إنَّ موضوع النقاوة موضوع طويل، نظلمه إنْ جعلناه مجرد فصل من هذا الباب، كعلامة من علامات التوبة. لذلك أستأذنك في أنْ نفرد له بابًا خاصًا. نحدثك فيه عن النقاوة، وكيف تكون، وكيف تُختبر؟ وما هي عناصرها؟ وإلى أيّ حد تصل النقاوة على الأرض؟ وما هي النقاوة التي ننالها في الأبدية؟

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٢٤٦

الباب الخامس

نقاوة القلب

١ـ النقاوة من الخطية	٢ـ اختبار النقاوة	٣ـ النقاوة من الأفكار
٤ـ النقاوة من الأباطيل	٥ـ الناحية الإيجابية في النقاوة	٦ـ النقاوة من معرفة الخطية

📖 مادام كمال التوبة، هو كراهية الخطية، أي أن يكون القلب قد تنقى تمامًا من كل محبة للخطية، أو التجاوب معها. إذن فنقاوة القلب علامة من علامات التوبة الكاملة.

📖 ولكن ما هو المقياس الذي نستطيع أن نقيس به نقاوة القلب من الخطية؟ وكيف يعرف الإنسان أنه قد وصل إلى كمال التوبة، أي إلى كراهية الخطية؟. فلنتفحص هذه النقطة معًا..

📖 {١} النقاوة من الخطية:

📖 ١ـ ربما يظن إنسان أنه تائب، لأنه ترك الخطية الرئيسية المتعبة التي كانت تقلق ضميره، ولم يعد يسقط فيها الآن. أي لم يعد يزني مثلًا، أو يسرق، أو يغش، أو يسكر. ولم يعد يرتكب خطايا في هذا المستوى. لذلك استراح ضميره، وظن أنه تاب! وذلك لأن الخطايا الكبيرة التي كان يركز عليها قد غطت رؤيتها على الخطايا الأخرى التي لم يكن يلتفت إليها.

📖 وربما في نفس الوقت يكون واقعًا في خطايا كثيرة يعتبرها طفيفة، ولا تدخل في مقاييسه الخاصة بالتوبة. مثل الحديث عن النفس، والفرح بالمديح، وتبرير الذات باستمرار، وكثرة الجدل، والسلوك حسب الهوى الخاص، والتشبث بالرأي الذي يقود إلى العناد.

📖 مع إهمال بعض الصلوات، وتقصير في القراءات الروحية. وربما عدم احتمال الإساءة، وعدم تقديس يوم الرب. ومع هذا كله، ضميره لا يوبخه، لأنه لم يصل إلى المستوى الذي يتبكّت فيه على أمثال هذه الأمور. فهل نعتبر مثل هذا تائبًا؟!

📖 إنه ولا شك محتاج أن ترتقي مقاييسه، لكي يتوب عن أمثال هذه الخطايا التي يعتبرها طفيفة، أولا يلتفت إليها باهتمام.

📖 فمتى إذن نعتبره تائبًا؟ أليس إن ترك كل الخطايا، حتى التي تبدو في نظره صغيرة. يتركها بالفعل، وأيضاً يطردها من قلبه من فكره.

📖 وهنا يصعد الإنسان سلمًا في التوبة، كلما نضج روحيًا. ويصير ضميره حساسًا جدًا لا يتغاضى عن شيء. وبهذا يدخل إلى التوبة الحقيقة.

📖 فهل إذا وصل إلى هذا، نحكم عليه بأنه وصل إلى نقاوة القلب؟ هنا نبدى ملاحظة هامة، لكي تكون لنا دقة الحكم، هي:

📖 **٢– ربما هو لا يخطئ، لأن الشيطان قد تركه إلى حين.**

📖 إن الشيطان حكيم في عمل الشر. يعرف متى يحارب، وكيف يحارب، وفي أية خطية يركز قتاله. فإن وجد شخصًا متحمسًا جدًا ومستعدًا، يتركه فترة حتى يثق هذا الإنسان بنفسه، ثقة ربما تدفعه إلى التهاون، والتراخي، وعدم التدقيق. ثم يرجع إليه الشيطان في وقت يكون هذا الإنسان أقل استعدادًا وحرصًا، فيسهل إسقاطه.

📖 وهذه الفترة لا تكون فترة انتصار على الخطية، وإنما فترة عدم قتال. إنها فترة راحة من الحروب الروحية، وليست انتصارًا ونقاوة.

📖 **وهناك فرق كبير بين الانتصار، وعدم القتال.**

📖 فإن وجدت نفسك لا تسقط في خطية معينة، فقد لا يعنى هذا أنك تنقيت منها تمامًا، إنما عدم سقوطك فيها قد يعنى أن الشيطان لا يقاتلك حاليًا بها. أو ربما لا تسقط فيها الآن، لأن ظروفها غير مواتية. فلا توجد حرب، ولا توجد عثرات، ولا يوجد ما يثيرك للخطية. والشيطان لا يقاتلك الآن، ليس حبًا في راحتك، وإنما لأنه يجهز لك فخًا من نوع آخر.

📖 وبالإضافة إلى ذلك الفخ الآخر، ربما يأتيك شيطان المجد الباطل ليقول لك "ويلاه منك. لقد أفلت منى. وقد تجددت وتقدست، وصرت خليقة جديدة، والأشياء العتيقة قد مضت". فلا تسمع له، ولا تردد في ذهنك ما يقوله لك فأنت تحت الضعف طالما أنت في الجسد. والشيطان لا يكف عن قتاله.

📖 لا تقل إذن إنك قد وصلت إلى النقاوة، ولم تعد تسقط. إنما قل "لولا أن الرب كان معنا. لابتلعونا ونحن أحياء" {مز ١٢٤: ٢، ٣}. أنا في الواقع أضعف من أن أقاتل أصغرهم، كما قال القديس الأنبا أنطونيوس. ولكن شكرًا للرب أنه سترنا.

📖 **ومن الملاحظ أن بعض الخطايا لها مواسم، وليست دائمة.**

📖 إنها مثل دورات الألم، أو الوجع، تلف دوتها في عنف وشدة، ثم تهدأ، ثم تلف دورة جديدة. وهكذا. أو كنبات، له أحيانًا موسم ركود، وفي وقت آخر موسم إزهار إثمار.

📖 **٣-** أو من الجائز أن الله أراد أن يريحك فترة من إرهاق الخطية، حتى لا تبتلع من اليأس. لأن توالى السقوط التلاحق، قد يجر الخاطئ إلى اليأس. لذلك تدركه مراحم الله وتريحه ولو قليلًا، وترفع الحرب عنه. تحفظه النعمة وتسنده، ولو إلى حين فتمر عليه فترة هدوء لا تزعجه فيه الخطية. ليس لأنه قد تنقى، وإنما لأنه غير مقاتل.

📖 **٤- أو جائز أنت مستريح الآن، بصلوات رفعت لأجلك.**

📖 سواء من قديسين في السماء، أو من أحباء لك على الأرض. واستجاب الرب لهم، وأمر برفع القتال عنك. أنت إذن في فترة هدوء وسلام، وعدم قتال مع الشيطان. وليست هذه هي درجة النقاوة.

📖 وبمناسبة الفرق بين النقاوة وعدم القتال، نورد ملاحظة هامة وهي:

📖 **هناك فرق بين نقاوة الأطفال، ونقاوة الناضجين سنًا وروحًا.**

📖 حقًا إن الأطفال لهم قلب نقى بسيط لم يعرف الخطية بعد. ولكن هناك فرقًا كبيرًا بين نقاوتهم، ونقاوة الأشخاص الناضجين في السن. هذا الفرق هو أن الأطفال لم يدخلوا حربًا روحية، ولم تختبر إرادتهم بعد. أي أنهم لم يصلوا إلى السن التي تختبر فيها إرادتهم.

📖 وهم غير الكبار الناضجين الذين داخلوا في حروب العدو وقاتلوا وانتصروا، ورفضت إرادتهم الحرة كل إغراءات الخطية. هؤلاء لهم مكافأة "الغالبين" التي ليست للأطفال.

📖 ما أعظم الذين يصلون إلى نقاوة الأطفال، بعد حروب لم يعرفه الأطفال. ونقاوتهم نتيجة صراعات وحروب، خرجوا منها منتصرين. إن نقاوة القلب درجة عالية جدًا. وحتى إن حروب إنسان بخطية معينة، وتنقى منها، فليست هذه هي النقاوة الكاملة.

📖 **النقاوة الكاملة هي النقاوة من جميع الخطايا.**

📖 بكل صورها وأنواعها، سواء كانت بالعمل، أو بالفكر، أو بالحواس، أو بمشاعر القلب، أو بسقطات اللسان. سواء في العلاقة مع الله، أو مع الناس، أو مع الذات. إنها نقاوة شاملة، وليست مجرد تخلص من خطية معينة كانت تحاربك.

📖 فالفريسي الذي صلى في الهيكل في وقت صلاة العشار، كان يظن أنه صار من الأنقياء، لأنه "ليس من الظالمين الخاطفين الزناة"

وليس من المقصرين في الصوم أو في دفع العشور {لو ١٨: ١١، ١٢}. بينما أنه لم يكن قد تنقى من الكبرياء، ولا من إدانة الآخرين، ولا من الافتخار والبر الذاتي. لذلك لم يخرج مبررًا.

📖 لا تظن إذن إنك قد وصلت إلى درجة النقاوة، إن كنت قد تخلصت من بعض الخطايا التي كان لها سلطان عليك. إنما المقياس الحقيقي لوصولك إلى النقاوة هو أنه:

📖 **لا يكون لأية خطية من الخطايا سلطان عليك.**

📖 انظر إلى قول السيد المسيح "من منكم يبكتني على خطية؟!" {يو ٨: ٤٦}. أية خطية على الإطلاق. ولهذا أستطاع أن يقول عن الشيطان "ورئيس هذا العالم يأتي، وليس له فيّ شيء" {يو ١٤: ٣٠}. فهل وصلت إلى هذه النقاوة من جميع الخطايا، بحيث لا يوجد للشيطان شيء فيك، كبيرًا كان أم صغيرًا؟!

📖 حتى ولا من الثعالب الصغار المفسدة للكروم، ولا من الخطايا التي تتنكر في ثياب الحملان؟

📖 **النقاوة الحقيقية تبدأ بالكراهية الكاملة للخطية.**

📖 عن معرفة واستنارة حقيقية، وفهم صحيح بالروح القدس لما هو الخير وما هو الشر "للبالغين الذين صارت لهم الحواس مدربة" {عب ٥: ١٤}، بحيث يكون الضمير سليمًا تمامًا في أحكامه، لا يخدعه الشيطان في شيء، وتكون جميع أعمال الإنسان نقية.

📖 على أن هناك ما هو أهم من أعمال الإنسان الظاهرة، وهو:

📖 **أن تكون النقاوة نابعة من القلب، وليست مظهرية.**

📖 نقول هذا لأن كثيرين يهتمون بمظهر النقاوة لا بجوهرها.

📖 ومثال ذلك أن كثيرًا من الوعاظ حينما يتكلمون عن حشمة المرأة، يركزون على ملابسها وزينتها، دون أن يهتموا بالباعث القلبي الذي

بسببه تركت الفتاة حشمتها. بينما لو اهتموا بعلاج القلب من الداخل ليصل إلى النقاوة، لكان من نتائج ذلك تلقائيًا حشمة الملابس والزينة. ونفس الكلام يقال عن الشبان الذين يطيلون شعرهم.

📖 **إننا لا نريد بالنقاوة تنظيف خارج الكأس. فقط {متى ٢٣}.**

📖 ففي علاج خطايا اللسان، لا يقتصر الأمر على تداريب الصمت. لأن الكلام الخاطئ له سبب داخل القلب. والكتاب يقول "من فضلة القلب يتكلم اللسان" {متى ١٢:٣٤}. إذن نهتم بنقاوة القلب، فتكون الألفاظ نقية تلقائيًا.

📖 خذوا الكذب مثلًا: لا يكفي فقط أن نبعد عن تركه من الخارج، إنما ينبغي أن نعالج أسبابه داخل القلب، سواء كانت خوفًا، أو كبرياء، أو وصولًا إلى غرض معين. لأن الكذب كان نتيجة لهذه الأخطاء الداخلية التي تحتاج إلى تنقية. اهتموا إذن بالداخل، وهنا يسأل البعض: هل أؤجل النقاوة الخارجية، إلى أن أصل إلى نقاوة الداخل؟

📖 كلا، طبعًا إنما المقصود أنك لا تكتفي بالنقاوة الخارجية، فالله يريد القلب قبل كل شيء. احترس من الخطأ الخارجي بكل قوة، وبكل صبر، وبكل معونة من النعمة.

📖 وهكذا تكون أعمالك النقية صادرة من القلب نقى. ويشترط لنقاوتها:

📖 أن يكون العمل النقي، أهدافه ووسائله نقية أيضاً. فيكون كل عمل تعمله: نقيًا في ذاته، ونقيًا في الدوافع التي تدفع إليه، ونقيًا في الوسيلة التي يتم بها. فهل تكون هذه هي النقاوة الكاملة؟ النقاوة الكاملة موضوع طويل. إنما هذه هي النقاوة من الخطية.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٢٤٨ - ٢٥٣

📖 {٢} اختبار النقاوة:

📖 إن عدم السقوط في الخطية، ليس هو نقاوة القلب. فقد تكون لعدم السقوط أسباب أخري غير حالة القلب الداخلية، شرحنا بعضها.

📖 كأن يكون الإنسان في وقت ما غير محارب بالخطية، أو تكون النعمة قد تدخلت - حتى بدون استدعاء لها منا - وانتصرت هي فينا. ولذلك نقول من جهة اختبار النقاوة: "يعتبر الإنسان نقيًا تمامًا، لو دخل في كل حرب مع الخطية، في عمق الحرب وشدتها، ولم يهتز. ليس فقط لم يسقط، وإنما لم يهتز".

📖 كثيرون من الناس محاربون بالخطية من شهواتهم، ومن أفكارهم، وليس من الشيطان. لأن حروب الشياطين صعبة جدًا.

📖 مثال ذلك: قصة الشاب الذي شكا إلى القديس الأنبا بيشوى قائلًا له "إن حرب الشيطان اشتدت عليّ". بينما قال الشيطان "أنا لم أحس بعد أن هذا الشاب قد ترهب". إن الشيطان قاس جدًا في حربه. ولو آمكن آن يأخذ حريته كاملة، لجاهد آن يضل حتى المختارين أيضاً {متى ٢٤: ٢٤}.

📖 **فإن انتصرت في حرب روحية، قل: لعلها حرب بسيطة.**

📖 لأن الله من حنوه، لا يسمح أن نحارب فوق طاقة احتمالنا. وربما نجوز حروبًا خفيفة، وننتصر فيها، ليس بسبب قوتنا، أو نقاوة قلوبنا، إنما بسبب ضعف الحرب. ولو كانت الحرب قد ثقل علينا أو اشتدت، لسقطنا. لذلك نشكر الله على عظم مراحمه، بدلًا من أن نفتخر باطلًا بادعاء النقاوة.

📖 **إذن تختبر نقاوتك بالحرب الشديدة القاسية.**

📖 هل تصمد فيها أم تسقط؟ خير لك أن تصرخ في اتضاع وتقول: لست أنا أقوى من سليمان أحكم أهل الأرض. ولست أقوى من داود مسيح الرب ورجل المزمار والقيثار. ولست أقوى من بطرس الرسول في غيرته". وما دامت الخطية قد "طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلاها أقوياء" {أم ٧: ٢٦}. فأفضل وضع هو أن أعرف ضعفي، وأقول إنني لم أصل إلى النقاوة بعد. وأنا أصلى كل

يوم قائلًا "لا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير".

📖 أدخلت في الحروب الشديدة وانتصرت؟ إذن فاعرف هذه الحقيقة:

📖 الحرب الشديدة تختبر الإنسان باستمرارها، وإلحاحها. فقد ينتصر الإنسان في إحدى المرات في حرب شديدة. ولكنها لو استمرت معه مدة طويلة، ربما يضعف أمامها، ولا يقوى على المقاومة. مثل شمشون الذي لما كثر الإلحاح عليه، ضعف أخيراً واستسلم {قض ١٦:١٦، ١٧}.

📖 **والحرب الشديدة تختبر الإنسان أيضاً بتنوعها ومفاجأتها.**

📖 فقد ينتصر الإنسان في حرب معينة. ولكنه في نوع آخر من الحروب تقل مقاومته ولا يصمد. والشيطان يختبر كل شخص، ويدرس نواحي الضعف فيه، ويضغط بشدة على نقطة الضعف. وتزداد حروبه قسوة، حينما يهجم فجأة بدون استعداد من الإنسان لمواجهته. وهنا تختبر النقاوة.

📖 **إذن ما هو التعريف السليم للشخص الذي اقتنى نقاوة القلب؟**

📖 هو الشخص الذي تنقى من كل أنواع الخطايا، فكرًا، وقلبًا، وحواسًا، ولسانًا، وجسدًا، وعملًا. ودخل في حروب العدو، بكل تنوعها، وكل شدتها، وكل إلحاحها واستمرارها، وجاهد، وسندته النعمة، وانتصر. واستمر منتصرًا.

📖 هي إذن درجة عالية جدًا. ليست هي بدء الحياة الروحية، إنما قد تكون في نهاية المطاف، حتى تستحق الطوبى التي قال فيها الرب "طوبى لأنقياء القلب، لأنهم يعاينون الله" {متى ٥: ٨}. ومن مقاييس هذه النقاوة: النقاوة من الأفكار والأحلام.

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٢٥٥ ـ ٢٥٦

📖 {٣} النقاوة من الأفكار والأحلام:

📖 بالإضافة إلى النقاوة من الخطية، توجد النقاوة من الأفكار والظنون. قال أحد القديسين "ليست فقط أعمالك الخارجية هي التي تظهر حقيقتك، إنما بالأكثر أفكارك وظنونك".

📖 وضرب لذلك مثلًا فقال: ربما يكون إنسان واقفًا في مكان في الظلام، يراه ثلاثة أشخاص. ففكر أحدهم إنه سارق يختبئ إلى أنت يتحين الفرصة للسرقة، والثاني يظنه سيء الخلق ينتظر امرأة. بينما الثالث يفكر أن هذا الإنسان يقف في الظلام، في مكان لا يراه أحد، يصلي. وهكذا حسب حالة القلب، تكون الأفكار والظنون.

📖 وفى ذلك يقول الكتاب: "الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح. ولإنسان الشرير من كنز قلبه يخرج الشر" {لو٦: ٤٥}. وكما يقول المثل "كل إناء بما فيه يتضح".

📖 لذلك إن كانت ظنونك سيئة، فقلبك لم يتنق بعد. فالإنسان ذو القلب النقي، دائمًا تكون أفكاره نقية، ولا يظن السوء. وعلى قدر إمكانه يأخذ الأمور ببراءة وطهارة. وهكذا لا يدين عملًا ما، إل الخطية الواضحة التي تحمل دينونتها في ذاتها.

📖 **والأمور التي تحمل وجهين، يأخذ الوجه المنير منها.**

📖 من أجل هذا، أمثال هؤلاء الأشخاص يكونون في علاقة حسنة مع الناس، لأنهم لا ينسبون خطأ لأحد، ويعذرون كل إنسان في تصرفاته. لعلك تسأل: "هل معنى هذا أن القلب النقي لا تُحاربه ظنون وأفكار شريرة؟"

📖 نقول: نعم قد تُحاربه من الخارج، دون أن تنبع من داخله. بل على العكس يكون من الداخل رافضا لها. لا يقبلها، بل يطردها بسرعة.

📖 والخديعة التي يتعرض لها البعض هنا، هي أن يستبقي الفكر الشرير، ولو بحجة فحصه، أو محاربته، أو بنوع من الفضول ليرى إلى أين ينتهي! فتكون النتيجة أن يدنسه الفكر، ويفقده نقاوته.

📖 والوضع السليم هو طرد الفكر بسرعة، لأن القلب النقي يشمئز من

الأفكار الخاطئة، ولا يقبل حتى مجرد فحصها.

📖 من ضمن مقاييس النقاوة إذن، نقاوة الظنون، والأفكار.

📖 والمقياس الثاني للنقاوة، هو نقاوة الأحلام.

📖 فقد يوجد إنسان عقله الواعي محترس، يُراعي نقاوة أفكاره، بينما تكون أحلامه فيها الكثير من الأخطاء، لأن عقله الباطن يحوي رصيدًا قديمًا من الخطايا، لم يتنق بعد من صورها وقصصها وذكرياتها. فإما أن تكون ذاكرته لا تزال مدنسة بخزيها الرديء، أو أن هناك بعض مشاعر في القلب، كامنة في أعماقه لم تَتَنْقَّ بعد، وهي مصدر أحلامه الخاطئة التي تُعكِر نقاء ذهنه.

📖 **يحتاج هذا أن يتنقى من ماضيه، كنحو نقاوته من حاضره.**

📖 وعلى أية الحالات، قد تحتاج نقاوة الأحلام إلى فترة من الزمن، إلى أن يُصبح الإنسان في وضع بعيد تماما عن الأحلام الشريرة. فبالوقت وبعدم التكرار، تختفي مصادر هذه الأحلام من الذاكرة. ويختزن العقل الباطن بدلا منها أمورا نقية طاهرة، تتناسب مع حياة التوبة والنقاوة التي يحياها، وتكون مصدرًا لأحلام نقية تمامًا.

📖 إذن من مقاييس نقاوة القلب: نقاوة الأفكار، والظنون، والأحلام. تبقى درجة أخري للكاملين أو الناضجين، وهي: النقاوة من الأباطيل.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٢٥٥ - ٢٥٦

📖 {٤} النقاوة من الأباطيل:

أي: النقاوة من الأمور الزائلة، أو الباطلة.

📖 ونقصد بهذه الأمور الزائلة أو الباطلة، من يقضي وقتا طويلا يتحدث في أمور تافهة، لا هي خطية، ولا هي بر. أو يقضي وقتا يفكر في أمثال هذه الأمور أو ينشغل بها. ويدل بذلك على أن فِكره أو قلبه يمكن أن ينشغل بهذه التافهات، ويمكن بسببها أن يُضِّيع وقتا كان يمكن أن يقضيه مع الله، في صلوات، أو تأملات، أو قراءات

روحية، أو تسابيح، أو أي أمر ذي قيمة، يُناسب حالة القلب النقي.

📖 هذه الأمور الزائلة لا هي خير في ذاتها، ولا هي شر في ذاتها. ولكنها تفاهات تُعَطِّل العمل الروحي الإيجابي. هذه الأباطيل هي التي منعنا عنها الرسول بقوله: "غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى، بل إلى التي لا تُرى. لأن الأشياء التي تُرى وقتية، أما التي لا تُرى فأبدية" {٢ كو ٤: ١٨}.

📖 والإنسان الذي لا ينظر إلى المرئيات، هو الذي يقول مع داود النبي: "أما أنا فخير لي الالتصاق بالرب" {مز ٧٣: ٢٨}.

📖 **والالتصاق الكامل بالرب، لا يأتي إلا بنقاوة القلب.**

📖 إن النقاوة من الخطية حالة مقدسة، لا يُسميها الآباء نقاوة القلب. إنما يُسمونها الطهارة. والطهارة أقل من النقاوة في الدرجة.

📖 الطهارة في كثير من مفهوماتها سلبية في قداستها، تعني البعد عن النجاسة والخطية. أم النقاوة فقداستها إيجابية، وهي الالتصاق الدائم بالله، فكرًا، وقلبًا، وعملًا. وتأتي كمرحلة بعد الطهارة. ومن مميزاته النقاوة من الأباطيل. فما هي هذه الأباطيل. إننا نعيش في عالم مملوء بهذه المرئيات الزائلة. فهل نُغْمِضْ أعيننا حتى لا ترى، عملا بقول الرسول: "غير ناظرين إلى ما يُرى"؟

📖 **كلا، لا نُغْمِضْ أعيننا. وإنما لا نهتم بما نرى ونسمع.**

📖 أي أن تقع أعيننا على شيء تراه، فتجوز مُقابِلَهُ، وهكذا باقي حواسنا. والمعروف أن "الحواس هي أبواب الفكر". وأن ما تجمعه حواسنا، تفكر فيه عقولنا، أو على الأقل يدخل فكر عنه إلى أذهاننا. وهنا نكون أمام أحد تصرفين: أما أن يمر فكر هذه الأمور بسرعة ويعبر كالدخان. وهذه حالة من حالات نقاء القلب. وإما أن يستقر الفكر قليلا، أو طويلا فينا، ويشتغل في داخلنا بدرجات تتفاوت في الحدة، وفي المدة، حسب نقاوة كل منا.

📖 الإنسان الذي لم يتَنَقَّ بعد، قد تجلب له هذه المرئيات أفكار خطيـة، وتتحول فيه إلى رغبات وشهوات. ولست عن هذا أتكلم، فالحديث عنه خاص بالنقطة الأولى وهي "النقاوة من الخطية".

📖 ولكنـي أقـول إن مثـل هـذه المرئيـات قـد تجلـب لإنسـان الله، لا أفكار الخطية، وإنما بعض الانشغال أو الاهتمام، تختلف حسب نقاوة القلب، حسب موته عن العالميات، أو موت العالميات في القلب.

📖 **هذه الأفكار الزائلة، هي على الأقل تُضِيع الوقت.**

📖 والوقت هو جزء من حياتك. لم يُعطِه لك الله لكي تُضِيّعه، إنما لكي تستفيد منه، لأجل خلاص نفسك، ولأجل تنقية قلبك وفكرك، ولأجل ربط مشاعرك بالله. فلا تضيعه في التافهات.

📖 **والعقل المنشغل بالتافهات يدل على قلة محبته لله.**

📖 إذ أن قلبه ليس متحدًا بالله اتحادًا كاملًا مستمرًا، وتوجد أمور تافهة تشغل عقله عن الله، ولو في ثرثرة لا فائدة منها. فمتى تتنقى من كل هذا، ولا يصبح في قلبك إلا الله وحده؟

📖 القلب النقي نقاوة كاملة، هو القلب الذي مات بالتمام عن أباطيل العالم كلها، لكي يحيا بالتمام للرب. وعقله أصبح غير مُتفرغ لهذه الأشياء التي تُرى، من فِرط انشغاله بما لا يُرى.

📖 إن العقل دائب العمل ودائم التفكير. إنما يختلف تفكيره بحسب المادة التي ينشغل بها، وهي واحدة من اثنتين: أما مرئيات، وإما أمور لا تُرى. والانشغال بالأمور الإلهية التي لا تُرى هي حالة النقاوة المثالية. وقد يكون التفكير في الأمور الزائلة، هو حالة متوسطة بين أفكار الخطية والأفكار الإلهية.

📖 إنها ليست خطية بالنسبة إلى الشخص العادي، ولكنها حالة نقص فيه. وقد تتطور فتتحول إلى خطية. والقديسون يهربون من هذا النقص، الذي يدل على أن القلب لم يتنق بالكمال من العالميات.

📖 القديس بولس الرسول في حديثه عن المُتَزوج قال إنه: "يهتم فيما للعالم" {١ كو ٧: ٣٢، ٣٣}. وهناك أمور أخري غير الزواج تسبب اهتمامًا بالعالميات، ربما الوظيفة، أو الأسرة، أو الدراسة العالمية، أو بعض النشاط الاجتماعي، أو المال، أو شهوات الجسد عموما. فيفحص كل مِنَّا على ذاته، وليعرف الأبواب التي يدخل منها العالم إليه بأباطيله، ويجد له مكانا في الفكر، أو في القلب.

📖 **وهنا أحب أن أفرِّق بين كلمتين: العمل، والاهتمام.**

📖 قد يعمل الإنسان في المرئيات، دون أن تعمل المرئيات فيه. ويكون قلبه مع الله. كما كان الآباء القديسون يعملون في الخوص في البرية، وقلبهم يعمل عمله الإلهي في التزمير، والصلاة، والتسبيح.

📖 كانوا يعملون في هذه الأشياء، وهم: "غير ناظرين إليها" أي غير منشغلين بها. إن الرب لم يوجه اللوم إلى مرثا لأنها كانت تعمل، وإنما لأنها كانت بالعمل في حالة اهتمام واضطراب {لو ١٠: ٤١}. العمل لم يكن في يديها فقط، وإنما وصل إلى الفكر والقلب فانشغلا به. وفي انشغالهما عجزا عن أن يتفرغا للرب "فلازما الواحد، واحتقرا الآخر: "لأنه لا يقدر أحد أن يخدم سيدين في وقت واحد {متى ٦: ٢٤}. فهل يمكن إذن أن نعمل عملا، دون أن ننشغل ونضطرب ونهتم؟ إن هذا هو المطلوب من القلب النقي "أريد أن تكونوا بلا هم" {١ كو ٧: ٣٢}. وكيف يكون هذا؟

📖 بأن تكون علاقتنا بالمرئيات سطحية، لا تدخل إلى العُمق.

📖 وهذا يتوقف على مدى تقييمنا للأمور. كلما ازدادت قيمة الأمر في نظرنا، ازداد عمقه فينا واهتمامنا به. لذلك فإن آباءنا الذين مات العالم في نظرهم، وحسبوه نفاية لكي يربحو المسيح {في ٣: ٨}، هؤلاء لم تَعُد لكل أمور العالم قيمة عندهم، مهما كانت قيمتها خطيرة في أعين الآخرين الناظرين إلى ما يُرى.

📖 وبالتالي لم تعُد هذه الأمور تشغلهم، ولا يضطربون لها، بل يحيون

في سلام. وينطبق عليهم قول القديس بولس الرسول: "والذين يستعملون هذا العالم، كأنهم لا يستعملونه" {١ كو ٧: ٣١}.

📖 ولكننا كثيرا ما ننسى أنفسنا وروحياتنا. فنسمع مثلا خبرا معينا، أو نقرأ عن حادث ما، أو ندخل في إحدى المناقشات. وهنا ننسى أن قلبنا وعقلنا كليهما للمسيح.

📖 ونظل نتكلم ونُعَلِّق ونُناقِش، ونُبْدي الآراء، ونتحمس في الرد على المُعارضين. وقد يكون الأمر لا يستحق شيئا من هذا. ولكنه مع ذلك يملك لا على ألسنتنا فقط، ولا على فكرنا فحسب، وإنما أيضاً على أعصابنا وعواطفنا.

📖 وهنا تكون المياه قد دخلت إلى أنفسنا. وأصبحنا نهتم ونضطرب لأجل أمور كثيرة. أما الواحد الذي الحاجة إليه، فلا نكون متفرغين له، بل مفكرين أننا "عندما يحصل لنا وقت نستدعيه" {أع ٢٤: ٤٥}.

📖 وقد نرجع إلى بيوتنا، وما يزال الموضوع في أذهاننا، وقد نصبه أيضاً في عقول غيرنا، فنشغل الآخرين به.

📖 والأفكار ليست عواقر، إنما تلد أفكارًا أخري.

📖 وقد يتعمق الفكر في عقلنا الباطن، ويلد أحلامًا وظنونًا. وقد نقف ونصلي، فتطيش عقولنا في أفكار كثيرة، ذلك لأننا أعطينا تلك الأفكار عمقا فينا، فأخذت سلطانا علينا.

📖 فاحذر، لا تُعطِ أمور العالم عمقا في فكرك ومشاعرك ووقتك. وإن سرقك الاعتياد القديم، استيقظ بسرعة، وقل للرب مع المرتل: "أردد عينيّ لئلا تُعاينا الأباطيل" {مز ١١٨ ٥}.

📖 يقظة العقل والجهاد مع الأفكار، يسبقان نقاوة العقل والقلب.

📖 القديس الأنبا أور كان يقول لتلميذه: "أنظر يا ابني، لا تُدخِل هذه القلاية كلمة غريبة" يقصد أية كلمة غريبة عن الله وملكوته.

📖 والقديس الأنبا يوحنا القصير كان ينفض أذنيه قبل الدخول

إلى قلايته، حتى لا تدخلها مناقشات سمعها من آخرين.

📖 هذا جهاد سلبي. أما من الناحية الإيجابية فإنـه: تعوزنـا الغربـة عن العالم، مع هذيذ الفكر بالإلهيات. شعور الإنسـان بغربتـه عن العـالم، يجعله لا يُقحِم ذاته في أمـور العـالم، وحوادثـه، وأخبـاره، وأحاديثـه، وارتباكاته. وإن وصل إليه شيء منها، لا يتفاعل معـه ولا يتجـاوب، قائلا لنفسه: "غريب أنا. ما شأني بهذا الأمر".

📖 كذلك انشغال الفكر بالإلهيات، يجعله غير مُتفرغ لأمـور العـالم بل نافرا منها، لأنها تُعطله عن هذيذه الإلهي الـذي يقـول فيـه: "محبـوب هو اسمك يا رب، فهو طول النهار تلاوتي" {مز ١١٨}.

📖 متى يصل القلب، والفكر إذن إلى النقاوة؟

📖 عندما يتخلص الإنسـان مـن الخطيـة، وعنـدما يتنقـى مـن الأحـلام، والأفكار، والظنون، وعندما يتنقى من الأباطيل. كل هذا مـن الناحيـة السلبية. فماذا إذن عن الناحية الإيجابية؟

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٢٥٧ ـ ٢٦١

📖 {٥} الناحية الإيجابية في النقاوة:

📖 في نقاوة القلب، تملكه محبة الله بدلا مـن محبـة العـالم. فيفعل كل شـيء مـن أجـل محبتـه لله، ولـيس لمجـرد طاعـة لأمـره أو تنفيـذًا لوصاياه. حتى ترك الخطية، يتركها لأن محبة أعمق بكثير قد حلّت محلها، وأشعرته عمليا بتفاهة محبة الخطية ونجاستها أيضاً.

📖 وبمحبة الله تدخل النقاوة في دور إيجابي جديد. فتظهر ثمار الـروح القدس في حياة هذا التائب. التي قال عنها الرسول: "وأما ثمر الـروح فهو محبة، فرح، سلام، طـول أنـاة، لطـف، صـلاح، إيمـان، وداعـة، تعفف. ضـد أمثـال هـذه لـيس نـاموس" {غل ٥: ٢٢}. أي انتقل من مرحلة الناموس، والوصايا، إلى مرحلة الحب.

📖 **تتحول علاقتك بالله إلى حب.**

📖 كعلاقة صديق بصديقه، وابن بأبيه، وحبيب بحبيبه. وتجد كل اللذة في الوجود مع الله. وصلاتك تتحول إلى مناجاة حب، لا تكون واجبًا، ولا عملًا كنسيًا، ولا صفة من صفات الروحيين، إنما تكون مجرد تعبير عن الحب الكبير الموجود في قلبك نحو الله.

📖 وهكذا تكون باقي أعمالك الروحية. والمحبة هي أول ثمرة من ثمار الروح. وهناك ثمار أخري، لابد أن تظهر في قلبك بحياة النقاوة. ولعلك تسأل: "هل كل ثمار الروح لازمة في حياة النقاوة؟".

📖 نعم، لأنه قال: "اصنعوا ثمارا تليق بالتوبة" {لو ٣: ٨}. ولأنه أيضاً قال: "كل غصن في لا يأتي بثمر ينزعه. وكل ما يأتي بثمر ينقيه، ليأتي بثمر أكثر" {يو ١٥: ٢}. إذن جاهد بكل قوتك لتحصل على هذه الثمار. أتريدني أن أحدثك عن نقاوة القلب؟

📖 إذن فسأحدثك عن كل عنصر من هذه الثمار على حده، وعنها كلها معًا كوحدة متجانسة. وهذا أمر يحتاج إلى كتاب خاص، أو إلى مجموعة كتب. وليس الآن وقته. أما الآن، فأتابع معك نقاوة القلب، وأتحدث عن قمّتها: هناك نقاوة ننالها في الأبدية وهي: نقاوة القلب من معرفة الخطية.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٢٦١ - ٢٦٢

📖 {٦} نقاوة القلب من معرفة الخطية:

📖 وبهذا نقسم نقاوة القلب إلى نوعين: نوع يمكن أن نناله هنا على الأرض، وهو ما قد ذكرناه. ونوع لا نناله إلا في الأبدية في العالم الآخر، نذكره هنا لكي نشتهيه ونطلبه، ولكي نعرف مقدار عمق النقاوة التي ستكون لنا هناك.

📖 **إن الذي أفقدنا نقاوتنا الأولى، هو أكْلِنا من شجرة المعرفة.**

📖 كنا لا نعرف إلا الخير فقط. فلما أكلنا من شجرة معرفة الخير

والشر، صرنا نعرف الشر أيضاً. ودخلنا في ثنائية الخير والشر، البر والإثم، الحلال والحرام.

📖 أقصى ما نصل إليه حاليًا، هو أنه مع معرفتنا للخير والشر، نختار الخير ونسير فيه. أما إننا لا نعرف الشر إطلاقًا، فهذه درجة عالية لن نصل إليها على الأرض. إنما ستوهب لنا في الأبدية، حينما نلفظ الثمرة التي أكلناها. وحينئذ: لا نعرف سوى الخير فقط. ونتخلص من ثنائية الخير والشر.

📖 **تصبح لها صفة البساطة والبراءة التي لا تعرف شرًا.**

📖 مثل الطفل البريء الذي لا يعرف شيئًا من المكر، والتدابير، والحيل والشرور التي يقدمها له المجتمع فيما بعد، فتفقده براءته.

📖 نقاوة مثل نقاوة آدم وحواء قبل الأكل من ثمرة الشجرة، تلك التي أدخلت في عقله أفكارا لم تكن فيه من قبل، وأفقدته بساطته، وتفتحت عيناه على أمور، لعله يقول: "ليتني ما كنت قد عرفتها". ثم تطور الإنسان من معرفة الشر إلى اختباره.

📖 **فإن كنت قد عرفت أشياء عن الخطية، لا تُكْمَل المسيرة.**

📖 ما دامت معرفة الخطية تضرّك، فلا تُضِف إليها شيئًا جديدًا. وحاول أن تنسى ما عرفته بعدم استعماله، وعدم الحديث عنه. ولا تُفكّر في تلك المعلومات. وإن تذكرتها، حاول أن تستبدلها بغيرها.

📖 ولا تجعل معرفة الخطية تتحول من معرفة سطحية إلى معرفة عميقة. ولا تجعلها تتحول من معلومات إلى اختبار، إلى مذاقة، إلى قبول أو صراع معها.

📖 **أوقف هذه المعرفة عند حد، على قدر إمكانك.**

📖 واطلب من الله أن ينقي أفكارك، ويطهر عقلك الباطن وذاكرتك، من كل ما ترسب فيها وما تسجل فيها. واسرح في إكليل الرب الذي

سيهبه الرب لنا، في ذلك اليوم {٢ تي ٤: ٨}. حينما تنزع منا كل معرفة للخطية، ولا توجد خطية فيما بعد. وتصبح كل خبراتنا مع الخطية في هذا العالم، كأنها حلم مزعج قد استيقظنا منه في الأبدية، وقد نسيناه تمامًا. حقا ما أجمل هذا!

📖 ولكن مادامت النقاوة من معرفة الخطية، ليست في هذا العالم، فماذا نفعل؟ دربوا أنفسكم على حياة البساطة الروحية. لا تجعلوا عقلكم وحده هو الذي يعمل، في تعقيدات الفكر والجدل، إنما أضيفوا إليه بساطة الروح. ولتكن لكم العين البسيطة النيرة.

📖 ولا تختلطوا بالخطية، ولا بأفكارها وقصصها، حتى لا تتدنس أذهانكم بتذكار الشر المُلبِس الموت. واصبروا على النقاوة، مهما تأخر وصولها. واطلبوها كهبة من الله لكم. واجعلوا الشر دائما خارجكم، مهما كثرت حروبه. وليكن الرب معكم.

بللت فراشي بدموعي

تقال على نغمة ربي اجزبني

١- بللت فراشي	بدموعي المرة
وعاهدت إلهي	دي آخر مرة
٢- هاثبت في حبك	وأثبت كالصخرة
من كل قلبي قلبي	مش راجع تاني
٣- وجات على	الحرب قوية
رجعت تاني تاني	لعمق الخطية
٤- فبكيت من قلبي	بتوبة نقية
لكن لمدة لمدة	ورجعت تاني
٥- قوِّيت إرادتي	كتَّرت عهودي
من فرط غروري غروري	زوِّدت عهودي
٦- واثِق بعزيمتي	واثق بجهادي
خانتني نفسي نفسي	ورجعت تاني

٧- فصرت بشدة   وقلت إرحمني
أنا عارف ضعفي ضعفي   يا رب أعنّي
٨- القوة منَّك   من فوق مش منّي
طول ما أنت معايا معايا   مش هارجع تاني

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٢٦١ - ٢٦٤



الباب السادس

حفظ التوبة

١- امكانية الرجوع	٢- بدأوا بالروح وكملوا بالجسد	٣- الكنعانيون في الأرض
٤- لا تعرجوا بين الفرقتين	٥- الفصل بين النور والظلمة	٦- الاهتمام بالروح
٧- وسائل أخري	٨- بعض أسئلة عن التوبة	

🕮 {١} امكانية الرجوع:

🕮 سهل أن يتوب المرء يوما، إنما المهم أن يتوب باستمرار. أي أن يعيش في حياة التوبة، أو يعيش في التوبة حياته كلها، فلا يرجع مرة أخري إلى الخطية.

🕮 سهل جدا أن يدرب الإنسان نفسه، وينجح في تدريب روحي لمدة يوم، أو يومين، أو أسبوع. ولكن هل من الممكن أن يستمر في هذا التدريب الروحي مدى الحياة؟

🕮 **هكذا في التوبة، المهم فيها هو حفظها، أي استمرارها.**

🕮 لأنه ما أسهل الرجوع: إن الشيطان الذي يرقب حياة الإنسان، لا يستريح مطلقًا أن يفلت هذا الإنسان من يده بالتوبة. لذلك يحاول بكل الوسائل والحيل أن يرجعه عنها، ولو بعد فترة طويلة.

🕮 **وعصر القضاة مثال واضح جدًا لهذا الرجوع.**

📖 كانوا يسيرون في عبادة الأوثان، وفي نجاسات الأمم المختلطة بهم. وكان الرب يخلصهم بأحد القضاة يقيمه عليهم، فيتوبون. ولكن "عند موت القاضي، كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم، بالذهاب وراء آلهة أخري" {قض٢: ١٩}.
📖 وكانت فترات التوبة تستمر أحيانا عشرات السنوات، ثم يرجعون.
📖 نقرأ في سفر القضاة: "واستراحت الأرض ثمانين سنة. وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب، بعد موت أهود" {قض ٤: ١}.
📖 "واستراحت الأرض أربعين سنة. وعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب" {قض٥: ١، ٦: ١}.

📖 إنها قصة تكررت في حياة هذا الشعب، وفي حياة غيره.
📖 سواء من الشعوب، أو الأفراد. من قلوب غير ثابتة في محبة الرب، وغير جادة في حياة التوبة. لم تنته من حياة الخطية. تتركها ثم تعود إليها، حتى شبهها الرسول بتشبيه صعب: "كلب قد عاد إلى قيئه. وخنزيرة مغتسلة إلى مراغة الحمأة".
📖 وهكذا يقول بطرس الرسول "لأنه إذا كانوا بعدها هربوا من نجاسات العالم بمعرفة الرب، والمخلص يسوع المسيح، يرتبكون أيضاً فيها فينغلبون، فقد صارت لهم الأواخر أشر من الأوائل. لانه كان خيرا لهم لو لم يعرفوا طريق البر، من انهم بعدما عرفوا يرتدون عن الوصية المقدسة المسلمة لهم، قد اصابهم ما في المثل الصادق، كلب قد عاد الى قيئه، وخنزيرة مغتسلة الى مراغة الحماة" {٢بط٢: ٢٠-٢٢}.

📖 نعم كثيرون ساروا مع الرب مرحلة، ولم يكملوا الطريق.
📖 أما أنهم شعروا بصعوبة الطريق، فتركوه وتركوا الرب معه. ولم يقدروا أن يحملوا صليبهم حتى النهاية. أو أنهم خانوا الرب، إذ عادوا ففضلوا الخطية عليه.

📖 وهؤلاء انطبق عليهم ما قاله القديس بولس الرسول عن الغلاطيين الأغبياء "الْغَلاَطِيُّونَ الأَغْبِيَاءُ" {رسالة بولس الرسول إلى أهل غلا ٣: ١}. إنهم: بدأوا بالروح وكملوا بالجسد.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٢٦٦ - ٢٦٧

📖 {٢} بدأوا بالروح وكملوا بالجسد:

📖 وقد قدم لنا بولس الرسول مثالًا آخر هو ديماس: ديماس الذي كان أحد مساعدي القديس بولس في الخدمة والكرازة، أي كان أحد أعمدة الكنيسة. وقد قرنه الرسول مرة باسم لوقا الطبيب {كو٤: ١٤}، وصرح بأنه من العاملين معه "مرقس الرسول وارسترخس وديماس ولوقا" {غل٢٤}.

📖 ديماس الكارز هذا، انتهت قصته بعبارة مؤلمة قال فيها القديس بولس الرسول: "ديماس قد تركني، غذ أحب العالم الحاضر" {٢تي٤: ١٠}. إنه مؤلم حقًا أن تعود محبة العالم الحاضر، فتغزوا قلب كارز عظيم، من مساعدي بولس الرسول. إن كان الأمر هكذا؟، فليحترس كل أحد من العالم ومحبته، مهما تاب.

📖 والقديس بولس يذكر لنا أمثلة أخر يغير ديماس، انتهوا إلى نفس النهاية المؤلمة، قال عنهم لأهل فيلبي: "لأن كثيرين ممن كنت أذكرهم لكم مرارًا، وألان أذكرهم أيضاً باكيًا، وهم أعداء صليب المسيح {في: ١٨}. ويكمل كلامه عنهم فيقول "الذين نهايتهم الهلاك، الذين إلههم بطنهم، ومجدهم في خزيهم، الذين يفتكرون في الأرضيات" {في ٣: ١٩}!

📖 هؤلاء لم يكونوا مؤمنين عاديين، يكفي أن بولس الرسول كان يذكرهم في رسائله. والمؤلم أن يقول "لأن كثيرين" فهم إذن ليسوا واحدًا أو اثنين. والمؤلم أكثر قوله "نهايتهم الهلاك". ومادام الرجوع إلى حياة الخطية ممكنًا لمن لا يحترسون، فيسمحون لدخول محبة العالم إلى قلوبهم:

📖 إذن لا نفتخر إن تبت، وبدأت حياة روحية، المهم أن تكمل. تكمل السير في الطريق الروحي حتى نهاية الشوط، حتى نهاية أيام غربتك على الأرض. فقد قال الرسول "أنظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم" {عب١: ٧}. إذن المهم أن تستمر التوبة حتى نهاية السيرة. ولا يكون التائب، كالذين بدأوا بالروح وكملوا بالجسد.

📖 هل إن تبت، وسرت مع المسيح فترة روحية جميلة، ثم عدت إلى الخطية أتستطيع الأيام الروحية أن تخلصك؟! أم أن ما انتهيت إليه، هو الذي ستحاسب عليه.

📖 **إن شاول الملك من الأمثلة الواضحة.**

📖 مسحة صموئيل النبي ملكًا، وحل عليه روح الرب؟ وأعطاه الرب قلبًا آخر، وتنبأ حتى تعجب البعض قائلين "أشاول أيضاً بين الأنبياء؟" {١صم١٠: ٩-١١}. ومع كل هذا، عاد شاول فأخطأ، وكثرت أخطاؤه، ورفضه الرب. وقيل عنه "وذهب روح الرب من عند شاول، وبغته روح ردئ من قبل الرب" {١صم١٦: ١٤}. لقد بدأ مع الله، أو بدأ الله معه. ولكن شاول لم يكمل.

📖 وكذلك شعب إسرائيل الذي جاز البحر، وتبع الرب في البرية. تخلصوا من عبودية فرعون. وعاشوا تحت قيادة الله المباشرة، تظللهم السحابة نهارًا، ويديهم عمود النور ليلًا، وأكلوا المن والسلوى. وكانوا أول شعب أرسل له الله شريعة مكتوبة، وتعهدوا النور ليلًا، وأكلوا المن والسلوى.

📖 وكانوا أول شعب أرسل له الله شريعة مكتوبة، وتعدوا قائلين "كل ما تكلم به الرب نفعل، ونسمع له" {خر٢٤: ٧}. ومع ذلك عادوا وأخطأوا إلى الرب كثيرًا، وتذمروا، وعبدوا العجل الذهبي {خر٢}. وغضب الرب على ذلك الجيل المتذمر، ورفض إدخاله أرض الموعد، ومات كله في البرية.

📖 **هل تظنون أن كل الهالكين بدأوا طريقهم بالهلاك؟!**

📖 كلا طبعا، فالشيطان نفسه بدأ حياته كملاك طاهر منير، ولكنه لم يكمل. فكم بالأولى البشر الذين عرفوا الخطية فترة ثم تابوا. إذن لا يهمنا نقطه البدء، بل نهاية المطاف.

📖 **الهراطقة لم يبدأوا تاريخهم كهراطقة.**

📖 بل إن بعضهم بدأ بداية طيبة جدًا. وأوطاخي كان من أفضل رهبان القسطنطينية. كان إنسانًا روحيًا، ورئيس رهبنة. ولكنه لم يكمل، وانتهى إلى الهرطقة.

📖 وأريوس كان من أفضل، وأقوي كهنة الإسكندرية. ونسطور. كل هؤلاء إلى الضياع. وأوريجانوس كان أعظم عالم في عصره. وكان رجلًا زاهدًا. وقد تألم كثيرًا من أجل المسيح، ودافع عن الإيمان. وأخيرًا انطبقت عليه تلك العبارة الأليمة "أيها البرج العالي، كيف سقطت؟!" إذن فليحترس كل أحد.

📖 **وإن كنت قد تبت، فأسمعه هذه النصيحة:**

📖 لا يكفي الخروج من سدوم، بل أكمل إلى صوغر: لقد خرجت امرأة لوط من سدوم، وكانت يدها في يد الملاك. ولم تحترق مع المدينة المحترقة. ولكنها لم تكمل المسيرة مع الله، وإنما نظرت إلى الوراء {تك٢٩: ١٦}. وهلكت بهذه النظرة الواحدة. يا للرعب!

📖 **احترس إذن من النظر إلى الوراء.**

📖 لا تعد تفكر في العالم الذي تركته من أجل الرب. ولا تحاول أن تتذكر ملاذ الحياة التي تبت عنها. لا تنظر مطلقًا إلى الوراء، إنما "امتد إلى قادم". وحاول أن تنمو في توبتك لا أن ترجع إلى الخطية.

📖 **فالذي يرجع، يكون كمن يهدم كل ما بناه.**

🕮 أنا لا أريد أن أخيفك بقول الرسول "لأن أرضًا قد شربت المطر الآتي عليها مرارًا كثيرة، وأنتجت عشبًا صالحًا للذين فلحت من أجلهم، تنال بركة من الله. ولكن إن أخرجت شوكًا وحسكًا، فهي مرفوضة وقريبة من اللعنة التي نهايتها الحريق" {عب٦: ٧، ٨}.

🕮 ولا أريد أن أكرر ما قاله الرسول في نفس الرسالة "إن أخطأنا باختيارنا، بعدما أخذنا معرفة الحق، لا تبقي بعد ذبيحة عن الخطايا، بل قبول دينونة مخيف" {عب١٠: ٢٦، ٢٧}.

🕮 فلعل الرسول لا يقصد مجرد الخطية، فكل إنسان معرض لها، إنما يقصد حالة الاستمرار في الخطية. إنما كل ما أريد أن أقوله، هو أن تحترس في توبتك.

🕮 **إن تبت، لا تغير بنفسك. لا تستكبر بل خف {رو١١: ٢٠}.**

🕮 لا تظن أن التوبة أعطتك حالة عصمة. فليس أحد بلا خطية سوي الله وحده {متى١٩: ١٧}. وما أسهل أن يحاربك العدو ليسقطك. لذلك تمسك بالرب، ولينسحق قلبك قدامه ليعطيك حياة النصرة الدائمة. واذكر قول القديس بولس الرسول: "تمموا خلاصكم بخوف ورعدة" {في٢: ١٢}.

🕮 ويطابق هذا أيضاً ما قاله القديس بطرس الرسول: "سيروا زمان غربتكم بخوف" {١بط١: ١٨}. وليس المقصود بهذا الخوف معنى الرعب. كلا، بل المقصود به هو الحرص والحيطة، والتدقيق في الحياة الروحية، والبعد عن الغرور الذي يظن فيه التائب إنه قد تخلص من الخطية إلى الأبد، وقد ارتفع فوق مستواها!!

🕮 **في هذا الخوف أو الحرص، لون من التواضع.**

🕮 وكثيرون خلصوا بهذا التواضع. الذي فيه يشعر الإنسان بضعفه، بأنه لا يزال تحت الزلل، ويحتاج إلى حرص حتى من أبسط الخطايا. فالذي يشعر بضعفه، تحيط به قوة الله لتعينه وتخلصه.

📖 وما أجمل تواضع القديس بولس الرسول في قوله: "أقمع جسدي واستعبده، حتى بعد ما كرزت للآخرين، لا أصير أنا نفسي مرفوضًا" {١كو ٩: ٢٧}. فإن كان بولس الرسول يقول هذا عن نفسه، فماذا نقول نحن عن أنفسنا، ونحن أدرى الناس بضعفنا؟ وإن كان الرسول يقول "أقمع جسدي واستعبده". إلا يعطينا بهذا درسا في استمرار الحرص مدى الحياة؟

📖 **الحرص يدل على أن التائب جاد في توبته.**

📖 ويدل على أنه صادق في مواعيده التي وعد بها الله لما بدأ توبته. فكن حريصا باستمرار "أذكر من أين سقطت وتب" {رؤ ٢: ٤}. ابحث عن أسباب الخطية التي أسقطت فيها قبلا، وابعد عنها بكل قوتك.

📖 ومن الأفضل أن نفرد لهذه النقطة موضوعًا خاصًا وهو: الكنعانيون في الأرض.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٢٦٧ - ٢٧١

📖 {٣} الكنعانيون في الأرض:

📖 كثيرون بعد أن تابوا رجعوا إلى خطاياهم. وكان السبب هو أنهم:

📖 تركوا أسباب الخطية قائمة كما هي، وتركوا أبواب الخطية مفتوحة.

📖 لذلك عادت إليهم الخطية، وأعادوا هم إليها، لأن مصدر الخطية مازال موجودًا كما هو. هذا يذكرنا بقصة الكنعانيين في الأرض.

📖 فما هي هذه القصة وما مغزاها؟ الكنعانيون هم بعض الأمم الذين كانوا يعبدون الأصنام. وقد صدر الأمر بإخراجهم من الأرض حتى لا يصبحوا عثرة لجذب شعب الله إلى عباداتهم وعثراتهم.

📖 وكان الكنعانيون أقوياء جدًا. والذي حدث أن يشوع لم يطردهم من بعض المناطق، وبقوا عبيداً تحت الجزية {يش ١٦: ١٠}.

وازدادت شوكتهم. وكان شعب الله إذا اشتدوا "جعلوهم تحت الجزية، ولم يطردوهم طردا" {يش ١٧: ١٣}. وتكررت نفس العبارة في سفر القضاة أيضاً {قض ١: ٢٨}.

📖 فسكن الكنعانيون في الأرض {قض ١: ٢٧، ٣٠، ٣٢، ٣٣}. وصار الكنعانيون شركا لشعب الله ومضايقين له {قض ٢: ٣}. فاختلطوا بهم، وتزاوجوا معهم، وعبدوا آلهتهم {قض ٣: ٥-٧}.

📖 وأصبح الكنعانيون هنا رمزًا لبقايا الشر الموجودة في الأرض، التي لم تنزع من جذورها، فصارت سببا لنسيان الله، والبعد عنه، والرجوع إلى خطية مرة أخري.

📖 هنا ونسألك: حينما تبت، وسمح لك الله أن تأكل في حياتك الجيدة لبنا وعسلا، هل استبقيت بعضا من الكنعانيين في الأرض، ولو كعبيد يخدمونك وهم تحت الحرية. تظنهم خاضعين لك، بينما ينتهي الأمر أن تقع في نجاساتهم، وتعبد عباداتهم!!

📖 **هل استبقيت بعضا من طباعك القديمة، وأنت في حياة التوبة؟**

📖 أقول هذا، لأننا في بعض الأحيان، نجد خداما في الكنيسة، وربما مكرسين للخدمة، وطبعا هؤلاء يرون أنفسهم أنهم ليسوا فقط في حياة التوبة، بل ربما بالأكثر في حياة البر، ومع ذلك لهم طباع تشبه أهل العالم تماما! أخلاقهم علمانية وليست روحية! فكيف حدث ذلك؟ وكيف جمعوا بين الخدمة وهذه الطباع معا؟ فلنضرب لذلك أمثلة:

📖 ١- إنسان قبل أن يعرف المسيح كان غضوبا. ثم تاب. ولكنه استبقى معه الغضب! قبل أن يتوب، وقبل أن يدخل في حياة لخدمة، كان يغضب، ويحتد، ويعلو صوته، ويشتم، ويتشاجر. ثم تاب، استبقى الكنعانيين في الأرض. ترك معه هذه الطباع كما هي وتراه في الخدمة، وعلم الرغم من مسئولياته الكثيرة فيها، يثور ويضج ويحتد، ويأمر وينهى بصوت عال، ويشعل الجو نار.

📖 وتعاتبه على غضبه، فيقول لك إنه الغضب المقدس! أنا اغضب من أجل الله وحقوقه! وأثور من أجل إصلاح الأوضاع الخاطئة. من أجل الوصية. من أجل أن أعلمهم ماذا ينبغي أن يكون!

📖 **وفى الحقيقة إنه يثور، لأنه عاجز عن مقاومة الغضب داخله.**

📖 وفى الحقيقة ليس هذا غضبا مقدسا، لأنه ضد الوصية التي تقول "المحبة تتأنى وتترفق ولا تحتد" {١كو ١٣: ٤، ٥}. وضد الوصية التي تقول "غضب الإنسان لا يصنع بر الله" {يع ١: ٢٠}. وأيضاً ضد الوصية التي تقول "ليرفع من بينكم كل مرارة، وسخط، وغضب، وصياح. وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض" {أف ٤: ٣١، ٣٢}.

📖 **والغضب المقدس يجب أن يكون مقدسا في وسيلته أيضاً.**

📖 وليس فقط في هدفه وغرضه. فالذي يثور بهذا الشكل يدل على أن أعصابه ليست سليمة، ويعطي قدوة سيئة ومظهرًا غير مشرف للخدمة، ويدل على عدم نقاوة في الأسلوب، وفي طريقة التعامل.

📖 وكل ما في الأمر أن هذا الشخص استبقى معه بعض طباع رديئة، وأراد أن يسبغ عليها صورة مقدسة، ويستخدمها بنفس أخطائها داخل الكنيسة. وأصبحت توبته وخدمته معثرة، وهي كمن يضع رقعة جديدة على ثوبه العتيق {متى ٩: ١٦}. وكان الأولى به أن يترك كل الغضب القديم بكل صوره.

📖 وهنا يسأل: وهل لا أدافع عن الحق؟ فنجيبه: إذا أراد الله أن يعطيك غضبًا مقدسًا للدفاع عن الحق، فسيكون غضبا آخر مختلفا في الجوهر، والصورة، والأداء، والتعبير. سيكون غضبا روحيا، غير غضبك العلماني هذا. تغضب فيه ولا تخطئ {مز ٤}.

📖 لقد دافعت أبيجايل عن الحق لما كلمت داود، ولكن في أسلوب رقيق ومؤدب وحكيم {١صم ٢٥}. والسيد المسيح كشف للمرأة السامرية أخطاءها، ولكن بأسلوب روحي غير جارح {يو ٤}.

📖 وأولاد الله دائما يعبرون عن احتجاجهم على الخطأ بطريقة روحية ليس فيها صخب، ولا ضوضاء، ولا نرفزة، كل هذه الأمور التي من بقايا الكنعانيين في الأرض.

📖 **المشكلة هنا، هي أن المقاييس الروحية غير سليمة.**

📖 عن المقاييس التي تجيز هذا الغضب الخاطئ، وتعتبره مقدسًا من أجل الله، لا شك أنها مقاييس غير سليمة، أو هي مجرد تبرير لوجود خطية قديمة لم يتطهر منها القلب بعد، ولا تتفق مع حياة التوبة، ولا مع ما يليق بالتوبة من تواضع وانسحاق. ويمكن أن تتطور حتى تتلف روحيات الإنسان كلها، وكأنه لم يتب.

📖 **٢- مثال آخر هو الخلط بين الشتيمة والتوبيخ الروحي.**

📖 نفس الوضع. إنسان كان شتّامًا قبل التوبة. ثم تاب، أو ظن أنه تاب، بينما استبقى بعض أخطائه القديمة. ومن ضمنها الشتيمة وبعض الألفاظ الجارحة. واعتبر إنها نافعة له يمكن أن يستخدمها في توبيخ الخطاة.

📖 ومع نسيانه أن التائب ليس له أن يوبخ إلا نفسه، وليس له أن ينسى خطاياه، لكي يهتم بخطايا غيره، ويبكته عليها. إلا أنه مازال يتمسك بقول بولس الرسول "وبخ، انتهر، عظ" {٢تى ٤: ٢}.

📖 وينسى ما هي الطريقة الروحية للانتهار..

📖 عن القديس بولس الذي قال هذه النصيحة لتلميذه السقف تيموثاوس، هو نفسه الذي قال لكهنة أفسس "ثلاث سنين ونهارًا، ولم أفتر عن أن أنذر بدموع كل واحد" {أع ٢٠: ٣١}. فهل أنت تنذر الناس في حب ودموع، أم في كبرياء وتسلط وفي احتقار لهم ولمشاعرهم؟!

📖 **إن التائب لا ينتهر أحدا. وإن انتهر، لا ينسى روح الوداعة.**

📖 تلك التي قال عنها الرسول "أَيُّهَا الإِخْوَةُ، إِنِ انْسَبَقَ إِنْسَانٌ فَأُخِذَ فِي

زَلَّةٍ مَا، فَأَصْلِحُوا أَنْتُمُ الرُّوحَانِيِّينَ مِثْلَ هذَا بِرُوحِ الْوَدَاعَةِ، نَاظِرًا إِلَى نَفْسِكَ لِئَلاَّ تُجَرَّبَ أَنْتَ أيضاً" {رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ٦: ١}. نعم، فنحن كلنا تحت الزلل.

📖 والتائب المتذكر لخطاياه، إن تعرض لإصلاح أحد، لا ينسى مطلقا أن أخطأ مثل هذا الإنسان قبلا فإن نسى، يعرض نفسه لفقدان توبته، وتدخله روح الكبرياء. أما الذي في انتهار يتطاول، ويشتم غيره، فهذا لم يتب حتى الآن، وعليه أن يتذكر قول الرسول: "لا شتّامون. يرثون ملكوت الله" {١كو ٦: ١٠}.

📖 الذي يستبقى الشتيمة في طباعه، إنما يستبقى الكنعانيين في الأرض لإتلافها. والشتيمة لا يليق استعمالها في الخدمة، لأن وسائل الخدمة ينبغي أن تكون طاهرة.

📖 لا يليق بالتائب أن يغطى خطاياه بآيات يسئ فهمها.

📖 أو يسئ استخدامها قصدًا. الفضل أن يعترف أن بعض ضعفاته مازالت موجودة لم يتخلص منها بعد، مثل الغضب، والنرفزة، وحدة الطبع، والشتيمة. وقد حملها معه في حياته الجديدة تعكر هذه الحياة، وتمنعه من حفظ التوبة. لا تقل "الروح القدس يبكت الناس على لساني". فالروح القدس له أسلوبه الخاص، وألفاظه النقية.

📖 هناك إنسان آخر يظن أنه تاب، بينما يكون قد استبقى خطية أخري: يكون قد استبقى في توبته ما في طبعه من عناد.

📖 ٣- يكون قد استبقى في توبته ما في طبعه من عناد.

📖 والعناد يرتبط دائما بالكبرياء. فهو نتيجة للثقة الخاطئة بالنفس، والتشبث بالرأي الخاص، واحتقار أراء الآخرين، وعدم المبالاة بنتائج صلابة رأيه.

📖 وقد يكون هذا العناد، وهذه الصلابة في محيط الكنيسة، والخدمة، ومدارس الأحد، ويقول الجميع "فلان من الصعب التفاهم معه".

🕮 ومع ذلك فهو ليس مجرد تائب، إنما هو خادم، وربما مسئول كبير في الخدمة، ونشيط، ويعظ، ويتكلم في الروحيات، واللاهوتيات، والعقيدة، وقصص القديسين. له معلومات. ولكن الكنعانيين لا يزالون في الأرض. ويحاول أن يسمى عناده باسم الدفاع عن الحق.

🕮 بينما الحق يدعوه أن يكون متواضعًا، ومتفاهمًا، ومحترمًا لآراء غيره. ولكنها ثياب الحملان تلبسها بعض الخطايا. وحقيقة الأمر أن {الذات} ما تزال قائمة. وهذا الإنسان ربما يكون في توبته قد تخلص من خطايا كثيرة ولكنه.

🕮 **ولكنه لم يتخلص من [الذات]، حملها معه في توبته.**

🕮 وما أكثر الذين يفشلون في توبتهم بسبب {الذات}، وربما تسقطهم في عديد من الخطايا، وتُرجِعهم إلى حالة ما قبل التوبة. ولكن كثيرين من الذين تابوا، لا يحسّون بحرب الذات هذه، وربما لا يرون أنها أكبر خطاياهم.

🕮 **٤- وهناك مَنْ يتوب، ويستبقي خطية الإدانة والانتقاد:**

🕮 إنسانًا كان واقعًا في هذه الخطية إلى حد بعيد، ثم دخل في حياة التوبة. وشغلته إلى حين الخطايا الكبيرة التي تركها. ثم ما لبثت خطية الإدانة التي كانت عنده أن ظهرت مرة أخري.

🕮 والعجيب أن هذا الإنسان كلما يحس أنه نما في التوبة، واقترب إلى الله، وبعد عن الخطية، على هذا القدر تزداد خطية الإدانة ظهورا في حياته. وأصبح ينتقد كل شيء، وكل أحد، ولا يعجبه شيء!

🕮 البصيرة الروحية التي وهبت له في التوبة، صار يوجهها إلى أعمال غيره، وليس إلى أعماله! والمثالية التي أحبها في التوبة، أصبح يقيس بها تصرفات الناس وليس تصرفاته هو! وإذا به ينتقد الكل. المسألة في واقعها ليست حرصا على المثالية، إنما هي عدم قدرة على ترك خطية الإدانة والانتقاد، التي تركها معه من ماضية،

وإذا بالكنعانيين لا يزالون في الأرض.

📖 **وهذه الروح تدخل حتى في الخدمة والتعليم.**

📖 ففرع من فروع الخدمة، يرفض المنهج العام، ويظل ينتقد: هذا المنهج فيه أخطاء كذا وكذا، وينقصه كذا وكذا، وينقصه كذا وكذا. ومنهج فرعنا أفضل!

📖 ويتحول هذا الفرع إلى "قطاع خاص" في محيط الخدمة، ولا تهمه وحدة التعليم في الكنيسة. الذات لا تزال باقية. لم تمت حين بدأت التوبة، وروح الانتقاد تجعل جماعات منغلقة على نفسها.

📖 كأنها جزائر داخل الكنيسة، لا تتصل بأرض أخري. وقد تخرج منها سفن إلى هذه الأرض، أو تلك سفن من أراض أخري. ومع ذلك هي جزائر قائمة بنفسها، داخل الذات، التي ظلت باقية بعد التوبة.

📖 ولا تكفى بهذه الانفرادية ن وإنما تنتقد كل وضع آخر، بكل عنف. فإن سألت واحدًا منهم "لماذا كل هذا؟ "يجيبك بعبارة أرميا النبي" "ليت عيني ينبوع دموع، فأبكي نهارًا وليلًا قَتْلى بنت شعبي" {أر ٩: ١}. يا أخي ابك على خطاياك، قبل أن تبكى على الشعب. ولكن هذا النوع للأسف، لا يرى له خطايا تحتاج إلى بكا!

📖 انه بعد أن بدأ التوبة، لم يعد مشغولًا إلا بخطاياه غيره، ولذلك يحيا باستمرار في جو مشبع بالإدانة، والانتقاد للآخرين، في غير رأفة.

📖 أما من جهته هو، فيضع نفسه تحت عبارة "لا تحتاجون إلى توبة" {لو ١٥: ٧}. لذلك يعيش في منهج الفريسي لا العشار {لو ١٨: ٩ - ١٤}.. الفريسي الذي يصوم، ويعشر أمواله، وليس هو من الظالمين الخاطفين الزناة. ولكنه يستبقى الكنعانيين في الأرض.

📖 **٥- وقد يتوب الإنسان، ولكنه يستبقى في طباعه: الكسل.**

📖 ربما يكون إنسانًا كسولًا ويتوب. ولكنه يترك خطاياه الأخرى، ويحتفظ بالكسل. فترى هذا الكسل واضحًا في خدمته، في عبادته، في

تداريبه، في قراءاته، في حضوره للاجتماعات، في مواظبته على الاعتراف. وإن سأله أحد كيف يسمح لنفسه بالبقاء في هذا الكسل؟ يجيب "يكفيني إني أحب يسوع"!

📖 وتتعجب، هل محبته لرب المجد سببًا لكسله؟ هوذا الرسول يدعونا أن نكون "حارين في الروح. غير متكاسلين في الاجتهاد. مواظبين على الصلاة" {رو ١٢: ١١، ١٢}.

📖 ولكن يبدو أن محاولات تغطية الخطايا تكاد تصبح عادة عند البعض. أما الإدعاء "بكفاية محبة الرب، فالرد عليها بسيط وهو أن الرب نفسه قال: "من يحبني يحفظ وصاياي" {يو ١٥: ١٠} فأين حِفْظ الوصايا بالنسبة إلى هذا الكسل؟!

📖 **٦- وربما إنسان يتوب، ويستبقى معه خطية {التحاليل}.**

📖 قبل أن يتوب، كان له هذا الطبع. يعرف أن يصل إلى غرضه بالأساليب الملتوية، باللف والدوران، بالحيل البشرية، بالدهاء، بطرقه الخاصة.. وبعد أن تاب، استبقى هذا الطبع معه. وصار يلجأ إليه أحيانًا، كما لجأ يعقوب إلى خديعة أبيه لأخذ البركة!!

📖 ربما تقع الكنيسة في مشكلة، أو تقع الخدمة في مشكلة. ويحتار الكل كيف يكون حل الموضوع، فيتدخل هذا الإنسان ويقول "اتركوا لي هذا الموضوع لأحله".. وكيف تحله؟ "أحله بطرقي الخاصة.. أنا أعرف هذه اللعبة جيدًا". طبعا يعرفها لأنه كان يلعبها من قبل، قبل أن يتوب. ولا مانع من أن يلعبها الآن.

📖 ويتساءل البعض كيف أتى بذلك الحل؟ والجواب واضح. من الكنعانيين الذين لا يزالون في الأرض، يعطونه المشورة {الطيبة}!

📖 وتشعر في حله للمشكلة أنه لم يتب بعد.

📖 ومع ذلك ضميره لا يتعبه! قديما كان يلجأ إلى اللف والدوران، وإلى الطرق الملتوية من أجل أمور العالم. أما الآن فيلجأ إلى كل هذا من أجل الله!! لا داعي إذن لأن يوبخه ضميره! وهكذا ينحدر

خارج التوبة. ولا يشعر في توبته أنه قد تغير الشخصية القديمة مازالت كما لم تغير أساليبها. وبنفس الوضع ينحدر إلى ما هو أسوأ.

🕮 ويبقى معه الاعتماد على الذراع البشري، حتى في توبته.

🕮 ويؤثر هذا المر على روحياته كلها، وقد ينتهي إلى فشله في حياة التوبة. ولكن ما كان يتنبه إلى هذه النقطة، إذ كان يظن أن التوبة هي مجرد ترك الخطايا {الكبار} أمثال الزنا، والسرقة السكر والقمار. الخ.

🕮 ٧- وربما شخص يكون قد {تاب} ولكنه استبقى تبرير الذات.

🕮 اعتبر أن الدفاع عن النفس شيء عادي. ولكنه صار يدافع عن نفسه في كل شيء، كأنه لا يخطئ في شيء، حتى ابعد عنه كل ذي نصيحة أو عتاب. وربما عن طريق تبرير الذات يقع في أخطاء لا تُحْصَى، مهما وصل إلى درجات في الخدمة. وهناك نوع آخر غير كل هؤلاء. كان مُحارَبًا بالكآبة.

🕮 ٨- ويتوب هذا الإنسان، يستبقى الكآبة وباقي حروبها.

🕮 وإذا بك تجده يتعب في حياته الروحية بسبب أية مشكلة، وينهار، ويضطرب، ويفقد سلامه. ويقول: لا فائدة مني. لقد يئست. لقد تعقدت من الموضوع الفلاني".

🕮 إن الكآبة حرب من الشيطان، أو تعب في الأعصاب. وليست هي صفة من صفات أولاد الله، لأن من ثمار الروح: فرح وسلام {غل ٥: ٢٢}. وممكن بهذه الكآبة ينحرف الإنسان عن طريقه الروحي، ويضل الطريق عن الله.

🕮 إذن علينا أن نفحص أنفسنا جيدًا، لنرى ما الذي قد استبقيناه من حياتنا الأولى قبل التوبة، لنتخلص منه لئلا نظن أننا قد دخلنا كنعان فعلًا، بينما نكون لا نزال تائهين في البرية.

🕮 والذي يطهر نفسه من كل رواسب الحياة القديمة، يمكنه أن يشق

طريقه إلى الله بسهولة، ولا ينتكس في توبته. وبالذات بالنسبة إلى الخطايا التي قد تأخذ صورة غير صورتها.

📖 ٩- **مثال حب المال أو حب القنية.**

📖 وقد يقول شخص: ولكن هذا الأمر واضح. كيف يمكن أن ينخدع به إنسان في التوبة؟ أقول لكم تتم الخدعة: إنسان كان يحب المال، أو كان بخيلا لا يحب أن يصرف مما معه. ثم تاب، أو ظن أنه تاب. وعاش في الحياة الجديدة مع الله. وربما صار خادمًا معروفًا، أو راهبًا في دير. ثم تجد هذه الخطية القديمة تأخذ مظهرا كنسيًا.

📖 يرجع حب المال، ولكن من أجل الكنيسة، من أجل الدير!

📖 ويكون ذلك بأسلوب قد لا مطلقًا مع حياة التوبة، أو مع الروحيات عموما. وقد يعتذر بقوله: "أنا لا آخذ لنفسي شيئًا. أنا أجمع لله! هذا حق، ولكنه يجمع بطريقة علمانية غير روحية، لا تتفق مع عدم محبة المال، ولا مع النسك والزهد!

📖 وقد ترى عجبًا من بعض المسئولين عن مال الكنائس والجمعيات. وتسأل أين حياة التوبة؟ ولكن أمثال هؤلاء قد استبقوا بعض الكنعانيين في الأرض.

📖 وينطبق على هذا، الكنائس الغنية التي لا تساعد الكنائس الفقيرة. أليس المال كله هو مال الله. سواء عند الله تم الصرف على هذه الكنيسة، أو تلك. ولكن محبة المال تدعو إلى جمعه هنا، وليس هناك. وما أكثر أمناء الصندوق.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٢٧١ - ٢٧٨

📖 **{٤} لا تعرجوا بين الفرقتين:**

📖 قال إيليا النبي الشعب "حتى متى تعرجون بين الفرقتين؟ إن كان الرب هو الله فاتبعوه. وإن كان البعل فاتبعوه" {١مل ١٨: ٢١}. التعريج بين الفرقتين، يدل على أن القلب غير ثابت في محبة الله، وعلى

أن التوبة غير صادقة، أو غير كاملة.

📖 إن وصلت التوبة إلى كمالها، لا يعرج الإنسان بين الفرقتين، بين الله والعالم، أما إن بدت نظراته تهتز بين هنا وهناك، فإن هذا يدل على أنه بدأ يعاود النظر في التوبة. فمتى يحدث هذا؟ يحدث أحيانًا إن الإنسان يقدم الإرادة لله، من أجل الطاعة. ولكنه لا يقدم القلب، كل القلب. يسلم يده للملاك ليقوده خارج سدوم، وقلبه لا يزال داخلها.

📖 **قد تكون توبته مجرد محاولة لإرضاء الله، وليست محبة للبر.**

📖 أو ربما يكون قد ترك الخطية من أجل مخافة الله فقط. لأجل خوف العقوبة لمجرد الحرص على أبديته، دون أن تكون محبة الله، أو محبة البر ثابتة في قلبه. لذلك فإن أية هزة تتعبه من العدو، أما أن ترجعه إلى الخطية، أو تميل قلبه.

📖 **ويحدث هذا أيضاً إن كان هدف التوبة غير سليم.**

📖 حنانيا وسفيرا باعا ممتلكاتهما وقدما الثمن للرسل، ليس زهدا في المال وحبا لله، إنما لكي يجاريا الجو الروحي السائد في العصر الرسولي، ومجرد مجاراة، مع عدم إيمان قلبي بتفاهة المال. لذلك لم يقدما المال كله، وإنما احتجزا منه جزءا، لأن محبة العالم كانت لا تزال داخل القلب {أع ٥}.

📖 فهل أنت كذلك؟ هل دخلت التوبة مجاراة للجو الروحي؟ أقصد لمجرد المجاراة، أو التقليد، دون أن يتطهر القلب في الداخل من محبة الخطية، ودون أن تقتنع تماما بدنس الخطية وبشاعتها!

📖 **عن التوبة بسبب المجاراة، قد تدعو إلى التعريج بين الفرقتين.**

📖 إن راحيل تركت بيت أبيها لابان، وذهبت مع يعقوب، ربما محبة ليعقوب، ومجاراة له في ترك ذلك الوسط المتعب. ولكن الهدف الأساسي الذي هو ترك مكان تعبد فيه الأصنام، لم يكن موجودا.

ولهذا أمكن أن تخرج راحيل من بيت لابان، وتأخذ معها أصنام أبيها لابان! وهكذا كانت تعرج بين الفرقتين {تك ٣١: ٣٤}.

📖 وأنت: هل دخلت الحياة الجديدة محبة لشخص كيعقوب أم محبة لله؟ ربما محبة شخص روحي، تقود إلى الطريق الروحي. ولكن هذه ينبغي أن تكون نقطة البدء فقط، وتتحول إلى محبة الله. لأنه لو بقى هذا الدافع وحده، بقيت الحياة الروحية معلقة بمحبة هذا الشخص الروحي. وأصبح التائب عرضة للرجوع.

📖 بنو إسرائيل تركوا مصر تابعين موسى. ولكنهم ما كانوا قد كونوا علاقة ثابتة مع الله. لذلك تقلقوا ورجعوا. مجرد أن غاب موسى عنهم أربعين يوما، حينما كان مع الله على الجبل، جعل هذا الشعب يعيدون التفكير في علاقتهم مع الله، وانتهوا إلى عبادة عجل ذهبي {خر ٣٢}.

📖 بل إن أية ضيقات كانت تحدث لهم في البرية ن كانت تدعوهم إلى التذمر، وإلى اشتهاء العودة مرة أخري على مصر. اشتهاء اللحم والبطيخ والكرات {عدد ١١: ٤، ٥}

📖 **إذن لا بد من تكوين علاقة ثابتة مع الله، خوف من الانتكاس.**

📖 نقطة البدء في التوبة، لا يصح أن تبقى حيث هي. إنما ينبغي أن ينمو التائب في روحياته، ودوافعه، وعلاقته مع الله، حتى لا يعود القلب فيشتاق الحياة السابقة في الخطية.

📖 وكلما كانت العلاقة ثابتة مع الله، لا يتعرض التائب إلى مشاعر التعريج بين الفرقتين، وشهوات الرجوع إلى الخطية. وما أسهل أن يحارب بالجمع بين الامرين معا: الله والعالم! على الرغم من صراحة قول الكتاب "محبة العالم عداوة لله" {يع ٤: ٤}.

📖 شمشون حاول أن يجمع بين كونه نذير الرب، وصديقا لدليلة في نفس الوقت، ففشل وفقد نذره. لوط حاول أن يجمع بين محبة الأرض المعشبة الخاطئة، وكونه رجل الله، ففقد كل ما كان له في سدوم. حقًا إنه لا شركة بين النور والظلمة {٢كو ٦: ١٤}.

📖 كذلك ملاك كنيسة ساردس حاول أن يجمع بين الخدمة والإهمال. وملاك كنيسة لاودكية حاول أن يجمع بين الخدمة والفتور. وكل منهما أرسل إليه إليه إنذار من الله {رؤ ٣: ٣، ١٦}. عجيب إن شاول الملك أراد اللجوء إلى العرافة، وإلى صموئيل النبي، في نفس الوقت {١صم ٢٨: ١١}!

📖 على التائب أن يكون دقيقا في البعد عن العالميات.

📖 فقد قال الرب في وضوح إنه لا يستطيع أحد أن يخدم سيدين {لو ١٦: ١٣}. وفي البعد عن العالميات، اتقاء للتأثير المضاد الذي يجذب الإنسان بعيدا عن التوبة. حقا إنه تاب. ولكن العالميات لا تزال لها حروبها وضغطاتها، وليس الإنسان معصوما في التعامل معها. لذلك يجب الحرص والدقة.

📖 وقد يحاربه العدو بما يسمونه "الطريق الوسطى".

📖 ومعروف المثل القائل "الطريق الوسطى خلصت كثيرين". ويستخدمه بعض الآباء الروحيين في نصح الذي يندفع في تطرف روحي قد يتعبه. ولكننا نقول إن البعد عن التطرف، ليس معناه البعد عن التدقيق. فالذي يبعد عن التدقيق إنما يحاول الوصول إلى الله من الباب الواسع، والطريق الرحب. وهذا ضد الوصية {متى٧: ١٣}.

📖 كل ما نخشاه في هذا الأمر أن التائب يتعود التساهل في حياته. وهذا التساهل يحدره إلى أسفل، حتى يفقد حرارة التوبة، ثم يفقد التوبة ذاتها ويخطئ.

📖 وقد يحارب التائب أيضاً بشكلية العبادة، وشكلية الروحيات.

📖 إنسان تائب تدفعه حرارة التوبة إلى النمو في العبادة. وقد يأخذ هذا النمو مقياس الطول، وليس مقياس العمق. فيكثر من الصلوات، ولو بغير روح. ويكثر من القراءات، ولو بغير فهم. ويكثر

من التناول، ولو بغير استعداد. ويكثر من إرهاق الجسد، ولو بغير فائدة. وشيئًا فشيًا قد يتحول إلى شكلية العبادة. وهذه الشكلية لا تنفعه، وقد يشعر بهذا فيتركها، ثم يسأم الحياة الروحية، فيشتاق إلى حياته الأولي! والتائب هنا يحتاج على قيادة، وإلى إرشاد روحي.

📖 لكي يعرف ما هي روحانية العبادة، وكيف يسلك فيها؟ وكيف أن الله كان يرفض العبادة الشكلية والمظهرية. وأنه يريد القلب أولًا. وكل صور العبادة من صلاة، وتأمل، وقراءة، وصوم، تناول، واعتراف، ينبغي أن تكون صادرة من قلب محب الله، وينبغي أن تمارس بفهم، وبعمق روحي، وبحب نحو الله. وتكون صادرة من القلب. وليضع التائب أمامه توبيخ الرب للعبادة والخاطئة بقوله "هذا الشعب يعبدني بشفتيه، أما قلبه فمبتعد عنى بعيدا" {متى ١٥: ٨}.

📖 **إن مظهرية الحياة الروحية، تبعد عن حياة التوبة.**

📖 فالروحيات ليست مظاهر وشكليات. وهذه لا تدل على علاقة مع الله. وقد وبخ الرب الكتبة والفريسيين، على الرغم من تدقيقهم الشديد في حفظ الوصايا، تدقيقًا وصل بهم إلى الحرفية والبعد عن الروح! ولم يقبله الله منهم، وقال لهم إنهم يهتمون بتنظيف خارج الكأس فقط.. ويقينا لم يكن الكتبة والفريسيون تائبين. على الرغم من كل ما كانوا يفتخرون به من دقة في تنفيذ الناموس، كانوا بعيدين عن التوبة. فلا تكن في توبتك حرفيًا، ولا تهتم بالمظهرية.

📖 لأنك إن فعلت هذا سترتد ونفقد توبتك. إنما اهتم بالروح قبل كل شيء. اهتم بمحبة الله. ولتكن كل روحياتك صادرة عن هذه المحبة. بهذا تحفظ توبتك. وبهذا تضمن انك سوف لا تعرج بين الفرقتين.

📖 إن بلعام كان يهمه أن يكون مظهره من الخارج سليما، لا تمسك عليه خطية، ولا كلمة خاطئة، بينما قلبه من الداخل لم يكن مع الله {عدد ٢٤، ٢٥، يه ١١}. كان يريد أن يتمتع بالخطية، دون أن يظهر بمظهر الخطية. ولكن الله هو فاحص القلوب.

📖 قلب بلعام لم يكن سليمًا أمام الله. كان يعرج بين الفرقتين. يحب أموال بالاق ويريد أن يرضيه. وفي نفس الوقت لا يقول بلسانه كلمة تُغضِب الرب. وهلك بلعام.

📖 **إن الذي يعرج ين الفرقتين، قد يصل إلى هذا الوضع:**

📖 قد يرتكب الخطية، إن وجد بابًا للهروب من مسئوليتها. الذي تشغله هي المسئولية، وليست نقاوة القلب، وليست محبة الله. لذلك هو يعبد عن حياة التوبة. فلا تكن أنت كذلك. ليكن قلبك ثابتًا في محبة الله، لا يعرج على طريق الخطية. ولكي يكون قلبك ثابتًا في محبة الله، اهتم بغذاء روحك.

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٢٧٩ ـ ٢٨٢

📖 {٥} الفصل بين النور والظلمة:

📖 إن كنت قد تبت، ودخل نور الله إلى قلبك: فلكي تحتفظ بتوبتك، افصل نفسك عن كل أعمال الظلمة. إنها قاعدة وضعها الله لنا منذ البدء، يرويها سفر التكوين بقوله "ورأى الله النور أنه حسن. وفصل الله بين النور والظلمة" {تك ١: ٤}.

📖 وتستمر القاعدة في العهد الجديد إذ يقول "أية شركة للنور مع الظلمة؟!" {٢كو ٦: ١٤}. لا يمكن أن يجمع إنسان روحي بين الاثنين في حياته. لذلك فكل من يسير في طريق الله: لا بُد أن يفصل ذاته عن كل أسباب الخطية والعثرة.

📖 فهكذا أراد الله منذ بدء الخليقة. ولكن القاعدة كسرت فسببت الخطية. أول كسر لهذه القاعدة كان عندما جلست حواء مع الحية {تك ٣}، ورأينا كيف طغت الظلمة على النور.

📖 ويحدثنا الكتاب عن كسر آخر خطير لهذه القاعدة، حينما يروى قبيل الطوفان أن "أولاد الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا" {تك ٦: ٢}. وكانت النتيجة أن

شر الإنسان قد كثر، واضطر الله إلى تطهير الأرض من الفساد بالطوفان. إذ أن الظلمة للمرة الثانية طغت على النور.

📖 **وعاد الله ففصل بين النور والظلمة، بواسطة الفلك.**

📖 اختار جماعة مقدسة هي نوح وأسرته، وفصلهم عن العالم الشرير، حتى يستبقى له مجموعة بارة لا يفسد بفساد العالم. وبالوقت لما دخل الفساد في أولاد نوح، اختار الله إبرام وفصله عن العالم الشرير، فقال له "اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك. فأجعلك أمة عظيمة وأباركك. وتكون بركة" {تك ١٢: ١، ٢}.

📖 وكأن الله يقول لعبده إبرام: اترك مكان الخطية، لتحفظ بنقاوة قلبك، بعيدا عن الشر. يجب أن يفصل النور الذي فيك عن الظلمة التي فيهم. وبنفس الوضع أمر الرب شعبه أن لا يصنعوا عهدا مع شعوب الأرض، ولا يتزاوجوا معهم {خر ٣٤: ١٥، ١٦}. ومنعهم من النساء الغريبات والأجنبيات {أم ٢: ١٦}. إن الله يريد لأولاده أن يبعدوا عن كل خلطة شريرة {مز ١}، وأمر الرسول أن لا يؤاكلوا ولا يخالطوا الخطاة {١كو ٦: ١١}. وأن يعزلوا الخبيث من بينهم.

📖 وبنفس المنهج قال القديس يوحنا الحبيب "إن كان أحد يأتيكم ولا يجئ بهذا التعليم، فلا تقبلوه في البيت، ولا تقولوا له سلام، لأن من يسلم عليه يشترك في أعماله الشريرة" {٢يو ١٠، ١١}. لأنه يجب الانفصال عن الخطية والخطاة، سلوكا ومعرفة.

📖 إن كانت التأثيرات الخارجية قد أسقطت شمشون وداود وسليمان، فليحترس بالحري الضعفاء، وليبعدوا فهذا أسلم لهم. وهكذا كانت الكنيسة في العصر الرسولي، وفي القرون الأربعة الأولى للمسيحية بوجه خاص، تعزل الخطاة خارج الكنيسة، ويبقى المؤمنون كلهم كجماعة مقدسة منفصلة عن الشر والشرار. كما حدث في قصة حنانيا وسفيرا {أع ٥}. وخاطئ كورنثوس {١كو ٥: ٥}.

📖 **أول اعتزال يعتزله الإنسان عن الشر، هو في المعمودية.**

📖 حيث يجحد الشيطان معتزلا عنه، وعن كل أعماله الرديئة، وشروره القبيحة، وعن كل جنده، وحيله، وسلطانه.

📖 وكما يعتزل عن الشيطان، يعتزل عن الإنسان العتيق الذي يدفن في المعمودية، ليولد بدله إنسان جديد على صورة الله. ويضع أمامه طول حياته أن يعيش منفصلا عن الخطية والخطاة.

📖 **ولعل إنسانًا يسأل: وكيف يمكننا أن نفعل ذلك؟**

📖 إن لم تستطع أن تنفصل عن الخطاة مكانيًا، فانفصل عنهم عمليًا. انفصل عنهم فكرًا، وأسلوبًا، ومنهج حياة.

📖 أنت لا تقوى على عدم مخالطة كل الخطاة الذين في العالم، وإلا كان عليك أن تترك العالم كما قال بولس الرسول {١كو ٥: ١٠}. ولكن لتكن خلطتك في حدود الضرورة فقط. وفكرك منفصل عن أفكارهم، وأسلوبك غير أساليبهم. وحياتك غير حياتهم. بل ألفاظك أيضاً غير ألفاظهم، كما يقول الكتاب "لغتك تظهرك" {متى ٢٦: ٧٣}.

📖 لهذا يقول القديس يوحنا الرسول: أولاد الله ظاهرون {١يو ٣: ١٠}.

📖 إذا جلسوا مع أهل العالم، يظهر الفاصل تمامًا: ليس الفاصل في المكان، وإنما في نوع الحياة، وفي التعامل، بل حتى في شكلهم، وملامحهم، ونظراتهم، وحركاتهم، روحهم، تميزهم. وترى عمليًا كيف أن الله قد فصل بين النور والظلمة.

📖 **ولكني أحب أن يكون هذا الفصل عن غير كبرياء.**

📖 لا نريد لإنسان من الذي يحيا حياة التوبة، منفصلا عن الخطاة، أن يكون انفصاله عن تشامخ، وتعال، وكبرياء، كأنه أفضل منهم! مثلما كان الفريسيون، والكتبة يفعلون. ويلومون المسيح على مجالسته للعشارين والخطاة. إنما نقصد إلا توجد شركة معهم في أي عمل

خاطئ. ولا توجد مجاراة للأخطاء، أو تقليد للطباع، أو مجاملة على حساب الحق فالرسول يقول: "لا تشاكلوا هذا الدهر" {رو ١٢: ٢}. أي لا تصيروا شكلهم.

📖 التائب لا يجارى الخطاة في أخطائهم. وفي نفس الوقت لا يدينهم، بل يشفق عليهم، ويصلى لأجل خلاصهم. ويقول من جهة عدم خلطته بهم: أنا من أجل ضعفي، لا أقوى على هذه الخلطة.

📖 إنني ابعد، لأنني سريع التأثر، سهل الانجذاب. تستطيع العوامل الخارجية أن تقوى على إرادتي. لذلك البعد لي أضمن، والهروب أليق. وليس الأمر تعاليا، لأنني لا أنسى خطاياي القريبة العهد.

📖 وهكذا يختلف عن موقف الرعاة، الذين يزورون الخطاة ويفتقدونهم. ويفعلون هذا لكي يجذبوهم إلى التوبة، ويصلحوهم مع الله. على شرط أن يكون الرعاة في أمثال هذه اللحظة، متحفظين، لا يفقدون هيبتهم الروحية، ولا يندمجون مع الخطاة في لهوهم وعبثهم. بل يكونون شهودا للحق، وسفراء للرب، وقدرة أمام هؤلاء.

📖 كان السيد المسيح يجلس في موائد العشارين ويدخل بيوتهم، لكي يجذبهم إلى التوبة، ولكي يرفع معنوياتهم. فيدركون أن لهم نصيبًا فيه، وأنه ليس للأبرار فقط.

📖 أما التائب فيقول: لست أنا في مستوى الرعاة، ولا في قوة المسيح. إنني أضعف من هذه الخلطة. فلأبعد عنها. أنا لم أصل بعد إلى مستوى، من يهدي غيره، ويقوده إلى التوبة، فأنا مازلت محتاجا إلى من يهديني، ويثبتني في توبتي.

📖 لذلك فهو يعتزل الخطاة، محتفظًا بانسحاق قلبه. لا يحتقر أحدا منهم. ولا يري في داخله أنه نور ينفصل عن الظلمة. فمجرد هذا التمييز في ذهنه لا يتفق مع مشاعر التوبة.

📖 وفي قلبه يعرف من الذين قيل عنهم إنهم نور.

📖 الإنسان البار، الذي هو نور، أو من ضمن الذين قال لهم الرب

"أنتم نور العالم" {متى ٥: ١٤}. هذا إذا حل في أي مكان تختفي الظلمة بسبب نوره. مثلما إذا وضعت مصباحًا في أي مكان مظلم، تنقشع ظلمته، ويصير مضيئًا. كذلك وجود الأبرار في أي مكان يحلون فيه، ينتشر فيه النور، وتختفي الظلمة. هكذا هؤلاء القديسون: الذين بسبب هيبتهم الروحية، لا تستطيع الظلمة أن تجد مجالًا لها في وجودهم.

📖 بل يستحي الخطاة منهم، ومن وقارهم، ومن قدسيتهم. ولا يجرؤ أحد في وجودهم أن يتصرف تصرفًا شائنًا، أو يتلفظ بلفظة خارجة.

📖 بل يخجل من ذاته ومن تصرفه. ويشعر الموجودون أن جوًا روحيًا قد ساد المكان، بحلول أحد من هؤلاء الأبرار فيه. وإن كان هناك حديث خاطئ قبل دخولهم، فإنه ينتهي ويصمت الكل، وتختفي الظلمة. ولا يستطيع أحد أن يخطئ في وجودهم.

📖 **فهل أنت هكذا؟ هل صرت بعد توبتك نورًا؟**

📖 هل صرت ولو شمعه صغيرة، تعطي نورًا خافتًا، ولكنه على أية الحالات يبدد الظلام. إن لم تصر نورًا هكذا، فاحترس كل الاحتراس من الظلمة. واذكر كل حين قول الرب "فلتكن أحقاؤكم ممنطقة، ومصابيحكم موقدة" {لو ١٢: ٣٥}.

📖 **وليكن نورك أولًا من اجل ذاتك.**

📖 من أجل أن تبصر جيدًا. من أجل أن تكون لك البصيرة الروحية التي تميز طريق الله ومشيئته. كإحدى العذارى الحكيمات {متى ٢٥}، اللائي كان لهن زيت في مصابيحهن فأضأن وكن مستحقات الدخول مع العريس.

📖 **بهذه المصابيح الموقدة، اكشف الظلمة وابعد عنها.**

📖 ومن أجل الاحتفاظ باتضاعك، خذ الظلمة بمعناها الموضوعي، وليس بالمعني الشخصي. خذها بمعني الخطية في كل صورها.

وأفصل نفسك عنها. افصل نفسك عن كل فكر شرير وشهوة شريرة.

📖 لكي تستطيع في توبتك أن تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل فكرك. حسب الوصية {تث ٦: ٥}. وكيف يكون الحب من كل القلب، إن لم يكن القلب منفصلًا عن كل شعور خاطئ، وليست له خلطة بأفكار العالم وشهواته. وكلما يحاربك في توبتك فكر من أمور العالم ومحبته وملاذه، أذكر قول الرسول: "لا تحبوا العالم، ولا الأشياء التي في العالم" {١ يو ٢: ٥}.

📖 وقوله "إن أحب أحد العالم، فليست فيه محبة الآب"، "والعالم يمضي وشهوته معه" {١ يو ٢: ١٥، ١٧}.

📖 ولكي تبعد عن محبة العالم، ابعد عن التفكير فيه، وفي شهواته. أنت لا يمكنك حاليًا أن تنفصل عنه مكانيًا، فانفصل عنه فكريًا وشعوريًا. وقل للرب كما نقول في صلاة القسمة في القداس الإلهي: "كل فكر لا يرضي صلاحك، فليبعد عنا".

📖 وكن دقيقًا جدًا، وسريعًا جدًا، في فصل ذاتك عن الأفكار الخاطئة. لأن الخطية يمكن أن تدخل إلى قلب الإنسان، ولو من ثقب بسيط. وتظل توسع لها مكانًا فيه حتى تضيعه.

📖 فاجلس إلى نفسك وأفحصها وأسأل: هل مازالت في داخلي أية خلطة مع أسباب الخطية، ومع أفكارها، ومشاعرها. وإن وجدت شيئًا من ذلك فيك، انتهره وأطرده وقل له: لقد فصل الله بين النور والظلمة.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٢٨٢ - ٢٨٧



📖 {٦} الاهتمام بالروح:

📖 الاهتمام بالروح هو الناحية الإيجابية اللازمة لحفظ التوبة.

📖 فما ذكرناه عن طرد الكنعانيين من الأرض، وعدم التعريج بين الفرقتين، والفصل بين النور والظلمة، إنما يصل الحرص من الناحية السلبية. أما الاهتمام بالروح فيمثل العمل الإيجابي.

📖 لأن الروح القوية يمكن أن تحفظ الإنسان طاهرًا. لذلك يلزم أن يهتم الإنسان بروحه، كما هو يهتم بجسده. يهتم بالاثنين معًا، ويحتفظ النظام، والتوازن بينهما. ويراعي هذه القاعدة: "إن العناية التي تبذل لأجل احدهم، ينبغي إلا تضر الآخر".

📖 أقول هذا لأن البعض ربما في اهتمامه بالجسد وصحته، يمنعه عن الصوم، وهكذا يضر بروحه. وكثيرًا ما يقع آباء وأمهات في هذا الخطأ في تربية أولادهم، وكأنهم يربون أجسادًا فقط بغير أرواح!

📖 إننا في تربية الحيوانات إنما نهتم بأجسامهما، فإما أن نعمل على تقويتها لأجل الشغل، أو نعمل على تسمينها لأجل الذبح. ولكن هل نفعل نفس الأمر بالنسبة إلى الإنسان، فنربي له جسدًا لكي يأكله الدود. عار أن نهتم بالجسد الإنساني فقط. لذلك اهتموا بصحة أولادكم جسديًا، واهتموا أيضاً بصحتهم الروحية. وكذا بصحتكم.

📖 **إن صحة الروح نافعة للروح وللجسد أيضاً.**

📖 فإذا مرضت الروح، يمكن أن يمرض الجسد معها، وبعض أمراض الجسد ترجع إلى أمراض روحية. وإن كان مرض الروح يضر الجسد، فليس بالضرورة أن مرض الجسد يضر الروح. بل على العكس غالبًا ما ينفعها.

📖 إن أشد أمراض الجسد يمكن أن تنفع الروح، وتقود الإنسان إلى التوبة، وإلى الصلاة، وتوقظ نفسه، ونفوس الذين حوله، وتعلمهم الزهد في الحياة. اهتم إذن بصحة روحك أكثر مما تهتم بصحة جسدك.

📖 **لا تكن حنونًا جدًا على جسدك، بينما تهلك روحك:**

📖 فإن السيد المسيح طلب عكس هذا، حينما قال "إن كانت عينك اليمني تعثرك، فاقلعها والقها عنك. وإن كانت يدك اليمني تعثرك، فاقطعها والقي عنك" {متى ٥: ٢٩، ٣٠}. وأرانا بهذا أن الروح هي

الأهم. ومن أجلها تضحي بالجسد.

📖 **روحك هذه هي صورة الله ومثاله. وهي غالية عنده جدًا.**

📖 من أجلها تجسد. ومن أجلها بذل دمه الطاهر على الصليب. إذن ثمن روحك هو دم المسيح، وكل ما تحمله المسيح من الأم لأجلك.

📖 **روحك أيضاً وحيدة، لا يوجد لديك غيرها.**

📖 إن فقدت كل شيء، وإن ربحتها ربحت كل شيء. إنها أغلي من العالم كله. لذلك قال الرب "ماذا ينتفع الإنسان، لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟! أو ماذا يعطي فداء عن نفسه" {متى ١٦: ٢٦}. روحك هذه، لا يستطيع أحد أن يؤذيها، إلا أنت!

📖 قد يتمكن إنسان من أن يحبس جسدك. ولكنه لا يستطيع أن يحبس روحك حتى في السجن تبقي طليقة. وقد يستطيع إنسان إن يقتل جسدك، ولكنه لا يقدر أن يقتل روحك.

📖 **روحك عنصر سماوي. هي التي تعطي الحياة للجسد.**

📖 إذا اهتممت بها يمكن أن ترفع الجسد إلى فوق، وتجعله في حالة روحية سامية، وتصير أنت شبه ملاك أرضي. ينبغي إذن أن تهتم بها، حتى لو ضعف جسدك في سبيل ذلك.

📖 فهوذا الرسول يقول: "أن كان إنساننا الخارج يفني، فالداخل يتجدد يومًا فيومًا" {٢ كو ٤: ٦}. إنساننا الخارجي هو هذا الجسد. والداخلي هو الروح. هذا الجسد شبهه الرسول بخيمة نحن ساكنون فيها {٢ كو ٥: ١}. والأهم أن الساكن في الداخل هو الله. ليتنا إذن نهتم بأرواحنا هذه، حتى لا تخطئ الجسد معها.

📖 **أنت تغذي جسدك كل يوم. فيجب أن تغذي روحك أيضاً.**

📖 إن الروح تتغذي كما يتغذى الجسد. يقول الرب: "طعامي أن أعمل

مشيئة الذي أرسلني" {يو ٤: ٣٤} وتتغذي الروح أيضاً "بكل كلمه تخرج من فم الله {متى ٤: ٤}. فهل روحك تتغذي بكلام الله، وبصنع مشيئته. وتأخذ هذا الغذاء كل يوم؟

🕮 الجسد يتغذي بثلاث وجبات كل يوم. في أول النهار، وفي السماء، وما بينهما. فهل تحرص أن تعطي روحك غذاءها مرات كل يوم، أم تهملها فتضعف؟

🕮 والجسد يتناول أنواعًا متعددة من الأغذية ليستوفي كل العناصر اللازمة. إنك تعطيه غذاء كاملًا فيه المواد الدهنية، والسكرية، والكربوهيدراتية، وفيه البروتينات، والفيتامينات، والمعادن. وتحرص إلا ينقصه شيء.

🕮 فهل تعطي لروحك مثلما تعطى الجسد كل ما يلزمها: من الصلوات، والتسابيح، والتأملات، والقراءات الروحية، والمطانيات metanoia؟ وهل تعطيها ما يلزمها من محبة الله؟ وهل هذا الغذاء تأخذه كل يوم، ودفعات في اليوم؟ مع باقي الأغذية الأخرى.

🕮 وأنت لا تكتفي بان تعطى جسدك غذاء كل يوم، ومرات في اليوم، وعناصر متنوعة متكاملة. وإنما في غذائه أيضاً: تعطيه طعامه بكميات كافية، بقدر ما يحتاج من سعرات حرارية.

🕮 فهل تعامل روحك بنفس المعاملة؟ هل تعطيها من الصلوات ما يشبعها، ام تصلى دقائق معدودة وتسأم؟ وهل تعطيها من القراءات الروحية ما يشبعها من الكتاب المقدس وسير القديسين والموضوعات الروحية؟ أم أنت غير مواظب وغير مهتم، ولا يهمك أن تستوفى الروح غذاءها، بينما هي تجوع وتعطش إلى البر {متى ٥: ٦}.

🕮 والجسد لا يكتفي بكل الكميات والأنواع السابقة من الطعام إنما يشترط. أن يكون الطعام جيد الطهي المذاق لتقبله شهيته.

🕮 فهل أنت تقدم لروحك أطعمة جيدة حسنة المذاق، أم تقدم لها

صلوات سريعة، بلا فهم، بلا عاطفة، بلا حرارة، بلا روح، وممزوجة بطياشة الفكر؟ هل تظن هذه الصلوات يمكن أن تستفيد بها الروح؟ وهل أنت تقدم لها قراءات بلا تأمل، بلا عمق، بلا فهم، بلا تطبيق؟ أتستطيع الروح أن تهضم هذا الغذاء وتستفيد به لنموها؟ وهكذا في باقي الوسائط الروحية. اهتم إذن بروحك.

📖 **واعلم أنه:** كما تضعف الجسد ويمرض لقلة الغذاء، كذلك الروح أيضاً. الجسم يهزل لقلة الغذاء، والروح تفتر، وتفقد حرارتها. ما أكثر الذين يصابون بأنيميا روحية، أو بهزال روحي. وكما يمرض الجسد لسوء التغذية وبالعدوى، كذلك الروح تمرض بهذه جميعها. وتحتاج إلى وقاية، وحصانة، كما يحتاج الجسد تمامًا.

📖 **والجسد إذا مرض يحتاج إلى أطباء، وكذلك الروح.**

📖 وأطباء الروح هم آباء الاعتراف، والمرشدون الروحيون. الأدوية الروحية معروفة وكثيرة، ويحتاج إلى تناولها كل من يشعر بنقص في ناحية معينة. ونحن نقول للرب في القداس الغريغوري "ربطتني بكل الأدوية المؤدية إلى الحياة". ونقول له "أيها الطبيب الحقيقي الذي لأنفسنا وأجسادنا" لا شك أن الجسد يلاقى من الإنسان اهتمام كبيرًا لا تلاقيه الروح.

📖 ولذلك فإن أحد الآباء قرأ في سفر الجامعة قول الحكيم: :رأيت عبيدًا على الخيل، ورؤساء ماشين على الأرض كالعبيد: {جا ١٠: ٧}. فقال إن العبيد الراكبين على الخيل هم الأجساد التي نكرمها أزيد مما يلزم. والرؤساء الماشين على الأرض كالعبيد هم الأرواح التي لا تجد إكراما كالأجساد، بل تجد إهمالا من كل ناحية. الروح التي لها السيادة بحكم طبعها أن نهملها، حتى تفقد سلطتها، وتخضع للجسد، وتمشى على الأرض كالعبيد!

📖 **إننا نهتم بالجسد فنعطيه غذاءه. ونجمله بالزينة.**

📖 وكما يتزين الجسد ويلبس، ينبغي أيضاً أن تتزين الروح، والروح تتزين بالفضائل، زينة الروح الوديع الهادئ كما يقول الرسول {٢بط ٣: ٤}. وتلبس "لباس العرس" {متى ٢٢: ١١، ١٢} وتلبس "لباس العرس" {متى ٢٢: ١١، ١٢}. الذي يستحق لابسوه الدخول مع الرب في ملكوته. وتلبس البز {الحرير} الذي هو تبررات القديسين {رؤ ١٩: ٨} وتقف أمام الله في ثبات بيض.

📖 فهل أنت تزين روحك بكل ثمار الروح {غل ٥: ٢٢}. أم تقف أمام الله عريانًا مثل كنيسة لاودكية {رؤ ٣: ١٧}. واعرف أن كل زينة الجسد من الخارج لا تنفع، كما يقول المزمور: "كل مجد ابنة الملك من داخل" {مز ٤٥}. مع أنها "مشتملة بأطراف موشاة بالذهب، ومزينة بأنواع كثيرة"، فلتقف روحك في اليوم الأخير بكامل زينتها أمام الله "كعروس مزينة لعريسها" {رؤ ٢١: ٢}.

📖 ومن جهة لباس الروح، ما أجمل تلك العبارة التي قيلت عن المعمودية "لأن جميعكم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح" {غل ٣: ٢٧}، يوم خرجت الروح من المعمودية في أكمل بهائها. ويضاف إلى هذا أيضاً:

📖 ما تلبسه الروح من أكاليل، نتيجة لجهادها وانتصارها.

📖 فما الذي تلبسه روحك من كل هذا؟ هل أنت مثل تابوت العهد الذي كان مصفحًا بالذهب من الداخل ومن الخارج {خر ٢٥: ١١}؟

📖 وفي الاهتمام بالروح، ضع أمامك هذه الوصايا:

📖 ١- اسلكوا بالروح، فلا تكملوا شهوة الجسد {غل ٥: ٦}.

📖 ٢- امتلئوا بالروح {أف ٥: ١٨}.

📖 ٣- حارين في الروح {رو ١٢: ١١}

📖 وهكذا تعبد الله بالروح {في ٣: ٣}. وتصلى بالروح، وترتل بالروح {١كو ١٤: ١٥}. وتثمر ثمار الروح {غل ٥: ٢٢}، عالما أن "من يزرع للروح، فمن الروح يحصد حياة أبدية" {غل ٦: ٨}. إن سرت

هكذا يمكنك أن تحفظ توبتك، ولا ترجع إلى الوراء.

📖 **أعط روحك غذاءها. أما جسدك فأعطه ما يقوته، لا ما يشتهيه.**

📖 إن تقويتك لروحك تحفظ من السقوط.

📖 إن التجارب والإغراءات والحروب الروحية يتعرض لها الكل. ولكن يثبت الأقوياء روحيًا كالبيت على الصخر {متى٧: ٢٤، ٢٥}.

📖 هؤلاء الذين تغذت أرواحهم بكلمة الله، وقويت بكل التداريب الروحية، وأصبحت لها خبرة بحروب الشياطين، وقدرة على قتالهم. صاروا أقوياء من الداخل، كمدن محصنة. ولكن لماذا يسقط البعض؟

📖 يسقطون، لأنه لا توجد مقاومة في الداخل، ولا حصانة. كمرض يهاجم بلدة بأسرهم، فيصمد له الأقوياء، ويقع الضعفاء.

📖 إن كان الأمر هكذا، حاول إذن أن تتقوي بالروح، حتى إن أتتك الخطية، لا تجد قبولًا، ولا تجد استسلامًا، فتعبر وتمضي. كون لك رصيدًا روحيًا ينفعك في السنوات العجاف.

📖 غالبية الذين يسقطون، والذين ينتكسون بعد توبتهم، اكتفوا بترك الخطية في بدء التوبة. وفي نفس الوقت تركوا أرواحهم بلا تغذية، بلا تقوية، بلا عناية، حتى أصبحت في حالة من الضعف تجعلها سهلة السقوط.

📖 أما أنت فلا تكن هكذا. فلتكن لك وسائط روحية تربطك بإله، تسير عليها في نظام وبمواظبة. ولتكن لك الاجتماعات الروحية، والأصدقاء الروحيون، والقراءات الروحية، وجو روحي يحيط بك من كل ناحية، مع الأب الروحي وإرشاداته وتوجيهه.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٢٨٧ - ٢٩٢

📖 {٧} وسائل أخري:

دع التوبة تستوفي نصيبها من الانسحاق

📖 ١- مما يساعد على حفظ التوبة، أن تستوفي نصيبها من الانسحاق.

📖 وذلك حتى يدرك الإنسان تمامًا بشاعة الخطية، ومرارة نتائجها، ويختبر عذاب الضمير، فلا يعود إلى الخطية مرة أخري.

📖 ولقد تحدثنا في باب سابق عما يصحب التوبة من شعور بالخزي، مع حزن ودموع، كما في قصص القديسين. وكذلك ما يصحب الانسحاق من بعد عن المتكئات الأولي، ومجالات القيادة التي تجعل الإنسان ينسى خطاياه.

📖 غير أن البعض للأسف الشديد، يحاول من بدء توبته أن يقفز سريعًا إلى الفرح، دون أن يعبر على مرحلة الندم والحزن، ناسيًا أن الفرح هو مرحلة متأخرة، لا يختطفها لنفسه، إنما يمنحها الرب للذين اثبتوا بانسحاقهم صدق وثبات توبتهم.

📖 التائب الذي يسرع إلى الفرح، سهل رجوعه إلى خطاياه القديمة. أما فهو سور متين يحمى التوبة، ويحفظ القلب يقظا الانسحاق بحفظ التائب في تواضع القلب. والنعمة تعمل في المتواضعين، وتحفظهم من السقوط. وطالما يكون التائب منسحقًا، فإنه يتذكر ضعفه وسقوطه، هذا يدعوه إلى الاحتراس الدائم.

📖 **أما الشيطان فبحرصك على سرعة الفرح، ليقودك إلى اللامبالاة.**

📖 يشعرك انك خرجت نهائيا من دائرة الخطية، وتقدست وتجددت، ولم يعد للخطية سلطان عليك، لأنك محروس ومحفوظ بالنعمة. وهكذا يجعلك لا تبالي! حقا إن النعمة تحفظنا ولكنها لا تلغى إرادتنا، ولا تجعلنا مسيرين نحو الخير. فماذا يحدث إذا لم نتعاون نحن مع عمل النعمة فينا؟

📖 لذلك إن دعيت على الفرح، قل أنا لا لأستحقه. إن أنعم الله عليك ببهجة خلاصه {مز ٥٠}، فلتكن هذه البهجة سببا لمزيد من الانسحاق، مع توبيخك لنفسك.

📖 **في نظام الآباء الأول، كانت هناك قوانين عقوبات شديدة.**

📖 ونتيجة لهذه العقوبات، كان كل تائب يشعر بمقدار الخطأ الذي وقع فيه، فينسحق قلبه، ويشعر استحقاقه حتى لدخول الكنيسة. وفي ذلك الزمان كانت الكنيسة أكثر قداسه، وكان المؤمنون أكثر جدية، وتدقيقا في حياتهم. ولما وقفت تلك العقوبات دخل الاستهتار إلى نفوس كثيرين. فيا ليت كل تائب يضع أمامه قول القديس أبا مقار الكبير "أحكم يا أخي على نفسك، قبل أن يحكموا عليك"..

📖 لأننا إن كنا نندم على خطايانا كما ينبغي، فإن الندم على الخطية، سيساعدنا على عدم الرجوع إلى الخطية. إذ كيف نرجع إلى ما نندم عليه؟!

📖 ٢- ومن أسباب النكسة الروحية، والرجوع إلى الخطية، المفاهيم الخاطئة عن الروحيات وعن محبة الله:

📖 كثيرا ما يركز البعض محبة الله، وغفرانه، ومسامحته، تركيزا ينسيهم صلاح الله، وقداسته، وينسيهم مخافة الله أيضاً. فلا يكون عندهم الخوف الذي يدفعهم إلى الحرص. وإن سقطوا لا يندمون كثيرا. معتمدين على محبة الله. وهكذا تصبح الخطية سهلة أمامهم.

📖 ومن المفاهيم الخاطئة أن يظن البعض أن الاعتراف، هو مجرد أن يذكر خطاياه للكاهن ويأخذ عنها حلا وينتهي الأمر. دون أن يقرن الاعتراف بالتوبة الصادقة، وبالندم الشديد، وتبكيت النفس، والعزيمة الصادقة على ترك الخطية، والبعد عن كل أسبابها. إن سهولة الاعتراف، ربما تكون سببًا في رجوع الإنسان إلى الخطية.

📖 ومن المفاهيم الخاطئة أن يظن الإنسان أن التوبة مجرد تغيير سلوك، من تصرف خاطئ إلى حياة الفضيلة، دون التركيز على وجود علاقة مع الله. أما أنت فقل: "لو أنني أعطيت كل الفضائل من غيرك يا رب، لا أريدها. إنني في توبتى أريدك أنت. وما الفضيلة سوى تعبير عن التصاق بك. هل أقول أعطيك قلبي كمجرد طاقة تطل بها على مشاعري؟ كلا، بل أعطيك في هذا القلب كل الحب،

لأحيا معك وأثبت فيك. فالتوبة ليست هي وصولي إلى الفضيلة، إنما وصولي إليك".

📖 بهذا الوضع يمكن للتوبة أن تثبت. التوبة المؤسسة على محبة الله والالتصاق به. فإن محبة كما قال الرسول "لا تسقط أبدا" {١كو ١٣: ٨}. وكل قيل في سفر النشيد "مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة" {نش ٨: ٧}.

📖 ٣- ومن أسباب النكسة الروحية أيضاً: نسيان وعودك لله.

📖 تلك الوعود التي قلتها للرب يوم توبتك. وربما تكون قد قطعت مع الله بتفاصيل معينة! لذلك إن حوربت بالخطية ارفضها، وتذكر مواعيدك عهودك. قل "أنا قد اتفقت مع الله. ولا يمكن أن ارجع في عهودي معه. لقد وعدت. أريد أن أكون رجلًا حسب وصية الكتاب "تشدد وكن رجلًا" {١مل ٢: ٢}.

📖 لا تكن مثل الأرض التي ألقيت فيها البذار وأتت الطيور فالتقطتها. أو أحاطت بها الأشواك فخنقت ما قد نما فيها.

📖 ٤- ومن أسباب النكسة الروحية أيضاً: الضمير الواسع.

📖 ذلك الضمير الذي يتسع لكل شيء، يبرر كل شيء، ويبلع الجمل {متى ٢٣: ٢٤}. وقد يساعده عقل يكون في خدمة كل انحراف تحارب به النفس، فيقدم الأدلة والبراهين، وربما الآيات وقصص القديسين، لكي يؤيد بجهالة كل رغبة خاطئة للنفس.

📖 لذلك يعوزك الإرشاد المستمر حتى لا تنحرف.

📖 ضع نفسك تحت قيادة إرشاد حكيم. وتذكر أن "الذين بلا مرشد يسقطون مثل أوراق الشجر". وقد قال أحد القديسين إن أعظم سقطه لشاب هي: "أن يسلك حسب هواه". وقال الحكيم "على فهمك لا تعتمد" {أم ٣: ٥}.

📖 والمرشد يحفظ التوازن في حياة التائب. فلا يجعله يغالى في الكآبة التي قد توقعه في قطع الرجاء. كما لا يُغالي في طلب الفرح والبهجة، فيقوده ذلك إلى اللامبالاة.

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٢٩٣ ـ ٢٩٥

{٨} بعض أسئلة عن التوبة:

{أ} خطيئتي أمامي في كل حين

📖 **سؤال:** إلى أي مدى ننفذ عبارة "خطيتي أمامي كل حين" {مز ٥٠}؟

📖 هل معنى هذا أن نتذكر خطايانا باستمرار؟

📖 **الجواب:** المفروض أن نتذكر باستمرار أننا خطاة، وتكون خطايانا أمامنا كل حين، لكي تجلب لنا الاتضاع، وانسحاق القلب، وتشعرنا بضعفنا فنزداد حرصاً، ونطلب معونة الله بالصلاة.

📖 أما إن كان التذكار يعيد إلينا الخطية، فلنمتنع عنه..

📖 متذكرين ما نقوله في القداس الإلهي: "تذكار الشر الملبس الموت".

📖 وحسب تعليم الآباء، من الصالح لنا أن نبعد عن تذكر الخطايا الشهوانية، والخطايا الانفعالية، لأن تذكرها قد يعيد إلينا حروب الخطية.

📖 **فإن تذكرنا خطية شهوانية، لا ندخل قد تفاصيلها لأنها معثرة.**

📖 خطية الزنا مثلا، لا يجوز للتائب أن يتذكر تفاصليها، وخطوات ارتكابها، لئلا تعود إليه شهوة الخطية مرة أخري. حتى إن لم تحاربه الشهوة في أول مرة يذكر فيها هذه التفاصيل، يمكن أن تحاربه فيما بعد. ومثل شهوة الزنا أيضاً، شهوة العظمة، والمناصب، وشهوة المتكآت الأولى، وما يتبع كل ذلك من أحلام اليقظة.

📖 فإن دخل التائب في تفاصيل آمالي هذه وأحلامه، وما كان يشتهيه

من أوضاع ومراكز وشهوة وتقدم على الآخرين وحب للمديح والكرامة، ما أسهل أن ترجع إليه هذه المشاعر مرة أخري، وتدغدغ حواسه، ويطيش فيها بلذة، وربما تكون سبب لأحلام من هذا النوع.

📖 **لذلك فخطية الحسد، لا يجوز الدخول في تفاصيلها.**

📖 إذ سيتذكر من كان يفوقه في شيء ما، أو يتمتع بشهوة كان هو يريدها ولم يستطع. وهذه التذكارات تعيد إليه حروب شهواته القديمة، بل قد تعيد مشاعر عدم محبة نحو ذلك المحسود.

📖 وبالمثل خطايا الغضب من إساءات ومظاهرها، وما تحرك في القلب من المشاعر الغيظ أو الحقد أو الرغبة في الانتقام.

📖 إن تذكر التائب هذه التفاصيل، ربما يشعر أنه بدأ يسخن من الداخل وينفعل، بدلا من أن يتبكَّت على غضبه! هذا عن دخل في التفاصيل.

📖 على أية الحالات، فليكن الإنسان رقيبًا على مشاعره.

📖 الخطايا التي يذكرها أو يذكر تفاصيلها بطريقة أليمة تعيده إلى مشاعر الخطية، فليبعد عنها. أما التذكار الذي يجلب له الندم والدموع وانسحاق القلب، فليستمر فيه مادام هو داخل مشاعر التوبة.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٢٩٦ - ٢٩٧

{ب} قراءات التائب للفائدة الروحية

📖 **سؤال:** أنا إنسان حديث العهد بالتوبة. ما هي القراءات التي تنصحني بها لفائدتي الروحية في هذه الفترة؟ وعن أي شيء أمتنع؟

📖 **الجواب:** ابعد عن القراءات المعثرة، والتي تجلب الفتور وإدانة الآخرين. وكذلك القراءات التي تثير فيك الجدل، أو حب التعليم، أو الشعور بالتفوق وسِعة الاطلاع. وأيضاً القراءات التي تبرد حرارتك الروحية، وتجفف دموعك، وتدخلك في جو من اللهو والهزل.

ومن النافع لك جدًا قراءة سير القديسين.
وكذلك شخصيات الكتاب المقدس - لأن هذه القراءات تقدم لك مثاليات عملية تشتاق أن تحيا مثلها، فتعطيك طاقة وحرارة روحية.
وكذلك تنفعك قراءة الكتب الروحية والكتب النسكية.
لأنها تنير لك الطريق، كما أنها تحفظ فركك في جو روحي نقي. والمهم أن تختار الكتب التي لها عمق، والتي تتأثر أنت بها، وتدفعك إلى الالتصاق بالله، وتبكتك على خطاياك، وتفتح أمامك آفاقًا سامية، وتجعلك تتضع مهما بلغت في توبتك.
ومن النافع لك أيضاً قصص قديسي التوبة.
مثل سيرة القديس أوغسطينوس واعترافاته، وسيرة القديس يعقوب المجاهد، والقديس الأنبا موسى الأسود وغيرهم. وكذلك سير القديسات التائبات مثل مريم القبطية، وبيلاجية، ومرثا، وأدوكية، ومريم ابنة أخي إبراهيم المتوحد.

ومن الكتاب المقدس تخير لك فصولًا معينة تتأثر بها.
مثل سفر الجامعة، وسفر الأمثال، ويونان، ويوئيل، وسفر التثنية. ومن العهد الجديد: الرسالة إلى فيلبي، وإلى أفسس، والرسالتين إلى كورنثوس، وإلى تيموثاوس. واكتب في مذكرة الآيات التي تأثرت بها لتحفظها.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٢٩٧ - ٢٩٨

{ج} التداريب الروحية ومحبة الله

سؤال: أيهما أصلح لي في فترة التوبة: التداريب الروحية، أم الدخول في محبة الله بقوة تجعل الطريق قصيرًا؟

الجواب: في هذه النقطة، ليس جميع الناس نوعًا واحدًا.
البعض ينعم عليه في توبته، بمحبة ملتهبة في قلبه، تكسح أمامها

كل الضعفات السابقة وكل الخطايا والنقائص.

📖 على أن هناك من يشق طريقة وسط صخر، ويحتاج إلى جهاد كبير تقاوم به كل خطية، بتداريب قاسية شديدة، وبسهر منتبه جدًا على خلاص نفسه، مثلما نبه القديس بولس العبرانيين قائلًا: "لم تقاوموا بعد حتى الدم، مجاهدين ضد الخطية" {عب١٢: ٤}.

📖 وهنا يدرب الإنسان نفسه، ويحاسبها كيف سلكت في كل تدريب.

📖 والتداريب عاش فيها القديسون أيضاً في الأمور الخاصة بحياتهم الروحية وبنموهم الروحي. فيقول القديس بولس الرسول: "لذلك أنا أيضاً أدرب نفسي، ليكون لي دائمًا ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس" {أع٢٤: ١٦}. وقال أيضاً "في كل شيء.. قد تدربت أن أشبع وأن أجوع، أن أستفضِل وأن أنقص" {في٤: ١٢}.

📖 لذلك حسبما يمنحك الرب، هكذا أسلك.

📖 إن أشعلك بالحب، سر في طريق الحب. وإن قادك خطوة خطوة بجهاد وتعب، جاهد أنت أيضاً واتعب، لكي تصل.

كتاب حياة التوبة والنقاوة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٢٩٨ ـ ٢٩٩

{د} الأصدقاء القُدامى

📖 **سؤال:** هل تظن أنه من السهل التخلص من الأصدقاء الذين عشت بينهم سنوات طويلة قبل التوبة، بعشرة لاصقة بالقلب وعلاقة عميقة، وكانوا موضع ثقتي وعندهم أسراري. كيف أتركهم؟

📖 **الجواب:** صديقك الحقيقي، هو رفيقك في طريق الملكوت، يشترك معك في الحياة الروحية، ويشجعك عليها، وتشجعه أنت أيضاً.

📖 أما كل علاقة أو عشرة خارج محبة الله، فينبغي التخلص منها. لأن الرب يقول "من أحب أبًا أو أما أكثر مني، فلا يستحقني" {مر١٠: ٢٩}. فإن كان أصدقاؤك القدامى يعثرونك، أو يقودونك بعيدًا

عن حياة التوبة، ابعد عنهم، بالقناع وفي حزم.

📖 **إن استعطت أن تجذبهم معك إلى التوبة، فلا مانع.**

📖 وإن لم تستطيع، فاجعل علاقتك بهم سطحية. وإن كانوا خطرًا عليك، فينبغي أن تفضل علاقتك بالله على علاقتك بهم.

📖 حتى إن وجدت صعوبة، احتمل من أجل الرب. وتذكر أن إبرام أبًا الآباء، لما دعاه الرب ترك أهله وعشيرته وبلده وسار وراء الله {تك١٢: ١}.وأنت أيضاً، لتحفظ بتوبتك، أترك من أجل الله كل من يعوقك.

كتاب حياة التوبة والنقاوة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٢٩٩



قداسة البابا شنودة الثالث

{كتاب الرجوع إلى الله}

{١} انفصال عن الله	{٢} انفصال عن القديسين	{٣} خطورة الانفصال	{٤} قصة الانفصال
{٥} معنى الرجوع	{٦} الله يريدنا نرجع	{٧} الرجوع بالصلاة	{٨} الضيقة سبب
{٩} الصلح مع الله	{١٠} الخطية خيانة	{١٢} الله يصالحنا	{١٣} كيف يكون صلح

{١}

الخطية انفصال عن الله

📖 ما هي الحياة الروحية؟

📖 أليست هي الالتصاق بالله، كما يقول المرتل في المزمور: "أما أنا فخير لي الالتصاق بالرب" {مز ٧٣: ٢٨}.

📖 بل هي أكثر من هذا الالتصاق أيضاً. إنها الثبات في الرب، حسبما قال لنا: "اثبتوا في، وأنا فيكم" {يو ١٥: ٤}.

📖 إنها حياة إنسان ثابت في الرب، يتمتع بعشرته، ويتمتع بمحبته.

يحتفظ بالله في قلبه، ويعيش هو في قلب الله.

📖 **فهل الخاطئ إنسان ثابت في الله، وثابت في محبته؟**

📖 كلا، فالخاطئ له طريق آخر، غير طريق الله. إنه قد انفصل عن الله في التصرف، وفي الأسلوب، وفي المشيئة. فأصبحت له مشيئة غير مشيئة الله. وصار يريد ما لا يريده الله.

📖 إنه إنسان يتحدَّى الله بلا خوف، ويكسر وصاياه. وفي كسره لوصايا الله، يكون قد انفصل عن محبته أيضاً. لأن الرب يقول: "إن كنتم تحبونني، فاحفظوا وصاياي" {يو ١٥: ١٥}

📖 "الذي عنده وصاياي ويحفظها، فهو الذي يحبني" {يو ١٥: ٢١}.

📖 **الخطية إذن هي انفصال عن محبة الله، وعن وصاياه.**

📖 هي حياة إنسان قد أعلن استقلاله عن الله، وعن ملكوته، وصار يسلك حسب هواه، دون أن يضع الله أمامه.

📖 إنه إنسان قد انفصل عن الله، وتمسك بأن تكون له شخصية قائمة بذاتها، بعيدة عن توجيه الله، وقيادته، تفعل ما يحلو لها. كما حدث حينما طلب بنو إسرائيل لهم ملكًا يحكمهم، بدلًا من حكم الله لهم، فقال الله لصموئيل النبي: "هم لم يرفضوك أنت، إنما إياي قد رفضوا" {١ صم ٨: ٧}. "رفضوا أن أملك عليهم".

📖 رفضوا حياة التسليم التي يحياها أولاد الله، في طاعة وخضوع لمشيئته. والملك الذي صار لهم، شاول، سلك هو أيضاً حسب هواه، مستقلًا عن الله، لا يريد أن الله يدبر له أموره، أو يدير له أموره، بل كان يدير كل شيء بفكره الخاص، دون أن يسأل عن مشيئة الله أين هي!

📖 فالخطاة ينفصلون عن إرادة الله، وينفصلون أيضاً عن إرادة الله. وقد عبر الله عن هذا الانفصال بقوله: "رفضوني" و"تركوني".

📖 فقال: "تركوني أنا ينبوع الحياة الحية، وحفروا لأنفسهم آبارًا، آبارًا مشققة لا تضبط ماء" {أر ١٣:٢}. وقال أيضاً: "رفضوني أنا الحبيب، مثل الميت المرذول" {مز ٣٧: ٢١}.

📖 **نعم، إن الخطية هي انفصال عن الله، ترك له، ورفض له.**

📖 الخاطئ لا يشعر بحب نحو الله، ولا بدالة معه. إنه انفصل عن الله، ليس فقط في سلوكه، وفي تصرفه، وإنما أيضاً في قلبه، وفي حبه، ومشاعره. أصبح القلب يحب أشياء أخري، قد حلت محل الله فيه. ولم يعد الله في اهتمامه، بل صار يهتم بأمور أخري غير الله، هي التي تشغل الآن فكره، وتشغل وقته، وتشغل قلبه!

📖 ففي حالة الخطية، ينفصل القلب عن الله، على قدر ما يحب العالم الحاضر. فإن صارت محبته للعالم كاملة، يكون انفصاله عن الله كاملًا، لأن: "محبة العالم عداوة لله" {يع ٤: ٤}،

📖 "إن أحب أحد العالم، فليست فيه محبة الآب" {يو ٢: ١٥}.

📖 لا يمكن إطلاقًا أن يجمع أحد بين ضدين: محبة الله، ومحبة الخطية. وعليه أن يختار: أما هذه، وإما تلك. إن عشت مع الله، لا بد أن تنفصل عن الخطية، وإن عشت في الخطية، تكون بالضرورة منفصلًا عن الله.

📖 تنفصل عنه، وعن ملكوته، وعن مشيئته، وعن وصاياه، وعن محبته، وعن عمله، وعن الشركة معه.

📖 وكما قال الرسول: "الله نور، ليست فيه ظلمة البتة. إن قلنا إن لنا شركة معه، وسلكنا في الظلمة، نكذب ولسنا نعمل الحق" {١يو ١: ٥، ٦}. الله نور، والخطية ظلمة.

📖 وقد قال الكتاب: "أية شركة للنور مع الظلمة؟!" {٢كو ٦: ١٤}.

📖 الذي يعيش في الظلمة، يكون بلا شك قد انفصل عن النور، أي عن

الله. والناس الذين انفصلوا عن السيد المسيح ورفضوه، قيل عنهم إنهم: "أحبوا الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة" {يو ٣: ١٩}.

📖 إذن فأنت بالخطية ترفض الشركة مع الله. وأية شركة؟

📖 الحياة الروحية هي شركة مع الروح القدس، كما نسمع في البركة في آخر كل اجتماع {٢كو ١٣: ١٤}. وبهذه الشركة نصير "شركاء الطبيعة الإلهية" {٢بط ١: ٤}، لا نصير شركاء في شركاء في الجوهر، أو في اللاهوت، حاشا إنما نصير شركاء في العمل.

📖 روح الله يشترك معنا في العمل، يعمل فينا، ويعمل معنا، ويعمل بنا. فهل أثناء الخطية، يكون روح الله مشتركًا معك؟! أم أنت تكون قد فضضت هذه الشركة، وانفصلت عن عمل الروح، وقلت للرب: "لك طرقك، ولي طريق؟!"

📖 وأصبحت بهذا الانفصال عن روح الله، تخالف التحذير الذي قال فيه الرسول: "لا تطفئوا الروح" {١ تس ٥: ١٩}.

📖 "لا تحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم" {أف ٤: ٣٠}.

📖 إن الخاطئ لا ينفصل عن شركة الروح فقط، بل أنه بالأكثر يقاوم الروح، كما في التوبيخ الصادر من القديس أسطفانوس {أع ٧: ٥١}.

📖 **الخطية هي انفصال عن الروح القدس، وعن الابن أيضاً.**

📖 الابن الذي هو: "حكمة الله" {١كو ١: ٢٣}. لا بد أن تكون منفصلة عنه النفوس التي لقبت بالجاهلات، كما في مثل العذارى الجاهلات {مت ٢٥: ٢}. فالتصرفات التي تصدر عن الخطاة، هي تصرفات جاهلة، منفصلة عن الحكمة الإلهية، نقول عنها للرب في القداس: "جهالات شعبك". وهكذا قيل في سفر الجامعة إن: "الجاهل يسلك في الظلام" {جا ٢: ١٤}.

📖 **الخطية هي انفصال عن المسيح إذن، أقنوم الحكمة.**

📖 المسيح الذي قال لنا "أنتم في، وأنا فيكم" {يو ١٤: ٢٠}. كيف يمكن أن يكون فينا أثناء ارتكابنا للخطية؟! كيف يمكن أن نكون فيه، ونحن في الخطية في نفس الوقت. واضح أنه إن كانت الخطية فينا، نكون وقتذاك في حالة انفصال عن المسيح.

📖 وكيف نكون أثناء الخطية هيكلًا للروح القدس؟!

📖 كيف يكون روح الله القدوس ساكنًا فينًا {١ كو ٣: ١٦}. ونحن نرتكب الخطية، بينما هيكل الله مقدس هو {١ كو ٣: ١٧}.

📖 **لا شك أن الخطية انفصال عن الله، وعن شركته.**

📖 إنها انفصال عن القداسة التي بدونها لا يعاين أحد الرب. لأنه لا يعاين الله إلا أنقياء القلب {مت ٥: ٨}. فالذي يفقد نقاوته بالخطية، لا يمكن أن ترى عينه الله. بل يكون قد انفصل عنه.

📖 هكذا وقفت الخطية طوال تاريخها كحاجز بين الله، والإنسان. وصار يمثل ذلك الحاجز المتوسط في خيمة الاجتماع. هذا الحاجز - أو الحجاب- الذي كان يفصل الشعب عن قدس الأقداس، فلا يستطيعون الدخول إليه {خر ٢٦: ٣٣}، رمزًا إلى انفصالهم عن الله بالخطية. هذا الحاجز الذي هدمه المسيح بصليبه، ونحن في كل يوم – بخطايانا - نحاول أن نبنيه مرة أخري!!

📖 الكتاب يقول عن العذارى الجاهلات إنه قد: "أغلق الباب"، ووقفت هؤلاء الجاهلات خارجًا {مت ٢٥: ١١}، بينهن وبين الرب هذا الفاصل، هذا الباب المغلق. يتضرعن قائلات: "يا ربنا يا ربنا، أفتح لنا"، فلا يفتح لهن. بل يقول لهن: "إني لا أعرفكن". لقد انفصلن عنه تمامًا، وعن ملكوته، وعن عرسه، وانفصلن أيضاً عن العذارى الأخريات الحكيمات.

📖 **وفي قصة الغني ولعازر، نقرأ عن نفس الانفصال.**

📖 لعازر في حضن أبينا إبراهيم، والغني ينظر "من بعيد". وقد قال له أبونا إبراهيم: "بيننا وبينكم هوة عظيمة قد أثبتت" {لو ١٦: ٢٦}.

📖 الأبرار في الآخر، يكونون في أورشليم السمائية، مسكن الله مع الناس. وهذه لا يدخلها شيء دنس، ولا ما يصنع رجسًا. إلا المكتوبين في سفر الحياة {رؤ ٢١: ٢٧}.

📖 ينفصل الأبرار عن الخطاة إلى الأبد. يفصل الله الأبرار عن الخطاة، والقمح عن الزوان، والخراف عن الجداء. ويطرح الأشرار في الظلمة الخارجية. الظلمة تعني انفصالهم عن النور، أي عن الله. وتعني انفصالهم عن المدينة المنيرة، أورشليم السمائية.

📖 وعبارة الخارجية تعني أنهم خارج جماعة المفديين، الغالبين، الأبرار، بعيدًا عن القديسين، الذين كانت حياتهم بعيدة عن حياتهم ومنفصلة عنها.

📖 **إذن الخاطئ سينفصل في السماء عن جميع أحبائه على الأرض.**

📖 هنا على الأرض الكل معًا: القديس مع الخاطئ. ولكنهم في السماء سينفصلون. فإن كان أحد على الأرض يحب إنسانًا بارًا، فإنه لن يراه في المساء، إلا إذا تاب ههنا، وصار بارًا مثله، واستحق بهذا أن يوجد في الموضع الذي سيوجد فيه ذلك البار.

📖 أما إن ظل خاطئًا، فقد انقطعت صلته بذلك الحبيب إلى الأبد، مهما كان ابنًا، أو أخًا، أو أبًا، أو صديقًا.

📖 لا بد أن يكون مثله، ليتمتع بعشرته في الأبدية. فإن كان الاثنان اللذان يحبان بعضهما البعض خاطئين معًا، فماذا يحدث؟ أقول إن العذاب الذي يلاقيه كل منهما في الأبدية، لا يعطيه فرصة أن يفكر في غيره، بل عذاب غيره يكون عذابًا آخر مضافًا إليه، وليس متعة لعشرته. الحل الوحيد إذن، الذي يجمع المحبين، ليتمتعوا بالعشرة معًا هي أن يحيوا ههنا في بر، ويجتمعوا معًا في السماء.

🕮 الخطية إذن تفصل الإنسان عن الله، وعن القديسين، وعن أحبائه وتفصله عن الملائكة أيضاً. فالكتاب يقول إن ملائكة الله: "حالة حول خائفيه وتنجيهم" {مز ٣٤: ٧}.
🕮 فإن كنت من خائفي الرب، تتمتع بعشرة الملائكة هنا، وفي السماء أيضاً. أما الخطاة فإنهم يفصلون أنفسهم عن طغمة الملائكة، التي لا تحتمل أن تري أعمالهم الردية. بينما في وقت خطيتهم يحيط بهم الشياطين، يشجعونهم على ما هم فيه!
🕮 فالخطية إذن، ليست هي انفصالًا عن الله وحده، بل أيضاً عن ملائكته وقديسيه وسمائه، وملكوته، في الأرض، وفي السماء.

🕮 **واضح في قصة الابن الضال أنه انفصل عن أبيه.**
🕮 انفصل عن الآب. طلب ذلك ونفذه فعلًا، وذهب إلى كورة بعيدة {لو ١٥: ١٣}. وفي نفس الوقت الذي انفصل فيه عن الآب، انفصل عن بيته، الذي يرمز إلى الكنيسة بيت الله، وانفصل عن أعضاء أسرته، الذين يرمزون إلى جماعة المؤمنين.
🕮 وهكذا حدث للخروف الضال: انفصل عن الراعي، وعن الحظيرة، وعن باقي الخراف. في نفس الوضع حدث للدرهم المفقود {لو ١٥}.

🕮 الخطية انفصال عن الله، وانفصال عن البر والخير، بطبيعتها.
🕮 إنها انفصال عن الخطة الإلهية، التي رسمها الله لخلاصك.
🕮 وانفصال عن الخط الإلهي، الذي يريدك الله أن تسير فيه. هي انفصال عن الحق، وسير في الباطل، والحق هو الله {يو ١٤: ٦}.

🕮 **بدأ الانفصال عن الله من أول خطية آدم.**
🕮 انفصل آدم عن المحبة، والدالة، والعشرة، التي كانت بينه، وبين الله، فأصبح يخاف منه، ويختبئ من وجهه، وإن سمع صوته يهرب

من لقائه، لا يستطيع أن يراه! أو بأي وجه يراه؟! هذا من ناحية. ومن ناحية أخري، انفصل آدم عن شجرة الحياة، وعن الجنة، مكان لقائه مع الله {تك ٣: ٢٢، ٢٣}.

📖 وماذا أيضاً؟ انفصل كذلك عن الصورة الإلهية التي كانت له. فلم يعد بعد الخطية على شبه الله ومثاله. كانت نتيجة خطيته هي الانفصال عن الله، ونفس الخطية ذاتها كانت انفصالًا عن الله.

📖 فكيف ذلك؟

📖 كان الله يدبر أمور آدم في الجنة، ويرسم له الخط الذي يسير فيه. ولكن آدم في خطيئته بدأ يستقل عن الله، ويري ما هو الصالح لنفسه، وما هو المستقبل الذي يشتهيه حين يصير هو وحواء: "مثل الله، عارفين الخير والشر" {تك ٣: ٥}.

📖 وبدأ الإنسان الأول يختار له أصدقاءه ومشيريه، الذين يسمع لهم أكثر من الله. ويتصرف كشخصية مستقلة قائمة بذاتها. وهكذا انفصل عن الله في ذات الخطية، وخالف الله.

📖 **وقايين لما أخطأ، انفصل أيضاً عن الله.**

📖 وصار تائهًا وهاربًا في الأرض، خائفًا ومرتعبًا. لأنه في انفصاله عن الله، انفصل عن المعونة والسلام، وليس عن البر فقط.

📖 وهكذا قال للرب عبارته المملوءة مرارة وحسرة: "إنك قد طردتني اليوم. ومن وجهك أختفي" {تك ٤: ١٤}.

📖 لعله نفس الخوف الذي خافه داود النبي حينما قال: "لا تطرحني من قدام وجهك، وروحك القدوس لا تنزعه مني" {مز ٥٠}. إن عبارة: "حتى متى تحجب وجهك عني" {مز ١٢} أخف بكثير من طرد الإنسان من أمام وجه الله، كما حدث لقايين.

📖 **وعقوبة شاول كانت أصعب.**

📖 إذ "فـارق روح الـرب شـاول" {١ صم ١٦: ١٤}. ولـذلك قيـل بعـدها مباشرة: "وبغته روح رديء من قبل الرب".

📖 لقد انفصل عن الله، فأصبح للشياطين سلطان عليـه. صـار كمدينـة غير محصنة، وكبيت بلا حماية، تعبث به الشياطين.

📖 ما أصعب التدرج في الانفصال عن الله. عصيان لله، خصـومة مع الله، انفصـال عـن الله، حجـب وجـه الله عـن الإنسـان، مفارقـة روح الرب للإنسان، طرحه من قدام وجه الله، لتبغته الأرواح الرديئة.

📖 **بل هناك وضع أصعب في الانفصال.**

📖 وهو ما قيل عن الغصن الذي لا يصنع ثمرًا، إنه: "يقطع ويلقي فـي النار" {يو ١٥: ٦}، {مت ٣: ١١}. نهاية مؤلمة حقًا، لغصن كان في يـوم مـن الأيـام، مـن أغصـان الكرمـة. ولكنـه الآن انفصـل عنهـا، وعـن باقي الأغصان. إذن فالخطية كذلك هي انفصال عن الكنيسة.

كتاب الرجوع إلى الله ـ صفحة ٨ ـ ١٩

{٢}

الخطية انفصال عن جماعة القديسين

📖 الكنيســة هــي جماعــة مــن القديســين يعيشــون فــي طاعــة الله. وفي قانون الإيمان نقول: "نؤمن بكنيسة واحدة مقدسة".

📖 وحتى الكنيسة ـ كمكان ـ هي موضع مقدس للرب.

📖 نقول عنه في المزمور: "ببيتك تليق القداسة يا رب" {مز ٩٦}.

📖 ويقول الله لشعبه "لتكن محلتك مقدسة" {تث ٢٣: ١٤}.

📖 لذلك فإن الخاطئ – بخطاياه، أو بهرطقته ـ يفصل نفسه – سلوكيًا، أو فكريًا ـ عن جماعة المؤمنين المقدسة. أو تفصلـه هـي. إن مجـرد أعمـال الخـاطئ تفرزه عـن جماعـة المـؤمنين: حياتـه غيـر حيـاتهم، ومبادئه غير مبادئهم، وسلوكه، وشكله، طرقه وأساليبه.

📖 كل ذلك يجعله منفصلاً عنهم، روحًا، وفكرًا، ومنهجًا. بل حتى لغته

وألفاظه، تختلف عن لغة القديسين وألفاظهم. وكما قيل "لغتك تظهرك" {مت ٢٦: ٧٣}.

📖 **لذلك فإن هذا الانفصال واضح.**

📖 يقول فيه يوحنا الرسول: "بهذا أولاد الله ظاهرون، وأولاد إبليس {ظاهرون}" {١ يو ٣: ١٠}. إنه انفصال في النوعية، في السلوك، في محبة الله. تمايز واضح بين صفات الخراف، وصفات الجداء.

📖 من المفروض أن تكون الكنيسة واحدة في الفكر، والإيمان، والروح. ومن يشذ عن هذا الوضع، إنما يعبر عن انفصاله الشخصي عن هذه الروح الواحدة.

📖 فإن صار بهذا خطرًا على الجماعة المقدسة، فإنها تفصله من عضويتها، بعد أن فصل نفسه عمليًا. وفي هذا يقول الكتاب: "اعزلوا الخبيث من بينكم" {١كو ٢: ٧ - ١١}.

📖 **إنها عملية فصل تقوم بها الكنيسة، لتبقي عضويتها مقدسة.**

📖 ومن جهة المنحرفين في الإيمان، نري القديس يوحنا الرسول، الذي تكلم عن المحبة أكثر من جميع الرسل، يقول من جهة هؤلاء المنحرفين: "إن كان أحد يأتيكم، ولا يجئ بهذا التعليم، فلا تقبلوه في البيت، ولا تقولوا له سلام. لأن من يسلم عليه، يشترك في أعماله الشريرة" {٢ يو ١٠، ١١}.

📖 ومن هنا، كانت المجامع المقدسة تفصل الخارجين عن الإيمان. وينطبق هنا مبدأ: "خارج المحلة" المعروف في العهد القديم.

📖 تحدث عملية فصل. وما يختص بالخطية، وبكل ما هو دنس، يكون خارج المحلة. مثلما حدث مع مريم أخت موسى وهرون، لما تقولت على موسى نبي الله، وضربها الله بالبرص عقابًا لها: "حجزت مريم خارج سبعة أيام" {عدد ١٥:١٢}.

📖 وبسبب هذا أيضاً كانت الذبائح التي عن خطايا الشعب، والتي يدخل بدمها إلى الأقداس: "تحرق أجسامها خارج المحلة" {عب ١٣: ١١}. وتبقي المحلة مقدسة.

📖 شعوب الأرض في العهد القديم، كانت تفصلهم خطاياهم عن الشعب المقدس. وكان الفلك أيضاً مثالًا لهذا الفصل.

📖 نوح، وأولاده، ونساؤهم، كانوا في الفلك، ويمثلون الذين نالوا الخلاص، وساروا تحت قيادة الله مباشرة. أما الخطاة غير المؤمنين، فكانوا خارجًا، تحت حكم الموت، تجرفهم المياه، فتبيدهم وتبيد خطاياهم معهم. إنهم رفضوا أن يدخلوا مع نوح إلى الحياة، لأن كل أعمالهم كانت غير أعماله.

📖 **لقد فصلوا أنفسهم عن الله، الذي خلقهم للحياة.**

📖 وعن أمثال هؤلاء يقول القديس يوحنا الحبيب: "منا خرجوا. ولكنهم لم يكونوا منا. لأنهم لو كانوا منا، لبقوا معنا" {يو ٢: ١٩}. لقد فصلوا أنفسهم عنا، ولم يعودوا منا. وعبارة: "لم يكونوا منا" تشبه عبارة السيد: "إني لا أعرفكم قط" {مت ٧: ٢٣}.

📖 أنظروا إلى يهوذا: كان واحدًا من الاثني عشر. ولكنه لعله كانت تنطبق عليه عبارة: "لم يكونوا منا" التي قالها القديس يوحنا الحبيب.

📖 كان منا من جهة العدد، وأمام الناس. ولكنه لم يكن منا حسب قلبه ونيته. ولذلك فهو قد جلس إلى العشاء مع باقي التلاميذ، بغير استحقاق. ولما أخذ اللقمة دخله الشيطان. ويقول الكتاب: "ذاك لما أخذ اللقمة خرج للوقت" {يو ١٣: ٣٠}.

📖 وبخروجه فصل نفسه عن التلاميذ، إلى الأبد.

📖 وديماس، تلميذ بولس الرسول، سار في طريق يشبه يهوذا.

📖 كان منا، واحدًا من الكارزين الكبار، من مساعدي القديس بولس

الرسول. ذكره القديس في رسالته إلى أهل كولوسي إلى جوار اسم القديس لوقا الطبيب {كو ٤: ١٤}. وذكره في رسالته إلى فليمون مع مرقس وأرسترخس، وقبل لوقا {فل ٢٤}.

📖 ولكنه يبدو أنه لم يكن منا، لأنه لما أحب العالم الحاضر فصل نفسه عن الرسل، وهكذا يقول القديس بولس في خاتمة مأساة هذا الإنسان: "ديماس تركني، لأنه أحب العالم الحاضر" {٢ تي ٤: ١٠}.

📖 انفصل ديماس عن القديس بولس. محبته للعالم فصلته عن الخدمة كلها. ولم يعد اسمه يذكر في الكتاب، ولا في جماعة المؤمنين، والتاريخ يذكر له نهاية مفجعة. إنه لم يحتمل صليب المسيح في الخدمة. ففصل نفسه.

📖 والخطية غالبًا ما تكون انفصالا عن صليب المسيح.

📖 إنها انفصال عن الباب الضيق، الذي أمرنا الرب بالدخول منه {مت ٧: ١٣}. وانفصال عن الضيقات، التي قال عنها الرسول: "إنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله" {أع ١٤: ٢٢}.

📖 الخطية هي محبة العالم، والباب الواسع، والطريق الرحب. وكل هذا لا يتفق مع صليب المسيح الذي قال عنه الرسول: "صلبت للعالم، وصلب العالم لي" {غل ٢: ٢٠}. فمن يفصل نفسه عن الصليب، يفصل نفسه عن الله، وعن جماعات المؤمنين.

📖 ما أسهل إن عرف إنسان الخطية، أن ينفصل عن الكنيسة.

📖 ينفصل عن خلطة القديسين، ويبحث له عن مجموعة أخري توافقه في أسلوبه، ولا تبكته على خطاياه. وينفصل أيضاً عن الكنيسة، وعن الاجتماعات الروحية، وعن التناول والاعتراف. يختط لنفسه خطة جديدة، بحيث يمارس خطاياه دون أن يتبكَّت من أحد. بل حتى الكتاب المقدس، والكتب الروحية ينفصل عنها أيضاً، لأنه لا يستطيع أن ينفذ ما تأمر به من روحيات.

📖 **هذا لم تفصله الكنيسة، لكنها فصل نفسه بنفسه.**

📖 هو قد انفصل من الداخل، في داخل قلبه وشعوره، في أسلوب فكره، واتجاهات حياته. أحب شهوة الجسد، وشهوة العين، أو تعظم المعيشة {١ يو ٢: ١٦}. أو أحب المال مثل الشاب الغني الذي انفصل عن المسيح، ومضي حزينًا، لأنه كان ذا أموال كثيرة {مت ١٩: ٢٢}.

كتاب الرجوع إلى الله ـ صفحة ٢٠ ـ ٢٥

{٣}

خطورة الانفصال وإمكانية الرجوع

📖 أما أنت يا أخي، فلا تسمح للشيطان أن يفصلك عن الله، ويقتادك خطوة خطوة بعيدًا عنه، حتى يفصلك تمامًا، ويقطع كل الروابط الروحية التي تربطك بمحبة الرب. إنما استيقظ بسرعة إلى نفسك، والتفت إلى خلاصك. تأكد أنك أنت الخاسر، بانفصالك عن الله.

📖 إنك بهذا الانفصال تخسر نقاوة قلبك، وتخسر سمعتك، وتخسر أبديتك. تخسر الحياة الحقيقية التي هي المتعة مع الله، وتخسر نفسك، إذ تخسر الأبدية السعيدة، وعشرة القديسين. وفي مقابل ذلك لا تحصل على شيء ههنا. وكما قال السيد المسيح له المجد: "ماذا يستفيد الإنسان لو ربح العالم كله، وخسر نفسه" {مت ١٦: ٢٦}.

📖 ماذا تستفيد إن فصلت نفسك عن الله، وملائكته، وقديسيه، وأصبح مصيرك هو الظلمة الخارجية، في البحيرة المتقدة بالنار والكبريت {رؤ ٢٠: ١٥} ويصدر عليك الحكم الإلهي الذي لا استئناف له. ولكن الآن ما تزال أمامك فرصة للرجوع إلى الله.

📖 يقينًا إنك لا تستطيع أن تستمر في هذا الانفصال عن الله. في قلبك صوت ثائر عليك، يدعوك أنت تصطلح مع الله. وهو نفسه يريد لك هذا الرجوع. لأن انفصالك عن الله، ليس هو الوضع الأصيل، ولا

هو القصد الإلهي من خلقك.



أنا أعرف إنك لا بد سترجع.

لن تجد راحتك في هذا العالم المتعب. وحينئذ سترجع إلى الله.

ولعله ستنطبق عليك تلك العبارة الجميلة، التي وردت في قصة الفلك، "إن الحمامة إذ لم تجد موضعًا لرجليها، رجعت مرة أخري إلى الفلك" {تك ٨: ٩}. والفلك هو سفينة النجاة، التي يدعوك الله إليها. حيث تكون في أمان من طوفان العالم الحاضر. لا تنتظر حتى يرسل إليك ضيقة ترجعك، بل أرجع من نفسك حبًا لله، وحبًا للخير، وحبًا للملكوت الأبدي.

أعرف أن الخطية قد فصلتك عن كل ما هو خير، ولم تقدم لك عوضًا عن ذلك، فقد خسرت الله بلا مقابل. هوذا بولس الرسول يدعو كل مشتهيات العالم نفاية. ويقول في معرفته للرب: "خسرت كل الأشياء، وأنا أحسبها نفاية، لكي أربح المسيح، وأوجد فيه" {في ٣: ٨} بل يقول أيضاً: "أني أحسب كل شيء أيضاً خسارة، من أجل معرفة المسيح ربي".

جاهد إذن بكل قوتك، لتضع نهاية لهذا الانفصال.

وإن لم تستطع، أصرخ إلى الله، وقل له: "أنا يا رب لا أستطيع أن ابعد عنك لحظة واحدة. ولا طرفة عين. أنت بالنسبة إلى هو الحياة ذاتها. لي الحياة هي المسيح. أنا إن فصلت عنك أصير ضائعًا بلا هدف، وتصبح حياتي بلا وزن. وكأني ميت، أولا وجود لي. وجودي الحقيقي هو فيك {في ٣: ٩}.

لا يمكن أبدًا أن أنفصل عنك. وإن انفصلت في وقت ما ثق تمامًا أنه وضع مؤقت، وغير طبيعي، وأنا لا أريده. لذلك أرجعني إليك بأية وسيلة. رد نفسي. لأنه بدونك لا أعيش. فبك أحيا، وأوجد، وأتحرك". {أع ١٧: ٢٨}.

📖 إذا انفصلت عنك، انفصل عن القوة، والنعمة، وأصبح لا شيء. أعود ترابًا كما كنت، بل عصافة تذريها الريح {مز ١}.
📖 لذلك لا تسمح يا رب أن أنفصل عنك..
📖 رد نفسي، وأهدني إلى سبل البر، لأجل اسمك {مز ٢٣}.
📖 لك المجد من الآن، وإلى الأبد آمين..

كتاب الرجوع إلى الله ـ صفحة ٢٥ ـ ٢٨

{٤}
قصة الانفصال عن الله

📖 "ارجعوا إلى بكل قلوبكم" {يوئيل٢: ١٢}.
📖 "ارجعوا إلى أرجع إليكم" {ملاخي٧:٣}.
📖 "توبوا وارجعوا فتمحي خطاياكم" {أعمال٣: ١٩}.

📖 **علاقة الإنسان بالله بدأت طيبة جدًا، كلها محبة.**
📖 الله هو الذي بدأ هذه العلاقة. بأن خلق الإنسان، ونفخ فيه نسمة حياة، وجعله على صورته ومثاله، ووضعه في الجنة، ومنحه سلطانًا على كل ما فيها من كائنات. وكون علاقة معه.
📖 وكان يظهر له بين الحين والآخر، ويتحدث معه. وكان الإنسان صديقًا لله، يتمتع برؤياه في الجنة، ويأخذ المعرفة منه مباشرة. فكان الله هو المرشد الروحي للإنسان في كل شيء. وهو الذي أعطاه الإرشاد الأول، بالوصية.

📖 **إذن كيف حدثت الخطية؟ كيف تمت؟ وما كنهها؟**
📖 الخطية ـ في كلمة واحدة ـ هي انفصال عن الله.
📖 هي استقلال الإنسان عنه، لكي يعمل ما يريد. ونتيجة لهذا الانفصال، حدثت باقي الإشكالات، وباقي الخطايا.
📖 كيف إذن حدث هذا الانفصال؟ وكيف تطور؟ وما نتائجه؟

📖 **١- انفصل عن عشرة الله:**

📖 انفصل الإنسان عن عشرة الله، وبدأ يكون له علاقة مع كائن عاقل غيره. وللأسف كانت هذه العلاقة الجديدة مع الشيطان، الحية القديمة {رؤ١٢: ٩}.

📖 **٢- وانفصل عن الله في المعرفة:**

📖 فبعد أن كان يأخذ معرفته من الله وحده، بدأ يأخذ المعرفة طريق آخر. من الحية، ونصائحها، وشكوكها. وأيضاً توقع أن يأخذ المعرفة من شجرة المعرفة التي نهاه الله عنها. وبهذا وقع في انفصال آخر.

📖 **٣- انفصل عن وصية الله وكلمته المقدسة.**

📖 **٤- انفصل عن الله، في شهوات قلبه.**

📖 فصار يشتهي الشجرة، ويشتهي الثمر، وجدها: "شهية للنظر، جيدة للأكل" {تك ٣: ٦}. وهكذا وقع في شهوة الأكل أيضاً، وفي شهوة المادة. وشهوة الأكل من الشجرة، كان سببها شهوة أن يصير مثل الله، كما أغرته الحية {تك ٣: ٥}.

📖 **٥- وبانفصاله عن الله، انفصل عن الحق.**

📖 لأن الله هو الحق. وإذ انفصل الإنسان عنه، انفصل عن الحق، واتبع الباطل. والمعروف أن الحق ثابت، والباطل كثير التغير.

📖 فلما انفصل الإنسان عن الحق، ودخل في الباطل، دخل في تغيرات لا تنتهي. وأصبح كل يوم في حال، وكل يوم في شعور.

📖 صار مخلوقًا متغيرًا، غير ثابت على وضع.

📖 **٦- وبانفصاله عن الله، انفصل عن الحياة.**

📖 لأن الله هو الحق والحياة {يو ١٤: ٦}. وإذ انفصل الإنسان عن الحياة

الحقيقية، التي هي الثبات في الله، أصبح من الناحية الروحية ميتًا، حسبما قال الآب عن ابنه الضال: "ابني هذا كان ميتًا" {لو ١٥: ٢٤}. وصار ينطبق على الإنسان قول الرب: "لك اسم أنك حي، وأنت ميت" {رؤ ٣: ١}.

🕮 **٧- وبانفصال الإنسان عن الله، انفصل عن القوة.**

🕮 مصدر قوته كان هو الله. وبانفصاله عن الله، انفصل عن القوة، فصار ضعيفًا: ينتصر عليه الشيطان، وتقوى عليه حتى الحيوانات، وينتصر عليه أخوه الإنسان. وتنتصر عليه ذاته كذلك.

🕮 أصبح مخلوقًا ضعيفًا لا يستطيع أن يقوم بذاته، أو يقيم ذاته.

🕮 **٨- وبانفصاله عن الله، انفصل عن سلطته.**

🕮 انفصل عن السلطان الذي أعطي له من الله، على باقي الكائنات الحية. فلم يعد له سلطان على وحوش الأرض، كما كان من قبل.

🕮 **٩- وانفصل أيضاً عن وقاره وهيبته.**

🕮 فارقت الهيبة التي كانت له كصورة الله ومثاله، وقد فقد هذه الصورة الإلهية بسقوطه في الخطية. وفي فقده لوقاره، طرد من الجنة، ووقف أمام الله كمذنب مستحق للعقوبة.

🕮 والشيطان، إذ رأي الإنسان مطرودًا من الله، ومذنبًا، ومعاقبًا، وجدها فرصة فسيطر عليه. وأقام الشيطان نفسه رئيسًا لهذا العالم. وأصبح هكذا لقبه: "رئيس هذا العالم" {يو ١٤: ٣٠}.

🕮 **١٠- وبانفصال الإنسان عن الله، بدأ ينهار، ودخله الخوف.**

🕮 بدأ يخاف من الله، بدلًا من الدالة والحب.

🕮 ثم صار يخاف من أخيه الإنسان، كما خاف قايين وقال: "يكون كل

من وجدني يقتلني" {تك ٤: ١٤}. وصار أيضاً يخاف من الوحوش، ودخله القلق، والاضطراب، والهم.

١١- وبانفصاله عن الله، انفصل عن حياة الروح.

وهكذا سيطرت عليه المادة، وسيطر عليه الجسد. ووقع في خطايا الجسد. وأصبحت خطايا الجسد تحارب حتى الأنبياء، ورجال الله، فوقع فيها شمشون، وداود، وسليمان، وغيرهم. وقيل إنها: "طرحت كثيرين جرحي، وكل قلاها أقوياء" {أم ٧: ٢٦}.

١٢- وبانفصال الإنسان عن الله، تمادي في الخطية.

شيئًا فشيئًا بدأت خطاياه تزيد، وأخذ الإنسان يتهاوى شيئًا فشيئًا، ويتمادى في أعمال الشر والنجاسة، ويخترع فيها فنونًا وحيلًا، إلى أن أصبحت خطاياه أكثر من شعر رأسه.

هذا هو تاريخ الخطية على الأرض، وانفصال الإنسان عن الله.

تاريخ يسجل مأساة إنسان.

نفهم منه أن الخطية لا تستريح حتى تكمل. الشيطان إذا أوقع إنسانًا في خطية، لا يكتفي بها. بل يظل يتدرج معه حتى يهلكه، ويصير بلا مقاومة. فما هو الحل إذن؟

الحل الوحيد هو الرجوع إلى الله، وتكوين علاقة معه.

إن كانت الخطية هي الانفصال عن الله، فالعلاج الوحيد هو الانفصال عن الخطية، والرجوع إلى الله. ولا علاج غير هذا.

انفصل عن الخطية بكل قلبك، ليس فقط من أجل أنها أتعبتك، أو من أجل الدينونة، والعقاب، إنما لأن هذه الخطية أبعدتك عن الله، وفصلتك عن العشرة الحلوة معه.

كتاب الرجوع إلى الله - صفحة ٣٠ - ٣٥



{٥}
معنى الرجوع لله

📖 ما معني الرجوع إلى الله؟

📖 معناه باختصار: "تكوين علاقة حقيقية قلبية معه".

📖 أقول علاقة، وليس مجرد مظاهر خارجية، أو ممارسات.

📖 البعض يظن أن الرجوع إلى الله، معناه برنامج في الصلاة، والصوم، والتداريب الروحية، والقراءات الروحية، والاجتماعات والمطانيات.

📖 كل هذا حسن، وجميل، ولكن هل فيه علاقة قلبية مع الله، أم لا؟

📖 هل فيه حب لله أم لا؟

📖 بدون هذه العلاقة القلبية، وبدون هذا الحب، لا تكون قد رجعت إلى الله، مهما كانت لك صلاة، وأصوام، وقراءات، ومطانيات.

📖 إنما بالعلاقة مع الله، وبالحب، تأخذ كل هذه الوسائط الروحية فاعليتها وقوتها. فالقلب أولًا، ومنه تصدر هذه الممارسات.

📖 ولهذا يقول الرب في سفر يوئيل النبي: "ارجعوا إلى بكل قلوبكم، وبالصوم والبكاء والنوح. "مزقوا قلوبكم لا ثيابكم، وارجعوا إلى الرب إلهكم" {٢: ١٢، ١٣}. إذن الرجوع القلبي هو المطلوب.

📖 القلب أولًا. ومن هذا القلب الراجع، المنسحق أمام الله، يأخذ الصوم قوة، وكذلك الدموع.

📖 عجيب أن كثيرًا من الناس، يتمسكون بالوسائط، وينسون الله. كإنسان كل همه أن يتلو مجموعة من المزامير. إن لم يتلها يكون حزينًا. وإن أكملها يصير سعيدًا، حتى لو لم تكن له علاقة بالله أثناء تلاوتها!! كلا، ليس الأمر هكذا.

📖 إن المزامير لها قوتها الروحية الجبارة، ولها بركتها، وتأثيرها، وفاعليتها، بشرط أن تكون صادرة من القلب، بعلاقة مع الله.

📖 أما بغير هذه العلاقة، وبغير مشاعر القلب، فقد تصلي، ومع صلاتك يسري الفتور، والسرحان، وطياشة الفكر.

📖 وقد تصلي بلا عاطفة، وبلا حرارة، وبلا إيمان، ودون شعور بالوجود في حضرة الله. لقد تحول الأمر إلى مجرد ممارسة، بدون علاقة قلبية في الداخل، تعطي هذه الممارسة وزنًا وقيمة.

📖 **أو كإنسان يصوم، والله ليس في صومه.**

📖 كل همه يركز في فترة الانقطاع وتطويلها، وفي زهد الطعام ونسكه. ربما لا يأكل شيئًا حلوًا، أو لا يأكل شيئًا مطبوخًا، أو يقتصر على الماء، والخبز، والملح. فإن فعل ذلك، يكون راضيًا عن نفسه. شاعرًا إنه ناجح في صومه. أما استخدام الصوم كوسيلة توصله إلى الله، فربما يكون أمرًا لم يخطر على باله!

📖 إن القلب هو الأساس. وبه نميز بين اثنين:

📖 إنسان يصلي المزامير، فيخرج بها الشياطين. وآخر يصلي المزامير وكأنه لم يصل، إذ لا علاقة في قلبه مع الله.

📖 هناك من يصوم، فينال مراحم الرب وغفرانه، كما فعل أهل نينوى. وغيره يصوم فلا يقبل الله صومه، كما حدث للفريسي.

📖 **القلب إذن هو الحكم. والرجوع إلى الله، نريده بالقلب.**

📖 كذلك الرجوع إلى الله، معناه الرجوع الدائم الثابت.

📖 الرجوع الذي لا نكسة فيه. لأن هناك أناسًا يظنون أنهم قد رجعوا إلى الله، بينما يحيون مترددين، يومًا معه وربما بحرارة شديدة، ويومًا في شهوات العالم ورغباته. كما قيل في قصة الفلك عن الغراب الذي أطلقه نوح، إنه: "خرج مترددًا" {تك ٨: ٧}. لا يكون رجوعك إلى الله إذن، هو رجوع في مناسبات، أو في أصوام، أو في تأثرات معينة، أو فترات تدريبات، رجوعًا موسميًا، تعوده بعده إلى

خطاياك السابقة، منفصلًا عن الله مرة أخري!

📖 **خذ درسًا - في الرجوع إلى الله - من قصص القديسين.**

📖 القديس موسى الأسود مثلًا، حينما رجع إلى الله، رجع بكل قلبه، ولم يعد إلى خطاياه الولي مرة أخري، بل ظل ينمو وينمو، حتى تحول إلى مرشد روحي، وقدرة لكثيرين.

📖 ومريم القبطية، وبيلاجية، وأوغسطينوس، وغيرهم. كل أولئك رجعوا إلى الله، ولم ينفصلوا عنه مرة أخري، إنما تقدموا باستمرار في النمو الروحي، من حياة التوبة إلى حياة القداسة.

📖 **والرجوع إلى الله معناه الرجوع بقلب جديد.**

📖 والله نفسه يقول في ذلك: "أعطيكم قلبًا جديدًا، أجعل روحًا جديدة في داخلكم" {خر ٣٦: ٢٦}. والقديس بولس الرسول يقول: "تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم" {رو ١٢: ٢}، أي بفكر جديد، يزن الأمور بميزان غير ميزانه السابق. فكر أصبحت للروحيات عنده قيمتها، وفقدت الخطية تأثيرها عليه.

📖 **ويكون الرجوع إلى الله بالصوم والتذلل.**

📖 كما رجع إليه أهل نينوى. سمعوا إنذار النبي إنه بعد أربعين يوم تنقلب المدينة {يون ٣: ٤}. ولكنهم لم ييأسوا من مراحم الله، ورجعوا إليه بالصوم والتذلل. فماذا فعلوا؟

📖 "نادوا بصوم. ولبسوا مسوحًا من كبيرهم إلى صغيرهم. وبلغ الأمر ملك نينوى، فقام عن كرسيه وخلع رداءه عنه، وتغطي بمسح، وجلس على الرماد". وهكذا تغطي جميع الناس بالمسوح، وصرخوا إلى الله بشدة، ورجعوا عن طريقهم الردية. فرجع الله إليهم.

📖 نفس الصوم والتذلل، نراه في سفر يوئيل {١٢: ١٥ - ١٧}. حيث قال: "قدسوا صومًا، نادوا باعتكاف. اجمعوا الشعب، قدسوا

الجماعة. ليخرج العريس من مخدعه، والعروس من حجلتها. ليبك الكهنة خدام الرب بين الرواق والمذبح".

📖 **وفي نفس الوضع نراه في صوم دانيال النبي وتذلله.**

📖 يقول: "فوجهت وجهي إلى الله، طالبًا بالصلاة، والتضرعات، بالصوم، والمسح، والرماد. وصليت إلى الرب إلهي واعترفت" {دا ٩: ٣}.

📖 "كنت نائحًا ثلاثة أسابيع أيام، ولم آكل طعامًا شهيًا، ولم يدخل في فمي لحم، ولا خمر، ولم أدهن" {دا ١٠: ٢، ٣}.

📖 **والرجوع إلى الله، يتميز بالحرص والتدقيق والجدية.**

📖 الذي يرجع إلى الله، يكون فرحًا جدًا برجوعه، حريصًا على هذا الصلح الذي تم بينه وبين الله. لذلك يكون مدققًا جدًا لئلا تصيبه نكسة فيسقط كما كان.

📖 لقد جرب من قبل مشاكل التساهل مع الخطية. وكيف أنه إذا تساهل مع الفكر، يتحول إلى شعور في القلب، ثم إلى شهوة تشتعل داخله، وتبدأ الخطية تسيطر عليه. ويصبح من الصعب أن يفلت منها.

📖 **لذلك يدقق مع كل فكر، ومع جميع الحواس.**

📖 يدقق مع الخطايا التي تبدو صغيرة، مثلما مع الخطايا الواضحة الخطأ. ويقول مع النشيد: "خذوا لنا الثعالب، الثعالب الصغار المفسدة للكروم" {نش ٢: ١٥}. ويقول للخطية وهي في أولها "طوبى لمن يمسك أطفالك، ويدفنهم عند الصخرة" {مز ١٣٧: ٩}. وهكذا يكون أمينا في القليل.

📖 **بهذا التدقيق تختبر أمانتك في الرجوع.**

📖 لأنك إن تساهلت مع الخطية، لا تكون أمينًا في رجوعك إلى الله.

ويكون قلبك ضعيفًا من الدخل، يسهل سقوطه.

📖 والرجوع الحقيقي إلى الله، هو رجوع بقوة.

📖 رجوع يمنحك فيه الله قوة تلمسها في كل نواحي حياتك الروحية: قوة في الانتصار على الخطية، وقوة في النمو الروحي، وفي الارتفاع إلى فوق. وكما قيل عن ذلك في سفر إشعياء النبي: "يعطي المعيي قدرة. يجددون قوة. يرفعون أجنحة كالنسور. يركضون ولا يتعبون. يمشون ولا يعيون" {أش ٤٠: ٢٩: ٣١}.

📖 شمشون الجبار فقد قوته لما أخطأ، لأن نعمة الله فارقته. لكنه لما رجع إلى الله، عادت إليه قوته.

📖 أطلب من الرب إذن أن يعطيك قوة ترجع بها، وأن يعطيك قوة تلازمك في رجوعك إليه، قوة من روحه القدوس. قوة تحسها في كل عمل تمتد إليه يدك، كما قال في المزمور الأول عن الرجل البار: "وكل ما يعمله ينجح فيه" {مز ١: ٣}.

📖 كإنسان كان مريضًا جدًا، ثم نقلوا إليه دمًا، فتقوي. بنقل الدم، عاد إليه نشاطه، وعادت إليه حيويته، ودخلت فيه قوة.. هكذا أيضاً التائب الراجع إلى الله، حينما تدخله قوة من عمل روح الله فيه. ولهذا كلما تجد نفسك ضعيفًا، أرفع نظرك إلى فوق، وقل للرب في صراحة تامة: لماذا هذا الضعف في؟ هل تخلت عني نعمتك بسبب خطاياي؟ أرددنا يا الله. أنر بوجهك علينا فنخلص.

📖 ما أجمل هذا المزمور، الذي جعلته الكنيسة لحنًا ترتله لله قائلة له في تضرع: "أيها الرب إله القوات. ارجع واطلع من السماء، أنظر وتعهد هذه الكرمة التي غرستها يمينك" {مز ٨٠:١٤، ١٥}.

📖 فهل يرجع الله ويتعهد هذه الكرمة؟ وهل يريد لنا الله أن نرجع إليه؟

كتاب الرجوع إلى الله - صفحة ٣٥ - ٤٣

📖 {٦} الله يريدنا أن نرجع:

📖 إنه ينادينا في حب: "ارجعوا إلى، فأرجع إليكم" {ملا ٣: ٧}.
📖 وتحمل هذه العبارات كثيرًا من المعاني العاطفية:
📖 ١- إنه يذكرنا بأن أصلنا عنده، والخطية دخيلة علينا. وكأنه يقول لنا: "ليس انفصالكم عني هو وضعكم الأصلي. فوضعكم الأصلي هو الثبات في. لأني أنا الكرمة، وأنتم الأغصان {يو ١٥: ٥} وطبيعة الغصن أن يكون ثابتًا في الكرمة. وأنا الرأس، أنتم الجسد، أنتم الأعضاء {أف ٥: ٢٣}. فثباتكم في أمر طبيعي.
📖 لذلك لست أناديكم أن تأتوا إلى، بل أن ترجعوا إلى.
📖 ترجعوا إلى الوضع الطبيعي الذي كان لكم منذ البدء.
📖 ترجعوا إلى الصورة الإلهية التي كانت لكم يوم خلقتم.
📖 انفصالكم هذا، وضع طارئ، مؤقت، لا يصح أن تبقوا فيه. وحياة البر والقداسة ليست جديدة عليكم، بل هي طبيعتكم التي بدأت بها علاقتي معكم، والتي تعيشون بها معي في الأبدية.

📖 **٢- تحمل عبارة "ارجعوا إلى" دليلًا على حنو الله:**
📖 فمن نحن التراب والرماد، حتى يدعونا الله للرجوع إليه؟!
📖 لكنها محبة الله، التي لا يعبر عنها، التي تذكرنا بترتيلة: "يا حبيبي، عُد إلى". إنه يريد أن تظل عشرتنا به ثابتة، هذا الذي لذته في بني البشر، الذي يقول لنا: "حيث أكون أنا، تكونون أنتم أيضاً" {يو ١٤: ٣}. الذي اسمه عمانوئيل، أي الله معنا {مت ١: ٢٣} وقد جعل أورشليم السمائية هي: "مسكن الله مع الناس"، "الله وسط شعبه" {رؤ ٢١: ٣}.

📖 **٢- وحسن في هذا الرجوع، أن تأتي المبادرة من الله.**
📖 فهو الذي يبدأ، وهو الذي يطلب، وهو الذي يدعونا إليه.
📖 بل هو من أجل هذا أرسل إلينا الأنبياء، ووضع لنا سر التوبة. ووعدنا في رجوعنا أن ينسي القديم كله، ولا يذكره بعد {أر ٣١: ٣٤}.
📖 ولكن ما معني قوله: "ارجعوا إلى، فأرجع إليكم"؟ هل معني هذا أن

رجوعنا لا بد أن يسبق رجوعه، أو شرط لرجوعه؟! كلا، إنما هو يقصد بهذا أن يقول:

📖 **٣- إن رجوعي إليكم مضمون. المهم أن ترجعوا أنتم.**

📖 أنا في أي وقت تطلبونني فيه، تجدونني معكم. بل أنا واقف على أبواب قلوبكم أقرع لكي تفتحوا لي {رؤ ٣: ٢٠}. إنما المشكلة تأتي من جهتكم أنتم: "فإن سمع أحد صوتي وفتح الباب، أدخل إليه".

📖 لذلك أقول: "ارجعوا إلى" أي افتحوا أبواب قلوبكم المغلقة دوني. "فأرجع إليكم" أي أدخل إلى هذه القلوب التي أخرجتموني منها، برفضكم إياي في خطاياكم.

📖 ارجعوا إلى، فأنا موجود معكم. ولكنكم لا تشعرون بوجودي.

📖 حقًا لقد صدق القديس أوغسطينوس حينما قال: "كنت يا رب معي، ولكنني أنا لم أكن معك". الله معنا، يعمل لأجلنا، حتى ونحن في عمق خطايانا. يبحث عنا وقد شردنا من حظيرته، وينادينا ارجعوا إلى.

📖 **٨- معنى رجوعه إلينا إن رجعنا إليه.**

📖 ما معني إذن رجوعه إلينا، إن رجعنا إليه؟

📖 معني رجوعه إلينا، هو أن نحس نحن بوجوده معنا.

📖 ليس رجوع الله هو الذي نفتقده. إنما الذي يلزمنا هو إحساسنا بوجوده معنا. فإن رجع إلينا هذا الشعور، نشعر أن الله رجع إلينا.

📖 أحيانًا نظن أن الله قد تركنا، بينما نكون نحن الذين تركناه. لذلك أذكر أنني في إحدى المرات {سنة ١٩٥٧} تأثرت بمنظر الشمس وقت الغروب، وباتهامنا الباطل لها، فكتبت في مذكرتي:

📖 قلت لنفسي وقت الغروب: "لم يحدث أن الشمس حجبت وجهها عن الأرض. إنما هي الأرض التي أدارت ظهرها للشمس".

📖 نعم، فالشمس ثابتة. والأرض هي التي تدور حولها. وما نسميه غروب الشمس، ما هو تعبير عن دوران الأرض.

🕮 كذلك في العلاقة بيننا وبين الله: نحس أنه غاب عنا، لأننا نحن الذين درنا، ولم يعد وجهنا متجهًا إليه.
🕮 فإن رجعنا إلى الله، نحس وجوده معنا، ونحس نوره يشرق علينا، لأن الله ثابت، ليس عنده تغيير ولا ظل دوران {يع ١: ١٧}.

🕮 **فأنظر أنت: في أي شيء قد ابتعدت عن الله؟**
🕮 في أية نقطة من الطريق قد افترقت عنه؟ أية خطية قد فصلتك عنه وعن محبته. وأعرف يقينًا أن هذا الانفصال هو منك أنت: "فأذكر من اين سقطت وتب" {رؤ ٢: ٥}.
🕮 أما إحساسك ببعد الله عنك، فهو إحساس بعدم وجود الدالة، نتيجة لفتور محبتك، أو للخطية التي أبعدتك عنه.

🕮 **٩- ارجعوا إلى وأخلصوا**
🕮 عبارة: "ارجعوا إلى" تحمل معني عاطفيًا آخر وهو:
🕮 إن الله يريدنا أن نسير معه بكامل إرادتنا، من كل القلب، وبكل الحب، لذلك يقول: "ارجعوا إلى". وكأنه يقول: "أنا لا أرغمكم على محبتي، ولا أضطركم على تكوين علاقة معي. إنما الأمر متعلق بإرادتكم أنتم. إن أردتم أن أرجع إليكم، فإني أرجع إليكم. وإن لم تريدوا، اسلكوا حسب حريتكم".

🕮 **ولعل إنسانًا يقول: أريد ولكني ضعيف؟**
🕮 يكفي أن تريد، والله سيكمل معك. وكما قال أحد القديسين: "إن الفضيلة تريدك أن تريدها لا غير".
🕮 إن الله عبر التاريخ، هو الذي بدأ العلاقة مع البشر.
🕮 هو الذي بدأ علاقة مع أبينا نوح، واختاره وأنقذه، وفصله عن الشر، والأشرار. وهو الذي بدأ العلاقة مع أبينا إبراهيم، واختاره، وفصله عن الشر والأشرار. وكذلك مع موسى ومع شعبه.

وهو الذي بدأ علاقة مع الاثني عشر، وقال لهم: "لستم أنتم الذي اخترتموني، بل أنا الذي اخترتكم" {يو ١٥: ١٦}. فاطمئن إذن إلى رغبة الله في رجوعك إليه. ولكن في نفس الوقت ينبغي معه في الرغبة والعمل.

🕮 ينبغي أن تؤمن تمامًا بلزوم الله لك في الحياة، وأنك بدونه لا تقدر أن تعمل شيئًا {يو ١٥: ٥}. وينبغي أن تدرك من أعماقك حلاوة العشرة مع الله، وسمو وجمال الحياة الروحية، والرجوع إلى صورة الله التي كانت لآدم النقي البسيط.

🕮 **ينبغي أن تذكر نذورك التي نذرتها لله في المعمودية.**

🕮 حينما نذرت أن تجحد الشيطان، وكل أعماله الردية، وكل شروره وكل حيله. وقتذاك بدأت بداية طيبة، وولدت من الله، ولبست المسيح {غل ٣: ٢٧}. وخلعت الإنسان العتيق، وعشت في جدة الحياة {رو ٦: ٤، ٦}. وصرت نقيًا من كل خطية. وشيئًا فشيئًا، نسيت نذورك، ونسيت بنوتك لله، وتركت نقاوتك، وانفصلت عن الله. وتود الآن أن ترجع إليه.

🕮 **ولكي ترجع إلى الله، أذكر أنك ملك له.**

🕮 أنت لست ملكًا لنفسك، حتى تتصرف فيها كما تشاء. إنما أنت ملك لله الذي خلقك، والذي فداك. وهوذا القديس بولس الرسول يقول لنا: "إنكم لستم لأنفسكم، لأنكم قد اشتريتم، بثمن فمجدوا الله في أجسادكم، وفي أرواحكم التي هي لله" {١كو ٦: ١٩، ٢٠}.

🕮 إن الشيطان قد سلبك من الله. ولكن الله من حبه لك يتمسك بملكيته لك، ويقول: "ارجعوا إلى".

🕮 ارجعوا إلى نقاوتكم، التي كانت لكم، وأنتم ثابتون فيَّ.

🕮 ارجعوا إلى راحتكم، فلا راحة لكم إلا فيَّ.

🕮 كل الذين بعدوا عن الله، أو انفصلوا عنه، لم يجدوا راحة لأنفسهم، وعاشوا في تعب واضطراب. ولقد اختبر أوغسطينوس هذا الأمر فقال للرب: "ستظل قلوبنا قلقة، إلى أن تجد راحتها فيك".

🕮 والرب الذي يريد لنا الرجوع، يقول لنا، ونحن في تعب العالم وهمومه: "تعالوا إلى جميع المتعبين، والثقيلي الأحمال، وأنا أريحكم" {مت ١١: ٢٨}.

🕮 **إن رجعت إلى الله تنحل كل مشاكلك.**

🕮 بل تعيش بلا مشكلة، لأن المشكلة الوحيدة الحقيقية في حياتك هي الانفصال عن الله. وكل المشاكل الباقية قد تكون نتيجة لها.

🕮 لذلك ارجع إلى الرب. ارجع إلى النور، فلا تسلك في الظلمة ـ ارجع إلى الروح، فلا تحيا للمادة، ولا حسب الجسد ـ ارجع إلى الحياة، فالخطية موت. وبهذا يتجدد مثل النسر شبابك {مز ١٠٣: ٥}.

🕮 وتشعر بالعزاء في حياتك الروحية، وتدب الحرارة في حياتك، ويصير لحياتك طعم، ويصير لها هدف. وتشعر أن الله داخلك، وأنه معك، وتذوق ملكوته، وتختبر حلاوة العشرة معه، وتعرف معني عبارة: "الالتصاق بالرب" {مز ٧٣: ٢٨}.

🕮 **إن الله يريدنا أن نرجع إليه.**

🕮 يريد لنا الخلاص، ويريد منا أن نحبه كما أحبنا.

🕮 لذلك هو يقول: "ارجعوا إلى بكل قلوبكم" {يوئيل ٢: ١٢}.

🕮 ويسجل لنا الوحي الإلهي هذه العبارة الجميلة: "هل مسرة أسر بموت الشرير يقول السيد الرب، إلا برجوعه عن طريقه فيحيا" {خر ١٨:٢٣}. إن الله يريدنا أن نرجع إليه لنحيا. ذلك لأن الخطية حالة موت روحي على الأرض، ونتيجتها الموت الأبدي.

🕮 **إذن فالله يريدنا أن نرجع، من أجل صالحنا.**

📖 يضاف إلى هذا حنوه ومحبته، لأنه لا يسر بموت الخاطئ.
📖 إن موت الخاطئ أمر يحزن قلب الله بلا شك. ولهذا فإنه إذا رجع الخاطئ: "يكون فرح في السماء" {لو ١٥: ٧}.
📖 ولقد فرح الرسل، وبشروا التلاميذ برجوع الأمم {أع ١٥: ٣}.
📖 واستخدم الكتاب عبارة: "رجوع" بالنسبة إلى الأمم، ذلك لأن الإيمان هو الوضع الأصلي للبشرية عمومًا، قبل أن ينفصل الأمم عن هذا الإيمان، وعن الله. فلما آمنوا أعتبر هذا رجوعًا إلى الله.

📖 ١٠- الله يريد رجوعك:

📖 اعرف يا أخي حقيقة هامة وهي: "إن الله يريد رجوعك إليه، أكثر مما تريد أنت". فقد يكون الإنسان الخاطئ غافلًا عن خلاص نفسه، لا يفكر أن يرجع إلى الله. أو قد يكون ملتذًا بالخطية، راغبًا في البقاء فيها، شاعرًا إن الرجوع إلى الله سيحرمه من كل ملاذه.
📖 وفي كل ذلك يكون الله في سعي مستمر، إرجاع هذا الخاطئ إليه. بكافة الطرق. وقصص سعي الله وراء الخطاة كثيرة جدًا.

📖 ذكر منها في الإصحاح ١٥ من الإنجيل لمعلمنا لوقا البشير، قصة الخروف الضال، وقصة الدرهم المفقود. وذكر إنجيل يوحنا سعي الله لرد المرأة السامرية، في وقت لم تكن تفكر فيه إطلاقًا أن تلتقي معه. وكذلك وقوف الله على الباب وهو يقرع، يطلب من النفس أن تفتح له. وما لي أذهب بعيدًا. إن كل رسالات الأنبياء تتركز حول هذا الموضوع، هو رغبة الله في رجوعنا إليه. وليس مجرد الرغبة. وإنما العمل على ذلك أيضاً.
📖 وهنا نسأل: إن كان رجوعنا إلى الله، مفرحًا لله، والله يريده، ويسعى إليه، ونحن أيضاً نريده. فكيف إذن نرجع إليه؟
📖 أتسأل: كيف أرجع إلى الله؟

📖 إن الصلاة هي الوسيلة الفعّالة التي ترجعك إلى الله.
كتاب الرجوع إلى الله ـ صفحة ٤٣ ـ ٥٢

📖 {٢} الصلاة هي وسيلة الرجوع:

📖 أسكب نفسك أمام الله وقل له: "أنا أريدك. أريد أن أرجع إليك. فانتشلني مما أنا فيه، واجذبني إليك مرة أخرى. أنا بدونك لا شيء. لقد فقدت حياتي حينما فقدتك. فقدت لذتي وسعادتي. وأصبحت حياتي بلا طعم. أنا يا رب أريد أن أرجع إليك. ولكن" "أعدائي قد اعتزوا أكثر مني". إنهم: "يتهللون إن أنا زللت" {مز ١٢}.

📖 "وكثيرون يقولون لنفسي ليس له خلاص بإلهه" {مز ٣}.

📖 لقد فقدت قوتي لما بعدت عنك، فأعطني قوة من عندك.

📖 أعطني المعونة الإلهية التي بها أرجع إليك".

📖 إلق نفسك أمام الله، صارع معه. وقل له: "سوف لا أقوم من ههنا، إلا وقد أخذت منك بركة خاصة، وشعرت أنك أرجعتني إليك، وحسبتني من أولادك. لست أريد فقط أن تغفر لي خطيتي، إنما أريد أن تنزع من قلبي كل محبة للخطية على الإطلاق.

📖 لا أستطيع أن أرجع إليك، ومحبة الخطية في قلبي. فماذا أفعل؟

📖 هل أنتظر إلى أن تزول محبة الخطية من قلبي، ثم أرجع إليك؟ بينما لا يمكن أن أتخلص منها إلا بك!

📖 ها أنا آتيك بخطيتي كما أنا. وأنت الذي تنزعها مني.

📖 لو كنت أقدر أن أترك محبة الخطية، لرجعت إليك منذ زمان. فخلصني أنت منها، لتقودني في موكب نصرتك.

📖 انزع محبتها من قلبي، وانزع سيطرتها من إرادتي.

📖 "انضح على بزوفاك فأطهر، واغسلني فأبيض أكثر من الثلج".

📖 كما أعطيتني يا رب الوصية، أعطني القوة على تنفيذها".

📖 صدقوني يا أخوتي، إن الإنسان الناجح في صلاته،

هو الإنسان الناجح في توبته. وصدق مار إسحق قال: "إن الذي يظن أن هناك طريقًا آخر للتوبة غير الصلاة، هو مخدوع من الشياطين".

📖 ذلك لأنك بالصلاة، تأخذ القوة التي ترجع بها إلى الله.

📖 لذلك أغصب نفسك على عمل الصلاة، أكثر من أي عمل روحي آخر، وفي صلاتك صارع مع الله. جاهد معه، وناقشه، حتى وأنت في خطيئتك التي تريد التخلص منها.

📖 صمم في صلاتك، أن تأخذ من الله القوة لترجع إليه.

📖 البعض يظن أنه في صلاته يعطي! يعطي الله كلامًا، ووقتًا، ومشاعر. بينما الصلاة في عمقها هي عملية أخذ. تشعر فيها أنك قد أخذت من الله متعة روحية، وبركة، وقوة ومعونة، وقدسية في الحياة. بل يكفي أنك أخذت في وقت الصلاة صلة به.

📖 **والله مستعد أن يسمع لصلاتك ويعطي.**

📖 ولكن المشكلة هي: إن كثيرين لا ينتظرون في صلواتهم، حتى يأخذوا! الواحد منهم يقول كلمتين في صلاته، ثم يسأم بسرعة، ويمل البقاء في الصلاة، ويمضي دون أن يأخذ شيئًا!!

📖 والله ينظر إلى هذا {المصلي} كيف مضي هكذا سريعًا، ولم ينتظر ليأخذ، ولو وعدًا، ولو عزاء. امسك بالله إذن. وقل له لا أتركك: "لا أتركك حتى أشعر أنك قبلتني إليك، وأرجعتني إليك وإلى محبتك".

📖 الصلاة تحتاج إلى طول بال. تحتاج إلى صراع مع الله، تثبت به أنك جاد في طلبتك، وجاد في طلب التوبة، وفي طلب المعونة للرجوع. بحيث إن استجاب الله وأعطاك قوة، سوف تستخدمها حسنًا ولا تهملها.

📖 **ناقش الله بدالة في صلاتك وقل له:**

📖 "هل يفشل الضعفاء في الوصول إلى ملكوتك يا رب؟

📖 هوذا أنا ضعيف، عاجز بذراعي البشري عن الوصول، فامسك أنت بيدي، ولا تتركني لضعفي. واغسلني وطهرني، كما غسلت وطهرت غيري. ألم تقل: "اسألوا تعطوا" {مت ٧: ٧}. هوذا أنا أسأل. ألم تقل: "كل ما طلبتموه من الآب باسمي يعطيكم" {يو ١٦: ٢٣}؟ هوذا أنا أطلب.

📖 أنا يا رب سأتمسك بجميع وعودك، وأطالبك بها. على الأقل سأتمسك منها بقولك: "أعطيكم قلبًا جديدًا، وأجعل روحًا جديدة في داخلكم. وأنزع قلب الحجر من لحمكم، وأعطيكم قلب لحم. وأجعل روحي في داخلكم. وأجعلكم تسلكون في فرائضي، وتحفظون أحكامي، وتعملون بها" {حز ٣٦: ٢٦، ٢٧}.

📖 أين هذه الوعود بالنسبة إلى أنا يا رب؟

📖 هوذا أنا واقف هنا، ممسكًا بقرون المذبح.

📖 الذين يصلون دقيقتين ثم يمضون، أنا لست واحدًا منهم. أنا مُرَابِط لك هنا يا رب. لن أترك صلاتي، حتى أخرج منها وقد أنعمت على بالتوبة وأرجعتني إليك.

📖 ومع ذلك أغفر لي يا رب جرأتي، فأنا ابن صغير لك، وإن كنت قد ضللت. عاملني كابن صغير لا يعرف شيئًا. وأنت كأب شفوق، تعرف كيف تعطي أولادك عطايا حسنة {مت ٧: ١١}".

📖 هكذا جاهد مع الله، باللجاجة، بالتذلل، بطول الأناة، بدالة، بالبكاء، بالنقاش، بأيَّة الوسائل. حتى تأخذ. بمثل هذا الصراع، ثِق أنك ستأخذ من صلاتك، أو في صلاتك، عزاء وحرارة، وتشعر أن موضوع الانفصال عن الله قد انتهى تمامًا، وأنك لم تكن تكرر الكلام باطلًا كالأمم، إنما كنت تسكب نفسك سكيبًا أمام الله، كما فعلت حنة أم صموئيل.

📖 كانت تصلي صلاة، وتبكي بكاء، وتنذر نذرًا. ولم تخرج

من الهيكل إلا وقد أخذت وعدًا، بأن الرب قد أعطاها سؤل قلبها {١ صم ١: ١٠، ١٧}. هكذا أنت، لا تخرج من صلاتك، إلا وقد كونت علاقة جديدة مع الله، ورجعت إليه.

📖 وطبيعي، ليس ممكنا لك -بعد صلاة كهذه أن تترك الصلاة وتخطئ إلى الله! ستخجل لا بُد من صلاتك، ومن قولك لله: "لا أتركك".

📖 وهكذا فإن الصلاة تعلم التوبة، وتقود الإنسان في الرجوع إلى الله وإلى محبته.

📖 **ولكنك لعلك تقول: "ليست لي الحرارة التي أصلي بها".**

📖 نصيحتي لك أن تصلي كما أنت، وقل له: "سامحني يا رب إن كنت أصلي بدون حرارة. فإنا أصلي بالفراغ الذي في قلبي. وأنت الذي تعطيني الحرارة. وأنت الذي تسكب نارك المقدسة في قلبي. خذ صلاتي كما هي، بنقصها، فالأمور لا تبدأ كاملة. والكمال هو من عندك. أنا أصلي، ولو بدون روح! وأنت تمنحني الروح من عندك.

📖 هل أخطي وأقول لك يا رب، إنني بذراعي البشري وبإرادتي المنحلة، سأتحول إلى إنسان روحي! كلا، إنما بقوتك، وبركتك، ونعمتك، وروحك القدوس، سأصير في الصورة التي تريدها لي، بقيادتك أنت: تمسك يدي، وتقودني خطوة خطوة، كما تقود طفلًا صغيرًا يتعلم المشي".

📖 **أريدكم أن تصلوا هكذا، وتأخذوا من الرب.**

📖 وأنصتوا في صلواتكم إلى صوت الله، يتكلم في قلوبكم. كما قال داود في مزموره: "إني أسمع ما يتكلم به الرب الإله، لأنه يتكلم بالسلام لشعبه ولقديسيه، وللذين رجعوا إليه بكل قلوبهم" {مز ٨٤}. كان يبدأ المزمور بالطلب، ويشعر بالاستجابة، فينهيه بالشكر.

📖 يقول: "يا رب لا تبكتني بغضبك، ولا تبكتني بسخطك". ولكنه في نهاية المزمور، يقول: "ابعدوا عني يا جميع فاعلي الإثم. فإن الرب

قد سمع صوت بكائي. الرب سمع تضرعي. الرب لصلاتي قبل" {مز ٦}. هذه الصلاة، هي التي تشعر بها أن الحاجز المتوسط، الذي بينك وبين الله قد زال. وتشعر أن ملائكة صاعدون على السلم الإلهي بصلاتك، ونازلون ومعهم ما تطلب {تك ٢٨: ١٢}.

📖 **تشعر بيد الله تمتد، لتمسح كل دمعة من عينيك.**

📖 وتتحقق فيك طلبة داود النبي في المزمور الكبير: "لتدخل طلبتي إلى حضرتك" {مز ١١٩}. وهكذا تشعر أن واحدًا من الأربعة والعشرين كاهنًا، قد أخذ صلاتك، ووضعها في مجمرته الذهبية، وأصعدها بخورًا زكيًا إلى عرش الله {رؤ ٥: ٨}.

📖 تشعر أن واحدًا من السيرافيم، قد أخذ جمرة من على المذبح، ومسح بها شفتيك، وقال لك: "قد انتزع إثمك" {إش ٦: ٦، ٧}.

📖 نعم بمثل هذه الصلاة، يمكنك أن ترجع إلى الله.

📖 فلنصرخ إذن إليه ونقول: "أرددنا يا إله خلاصنا" {مز ٨٥: ٤}.

📖 "أردد سبينا مثل السيول في الجنوب" حينئذ: "يمتلئ فمنا فرحًا ولساننا تهليلًا". "ونقول: "عظم الرب الصنيع معنا، فصرنا فرحين" {مز ١٢٦: ٤، ٣،٢}.

كتاب الرجوع إلى الله ـ صفحة ٥٣ ـ ٦٠

📖 {٨} الضيقة سبب للرجوع إلى الله:

📖 ليست كل الضيقات التي تصيبنا من نوع واحد:

📖 فهناك ضيقات تصيب الإنسان، كصليب يحمله لأجل الله، وينال إكليله، كما حدث للرسل، ورجال الإيمان {عب ١١: ٣٦، ٣٧}.

📖 وضيقات أخري تكون لاختبار الإيمان، أو لتعلمنا الصلاة {يع ٥: ١٣}. أو لنقدم بها مثالًا للصبر كما حدث لأيوب {يع ٥: ١١}.

📖 وهناك ضيقات هدفها أن يشعر الإنسان بضعفه، فيتضِع كما حدث للقديس بولس: "لئلا يرتفع من فرط الإعلانات" {٢ كو ١٢: ٧}.

🕮 وهناك ضيقات أخري تأتي من تخلي النعمة بسبب خطايانا. وعن هذا النوع أود أن أكلمكم اليوم. وهذه الضيقات التي تأتي نتيجة للتخلي، لا يمكن أن تزول عن طريق الذراع البشري، أو الحكمة البشرية. فهي لا تجد حلًا، إلا بوسيلة واحدة، وهي قول الرب لنا: "ارجعوا إلى، أرجع إليكم" {ملا ٣: ٧}.

🕮 فإن رجع الإنسان إلى الله بالصلاة، والصوم، والتذلل، وإن رجع إليه بالتوبة الصادقة. حينئذ يرجع الله إلى هذا التائب، وتعود النعمة إليه كما كانت في القديم، وتنتهي فترة التخلي، فتنتهي الضيقة تبعًا لذلك، إذ قد زالت أسبابها.

🕮 **وما أكثر الأمثلة التي توضح ذلك، في سفر القضاة:**

🕮 يقول الكتاب: "فعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب، وعبدوا البعليم. وتركوا إله آبائهم. وساروا وراء آلهة أخري، من آلهة الشعوب الذين حولهم، وسجدوا لها. تركوا الرب، وعبدوا البعل وعشتاروت. فحمي غضب الرب على إسرائيل، فدفعهم بأيدي ناهبين نهبوهم، وباعهم بيد أعدائهم حولهم. ولم يقدروا على الوقوف أمام أعدائهم" {قض ٢: ١١-١٤}.

🕮 لم يقدروا على الوقوف، لأن يد الرب لم تعد معهم. ما كانت يد الرب معهم، شق لهم البحر الأحمر، وأغرق فرعون وجنوده. وفجر لهم من الصخرة ماء. وضرب عوج ملك بشان، وسيعون ملك الأموريين، ولك شعوب الأرض.

🕮 في هذه المرة، دفعهم إلى أيدي أعدائهم، فلم يقدروا عليهم. ووقف أمامهم قول الرب: "ارجعوا إلى، أرجع إليكم".

🕮 **وكانوا حينما يصرخون إلى الرب، يسمع بكائهم، ويخلصهم.**

🕮 ومن أعمق حنو الرب، حتى في فترة تخليه. إذ يقول

عنه الكتاب إنه عاد: "وخلصهم من أيدي أعدائهم. لأن الرب ندم من أجل أنينهم، بسبب مضايقيهم، وزاحميهم" {قض ٢: ١٨}.

📖 إذن في كل ضيقاتك، لا تقل: "ماذا أفعل بأعدائي الذين قدروا على؟: إنما قل: "هل يد الله معي أم لا؟"

📖 هل أنا تركت الله، فتركتني نعمته، كما كانت معي في القديم؟

📖 وأنصت إلى قول الرب: "ارجعوا إلى، أرجع إليكم". وبسرعة ارجع إلى الرب، تجد المعونة الإلهية قد رجعت إليك، وجعلتك كما حدث لإرميا: "مدينة محصنة، وعمود حديد، وأسوار نحاس. فيحاربونك، ولا يقدرون عليك. لأني أنا معك يقول الرب لأنقذك" {أر ١: ١٨، ١٩}.

📖 **والقصة في سفر القضاة تتكرر.**

📖 أخطأ الشعب وفعلوا الشر، وعبدوا البعليم، فباعهم الرب بيد كُوشَانَ مَلِكَ أَرَامَ {قض ٣: ٨} فصرخوا إلى الرب، فأقام لهم مخلصًا فخلصهم. كان عليه روح الرب. ودفع الرب ليده كوشان. "واستراحت الأرض أربعين سنة" {قض ٣: ٩-١١}.

📖 في كل مرة كانت تشتد عليهم الضيقة، كانوا يرجعون إلى الله، فيرجع ويخلصهم. ثم يرجعون إلى خطاياهم، وإلى عبادة الأصنام، فتعود ضيقاتهم. ويصرخون إلى الرب فيرجع ويخلصهم.

📖 ونسير مع التاريخ، فنسمع عن السبي إلى بابل، وأشور.

📖 كان أيضاً بسبب الشر، وعبادة الأصنام. وبكي أولاد الله على أنهار بابل، وعلقوا قيثاراتهم على أشجار الصفصاف {مز ١٣٧}. وفيما هم مسبيون، كانت ترن في آذانهم عبارة: "ارجعوا إلى، فأرجع إليكم".

📖 وظهر في السبي قديسون مثل: دانيال النبي، والثلاثة فتية، وحزقيال النبي. وظهر رجال إيمان لهم غيرة مقدسة مثل: نحميا، وعزرا، وزر بابل.



📖 **ورجع الرب عن حمو غضبه، ورد سبي شعبه.**

📖 وكيف رجع الرب إليهم؟ رجع بدموع نحميا وعزرا.

📖 لما سمع نحميا أن سور أورشليم منهدم، وأبوابها محروقة بالنار، التهب قلبه، وقال: "جلست وبكيت، ونحت أيامًا وصليت. وقلت أيها الرب. أنا وبيت أبي قد أخطانا، وقد أفسدنا أمامك. يا سيد، لتكن أذنك مصغية إلى صلاة عبدك" {نح ١: ٣ - ١١}.

📖 ورجع الرب. وأعطي نعمة لنحميا في عيني كورش ملك فارس. واستطاع أن يبني أسوار أورشليم.

📖 **وعزرا: بكي بسبب أخطاء الشعب، ومزق ثيابه.**

📖 وفي وقت المساء، قام من تذلله، وجثا على ركبتيه في ثيابه الممزقة، وبسط يديه إلى الرب وقال: "اللهم إني أخجل وأخزي من أن أرفع يا إلهي وجهي نحوك. لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤوسنا، وآثامنا تعاظمت إلى السماء. قد جازيتنا يا إلهنا أقل من آثامنا، وأعطيتنا نجاة كهذه. أفنعود ونتعدى وصاياك؟! أيها الرب. أنت بار، لأننا بقينا ناجين إلى هذا اليوم" {عز ٩: ٣ - ١٥}.

📖 وصام عزرا، وصام الشعب معه {عز٨: ٢١}. وبكي، وأبكي الشعب معه بكاء عظيمًا {عز ١٠: ١}. وسمع الرب وعاد إلى شعبه. واستطاع عزرا بصومه، وصلاته، وبكائه، أن يرجع الشعب كله إلى الله، ويرجع الله إلى الشعب.

📖 في القصص السابقة، خطية الشعب كله أغضبت الله، فتخلي عنهم. وصلاة وبكاء إنسان واحد، أرجعت الله إلى شعبه.

📖 وقد تكون خطية إنسان واحد هي سبب الضيقة كلها، مثل خطية عخان بن كرمي {يش ٧}. ومثل هروب يونان من الله {يو١}. إذن ارجع إلى الله، ليس من أجل نفسك فقط، إنما أيضاً من أجل كل

المحيطين بك.

📖 **وفي كل تعب يحيط بك وبهم، فكر أن ترجع إلى الله.**

📖 لا تفكر في الأناس المتعبين المحيطين بك، إنما فكر في نفسك أنت، في علاقتك بالله، في رجوعك إليه. وثق أن أقسي الأعداء، وأشدهم بطشاَ، لا يحتملون عينًا طاهرة، مبللة بالدموع، مرتفعة إلى الله. ولا يحتملون قلبًا نقيًا يتكلم مع الله، ولا أيادي طاهرة مبسوطة أمامه.

📖 إن علاقتنا مع الناس، مجرد علاقات جانية سطحية. المهم كله هو في علاقتنا مع الله. أما علاقاتنا مع الناس، فهي مجرد نتيجة لعلاقتنا مع الله. تتغير، بتغير العلاقة معه.

📖 أيوب الصديق أخذ السبئيون بقره وأتنه، وأخذ الكلدانيون جِماله {أي ١: ١٤ - ١٧} فلم يقل إنهم أخذوها، إنما قال: "الرب أخذ" {أي ١: ٢١}. ارجع إذن إلى الله، فيرد لك كل شيء.

📖 **إن رجعت إلى الله، لا يقوي عليك الشر، ولا الأشرار.**

📖 ليس فقط لا يقوي عليك أعداؤك، الذين يتهللون إن أنت سقطت {مز ١٢}. وإنما حتى الشياطين لا يقدرون عليك، مهما أحاطوا بك مثل النحل حول الشهد، والتهبوا كنار في شوك {مز ١١٧}.

📖 فكما قال داود: "مرارًا كثيرة حاربوني منذ صباي. مرارًا كثيرة قاتلوني منذ شبابي. وإنهم لم يقدروا على" {مز ١٢٩}.

📖 **ولا خطية، ولا شهوة، تقدر عليك.**

📖 لأن الرب معك. يعطيك القوة، والمعونة، ويقودك في موكب نصرته {٢كو ٢: ١٤}. أما إن تخلت عنك النعمة، فإن أقل فكر يقدر عليك، وتضعف مقاومتك. حينئذ تسمع قول الرب في أذنيك: "ارجعوا إلى، أرجع إليكم" لذلك ارفع قلبك إلى الله، وارجع إليه، لترجع إليك القوة.

📖 **ما معني عبارة "أرجع إليكم"؟**
📖 معناها: أرجع إليكم بكل قوتي ومعونتي. وأرجع إليكم بكل حبي. ونعود كما كنا. كأن خطاياكم لم تكن: "لا أعود أذكرها بعد" {أر ٣١: ٣٤}. وباختصار: أرجع إليكم أي: أصطلح معكم.
📖 فلنتحدث إذن عن الصلح مع الله.

كتاب الرجوع إلى الله ـ صفحة ٦١ ـ ٦٨

{٩}
الصلح مع الله

"نسعى كسفراء عن المسيح، كأن الله يعظ بنا.
نطلب عن المسيح: "تصالحوا مع الله" {٢كو ٥: ٢٠}.

📖 فالإنسان الخاطئ هو إنسان يقاوم الله: يتحداه، ويكسر وصاياه. ويترك مشيئة الله، لينفذ مشيئته الخاصة، مستقلًا عن الله، منفصلًا عنه. يحب الخطية أكثر منه، مهما ادعي بلسانه أنه يحب الله!
📖 الخاطئ يهرب من الله. لا يحب الحديث معه. وإن وقف يصلي، ينطبق عليه قول الرب: "هذا الشعب يكرمني بشفتيه. أما قلبه فمبتعد عني بعيدًا" {مز ٧: ٦}. وهكذا تكون صلاته، بغير حب، بغير عاطفة، بغير روح، ربما لمجرد تأدية واجب، أو للرضي عن النفس.

📖 **الخاطئ لا يتحدث كثيرًا عن الله. ولا يشعر بدالة معه.**
📖 هو غريب عنه. وقد أوجدت الخطية حاجزًا متوسطًا، بينه وبين الله. وقد تتطور الخطية من مستوي الخصومة، إلى العداوة.
📖 وفي ذلك يقول القديس يعقوب الرسول إن: "محبة العالم عداوة لله" {يع ٤: ٤}. ويقول القديس يوحنا الإنجيلي: "إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب" {١ يو ٢:١٥}.

ولأن الخطية خصومة مع الله، نبدأ قداساتنا بصلاة الصلح.

فقبل أن نرفع الأبرسفارين، لنصلي قداس القديسين، نصلي صلاة الصلح، لأنه ينبغي أن نصطلح مع الله والناس أولًا، قبل أن نصلي، وقبل أن نتقدم إلى السرائر المقدسة.

وهكذا نخاطب الله الابن في القداس الغريغوري قائلين "صرت لنا وسيطًا لدي الآب. والحاجز المتوسط نقضته. والعداوة القديمة هدمتها. وصالحت الأرضيين مع السمائيين".

إن أبشع ما في الخطية، كونها موجهة ضد الله نفسه:

وقد كان داود النبي يدرك هذه الحقيقة جيدًا، لذلك قال للرب في مزمور توبته {مز ٥٠}: "لك وحدك أخطأت، والشر قدامك صنعتُ". لا شك أن داود كان قد أخطأ إلى أوريا الحثي، وإلى بتشبع زوجة أوريا. كما أنه أخطأ إلى نفسه، إلى عفته وطهارته، وإلى أبديته. ومع ذلك فإن كل ذلك لم يكن هو الشيء الرئيسي أمام عينيه، قال للرب: "لك وحدك أخطأت". ذلك لأن الخطية هي في أصلها ضد الله، ضد وصاياه، وضد محبته. ونتيجة لذلك ضد الآخرين.

ويوسف الصديق، أدرك نفس هذه الحقيقة، فقال كذلك: "كيف أصنع هذا الشر العظيم، وأخطي إلى الله؟!" ولم يقل: "أخطئ إلى فوطيفار، أو إلى زوجة فوطيفار". إنما قال: "أخطي إلى الله". {تك ٣٩: ٩}. ذلك أن الخطية هي عصيان لله ومخالفة، وعدم محبة له، وطرد له من القلب، وتمرد عليه واستهانة بوصاياه.

ولهذه السباب كلها خاف آدم بعد سقوطه، واختبأ من وجه الله، لأنه عرف أنه بالخطية قد اغضب الله. نعم إننا بالخطية، نحزن روح الله القدوس {أف ٤: ٣٠}.



🕮 النتيجة الأولي للخطية هي: إغضاب الله. والثانية: هلاك الإنسان.
🕮 وللخلاص من النتيجة الأولي، كانت تقدم المحرقات {لا ١}.
وللخلاص من النتيجة الثانية، كانت تقدم ذبائح الخطية والإثم {لا ٣}.
🕮 وقد جاء السيد المسيح ليقدم بنفسه عمل هاتين الذبيحتين: فيصالح قلب الآب الغاضب، كذبيحة محرقة. ويخلص الإنسان الهالك، كذبيحة خطية.
🕮 ولعل مما يؤلم قلب الإنسان جدًا، ليس فقط إنه أخطأ إلى الله، وإنما بالأكثر أنه دخل في خصومة مع الله. وأصبح الله غير راضٍ عنه.

🕮 ذبيحة المحرقة، كانت لمصالحة الله، لإرضاء قلبه الغاضب.

🕮 لذلك كانت أولي الذبائح في شريعة موسى. وقد ذكرت في الإصحاح الأولي من سفر اللاويين. وقيل إن مقدمها يقدمها: "للرضا عنه أمام الرب" {لا ١: ٣}. وثلاث مرات قيل عنها في نفس الإصحاح إنها: "رائحة سرور الرب" {لا ١: ٩، ١٣، ١٧}.
🕮 ولأن الغرض منها كان محددًا في هذه النقطة وحدها، وهي إرضاء الله، وإيفاء عدله. وليس غرضها خلاص الإنسان {الذي تمثله ذبيحة الخطية}، لذلك لم يكن أحد يأكل منها، كما كان يفعل في ذبيحة الخطية. وإنما كانت تأكلها النار كلها، حتى تتحول إلى رماد {لا ٥: ٨: ١٣}. والنار تمثل العدل الإلهي.

🕮 وكأن مقدم المحرقة يقول للرب أثناء تقديمها:

🕮 ليس ما يهمني الآن هو خلاصي، إنما يهمني رضاك. من أنا - التراب الرماد - حتى أقدم أولي الذبائح عن نفسي؟! أخلص أولا أخلص، ليس هذا هو الأمر الذي نضعه في الدرجة الأولي. إنما قبل كل شيء، قلبك أنت يا رب، يكون راضيًا عني، وأفعل بي بعد ذلك ما تشاء. أنا أخطأت إليك. وأريد أن أصالحك. وبعد أن أصالحك يأتي طلب المغفرة. ومن غير أن أطلب، أنت ستغفر.

📖 إنه شعور الابن، الذي يهمه قبل كل شيء إرضاء أبيه. وليس شعور العبد، الذي كل اهتمامه في التخلص من العقوبة.

📖 فهل لديك هذا الحرص على إرضاء أبيك السماوي ومصالحته؟
📖 وهل تسعي لتصطلح مع الله، أم تفعل مثلما فعل آدم إذ هرب من الله واختبأ منه؟! أم أنت تقول كما قال أيوب الصديق: "ليس بيننا مصالح، يضع يده على كلينا" {أي ٩: ٣٣}. هل تشعر أن الخطية قد أبعدتك عن الله، وأوجدت خصومة بينك وبينه؟ إني أقول لك ما هو أكثر: الخطية خيانة لله.

كتاب الرجوع إلى الله ـ صفحة ٧٠ ـ ٧٤

📖 {١٠} الخطية خيانة لله:

📖 إن الخطية عمومًا هي خيانة. والإنسان الخاطئ يخون محبة الله العطوف، الذي أحبنا حتى منتهي {يو ١٣: ١}. وغمرنا بإحساناته. الله الذي اعتبرنا أولادًا، وصار أبًا لنا: إذا ما أخطأنا إليه نكون خائنين لأبوته. كما أننا في الخطية نكون خائنين للعهود التي عاهد بها الله في معموديتنا، وفي أوقات التناول، وفي الأوقات التي أنقذنا منها.
📖 إننا نخون الله، لأننا نحن أولاده، وخاصته، ننضم إلى أعدائه الشياطين، وننكره مقابل شهواتنا. لهذا فإن الله يطلب إلينا أن نكون أمناء. قائلًا لكل منا: "كن أمينا إلى الموت" {رؤ ٢: ١٠}.
📖 ولكننا في الخطية نخون هذه الأمانة. ولا تكون قلوبنا ثابتة في محبة الله، بل هي تهتز مع كل هوي، ومع كل رغبة. وليس لها الحب الأمين الثابت.

📖 إن كانت مقاومات الأعداء، تعتبر عداوة وليس خيانة.
📖 فإن تعديات الأبناء والمحبين، تعتبر بلا شك خيانة.
📖 ونحن أبناء الله، دعي اسمه علينا، كيف نقاومه، وننضم إلى أعدائه؟ ونبيع أنفسنا التي اشتراها بدمه، ونطرد روحه القدوس من قلوبنا؟ إلا

تعتبر كل هذه خيانة؟!

📖 ربما كان هناك عذر للذين لم يعرفوا الله من قبل. أما الذين عرفوه، وعاشروه، وذاقوه، وأنعم عليهم بأسراره المقدسة. ثم بعد ذلك رفعوا عقبهم عليه. كيف لا يكونون خائنين لعشرته ومحبته؟

📖 **والله نفسه، سمي هذا الارتداد عنه خيانة.**

📖 فقال: "خيانة خانني بيت إسرائيل، وبيت يهوذا" {أر ٥: ١١}.

📖 سرقة عخان بن كرمي، اعتبرت خيانة للرب {أش ٧: ١}.

📖 وتزوج الشعب من نساء أجنبيات، سمي خيانة أيضاً {عز ١٠: ٢}.

📖 وقال الكتاب إن شاول الملك: "مات بخيانته التي بها خان الرب. من أجل كلام الرب الذي لم يحفظه. وأيضاً لأجل طلبه إلى الجان" {١ أي ١٠: ١٣}.

📖 وأعتبر تقصير الكهنة، واللاويين في خدمة بيت الرب خيانة.

📖 ولذلك قال حزقيال الملك الصالح: "لأَنَّ آبَاءَنَا خَانُوا، وَعَمِلُوا الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ إِلهِنَا، وَتَرَكُوهُ، وَحَوَّلُوا وُجُوهَهُمْ عَنْ مَسْكَنِ الرَّبِّ. وَأَطْفَأُوا السُّرُجَ، وَلَمْ يُوقِدُوا بَخُورًا، وَلَمْ يُصْعِدُوا مُحْرَقَةً" {سفر أخبار الأيام الثاني ٢٩: ٦، ٧}.

📖 **ما دامت الخطية خصومة وخيانة، إذن ينبغي التصالح مع الله.**

📖 يرجع القلب إليه، ويعترف بخيانته. وينسحق ويتذلل قدامه. لكي يغفر، وتبدأ علاقة جديدة، بقلب جديد، آمين..

📖 والمقصود أن يكون صلحًا دائمًا، لا رجوع فيه. لأنك إن صالحت أحدًا، وابتسمت في وجهه، ورجعت في باكر أغضبته وأهنته، لا يكون هذا صلحًا. فالصلح هو رجوع المحبة الحقيقية، الثابتة.

📖 إن تاريخ الخطية، ينتهي بالصلح مع الله. على أن العجيب، هو أن الله، الذي جحدناه نحن، هو الذي يسعى إلى هذا الصلح، بكل الوسائل!



{١٢} الله يصالحنا:

كل الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله إلى العالم. ماذا كان عملهم سوي: إقامة صلح بين الله والناس. أنظروا إلى القديس بولس الرسول، إذ يقول: "نسعى كسفراء للمسيح، كأن الله يعظ بنا. نطلب عن المسيح: تصالحوا مع الله" {٢كو ٥: ٢٠}. إذن فالسيد المسيح، هو الذي يرسل هؤلاء السفراء إلينا، طالبًا منا أن نصطلح معه. ما أعجب هذا الحب!

ربما يكون من الصعب عليك أن تذهب إلى شخص لتصطلح معه، وأنت لا تعرف هل يقبل منك الصلح أم لا. أما هنا، فإن الله هو الذي يريد الصلح، ويطلبه، ويرسل من أجله رسلًا، ويعمل فيه بنعمته وبروحه القدوس. ويقول للبشرية "هلم نتحاجج" {أش ١: ١٨}.

وليس هذا فقط، بل يسعى حتى لمصالحة المعاندين والمقاومين. ويقول: "مددت يدي طول النهار، لشعب معاند ومقاوم" {رو ١٠: ٢١}. تصور إن الله يمد يده طول النهار طالبًا مصالحة هؤلاء المعاندين. وعبارة: "طول النهار" تعني طول أناته، وطول انتظاره، فهو لا يمل من السعي لمصالحة الخطاة. هو الذي ينظر إلى قلبك ويقول: "ها هو موضع راحتي إلى أبد الأبد. ههنا أسكن لأني اشتهيته" {مز ١٣٢: ١٤}.

وهو الذي يقول لنفسك العزيزة عليه: "اسمعي يا ابنتي وانظري، وأميلي سمعك. وإنسي شعبك وبيت أبيك. فإن الرب قد اشتهى حسنك. لأنه ربك، وله تسجدين" {مز ٤٥: ١٠، ١١}.

بل أن مصالحة الرب للبشر، هي سبب التجسد الإلهي.

وفي ذلك يقول القديس يعقوب السروجي: "كانت هناك مخاصمة بين الله والإنسان. ولما لم يستطع الإنسان أن يقوم بالمصالحة، نزل

الله إلى الإنسان لكي يصالحه".

📖 **ومصالحة البشر مع الله، هي هدف الفداء أيضاً.**

📖 لقد كان دم السيد المسيح، هو ثمن هذا الصلح.

📖 وفي ذلك يقول الرسول: "عاملًا الصلح بدم صليبه" {٢كو ١: ٢٠}.

📖 فأنظر ما أغلي ثمن مصالحتك، وما أغلي نفسك عند الله. فإننا "نحن قد صولحنا مع الله بموت ابنه" {رو ٥: ١٠}. "أي أن الله في المسيح كان مصالحًا العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم" {٢ كو ٥: ١٩}. وماذا فعل المسيح في هذه المصالحة؟

📖 يقول الرسول: "لأنه هو سلامنا. الذي جعل الاثنين واحدًا، ونقض حائط السياج المتوسط أي العداوة" {اف ٢: ١٤، ١٥}.

📖 "بالصليب قاتلًا العداوة به" {أف ٢: ١٦}.

📖 المسيح صالحنا مع الآب، وأزال العداوة، وأزال الحاجز المتوسط.

📖 ولكننا مازلنا نخطئ. ونحتاج في كل يوم إلى مصالحة. ولذلك كانت: "خدمة المصالحة" هي عمل الرسل ورتب الكهنوت.

📖 وفي ذلك يقول القديس بولس الرسول: "وأعطانا خدمة المصالحة"، "واضعًا فينا كلمة المصالحة"، "نطلب عن المسيح: تصالحوا مع الله" {٢كو ٥: ١٨، ١٩، ٢٠}.

📖 كل عمل الرعاة، والكهنة، والوعاظ، والمعلمين، هو: "خدمة المصالحة"، متابعة الصلح بين الله والناس. وهذا هو عمل غالبية الأسرار المقدسة.

📖 **إن الله يريد أن يصطلح معك بكل الوسائل الممكنة.**

📖 يقول لك: "كفي فترة الخصومة التي مضت، ولنبدأ علاقة جديدة. فمهما هربتم مني، وذهبتم إلى كورة بعيدة، أو اختبأتم وراء الشجر، أو بعد قلبكم عني، سأرسل لكم الرسل والأنبياء لأجل مصالحتكم،

وأرسل لكم الخدام. وأرسل نعمتي، وأعد الوسائط الروحية، وأمهد الفرص. وماذا أيضاً؟

🕮 الله مستعد أن يرسل الضيقات أيضاً لأجل مصالحتنا.
🕮 سواء أكانت هذه الضيقات لنا، أو لبعض أحبائنا.
🕮 ربما إنسان لا يأتي بالحب، ولكن يأتي بالضرب، مثل أخوة يوسف الذين قادتهم الضيقة إلى الصلح {تك ٤٤}.
🕮 والرب يقول: "ادعني وقت الضيق، أنقذك فتمجدني" {مز ٥٠: ١٥}. تضغط عليك الضيقات، فلا تجد سوي الله، القلب الحنون الذي يشفق عليك، فتصطلح معه، ذاكرًا حبه.
🕮 إن كل ضيقة تهمس في إذنك: اصطلح مع الله.

🕮 اذكر أيضاً أن الله يصالحك، من أجل صالحك.
🕮 وهو أيضاً يصالحك ليصلحك، لينقيك ويطهرك ويقدسك. لأنه من فرط محبته لك، لا يتركك لكي تضيع ويفترسك عدو الخير.
🕮 يخشى عليك أن تهلك لما تبعد عنه، وتتغير مبادئك ومثالياتك، وتصبح كأهل العالم ماديًا وجسدانيًا. لذلك هو يصالح ليخلص نفسك. وخسارة كبيرة لك، أن تفقد هذه الفرصة، ولا تصطلح مع الله.

🕮 **عظيمة هي الفوائد التي تحصل عليها من هذا الصلح.**
🕮 في الصلح تجد المغفرة، وتجد الخلاص، ويغسلك الرب فتبيض أكثر من الثلج {مز ٥٠}. يمحو إثمك، ولا يذكر لك خطاياك القديمة {أر ٣١: ٣٤}. وفي الصلح تحصل على سلام داخلي، فتصطلح معك نفسك أيضاً، ولا يعود يوجد صراع في داخلك.
🕮 وبالصلح تعود إلى رعوية الله، ولا تصبح غريبًا على بيته، ولا على ملكوته، بل تصبح من أهل بيت الله {أف ٢: ١٩}. وبالصلح تكسب أبديتك لأنه كما يقول الرب {مز ٨: ٣٦}: "ماذا ينتفع الإنسان،

لو ربح العالم كله وخسر نفسه".

📖 فإن كنت أحيانًا تبذل جهدًا لتصطلح مع أشخاص لك بهم علاقة مؤقتة على الأرض، فكم بالأولي يكون اهتمامك بصلحك مع الله، الذي لك به علاقة أبدية لا تنتهي؟!

📖 أعرف إذن أهمية الله بالنسبة إليك، وأهمية الصلح معه.

📖 حقًا، كم بذل الرب في مصالحة هذا التراب والرماد، ولكن: هل يوافق هذا التراب والرماد، على مصالحة خالقه؟ أخشى أن ينطبق علينا قول الرب لأورشليم وأهلها: "كم مرة أردت. ولم تريدوا" {مت ٢٣: ٣٧}. إن الرب واقف على الباب، ولكننا لا نفتح له.

📖 فكيف يتم الصلح إذن؟

📖 وما هي العوائق التي تعطل البعض عن الاستجابة؟ وما الحل؟

كتاب الرجوع إلى الله ـ صفحة ٧٨ ـ ٨٣

{١٣}

كيف يكون صلح الله

الشرط الأول، الذي بدونه لا يتم الصلح، هو

📖 **١- أن تكون لك رغبة صادقة في الصلح مع الله.**

📖 كل ما تفعله: وسائط النعمة، والمؤثرات الروحية، وكل ما يفعله المرشدون الروحيون، هو أن تدخل هذه الرغبة إلى قلبك. فتقول في صدق "أريد يا رب أن أصطلح معك".

📖 وإن كانت رغبتك صادقة، ومن عمق القلب، فستجد بلا شك الوسيلة التي توصلك إلى الله. الله نفسه سيوصلك إليه.

📖 **٢- إذن ترغب، وتبدأ التنفيذ، إن كنت جادًا في رغبتك.**

📖 لأن هناك من يقول إنه يريد الله. وألف صوت في قلبه يصيح "أريد الخطية". الرغبة في الصلح مع الله، هي رغبة على شفتيه

فقط، ولكنها ليست في قلبه. يقول: "أريد"، وفي أعماقه لا يريد، لأن الصلح مع الله، سيحرمه من أشياء كثيرة يحبها، وسيجعله يدخل من الباب الضيق، وهو لا يرغب في ذلك.

📖 ولعل السبب في ذلك، خطية محبوبة، داخل القلب، أو عادة مسيطرة، أو طبع ثابت. والإرادة عاجزة عن العلاج.

📖 ربما الذي يجعلك عاجزًا عن الصلح مع الله، أن حالتك تشبه ما وصفه معلمنا بولس الرسول في {رو ٧: ١٨}: "الإرادة حاضر عندي. أما أن أفعل الحسنى فلست أجد". "لست أفعل الصالح الذي أريده. بل الشر الذي لست أريده، إياه أفعل". "لست بعد أفعله أنا، بل الخطية الساكنة في" {رو ٧: ٢٠}. فإن كنت هكذا يا أخي.

📖 **٣- نصيحتي لك: جاهد مع الله، لكي يغير قلبك.**

📖 قل له: خلصني يا رب من قلبي، ومن خطيئتي، ومن طباعي، فلا يكن ذلك عائقًا أمام الصلح معك. أنت غيرت قلوب كثيرين، ربما كانت حالتهم أسوأ مني بمراحل. ليتني أكون كواحد منهم. أنت يا رب غيرت قلب موسى الأسود، وأوغسطينوس، مريم القبطية، وأريانوس. فهل تعصي عليك حالتي؟!

📖 اعتبرني حالة معقدة، ولكنها ليست صعبة أمام قدرتك اللانهائية.

📖 أنا يا رب لا أستطيع أن أصلح قلبي أولًا، لكي أصطلح معك. وإنما أنت الذي تصطلح هذا القلب، وتضع فيه المشاعر المقدسة اللائقة بهذا الصلح. أتقول يا ابني أعطني قلبك {أم ٢٣: ٢٦}. خذه كما هو.

📖 انضح عليه بزوفاك فيطهر. واغسله فيبيض أكثر من الثلج {مز ٥٠}. لست أطلب أن ترمم هذا القلب. إنما أخلق فيَّ قلبًا نقيًا {مز ٥٠}. وأعطني روحًا جديدًا {حز ٣٦: ٢٦}.

📖 إن لم يكن في قلبي حب لك، فأعطني هذا الحب.

📖 لا تلمني على عدم محبتي، إنما: "اسكب في هذا الحب من الروح القدس: حسب قول رسولك {رو ٥: ٥}. اعتبرني كطفل صغير، يريد

ولا يعرف، ويريد ولا يقدر، "وقوم خطواتي" {مز ١١٩}. فكثيرًا ما أعثر. إن كنت أنا لست جادًا فيما يتعلق بخلاص نفسي. يكفي أنك يا رب جاد في تخليص هذه النفس.

🕮 إن كان خلاص نفسي لا تقوي عليه إرادتي. فلا شك أن نعمتك تقوي وتقدر. إن كنت أنا بفساد طبيعتي، لا أريد الحياة معك. يكفي أنك تريد أن أحيا معك. وإرادتك تفعل كل شيء.

🕮 إن تركتني يا رب إلى إرادتي وإلى ضعفي، فسوف أضيع. اعتبرني مريضًا لا يقوي على شِفاء نفسه، ولا يقوي على الذهاب إلى الطبيب. وقل كلمة فيبرأ الغلام {مت ٨: ٨}.

🕮 هكذا قدم للرب صلاة من كل قلبك. لأنه إن كان جهادك لا يقدر، فإن الصلاة تقتدر كثيرًا في فعلها {يع ٥: ١٦}.

🕮 وفي صلحك مع الله، لا تعتمد كثيرا على عقلك، ولا على ذراعك البشري: "على فهمك لا تعتمد" {أم ٣: ٥}. إنما خذ من القوة التي تسند ضعفك. الله يريد منك القلب، والإرادة، والإيمان.

🕮 والإرادة ليس المقصود بها القوة والعزيمة، وإنما الرغبة. فقد يكون الإنسان ضعيفًا، ويمنحه الله القوة ليعمل، بل الله نفسه يعمل فيه، ويعمل معه. وكما قال القديس بولس الرسول: "لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا، أن تعملوا" {في ٢: ١٣}.

🕮 **الله يريد رغبتك، لأنه لا يرغم أحدًا على مصالحته.**

🕮 فإن قدمت هذه الرغبة سيعمل هو معك. ولا أقول يعمل وحده، لئلا يدفع هذا إلى التراخي. كما أن عملك معه يدل على جدية رغبتك في مصالحته. قلنا إنه ينبغي أن تكون لك رغبة صادقة في الصلح.

🕮 وأن تنفذ ما دمت جادًا في رغبتك.

🕮 وأن تصلي طالبًا المعونة، فيما تعترضك من عقبات.

🕮 وماذا أيضاً؟ ابعد عن كل ما يُغضِب الله.

🕮 **٤- ابعد عن كل ما يغضب الله في المستقبل.**

🕮 لئلا تصيبك نكسة في الصلح، فترجع كما كنت. إن صالحت الله، فلا تعد وتنضم إلى أعدائه. بل ابعد عن كل مجالات الخطية.

🕮 لأنه كثيرًا ما يشتاق القلب إلى الله، ثم يبرد اشتياقه بتأثير آخر مضاد. فالإنسان سريع التأثر، وما أسهل أن تتقلب الطبيعة من الضد إلى الضد، إن كانت لم تثبت بعد في الله ثباتًا كاملًا.

🕮 واعلم أن الصلح مع الله، ليس هو مجرد كلمة: "أخطأت". فقد قالها كثيرون ولم ينتفعوا بها. إنما الصلح مع الله، هو حياة تتميز بإرضاء الله. هو سلوك عملي يسعى لإرضاء الله، وكسب محبته. وهو لا يقتصر على الناحية السلبية فقط، أي عدم الدخول في خصومة جديدة مع الله. إنما من الناحية الإيجابية، يتحول الصلح إلى حب.

🕮 **٥- وهنا أنصحك أن تحيا في مجال التأثير الإلهي.**

🕮 واشغل فكرك به. لا تكن علاقتك بالله هي علاقة يوم في الأسبوع نسميه: "يوم الرب"، بل لتكن هي علاقة الأسبوع كله، وعلاقة الحياة كلها. ولا تظن أن الصلح مع الله، هو مجرد أن تفعل البر.

🕮 فحسن أن تسلك في الفضيلة. ولكن ضع أمامك: إن الفضيلة ليست هي الهدف. فالهدف هو الله ذاته. الفضيلة هي مجرد وسيلة تعبر بها عن التصاقك بالله. أما هدفك فهو هذا الالتصاق بالله، في حب مستمر.

🕮 وإن سرت في حياة الفضيلة والبر، فلا يكن ذلك لكي تكبر ذاتك في عينيك، أو في أعين الناس. وإنما لكي بهذا البر ترتبط بالله أكثر، ويصبح قلبك أهلًا لسكناه. لذلك كن مدققًا جدًا وحريصًا.

🕮 لا تخرج من دائرة الله، إلى دائرة الذات، أو إلى دائرة الفضائل.

🕮 كن مركزًا اهتمامك وسعيك كله في الله ومحبته. فيظل قلبك حارًا

على الدوام، وتستمر علاقتك بالله قوية. عيب كثيرين أنهم يمارسون الفضائل، دون أن يشعروا بوجود الله في حياتهم، وفي عواطفهم. أما أنت، فقل له: "أريد يا رب أن اشعر بك، وتعلن لي ذاتك. أريد أن أختلي بك، وأكلمك وأفتح لك قلبي. أريد أن أحبك أكثر من كل واحد، وأكثر من كل شيء. وأكون مستعدًا أن أخسر كل شيء وأنا أحسبه نفاية، لكي أربحك أنت، وأوجد فيك" {في ٣: ٨}.

📖 هذه هي حرارة الصلح التي تتحول إلى حب. وفي هذه الحرارة تمسك بكل الوسائط الروحية، التي تشعل عواطفك من نحو الله، وتقوِّي علاقتك به.

📖 **٦- اقرأ عن قديسي التوبة، الذين اصطلحوا مع الله وأحبوه.**

📖 وتأمل سير القديسين عمومًا، وكيف ملأ الله قلوبهم، وكيف حرصوا على إرضائه. لأن سيرتهم تلهب فيك محبة الله، وتبعث محبة الخير الكامنة في قلبك. فكل إنسان مهما سقط في الخطية، يوجد في أعماقه اشتياق إلى الخير، إذ قد خلقه الله على صورته ومثاله، والشر دخيل على الطبيعة البشرية. وكل شر يعمله الإنسان، يسمع صوتًا في داخله يحتج عليه. ويأتي وقت لا يستطيع فيه إسكات هذا الصوت.

📖 وإذا قرأ سير القديسين، أو رأي نموذجًا للفضيلة، ما أسهل أن يلتهب قلبه من الداخل، ويشعر بنقصه، وتمتلئ عيناه بالدموع، ويعترف أن السمو الروحي هو السمو، سواء سلك فيه، أم لم يسلك. وكل إنسان مستعبد لشهوة معينة، لابد في داخله احتجاج عليها، مهما حاول أن يتجاهل هذا الاحتجاج.

📖 **٧-** في صلحك مع الله، لا تندم على متع العالم التي تركتها من أجله. فهذه حرب من الشيطان.

📖 لا تكن كامرأة لوط، التي نظرت إلى الوراء، وهي خارجة من

سدوم {تك ١٩: ٢٦}. بل أشعر بفرح أنك تخلصت من ذلك الماضي. فالخاطئ تنقص قيمته في عينيه، وفي أعين الناس.

وإن كان الشيطان يغرينا الآن بخطية، فإنه سَيُعَيِّرنا بها في يوم الدين، أمام الله والناس، ويعتبرنا من جنوده لأننا انقدنا له. ويعتبر نفسه مالكًا لكل عضو من أعضائنا خضع له. ولذلك حسنًا قال الرب عنه: "رئيس هذا العالم يأتي، وليس له في شيء" {يو ١٤: ٣٠}.

٨- إن اصطلحت مع الله، احرص أن تستمر مع صلحك.

لذلك فكر كثيرًا في الأبدية، وفي ملكوت الله.

ليكن تفكيرك بعيد المدى، ولا يقتصر على الأيام القليلة التي نعيشها على الأرض، بما فيها من ارتباطات بالمادة، والجسد.

وإن تعبت من أجل الله، وفي الصلح معه، حملت صليبًا، قل لنفسك إن: "الآم الزمان الحاضر، لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا" {رو ٨: ١٨}. ولذلك فإن الذين يعيشون في علاقة طيبة مع الله، يعيشون: "غير ناظرين إلى الأشياء التي تري، بل إلى التي لا تري. لأن التي تري وقتية، وأما التي لا تري فأبدية" {٢ كو ٤: ١٨}.

٩- احترس من المفاهيم الجديدة، التي تقلب موازينك الروحية.

التي تقول لك: "أي خطأ في هذا؟!" أو تهون من جسامة الأخطاء، أو تسميها بغير أسمائها، أو تقدم تبريرات لكل خطية. وفي ظلها لا تبدو الخطية خطية، ويزول الحس الروحي، ولا يشعر الإنسان أنه اغضب الله في شيء! ربما يظن أن الله يغضب منه بلا سبب!

وهكذا لا يجد مبررًا لطلب الصلح، لأنه لا يشعر أنه أخطأ! بينما من بديهيات المُصالحة، الشعور بالخطأ. ولا يتأتَّى هذا إلا إذا تمسك الإنسان بالقيم السليمة، المسلمة لنا مرة من القديسين، في أقوالهم وفي حياتهم.



📖 **١٠- كن سريع الاستجابة لصوت الله في قلبك.**

📖 إن سمعت في داخلك صوت الله يدعوك إليه، فلا تتجاهله، ولا تؤجل، لئلا تصاب بقساوة القلب، وتفقد التأثير الروحي.

📖 وكما قال الرسول "إن سمعتم صوته، فلا تقسوا قلوبكم" {عب ٣}.

📖 **١١- من أساسيات الصلح، أن تفضل الله على ذاتك.**

📖 إن أخطر ما يعوق الصلح، هو أنك تفضل ما تريده أنت، على ما يريده الله. ذاتك هي الصنم الذي تعبدوه. وطالما ترضي ذاتك في كل شيء، فلا يمكن أن تصطلح مع الله.

📖 ولذلك حسنًا قال السيد المسيح: "من أراد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه، ويحمل صليبه ويتبعني" {مز ٨: ٣٤}. حتى في الصلاة الربية التي علمنا إياها، جعل الطلبات الخاصة بنا في الآخر. أما الخاصة بالله فهي أولًا.

📖 إنكارك ذاتك في هذه الأرض، هو كسب ذاتك في الملكوت.

📖 لذلك قال لنا الرب: "من أراد أن يخلص نفسه يهلكها. ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها" {مت ١٦: ٢٥}. وقال أيضاً "من وجد حياته يضيعها. ومن أضاع حياته من أجلي يجدها" {مت ١٠: ٣٩}.

📖 فما الذي ضيعته أنت لأجل الرب؟ ما الذي بذلته؟

📖 أتريد أن تصطلح مع الله؟ احفظ هذا المبدأ: "الله أولًا. والناس ثانيًا. ونفسك آخر الكل". اصطلح مع الله، واصطلح مع الناس، حينئذ ستصطلح معك نفسك، وتصطلح معك السماء والأرض.

📖 **١٢- وفي صلحك مع الله، اشعر بالتغيير في حياتك.**

📖 لا تَعِشْ بنفس الأسلوب، بنفس الطباع، بنفس التفكير. إنما اجعل مصالحتك مع الله تغير حياتك إلى أفضل. والشخصية التي اعتاد الشيطان أن يسيطر عليها قبلًا، تصبح شخصية لها قوتها في حروب الشياطين، ولها اتضاعها في الوقوف أمام الله، ولها محبتها،

وخدمتها، واحتمالها في معاملة الناس. وليكن الرب معك.
كتاب الرجوع إلى الله - صفحة ٨٣ - ٩٤

{١٩}
القديس يوحنا كاسيان
ثمار التوبة وعلامات الصفح
للأب بينوفيسوس

📖 **١- مقدمة:**

📖 الآن إذ أروي لكم تعاليم الأب بينوفيوس، الرجل العظيم الممتاز، بخصوص غاية التوبة، أظن أنه يمكنني أن أتغاضى عن الكثير من مادة هذا الموضوع ... حتى لا يمل القارئ.

📖 إني أصمت هنا عن مديحي اتضاع الأب بينوفيوس، إذ سبق لي الحديث عنه باختصار في كتاب المؤسسات تحت عنوان "قوانين خاصة بالنساك".

📖 كان هذا الرجل رئيسا كأب، وقس على مجمع رهبان عظيم قريب من مدينة أينفو، التي قلنا إنها بمصر، وكانت المقاطعة كلها تمجده جدا من أجل تقواه، والمعجزات التي تتم على يديه، وكان يرى في نفسه أنه بهذا ينال أجرة أعماله في مديح الناس.

📖 وإذ خشي المديح العام الفارغ، الذي كان ينبذه، لئلا يفقد ثمار الجزاء الأبدي، هرب من ديره سرا، وذهب إلى مكان منعزل بعيد في دير طبانسين.

📖 لم يختر المضي إلى الصحراء الموحشة حيث الوحدة، والبعد عن اهتمام الآخرين الخاصة بالمتوحدين، هذه الحياة التي قد يلجأ إليها في بعض الأحيان، غير الكاملين، وغير القادرين على احتمال الطاعة لجميع الرهبان، مدفوعين بكبرياء التوحد، بل اختار لنفسه أن يخضع

في دير مشهور.

📖 على أي الأحوال ارتدى زي علماني متخفيا، وهناك ارتمى أمام باب الدير وهو يبكي بدموع لمدة أيام كثيرة، كما كانت العادة هناك، طالبا أن يقبلوه. وكان ينحني أمام الجميع ليقبلوه، لكنهم كانوا يرفضونه ناظرين إليه أنه رجل مسن جدا، لا يطلب الحياة المقدسة بإخلاص، إنما من أجل العوز.

📖 أخيراً قبلوه، وجعلوه يساعد أخا حديثا في الرهبنة يعتني بشئون الحديقة. فكان ينفذ أوامر رئيسه باتضاع عجيب مقدس، عاملا بأمانة في كل ما يعهد إليه به. وكان يقوم بالليل ليعمل خفية بعض الأعمال الأخرى، التي كان الإخوة يشمئزون منها، أو يستثقلونها. وكانوا إذا قاموا في الفجر يبتهج الجميع من أجل الأعمال التي قد تمت، دون أن يعلموا من الذي كان يصنعها.

📖 قضى ثلاث سنوات على هذا الحال وهو مبتهج بهذه الخدمات والأعمال ... حتى حدث أن جاء أخ من نفس المنطقة التي كان يعيش فيها الأب بينوفيوس، رآه الأخ وتردد إلى حين في التأكد من شخصه، وذلك بسبب حقارة ملابسه ومنظره، لكن إذ تفرس فيه قليلا سقط عند قدميه وصار يقبله.

📖 اندهش الإخوة جميعهم من هذا الأمر، وإذ أخبرهم الأخ عن اسمه الذي ما أن سمعوه حتى عرفوه، لأن قداسته كانت ذائعة، للحال أصيبوا بأسف وندامة من أجل ما أسندوا إلى هذا الكاهن الفاضل من خدمات حقيرة كهذه، فالتفوا به وصاروا يبجلونه.

📖 أما هو فكانت دموعه تذرف بغزارة، ناسبا هذا الإفشاء إنما بسبب حسد الشيطان له. {واضطر أن يعود إلى ديره}.

📖 بقي على هذا الحال إلى وقت قصير، وبسبب عظمة الاحترام الذي قدموه له، اضطر أن يختفي مبحرا إلى مقاطعة فلسطينية في سوريا،

وذهب كمبتدئ في الرهبنة في الدير الذي كنا نعيش فيه، وقد عهد إليه مدبر الدير أن يمكث في قلايتنا.

📖 ولم تمض فترة قصيرة حتى انكشفت فضائله، إذ ظهرت شخصيته بنفس الطريقة السابقة، وعاد إلى ديره بتبجيل واحترام.

📖 ٢- مجيئنا إليه:

📖 بعد وقت قصير وليس بطويل إذ دفعنا شوقنا لزيارة مصر للتمتع بالتعليم المقدس بحثنا عنه بشغف ... فاستقبلنا بترحاب ولطف، إذ كنا قبلا شركاء معه في نفس القلاية، وقد استضافنا في قلايته التي بناها في أقصى الحديقة.

📖 هناك في حضرة الإخوة أثناء الخدمة سلم لأحدهم، الذي كان خاضعا لقانون الدير، قوانين غاية في السمو، وشديدة الصعوبة، هذه التي لخصتها بإيجاز قدر المستطاع في الكتاب الرابع من "المؤسسات".

📖 هذه القوانين غاية في العلو، حتى ظهر لنا أنه يصعب على من هم قطيع ضعيف مثلنا أن يرتقي إليها ... لهذا صرنا في يأس، ولم تستطع ملامح وجوهنا أن تخفي مرارة أفكارنا الداخلية.

📖 رجعنا إلى الشيخ الطوباوي بقلب قلق، وإذ سألنا عن سبب حزننا الشديد، تنهد الأب جرمانيوس بعمق وأجاب قائلا:

📖 ٣- سؤال بخصوص غاية التوبة وعلامات الصفح:

📖 بما أنك تعرض لنا مبدأ جديدا، يفتح أمامنا طريقا أكثر مشقة نحو التجرد الكامل ... ويظهر لنا ذروته مرتفعا في السماوات، فنحن نرى أنفسنا مطروحين بثقل كبير من اليأس. لأنه حينما نقارن جهلنا بارتفاع الفضيلة التي لا حد لها، نشعر بأننا ضعفاء بهذا المقدار، بحيث أننا ليس فقط لا نستطيع الوصول إليها، بل يزداد إيماننا

بتقصيرنا، وهذا يدفعنا إلى السقوط إلى أعماق اليأس.

لكن يوجد لنا سند واحد وحيد يقدر أن يشفي جراحاتنا، وهو أن تعلمنا شيئا عن غاية التوبة، وخاصة علامات الصفح عنا، حتى نشعر بتأكيد غفران خطايانا الماضية، بهذا يمكننا أن نحرص على تسلق مرتفعات الكمال السابق وصفها.

٤- بينوفيوس:

إنني في الحقيقة مسرور لثمار اتضاعكم الوفيرة التي حصلتم عليها، الأمر الذي لمسته سابقا لما كنت ساكنا في قلايتكم في بيت لحم، وإنني مسرور جدا للقائكم، وأذكر لكم بأن كلماتي ليست مهمة بالدرجة التي تستحق مزيد اهتمامكم بها، لكنكم أنتم بهذا تخفون مزايا فضائلكم، كما لوكنتم على غير علم بشيء من الأمور التي تحدثت لكم عنها، والتي تمارسونها يوميا.

هذا أمر يستوجب جزيل الثناء أن تقرروا أن تعاليم القديسين لا تزال غير معلومة لكم، كما لوكنتم مبتدئين. ويلزمنا إطاعة أوامر أصدقاء مرتبطين بنا بصداقة قديمة مثلكم، ولو كانت الأوامر تفوق طاقتنا وقدرتنا.



لقد عالج الكثيرون موضوع قيمة الندامة، وقوتها اللطيفة، لا عن طريق الوعظ فحسب، بل وبالكتابة، مظهرين كيف أنها نافعة وقوية ومملوءة نعمة، حتى أن الله عندما يغضب علينا من أجل خطايانا، ويوشك أن يجلب علينا عقابا عادلا من أجل ما ارتكبناه من شرور كهذه، فإن التوبة بطريقة ما، إن صح لي هذا القول من غير أن أخطئ التعبير، تمنعه وتصد يد العقاب.

أعرف أن هذا الأمر معلوم لكم، سواء بقدرتكم على الاستنباط، أومن دراستكم التي لا تكل للكتب المقدسة. أخيراً، إنكم شغوفون لا أن تتعرفوا على صفات التوبة، إنما عن غايتها، وعلامات الرضا،

وهكذا بسؤالكم المملوء حكمة تطلبون ما غفل عنه الكثيرون.

📖 **٥-** لكي ما أشبع رغبتكم، وطلبكم باختصار وإيجاز قدر المستطاع، فإن الوصف الكامل التام للتوبة هي: "عدم الخضوع مرة ثانية للخطايا التي نقدم عنها ندامة"، أو "التي قد تبكت ضميرنا من جهتها". لكن دليل الرضا، وصفح الرب عن ذنوبنا، هو: "أن نكون قد وصلنا إلى مرحلة نلفظ فيها محبة الخطايا من قلوبنا".

📖 لأنه يلزم أن يتأكد كل إنسان أنه للآن لم يتحرر من خطاياه السابقة، طالما يمكن لأية صورة من صور تلك الخطايا التي ارتكبها، أوما يشبهها تتراقص أمام عينيه.

📖 وإنني لا أقول التلذذ بالخطايا، لكن حتى مجرد تذكارها يزعج أعماق النفس، بينما يكرس نفسه للدموع، والتخلص منها.

📖 من أجل هذا فإن الإنسان لا يشعر أنه أصبح حرا من خطاياه، وأنه قد نال الصفح عن أخطائه السابقة، عندما يحس أن قلبه يهتز ويضطرب لإغراء هذه الخطايا وتصورها.

📖 لذلك فإن أصح اختبار لمعرفة ما إذا كنا تائبين، ومعرفة شهادة العفو عنا، نجدها في ضمائرنا الآن قبل يوم الدينونة، ونحن في هذا الجسد يظهر لنا تحررنا من الخطأ، ويتبين لنا نعمة الصفح.

📖 وإن ما قلناه يمكن التعبير عنه باختصار، بأن ماضي خطايانا الملوث يكون قد ابيضت صفحاته، عندما تكون مسرات هذا الزمان وشهواته قد فارقت قلوبنا.

📖 **٦- سؤال: كيف تطالبنا بعدم تذكر خطايانا؟**

📖 **جرمانيوس:** كيف تكون فينا هذه التوبة المقدسة السليمة النابعة عن الاتضاع، والتي وصفت في شخص التائب هكذا: "أعترف لك بخطيتي ولا أكتم إثمي. قلت أعترف للرب بذنبي"، وبهذا يمكننا أن

نقول ما جاء بعد ذلك: "وأنت رفعت آثام خطيتي" {مز٣٢:٥،٦}؟

📖 أو كيف تأتينا دموع الاعتراف عندما نركع في الصلاة، لنستعطف الرب، وننال الصفح عن خطايانا كالقول التالي: "أعوم في كل ليلة سريري، وبدموعي أبل فراشي" {مز٦:٦}، إذ طردنا عنا كل تذكر للخطايا، مع أننا على العكس نحن مطالبون بتذكرها كقول الرب "وخطاياك لا أذكرها ذكرني {أذكرها أنت}" {إش٤٣:٢٥،٢٦}،

📖 بينما نستطيع ليس فقط في وقت عملنا، بل وإذا نهضنا للصلاة أن نسترجع إلى أذهاننا خطايانا متذكرينها، لكي ما يصير لنا اتضاع حقيقي، وانسحاق قلب، ونجرؤ على القول مع النبي: "أنظر إلى ذلي وتعبي، واغفر جميع خطاياي" {مز٢٥:١٨}؟!

📖 ٧- إلى أي مدى نحتفظ بتذكر الخطايا؟

📖 بينوفيوس: إن سؤالك الذي عرضته قبلا، لم يكن بخصوص صفات التوبة، بل غايتها، وعلامات الرضا، والذي كما أظن، أنه قدمت لك عنه إجابة سديدة.

📖 أما ما قلته عن تذكر الخطايا، فإنه فعلا مفيد جداً، ولازم لمن بدئوا في التوبة، حتى أنهم بقرعهم المستمر على صدورهم يقولون: "لأني عارف بإثمي، وخطيتي أمامي في كل حين "{مز٥١:٣}،

📖 وأيضاً: "لأني أخبر بإثمي" {مز٣٨:١٨}.

📖 ففي أثناء توبتنا، إذ لا نزال حزانى بتذكرنا لخطايانا الماضية، "فإن انسكاب دموعنا الذي يحدث باعترافنا بالخطية، تخمد نار ضمائرنا".

📖 لكن بينما يكون الإنسان في انكسار قلب، وانسحاق روح، مع استمرار الجهاد، والبكاء، إذ بالنعمة الإلهية تلاشي تذكر الخطايا السابقة، وتنزع وخزات الضمير عنها.

📖 هنا يكون واضحا أنه قد نال غاية الرضا، ومكافأة العفو، وانتزعت منه وصمات الخطايا التي ارتكبها، عندئذ يمكننا أن نصل إلى نسيان الخطية، وذلك بإزالة آثار الخطايا والرغبات القديمة، مع نقاوة

القلب، وكماله.



هذه الحالة لا يصل إليها الكسالى والمتهاونين، الذين فشلوا في نوال المغفرة عن خطاياهم، إنما يصل إليها من استمروا في التنهد، والتأوه بحزن، لأجل إبادة كل آثار الخطايا، فبصلاح قلوبهم مع جهادهم يعلن كل منهم للرب: "أعترف لك بخطيتي، ولا أكتم إثمي" {مز٣٢:٥}.

ويقول: "صارت لي دموعي خبزا نهارا وليلا" {مز٤٢:٣}.

فيوهب له في النهاية أن يسمع هذه الكلمات: "امنعي صوتك عن البكاء وعينك عن الدموع، لأنه يوجد جزاء لعملك يقول الرب" {إر٣١:١٦}. ويقول له الرب: "قد محوت كغيم ذنوبك، وكسحابة خطاياك" {إش٤٤:٢٢}. وأيضاً: "أنا أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي، وخطاياك لا أذكرها" {إش٤٣:٢٥}.

وهكذا إذ يتحرر من رباطات خطاياه التي رُبط الكل بها، يشكر الرب مسبحا: "حللت قيودي، فلك أذبح ذبيحة حمد" {مز١١٦:١٦،١٧}.



٨- ثمار التوبة:

بعد نعمة المعمودية المعروفة للجميع، وتلك العطية العظمى التي للاستشهاد التي هي الحميم بالدم، توجد ثمار كثيرة للتوبة، التي بها يمكننا أن نقلع عن خطايانا.

إن الخلاص الأبدي ليس موعودا به بالتوبة عن الخطايا حسبما يقوله الطوباوي بطرس الرسول: "فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم" {أع٣:١٩}. وحسبما قاله يوحنا المعمدان، والسيد المسيح نفسه: "توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات" {مت٣:٢}. لكن أيضاً ينبغي أن تكون مقرونة بأعمال المحبة، لأن "المحبة تستر كثرة من الخطايا" {١بط٤:٨}.



📖 هكذا نجد الشفاء لكل جراحاتنا، نتيجة لثمار التوبة، كالصدقات، وأفعال الرحمة، لأنه كما يقول الكتاب المقدس: "كما أن الماء يطفئ الحريق، كذلك الدموع تغسل خطايانا" {ابن سيراخ ٣:٣٣}.

📖 وأيضاً: "أعوم في كل ليلة سريري وبدموعي أبل فراشي" {مز٦:٦}. أخيراً لكي تعلم أن هذه الدموع لا تذرف عبثا يقول: "ابعدوا عني يا جميع فاعلي الإثم، لأن الرب قد سمع صوت بكائي" {مز٦:٨}.

📖 أيضاً بالاعتراف تمحى خطايانا، كقول المرنم: "أعترف لك بخطيتي ولا أكتم إثمي. قلت أعترف للرب بذنبي وأنت رفعت آثام خطيتي" {مز٣٢:٥}.

📖 ومع انسحاق النفس والجسد، فإننا نفوز بمغفرة خطايانا أيضاً، لأنه يقول: "أنظر إلى ذلي وتعبي وأمح كل آثامي" {مز٢٥:١٨}.

📖 بالأخص عندما نغير طرقنا القديمة لأنه يقول: "اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني، كفوا عن فعل الشر، تعلموا فعل الخير، اطلبوا الحق، أنصفوا المظلوم، اقضوا لليتيم، حاموا عن الأرملة. هلم نتحاجج يقول الرب، إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج، إن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف" {إش١: ١٦-١٨}.

📖 كذلك صلوات القديسين تنفع في أن يغفر الرب لنا خطايانا، كقول الرسول: "إن رأى أحد أخاه يخطئ خطية ليست للموت، يطلب فيعطيه حيوة للذين يخطئون ليس للموت، توجد خطية للموت، ليس لأجل هذه أقول إن يطلب" {١يو٥:١٦}.

📖 ويقول أيضاً: "أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه، ويدهنوه بزيت باسم الرب، وصلوة الإيمان تشفي المريض، والرب يقيمه، وإن كان قد فعل خطية تغفر له" {يع٥:١٤،١٥}،

📖 أيضاً مع الرحمة والإيمان تمحى الذنوب، إذ "بالرحمة والحق يستر

الإثم" {أم١٦:٦}.

📖 وكثيرا ما يكون ذلك بواسطة شوقنا، وسعينا، وتعبنا نحو خلاص الذين خلصوا بإنذاراتنا ووعظنا، كقول الكتاب: "فليعلم أن من رد خاطئا عن طريق ضلاله، يخلص نفسا من الموت، ويستر كثرة من الخطايا" {يع٥:٢٠}.

📖 وفضلا عن ذلك بصفحنا عن ذنوب الآخرين، ومسامحتهم ننال الصفح عن خطايانا كالقول: "فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي" {مت٦:١٤}.

📖 نعرف مما تقدم أنه عديدة هي الوسائل ننال بها مغفرة خطايانا، حتى أنه ما من أحد يشتاق نحو خلاص نفسه يتطرق إليه اليأس، لأنه يرى أنه مدعو للحياة بأدوية كثيرة هذا عددها!

📖 إذا كنت تحتج أنه بالنسبة لضعف الجسد، لا تستطيع أن تتخلص من خطاياك بممارسة الصوم، ولا تستطيع أن تقول مع المرتل: "ركبتاي ارتعشتا من الصوم، ولحمي هزل عن سمن" {مز١٠٩:٢٤}،

📖 ولا أن تقول أيضاً معه: "إني قد أكلت الرماد مثل الخبز، ومزجت شرابي بدموع" {مز١٠٢:٩}، "إذن عوض هذا استبدله بجزيل الصدقات".

📖 إذا لم يكن لديك شيء لتقدمه للمحتاجين {ولو أن العوز والفقر لا يعفي المرء من التصدق} إذ أن السيد المسيح مدح فلسي الأرملة الفقيرة، أكثر من العطايا الكبيرة التي قدمها الأغنياء.

📖 والسيد المسيح ذاته وعد أنه لن يضيع أجرة من سقى كأس ماء بارد، فإنك تستطيع على الأقل أن تطهر ذاتك عن طريق تغيير حياتك، وإصلاحها وتقويمها.

📖 وإذا لم تستطع أن تحوز الكمال في الصلاح باستئصال جميع

أخطائك، تستطيع أن تظهر الشوق المقدس، والاهتمام بالعمل لخير وخلاص الآخرين. إذا كنت تحتج بأنك لست كفئا للقيام بهذا الأمر، "تستطيع أن تستر خطاياك، بإشعال المحبة في قلبك نحو الآخرين".

📖 وإذا كنت بالنسبة لهذا أيضاً نتيجة كسل، واسترخاء العقل، تكون ضعيفا، على الأقل "ينبغي أن تتضع، وتنسحق أمام الله، وتسعى لعلاج جراحاتك، وبشفاعات القديسين".

📖 أخيراً من هو الإنسان الذي لا يستطيع أن يعترف قائلا: "أعترف لك بخطيتي ولا أكتم إثمي". ثم يردف قائلا: "وأنت رفعت آثام خطيتي" {مز٣٢:٥}. ليته لا يتوقف اعترافك في اتضاع كامل: "أنا عارف بإثمي، وخطيتي في كل حين". وأيضاً: "إليك وحدك أخطأت والشر قدام عينيك صنعت" {مز٥١:٤}.

📖 فضلا عن ذلك "فإنه في مقدرتنا بإرادتنا أن نصفح عن خطايا الآخرين، عندئذ يصفح الرب عن زلاتنا كما نطلب إليه في الصلاة الربانية: "اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا"، من أجل ذلك فإن كل من يرغب في مغفرة خطاياه، عليه أن يعد نفسه بهذه الوسائط.

📖 ليتنا لا ندع قلوبنا تتقسى، وتبتعد عن العلاج الخلاصي، وعن مصدر الخيرات، لأنه إن فعلنا كل هذه الأمور فإنها ليست كافية لرسوخ أقدامنا على صخرة التوبة، ما لم تمح خطايانا بواسطة مراحم الرب، الذي عندما يرى مجهوداتنا المقدسة التي نقدمها بقلب متضع، يسند ضعفاتنا، وأتعابنا بجزيل فضله وإنعامه ويقول: "أنا أنا هو الماحي ذنوبك ... وخطاياك لا أذكرها" {إش٤٣:٢٥}.

📖 إذن كل من يهدف إلى هذه الحالة التي ذكرناها، فإنه سيبحث عن نعمة الصفح مستخدما الصوم يوميا، وقمع شهوة القلب والجسد، لأنه

مكتوب "بدون سفك دم لا تحصل مغفرة" {عب٩:٢٢}. هذا لم يقله بغير سبب لأن "لحما ودما لا يقدر أن يرثا ملكوت الله" {١كو١٥:٥٠}. فإن الإنسان الذي يصد "سيف الروح الذي هو كلمة الله" {أف٦:١٧} عن سفك الدم، بالتأكيد يسقط تحت اللعنة التي أعلنها إرميا قائلا: "ملعون من يمنع سيفه {الكتاب المقدس} عن الدم" {إر٤٨:١٠}. إذا لنفعنا يسفك الدم الفاسد الذي لمادة خطايانا.

📖 هذا هو السلاح الذي يقطع وينقي كل أمر شهواني وأرضي ينمو في نفوسنا. إنه يجعل الناس يموتون عن الخطية، ويعيشون لله، ويزدهرون بالفضائل الروحية.

📖 من أجل هذا لا يعود أحد يبكي لأجل تذكار الشرور السابقة، لكن لأجل الرجاء الذي سيأتي، وإذ لا يفكر في خطاياه الماضية، بأقل من ترجي الصالحات التي سوف تأتي، فإنه يسكب الدموع ليس من أجل الحزن عن الخطايا، لكن من أجل الفرح في السعادة الأبدية المرتقبة، وينسى ما هو وراء، أي الخطايا الشهوانية، كما يقول بولس الرسول: "أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام" {في٣:١٣}، أي إلى المواهب، والفضائل الروحية.

📖 ٩- فائدة نسيان الخطية للكاملين {نسبيا}

📖 أما بالنسبة لما قلته منذ قليل، أنه بسبب هدف موضوع أمامك لا تريد أن تذكر خطاياك السابقة مرة أخري، فبالتأكيد يلزم إلا تذكرها، إلا إذا باغتتك بغير إرادتك، فللحال أطردها، فإنها تحرم الروح بقوة عن التأمل التقي، خاصة بالنسبة للمتوحد، "فهي تعرقله في وصمات هذا العالم، وتغرقه في الخطايا النجسة".

📖 فبينما تتذكر الأمور التي كنت تصفها في جهل وطيش ... فإنه حتى وإن كنت في تذكرك لها لا تشعر بلذة، فلا أقل من أن عفونة النجاسات تفسد روحك برائحتها الكريهة، وتبطل أريج رائحة الحياة

الصالحة، أي رائحة الطيب الذكية.

📖 عندما تخطر بذاكرتك الخطايا السابقة، اهرب منها كما يهرب الإنسان البار الشريف، متى وجد امرأة عاهرة شريرة تطلبه في الطريق العام بواسطة حديثها معه، أو تقبيلها إياه.

📖 فإنه يهرب منها للحال، {وإن كان} متباطئا في الحديث معها بأحاديث مشوبة، فإنه وإن رفض التمتع باللذة المعيبة، إلا أنه لا يقدر أن يتجنب احتقار العامة له، ونظرات السخرية المتسلطة عليه.

📖 هكذا نحن أيضاً، بتذكرنا المهلك هذا نسقط في أفكار كهذه.

📖 لهذا يلزمنا أولا أن نمتنع عن التمسك بها، منفذين وصية سليمان القائل: "لا نذهب إلى هناك"، ولا نبطئ في مكانها، ولا نثبت نظرنا عليها، لئلا عندما ترانا الملائكة المارة بنا، أننا مشغولين بأفكار نجسة، فلا تقدر أن تقول لنا: "بركة الرب عليكم" {مز١٢٨:٨}.

📖 فإنه يستحيل أن يستمر الفكر مشغولا في الأمور الصالحة، إن كان النصيب الأكبر من القلب غارقا في تأملاته الأرضية الشريرة.

📖 لقد حق قول سليمان: "عيناك تنظران الأجنبيات، وقلبك ينطق بأمور ملتوية. وتكون كمضجع في قلب البحر، أو كمضجع على رأس سارية. يقول ضربوني ولم توجع. لقد لكأوني ولم أعرف" {أم٢٣:٣٣-٣٥}.

📖 يلزمنا أن نهجر لا الأفكار الشريرة فحسب، بل والتفكير في الأمور الزمنية، رافعين اشتياقات نفوسنا نحو الأمور السمائية، كقول مخلصنا: "حيث أكون أنا هناك أيضاً يكون خادمي" {يو١٢:٢٦}.

📖 لأنه يحدث أيضاً حتى من باب العطف، أن نفكر في سقطات الغير، أوأخطائهم، فنتأثر باللذة، ونسقط بالتالي في هموم الآخرين.

📖 فتكون النتيجة أن ما بدأنا به حسنا ينتهي نهاية مهلكة، لأنه "توجد

طريق تظهر للإنسان مستقيمة، وعاقبتها طرق الموت" {أم١٤: ١٢}.

🕮 ١٠- كيف نتجنب تذكر الخطايا؟

🕮 على أي الأحوال يجدر بنا أن نسعى إلى انسحاق القلب الصادق، الذي يهدف نحو الفضيلة، والاشتياق إلى ملكوت السماوات، ولا يكون هدفه مجرد تذكر الشر المميت.

🕮 فالإنسان بالتأكيد يختنق من روائح البالوعات الخانقة، طالما قبل الجلوس بجوارها، أو يستنشق نتانتها.

🕮 ١١- طرق التوبة الحقيقية، ومغفرة الخطية:

🕮 لكننا نعرف كما قلنا مرارا أنه بعد أن نندب خطايانا السابقة ونتوب عنها، فإن المشاعر والأحاسيس الخاطئة القديمة التي ساقتنا إلى الخطية، والتي حزنا من أجلها، يجب استئصالها من قلوبنا، ولا يتصور إنسان أنه يجوز ذلك إلا قطع كل الأسباب التي تسوقه إلى الخطية. على سبيل المثال إذا كان قد سقط في خطية امرأة، فإنه يجب الاحتراس، فلا يتطلع إلى امرأة.

🕮 وإذا كان قد سقط بسبب الخمر، وكثرة الأكل، فإنه يجب عليه أن يتعفف، ويتقشف، ويبطل نهمه، ويكتفي بالطعام الخفيف المعتدل.

🕮 وإذا كان سقوطه بسبب حال المال، وقد أوقعه في الإضرار بالناس والسرقات، وما أشبهه، يجب عليه أن يمنع نفسه من كل فرص الطمع والجشع.

🕮 وإذا كان يندفع كثيرا في كبرياء إلى خطية الغضب، فإنه بمداومة نفسه بالاتضاع، يستطيع أن يطفئ حدة غضبه الخ. وهكذا.

🕮 مجمل القول إنه لكي يقضي الإنسان على أية خطية، يجب عليه أن يتخلص أولا من كل الأسباب المؤدية إليها.

🕮 وبهذه الطريقة نستطيع أن نتخلص من خطايانا ونستطيع أن نتبرأ من تذكر الخطايا التي ارتكبناها.

📖 هذا الحديث عن نسيان الخطايا السابقة، أقصد به الخطايا الرئيسية التي دانها أيضاً الناموس الموسوي، التي قد انتهى الميل إليها، ونزعت عنا بالحياة الصالحة، والتي قد انتهت الندامة من أجلها.

📖 أما المعاصي الأخرى {الصغرى} التي قيل عنها: "لأن الصديق يسقط سبع مرات ويقوم" {أم٢٤:١٦}، فإن التوبة عنها لا تنتهي، لأنه سواء عن جهل، أو نسيان، أو بالتفكير، أو الكلام، أو بمجرد الاشتياق، أوعن ضرورة، أوعن ضعف الجسد، أ ونجاسة في حلم.

📖 هذه الأمور غالبا ما نسقط فيها كل يوم بغير إرادتنا، أو بإرادتنا.

📖 مثل هذه الخطايا يصلي من أجلها داود النبي للرب، ويطلب التنقية منها والغفران عنها: "السهوات من يشعر بها؟! من الخطايا المستترة أبرئني؟!" {مز١٩:١٢}.

📖 وأيضاً يقول الرسول: "لأني لست أفعل الصالح الذي أريده، بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل" {رو٧:١٩}، لذلك تنهد قائلا: "ويحي أنا الإنسان الشقي، من ينقذني من جسد هذا الموت؟!" {رو٧:٢٤}.

📖 إننا نسقط في هذه الخطايا بسهولة، كما لو كانت بحكم الطبيعة نفسها، فرغم يقظتنا وسهرنا نحوها، فإننا لا يمكننا تجنبها كلية.

📖 هذا الأمر الذي جعل أحد التلاميذ الذي كان يسوع يحبه يصرخ ويقول: "إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا، وليس الحق فينا" {١يو١:٨}.

📖 أكثر من ذلك إن الإنسان الذي يسعي نحو الكمال المسيحي، لا يكتفي بأنه ندم على الخطية بالغ الندم ليمنع نفسه عما لا يليق، بل لابد أن يحث نفسه على التقدم للأمام نحو الفضائل النورانية، التي بها تستطيع النفس أن تسير في طريق الكمال.

📖 ولا يكتفي الإنسان بأنه يحفظ نفسه من الخطايا والأدناس، التي

يكرهها السيد المسيح، بل عليه أن يعمل على حفظ طهارة القلب، وممارسة أفعال المحبة الأخوية، التي بها يُسر الله.

📖 هكذا انتهى الأب بينوفيوس من حديثه عن علامات الصفح، وغاية التوبة، وبالرغم من أنه قد ألح علينا كثيرا لكي نبقى معه في قلايته، لكنه إذ لم يقدر أن يبقينا إذ قد جذبتنا شهوة برية الإسقيط، سمح لنا أن نسير في طريقنا.

✝ ✝ ✝

ملخص المبادئ

📖 ✝ علامة التوبة الصحيحة، أننا في وسط الحزن والندامة على الخطية، نحمل في النفس سلاما داخليا. التوبة التي بلا سلام داخلي، تحمل يأسا وقنوطا ينزع عن النفس رجاءها.

📖 ✝ الإنسان التائب لا يعود يذكر خطاياه التي تاب عنها، وخاصة تفاصيلها، حتى لا تدفعه للسقوط مرة أخري. تذكر الخطايا السابقة مهم بالنسبة للإنسان المتهاون والكسلان، ولكن بحذر أيضاً.

📖 ✝ لا تذكر تفاصيل خطاياك القديمة، لكن أذكر ضعفك: "خطيتي أمامي كل حين". لا تنسي الجانب الإيجابي ... أذكر محبة الرب وحنانه، وفاعلية دمه في حياتك، ولا تجعل كل فكرك في الخطية التي ارتكبتها.

📖 ✝ أيضاً حياة الشكر هامة في التوبة، نشكر الله من أجل رحمته كغافر للخطية. أخيراً لتكن توبتنا عملية، أي مقترنة بالثمار الحية: تنفيذ وصايا الرب كالصدقات، وأفعال الرحمة.

📖 محبتنا لإخواننا، وعطفنا تجاه الخطاة الساقطين. استئصال المشاعر، والأحاسيس الخاطئة، والابتعاد عن مكان الشر ... الخ.

📖 ✝ أخيراً يلزمنا في توبتنا أن نعرف:

📖 إن جهادنا مهما بلغ قدره لا ينفع شيئا، بغير نعمة اللـه المترفقة بنا.
📖 مهما وهبنا من نعمة وجاهدنا ... لكننا نبقى في حالة توبة دائمة ما دمنا بعد في هذا الجسد.
📖 إن قلنا إننا بلا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا" وذلك لأننا نبغي في حياتنا أن نصل إلى ملء قامة المسيح... فنبقى كل حياتنا مجاهدين بفرح ورجاء، لكن في انسحاق وانكسار قلب على الدوام.

كتاب القديس يوحنا كاسيان ـ أنواع الرهبان الثلاثة ـ للأب بيامون ـ صفحة ٣٥٦ ـ ٣٦٣

{٢٠}

الفيلوكاليا: كاليستوس وأغناطيوس

٧٩ـ الحاجة إلى التوبة سريعا بعد السقوط كذلك تقوية النفس بحكمة ضد أقصى الإغراءات

📖 إذا حدث لك أحيانا قلق، أو انزعاج، أو سمحت لدافع ما أن يدخل، أو فشلت في تأدية عمل، يجب عليك في الحال إصلاحها، وإذا أساء إليك بعض الناس، أو أنت أسأت إليهم، يجب أن تسالمهم سريعا.
📖 ولهذا الغرض يجب أن تندم من كل قلبك. وتبكى، وتذرف الدمع، وتؤنب نفسك على كل شيء، وبعد أن تحصن نفسك هكذا للمستقبل، يجب بناء على ذلك أن تتعهد نفسك بحكمة.

📖 يعلمنا ربنا يسوع المسيح هكذا قائلا: "إن قدمت قربانك إلى المذبح، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئا عليك، فاترك هناك قربانك قدام المذبح، واذهب أولا اصطلح مع أخيك، وحينئذ تعال وقدم قربانك" مت٥: ٢٣، ٢٤
📖 ويقول الرسول: "ليرفع من بينكم كل مرارة، وسخط، وغضب، وصياح، وتجديف، مع كل خبث، وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض، شفوقين، متسامحين كما سامحكم اللـه أيضاً في المسيح" " أف٤: ٣١ ،

٣٢ ، "اغضبوا ولا تخطئوا، لا تغرب الشمس على غيظكم" " أف٤: ٢٦ ". وأيضاً: "لا تنتقموا لأنفسكم، بل أعطوا مكانا للغضب، ولا يغلبنك الشر، بل اغلب الشر بالخير" " رو١٢: ١٩ ، ٢١ ". هذه هي الطريقة التي يتكلم بها الكتاب المقدس على مصالحة كل واحد الآخر.
الفيلوكاليا ـ الباب السادس كاليستوس البطريرك وأغناطيوس أكسنثوبولوس صفحة ٣٥٥

📖 **٨٠ـ عن الزلل والتوبة:**

📖 **يتكلم مار إسحق هكذا عن الزلل:** "لا نحزن عندما نزل، ولكن نحزن إذا ثبتنا فيه. لأن الكاملين أيضاً كثيرا ما يزلون، ولكن الثبات على ارتكاب نفس الزلل هو الموت المطلق.

📖 الحزن الذي نقاسيه نتيجة زلاتنا، يحسب بواسطة النعمة كعمل طاهر. لكن الذي يزل مرة ثانية، ويتكل على التوبة، هو إنسان غير آمين. مع الله، الموت يصرعه دون إنذار، ولا يترك له الوقت لينجز أعمال الفضيلة، كما كان يأمل".

📖 **وأيضاً:** "يجب أن ندرك باستمرار، أننا في كل من ساعات الليل والنهار الأربع والعشرين، في حاجة إلى التوبة، معنى كلمة توبة، كما تعلمناها من صفة الأشياء الصحيحة: هي التماس قوى الله، موجهة إليه في صلاة كلها انسحاق قلب، نتوسل إليه أن يغفر الماضي، والتوبة أيضاً تتصل بحماية المستقبل".

📖 **وأيضاً:** "كنعمة تضاف على نعمة العماد، يعطى الناس التوبة، لأن التوبة ميلاد ثان من الله. هذه الموهبة هي عهد نناله بالإيمان، ونحصل عليه بالتوبة.

📖 التوبة هي الباب إلى الرحمة، وهو مفتوح لهؤلاء الذين يطلبونها في لجاجة ومثابرة، بواسطة هذا الباب ندخل إلى الرحمة الإلهية، ولا يوجد مدخل آخر نستطيع به أن نجد هذه الرحمة.

📖 يقول الكتاب المقدس: "إذ الجميع أخطأوا، وأعوزهم مجد الله،

متبررين مجانا بنعمته" " رو٣: ٢٣ ، ٢٤ ". التوبة نعمة ثانية تولد في القلب، من الإيمان، والخوف. والحزن هو عصا الآب، التي يحكمنا حتى نصل إلى الفردوس الروحي. وعندما نحصل عليها، سوف يتركنا الخوف، وينصرف عنا.

📖 الفردوس هو محبة الله، التي تملك التمتع بكل السعادة والنعيم".

📖 **وأيضاً:** "لما كان من المحال تماما، عبور البحر الشاسع الأرجاء بدون مركب، أو قارب، كذلك لا يستطيع أحد أن ينال المحبة، بدون الخوف. البحر الكريه الذي يقع بيننا وبين فردوسنا الداخلي، يمكن عبوره فقط بقارب التوبة، الذي فيه يكون الخوف عند المجاديف، إذا لم يدفع الخوف قارب التوبة عبر بحر هذا العالم، لنقترب إلى الله، فإننا نغرق في هذا البحر الكريه الرائحة".

الفيلوكاليا ـ الباب السادس كاليستوس البطريرك وأغناطيوس أكسنثوبولوس صفحة ٣٥٦ ـ ٣٥٧

٨١ـ عن التوبة والخوف، والمحبة، والحزن والدموع، وتبكيت النفس:

📖 واستطرد مار إسحق يقول: "التوبة هي المركب، والخوف هو مدير الدفة، والمحبة هي الميناء المقدس. الخوف يضعنا فوق سطح مركب التوبة، ويحملنا عبر بحر المياه الكريهة الرائحة في الحياة، ويوصلنا إلى الميناء المقدس الذي هو المحبة. وكل هؤلاء الذين يكدون ويتعبون وثقيلوا الأحمال مع التوبة، يرسون إلى هذا الميناء.

📖 وعندما نقتنى المحبة، نصل إلى الله، وتنتهي رحلتنا، لأننا نصل إلى جزيرة العالم الآخر، حيث يكون الآب، والابن، والروح القدس".

📖 عن الحزن يقول المخلص: "طوبى للحزانى لأنهم يتعزون" " مت٥: ٤ " وعن الدموع يكتب مار إسحق: "الدموع أثناء الصلاة دليل على رحمة الله، تمنح للنفس في توبتها، إنها دليل على أن الصلاة مقبولة، وبواسطة الدموع تبتدئ النفس تدخل ميدان الطهارة.

📖 إذا لم يتحرر الناس من الأفكار الدنيوية، وإذا لم ينبذوا الأماني العالمية، ويحتقروا العالم، وإذا لم يبدؤوا في الاستعداد إلى الرحيل البار من هذا العالم، ولم يغذوا في النفس الأفكار، فيما ينتظرهم وراء هذا العالم، عندئذ لا تستطيع العيون أن تذرف العبرات، لأن الدموع تأتى من التفكير النقي الثابت في اللـه.

📖 ومن الأفكار الكثيرة المتتابعة الدائمة الثابتة، ومن ذكر شيء رقيق يأخذ مكانه في العقل، ذكر يجلب الحزن إلى القلب، وعلى ذلك تنهمر الدموع بغزارة وسخاء أكثر".

📖 **ويقول القديس يوحنا الدرجي:**

📖 "كما أن النار تحرق الحطب، كذلك الدموع النقية تحرق كل قذارة مرئية وعقلية، فلنحاول أن نحصل على دموع نقية، خالية من الباطل، والتي تولد من التمعن في انطلاقنا إلى الأبدية. لأن بمثل هذه الدموع لا يوجد تجريد، ولا تمجيد نفس، بل فقط تطهير، وتقدم في محبة اللـه، تطهير من الخطية ومن عدم التأثر.

📖 لا تثق في مصادر الدموع، قبل أن تتطهر من الانفعالات، لأن النبيذ الذي يخرج لتوه من المعصرة لا يعتمد عليه، والدموع التي تأتى من الخوف يصونها الخوف، لكن الدموع التي تلدها المحبة، يسلبها بعض الناس في سهولة، إلا في الوقت الذي يكون القلب فيه مضاء بالنار العظيمة، التي تذكر دائما. وعجيب حقا أن الأقل في وقته الخاص يتحمل أفضل من الأعظم".

📖 **عن تبكيت النفس: يقول أنطونيوس الكبير:**

📖 "أي عمل عظيم لأي إنسان، هو أن يندم على خطاياه أمام اللـه، وأن يتوقع التجارب حتى يلفظ آخر أنفاسه".

📖 وقديس آخر في إجابته عن هذا السؤال: "ما هو الشيء الخاص

الذي وجدته في طريقك يا أبي؟ قال: "يجب على كل واحد أن يلوم نفسه في كل شيء" فمدحه السائل قائلا: حقا لا يوجد طريق آخر غير هذا.

📖 **وقال الأنبا بيمين متأوهاً:**

📖 "كل الفضائل تدخل إلى هذا العالم. لكن فضيلة واحدة بدونها قلما يستطيع أي إنسان أن يحافظ على مركزه، سئل ما هي هذه الفضيلة أجاب: يجب على كل إنسان أن يلوم نفسه دائما".

📖 **وقال أيضاً:** "إن من يلوم نفسه، لن يضطرب مهما يحدث له، سواء كان خسارة، أو خزيا وعارا أو حزنا إذ يعتبر نفسه مقدما أنه يستحق اللوم".

الفيلوكاليا ـ الباب السادس كاليستوس البطريرك وأغناطيوس أكسنثوبولوس صفحة ٣٥٧ ـ ٣٥٩

{١٥}

أغناطيوس بريانتشانينوف

الفصل الخمسون: في التوبة والنوح

📖 عندما شرعنا نقدم نصائحنا المتواضعة لأخوتنا المحبوبين، قلنا إن الرهبنة هي ببساطة، واجب حفظ وصايا الإنجيل بدقة.

📖 فالحياة الرهبانية هي ببساطة، حياة تعاش بمقتضى وصايا الإنجيل أينما كنا ـ سواء كنا بين جماهير الناس، أو في أعمق برية، فوحدتنا وتوحدنا هي في الله.

📖 ففي الله، يستطيع ذهننا وقلبنا أن يجد ملاذا هادئا وأميناً، حيث لا يمكن لأمواج بحر الحياة وأعاصيرها، أن يكون لها علينا أي أثر. وبدون ذلك، فإن العالم المعادي لله، سيرافقنا إلى أكثر الأدغال كثافة، وإلى قمم الجبال، وإلى كهوفنا ومغاويرنا وذلك كي تجعلنا خداما لها.

📖 والسيرة الرهبانية غير المبنية على وصايا الإنجيل، هي أشبه بمبنى لا يقوم على أساس، إذ سرعان ما يتداعى وينهار.

📖 والسيرة الرهبانية غير المستوحاة من وصايا الإنجيل، هي أشبه بجسد لا نفس له، وقد أنتن.

📖 وإذ نأتي بهذه النصائح إلى النهاية، نجد أنفسنا ملزمين أن نفسر لأخوتنا المحبوبين الأعزاء، النشاط الروحي الأعظم والأهم، الذي ينبغي أن يلف سيرة الراهب، فيكون بمثابة النفس لحياته، وبمثابة النفس لانضباطه الروحي والجسدي.

📖 ومن طالع نصائحنا السابقة بانتباه، يكون قد اكتشف لا محالة، هذا النشاط، وذلك من خلال ما سبق ذكره.

تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف صفحة ٣١٦

📖 إلا أننا نرى من واجبنا أن نتكلم عنه على حدة، على أن يكون ذلك بتفصيل قدر الإمكان. حياة الراهب ليست سوى توبة دائمة ونشيطة. وينبغي علينا أن نعكف على التوبة بعمق، إذا كنا لا نريد أن نحمل الاسم ودعوة الراهب بغباء.

📖 فقط عندما يمتلئ الراهب بالتوبة، وينقاد بها، يمكنه أن يتقدم بحق.

📖 ولكن عندما يفارقه الإحساس بالتوبة، فهذا علامة أكيدة أنه مضلل بأفكار مزيفة أوحى بها الشيطان، أو أن هذه الأفكار انتفضت من داخل طبيعته المعطوبة. وانعدام التوبة على الدوام، هو علامة على موقف خاطئ، ونظرة معوجة بالكلية.

📖 والكنيسة التي بناها الإنسان بيديه، تُبخر عند كل صلاة، بحيث أن جو الكنيسة يمتلئ على الدوام بالشذى المتصاعد من البخور، حتى أن لباس الخدمة، وسواها من الأمور الكنسية، كلها تعبق بالطيب الزكي.

📖 وكل الذين يؤمنون الكنيسة للصلاة، أو لأية خدمة، سيتنشقون هذا الشذي لا محالة.

📖 هكذا أيضاً فإن هيكل الله ليس مصنوعا بأيد بشرية، بل الله هو الذي خلقه وجدده، أي أن المسيحي، لا سيما الراهب، يجب أن يكون على الدوام ممتلئا من الإحساس بالتوبة. وهذا الإحساس بالتوبة ينبغي أن يحرك، ويزيد في كل مرة يقف فيها الراهب للصلاة.

📖 وينبغي لهذا الإحساس أن يرافق صلاته ويسندها، ويجنحها كي ترتقي إلى الله. والا فإن صلاته لن تقوى على حمل نفسها، ورفعها فوق الأرض، وذلك كي تنعتق من الضياع والتشتت.

📖 إن سلوك الراهب، وكل تصرفاته، ينبغي أن يغلفها الإحساس بالتوبة، والأمر نفسه ينسحب على كيفية حفظه لوصايا الإنجيل. فهو ينبغي أن يحفظ الوصايا كمديون، وكعبد بطال {لوقا١٧:١٠}. وينبغي أن يضعها في كنز الملك السماوي، كمدفوعات لا قيمة لها عن دينه غير المسدد، والذي يمكن تسديده فقط بفعل رحمة الملك السماوي.

تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف صفحة ٣١٧

📖 لقد قال القديس مرقس الناسك: «إن الذين لا يعتبرون أنفسهم مديونين، لجهة كل وصية من وصايا المسيح، فإنهم يكرمون ناموس الله بأسلوب جسدي، غير فاهمين ما تنص عليه الوصايا، ولا ما ترتكز عليه» {في الناموس الروحي، الفصل ٣٤}.

📖 ومن الروح البشرية الساقطة، لا يقبل الله إلا ذبيحة واحدة هي التوبة. أما الذبائح الأخرى، بما في ذلك أكثر أشكال النسك تشددا وقسوة، كما يمكن أن تسمى محرقة كاملة، فهي مرفوضة لأنها ملوثة بالخطيئة، وتحتاج إلى تنقية تأتي بالتوبة، قبل أن يتم تقديمها في ذبيحة. هذه هي الذبيحة التي يقدمها الإنسان الساقط، والله لا يزدريها ولا يرفضها {مزمور٥٠:١٧}.

📖 وعندما تتجدد صهيون بالتوبة، وتبني أسوار أورشليم، عندها يمكننا بكل ثقة، أن نقدم على مذبح قلوبنا ذبائح البر، أعني بها عواطفنا، ومشاعرنا المتجددة، بنعمة الله.

📖 عندها يصبح الإنسان أهلا لتقديم نفسه كمحرقة مرضية لله {مزمور ١٩:٥٠}. وقد قال الشهيد البار صادوق: «من كان روحيا، فإنه ينتظر ميتة شهيد بفرح وتوق، ومحبة فائقة، ولا يخشاها، لأنه في جهوزية. أما الإنسان الشهواني، المادي، فساعة الموت عنده مرعبة».

📖 التوبة هي أهم وصايا الإنجيل. ونتيجتها المباشرة هي الدخول إلى ملكوت الله. لذلك فإن زمان الحياة كلها، بدءا من تبني المسيح لنا، وحتى الأبدية، وكل حياتنا على الأرض، ينبغي أن تكون مجالا للتوبة.

📖 إن العظة، والوصية الأولى التي نطق بها الله المتجسد لإنسانيتنا المعطوبة، التي جاء من أجلها، هي عن التوبة: فابتدأ يسوع يكرز ويقول: «توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات» {متى٤:١٧}.

📖 وبعد قيامته، وقبل صعوده إلى السماء، فتح الرب أذهان الرسل وأهلهم أن يفهموا الكتب.

تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف - صفحة ٣١٨

📖 المقدسة. ثم قال لهم أنه بحسب الأسفار الإلهية كان لا بد للمسيح أن يتألم ويقوم من بين الأموات وفي اليوم الثالث يقوم وأن يكرز بالتوبة ومغفرة الخطايا باسمه لكل الأمم بدا من أورشليم {لو٢٦:٢٦، ٤٥ - ٤٧}. وقبول المسيحية، والإيمان بالمسيح، يستلزمان إدراك المرء لإثميته، فضلا عن التوبة. وكي يبقى المرء مسيحيا، لابد أن يرى خطاياه، ويدركها ويعيها، ومن ثم يعترف بها، ويتوب عنها.

📖 وعندما سأل اليهود الرسول بطرس، ماذا يجب أن يفعلوا، أجابهم وقال: «توبوا، وليعتمد كل واحد منكم باسم يسوع المسيح لغفران خطاياكم، فتنالوا نعمة الروح القدس» {اعمال٢:٢٨}.

📖 كذلك فقد كرز الرسول بولس في كل مكان، أنه ينبغي على الجميع أن يعودوا إلى الله بالتوبة، وأن يؤمنوا بربنا يسوع المسيح {اعمال٢٠:٢١}. ويستحيل، ما دام الإنسان يحيا في الخطيئة، ويحبها، أن يكون من أبناء المسيح، ومن أصفيائه.

📖 فمن يعمل الشر، يبغض النور، ولن يأتي إلى النور {يوحنا ٣:٢٠}.

📖 ما علاقة البر بالمعصية؟ ما علاقة النور بالظلام؟

📖 أي انسجام بين المسيح، وبلعال؟ {٢ كور٩:١٦-١٠}.

📖 وكي تدنو من المسيح، وتدخل في وحدة حياة معه، من خلال المعمودية المقدسة، لا بد في الأساس أن تتوب.

📖 بعد المعمودية المقدسة، نعطى الحرية كي تكون مع الرب، أو مع الخطيئة. وليس هذا فحسب، لأن المعمودية المقدسة، لا تتلف استعدادنا لقبول الشر الممتزج بالخير، في طبيعتنا المعطوبة.

📖 لهذا فإن إرادتنا ورغبتنا، تمتحنان كل حين، وذلك كي ينعتق اختيارنا للخير الإلهي، وتفضيلنا له، وإيثاره على الشر، مع الخير الفاسد الذي فينا، وتبني ذلك بخضوعنا الطوعي لكل الشدائد، والمحن التي تصادفنا في درب الصليب. {اعمال١٦:٢٢}.

تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف صفحة ٣١٩

📖 وبالمعمودية المقدسة تطرد الخطيئة الجدية، وكل الخطايا التي ارتكبت قبل نيل المعمودية. المعمودية تبدد قوة الخطيئة التي تستبد بنا، إلى أن تولد من جديد. وتهبنا نعمة الروح القدس، التي بها نتحد مع الله في المسيح، وبها ننال القوة كي تخضع الخطيئة ونسودها.

📖 والسبب البسيط أننا لا ننعتق - في المعمودية - من الجهاد ضد الخطيئة، هو أننا لا ننعتق بالكلية من الخطيئة، طيلة حياتنا الأرضية. البار نفسه يمكنه أن يسقط سبع مرات، وينهض من جديد بالتوبة، على نحو ما يقول الكتاب المقدس {أمثال٢٦:١٩}.

📖 فهو يسقط بداعي ضعفه، ومحدوديته، ولأنه لا يدرك إثميته باستمرار، فهي تخفي رأسها بمكر ودهاء أمام طبيعته المعطوبة، بينما الشياطين توحي لنا بمكر، وعلى نحو غير منظور.

📖 التوبة هي الملاذ الأمين، والسلاح الدائم، والكنز الثمين. بالتوبة، يحتفظ البار بالألفة مع المسيح. وبها، يشفي من الجراح التي تسببها الخطيئة.

📖 ويقول القديس يوحنا اللاهوتي: «إن قلنا إنه ليس لنا خطيئة، نضل أنفسنا، وليس الحق فينا. وإن اعترفنا بخطايانا فهو آمين. وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا، ويطهرنا من كل إثم. آن قلنا إننا لم نخطئ، نجعله كاذبا، وكلمته ليست فينا» {١ يوحنا ١:٨-١٠}. وهذا يقوله يوحنا اللاهوتي، عن الخطايا الكراهية التي بسبب ضعفنا وعجزنا. كذلك يقول الشيء نفسه عن الخطايا الصغيرة، التي لا يستطيع القديسون أنفسهم أن يتجنبوها.

📖 أما عن الحياة في الإثم فيقول: «كل من يثبت فيه لا يخطئ. وكل من يخطئ لم يبصره، ولا عرفه. أيها الأولاد لا يضلكم أحد. من يفعل البر فهو بار، كما أن ذاك بار. ومن يفعل الخطيئة فهو من إبليس، لأن إبليس من البدء يخطئ. لأجل هذا أظهر ابن الله، لكي ينقض أعمال إبليس. كل من هو مولود من الله، لا يفعل خطيئة، لأن زرعه يثبت فيه، ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله. بهذا أولاد الله ظاهرون، وأولاد إبليس» {١ يوحنا ٣:٩-١٠}.

تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف صفحة ٣٢٠

📖 وأولاد الله يحيون بمقتضى وصايا الإنجيل، وهم يتوبون عن كل زلاتهم وسقطاتهم. وإذا حدث أن سقط أحد خدام الله، لسبب ما، في خطيئة مميتة، فالتوبة والاعتراف يشفيانه من جراح الخطيئة، وهكذا يظل ابنا لله.

📖 أما الذين يحيون في الخطيئة ويحبونها، **ومستعدون كل حين للتمرغ فيها، في كل مرة يواجهونها**، ويصرون أنهم يستمتعون بحياة الإثم بكل أشكالها، وهم أبناء إبليس، وينقضون كل وصايا الإنجيل، فهم أبناء إبليس، حتى لو واظبوا على الصلوات في الكنيسة، وطقوس الكنيسة، وأسرارها، فهم يجعلونها كلها دينونة لهم.

📖 هكذا هي روح التوبة عند كل مسيحي. لا بل أنها - أي التوبة - تؤلف جوهر الحياة الرهبانية. والدخول إلى حياة الدير، مع الاعتراف، والإقرار بإثميتنا. والحياة في الدير هي مسيرة مع التوبة لا تنقطع.

📖 والمرشح للرهبنة، من يرغب أن يحمل النذور الرهبانية أمام الله، يؤثر قلبه التوبة في بداية الخدمة، التي يسام فيها راهبا: «بادر إلى فتح ذراعيك الأبويتين لي. فقد بددت عمري كالابن الشاطر، وأنفقت عاطفة قلبي على الأهواء. أما أنت يا مخلصي فلأجل غنى محبتك التي لا تنتهي، بدد قتام قلبي. وإليك أصرخ يا سيدي بانسحاق قلب. لقد أخطأت يا أبت، أخطأت أمام السماء وقدامك».

📖 أعظم الآباء القديسين أكدوا أن التوبة كانت شأنهم الوحيد.

📖 ولما شغلوا أنفسهم بها، شرعوا شيئا فشيئا، يدركونها على نحو أفضل، فالتوبة من شأنها أن تطهر الإنسان من الخطايا، وتكسبه حدة في النظر، ليبدأ برؤية نفسه بوضوح أكثر.

وعندما تزول أدران النفس بالتوبة، سرعان ما نكتشف أن هناك أدراناً أخري، ربما هي أقل حجما، لكنها ليست أقل أهمية، وما تزال محتجبة لا نتلمسها حتى الآن، بسبب بلادة نظرنا.
تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف صفحة ٣٢١



وأخيراً فإن التوبة تقود الإنسان الذي يمارسها، إلى أعمق الرؤى الروحية، فتنكشف له سقطته، وسقطة كل الناس، وألمه وآلام كل الناس، الرازحين تحت نير أمير هذا العالم {أف٢: ١-٣}، {يو١٦: ٣٠}،

وينكشف له أيضاً عمل الفداء العظيم، وأسرار أخري كثيرة ينبغي على القارئ أن يألفها من خبرته، فاللسان البشري عاجز عن تفصيلها والنطق بها.



لقد انشغل القديس أرسانيوس الكبير بالتوبة، طوال حياته، فكانت جزءا من نفسه، وكان يعبر عنها من خلال موهبة الدموع.

فكان المنديل في حضنه على الدوام، وبينما كانت يداه منشغلتين بالعمل اليدوي، وذهنه يصلي بتوبة وانسحاق، كانت الدموع تنهمر مدرارة على المنديل {سيرته}.



وقد طلب القديس سيصوي الكبير من الملائكة، الذين جاءوا لأخذ نفسه إلى السماء، عند رقاده، أن يعطوه وقتا للتوبة. وقال لتلاميذه الذين كانوا على يقين من أنه بلغ الكمال، بأنه لا يعرف إذا كان قد بدأ مسيرة التوبة، رغم أن فهمه لها كان رفيعا جدا.

بكل تأكيد، الإنسان القديس يرى أن الحياة الرهبانية كلها توبة، وعندما قال القديس سيصوي بأنه لا يعرف إذا كان قد بدأ توبته، فهو كان يعرب عن رأيه المتواضع بالسيرة الرهبانية، التي كان يحياها.

إن الذين اقتنوا فهما روحيا، أصيلا عن التوبة، يضمنونها كل نشاطاتهم، وأعمالهم، وصلاتهم، وصومهم، فيعتبرون أن يومهم قد

مضى هدرا، عندما لا ينوحون على أنفسهم، مهما كانت الأعمال التي أنجزوها في ذلك اليوم {السلم، درجة ٥:٣٣}.

📖 لكن ليس من ريب أن القديس سيصوي الكبير، انشغل بالتوبة والنوح. وإحدى خواص التائبين هي إن التائب لا يرضى بما هو عليه، بل كلما ملأته التوبة، كلما ازداد توقه إليها، وذلك لأن التوبة تولد النقاوة الأكثر إرضاء لله.

تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٣٢٢

{١٦}

القديس يوحنا الكرباثى

📖 **٤ـ** القمر في نموه وتضائله، يشرح حالة الإنسان. أحيانا يفعل ما هو صواب، وأحيانا يخطئ، وعندئذ يرجع الى الحياة المقدسة من خلال التوبة.

📖 إن فكر من يخطئ لا يتدمر، كما يعتقد البعض منكم، بالضبط مثل أن المقاس الفيزيائي للقمر لا ينقص، ولكن ضوءه فقط من خلال التوبة، يستعيد الإنسان إشراقه الطبيعي، بالضبط مثل القمر بعد فترة تضائله، يكسى نفسه مره أخرى بضوءه الكامل.

📖 إذا آمن إنسان بالمسيح، فحتى ولو مات فسيحيا {يو ١١ :٢٥}، وسوف يعرف أن «أنا الرب تكلمت، وسأفعل» {حز ١٧: ٢٤ س}.

الفيلوكاليا ـ القديس يوحنا الكرباثى ـ لأجل تشجيع الرهبان في الهند ـ صفحة ـ ٢٩٠

📖 **٢٩ـ** عندما يُهزم شخصا ما، بعدما قدم مقاومة صلبة، يجب إلا يستسلم لليأس، ليأخذ قلباً متشجعاً بكلمات إشعياء "بالرغم من قوتكم، سوف تنهزمون أيها الشياطين الأشرار، وإذا جمعتم قوتكم ثانية معاً، سوف تهزمون ثانية، مهما تكون خططكم التي تخترعونها، سوف يحولهم الرب الى لأشيء. لأن الله معنا: {ق.م. أش ٩٨-١٠}.

📖 "الله مقوم كل المنحنيين" {مز ١٤٥: ١٤}.

📖 ويحدث الحزن والرعب بين أعدائنا بمجرد أن نتوب.

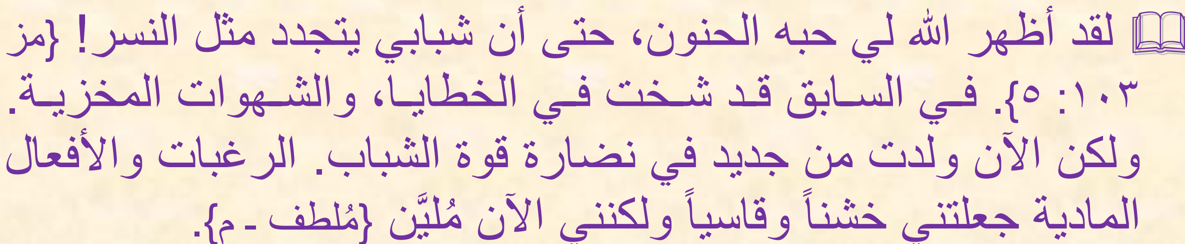
الفيلوكاليا ـ القديس يوحنا الكرباثى ـ لأجل تشجيع الرهبان في الهند ـ صفحة ٢٩٦



📖 **٣٧-** الى كل واحد منكم قد أحزن بالشعور بعدم استحقاقه، وعدم قدرته على اقتناء القداسة، هذه هي رسالتنا، إذا اقتنى اللاهوي يمكن أن يرى يسوع، ليس فقط في المستقبل {الأبدية}، بل آتياً الية هنا والآن «بقوة ومجد كثير» {مت ٢٤: ٣٠}.

📖 بالرغم من أن نفسه، مثل سارة، قد شاخت في العقم، ولكنها تستطيع أن تحمل طفل مقدس، خلافاً لكل التوقعات، ولازال يستطيع أن يقول مثلها: "قد صنع الله لي ضحكاً" {تك ٢١: ٦} - أي "منحنى الله فرح عظيم بعد السنين الكثيرة التي أمضيتها في الحزن، مُسيطرا علىَّ بالشهوات.

الفيلوكاليا ـ القديس يوحنا الكرباثى ـ لأجل تشجيع الرهبان في الهند ـ صفحة ٢٩٧



📖 لقد أظهر الله لي حبه الحنون، حتى أن شبابي يتجدد مثل النسر! {مز ١٠٣: ٥}. في السابق قد شخت في الخطايا، والشهوات المخزية. ولكن الآن ولدت من جديد في نضارة قوة الشباب. الرغبات والأفعال المادية جعلتني خشناً وقاسياً ولكنني الآن مُليَّن {مُلطف ـ م}.

📖 الله في عطفه قد شفى فكرى، واستعاد لي بساطتي الطبيعية، أستطيع الآن أن أرى أشياء هذا العالم بوضوح. لحمى، مثل الذي لنعمان السرياني، أصبح مثل لحم طفل صغير، لأنني اغتسلت في أردن المعرفة الروحية {ق.م. ٢مل ٥: ١٤}. الآن وأنا واحد مع نفسي، حررت بنعمة الله من خداع الحية، ومن التشكيلة العظيمة من أفكار الشر التي اقتنيتها بطريقة مخالفة للطبيعة".

الفيلوكاليا ـ القديس يوحنا الكرباثى ـ لأجل تشجيع الرهبان في الهند ـ صفحة ٢٩٨



القديس مكسيموس المعترف

📖 **٣-** الشر لا يوجد بالطبيعة، ولا أي إنسان يكون شرير بالطبيعة، لأن الله لم يعمل شيئاً لم يكن صالحاً. عندما يتخيل شخصا ما في رغبة قلبه، ويعطي شكلاً لما هو في الواقع ليس له وجود، حينئذ فإن ما رغبه يبدأ في الوجود.

📖 وعلى ذلك يجب أن نحول انتباهنا بعيدا عن الميل الى الشر، وتركز على ذكر الله، لأن الصلاح الموجود بالطبيعة، أقوى من ميلنا الى الشر. الأول له وجود، بينما الثاني ليس له، إلا إذا أعطيناه وجود بواسطة أفعالنا.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - القديس ديادوخوس الناسك - صفحة ٢٤٦

📖 **٨١-** خمسة أشياء تقطع النفس من الخطيئة: الخوف من الناس، الخوف من المحاكمة، مكافأة مستقبلية، مخافة الله، وأخيراً يقظة الضمير.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الثانية - صفحة ٧٦

📖 **٥٧-** حيث أننا قد عرفنا أن اليوم السادس هو رمز للنشاط العملي، فدعنا نسدد أثناء هذا اليوم {وجُدنا في العالم} دين الأعمال الفاضلة الذي علينا، حتى يمكن أن يقال لنا أيضاً: "ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً" {تك١: ٣١}.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - مئتا نص كُتبَتْ لطلاسيوس - المئوية الأولي - صفحة ١٢٢

📖 **٥٨-** من يبذل نفسه جسدياً من أجل أن يُزين النفس بفضائل متنوعة، يدفع لله دين العمل الحسن المطلوب منه.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - مئتا نص كُتبَتْ لطلاسيوس - المئوية الأولي - صفحة ١٢٢

📖 **٥٩-** من أكمل اليوم السادس، يوم الاستعداد، في أعمال الصلاح، قد عبر إلى نياح التأمل الروحي. وفى أثناء هذا التأمل، يُدرك فكره

الجواهر الداخلية للكائنات المخلوقة بطريقة مقدسة، متوقفاً عن كل حركة.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - مئتا نص كُتبَتْ لطلاسيوس - المئوية الأولي - صفحة ١٢٢

٦٠- من يشارك في راحة الرب في اليوم السابع من أجلنا، أيضاً يأخذ نصيبه من أجلنا، في قوة الله المُقدِسَة في اليوم الثامن، التي هي في القيامة السرية، ويترك لفائف الكتان

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - مئتا نص كُتبَتْ لطلاسيوس - المئوية الأولي - صفحة ١٢٢

والمنديل الذي كان ملفوفا حول رأسه ملقاة في القبر {ق.م. يو٢٠ :٦} هؤلاء الذين يدركون ذلك مثل بطرس ويوحنا، اقتنعوا بأن الرب قد قام.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - مئتا نص كُتبَتْ لطلاسيوس - المئوية الأولي - صفحة ١٢٢ - ١٢٣

٢٦- من لازال راضياً باللذات الشهوانية التي للجسد، يسكن في أرض الكلدانيين كصانع وكعابد للأوثان. ولكن عندما يبدأ في تمييز الموقف، ويكتسب بعض التبصر في نظام الحياة التي تتطلبه الطبيعة، فإنه يترك أرض الكلدانيين، ويأتي إلى حاران في بلاد بين النهرين {ق.م. تك١١ :٣١}.

أعنى بحاران الحالة المتوسطة بين الفضيلة والرزيلة، حالة لم تتنقي بعد من تضليل الحواس. ولكن إذا ذهب أبعد من الفهم المتوسط للصلاح، الذي أحرزه من خلال الحواس، فسوف يُسرع تجاه الأرض المباركة، أي إلى الحالة الخالية من كل خطيئة والجهل، التي يظهرها الله الذي لا يكذب، لهؤلاء الذين يحبونه، واعداً أن يعطيها لهم كمكافأة على فضيلتهم.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - مئتا نص كُتبَتْ لطلاسيوس - المئوية الثانية - صفحة ١٣٩



📖 **٤٢-** هؤلاء الذين يلتزمون فقط بحرف الكتاب المقدس، ويربطون كرامة النفس بالعبادة الخارجية {الحرفية بدون عمق} التي للناموس، يجعلون الكلمة جسداً لأنفسهم بطريقة تستحق التوبيخ.

📖 إنهم يعتقدون بأن الله سوف يُسر بذبائح الحيوانات العجماوات.

📖 إنهم يعطون انتباه كبير للجسد، بالتطهيرات الخارجية. ولكن يُهملون جمال النفس، {ويتركونه} ملطخاً كما هو بالشهوات.

📖 ولكن كل قوة أتت للعالم المرئي، وكل تعليم وناموس إلهي قد أعلن هو للنفس. "إن هذا قد وضع لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل" يقول الإنجيل المقدس {لو ٢ :٣٤}.

📖 يجب أن نسأل بناء على ذلك: أي الاثنين يمكن ألا يكون قد وضع لسقوط هؤلاء، {هم} الذين يتأملون في الخليقة المرئية فقط طبقاً للحواس، وهؤلاء الذين لصقوا بالحرف المجرد للكتاب المقدس، غير قادرين في حماقتهم على أن يذهبوا أبعد، ويدركوا الروح الجديد الذي للنعمة.

📖 ويجب أن نسأل: أي الاثنين يمكن ألا يكون قد وضع لقيام هؤلاء {إنهم} الذين يتأملون في مخلوقات الله، وينصتون فقط لكلماته بأسلوب روحي، صاقلين بطرق مناسبة فقط الصورة الإلهية، التي هي في النفس، إذا تم فهم أن الرب قد وضع لسقوط وقيام كثيرين بطريقة صحيحة، حينئذ فإن السقوط يشير إلى الشهوات، والأفكار الشريرة، التي في كل مؤمن. والقيام إلى الفضيلة، وكل فكر يتمتع ببركة الله.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - مئتا نص كُتبَتْ لطلاسيوس - المئوية الثانية - صفحة ١٤٣

📖 **٤٧-** الرب لا يصعد إلى الآب من أجل هؤلاء، الذين يستكشفون الحق الإلهي بمواهبهم، بينما هم في حالتهم الساقطة. ولكنه يصعد إلى الآب من أجل هؤلاء الذين يطلبون الحق بالروح القدس، بواسطة أعلى أشكال التأمل.

الكلمة نزل إلينا من أجل الحب. دعنا نبقيه معنا هنا دائماً، ولكن دعنا نذهب معه إلى الآب، تاركين الأرض والأشياء الأرضية خلفنا، لئلا يقول لنا ما قاله لليهود بسبب عنادهم: «حيث أمضى أنا، لا تقدرون أنتم لي تأتوا» {يو ٨ :٢١}. لأنه بدون الكلمة من المستحيل أن نقترب إلى أبو الكلمة.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس مكسيموس المعترف ـ مئتا نص كُتبَتْ لطلاسيوس ـ المئوية الثانية ـ صفحة ١٤٤



قال القديس مكسيموس:

"لا تحتمل الأفكار التي تغفر لنا الخطايا، إذ إن الرب امرنا أن نتحفظ منها قائلاً: "تحفظوا من الأنبياء الكذبة، الذين يأتونكم بثياب الحملان، ومن داخلهم ذئاب خاطفة".

لأنه ما دام فكرنا منزعجا من الخطية، فلا نكون قد حظينا بالصفح عنها، والغفران. لأننا ما عملنا أثمار التوبة، لآن ثمر التوبة هو عدم انفعال النفس، وعدم انفعال النفس هو تمحيص الذنوب، فإذا كنا نوجد وقتاً ما قلقين من الآلام، فلنتب إذن توبة نقية، كيما إذا انعتقنا من الآلام نحظى بالصفح عن الذنوب".

سؤال: "كيف تتحقق النفس إن الله قد سامحها من خطاياها؟"

الجواب: "إذا ما نظرت ذاتها في طبقة ذاك القائل: "لقد أبغضت الظلم ورذلته، وناموسك أحببته".

والقائل أيضاً: "أنا أسبحك برحمة وحكم". فلنعمل عمل التوبة، لنظهر حكم الله العادل، ويتم فينا رحمته إذ يغفر الخطايا؟"

سؤال: "متي يثق الإنسان بأنه استحق، وأهل لمغفرة الخطايا؟"

الجواب: "إذا ما أحس في نفسه بأنه قد أبغضها بالكمال من كل قلبه، وبدأ يصنع ما يضاد تصرفه الأول بالظاهر والخفي.

📖 فمن هو هكذا، فله ثقة بغفران خطاياه من الله، وذلك بشهادة الضمير التي قد اقتناها في نفسه، حسب قول الرسول: "الآن القلب الذي لا لوم فيه، هو الشاهد على نفسه".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٧٦ ـ ٢٧٧

{٢٤}

الشيخ إفرام فيلوثيو

في الخطيئة والتوبة

📖 ١. من الطبيعي أن نسقط ونُجرَحَ، فهذا من شيم البشر. لأنه حتّى لو كانت حياة الإنسانِ يوماً واحداً فقط ـ فذهنُه يميل نحو الشر منذ حداثته {تكوين ٨: ٢١}.

📖 **لكن أن نسقط ونبقى كذلك، فهذا ليس أمراً بشرياً:**

📖 تعيد التوبة خلق الإنسان، أعطيت لنا كعلاج للنفس بعد المعمودية. ولولاها، لما خلص الإنسانُ. لذلك: فإن فضيلة التوبةِ تدومُ ما دام الإنسانُ حيّاً، والإنسانُ الكامل هو الوحيد الذي لا يُخطئ.

📖 يا أولادي: كلما رأيتم أفكاركم موبخه إياكم على الخطايا، فللحال خذوا الدواء: توبوا، انتحبوا، اعترفوا، وسترون أنكم ستعودون لحالتكم السابقة، لا بل إلى أفضل منها.

📖 ٢. بعد أن كرّس يهوذا الخائن ذاته للرب، وأصبح مشاركاً في النعمة، واجترح العجائب مع بقية الرسل، لكنَّه في النهاية غرق، أما اللصُّ الذي اقترف أفعالاً فاسدةً، شريرةً، عادمة الورع، فقد وُهِبَ الراحة في الميناء الهادئ الأبدي لما طلب الرحمة.

📖 لقد عميت أمّه اليهود، التي تلقت وعود الله، داعياً إياها أمّةً مقدسة، مختارَةً ومقتناه، وفقدته للأبد. لكن الأمم البربرية من جهةٍ أُخرى،

والتي شابهت الزواني في أفعالها، فقد تسلّمت الإنجيل، وورثت ما رفضه إسرائيل "الله" {خروج ١٩:٦، ١ بطرس ٢:٩}.

📖 **لذلك أقصوا عنكم اليأس، وعدم الرجاء!**

📖 يجب علينا أن نوجه أعين نفوسنا نحو الله، مودعينَ ذواتِنا لديه كما يودِعُ الخدام ذواتهم بين أيدي أسيادهم، بغض النظر عن مقدار خطايانا. دعونا نثبت أعيننا بهذه الطريقة على الرب، واثقين دوماً برحمته إلى أن يتحنن علينا {مزمور ١٢٢:٢}

📖 **٣.** أنتج سقوط الإنسانِ في الموتِ الجسدي، مع عواقب التغرب والنفـي عن أبينا السماوي الصالح، ناموس الخطيئةِ الذي يُعارض ناموس الله.

📖 الإنسانُ معرَّض منذ شبابه لناموس الخطيئة كترعة، وميل، وضعف. وهذه الترعة باتجاه الشر - وكأنها ميراث من أسلافنا، دمغة، ونتيجة، وبقايا من الانقطاع القديم عن ينبوع السعادة. قد اتخذت بشكل طبيعي درجاتٍ ونِسَباً واقعيّةً في الطبيعة البشريّةِ، جارّةً إيَّاها نحو الشر. لذلك كان من الطبيعي، من ذلك الحين، أن تُصيب النكبات المحزنة أبناء آدم وحواء.

📖 لقد أدى استرداد البنوّة القديمة، بموتِ الرب يسوع على الصليب، إلى خلاص أبدي. لكنَّ هذا لم يلغ ناموس الخطيئة الموجود بداخل الإنسان، ليس لأنَّ اللّهَ لم يكن قادراً على فعل ذلك - فمجرد قطرة من الدم المقدس الرهيب، دم يسوع المسيح، قادرة على تحويل كلّ شيء. لكنه تركه بعناية إلهية موجوداً في الإنسان، كي يتمكن الله بواسطته من إرشاده، فتظهر بوضوح نوايا كل شخص.

📖 تقول الأسفار المقدَّسة: أنَّ الله لم يسمح ليشوع بن نون أن يدمر كل الأمم الوثنية المجاورة، بل أبقى بعضها كي يعلم الله بواسطتها بني إسرائيل فنَّ القتال {يَشُوع ١٧:١٣ ٨٢ وحزقيال ٣٣:٢٠}.

📖 عندما لا يجد ناموس الخطيئة هذا خصماً شجاعاً {أي إنساناً ذا نوايا صالحة، متقلّداً بالوصايا والتعاليم الإلهية كأسلحة}، فهو سيهزم المجاهد الروحي، ويأسره، ويجرده من أسلحته الإلهية، جاراً إياه نحو حياة الخطيئة. نستنتج من كلّ هذه الأمور بأنَّ جميع الأحداث، والأشياء المؤلمة في الطبيعة {كانت} نتيجة لسقطتها من خلودِها الأصلي، إلى المواتية.

📖 كما نرى بأنَّ البشرية هي تضحية يسوع الإله - الإنسان الخلاصيّة لم تلغ - لعناية إلهية - ناموس الخطيئة المتواجد بداخل الإنسان بهدف تعليمه، ولأسباب عديدةٍ أُخرى تتعلق بخلاصنا، فيستطيع هو من خلالها أن يجعل الإنسان وارثاً حكيماً لبركاته الإلهية.

📖 **٤.** "إِنِّي أَحْكُمُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ كَطُرُقِهِ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ" {حز ٣٣: ٢٠}. فانظر قيمة اللحظة؟ هل وجدك تائباً؟ هل لقيّكَ وأنتَ تعترف؟ هل بلغ إليك وأنت تقول: "أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ"؟ {لو ١٥: ١٨}. هل اقترب منك عندما كانت عيناك مغمورتين بدموع التوبة الصادقة، ولوم الذات؟

📖 لاحظ بأن الله يتخذ قراره بلحظة واحدة. "الربُّ صادق فِي كُلِّ أقواله، وبارٌ في جميع أعماله" {مزمور ١٤٤:١٣}. أما إذا وجدك بحالة معاكسة، فعندئذ أيها الإنسان، ستنفتح عينا نفسكَ وستري أنك قد خسرت، لكن ما الفائدة؟

📖 إذا أدان الله شخصاً ما، فالتوبة عندها عديمة النفع، لأن معرض الحياة قد انتهى، والكلمات غدت صامتة. كل شيء قد انتهى!

📖 آه، يا له من سر عظيم؟ يا إلهي، يا يسوعي الحلو، افتح حدقتي نفسي، حتى أشاهد بوضوح هذا السر العظيم لخلاصي الأبدي، علي أتخذ احتياطاتي - مستعيناً بنعمتك - ولا أؤجل توبتي إلى نهاية حياتي بدون نفع. وكما ترى يا ربّي، أنا لم أفعل أي شيء على الإطلاق وأهوائي جعلتني مريضاً. امنحني الدموع وكمل توبتي قبل أن تحين الساعةُ الأخيرة، حيث سأسمع صوتك: "أَوْص بَيْتَكَ لأَنَّكَ تَمُوتُ وَلاَ تَعِيشُ" {إشعياء ٣٨:١}

📖 ٥. لا نهاية للتوبة:

📖 كلُّ الفضائل قد يكملها الإنسان، بنعمة الله، لكن ما أحدٍ يمكنه أن يكمّل التوبة، فنحن بحاجة إليها حتى نفسنا الأخير، لأننا نخطئ في طرفة عين. لذلك فالتوبة لا متناهية!

📖 آه يا إلهي الصالح! سيُعاقَبُ الخطأةُ أمثالي بعدل، لأنهم تجاهلوا حنان الآب السماوي اللامحدود. نخطى كبشر، ورغم ذلك نحن خاملون جداً لنقول: "لقد أخطأت"! لكن كيف يمكننا قولُ ذلك، ونحن وأنا أوّل الكل، كثيرو النسيان، وكسالى، ومتغطرسون أيضاً.

📖 هذه عوائق ضخمة على طريق التواضع! أظهر لنا المسيح هذا الطريق من خلال صليبه، لكننا لسوء الحظ نصم آذاننا له بإرادتنا، فكم يجب علينا أن نندم على ذلك.

📖 يمر الوقت، تتوالى السنين، وها نحن نقترب أكثر فأكثر من الأبدية. لكن خدراً ذهنياً يقيّدُنا ويشلّنا إلى أن نُرمى وأنا أول الكل في الجحيم!

📖 يا إلهي، يا من أنقذت الجنس البشري من عبودية العدو، نجنا نحن أيضاً من الدينونة الآتية، عندما تأتي لتحاكم العالم، وتكافئ كل أحدٍ بحسب أعماله {رؤيا ٢٢:١٢}.

📖 أرجو أن أجد الرحمة، بصلواتك، عندما تُحاكم نفسي البائسة، فأنا أجزعُ من رؤية الحاكم الرهيب، لأن ضميري يؤنبني.

📖 **٦.** الطاعة، قطعُ مشيئة الإنسانِ الذاتية، لومُ الذات، والصبر، هي بالعموم ما يثبت أساسات النفس. بينما تصونُ الحماسة والغيرة دموع الإنسان.

📖 إذا أردت أن تحتفظ بحماستك حتى آخر حياتِكَ، فأسع وراء الدموع المتواصلة باجتهاد. إذا امتلكت مثل هذه الدموع، فلا تخف، لأن حماسة اشتياقك لخلاصك ستبقى متقدةً.

📖 تخمِدُ الماء النار بشكل طبيعي، أما مياه الله، التي تتدفق من عيني التائب، فلا تُشعِلُ ناراً ماديةً - كما نعلم - بل ناراً إلهيةً تحرق أعشاب العدو!

📖 **٧. لنتب بصدق، لنعترف بصراحة وبالتفصيل:**

📖 لتشغلنا دوماً محاكمة الله لنا وقراره، ولنقل: "أنا أتسألُ، هل سأخلُص، أو سأواجه عذابات الجحيم؟". الوقتُ الموافق لنذرف دموع التوبة - وبالواقع، علينا فعل ذلك باستمرار.

📖 كم يجب أن يشغلنا السؤال عن مدى نظافة نفوسنا وبياضها! علينا أن ننقيها، وإلا فلن نستطيع تقدم ذواتنا أمام المسيح بالحالة التي نحن عليها الآن.

📖 يجب ألا يغادرنا الهذيذُ بالموتِ خلال برنامجنا الرهباني.

📖 **٨. إن زمن هذه الحياة ثمين جداً!**

📖 لكلّ دقيقة قيمة كبيرة، لأنه بدقيقة واحدة يمكننا أن نفكر بأمور عديدةٍ، سواء أكانت جيدةً أو شريرة. فكر إلهي واحد يرفعنا إلى السَّماءِ، وفكر شيطاني واحدٌ يُحدِرنا إلى الجحيم.

📖 لذلك لاحظ قيمة كل دقيقة في هذه الحياة الحاضرة. لكنّنا، لسوء الحظ، لا نفكر بهذا، فتمر الساعات، الأيام، والسنين، بدون فائدة.

📖 ما هو مقدار الأذى الذي عانيناه - وأنا أولاً - بدون أن ننتبه! لكننا سندرك ذلك يوماً ما، عندما توشك نفوسنا على مغادرة أجسادنا.

📖 لكن، واحسرتاه، سيكون الأوان قد فات، إذ لن يوجد مجال للتقويم والتصحيح عندئذ.

📖 علينا أن ندرك هذا الآن، ما دمنا قادرين على وضع بداية جديدة. يجب أن نستفيد من وقتِ حياتنا الثمين. مغبوط من يجبر ذاته، ويضع بدايةً له، لأنه يوماً ما سيغدو غنياً بالروح. لم يفتِ الأوان أبداً، فالربُّ ما زال ينتظرُ كلّ واحدٍ منا لنستيقظ، ويعطينا عملاً.

📖 إنَّه ينتظر حتى الساعة الحادية عشرة، محاولاً بكل الوسائل أن ينبهنا، ويوقظنا. أصلي كي نستيقظ كلُّنا، ونشعل مصابيحنا، وننتظر بعين يقظة مجيء الرب بصبر، لندخل خدر النعيم الأبدي المتألق، احتفال الملائكة المنيرين، وننشد أناشيد القيامة، التي سترفعنا من معاينة إلى معاينة، وإلى مصاعد إلهية!

📖 عندئذ، آه! سندرك تماماً إن إجبار ذواتنا في كلِّ شيء هو عمل عظيم، وأنَّ من هم أعلى منا قد فعلوا حسناً عندما حثونا وأحزنونا، لأننا سنقول: "انظروا ما الذي نراه الآن!" عندئذ سنقدّم شكراً لائقاً بالله لا حدود له!

📖 **٩.** دعونا لا نضيع وقتنا عبثاً. ملكوتُ السَّماواتِ يخص أولئك الذين غصبوا ذواتهم. لنضع دوماً في ذهننا رحيل نفوسنا، الساعة الأخيرة، ولحظة ذلك الانفصال الصعب.

📖 تذكر كيف ستسعى الشياطين لخطف النفس التعيسة في الساعة الأخيرة، واقتيادها إلى الجحيم. آه، يا له من أسى! يا لألم النفس! كم ستتأوه النفس عندها! واحسرتاه، يا له من وضع محزن في تلك اللحظة! كم سيقدّم الإنسان وعوداً لله بأن يغير حياته إذا لم يمت، وبأن يسير على درب التوبة والمشقة.

📖 سنبلغُ كلنا هذه الساعة، ونواجه ما ورد أعلاه، لا بل أكثر من ذلك، وسنقدم وعوداً أكثر جديةً بأننا سنسلك طريق التوبة، والحرب الروحية.

📖 دعونا نتخيل بأن هذا قد حدث الآن، وأنَّ الله قد سمع طلبنا. ماذا بقي لنا لنفعله؟ أن نفي بوعودنا، مظهرين توبةً حقيقية، ومجاهدين لتقويم نفوسنا. لاحظ الوقت الملائم للتوبة، والحرب الروحيّة! يتناقص زمن حياتنا رويداً رويداً، وسندنو من النهاية والقبر، بدون أن ندرك ذلك!

📖 ينتظرنا ديان ومحاكمة، وكذلك كُتب قد دونت فيها أعمال كل واحد منا. من بمقدوره أن يُفلت من هذه الأمور؟ لا أحد.

📖 سنقف كلنا أمام كرسي محكمةِ المسيح: "وَلَيْسَتْ خَلِيقَةٌ غَيْرَ ظَاهِرَةٍ قُدَّامَهُ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ عُرْيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لِعَيْنَيْ ذلِكَ الَّذِي مَعَهُ أَمْرُنَا" {عبرانيين ٤:١٣}. ليقدّم كل واحد منا حساباً عن أفعاله، كلماته، وأفكاره. لنضع هذه الأمور في ذهننا ليلاً ونهاراً، علنا نجتذب نفوسنا للنوح، والدموع!

📖 **١٠.** تهاجم الخطيئةُ النفس ببراعة، مثل خطّاف مموه باللذة المناسبة، وكشيء حلو ومستساغ للسان. لكنّ الإنسان الذي أغوته المتعة الوقتية، والراحة الناتجة عنها، سيجدها أكثر مرارةً من السم، وأكثر هلاكاً.

📖 **١١.** يا أخي العزيز بالرب، بغض النظر عما حدث لوالديك، فالاعتراف يغفر ويمحو كل شيء. تذكر كم أخطأ الابن الشاطر، وكم أحزن أباه بحياته الطائشة. لكنَّ ذراعي أبيه انفتحتا للحين عندما تاب، وتلاشى الماضي وكأنه لم يكن.

📖 إذا، شفاء والديك الحزينين قد سبق وحدث، لأنَّ اختيارك نمط الحياة الروحية قد صحح كل شيء. وإذ هما الآن في الحياة الحقانية، فالله يخبرهما بتغيير نمط حياتك وبتوبتك، وبالصدقات، والخدم التذكارية التي تقيمها من أجلهما.

📖 عندما نخطئ بحق الله، أبينا الحقيقي، فهو يغفر لنا بغض النظر عما فعلناه، فكم سيكون سرور آبائنا، هناك في الحياةِ الأُخرى، إذ يشاهدون الأمور بوضوح أكثر.

📖 إنهم يعرفون الضعف البشري، ومدى السهولة التي ينزلق بها الشاب، ويعلمون بأمر السيد الكبير للشر، الشيطان، الذي كان السبب وراء كل الاضطرابات. لكنّهم، عوضاً عن ذلك، سيكونون ممتنين لك، وشاكرين لأنهم تلقوا المساعدة من الله بواسطتك.

📖 كن بسلام، يا أخي: اسلك دربَ التوبة بذهن هادئ، ولا تدع الماضي يزعجك. "إِذْ أَنَا أَنْسَى مَا هُوَ وَرَاءُ وَأَمْتَدُّ إِلَى مَا هُوَ قُدَّامُ". علينا إذا أن ننظر لهدف خلاصنا حالما يقول الإنسانُ: "لقد أخطأت!" يغفر الله له متغاضياً عن خطاياه.

📖 كم أحزنَ المغبوط أوغسطينوس والدته القدِّيسة! لكنَّه فيما بعد أحرز الكثير من القداسة، والعشق لله! بالتوبة يتصحح كلُّ شيء، ما من شيء يغلب عطف الله.

📖 "لأنه كريم، فهو يقبلُ الأخير كما يقبلُ الأول، يعطي هذا ويهب ذاك" {عظة الفصح للقديس يوحنا الذهبي الفم}. تستر محبة الله، وتصحح كلَّ شيء، ما من أحد بلا خطيئة إلا هو وحده.

📖 ١٢. يكتب الشيخ إلى إحدى بناته الروحيات في العالم، أي ليست راهبةً: كل ما عانيته، يا ابنتي، كان بسبب اتكالك على ذاتك.

📖 ألم أنصحك بأن تتواضعي وتلومي ذاتَكِ؟ {في} من وثقت؟

📖 ألا تعرفي بأنه إذا اتكئ أحد بجسده علـــى قصبة من الخيزران، فستنكسر وتثقب يديه؟ إذاً {في} من وثقت؟ ألا تعرفين القول: "لأنكُمْ بدُونِي لا تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئاً" {يُوحنا ١٥:٥}.

📖 ألا تعلمين بأن العديد من الآباء قد سقطوا بسبب ثقتهم بذواتهم؟

📖 تواضعي، يا ابنتي، لومي نفسك، انتحبي، واغسلي ثوب عرسك. فختنكِ، الأجمل من كل بني البشر، يدعوك، يبحث عنك، وقد أعدَّ لك مسكناً، السماء. الخدر الروحي مترف جداً! الملائكة تخدمُ، فلا تكوني باردةً. انهضي، أحضري بعض الماء واغسلي عباءة زفافك جيداً، لأنك لا تعلمين متى سيأتي عريسك.

📖 **وقتُ الموتِ غيرُ معلوم، وهو سيدركنا جميعاً:**

📖 نحن لا نعرف في أي لحظة سيكون ذلك، توبي. انظري كيف غسلتِ الزانية قدمي السيدِ الطاهرتين. لقد ذرفـــت دموعاً أثمن من الطيب، وقد جذبت هذه الدموعُ رحمة الله وغفرانه. ثُمَّ سمعت: "مَغْفُورَةٌ لَكِ خَطَايَاكِ، اِذْهَبِي بِسَلام" {لُوقا ٧:٤٨,٥٠}.

📖 أسقطي أمام قدمي الرب نائحة: انتحبي، اصرخي: "لقد أخطأت يا يسوعي، اقبلني تائبةً وخلصني. لا تعرض عن دموعي يا فرح الملائكةِ. لا تمقتني، ولا تقصيني بعيداً، أنت الذي أحنيت السَّماواتِ بتنازلكَ الذي لا يُدرك".

📖 بمثل هذه الكلمات وغيرها، ألـــجئ على المسيح، مستريحة، وواثقةً بأنكِ ستجدين محبته أقوى بثلاث مرَّاتٍ. ستسبّب توبتكِ فرحاً لا حدود له للملائكة، فيهتفون بحيوية: "لقـــد توقفت! لقد توقفت! لقد توقفت!" أي لقد توقفت عن السقوط.

📖 لقد جُذبتِ من الفيضان، وها أنتِ الآن تصعدين ثانيةً.

📖 **١٣.** صل لي يا أخي: كي يهبني الربُّ التوبة قبل رحيلي من هذا العالم، في الرحلة العظيمة - لأننا لم نُخلق من أجل هذه الأرض، بل من أجل السماوات.

📖 لقد أعد الله هناك مكاناً لأولاده الذي أطاعوه، في كل ما أخبرهم به. وبالعكس، فقد أعد سجناً أبديّاً لمن أصمّوا آذانهم عن وصاياه الإلهية. فلينجينا الله من الذهاب إلى هناك.

📖 يهتف الله من خلال الأسفار المقدسة، ومن خلال المبشرين، والآباء

📖 الروحيين: "تُوبُوا، لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ" {متى ٣:٢}. لكن ولسوء الحظ، فقد أدار له أولئك الذين ظنوا أنهم أذكياء وأقوياء، أذناً صماء، متحججين بأعذار متعددة.

📖 لكنَّ الله الكلي الصلاح، الراغب بتوزيع غناه على الإنسان، يدعوا: "الجاهل، والضعيف، وَغَيْرَ الْمَوجُود" {١كورنثوس ١:٢٧,٢٨}. يقولُ الله في الإنجيل المقدَّس: "اخْرُج عَاجِلاً إِلَى شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ وَأَزِقَّتِهَا، وَأَدْخِلْ إِلَى هُنَا الْمَسَاكِينَ، وَالْجُدْعَ، وَالْعُرْجَ، وَالْعُمْيَ. حَتَّى يمتلئ بَيْتِي" {لُوقا ١٤:٢١,٢٣}.

📖 فحنانه يتمجد أكثر بدعوته الناس المحتقرين، ويشعر الإنسان بالعرفان بالجميل. فأي مجذوم استحق أن يتنقى ولا يقدم الشكران للمحسن إليه؟ أي شخص حُكم عليه بالسجن الأبدي، ولا يكون ممتناً لمخلّصه؟ لسوء الحظ، يا أخي: أنا لا أشكر الله، لأن النسيان {بإحسانات الله إليه} ثمرة الكبرياء - قد أفقدني صوابي.

📖 **يا أخي المبارك:**

📖 ليعطينا الله - الذي افتقد ضعتنا - توبة صادقةً تستعطفه. التوبة الصادقة تُظهرُ ندامة على الخطايا المرتكبة، نوحاً، دموعاً محرقةً تدك معقل الخطيئة، واعترافاً صريحاً وصادقاً.

📖 التوبة لا تترك شيئاً {من الخطايا أو السلبيات} غير مُعالج. لو لم تُعط التوبة للإنسان، لما خلص أحدٌ. لقد وهب الإنسانُ النصر والظفر من خلال سلاح التوبة. فالمجد الله الحكيم وحده، الذي أعطى الإنسان دواءً فعّالاً كهذا ليشفي كل مرض، إذا ما أُخِذَ بدقةٍ.

📖 **لنجاهد يا أخي:**

📖 لكي نحيا ببساطة، وبراءة قلب، مثل الأطفال الصغار، كما قال المخلِّص: "إِنْ لَمْ تَرْجِعُوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ الأَوْلادِ، فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ" {متى ١٨:٣}. **بمثل هذه البساطة، والإيمانِ، سنتحرّرُ من حلم اليقظة الشرير، الذي يدمر بذار الروح القدس الصالحة.**

📖 ستحدث الأمور بحسب إيماننا. ما نزرعه إياه سنحصد. لنسأل الله أن يعطينا الندم، والنوح، كي يجري جدول من الدموع الحاملة الحياة من أعيننا. وعندئذ سينتج قلبنا ثمار الروح القدس. آمين.

كتاب نصائح من الجبل المقدس ج١ الشيخ إفرام فيلوثيو ـ صفحة ٨٧ ـ ٩٨

{٢٥}

القديس موسي الأسود

📖 **قال القديس موسي الأسود:**

📖 "من كان حكيماً، وعمله بحكمة، فلا ينبغي له أن يُسلم وديعته من دون أعمال صالحة، كي يستطيع الخلاص من تلك الشدة.

📖 فلنحرص إذن بقدر استطاعتنا والرب يعين ضعفنا، لأنه قد عرف إن الإنسان شقي، ولذلك وهب له التوبة مادام في الجسد".

📖 أيها الحبيب: "ما دامت لك فرصة فارجع، وتقدم إلى المسيح بتوبة خالصة. سارع قبل أن يُغلق الباب، فتبكي بكاء مراً، فتُبلل خديك بالدموع بدون فائدة.

أِجلس وترقب الباب قبل أن يُغلق. أسرع واعـزم علـى التوبـة، فـإن المسيح إلهنا يريد خلاص جميع النـاس، وإتيـانهم إلـى معرفـة الحـق، وهو ينتظرك، وسوف يقبلك.

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٧١



قال أنبا موسي الأسود:

"إن أثرت أن تتوب إلـى الله، فـاحترز مـن التـنعم، فإنـه يثير سـائر الأوجاع، ويطرد خوف الله من القلب".

"أطلب خوف الله بكل قوتك، فإنه يزيل كل الخطايا".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٩٧

{٢٦}

الشيخ الروحاني

من أقوال الشيخ الروحاني:

الذي يتوب عن سيئاته ولا يعود إليها أيضاً، حتى ولو كانـت قبيحـة سمجة، أكثر من خطايـا السـدومين، ويُظهـر مـن أجلهـا وجـع قلـب، وندامة، ودموعاً. وبالجملة يقطع منه كل الشرور.

فلوقته يولد من الروح القدس، ويكون من أحبـاء الله الخصوصـيين، وبدالة يأخذ طهارة معتوقة من خزي المجرمين، وتعاد إليه بتوليـة لـم تتدنس البتة، ويدعي زرعاً إلهياً لم يخطئ قط، ويقبل في قلبه عربوناً بثبات رجائه، وتعطيه الرحمة الأبوية ثقـة، واتكـالاً، ونسـياناً للخطيـة بالكمال، من قلبه كأنها لم تكن.

أيتها الرحمة الفائضة، ما أوفرك، يـا مـن عطيـت لنـا نحـن المـوتى بالخطايا، رحماً مقدساً الـذي هـو التوبـة، يلـد بنينـا جـدداً مـن عتـق، أطهارا من أنجاس، منيرين من مظلمين. من لا يعجب من رحمتك يا

ربنا، ومن لا يعترف لنعمتك، يا من أتيت إلى الميلاد لتلدنا من بطن التوبة على شبهك، كشبه مريم والدتك؟

📖 السبح لك يا أب الكل، يا من أعطيتنا أماً جديدة بالميلاد الجديد، وإن كنا بصبوتنا قد تنجسنا بكل نتن، لكنها تجلي، وتطهر، وتحسن.

📖 وتغطي تحت أطرافها مثل المربية، أولئك الذين ولدوا منها، حتى يصلوا إلى عندك محبوبين، وأحباء، ليكونوا آلهة وملوكا، بنينا لربوبيتك.

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٧٢ ـ ٢٧٣

📖 **أيضاً من أقوال الشيخ الروحاني:**

📖 إن كنت يا أخي تقول: "كيف تقدر التوبة أن تجدد الإنسان الذي قد تدنس، وفسد بالخطية؟".

📖 فأقول لك: "اذكر تكوينه الأول، ومن أي شيء صار، أعني من شيء حقير وسمج، في البطن الضيق المظلم. وكما ركبت نعمة إلهنا المادة المنتنة في البطن المظلمة مكملة تكوينه، وأخرجته إلى نور هذا العالم، كذلك الذي أفسد طهارته بعد المعمودية بفعل الشيطاني واتسخ بجميع جراحات الخطية النجسة، بالميلاد من حضن التوبة الكئيب المظلم، يخرج لنور عالم الروح، الذي أخذ سره بالمعمودية المقدسة.

📖 وكما إن ذلك السائل السمج، إن رمي في أرض واسعة مضيئة، ولم يدخل البطن الضيق المظلم، يكون بلا منفعة، ولا يتشبه بالذي ولده، هكذا الذي تدنس بالخطية، إذا لم يدخل البطن الضيق المظلم {التوبة} فإنه يكون بلا منفعة، وغير متشبه بمن ولده من المعمودية المقدسة.

📖 وكما إن آدم الجسداني، من حواء، يولد له بنين بشبهه لعالمه الجسدي، كذلك المسيح، أب العالم الروحاني، من المعمودية والتوبة، يولد له بنين يشبهه للعالم الروحاني، كما ينادي لهم رأس حياتهم قائلاً: "توبوا، فقد قرب ملكوت السماوات".

📖 "فكيف نجدها إن كانت قريبة؟! "يا آبانا أرنا إياها".

📖 إنها على الباب اللطيف الضيق، وكل من يصبر لصعوبته المظلمة، ويخرج منه، لوقته يلقي ملكوت النور ويتنعم، وذلك الباب الذي لمدخل الحياة، فأنه في أي بلد يوجد داخلكم، وبابها هذا، هو التوبة. إن التوبة تعيد حياة المعمودية التي للغفران.

📖 وكما إن السائل الحقير بالبطن المظلمة، يقتني شبه أقنوم آدم. كذلك فالإنسان السمج بالخطية، إن كان يدخل لكور غليان التوبة، يجلي ويطهر، ويقتني بالنعمة المجددة، شبه حسن المسيح شعاع الآب.

📖 التوبة هي: أم الحياة. وطوبي لمن يُولد منها، فإنه لا يموت. وكما ينادي المسيح لخواصه بالتوبة، كذلك يبعد الشيطان الناس عن سماع هذا النداء، وبالشطارة واللهو يغطي قلوبهم.

📖 التوبة هي: ترياق لأوجاع الخطية القاتلة، وعذاب عظيم للشيطان المضاد لها. إنها تخلص وتعتق المسببين، الذين سبوا بشره، وأتعابه التي تعبها في سنين كثيرة، تضيعها التوبة في ساعة واحدة.

📖 والعبيد الذين بمشيئتهم اخضعوا حريتهم له، تعيدهم إلى مبراثهم، وتعذب من خدعوهم بزرع الشوك الذي زرع بأرضنا، وبحرص في سنين كثيرة، في يوم واحد تحرقه، وتُطهر أرضنا، حتى تعطي أثمار زرع فلاح المسيح، ثلاثين وستين ومائة.

📖 الحصون التي بناها في زمان طويل، ليسجن فيها أسراه، الذين سبوا في الظلمة، بقمر صغير يشع فيها تهدم، ويشرق النور في وجوه الجالسين في الظلمة، ورباطتهم تنقطع، وأحزانهم تستبدل بالسرور، ودموعهم بالفرح، أما رابطهم، فأنه يُربط بسيور الظلمة، ويسلم بأيديهم للعذاب.

📖 كل فلاحته تَفسد، وكل الأوجاع التي صنعها بعبيده، تطيب وتشفي، وكل قتلاه يقومون، وكل فخاخه تتكسر، وكل أشراكه تتقطع، وتهيئ الطريق قدام محبيه، حتى يتقدموا بلا عثرة في طريق المسيح واهبها. إنها {التوبة} تجعل الزناة بتوليين.

📖 كما تجلي النوراني الذي علاه الصدأ.

📖 إنها من الماخور إلى البرية، تجتذب لعمل الملائكة.

📖 والمضيئون الذين احتقروها تركتهم، فنزلوا إلى الجحيم السفلي.

📖 هي تدخل إلى مخادع الزانيات، وتجتذب الزناة، وتلدهم من حضنها بتوليين للمسيح. ترد الكافرين إلى الرسولية، والرسل الذين نزعوها لبسوا الظلمة.

📖 إنها لباس العالي، وللابسيه تلبس مجد يسوع رداء.

📖 هي تجذب من الطرقات إلى الملكوت، ومن بين السياجات تدخل إلى العرس. إنها من السوء تصون المضيئين، وتجعل العميان مبصرين. هي تقلع الشجرة التي أثمارها سم الموت، وشجرة الحياة تغرس بفردوسنا.

📖 هي حاملة براحتها طيبات النعمة، والذين نتنوا بالنجاسة إن قبلوها تطيبهم. إنها قائمة بباب الختن السماوي، وكل من عبر بها استقبل وجهه بيدها، ووضعوا أكليل العرس، وكل من تطامن قدامها، جعلته متكأ في الحجلة تمسك بيدها مفاتيح ملكوت السماوات، فكل من أحبها وعشقها جعلته أمينا.

📖 هي أم النور، وكل من ولد منها، أنبتت له أجنحته من نار، ومع الروحانيين يطير إلى العلا، وكل من نتف الصيادون ريشة، واستتر تحت أحضانها أياماً قلائل، أخذ منها ريشاً طياراً نارياً.

📖 هي ملحمة الطب السماوي، ومن وضعها على وجه برء لوقته، لا تقطع بموسى، ولا تصعب الأوجاع بالكي، بالرحمة التي هي مخلوط أدويتها، وباللين تجبر الانكسار.

📖 سم الموت، واللهو، والشغب، هذه بيد الشيطان، أما التوبة فهي ترياق الحياة بيد الله، وكل من سبق وشرب من كأس القاتل، يتقدم ويشرب من كأس المحيي للكل، فيعيش بلا نهاية.

📖 إنها تزور الأموات، وكل من بلعه الموت، ودنا من أحضانها، شقت الموت وأخرجته من جوفه. تري فاقدي البصر كل يوم يبكون على بابها، فتجذبهم وتريهم نوح الفرح.
📖 تري القتلى الذين قتلهم الشيطان، وتستدعيهم لتقيمهم قيامة متقدمة.
📖 هي خزانة بني مخلصنا، وفيها يحفظ جميع غني أعمالهم.
📖 هي بحر لغسل جميع النجسين، وكور غليانه يجلي كل من علاه الصدأ. هي نار محرقة للزوان، ومياه تربي الزرع المقدس.
📖 إنها أرض تربي بني النور، والمطهرة بيدها من يتجنس.
📖 هي قابلة {داية} لأجنة بني العلي، ومربية لتابعي المسيح.
📖 إنها حصن تحفظ كل ما بداخله، وجبار يرد كل من سبي.
📖 هي هيكل للأمم الطاهرة، ومنها يأخذون قدساً لتقديسهم.
📖 هي بيت وملجأ للأشقياء، فتجعلهم وارثين للملكوت.
📖 هي خزانة لجميع الكنوز، فكل من قرع بابها، أخذ منها حاجته.
📖 هي والدة لم يجف حضنها، وكل من كان عاقرا وقرب منها، أخذ له منها أولاداً محبوبين.
📖 هي بوابة قائمة بباب الخالق، وكل من وجب عليه لحكم وتقرب سائلا إياها، دخلت وحلته، بيدها موضوع رشاش الماء، وبلوغ أدرار المطر، فمن دخل والتجأ إليها فتحت وأروته.
📖 إنها تقوم بباب الله، وكل الخيرات التي تخرج من عنده، تجتذبها لخواصها. هي شفيعة المسبين، فاذا تقدموا وسألوها تقوم لحمايتهم وتعتذر نيابة عنهم.
📖 فمن ذا الذي لا يحبك أيتها التوبة، يا حاملة جميع التطويبات، إلا الشيطان لأنك غنمت غناه، وأضاعت كل ما اقتناه، وجعلته فقيراً، معذباً، وفارغ من الإرث الذي سباه بغير حق.
📖 ذاك هو مبغضك بالحق، لآنك دائماً تضادينه، فما من إنسان وقع بين يديه، ولحقتيه، وتخلصينه، كما أنه ما من أحد بلعه، فصرخ

نحوك، إلا وشققتِ بطنه وأخرجتيه، وما من شخص ربطه ودعاك، إلا وعاجلاً قطعتِ أغلاله وحلتيه.

📖 وما من إنسان صاده وأنت بعيدة ودعاك، ألا وبسرعة لحقت به وخلصتيه. من أجل هذا هو يبغضك {الشيطان} لآنك بالأكثر أبغضته. يبغضك لآنك كل حين تقفين ضده. يبغضك لأنه باغض لمعطيك، وأنت أيضاً ضده كما إن صاحبك ضده كذلك.

📖 ليس من تمسك برجائك، ونزل إلى الجحيم.

📖 ولا من صعد إلى السماء بدونك.

📖 من يري الله بغيرك؟

📖 من تمسك برجائك ووقع في يد الشيطان.

📖 ومن تطهر ولم تكوني أنت التي غسلتيه؟

📖 من تقدم لمطهرتك، ووجدَ فيه نجاسة؟

📖 من الذي سقي زرعه من مطرك، ولم يحصد منه أثمار الفرح؟

📖 من ذا الذي تقدم لطلبك، ولم يكن بعيداً من كل العاهات؟

📖 ومن صبغ كل ساعة وجهه بقطراتك، ولم يبصر الله في قلبه.

📖 من ذا الذي عدم تذوق مشروبك، ولم يبصر قلبه ينبوع الظلام؟

📖 من نال طلباته، ولم تكوني أنت التي رفعت من شأنه؟

📖 من اتخذك شفيعة، ولم تفتحي أمامه أبواب خزائن الله؟

📖 ليس من أخذك معه في القتال، إلا وأسلمت أعداءه تحت حربته.

📖 ليس من لبسك مقابل مضاديه، إلا وانهزم قدامه باغضوه.

📖 أنت خلصت داود من الخطية.

📖 وأنت التي وقفت في وجه أخاب الكافر.

📖 صعد الحكم على أهل نينوي بالهلاك، ولكنك تجبرت وقمت وخلصتهم. مباركة أنت يا أم الغفران، يا من أعطانا إياكِ الآب المملوء رحمة.

📖 لا يغضبك إذا طلبت إليه – لأنه أعطاك أن تكوني شفيعة للخطاة.

📖 لا يغلق بابه إن سالتيه، سلم لك مفاتيح الملكوت.

لقد اقترب الملكوت، فتوبوا. فها هو الخاتم الذي يأخذه الوارثون للملكوت، توبوا فقد قرب الملكوت. الجيل القديم الذي لم يشرب مشروبك خنقه سخط الطوفان.

سادوم التي لم ترد إن تقبلك، أحرقتها النار السماوية.

فرعون الذي طردك من عنده، تعذب في الأمواج الخانقة.

إنها {التوبة} ترد الأتعاب التي ضيعها الشيطان، وتعطي العطايا السماوية. هي التي تجدد البتولية التي اتسخت، وتحفظ بلا عيب تلك التي لم تفسد بعد. المسيح جاء وخلصنا، وبصوته نادانا قائلاً: "توبوا فقد أقترب الملكوت"

له المجد إلى الأبد أمين.

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٧٣ ـ ٢٧٦



قال القديس موسي الأسود:

"الذين يريدون أن يقتنوا الصلاح، وفيهم خوف الله، فإنهم إذا عثروا لا ييأسون، بل سرعان ما يقومون من عثرتهم، وهم في نشاط واهتمام أكثر بالأعمال الصالحة.

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٧٩

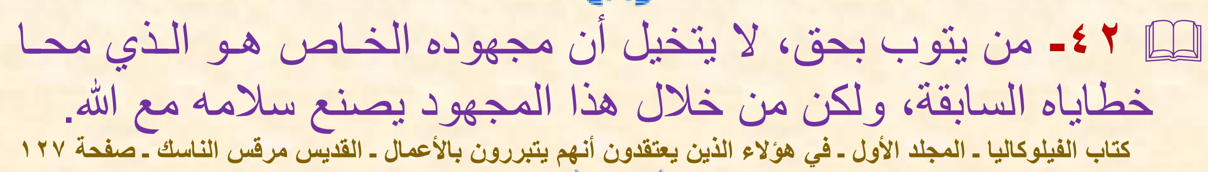


{٢٧}

القديس مرقس الناسك

٥٧- دع كل معاناة اضطرارية تعلمك أن تتذكر الله، وسوف لا تفتقر فرصة للتوبة.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١١٠



٤٢- من يتوب بحق، لا يتخيل أن مجهوده الخاص هو الذي محا خطاياه السابقة، ولكن من خلال هذا المجهود يصنع سلامه مع الله.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٢٧

📖 ٤٣- إذا كنا تحت الالتزام لأن ننجز يوميا، كل الأعمال الصالحة التي تستطعها طبيعتنا، فماذا يتبقى لنا لكي نقدمه لله حتى نوفي {ديوننا} عن خطايانا السابقة؟

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٢٧

📖 ٧٧- بالضبط مثل أن الهرب في الشتاء، أو في يوم السبت {ق.م. مت ٢٥:٢٠} يجلب المعاناة للجسد، والدنس للنفس، كذلك أيضاً انبعاث الشهوات في الجسد المسن، والنفس المكرسة.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٣٠

📖 ١١٠- التائب لا يستطيع أن يتعجرف. كذلك من يعمل الخطيئة بتعمد، لا يستطيع أن يكون متواضع العقل.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٣٣

📖 ٥٨- الخاطئ لا يستطيع أن يهرب من المجازاة، إلا من خلال التوبة التي تتناسب مع إساءته.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٢٨

{٢٨}

كتاب بستان الرهبان

📖 **قال الشيخ:**

📖 "لا يوجد أردأ من الإنسان الخاطئ. لا الخنزير، ولا الكلب، ولا الضبع، لأن هذه البهائم قد حفظت رتبتها، أما الإنسان الذي خلق على صورة الله ومثاله، فانه لم يحفظ طقسه.

📖 فالويل للنفس التي اعتادت الخطية، فإنها مثل الكلب الذي اعتاد زهومات اللحامين {الجزارين} وقاذواتهم، فهو يُضرب ويطرد، فاذا تخلي قليلاً، عاد ثانية إلى الزهومات؟، ولا يزال كذلك حتى يقتل".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٧٢

🕮 **قال الأب أموس:**

🕮 "توجد ست درجات للتوبة: ذم الخطايا والإقلاع عنها ـ الإقرار بها ـ الندامة عليها ـ الصفح عن خطايا القريب ـ ترك دينونة المخطئين ـ تمسكن القلب".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٧٦



🕮 **قال الأب أبيفانوس:**

🕮 "إن الله يترك للخطاة رأس المال إزاء توبتهم، مثل الزانية، والابن الشاطر. فأما الصديقون فأنه يطلب منهم رأس المال مع ربحه، إذ قال له المجد لتلاميذه: "إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيون فلن تدخلوا ملكوت السماوات".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٨٠



🕮 **قال أنبا إيليا:** "أي مقدرة للخطية حيث تكون التوبة".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٨٠



🕮 **سئل شيخ:** "إن كان الله يقبل توبة الخطاة؟".

🕮 فرد على سائله قائلاً: "أخبرني أيها الحبيب: لو أن ثوبك تمزق، فهل كنت ترميه؟ قال: "لا، ولكني أخيطه وألبسه".

🕮 فقال الشيخ: "إن كنت أنت تشفق على ثوبك الذي لا يحيا، ولا يتنفس، فكيف لا يشفق الله على خليقته التي تحيا وتتنفس؟

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٨٠



🕮 **قال شيخ أخر:**

🕮 "إني رأيت قوة النعمة الإلهية الحالة في عماد النور – هي كما هي – حالة في وقت التسربل بالزي الاسكيمي.

📖 أما الذي يطرح عنه زي الرهبنة، فلا حظ له مع المؤمنين، بل سيوضع مع جاحدي الإيمان، ويُعاقب متي لم يتب إلي الله توبة من كل قلبه".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٨٢



📖 **قيل عن أخ:**

📖 إنه وقع في تجربة، ومن الشدة ترك إسكيم الرهبنة، لكنه رجع وندم، وأراد إن يبدأ في تدبيره الأول، فساعده الرب ولم يتركه حتى خلص من مناصب العدو.

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٨٢



📖 **سأل أخ الأب شيشوي قائلاً:** "ماذا أفعل يا أبتاه، فقد سقطت؟"

📖 قال له الشيخ: "انهض أيضاً".

📖 قال الأخ: "نهضت ثم سقطت ثانية".

📖 فأجابه الشيخ: "أنهض أيضاً".

📖 فقال الأخ" "إلى متي أيها الأب؟".

📖 فقال له: "إلى أن تؤخذ، أما في الخير وأما في السقطة، لآن الإنسان فيما يوجد فيه يؤخذ".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٨١



📖 **قال بعض الشيوخ:**

📖 "احرص بكل جهدك لئلا تسقط، لآن الوقوع لا يليق بالمجاهد القوي، فإن عرض لك أن تقع، للوقت اطفر، واستمر في الجهاد. ولو عرض لك {السقوط} ربوات من المرات، لتربح {بالتوبة} النعمة ربوات من الدفعات، وليكن ذلك – أعني النهوض والقيام – إلى حين موتك، لأنه مكتوب: "إن سقط البار سبع مرات في النهار – يعني طول الدهر السباعي – فإنه يقوم سبع دفعات".

📖 إنك تُحسب مع القائلين: "ما دمت ممسكاً بسلاح التوبة بدموع،

فتدرع بهذه الوسيلة إلى الله، لآنك وإن سقطت، فإنك تُمدح بالأكثر ما دمت ملازماً للرهبان، مثل جندي شجاع يقبل الضربات مواجهة، حتى ولا في حال ضربيهم إياك أن تتراخي وتتباعد، ولكن إن انفصلت عن الرهبان، فإنك تُضرب على ظهرك كهارب جبان طارح سلاحه".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٨١ ـ ٢٨٢



📖 **قال القديس أنبا باخوميوس:**

📖 "لا تؤجل التوبة، لئلا يفاجئك المرسلون ويأخذوك وأنت غير مستعد، فتصيبك شدة عظمة، وتعاين حينئذ الوجوه الشنيعة التي تحيط بك بقساوة، وتمضي بك إلى المنازل المظلمة المملوءة فزعاً ونيراناً. تيقظ بكل قوتك كي تكون أمينا على مال سيدك، وتدخل إلى ملكوته بفرح".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٨٥



📖 **قال شيخ:** "إني أهوي الرجل الذي يخطئ ويندم، ويقر بخطئه. أكثر من الرجل الذي يعمل الصلاح ويزكي نفسه".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٨٥



📖 **قال أنبا تيموثاوس:**

📖 "إذا أنت سقطت فلا تتوان، ولا تكسل، بل قم بسرعة".

📖 "وإذا ضللت أسرع بالرجوع إلى خلف، حتى تجد الطريق المستقيمة، لآن الطريق المستقيمة حسنة جداً، وليس فيها دوران، ولا تحتاج إلى طول الزمان، بل بسرعة تصل إلى مدينة السلام".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٨٥



📖 **سئل مرة القديس آمون الأسقف:**

"ما هي الطريق الضيقة الكربة؟"

أجاب: "إن الطريق الضيقة الكربة هي هذه: أن يراقب الإنسان فكره، ويقطع بوجه خاص هواه، وهذا هو ما يقصد بذلك القول: "قد تركنا كل شيء وتبعناك".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٨٦



قال أحد الشيوخ:

"إني لا أتذكر أن الشياطين أطغوني مرتين فقط في أمر واحد".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٩٢

شيخ حدثته أفكاره قائلة له: "استرح اليوم وتب غداً". فقال: "لن يكون ذلك أبداً، بل على أن أتوب اليوم، ولتكن مشيئة الرب غداً".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٩٢



وقال شيخ:

"لو أننا نحب الله مثلما نحب أصدقاءنا، لكان طوبي لنا. فقد أبصرت أناساً كثيرين قد أحزنوا أصدقاءهم، فلم يهدئوا الليل مع النهار بالشفاعات والهدايا، حتى ردوا الحب فيما بينهم. أما الله! فحزين من أجل خطايانا، وما نكترث لذلك، ولا نطلب رضاه".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٤٣٠

قال أنبا تيموثاوس: "لا توجد طريق مستقيمة، سوي طريق ربنا يسوع المسيح، لأنه هو الطريق، والحق، والحياة".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٤٣٠

{٢٩}

فيلوكالية الآباء الزاهدين

فصل ٤٤

التوبة والنقاوة والكمال

كل درب يكتمل في هذه الثلاثة: "التوبة، والنقاوة، والكمال".

"التوبة" ترك الأشياء السالفة، والتفجع {شدة الحزن} عليها".

وما هي النقاوة: "بوجيز الكلام؟ قلب يرق لكل طبيعة مخلوقة".

وما هو الكمال: "هو عمق التواضع": ترك جميع الأشياء المرئية - أي الأشياء المحسوسة - وجميع الأشياء اللامرئية - أي الأشياء الذهنية - فلا يكون لنا بها أي اكتراث.

وأيضاً: التوبة هي: "الموت الطوعي الثاني عن الأشياء كلها، هي قلب عطوف، حرارة {محبة} القلب تجاه كل خليقة. تجاه الناس، والطيور، والبهائم، والشياطين، وكل خليفة".

وأيضاً: "ما دمنا في هذا العالم، منبوذين في الجسد، إذا أردنا أن نرقى الى قبة السماوات، تعذر علينا ذلك بدون عمل، وبدون جهد.

وما دمنا في اللامبالاة مقيمين ذاك هو {عذر عدم} الاكتمال.

ولكن هناك ما هو أعظم، وهو: "التأمل". بمعزل عن كل فكر.

ويقول القديس مكسيموس: "الفلسفة المرهونة للفضيلة، تولد حصانة الرأي، لا حصانة الطبيعة. ومفاد ذلك أن نعمة الرضي الإلهي المنوط بالذهن، تأتينا حصانة الرأي هذه".

وأيضاً: "من اختبر الحزن - ولذة الجسد - ندعوه "مبتدئاً"، لأنه اختبر ما يكتنف الجسد من سعة، ومشقة.

وندعو "كاملاً" من كافح بقوة العقل، لذة الجسد، وألمه.

وندعو "متمماً" من صان طاقاته العملية، والتأملية، من الاستلاب. بفضل توقه إلى الإلهيات.

فيلوكالية الآباء الزاهدين - كاليستوس وأغناطيوس - الجزء الأول - صفحة ١١١ - ١١٢



